

السيرة النبوية

عرض وفوائد وتحليل أحداث



الجزء الثاني

الرَّكُورِ عَلَيَّ مُحَمَّدًا صَلَّيْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفصل الثامن

غزوة بدر الكبرى

المبحث الأول

مرحلة ما قبل المعركة

بلغ المسلمون تحرك قافلة تجارية كبيرة من الشام تحمل أموالاً عظيمة⁽¹⁾ لقريش يقودها أبو سفيان ويقوم على حراستها بين ثلاثين وأربعين رجلاً⁽²⁾، فأرسل الرسول صلى الله عليه وسلم بسبس بن عمرو⁽³⁾ لجمع المعلومات عن القافلة، فلما عاد بسبس بالخبر اليقين، ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه للخروج وقال لهم: «هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها»⁽⁴⁾، وكان خروجه من المدينة في اليوم الثاني عشر من شهر رمضان المبارك من السنة الثانية للهجرة، ومن المؤكد أنه حين خروجه صلى الله عليه وسلم من المدينة لم يكن في نيته قتال، وإنما كان قصده عير قريش، وكانت الحالة بين المسلمين وكفار مكة حالة حرب، وفي حالة الحرب تكون أموال العدو ودمائهم مباحة، فكيف إذا علمنا أن جزءاً من هذه الأموال الموجودة في القوافل القرشية كانت للمهاجرين المسلمين من أهل مكة قد استولى عليها المشركون ظلماً وعدواناً⁽⁵⁾.

كلف رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أم مكتوم بالصلاة بالناس في المدينة عند خروجه إلى بدر، ثم أعاد أبا لبابة من الروحاء إلى المدينة وعينه أميراً عليها⁽⁶⁾.

أرسل النبي صلى الله عليه وسلم اثنين من أصحابه⁽⁷⁾ إلى بدر طليعة للتعرف على أخبار

(1) قدرت قيمة البضائع التي تحملها القافلة بحوالي 50 ألف دينار، انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (286/1).

(2) جوامع السيرة لابن حزم ص(107).

(3) ورد الاسم في صحيح مسلم بصيغة التأنيث مصحفاً إلى بسيسة وصححه ابن حجر.

(4) ابن هشام السيرة (61/2) بسند صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما.

(5) انظر: حديث القرآن عن غزوات الرسول، د. محمد آل عابد (43/1).

(6) البداية والنهاية (260/3)، المستدرك للحاكم (632/3).

(7) هما عدي بن الزغباء، وبسبس بن عمرو، الطبقات لابن سعد (24/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

القافلة، فرجعا إليه بخبرها⁽¹⁾، وقد حصل خلاف بين المصادر الصحيحة حول عدد الصحابة الذين رافقوا النبي صلى الله عليه وسلم في غزوته هذه إلى بدر، ففي حين جعلهم البخاري «بضعة عشر وثلاثمائة»⁽²⁾. يذكر مسلم بأنهم ثلاثمائة وتسعة عشرة رجلا⁽³⁾، في حين ذكرت المصادر أسماء ثلاثمائة وأربعين من الصحابة البدريين⁽⁴⁾، وكانت قوات المسلمين في بدر لا تمثل القدرة العسكرية القصوى للدولة الإسلامية، ذلك أنهم إنما خرجوا لاعتراض قافلة واحتوائها، ولم يكونوا يعلمون أنهم سوف يواجهون قوات قريش وأحلافها مجتمعة للحرب، والتي بلغ تعدادها ألفاً⁽⁵⁾ معهم مائتا فرس يقودونها إلى جانب جمالهم، ومعهم القيان يضربون بالدفوف، ويغني بهجاء النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه⁽⁶⁾، في حين لم يكن مع القوات الإسلامية من الخيل إلا فرسان، وكان معهم سبعون بعيراً يتعاقبون ركوبها⁽⁷⁾.

أولاً: بعض الحوادث في أثناء المسير إلى بدر:

وقد حدثت بعض الحوادث في أثناء مسير النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فيها من العبر والمواعظ الشيء الكثير:

1- إرجاع البراء بن عازب وابن عمر لصغرمهما: وبعد خروج النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المدينة في طريقهم إلى ملاقة عير أبي سفيان، وصلوا إلى (بيوت السقيا) خارج المدينة، فعسكر فيها النبي صلى الله عليه وسلم، واستعرض صلى الله عليه وسلم من خرج معه فرد من ليس له قدرة على المضي من جيش المسلمين، وملاقة من يحتمل نشوب قتال معهم، فرد على هذا الأساس البراء بن عازب، وعبد الله بن عمر لصغرمهما، وكانا قد خرجا مع النبي صلى

(1) الطبقات لابن سعد (42/2) بإسناد صحيح.

(2) فتح الباري (290/7-292).

(3) مسلم، شرح النووي (84/12).

(4) البداية والنهاية (314/3) وكذلك الطبقات، وخليفة بن خياط.

(5) مسلم، بشرح النووي (84/12).

(4) البداية والنهاية (260/3).

(7) المسند (411/1)، مجمع الزوائد (69/6)، جوامع السير، ص108.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

الله عليه وسلم راغبين وعازمين على الاشتراك في الجهاد⁽¹⁾.

2- ارجع فلن أستعين بمشرك: وفي أثناء سير النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه، التحق أحد المشركين راغبًا بالقتال مع قومه، فردده الرسول صلى الله عليه وسلم وقال: «ارجع فلن أستعين بمشرك» وكرر الرجل المحاولة فرفض الرسول حتى أسلم الرجل والتحق بالمسلمين⁽²⁾.

3- مشاركة النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في الصعاب: فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير، كان أبو لبابة وعلي بن أبي طالب زميلي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: وكانت عقبة رسول الله، قال: فقالا: نحن نمشي عنك. فقال: «ما أنتما بأقوى مني، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما»⁽³⁾.

ثانيًا: العزم على ملاقة المسلمين ببدر:

بلغ أبا سفيان خبر مسير النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه من المدينة بقصد اعتراض قافلته واحتوائها، فبادر إلى تحول مسارها إلى طريق الساحل، في نفس الوقت أرسل عمرو بن ضمضم الغفاري إلى قريش يستنفرها لإنقاذ قافلته وأموالها⁽⁴⁾، فقد كان أبو سفيان يقطر حذرًا، يتلقت أخبار المسلمين ويسأل عن تحركاتهم، بل يتحسس أخبارهم بنفسه، فقد تقدم إلى بدر بنفسه، وسأل من كان هناك: (هل رأيتم من أحد؟) قالوا: لا. إلا رجلين قال: (أروني مناخ ركابهما، فأروه، فأخذ البعر ففته فإذا هو فيه النوى، فقال: هذا والله علانف يثرب)⁽⁵⁾. فقد استطاع أن يعرف تحركات عدوه، حتى خبر السرية الاستطلاعية عن طريق غداء دوابها، بفحصه البعر الذي خلفته الإبل، إذ عرف أن الرجلين من المدينة أي من المسلمين، وبالتالي فقافلته في

(1) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبه (124/2).

(2، 8) انظر: السيرة النبوية الصحيحة للعمري (355/2).

(2) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (230/2).

(4) انظر: موسوعة نضرة النعيم (287/1).

خطر، فأرسل عمرو بن ضمضم إلى قريش وغير طريق القافلة، واتجه نحو ساحل البحر⁽¹⁾.

كان وقع خبر القافلة شديداً على قريش، التي اشتتت زعمائها غضباً لما يرونه من امتهان للكرامة، وتعرض للمصالح الاقتصادية للأخطار إلى جانب ما ينجم عن ذلك من انحطاط لمكانة قريش بين القبائل العربية الأخرى؛ ولذلك فقد سعوا إلى الخروج لمجابهة الأمر بأقصى طاقاتهم القتالية⁽²⁾.

لقد جاءهم عمرو بن ضمضم الغفاري بصورة مثيرة جداً يتأثر بها كل من رآها، أو سمع بها، إذ جاءهم وقد حول رحله وجدع أنف بغيره، وشق قميصه من قبل ومن دبر، ودخل مكة وهو ينادي بأعلى صوته: يا معشر قريش: اللطيمة، اللطيمة،⁽³⁾ أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه، لا أرى أن تدركوها، الغوث، الغوث⁽⁴⁾.

وعندما أمن أبو سفيان على سلامة القافلة أرسل إلى زعماء قريش وهو بالجحفة برسالة أخبرهم فيها بنجاته والقافلة، وطلب منهم العودة إلى مكة، وذلك أدى إلى حصول انقسام حاد في آراء زعماء قريش، فقد أصر أغلبهم على التقدم نحو بدر من أجل تأديب المسلمين وتأمين سلامة طريق التجارة القرشية، وإشعار القبائل العربية الأخرى بمدى قوة قريش وسلطانها، وقد انشق بنو زهرة⁽⁵⁾، وتخلف في الأصل بنو عدي. فعاد بنو زهرة إلى مكة، أما غالبية قوات قريش وأحلافهم فقد تقدمت حتى وصلت بدر⁽⁶⁾.

ثالثاً: مشاوره النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه:

لما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم نجاه القافلة وإصرار زعماء مكة على قتال النبي صلى الله

(1) انظر: غزوة بدر الكبرى لأبي فارس، ص33، 34.

(2) انظر: موسوعة نضرة النعيم (287/1).

(3) اللطيمة: القافلة المحملة بشتى أنواع البضاعة غير الطعام.

(4) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (221/2)

(5) نصحبهم الأخنس بن شريق بذلك، انظر: ابن هشام (231/2)

(6) انظر: موسوعة نضرة النعيم (287/1) (2) صحيح البخاري رقم (3952).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

عليه وسلم استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه في الأمر،⁽¹⁾ وأبدى بعض الصحابة عدم ارتياحهم لمسألة المواجهة الحربية مع قريش، حيث إنهم لم يتوقعوا المواجهة ولم يستعدوا لها، وحاولوا إقناع الرسول صلى الله عليه وسلم بوجهة نظرهم، وقد صور القرآن الكريم، موقفهم وأحوال الفئة المؤمنة عموماً في قوله تعالى: (كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ □ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ □ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ □ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ([الأنفال: 5- 8]. وقد أجمع قادة المهاجرين على تأييد فكرة التقدم لملاقاة العدو،⁽²⁾ وكان للمقداد بن الأسود موقفٌ متميزٌ، فقد قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: شهدت من المقداد بن الأسود مشهداً لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عدل به⁽³⁾: أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعو على المشركين فقال: لا نقول كما قال قوم موسى: (قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ) [المائدة: 24]، ولكن نقاتل عن يمينك وعن شمالك، وبين يديك وخلفك. فرأيت الرسول صلى الله عليه وسلم أشرق وجهه وسره⁽⁴⁾، وفي رواية: ⁽⁵⁾ قال المقداد: يا رسول الله، لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: (فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ) ولكن امض ونحن معك، فكأنه سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبعد ذلك عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أشيروا علي أيها الناس»، وكان إنما يقصد الانتصار؛ لأنهم غالبية جنده، ولأن بيعة العقبة الثانية لم تكن في ظاهرها ملزمة لهم بحماية الرسول صلى الله عليه وسلم خارج المدينة، وقد أدرك الصحابي سعد بن معاذ، وهو حامل لواء

(2) انظر: موسوعة نضرة النعيم (288/1).

(3) المبالغة في عظمة ذلك المشهد، وأنه كان لو خير بين أن يكون صاحبه وبين أن يحصل له ما يقابل ذلك لكان حصوله أحب إليه.

(4) البخاري، كتاب المغازي (287/7).

(6) البخاري، كتاب التفسير (273/8).

الأنصار، مقصد النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك فنهض قائلاً: «والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وسلم: «أجل». قال: (لقد آمانا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصبر في الحرب، صدق عند اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر على بركة الله)⁽¹⁾. سُرَّ النبي صلى الله عليه وسلم من مقالة سعد بن معاذ، ونشطه ذلك فقال صلى الله عليه وسلم: «سيروا وأبشروا فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأنني أنظر إلى مصارع القوم»⁽²⁾.

كانت كلمات سعد مشجعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وملهبة لمشاعر الصحابة فقد رفعت معنويات الصحابة وشجعتهم على القتال.

إن حرص النبي صلى الله عليه وسلم على استشارة أصحابه في الغزوات يدل على تأكيد أهمية الشورى في الحروب بالذات؛ ذلك لأن الحروب تقرر مصير الأمم، فإما إلى العلياء، وإما تحت الغبراء⁽³⁾.

رابعاً: المسير إلى لقاء العدو وجمع المعلومات عنه:

نظم النبي صلى الله عليه وسلم جنده بعد أن رأى طاعة الصحابة وشجاعتهم واجتماعهم على القتال، وعقد اللواء الأبيض وسلمه إلى مصعب بن عمير، وأعطى رايتين سوداوين إلى سعد بن معاذ، وعلي بن أبي طالب، وجعل على الساقة قيس بن أبي صعصعة⁽⁴⁾. وقام صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر يستكشف أحوال جيش المشركين، وبينما هما يتجولان في تلك المنطقة لقياً شيخاً من العرب، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جيش قريش، وعن محمد وأصحابه،

(1) مسلم (1404/3) رقم (1779).

(2) انظر: البداية والنهاية (262/3) بإسناد صحيح، المسند (259/5) رقم (3698).

(3) انظر: غزوة بدر الكبرى لأبي فارس، ص 37.

(4) انظر: زاد المعاد (172/3) (5) انظر: سيرة ابن هشام (228/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وما بلغه **صلى الله عليه وسلم** من أخبارهم: قال الشيخ لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتم. فقال له رسول الله **صلى الله عليه وسلم** «إذا أخبرتنا أخبرناك» فقال: أو ذاك بذاك؟ قال: «نعم»، فقال الشيخ: فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذي به جيش المسلمين، وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذي فيه جيش المشركين فعلاً، ثم قال الشيخ: لقد أخبرتكما عما أردتما، فأخبراني ممن أنتما؟ فقال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: «نحن من ماء»، ثم انصرف النبي **صلى الله عليه وسلم** وأبو بكر عن الشيخ، وبقي هذا الشيخ يقول: ما من ماء؟ أمن ماء العراق؟⁽¹⁾.

وفي مساء ذلك اليوم الذي خرج فيه رسول الله **صلى الله عليه وسلم** وأبو بكر، أرسل عليه الصلاة والسلام علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، في نفر من أصحابه إلى ماء بدر يتسقطون له الأخبار عن جيش قريش، فوجدوا غلامين يستقيان لجيش المشركين فأتوا بهما إلى رسول الله **صلى الله عليه وسلم**، فقال لهما: «أخبراني عن جيش قريش» فقالا: هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى، فقال لهما رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: «كم القوم؟» قالوا: كثير، قال: «ما عدتهم؟» قالوا: لا ندري، قال الرسول **صلى الله عليه وسلم**: «كم ينحرون كل يوم؟» قالوا: يوماً تسعاً ويوماً عشراً، فقال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: «القوم ما بين التسعمائة والألف»، ثم قال لهما: فمن فيهم من أشرف قريش؟ فذكرا عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا جهل وأمية بن خلف في آخرين من صناديد قريش، فأقبل رسول الله **صلى الله عليه وسلم** إلى أصحابه قائلاً: «هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها»⁽²⁾.

كان من هدي النبي **صلى الله عليه وسلم** حرصه على معرفة جيش العدو والوقوف على أهدافه ومقاصده؛ ولأن ذلك يعينه على رسم الخطط الحربية المناسبة لمجابهته وصد عدوانه، فقد

(2) ابن هشام (229/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

كانت أساليبه في غزوة بدر في جمع المعلومات تارة بنفسه وأخرى بغيره، وكان صلى الله عليه وسلم يطبق مبدأ الكتمان في حروبه، فقد أرشد القرآن الكريم المسلمين إلى أهمية هذا المبدأ قال تعالى: (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهٖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا) [النساء: 83].

وقد تحلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفة الكتمان في عامة غزواته، فعن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: (ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة إلا ورى بغيرها...).⁽¹⁾ وفي غزوة بدر ظهر هذا الخلق الكريم في الآتي:

1- سؤاله صلى الله عليه وسلم الشيخ الذي لقيه في بدر عن محمد وجيشه، وعن قريش وجيشها.

2- تورية الرسول صلى الله عليه وسلم في إجابته عن سؤال الشيخ ممن أنتم؟ بقوله صلى الله عليه وسلم: «نحن من ماء» وهو جواب يقتضيه المقام، فقد أراد به صلى الله عليه وسلم كتمان أخبار جيش المسلمين عن قريش.

3- وفي انصرافه فور استجوابه كتماناً أيضاً، وهو دليل على ما يتمتع به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحكمة، فلو أنه أجاب هذا الشيخ ثم وقف عنده لكان هذا سبباً في طلب الشيخ بيان المقصود من قوله صلى الله عليه وسلم: «من ماء»⁽²⁾.

4- أمره صلى الله عليه وسلم بقطع الأجراس من الإبل يوم بدر، فعن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالأجراس أن تقطع من أعناق الإبل يوم بدر⁽³⁾.

5- كتمانته صلى الله عليه وسلم خبر الجهة التي يقصدها عندما أراد الخروج إلى بدر، حيث

(3) انظر: سيرة ابن هشام (228/2).

(1) البخاري (2947/2)

(3) انظر: مرويات غزوة بدر، أحمد محمد باوزير، ص100.
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

قال صلى الله عليه وسلم: (... إن لنا طلبة فمن كان ظهره حاضراً فليركب معنا...) (1).

وقد استدلل الإمام النووي بهذا الحديث على استحباب التورية في الحرب، وأن لا يبين القائد الجهة التي يقصدها لئلا يشيع هذا الخبر فيحذرهم العدو (2).

ونلاحظ أن التربية الأمنية في المنهاج النبوي مستمرة منذ الفترة السرية، والجهرية بمكة، ولم تنقطع مع بناء الدولة، وأصبحت تنمو مع تطورها، وخصوصاً في غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم.

خامساً: مشورة الحباب بن المنذر في بدر:

بعد أن جمع صلى الله عليه وسلم معلومات دقيقة عن قوات قريش سار مسرعاً ومعه أصحابه إلى بدر ليسبقوا المشركين إلى ماء بدر، وليحولوا بينهم وبين الاستيلاء عليه، فنزل عند أدنى ماء من مياه بدر، وهنا قام الحباب بن المنذر، وقال: يا رسول الله: أريت هذا المنزل، أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة» قال: يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل، فانهض يا رسول الله بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم-أي جيش المشركين- فننزلهم ونغور-نخرب- ما وراءه من الآبار ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم برأيه وانهض بالجيش حتى أقرب ماء من العدو فنزل عليه، ثم صنعوا الحياض وغوروا ما عداها من الآبار (3)، وهذا يصور مثلاً من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم مع أصحابه حيث كان أي فرد من أفراد ذلك المجتمع يدلي برأيه حتى في أخطر القضايا، ولا يكون في شعوره احتمال غضب القائد الأعلى، ثم حصول ما يترتب على ذلك الغضب من تدني سمعة ذلك المشير بخلاف رأي القائد وتأخره في الرتبة وتضرره في نفسه أو ماله.

(1) مسلم، كتاب الإمامة (1510/3) رقم (1901).

(2) شرح النووي لصحيح مسلم (45/13).

(3) انظر: مرويّات غزوة بدر، ص165، قصة الحباب تتقوى وترتفع إلى درجة الحسن. هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ مع الدعاء بحسن الاستفادة

إن هذه الحرية التي ربّى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه مكنت مجتمعهم من الاستفادة من عقول جميع أهل الرأي السديد والمنطق الرشيد، فالقائد فيهم ينجح نجاحاً باهراً، وإن كان حديث السن؛ لأنه لم يكن يفكر برأيه المجرد، أو آراء عصابة مهيمنة عليه قد تنظر لمصالحها الخاصة قبل أن تنظر لمصلحة المسلمين العامة، وإنما يفكر بآراء جميع أفراد جنده، وقد يحصل له الرأي السديد من أقلهم سمعة وأبعدهم منزلة من ذلك القائد؛ لأنه ليس هناك ما يحول بين أي فرد منهم والوصول برأيه إلى قائد جيشه⁽¹⁾.

ونلاحظ عظمة التربية النبوية التي سرت في شخص الحباب بن المنذر، فجعلته يتأدب أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم دون أن يطلب رأيه، ليعرض الخطة التي لديه، لكن هذا تم بعد السؤال العظيم الذي قدمه بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم. يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل أمزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ إن هذا السؤال ليوشي بعظمة هذا الجوهر القيادي الفذ الذي يعرف أين يتكلم ومتى يتكلم بين يدي قائده، فإن كان الوحي هو الذي اختار هذا المنزل، فلأن يقدم فتقطع عنقه أحب إليه من أن يلفظ بكلمة واحدة، وإن كان الرأي البشري فليديه خطة جديدة كاملة باستراتيجية جديدة.

إن هذه النفسية الرفيعة، عرفت أصول المشورة، وأصول إبداء الرأي، وأدركت مفهوم السمع والطاعة، ومفهوم المناقشة، ومفهوم عرض الرأي المعارض لرأي سيد ولد آدم، عليه الصلاة والسلام.

وتبدو عظمة القيادة النبوية في استماعها للخطة الجديدة، وتبني الخطة الجديدة المطروحة من جندي من جنودها أو قائد من قوادها⁽²⁾.

سادساً: الوصف القرآني لخروج المشركين:

قال تعالى: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ

(1) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (110/4).

(2) انظر: التربية القيادية (21/3).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ([الأنفال: 47].

ينهى المولى عز وجل المؤمنين عن التشبه بالكافرين الذين خرجوا من ديارهم بطراً ورناء الناس. فقد وصف سبحانه الكافرين في هذه الآية بثلاثة أشياء: الأول: **البطر**، والثاني: **الرياء** والثالث: **الصد عن سبيل الله**.

ونلاحظ أن الله تعالى عبر عن بطرهم بصيغة الاسم الدال على التمكين والثبوت، وعن صدهم بصيغة الفعل الدال على التجدد والحدوث⁽¹⁾.

وقد جاء في تفسير هذه الآية عند القرطبي أن المقصود بالآية: «يعني أبا جهل وأصحابه الخارجين يوم بدر لنصرة العير، خرجوا بالقيان والمغنيات والمعازف، فلما وردوا الجحفة بعث خفاف الكناني، وكان صديقاً لأبي جهل، بهدايا إليه مع ابن عم له، وقال: إن شئت أمددتك بالرجال، وإن شئت أمددتك بنفسي مع ما خف من قومي، فقال أبو جهل: إنا كنا نقاتل الله كما يزعم محمد، فوالله ما لنا بالله من طاقة، وإن كنا نقاتل الناس فوالله إن بنا على الناس لقوة، والله لا نرجع عن قتال محمد حتى نرد بدرًا فنشرب فيها الخمر، وتعزف علينا القيان، فإن بدرًا موسم من مواسم العرب، وسوق من أسواقهم، حتى تسمع العرب بمخرجنا؛ فتهابنا آخر الأبد، فوردوا بدرًا، ولكن جرى ما جرى من هلاكهم»⁽²⁾.

سابعاً: موقف المشركين لما قدموا إلى بدر:

بين سبحانه وتعالى موقف المشركين لما قدموا إلى بدر، قال تعالى: (**إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ**) [الأنفال: 19].

روى الإمام أحمد عن عبد الله بن ثعلبة أن أبا جهل قال حين التقى القوم في بدر:- اللهم

(1) انظر: حديث القرآن عن غزوات الرسول (65/1، 66).

(2) انظر: تفسير القرطبي (25/8).

(2) المسند (431/5).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

أَقْطَعْنَا لِلرَّحْمِ، وَأَتَانَا بِمَا لَا يَعْرِفُ، فَأَحْنَهُ - أَي أَهْلَكَ: الْغَدَاةُ. فَكَانَ الْمُسْتَفْتَحُ(1).

ولما وصل جيش مكة إلى بدر دب فيهم الخلف وتزعزعت صفوفهم الداخلية، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: «لما نزل المسلمون وأقبل المشركون، نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عتبة بن ربيعة وهو على جمل أحمر، فقال: «إِنْ يَكُنْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ الْقَوْمِ خَيْرٌ فَهُوَ عِنْدَ صَاحِبِ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ، إِنْ يَطِيعُوهُ يَرْشُدُوا» وهو يقول: يَا قَوْمِ أَطِيعُونِي فِي هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ فَإِنَّكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ لَنْ يَزَالَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ، يَنْظُرُ كُلُّ رَجُلٍ إِلَى قَاتِلِ أَخِيهِ وَقَاتِلِ أَبِيهِ، فَاجْعَلُوا حَقَّهَا بِرَأْسِي وَارْجِعُوا، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: انْتَفَخَ وَاللَّهِ سَحْرَهُ،(2) حِينَ رَأَى مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ، إِنَّمَا مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ أَكَلَةُ جُزُورٍ لَوْ قَدْ التَّقِينَا. فَقَالَ عَتَبَةُ: سَتَعْلَمُ مِنَ الْجَبَانِ الْمَفْسَدَ لِقَوْمِهِ، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى قَوْمًا يَضْرِبُونَكَ ضَرْبًا، أَمَا تَرَوْنَ كَأَنَّ رُؤُوسَهُمُ الْإِفَاعِي وَكَأَنَّ وَجْهَهُمُ السِّيُوفُ..»(3).

وهذا حكيم بن حزام يحدثنا عن يوم بدر، وكان في صفوف المشركين قبل إسلامه، قال: خرجنا حتى نزلنا العدو التي ذكرها الله عز وجل، فجئت عتبة بن ربيعة فقلت: يا أبا الوليد هل لك أن تذهب بشرف هذا اليوم ما بقيت؟

قال: أفعل ماذا؟ قلت: إنكم لا تطلبون من محمد إلا دم ابن الحضرمي(4)، وهو حليفك فتحمل ديته وترجع بالناس، فقال أنت وذاك وأنا أتحمل ديته، واذهب إلى ابن الحنظلية(5) يعني -أبا جهل- فقل له: هل لك أن ترجع اليوم بمن معك عن ابن عمك؟ فجئته فإذا هو في جماعة من بين يديه ومن ورائه، وإذا ابن الحضرمي(6) واقف على رأسه وهو يقول: قد فسخت عقدي من عبد شمس، وعقدي إلى بني مخزوم فقلت له: يقول لك عتبة بن ربيعة: هل لك أن ترجع اليوم عن ابن عمك بمن معك؟ قال: أما وجد رسولاً غيرك؟ قلت: لا ولم أكن لأكون رسولاً لغيره.

(2) سحره: رنتك، يقال ذلك للجبان.

(3) مجمع الزوائد (76/6) وقال: رواه البزار ورجاله ثقات.

(4) تقدم ذكره في سرية عبد الله بن جحش.

(5) ابن الحنظلية هو أبو جهل، وهي أسماء بنت مخربة من بني تميم.

(6) المقصود هنا عامر أخو عمرو المتقدم

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

قال حكيم: فخرجت مبادراً إلى عتبة، لئلا يفوتني من الخبر شيء⁽¹⁾. فهذا عتبة بن ربيعة وهو في القيادة من قريش لا يرى داعياً لقتال محمد، وقد دعا قريش بترك محمد فإن كان صادقاً فيما يدعو إليه فعزه عز قريش وملكه ملكها، وستكون أسعد الناس به، وإن كان كاذباً فسيذوب في العرب وتنهيه.

ولكن كبرياء الجاهلية دائماً في كل زمان ومكان لا يمكن أن تترك الحق يتحرك؛ لأنها تعلم أن انتصاره معناه زوالها من الوجود وبقاؤه مكانها⁽²⁾.

وهذا عمير بن وهب الجمحي ترسله قريش ليحرز لهم أصحاب محمد، فاستجال حول العسكر ثم رجع إليهم فقال: ثلاثمائة رجل يزيدون قليلاً أو ينقصون، ولكن أمهلوني أنظر اللقوم كمين أو مدد، قال: فضرب في الوادي حتى أبعد فلم ير شيئاً، ولكن قد رأيت يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع، قوم ليس لهم منعة إلا سيوفهم، والله ما أرى أن يُقتل رجل منهم حتى يقتل رجلاً منكم، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك، ففروا رأيكم⁽³⁾.

وهذا أمية بن خلف رفض الخروج من مكة ابتداء خوفاً من الموت، فأتاه أبو جهل فقال: يا أبا صفوان إنك متى يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد أهل الوادي تخلفوا معك، فلم يزل به أبو جهل حتى قال: أما إذا غلبتني، فوالله لأشتري أجود بغير بمكة. ثم قال أمية: يا أم صفوان جهزني. فقالت له: أبا صفوان وقد نسيت ما قال لك أخوك الليثي؟ تقصد سعد بن معاذ عندما قال له: سمعت رسول الله يقول: إنهم لقاتلوك⁽⁴⁾. قال: لا، ما أريد أن أجوز معهم إلا قريباً، فلما خرج أمية أخذ لا يترك منزلاً إلا عقل بغيره، فلم يزل بذلك حتى قتله الله عز وجل ببدر⁽⁵⁾.

(1) سيرة ابن هشام (234/2، 235).

(2) انظر: مرويّات غزوة بدر، ص 155.

(3) انظر: البداية والنهاية (269/3).

(4) انظر: فتح الباري (238/7) الطبعة السلفية، مصر.

(5) انظر: مرويّات غزوة بدر، ص 136.

(6) المصدر نفسه، ص 137.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ مع الدعاء بحسن الاستفادة

ومن دهاء أبي جهل -لعنه الله- أن سلط عقبة بن معيط على أمية بن خلف فأتاه عقبة بمجمره حتى وضعها بين يديه فقال: إنما أنت من النساء. فقال: قبحك الله⁽¹⁾.

لقد كانت القوة المعنوية لجيش مكة متزعزعة في النفوس، وإن كان مظهره القوة والعزم والثبات إلا أن في مخبره الخوف والجبن والتردد⁽²⁾.

وكانت لرؤيا عاتكة بنت عبد المطلب أثر على معنويات أهل مكة، فقد رأت في المنام أن رجلاً استنفر قريشاً وألقى بصخرة من رأس جبل أبي قبيس بمكة فتفتت ودخلت سائر دور قريش، وقد أثارت الرؤيا خصومة بين العباس وأبي جهل حتى قدم ضمضم وأعلمهم بخبر القافلة فسكنت مكة وتأولت الرؤيا⁽³⁾. كما أن جهيم بن الصلت بن المطلب بن عبد مناف رأى رؤيا عندما نزلت قريش الجحفة، فقد رأى رجلاً أقبل على فرس حتى وقف، ومعه بعير له، ثم قال: قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، وأبو الحكم بن هشام، وأممية بن خلف، وفلان وفلان، فعدد رجالاً من أشراف قريش، ثم رأته ضرب في لبة بعيره، ثم أرسله في العسكر، فما بقي خباء من أخبية العسكر إلا أصابه نضح⁽⁴⁾ من دمه، فلما بلغت أبا جهل هذه الرؤيا، قال: وهذا أيضاً نبي من بني المطلب، سيعلم غداً من المقتول إن نحن التقينا⁽⁵⁾. كانت تلك الرؤى قد ساهمت بتوفيق الله في إضعاف النفسية القرشية المشركة.

* * *

(2) المصدر السابق، ص 138.

(3) انظر: المجتمع المدني في عصر النبوة للعمري، ص 41.

(4) نضح: لطح.

(4) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (230/2).

المبحث الثاني

النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون في ساحة المعركة

أولاً: بناء عريش القيادة:

بعد نزول النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين معه على أدنى ماء بدر من المشركين، اقترح سعد بن معاذ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بناء عريش له يكون مقرّاً لقيادته ويأمن فيه من العدو، وكان مما قاله سعد في اقتراحه: (يا نبي الله ألا نبني لك عريشاً تكون فيه ثم نلقى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركانبك فلحقت بمن وراءنا، فقد تخلف عنك أقوام، يا نبي الله، ما نحن بأشد لك حباً منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم، ويناصحونك، ويجاهدون معك) فأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ودعا له بخير، ثم بنى المسلمون العريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم على تل مشرف على ساحة القتال، وكان معه فيه أبو بكر رضي الله عنه، وكانت ثلثة من شباب الأنصار بقيادة سعد بن معاذ يحرسون عريش رسول الله صلى الله عليه وسلم⁽¹⁾.

ويستفاد من بناء العريش أمور، منها:

- 1- لا بد أن يكون مكان القيادة مشرفاً على أرض المعركة، يتمكن القائد فيه من متابعة المعركة وإدارتها.
- 2- ينبغي أن يكون مقر القيادة آمناً بتوافر الحراسة الكافية له.
- 3- ينبغي الاهتمام بحياة القائد، وصونها من التعرض لأي خطر.
- 4- ينبغي أن يكون للقائد قوة احتياطية أخرى تعوض الخسائر التي قد تحدث في المعركة⁽²⁾.

(2) انظر: غزوة بدر الكبرى، ص66.

(1) انظر: سيرة ابن هشام (233/2).

ثانياً: من نعم الله على المسلمين قبل القتال:

من المنن التي منَّ الله بها على عباده المؤمنين يوم بدر أنه أنزل عليهم النعاس والمطر، وذلك قبل أن يلتحموا مع أعدائهم، قال تعالى: (إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمُ رَجَزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ) قال القرطبي: (وكان هذا النعاس في الليلة التي كان القتال من غدها، فكان النوم عجيباً مع ما كان بين أيديهم من الأمر المهم، وكأن الله ربط جأشهم).

وعن علي رضي الله عنه قال: ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد على فرس أبلق، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم، إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة يصلي ويبكي حتى أصبح.

وفي امتنان الله عليهم بالنوم في هذه الليلة وجهان:

أولهما: أن قواهم بالاستراحة على القتال من الغد.

الثاني: أن آمنهم بزوال الرعب من قلوبهم كما يقال: «الأمن مُنيم، والخوف مُسهر»⁽¹⁾.

وبين سبحانه وتعالى أنه أكرم المؤمنين بإنزال المطر عليهم في وقت لم يكن المعتاد فيه نزول الأمطار، وذلك فضلاً منه وكرماً، وإسناد هذا الإنزال إلى الله للتنبيه على أنه أكرمهم به.

قال الإمام الرازي: (وقد علم بالعادة أن المؤمن يكاد يستقذر نفسه، إذ كان جنباً، ويغتم إذا لم يتمكن من الاغتسال، ويضطرب قلبه لأجل هذا السبب فلا جرم عدَّ الله تعالى وتقدس تمكينهم من الطهارة من جملة نعمه...) ⁽²⁾.

وقوله تعالى: (وَيَذْهِبَ عَنْكُمُ رَجَزَ الشَّيْطَانِ) فقد روى ابن جرير عن ابن عباس قال: نزل النبي صلى الله عليه وسلم -يعني حين سار إلى بدر- والمسلمون بينهم وبين الماء رملة دعصة- أي كثير مجتمعة- فأصاب المسلمين ضعف شديد، وألقى الشيطان في قلوبهم الغيظ، فوسوس

(1) انظر: تفسير القرطبي (327/7).

(2) انظر: تفسير الفخر الرازي (133/15).

بينهم تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله وقد غلبكم المشركون على الماء، وأنتم تصلون مجنبيين، فأمطر الله عليكم مطراً شديداً، فشرب المسلمون وتطهروا، وأذهب الله عنهم رجز الشيطان، وثبت الرمل حين أصابه المطر، ومشى الناس عليه والدواب فساروا إلى القوم⁽¹⁾. فقد بين سبحانه أنه أنزل على عباده المؤمنين المطر قبل المعركة فتطهروا به حسيّاً ومعنويّاً إذ ربط الله به على قلوبهم وثبت به أقدامهم، وذلك أن الناظر في منطقة بدر يجد في المنطقة رمالا متحركة لا زالت حتى اليوم ومن العسير المشي عليها، ولها غبار كبير، فلما نزلت الأمطار تماسكت تلك الرمال وسهل السير عليها، وانطفأ غبارها، وكل ذلك كان نعمة من الله على عباده⁽²⁾.

ثالثاً: خطة الرسول صلى الله عليه وسلم في المعركة:

ابتكر الرسول صلى الله عليه وسلم في قتاله مع المشركين يوم بدر أسلوباً جديداً في مقاتلة أعداء الله تعالى، لم يكن معروفاً من قبل حتى قاتل صلى الله عليه وسلم بنظام الصفوف⁽³⁾، وهذا الأسلوب أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُيُوتٌ مَرصُوصَةٌ) [الصف: 4].

وصفة هذا الأسلوب: أن يكون المقاتلون على هيئة صفوف الصلاة، وتقل هذه الصفوف أو تكثر تبعاً لقلّة المقاتلين أو كثرتهم. وتكون الصفوف الأولى من أصحاب الرماح لصد هجمات الفرسان، وتكون الصفوف التي خلفها من أصحاب النبال، لتسديدها من المهاجمين على الأعداء، وكان من فوائد هذا الأسلوب في غزوة بدر:

1- إرهاب الأعداء ودلالة على حسن وترتيب النظام عند المسلمين.

2- جعل في يد القائد الأعلى صلى الله عليه وسلم قوة احتياطية عالج بها المواقف المفاجئة

(1) انظر: تفسير الطبري (195/9).

(2) انظر: حديث القرآن عن غزوات الرسول (91/1).

(3) انظر: القيادة العسكرية، د. محمد الرشيد ص 401.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

في صد هجوم معاكس، أو ضرب كمين غير متوقع، واستفاد منه في حماية الأجنحة من خطر المشاة والفرسان، ويعد تطبيق هذا الأسلوب لأول مرة في غزوة بدر سبقاً عسكرياً تميزت به المدرسة العسكرية الإسلامية على غيرها منذ أربعة عشر قرناً من الزمان⁽¹⁾.

ويظهر للباحث في السيرة النبوية أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يباغت خصومه ببعض الأساليب القتالية الجديدة، وخاصة تلك التي لم يعهدها العرب من قبل، على نحو ما قام به النبي صلى الله عليه وسلم في يوم بدر، وأخذ وغيرهما.

ومن جهة النظرة العسكرية، فإن هذه الأساليب تدعو إلى الإعجاب بشخصية النبي صلى الله عليه وسلم وبراعته العسكرية؛ لأن التعليمات العسكرية التي كان يصدرها خلال تطبيقه لها، تطابق تماماً الأصول الحديثة في استخدام الأسلحة⁽²⁾.

وتفصيل ذلك فقد اتبع صلى الله عليه وسلم أسلوب الدفاع ولم يهاجم قوة قريش، وكانت توجيهاته التكتيكية التي نفذها جنوده بكل دقة سبباً في زعزعة مركز العدو، وإضعاف نفسيته، وبذلك تحقق النصر الحاسم بتوفيق الله على العدو برغم تفوقه⁽³⁾، بنسبة 3 إلى 1، فقد كان صلى الله عليه وسلم يتصرف في كل موقف حسب ما تدعو إليه المصلحة؛ وذلك لاختلاف مقتضيات الأحوال والظروف، وقد طبق الرسول صلى الله عليه وسلم في الجانب العسكري أسلوب القيادة التوجيهية في مكانها الصحيح. أما أخذه بالأسلوب الإقناعي في غزوة بدر فقد تجلّى في ممارسة فقه الاستشارة في مواضع متعددة؛ لأنه صلى الله عليه وسلم لا يقود جنده بمقتضى السلطة، بل بالكفاءة والثقة، وهو صلى الله عليه وسلم أيضاً لا يستبد برأيه، بل يتبع مبدأ الشورى وينزل على الرأي الذي يبدو صواباً، ومارس صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر أسلوب القيادة التوجيهية، فقد تجلّى في أمور، منها:

(1) انظر: الرسول القائد، خطاب، ص111، 116، 117.

(2) المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية، محمد محفوظ، ص121.

(3) انظر: مقومات النصر، د. أحمد أبو الشباب (154/2)

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

- 1- الأمر الأول:** أمره صلى الله عليه وسلم الصحابة برمي الأعداء إذا اقتربوا منهم؛ لأن الرمي يكون أقرب إلى الإصابة في هذه الحالة «إن دنا القوم منكم فانضحوهم بالنبل»⁽¹⁾.
- 2- الأمر الثاني:** نهيه صلى الله عليه وسلم عن سل السيوف إلى أن تتداخل الصفوف⁽²⁾ «ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم»⁽³⁾.
- 3- الأمر الثالث:** أمره صلى الله عليه وسلم الصحابة بالاقتصاد في الرمي⁽⁴⁾ «واستنبقوا نبلكم»⁽⁵⁾.

وعندما تقارن هذه التعليمات الحربية بالمبادئ الحديثة في الدفاع تجد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان سباقا إليها من غير عكوف على الدرس ولا التحاق بالكلية الحربية، فالنبي صلى الله عليه وسلم يرمي من وراء تعليماته التي استعرضناها آنفا إلى تحقيق ما يعرف حديثا بكبت النيران إلى اللحظة التي يصبح فيها العدو في المدى المؤثر لهذه الأسلحة، وهذا ما قصده صلى الله عليه وسلم في قوله: «واستبقوا نبلكم»⁽⁶⁾.

أ- فرصة الاستفادة من الظروف الطبيعية أثناء قتال الأعداء:

ولم يهمل صلى الله عليه وسلم فرصة الاستفادة من الظروف الطبيعية أثناء قتال العدو، فقد كان يستفيد من كل الظروف في ميدان المعركة لمصلحة جيشه، ومن الأمثلة على ذلك ما فعله صلى الله عليه وسلم قبل بدء القتال يوم بدر، يقول المقرئزي: وأصبح صلى الله عليه وسلم ببدر قبل أن تنزل قريش، فطلعت الشمس وهو يصفهم فاستقبل المغرب وجعل الشمس خلفه فاستقبلوا

(1) صحيح السيرة النبوية برواية أخرى ونفس المعنى، ص239.

(2) انظر: غزوة بدر الكبرى، ص63، 64، لأبي فارس.

(3) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص239.

(4) انظر: غزوة بدر الكبرى، لأبي فارس، ص63، 64.

(5,6) البخاري، كتاب المغازي، باب من شهد بدرًا، رقم 3984، 3985.

وهذا التصرف يدل على حسن تدبيره صلى الله عليه وسلم؛ واستفادته حتى من الظروف الطبيعية لما يحقق المصلحة لجيشه، وإنما فعل ذلك لأن الشمس إذا كانت في وجه المقاتل تسبب له عشا⁽²⁾ البصر فتقل مقاومته ومجابهته لعدوه⁽³⁾. وفيما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر إشارة إلى أن الظروف الطبيعية كالشمس والرياح والتضاريس الجغرافية وغيرها لها تأثير عظيم على موازين القوى في المعارك، وهي من الأسباب التي طلب الله منا الأخذ بها لتحقيق النصر والصعود إلى المعالي⁽⁴⁾.

ب- سواد بن غزيرة في الصفوف:

كان صلى الله عليه وسلم في بدر يعدل الصفوف ويقوم بتسويتها لكي تكون مستقيمة مترابطة، وببده سهم لا ريش له يعدل به الصف، فرأى رجلاً اسمه سواد بن غزيرة، وقد خرج من الصف فطعنه صلى الله عليه وسلم في بطنه، وقال له: «استو يا سواد» فقال: يا رسول الله أوجعتني، وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقطني، فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه وقال: «استقد» فاعتنقه فقبل بطنه، فقال: «ما حملك على هذا يا سواد» قال: يا رسول الله حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك، فدعا له رسول الله بخير⁽⁵⁾.

ويستفاد من قصة سواد رضي الله عنه أمور، منها:

- 1- حرص الإسلام على النظام.
- 2- العدل المطلق: فقد أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم القود من نفسه.
- 3- حب الجندي لقائده.

(1) انظر: القيادة العسكرية، ص453.

(2) سوء البصر بالليل والنهار يكون في النار والدواب والإبل والطيور.

(3) انظر: تحفة الأحوذى بشرح مجامع الترمذي (175/7)

(4) انظر: القيادة العسكرية، ص454.

(5) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص236.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

4- تذكر الموت والشهادة.

- 5- جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم مبارك، ومسه فيه بركة، ولهذا حرص عليها سواد.
- 6- بطن الرجل ليس بعورة بدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم كشف عنه ولو كان عورة لما كشف عنه⁽¹⁾.

ج- تحريض النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه على القتال:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يربي أصحابه على أن يكونوا أصحاب إرادات قوية راسخة ثابتة ثبات الشَّم الرواسي، فيملأ قلوبهم شجاعة وجرأة وأملاً في النصر على الأعداء، وكان يسلك في سبيل تكوين هذه الإرادة القوية أسلوب الترغيب والترهيب، الترغيب في أجر المجاهدين الثابتين، والترهيب من التولي يوم الزحف، والفرار من ساحات الوغى، كما كان يحدثهم عن عوامل النصر وأسبابه ليأخذوا بها ويلتزموها، ويحذرهم من أسباب الهزيمة ليقنعوا عنها، وينأوا بأنفسهم عن الاقتراب منها⁽²⁾.

وكان صلى الله عليه وسلم يحث أصحابه على القتال ويحرضهم عليه امتثالاً لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ) [الأنفال: 65].

وفي غزوة بدر الكبرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض». فقال عمير بن الحمام الأنصاري رضي الله عنه: يا رسول الله جنة عرضها السماوات والأرض؟ قال: «نعم». قال: بخ بخ (كلمة تعجب). فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما يملكك على قول: بخ بخ؟». قال: لا والله يا رسول الله، إلا رجاء أن أكون من أهلها قال: «فإنك من أهلها».

(1) انظر: غزوة بدر، لأبي فارس، ص52.

(2) انظر: المدرسة النبوية لأبي فارس، ص140.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

فأخرج تمرات من قرنه (جعبة النشاب) فجعل يأكل منه، ثم قال: لنن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، قال: فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قُتل⁽¹⁾.

وفي رواية قال: قال أنس: فرمى ما كان معه من التمر، وقاتل وهو يقول:

ركضاً إلى الله بغير زاد إلا التقى وعمل المعاد

والصبر في الله على الجهاد وكل زاد عرضة للنفاد

غير التقى والبر والرشاد

فقاتل رحمه الله حتى استشهد⁽²⁾. ومن صور التعبنة المعنوية أنه صلى الله عليه وسلم كان يبشرهم بقتل صناديد المشركين، وزيادة لهم في التطمين كان يحدد مكان قتلى كل واحد منهم،⁽³⁾ كما كان يبشر المؤمنين بالنصر قبل بدء القتال فيقول: «أبشر أبا بكر». ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للصحابة رضوان الله عليهم: «والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة»⁽⁴⁾.

وقد أثرت هذه التعبنة المعنوية في نفوس أصحابه رضوان الله عليهم والذين جاءوا من بعدهم بإحسان⁽⁵⁾.

وكان صلى الله عليه وسلم يطلب من المسلمين أن لا يتقدم أحد إلى شيء حتى يكون دونه، فعن أنس رضي الله عنه قال: (... فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر، وجاء المشركون، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يقدم أحد منكم

(1) انظر: مختصر صحيح مسلم للمنذري (70/2) رقم (1157).

(2) انظر: صفة الصفوة (488/1)، زاد المعاد (182/3).

(3) انظر: جامع الأصول (202/8).

(4) انظر: سيرة ابن هشام (239/1).

(5) المدرسة العسكرية لأبي فارس، ص 143.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

إلى شيء حتى أكون دونه»⁽¹⁾ فدنا المشركون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض»⁽²⁾.

د- دعاؤه صلى الله عليه وسلم واستغاثته:

قال تعالى: (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُّمَدِّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِّفِينَ)

لما نظم صلى الله عليه وسلم صفوف جيشه، وأصدر أوامره لهم وحرصهم على القتال، رجع إلى العريش الذي بُني له ومعه صاحبه أبو بكر رضي الله عنه، وسعد بن معاذ على باب العريش لحراسته وهو شاهر سيفه، واتجه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ربه يدعو ويناشده النصر الذي وعده ويقول في دعائه: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تُعبد في الأرض أبداً»، وما زال صلى الله عليه وسلم يدعو ويستغيث حتى سقط رداؤه، فأخذه أبو بكر ورده على منكبيه وهو يقول: يا رسول الله كفاك مناشدتك ربك فإنه منجز لك ما وعدك⁽³⁾، فأنزل الله عز وجل: (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ) وفي رواية ابن عباس قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر: «اللهم أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد» فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك الله، فخرج صلى الله عليه وسلم وهو يقول: (سَيَهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ)⁽⁴⁾.

وروى ابن إسحاق: أنه صلى الله عليه وسلم قال: «اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادّك وتكذب رسolk، اللهم فنصرk الذي وعدتني»⁽⁵⁾. وهذا درس رباني مهم لكل قائد أو حاكم أو زعيم أو فرد في التجرد من النفس وحظها، والخلوص واللجوء لله وحده، والسجود والجلوس بين يدي الله سبحانه؛ لكي ينزل نصره. ويبقى مشهد نبه، وقد سقط رداؤه عن كتفه وهو

(1) انظر: مسلم (1510/3) رقم (1901).

(2) انظر: المنذري، مختصر صحيح مسلم، (70/2) رقم (1157).

(3) انظر: مسلم، كتاب الجهاد، باب الإمداد بالملائكة ببدر (384/3).

(4) البخاري، كتاب المغازي، باب قصة بدر (6/5) رقم (3953).

(5) انظر: البداية والنهاية (267/3).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

مادّ يديه يستغيث بالله، يبقى هذا المشهد محفوراً بقلبه ووجدانه، يحاول تنفيذه في مثل هذه الساعات، وفي مثل هذه المواطن، حيث تناط به المسؤولية وتلقى عليه أعباء القيادة⁽¹⁾.

هـ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى:

بعد أن دعا **صلى الله عليه وسلم** ربه في العريش، واستغاث به خرج من العريش فأخذ قبضة من التراب، وحصبَ بها وجوه المشركين وقال: «شاهت الوجوه» ثم أمر **صلى الله عليه وسلم** أصحابه أن يصدقوا الحملة إثرها ففعلوا، فأوصل الله تعالى تلك الحصباء إلى أعين المشركين فلم يبقَ أحد منهم إلا ناله منها ما شغله عن حاله⁽²⁾؛ ولهذا قال الله تعالى: (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) [الأنفال: 17]، ومعنى الآية: أن الله سبحانه أثبت لرسوله ابتداء الرمي، ونفى عنه الإيصال الذي لم يحصل برميته، فالرمي يراد به الحذف والإيصال فأتيت لنبيه الحذف، ونفى عنه الإيصال⁽³⁾. ونلاحظ أن الرسول **صلى الله عليه وسلم** أخذ بالأسباب المادية والمعنوية وتوكل على الله، فكان النصر والتأييد من الله تعالى، فقد اجتمع في بدر الأخذ بالأسباب بالقدر الممكن مع التوفيق الرباني في تهيئة جميع أسباب النصر متعاونة متكافئة مع التأييدات الربانية الخارقة والغيبية، ففي عالم الأسباب تشكل دراسة الأرض والطقس ووجود القيادة والثقة بها والروح المعنوية لبنات أساسية في صحة القرار العسكري، ولقد كانت الأرض لصالح المسلمين، وكان الطقس مناسباً للمعركة، والقيادة الرفيعة موجودة والثقة بها كبيرة، والروح المعنوية مرتفعة، وبعض هذه المعاني كان من الله بشكل مباشر وتوفيقه، وبعضها كان من فعل رسول الله **صلى الله عليه وسلم** أخذًا بالأسباب المطلوبة، فتضافر الأخذ بالأسباب مع توفيق الله وزيد على ذلك التأييدات الغيبية والخارقة فكان ما كان، وذلك نموذج على ما يعطاه المسلمون بفضل الله إذا ما صلحت النيات عند الجند والقادة، ووجدت الاستقامة على أمر الله، وأخذ المسلمون بالأسباب⁽⁴⁾.

(1) انظر: التربية القيادية (36/3).

(2) انظر: المستفاد من قصص القرآن (125/2).

(3) انظر: زاد المعاد (183/3).

(4) انظر: الأساس في السنة وفقهها السيرة النبوية (474/1).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة
info@libya-web.net - libya-web.net

المبحث الثالث

نشوب القتال وهزيمة المشركين

اندلع القتال بين المسلمين والمشركين بالمبارزات الفردية، فخرج من جيش المشركين عتبة بن ربيعة وأخوه شيبه بن ربيعة وابنه الوليد وطلبوا المبارزة، فخرج إليهم ثلاثة من الأنصار، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم أرجعهم؛ لأنه أحب أن يبارزهم بعض أهله وذوي قرباه، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: «قم يا عبدة بن الحارث، وقم يا حمزة، وقم يا علي» وبارز حمزة شيبه فقتله، وبارز علي الوليد وقتله، وبارز عبدة بن الحارث عتبة فضرب كل واحد منهما الآخر بضربة موجعة، فكر حمزة وعلي على عتبة فقتلاه، وحملا عبدة وأتيا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن ما لبث أن استشهد متأثرا من جراحته وقد قال عنه صلى الله عليه وسلم: «أشهد أنك شهيد»⁽¹⁾ وفي هؤلاء الستة نزل قوله تعالى: (هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ نِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُّصَّبُ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ □ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ □ وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ □ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ □ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ □ وَهَدُّوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهَدُّوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ) [الحج: 19-24].

ولما شاهد المشركون قتل الثلاثة الذين خرجوا للمبارزة استشاطوا غضباً وهجموا على المسلمين هجوماً عاماً، صمد وثبت له المسلمون، وهم واقفون موقف الدفاع، ويرمونهم بالنبل كما أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم، وكان شعار المسلمين: أحد أحد، ثم أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالهجوم المضاد محرضاً لهم على القتال وقائلاً لهم: «شدوا» وواعداً من يقتل صابراً محتسباً بأن له الجنة، ومما زاد في نشاط المسلمين واندفاعهم في القتال سماعهم قول النبي

(1) انظر: المستفاد من قصص القرآن (126/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

صلى الله عليه وسلم: (سَيَهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبَرَ) وعلمهم وإحساسهم بإمداد الملائكة وبتقليلهم في أعين المسلمين وتقليل المسلمين بأعين المشركين⁽¹⁾. فقد كان صلى الله عليه وسلم قد رأى في منامه ليلة اليوم الذي التقى فيه الجيشان، رأى المشركين عددهم قليل، وقد قص رؤياه على أصحابه فاستبشروا خيراً قال تعالى: (إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشَلْتُمْ وَتَنَّازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ).

المعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم رآهم -أي رأى المشركين- في منامه قليلاً، فقص ذلك على أصحابه فكان ذلك سبباً لثباتهم، قال مجاهد: ولو رآهم في منامه كثيراً لفشلوا وجنبوا عن قتالهم، ولتنازعوا في الأمر: هل يلاقونهم أم لا، والمضارع في الآية بمعنى الماضي؛ لأن نزول الآية كان بعد الإراءة في المنام (وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ) أي عصمهم من الفشل والتنازع فقللهم في عين رسول الله صلى الله عليه وسلم⁽²⁾، فقص رؤياه على أصحابه فكان في ذلك تثبيت لهم وتشجيعهم وجراتهم على عدوهم. وعند لقاء جيش المسلمين مع جيش المشركين، رأى كل منهم عدد الآخر قليلاً، قال تعالى: (وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَقُّتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) وإنما قللهم في أعين المسلمين تصديقاً لرؤيا النبي صلى الله عليه وسلم، وليعابنوا ما أخبرهم به فيزدادوا يقيناً ويجدوا في قتالهم ويثبتوا، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: قلت لرجل إلى جنبي: أتراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة، فأسرنا رجلاً منهم فقلنا له: كم كنتم؟ قال: ألفاً. وقوله تعالى: (وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ) حتى قال قائل من المشركين: إنما هم أكلة جزور.. ووجه الحكمة واللفظ بالمسلمين في هذا التقليل، هو أن إراءة المسلمين عدد الكافرين قليلاً ثبتهم ونشطهم وجراًهم على قتال المشركين، ونزع الخوف من قلوب المسلمين من أعدائهم. ووجه الحكمة في تقليل المسلمين في أعين المشركين هو أنهم إذا رأوهم قليلاً أقدموا على قتالهم غير خائفين ولا مبالين بهم، ولا آخذين الحذر منهم، فلا يقاتلون بجد

(1) انظر: الرحيق المختوم، ص116: 118.

(2) انظر: المستفاد من قصص القرآن (125/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

واستعداد ويقظة وتحرز، ثم إذا ما التحموا بالقتال فعلا تفجؤهم الكثرة فيبهتون ويهابون، وتكسر شوكتهم حين يرون ما لم يكن في حسابهم وتقديرهم، فيكون ذلك من أسباب خذلانهم وانتصار المسلمين عليهم⁽¹⁾.

أولاً: إمداد الله للمسلمين بالملائكة:

ثبت من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ومرويات عدد من الصحابة البدرين؛ أن الله تعالى ألقى في قلوب الذين كفروا الرعب، قال تعالى: (إِذْ يُوجِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَتَىٰ مَعَكُمْ فَتَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَالَتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) [الأنفال: 12]. وقال تعالى: (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ □ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمدِّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ □ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ □ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ).

وأورد البخاري ومسلم وأحمد بن حنبل وغيرهم عددًا من الأحاديث الصحيحة التي تشير إلى مشاركة الملائكة في معركة بدر، وقيامهم بضرب المشركين وقتلهم⁽²⁾.

فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: (بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في إثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم.⁽³⁾ فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقياً فنظر إليه فإذا هو خُطِمَ أنفه⁽⁴⁾، وشُقَّ وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله فقال: «صدقت، ذلك مدد من السماء الثالثة»⁽⁵⁾).

(1) انظر: تفسير الزمخشري (225/2)، تفسير ابن كثير (315/2).

(2) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (291/1).

(3) حيزوم: اسم الفرس الذي يركبه الملك. (2) خطم: الخطم: الأثر على الأنف

(5) مسلم - الجهاد، باب الإمداد بالملائكة رقم (1763).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما أيضا قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر: **«هذا جبريل أخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب»**(1). ومن حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: (فجاء رجل من الأنصار قصير بالعباس بن عبد المطلب أسيراً، فقال العباس: يا رسول الله إن هذا والله ما أسرنى، لقد أسرنى رجل أجلع)(2) من أحسن الناس وجهًا على فرس أبلق(3) ما أراه في القوم، فقال الأنصاري: أنا أسرته يا رسول الله، فقال **«اسكت فقد أيدك الله بملك كريم»**(4). ومن حديث أبي داود المازني قال: (إني لأتبع رجلاً من المشركين لأضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي فعرفت أنه قتله غيري)(5).

إن إمداد الله تعالى للمؤمنين بالملائكة أمر قطعي ثابت لا شك فيه، وأن الحكمة من هذا الإمداد تحصيل ما يكون سبباً لانتصار المسلمين، وهذا ما حصل بنزول الملائكة، فقد قاموا بكل ما يمكن أن يكون سبباً لنصر المسلمين: من بشارتهم بالنصر، ومن تثبيتهم بما ألقوه في قلوبهم من بواعث الأمل في نصرهم، والنشاط في قتالهم، وبما أظهروه لهم من أنهم معانئون من الله تعالى، وأيضاً بما قام به بعضهم من الاشتراك الفعلي في القتال، ولا شك أن هذا الاشتراك الفعلي في القتال قوى قلوبهم وثبتهم في القتال، وهذا ما دلت عليه الآيات وصرحت به الأحاديث النبوية(6).

وقد يسأل سائل: ما الحكمة في إمداد المسلمين بالملائكة مع أن واحداً من الملائكة كجبريل عليه السلام قادر بتوفيق الله على إبادة الكفار؟

وقد أجاب الأستاذ عبد الكريم زيدان على ذلك فقال: لقد مضت سنة الله بتدافع الحق وأهله مع الباطل وأهله، وأن الغلبة تكون وفقاً لسنن الله في الغلبة والانتصار، وأن هذا التدافع يقع في الأصل بين أهل الجانبيين: الحق والباطل، ومن ثمرات التمسك بالحق والقيام بمتطلباته أن يحصلوا

(1) البخاري - المغازي، باب فضل من شهد بدرًا، رقم (3995).

(2) الأجلح: الذي انحسر شعره على جانبي رأسه. (6) الأبلق: ارتفع التحجيل إلى فخذيه.

(4) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 247. (8) نفس المصدر، ص 247.

(6) انظر: المستفاد من قصص القرآن (131/2، 132).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

على عون وتأيد من الله تعالى، بأشكال وأنواع متعددة من التأيد والعون، ولكن تبقى المدافعة والتدافع يجريان وفقاً لسنن الله فيهما، وفي نتيجة هذا التدافع فالحجة الأقوى بكل معاني القول اللازمة للغلبة هي التي تغلب، فالإمداد بالملائكة هو بعض ثمرات إيمان تلك العصابة المجاهدة، ذلك الإمداد الذي تحقق به ما يستلزم الغلبة على العدو، ولكن بقيت الغلبة موقوفة على ما قدمه أولئك المؤمنون في قتال ومباشرة لأعمال القتال، وتعرضهم للقتل، وصمودهم وثباتهم في الحرب، واستدامة توكلهم على الله، واعتمادهم عليه، وثقتهم به، وهذه معان جعلها الله حسب سننه في الحياة أسباباً للغلبة والنصر، مع الأسباب الأخرى المادية، مثل العدة والعدد والاستعداد للحرب وتعلم فنونه... إلخ. ولهذا فإن الإسلام يدعو المسلمين إلى أن يباشروا بأنفسهم إزهاق الباطل وقتال المبطلين، وأن يهينوا الأسباب المادية والإيمانية للغلبة والانتصار، وبأيديهم إن شاء الله تعالى ينال المبطلون ما يستحقونه من العقاب⁽¹⁾، قال تعالى: **(قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصَرِّكُمُ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ □ وَيَذْهَبُ غِيظُ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)** [التوبة: 14، 15].

إن نزول الملائكة عليهم السلام من السماوات العلى إلى الأرض لنصر المؤمنين حدث عظيم. إنه قوة عظمى، وثبات راسخ للمؤمنين حينما يوقتون بأنهم ليسوا وحدهم في الميدان، وأنهم إذا حققوا أسباب النصر واجتنبوا موانعه، فإنهم أهل لمدد السماء، وهذا الشعور يعطيهم جرأة في مقابلة الأعداء، وإن كان ذلك على سبيل المغامرة، لبعد التكافؤ المادي بين جيش الكفار الكبير عدداً القوي إعداداً وجيش المؤمنين القليل عدداً الضعيف إعداداً. وهو في نفس الوقت عامل قوي في تحطيم معنوية الكفار وزعزعة يقينهم، وذلك حينما يشيع في صفوفهم احتمال تكرار نزول الملائكة الذين شاهدتهم بعضهم عياناً، إنهم مهما قدروا قوة المسلمين وعددهم فإنه سيبقى في وجدانهم رعب مزلزل من احتمال مشاركة قوى غير منظورة لا

(1) انظر: المستفاد من قصص القرآن (131/2، 132)

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

يعلمون عددها ولا يقدرّون مدى قوتها، وقد رافق هذا الشعور المؤمنين في كل حروبهم التي خاضها الصحابة رضي الله عنهم في العهد النبوي، وفي عهد الخلفاء الراشدين، كما رافق بعض المؤمنين بعد ذلك فكان عاملاً قوياً في انتصاراتهم المتكررة الحاسمة مع أعدائهم⁽¹⁾.

ثانياً: انتصار المسلمين على المشركين وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل القلب:

انتهت معركة بدر بانتصار المسلمين على المشركين، وكان قتلى المشركين سبعين رجلاً، وأسر منهم سبعون، وكان أكثرهم من قادة قريش وزعمائهم، واستشهد من المسلمين أربعة عشر رجلاً، منهم ستة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار، ولما تم الفتح وانهزم المشركون أرسل **صلى الله عليه وسلم** عبد الله بن رواحة وزيد بن حارثة ليبشرا المسلمين في المدينة بنصر الله للمسلمين وهزيمة المشركين⁽²⁾. ومكث **صلى الله عليه وسلم** في بدر ثلاثة أيام، فعن أنس رضي الله عنه قال: (إنه **صلى الله عليه وسلم** كان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال...) (3) ولعل الحكمة في ذلك:

1- تصفية الموقف بالقضاء على أية حركة من المقاومة اليائسة التي يحتمل أن يقوم بها فلول المنهزمين الفارين هرباً إلى الجبال.

2- دفن من استشهد من جند الله مما لا تكاد تخلو منه معركة، فقد دفن شهداء المسلمين في أرض المعركة، ولم يرد ما يشير إلى الصلاة عليهم، ولم يدفن أحد منهم خارج بدر⁽⁴⁾.

3- جمع الغنائم وحفظها، وإسناد أمرها إلى من يقوم بهذا الحفظ حتى تؤدي كاملة إلى مستحقيها، وقد أسندت أنفال وغنائم بدر إلى ابن الحارث عبد الله بن كعب الأنصاري، أحد بني مازن⁽⁵⁾.

(1) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (145/4).

(2) انظر: المستفاد من قصص القرآن (133/2) (2) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص250.

(4) انظر: موسوعة نضرة النعيم (291/1) (4) انظر: محمد رسول الله، صادق عرجون (453/3)

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

4- إعطاء الجيش الظافر فرصة يستروح فيها، بعد الجهد النفسي والبدني المضني الذي بذله أفراد في ميدان المعركة، ويضمد فيها جراح مجروحيه، ويذكر نعم الله عليه فيما أفاء الله عليه من النصر المؤزر الذي لم يكن داني القطوف، سهل المنال، ويتذاكر أفراد وجماعاته ما كان من أحداث ومفاجآت في الموقعة، مما كان له أثر فعال في استجلاب النصر، وما كان من فلان في شجاعته وفدائيته وجراته على اقتحام المضائق وتفريج الأزمات، وما تكشف عنه المعركة من دروس عملية في الكر والفر، والتدبير المحكم الذي أخذ به العدو، وما في ذلك من عبر، واستنكار أوامر القيادة العليا وموقفها في رسم الخطط، ومشاركتها الفعلية في تنفيذها، ليكون من كل ذلك ضياء يمشون في نوره في وقائعهم المستقبلية، ويجعلون منه دعائم لحياتهم في الجهاد الصبور المظفر بالنصر المبين.

5- موازنة جيف قتلى الأعداء الذين انفرجت المعركة عن قتلهم، والتعرف عليهم وعلى مكانتهم في حشودهم، وعلى من بقي منهم مصروعاً بجراحه لم يدركه الموت، للإجهاز على من ترى قيادة جيش الإسلام المصلحة في القضاء عليه اتقاء شره في المستقبل، كالذي كان من أمر الفاسق أبي جهل فرعون هذه الأمة، والذي كان في شأن رأس الكفر أمية بن خلف وأضرابهما، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإلقاء هؤلاء الأخابث في ركيٍّ⁽¹⁾ من قلب⁽²⁾ بدر خبيث مُحْبَث، ثم وقف على شفة الركي⁽³⁾، وقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم وقف على القتلى فقال: «بنس عشيرة النبي كنتم لنبيكم، كذبتُموني وصدقني الناس، وخذلتُموني ونصرني الناس، وأخرجتُموني وآواني الناس»⁽⁴⁾.

ثم أمر بهم، فسحبوا إلى قليب من قلب بدر فطرحوا فيه، ثم وقف عليهم فقال: «يا عتبة بن ربيعة، يا شيبه بن ربيعة، يا فلان، يا فلان، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً فإني وجدت ما

(1) ركي: حافة البئر.

(6) قلب: أبيار ومفرده بئر.

(3) انظر: محمد رسول الله، صادق عرجون (454/3).

(4) زاد المعاد (187/3).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

وعندي ربي حقاً» فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله! ما تخاطب من أقوام قد جيفوا؟ فقال:
«والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون الجواب» (1). قال قتادة:
 أحياءهم الله حتى أسمعهم قوله، توبيخاً، وتصغيراً، ونقمة، وحسرة، وندماً (2).

إن مناداة الرسول صلى الله عليه وسلم لقتلى قريش بينت أمراً عظيماً، وهو أنهم بدأوا حياة جديدة، هي حياة البرزخ الخاصة، وهم فيها يسمعون كلام الأحياء، غير أنهم لا يجيبون ولا يتكلمون، والإيمان بهذه الحياة من عقائد المسلمين، ونعيم القبر وعذابه ثابتان في صحيح الأحاديث، حتى إنه صلى الله عليه وسلم مر بقبرين وقال: **«إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير» (3)**، وذكر أن سبب تعذيبهما النـم بين الناس، وعدم الاستنزاه من البول (4). ولا بد من التسليم بهذه الحقائق الغيبية، بعد أن تحدث عنها الصادق المصدوق، وقطع بها القرآن الكريم في تعذيب آل فرعون، قال تعالى: **(النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) [غافر: 46]**. وأما الشهداء فقد قال الله تعالى فيهم: **(وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) [آل عمران: 169]**.

(1) أخرجه البخاري (234/7) في المغازي، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم على كفار قريش.

(2) الأساس في السنة - السيرة النبوية (479/1).

(3) رواه البخاري رقم 218.

(4) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، د. محمد فوزي فضل الله، ص 64.
 هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

المبحث الرابع

مشاهد وأحداث من المعركة

أولاً: مصارع الطغاة:

أ- مصرع أبي جهل بن هشام المخزومي:

قال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: بينما أنا واقف في الصف يوم بدر، فنظرت عن يميني وشمالي، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثا أسنانهما، تمنيت لو كنت بين أضلع منهما⁽¹⁾، فغمزني⁽²⁾ أحدهما فقال: يا عم هل تعرف أبا جهل؟ قال: قلت: نعم، وما حاجتك إليه يا ابن أخي؟ قال: أخبرت أنه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، قال: فتعجبت لذلك، فغمزني الآخر فقال لي مثلها.

قال: فلم أنشب⁽³⁾ أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذي تسألان عنه، قال: فابتدراه بسيفيهما حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه، فقال: «أيكما قتله؟» فقال كل واحد منهما: أنا قتلتها، فقال: «هل مسحتما سيفيكما؟» قالوا: لا. فنظر في السيفين فقال: «كلاهما قتله»، وقضى بسكبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح، وكانا معاذ بن عفراء ومعاذ بن عمرو بن الجموح⁽⁴⁾. وفي حديث أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر: «من ينظر ما صنع أبو جهل؟» فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضرباه (ابنا عفراء حتى برد⁽⁵⁾) فأخذ بلحيته فقال: أنت أبو جهل، قال: وهل فوق رجل قتله قومه أو قال: قتلتموه⁽⁶⁾، وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: أدركت أبا جهل يوم بدر

(1) أضلع: أقوى وأعظم وأشد.

(2) غمزني: قرصني.

(3) أنشب: ألبث.

(4) البخاري، كتاب المغازي، باب من شهد بدرًا، رقم (3988).

(5) برد: قارب على الموت وكان في النزاع الأخير.

(6) البخاري، كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل رقم (3963).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

صريعاً، فقلت: أي عدو الله قد أخزأك الله؟ قال: وبما أخزاني؟ من رجل قتلتموه، ومعى سيف لي، فجعلت أضربه ولا يحتك فيه شيء، ومعى سيف له جيد، فضربت يده فوق السيف من يده فأخذته، ثم كشفت المغفر عن رأسه، فضربت عنقه، ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال: «الله الذي لا إله إلا هو؟» قلت: الله الذي لا إله إلا هو. قال: فانطلق فاستثبت فانطلقت وأنا أسعى مثل الطائر، ثم جئت وأنا أسعى مثل الطائر أضحك فأخبرته. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «انطلق» فانطلقت معه فأريته، فلما وقف عليه صلى الله عليه وسلم قال: «هذا فرعون هذه الأمة» (1).

كان الدافع من حرص الأنصاريين الشباب على قتل أبي جهل ما سمعاه من أنه كان يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهكذا تبلغ محبة شباب الأنصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم بذل النفس في سبيل الانتقام ممن تعرض له بالأذى.

وما جرى بين عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وأبي جهل وهو في الرmq الأخير من الحوار فيه عبرة بليغة، فهذا الطاغية الذي كان شديد الأذى للمسلمين في مكة قد وقع صريعاً بين أيدي من كان يؤذيهم. ويشاء الله تعالى أن يكون الذي يقضي على آخر رmq من حياته هو أحد المستضعفين، ولقد كان أبو جهل مستكبراً جباراً حتى وهو صريع وفي آخر لحظات حياته (2). فقد جاء في رواية لابن إسحاق أنه قال لعبد الله بن مسعود لما أراد أن يحتز رأسه: لقد ارتقيت مرتقى صعباً يا روعي الغنم (3).

فالله تعالى لم يجعل لهذا الخبيث أبي جهل بضربات الأبطال من أشبال الأنصار، ولكنه أبقاه مصروعاً في حالة من الإدراك والوعي بعد أن أصابته ضربات أشفت به على الهلاك الأبدي، ليريه بعين بصره ما بلغه من المهانة والذل والخذلان على يد من كان يستضعفه ويؤذيه،

(1) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص242.

(2) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (158/4-160).

(3) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (247/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

ويضطهده بمكة من رجال الرعيل الأول -السابقين إلى مظلة الإيمان وظهر العقيدة، والتعبد لله بشرانعه، التي أنزلها رحمة للعالمين- عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فيعلو على صدره، ويدوسه بقدميه، ويقبض على لحيته تحقيراً له، ويقرّعه تقرّيعاً يبلغ من نفسه مجمع غروره واستكباره في الأرض، ويستل منه سيفه إمعاناً في البطش به فيقتله به، ويمعن في إغاظته بإخباره أن النصر عقد بناصية جند الله وكتيبة الإسلام، وأن شنار الهزيمة النكراء وعارها، وخزيها وخذلانها قد رزنت به كتائب الغرور الأجوف في حشود النفير الذي قاده هذا الكفور الخبيث... (1).

ب- مصرع أمية بن خلف:

قال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: كاتبت أمية بن خلف كتاباً بأن يحفظني في صاغيتي (2) بمكة وأحفظه في صاغيته بالمدينة، فلما ذكرت (الرحمن) قال: لا أعرف الرحمن، كاتبني باسمك الذي كان في الجاهلية، فكاتبته (عبد عمرو).

فلما كان في يوم بدر خرجت إلى جبل لأحرزه (3) حين نام الناس، فأبصره بلال، فخرج حتى وقف على مجلس من الأنصار، فقال: أمية بن خلف لا نجوت إن نجا أمية، فخرج معه فريق من الأنصار في آثارنا، فلما خشيت أن يلحقونا خلفت لهم ابنه لأشغلهم، فقتلوه ثم أبوا حتى يتبعونا، وكان رجلاً ثقيلاً، فلما أدركونا قلت له: ابرك، فبرك، فألقيت عليه نفسي لأمنعه، فتجللوه (4) بالسيوف من تحتي حتى قتلوه، وأصاب أحدهم رجلي بسيفه، وكان عبد الرحمن بن عوف يرينا ذلك الأثر في ظهر قدمه (5).

وفي رواية أخرى لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: كان أمية بن خلف لي صديقاً

(1) انظر: محمد رسول الله، صادق عرجون (431/3، 432).

(2) الصاغية: صاغية الرجل ما يميل إليه، ويطلق على الأهل والمال.

(3) أحرزه: أحمله. (2) تجلّوه: طعنوه وأصابوه.

(5) البخاري، كتاب الوكالة، باب إذا وكل المسلم حربياً رقم (2301).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

بمكة، وكان اسمي عبد عمرو فتسميت حين أسلمت عبد الرحمن، ونحن بمكة، فكان يلقاني إذ نحن بمكة فيقول: يا عبد عمرو أرغبت عن اسم سماك أبوك؟ قال: فأقول نعم. قال: فإني لا أعرف الرحمن، فاجعل بيني وبينك شيئاً أدعوك به، أما أنت فلا تجبني باسمك الأول، وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف. قال: وكان إذا دعاني يا عبد عمرو لم أجبه، قال: فقلت: يا أبا علي اجعل ما شئت، قال: فأنت عبد الإله، قال: قلت: نعم. قال: فكنت إذا مررت به قال: يا عبد الإله فأجبتة فأحدثت معه، حتى إذا كان يوم بدر، مررت به وهو واقف مع ابنه علي، وهو آخذ بيده قال: ومعني أذراع لي قد استلبتها، فأنا أحملها، فلما رأيته قال: يا عبد عمرو فلم أجبه، فقال: يا عبد الإله، فقلت: نعم، قال: هل لك في فأنا خير لك من هذه الأذراع التي معك؟ قال: قلت: نعم، ها الله؟ قال: فطرح الأذراع من يدي، وأخذت بيده وبيد ابنه وهو يقول: ما رأيت كاليوم قط، أما لكم حاجة في اللبن؟ ثم خرجت أمشي بهما، قال ابن هشام: يريد باللبن أن من أسرني افتديت منه بابل كثيرة اللبن⁽¹⁾.

ونلاحظ من الروايات السابقة:

1- ما جرى من بلال رضي الله عنه حينما رأى عدوه اللدود أمية بن خلف الذي كان يسومه أقسى وأعنف أنواع العذاب في مكة، فلما رآه في يد عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أسيراً صرخ بأعلى صوته: لا نجوت إن نجا.

إنه موقف من مواقف التشفي في أعداء الله، والتشفي من كبار الكفرة الفجار وفي الحياة الدنيا نعمة يفرج الله بها عن المكروبين من المؤمنين الذين ذاقوا الذل والهوان على أيدي أولئك الفجرة الطغاة، قال تعالى: (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصَرِّكُمُ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ □ وَيَذْهَبُ غِيظُ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) [التوبة: 14، 15].

2- إن فيما جرى لأمية بن خلف من قتل مفزع درساً بليغاً للطغاة المتجبرين، وعبرة للمعتبرين، الذين يغترون بقوتهم وينخدعون بجاههم ومكانتهم، فيعتدون على الضعفاء،

(1) انظر: سيرة ابن هشام (243/2) سننه صحيح وقد صرح ابن إسحاق بالقولين.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

ويسلبونهم حقوقهم، فمآلهم إلى عاقبة سيئة ووخيمة في الآخرة، وقد يمكن الله للضعفاء منهم في الدنيا قبل الآخرة كما حدث لأمية بن خلف وأضرابه من طغاة الكفر⁽¹⁾، قال تعالى: (وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) [القصص: 5].

3- وفي قول عبد الرحمن بن عوف: «يرحم الله بلالا ذهب أدراعي وفجعتني بأسيري»⁽²⁾ مع ما جرى من بلال من معارضة وانتزاع الأسيرين من يده بقوة الأنصار الذين استنجد بهم دليل على قوة الرباط الأخوي بين الصحابة الكرام⁽³⁾.

4- موقف لأم صفوان بنت أمية: قيل لأم صفوان بنت أمية بعد إسلامها، وقد نظرت إلى الحباب بن المنذر بمكة: هذا الذي قطع رجل علي بن أمية يوم بدر، قالت: دعونا من ذكر من قتل على الشرك، قد أهان الله علياً بضربه الحباب بن المنذر، وأكرم الله الحباب بضربه علياً، قد كان على الإسلام حين خرج من هاهنا، فقتل على غير ذلك⁽⁴⁾، وهذا الموقف يدل على قوة إيمانها، ورسوخ يقينها حيث اتضحت لها عقيدة الولاء والبراء، فأصبحت تحب المسلمين وإن كانوا من غير قبيلتها، وتكره الكافرين وإن كانوا من أبنائها⁽⁵⁾.

وقولها على ابنها علي: «قد كان على الإسلام حين خرج من ههنا فقتل على غير ذلك» تعني أنه كان ممن عرف عنهم الإسلام بمكة وخرجوا مع قومهم يوم بدر مكرهين، فلما التقى الصفان فتنوا حينما رأوا قلة المسلمين فقالوا: قد غر هؤلاء دينهم⁽⁶⁾، فنزل فيهم قول الله تعالى: (إِنْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [الأنفال: 49].

ج- مصرع عبدة بن سعيد بن العاص على يد الزبير:

(1) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (152/4، 153).

(2) انظر: سيرة ابن هشام (244/2).

(3) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (153/4).

(4، 5) نفس المصدر (154/4).

(7) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (154/4).

(6) انظر: تفسير الطبري (21/10).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

قال الزبير بن العوام رضي الله عنه: لقيت يوم بدر عبدة بن سعيد بن العاص وهو مدجج⁽¹⁾ لا يرى منه إلا عيناه، وهو يكنى أبا ذات الكرش، فقال: أنا أبو ذات الكرش، فحملت عليه بالعنزة فطعنته في عينه فمات، قال هشام، فأخبرت أن الزبير قال: (لقد وضعت رجلي عليه ثم تمطأت فكان الجهد أن نزعته، وقد انتنى طرفاها).

قال عروة: فسأله إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها، ثم طلبها أبو بكر فأعطاه، فلما قبض أبو بكر سأله إياها عمر فأعطاه إياها، فلما قتل عثمان وقعت عند آل علي، فطلبها عبد الله بن الزبير، فكانت عنده حتى قتل⁽²⁾.

(هذا الخبر يصور لنا دقة الزبير بن العوام رضي الله عنه في إصابة الهدف، حيث استطاع أن يضع الحربة في عين ذلك الرجل مع ضيق ذلك المكان، وكونه قد وزع طاقته بين الهجوم والدفاع، فلقد كانت إصابة ذلك الرجل بعيدة جداً لكونه قد حمى جسمه بالحديد الواقى، لكن الزبير استطاع إصابة إحدى عينيه، فكانت بها نهايته، ولقد كانت الإصابة شديدة العمق مما يدل على قوة الزبير الجسدية، إضافة إلى دقته ومهارته في إصابة الهدف)⁽³⁾.

د- مصرع الأسود المخزومي:

قال ابن إسحاق: وقد خرج الأسود المخزومي، وكان رجلاً شرساً سيئ الخلق فقال: أعاهد الله لأشربن من حوضهم، أو لأهدمنه، أو لأموتن دونه، فلما خرج، خرج إليه حمزة بن عبد المطلب، فلما التقيا ضربه حمزة فأطن⁽⁴⁾ قدمه بنصف ساقه، وهو دون الحوض، فوقع على ظهره تشخب⁽⁵⁾ رجله دماً نحو أصحابه، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه، يريد أن يبر يمينه، وأتبعه

(2) انظر: صحيح البخاري، المغازي رقم (3998). (2) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (163/4).

(4) أطن: أطار. (4) تشخب: تسيل بصوت.

حمزة فضربه حتى قتله في الحوض⁽¹⁾.

وقد سأل أمية بن خلف عبد الرحمن بن عوف عن الرجل المعلم بريشة نعامة في صدره؟ فأجابه عبد الرحمن: ذاك حمزة بن عبد المطلب، قال أمية: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل⁽²⁾: وهذه شهادة من أحد زعماء الكفر، وهذا يعني أنه رضي الله عنه قد أثنى في جيش الأعداء قتلاً وتشريداً⁽³⁾.

وكان هذا أول من قتل من المشركين بيد أسد الله تعالى حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، فقد جاء هذا اللئيم الشرس يتحدى المسلمين، فتصدى له بطل الإسلام حمزة، ففضى عليه ولقن أمثاله من الحاقدين المتكبرين درساً في الصميم⁽⁴⁾.

ثانياً: من مشاهد العظمة:

أ- استشهاد حارثة بن سراقة: عن أنس رضي الله عنه قال: أصيب حارثة يوم بدر وهو غلام فجاءت أمه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، قد عرفت منزلة حارثة مني، فإن يكن في الجنة أصبر وأحتسب، وإن تكن الأخرى ترى ما أصنع؟ فقال: «ويحك أوهبت أوجنة واحدة هي؟ إنها جنان كثيرة، وإنه في جنة الفردوس»⁽⁵⁾ وفي رواية: «يا أم حارثة، إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى»⁽⁶⁾.

ب- استشهاد عوف بن الحارث: قال ابن إسحاق: حدثني عاصم بن عمرو بن قتادة أن عوف بن مالك وهو ابن عفراء⁽⁷⁾ قال: يا رسول الله ما يضحك الرب من عبده؟ قال: «غمسة يده في العدو حاسراً»⁽⁸⁾ فنزع درعاً كانت عليه فقتلها، ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل⁽⁹⁾.

(1) انظر: سيرة ابن هشام (237/2)

(6) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (151/4).

(3) المصدر نفسه (152/4).

(8) المصدر السابق (121/4).

(5) البخاري في المغازي، باب فضل من شهد بدرًا رقم (3982).

(6) الأساس في السنة وفقها السيرة النبوية (475/1).

(7) عفراء بنت عبيد بن ثعلبة شارك أولادها السبعة في غزوة بدر.

(8) حاسراً: غير لابس الدرع. (5) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 245.

وهذا الخبر يدل على قوة ارتباط الصحابة الكرام بالآخرة، وحرصهم على رضوان الله تعالى؛ ولذلك انطلق عوف بن الحارث رضي الله عنه كالسهم وهو حاسر غير متدرع يثخن في الأعداء حتى أكرمه الله بالشهادة، لقد تغيرت مفاهيم المجتمع الجديد، وتعلق أفرادها بالآخرة، وأصبحوا حريصين على مرضاته بعد أن كان جل همهم أن يتحدث عنهم النساء عن بطولاتهم، ويرضى سيد القبيلة عنهم، وتنشد الأشعار في شجاعتهم⁽¹⁾.

ج- استشهاد سعد بن خيثمة ثم أبيه رضي الله عنهما: قال الحافظ ابن حجر: قال موسى بن عقبة، عن ابن شهاب: استهم يوم بدر سعد بن خيثمة وأبوه فخرج سهم سعد فقال له أبوه: يا بني آثرني اليوم، فقال سعد: يا أبت لو كان غير الجنة فعلت، فخرج سعد إلى بدر فقتل بها، وقتل أبوه خيثمة يوم أحد⁽²⁾.

وهذا الخبر يعطي صورة مشرقة عن بيوتات الصحابة في تنافسهم وتسابقهم على الجهاد في سبيل الله تعالى، فهذا سعد بن خيثمة ووالده لا يستطيعان الخروج معاً لاحتياج أسرتهما وعملهما لبقاء أحدهما، فلم يتنازل أحدهما عن الخروج رغبة في نيل الشهادة حتى اضطروا إلى الاقتراع بينهما، فكان الخروج من نصيب سعد -رضي الله عنهما-، وكان الابن في غاية الأدب مع والده، ولكنه كان مشتاقاً إلى الجنة فأجاب بهذا الجواب البليغ: (يا أبت لو كان غير الجنة فعلت)⁽³⁾.

د- دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لأبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة: عن عائشة رضي الله عنها -في حديثها عن طرح قتلى قريش في القليب بعد معركة بدر- قالت: (فلما أمر بهم فسحبوا عرف في وجه أبي حذيفة بن عتبة الكراهية، وأبوه يسحب إلى القليب، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أبا حذيفة لكانه ساءك ما كان في أبيك؟» فقال والله يا رسول الله ما شككت في الله وفي رسوله، ولكن إن كان حليماً سديداً ذا رأي، فكنت أرجو أن لا يموت حتى يهديه الله

(1) انظر: التربية القيادية (31/2).

(7) الإصابة (23/2، 24) رقم (3118).

(3) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (87/4).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

عز وجل إلى الإسلام، فلما رأيت أن قد فات ذلك ووقع حيث وقع أجزني ذلك، قال: «فدعا له رسول الله بخير»⁽¹⁾.

هـ - عمير بن أبي وقاص: لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر وعرض عليه جيش بدر رد عمير بن أبي وقاص فبكى عمير فأجازه، فعقد عليه حمائل سيفه، ولقد كان عمير يتواري حتى لا يراه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سعد: رأيت أخي عمير بن أبي وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر يتواري فقلت: ما لك يا أخي؟ قال: إني أخاف أن يراني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستصغرنى ويردني، وأنا أحب الخروج لعل الله أن يرزقني الشهادة⁽²⁾، وقد استشهد بالفعل.

* * *

(1) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 251، 252.

(2) انظر: السيرة النبوية لأبي فارس، ص 317، نقلاً عن صفة الصفوة، (1/294)، والمستدرک (3/188) والإصابة (3/35).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

المبحث الخامس

الخلاف في الأنفال والأسرى

أولاً: الخلاف في الأنفال:

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فشهدت معه بدرًا، فالتقى الناس فهزم الله تبارك وتعالى العدو، فانطلقت طائفة في آثارهم يهزمون ويقتلون، فأكبت طائفة على العسكر يحوونه ويجمعونه، وأحدقت طائفة برسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصيب العدو منه غرة، حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم إلى بعض، قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها وجمعناها فليس لأحد فيها نصيب، وقال الذين خرجوا في طلب العدو: لستم بأحق بها منا، نحن نفينا عنها العدو وهزمناها، وقال الذين أحدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم: وخفنا أن يصيب العدو منه غرة واشتغلنا به فنزلت: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) [الأنفال: 1]. فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على فواق بين المسلمين⁽¹⁾.

وفي رواية: قال عبادة بن الصامت عن الأنفال حين سئل عن الأنفال: فينا معشر أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل، وساءت فيه أخلاقنا، فنزعه الله تبارك وتعالى من أيدينا فجعله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه رسول الله فينا عن بَواء، يقول: على السواء⁽²⁾.

لقد خلد الله سبحانه وتعالى ذكرى غزوة بدر في سورة الأنفال، وجاءت مفصلة عن أحداثها وأسبابها ونتائجها، وتعرضت الآيات الكريمة لعلاج النفس البشرية وتربيتها على معاني الإيمان العميق والتكوين الدقيق، فبدأت السورة بتبيان حكم أثر من آثار القتال وهو الغنائم، فبينت أن هذه الغنائم لله وللرسول، فالله هو مالك كل شيء، ورسوله هو خليفته، ثم أمر الله المؤمنين ثلاثة

(1) مسند الإمام أحمد (324/5)، تفسير ابن كثير (283/2).

(2) مسند الإمام أحمد (322/5).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

أوامر: بالتقوى، وإصلاح ذات البين، والطاعة لله والرسول صلى الله عليه وسلم، وهي أوامر مهمة جداً في موضوع الجهاد، فالجهاد إذا لم ينشأ عن تقوى فليس جهاداً، والجهاد يحتاج إلى وحدة صف، ومن ثم فلا بد من إصلاح ذات البين، والانضباط هو الأساس في الجهاد، إذ لا جهاد بلا انضباط، ثم بين الله عز وجل أن الطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم علامة الإيمان.

ثم حدد الله عز وجل صفات المؤمنين الحقيقيين، وهذا الوصف والتحديد مهمان في موضوع الجهاد الإسلامي؛ لأن الإيمان الحقيقي هو الذي يقوم به الجهاد الإسلامي، لقد حدد الله عز وجل صفات المؤمنين: بأنهم إذا ذكر الله فزعت قلوبهم وخافت وفرقت. وإذا قرئ عليهم القرآن ازداد إيمانهم ونما.

والصفة الثالثة: هي التوكل على الله، فلا يرجون سواه، ولا يقصدون إلا إياه، ولا يلوذون إلا بجنابه، ولا يطلبون الحوائج إلا منه، ولا يرغبون إلا إليه، ويعلمون أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه المتصرف في الخلق وحده لا شريك له، ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب.

والصفة الرابعة: إقامة الصلاة والمحافظة على مواقيتها ووضوئها وركوعها وسجودها، ومن ذلك إسباغ الطهور فيها، وتمام ركوعها وسجودها، وتلاوة القرآن فيها، والتشهد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

والصفة الخامسة: الإتفاق مما رزقهم الله، وذلك يشمل إخراج الزكاة وسائر الحقوق للعباد من واجب ومستحق، والخلق كلهم عباد الله، فأحبهم إليه أنفعهم لخلقه، ثم بين الله -عز وجل- أن المتصفين بهذه الصفات هم المؤمنون حق الإيمان، وأن لهم عند الله منازل ومقامات ودرجات في الجنات، وأن الله يغفر لهم السيئات، ويشكر الحسنات، وبهذا تنتهي مقدمة السورة بعد أن رفعت الهمم لكل لوازم الجهاد، ونفت كل عوامل الخذلان، من اختلاف على غنائم، أو خلاف بسبب شيء، داعية إلى الطاعة، والارتفاع إلى منازل الإيمان الكامل⁽¹⁾، قال تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ

(1) انظر: الأساس في التفسير (2113/4، 2114).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ □ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ □ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ □ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ([الأنفال: 1-4].

يقول الأستاذ محمد الأمين المصري: لم تذكر الآيات شيئاً من أعمال المؤمنين في بدر، ولكن ذكرت عتاباً أليماً موجعاً يحمل المؤمنين على الرجوع إلى أنفسهم والاستحياء من ربهم، وهناك نقاط أرسلت الآيات النقاط عليها وبينت نواحي الضعف فيها بياناً جلياً قوياً، بتصوير ما في النفوس وصفاً دقيقاً رائعاً تشاهد العين فيه الحركات والخلجات، وكل ذلك من شأنه أن ينبه ضمير المؤمن ليلمس المسافة بينه وبين درجات الإيمان التي يهفو قلبه للوصول إليها. ولقد كانت الآيات من تربية الحكيم العليم، ويشعر الذوق السليم هاهنا روعة الأسلوب في عرض العتاب بغير عتاب، ولكنه تصوير ما في النفوس تصويراً يوقن معه العادي من الناس، أنه ما كان لمؤمن صحيح الإيمان أن يتصف بها؛ ولذلك اقترنت الآيات بتقديم خصائص الإيمان العالية وميزاته الرفيعة التي تصور الفجوة البعيدة بين المؤمن وبين أي إسفاف: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ □ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ □ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) [الأنفال: 4-2]. ما ذكرت الآيات عتاباً، ولكنها ذكرت واقعاً وكان ذكر الواقع أبلغ من كل عتاب.

لقد استجاب الصحابة الكرام لهذا التوجيه الرباني ونزلت الآيات تبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يتصرف في الأنفال.

بعد أن أصحبت الغنائم لله ورسوله بين المولى عز وجل كيف توزع هذه الغنائم، قال تعالى: (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ

وهذا بعد ما طهرت قلوبهم من الأخلاط، وأخلصت إلى علام الغيوب في الطاعة، وتمثلت الآيات، فتحققت بمعنى العبودية الخالصة لله، وهذا الحكم صريح في أن أربعة أخماس ما غنموه مقسوم بينهم، والخمس لله ورسوله، وهذا الخمس نفسه مردود فيهم أيضاً، وموزع على الجهات المذكورة كما ثبت بالسنة.

إن التوجيه التربوي، في إرجاء إنزال جواب السؤال عن الغنائم، يشير إلى أن الأحكام الشرعية ينبغي أن يهيأ لها الجو النفسي الروحي المناسب، لتحتل مكانها اللائق في العقل والضمير، فتثبت وتتمكن، وتؤتي أطيب النتائج، إذ يتجلى فيها أكمل الحلول، وهكذا صرف المولى -جل شأنه- عبادة المسلمين عن التعلق بالغير، أولاً، وبالغنائم ثانياً، ليكونوا له من المخلصين الجديرين بنصره، وإتمام نعمته، فلما تفرغوا للخالق وأخلصوا في الجهاد، أكرمهم بالنصر من لدنه، وأسبغ عليهم من فضله بأكثر مما كانوا يودون⁽¹⁾، فعن عبد الله بن عمرو قال: (خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر في ثلاثمائة وخمسة عشر رجلاً من أصحابه فلما انتهى إليها قال: «اللهم إنهم جياع فأشبعهم، اللهم إنهم حفاة فاحملهم، اللهم إنهم عراة فاكسهم» ففتح الله له يوم بدر، فانقلبوا حين انقلبوا وما منهم رجل إلا وقد رجع بحمل أو حملين، واكتسوا وشبعوا⁽²⁾).

ومن عدل النبي صلى الله عليه وسلم في تقسيم الغنائم إعطاؤه من هذه الغنيمة من تخلف بأمر رسول الله لمهام أوكلها إليهم، فضرب لهم بسهمهم من الغنيمة وبأجرهم فكانوا كمن حضرها⁽³⁾. فكان صلى الله عليه وسلم يراعي ظروف الجنود التي تمنعهم من المشاركة في القتال، لأن الله تعالى لم يكلف عباده شيئاً فوق طاقتهم، قال تعالى: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا

(1) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص 61، 62.

(2) سنن أبي داود (525/5) حسنه الألباني، صحيح أبي داود (2747).

(3) انظر: معين السيرة، ص 214.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكلف المسلمين فوق طاقتهم سواء كان ذلك في السلم أو الحرب، وفي غزوة بدر أعفى النبي صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة؛ لأن ظروفهم الأسرية تتطلب منهم القيام عليها ورعايتها، فقد أعفى عثمان بن عفان رضي الله عنه من الخروج يوم بدر؛ لأن زوجته رقية كانت مريضة وبحاجة إلى من يرعى شؤونها، روى البخاري في صحيحه أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أخبر عن سبب تغيب عثمان رضي الله عنه في غزوة بدر فقال رضي الله عنه: (... وأما تغيبه عن بدر، فإنه كانت تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت مريضة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن لك أجر رجل ممن شهد بدرًا وسهمه...»⁽¹⁾.

وأمر صلى الله عليه وسلم أبا أمامة بالبقاء عند أمه حيث كانت مريضة وهي بحاجة إليه، فعن أبي أمامة بن ثعلبة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرهم بالخروج إلى بدر وأجمع الخروج معه، فقال له خاله أبو بردة بن نيار: أقم على أمك، يا ابن أختي. فقال له أبو أمامة: بل أنت فاقم على أختك، فذكرنا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فأمر أبا أمامة بالمقام على أمه وخرج بأبي بردة، فقدم النبي صلى الله عليه وسلم وقد توفيت فصولي عليها⁽²⁾. إن هذه الأخلاق الرفيعة ومراعاة شعور الجنود وأحوالهم العائلية تولد قوة ترابط بين القيادة والجنود، وتدخل تحت مفهوم فقه التمكين، وقد مارسه الرسول صلى الله عليه وسلم في أعلى صورته.

ومن الصحابة الذين كانت لهم مهمات خاصة أو أصيبوا أثناء الطريق فردهم الرسول صلى الله عليه وسلم:

1- أبو لبابة: استخلفه على المدينة.

2- عاصم بن عدي: أرسله صلى الله عليه وسلم في مهمة لأهل العالية في

(1) البخاري، كتاب الفضائل، باب مناقب عثمان (245/4) رقم (3699).

(2) انظر: الطبراني في الكبير ورجاله ثقات، انظر: مجمع الزوائد (31/3).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

3- الحارث بن حاطب: أرسله **صلى الله عليه وسلم** في مهمة إلى بني عمرو بن عوف.

4- الحارث بن الصمة: وقع أثناء الطريق فكسر فرْد.

5- خَوَات بن جبير: أصابه في الطريق حجر في ساقه فرده من الصفراء⁽¹⁾.

وكذلك أعطى لورثة الشهداء وذويهم نصيبهم من الغنائم؛ وبذلك كان للإسلام السبق في تكريم الشهداء ورعاية أبنائهم وأسْرهم من قرابة أربعة عشر قرناً⁽²⁾.

ثانيًا: الأسرى:

قال ابن عباس رضي الله عنه: (... فلما أسروا الأسارى قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم** لأبي بكر وعمر: «ما ترون في هؤلاء الأسارى؟» فقال أبو بكر: يا نبي الله هم بنو العم والعشيرة: أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم إلى الإسلام، فقال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: «ما ترى يا ابن الخطاب؟» قال: لا والله يا رسول الله، ما أرى الذي يراه أبو بكر، ولكن أرى أن تمكننا منهم، فنضرب أعناقهم، فتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه، وتمكنني من فلان (نسيباً لعمر) فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدهم، فهوي رسول الله **صلى الله عليه وسلم** ما قال أبو بكر، ولم يهوَ ما قلتُ، فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله **صلى الله عليه وسلم** وأبو بكر قاعدين يبكيان، قلت يا رسول الله: أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما، فقال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: «أبكي للذي عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء، ولقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة» -شجرة قريبة من نبي الله **صلى الله عليه وسلم**- وأنزل الله عز

(1) انظر: معين السيرة، ص215.

(1) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبه (176/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وجل: (مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثَخِّنَ فِي الْأَرْضِ) إلى قوله: (فَكُلُّوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا) [الأنفال: 67-69] فأحل الله لهم الغنيمة⁽¹⁾. وفي رواية: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما تقولون في هؤلاء الأسرى؟» فقال أبو بكر: يا رسول الله قومك وأهلك، استبقهم واستأن بهم لعل الله أن يتوب عليهم، وقال عمر: يا رسول الله أخرجوك وكذبوك، قرَّبهم فاضرب أعناقهم، وقال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله انظر وادياً كثير الحطب، فأدخلهم فيه ثم اضرم عليهم ناراً، فقال العباس: قطعت رحمك، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يرد عليهم شيئاً، فقال ناس: يأخذ بقول أبي بكر، وقال ناس: يأخذ بقول عمر، وقال ناس: يأخذ بقول عبد الله بن رواحة، فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إن الله ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللبن، وإن الله ليشد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة، وإن مثلك يا أبا بكر، كمثِّل إبراهيم عليه السلام قال: (فَمَنْ تَبَعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) ومثلك يا أبا بكر كمثِّل عيسى قال: (إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدَاكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [المائدة: 118]، وإن مثلك يا عمر كمثِّل نوح إذ قال: (رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا) [نوح: 26]. وإن مثلك يا عمر كمثِّل موسى قال: (رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) [يونس: 88]. ثم قال صلى الله عليه وسلم: «أنتم عالة، فلا ينفلتن منهم أحد إلا بفداء أو ضرب عنق».

قال عبد الله بن مسعود: فقلت: يا رسول الله، إلا سهيل بن بيضاء فإنه يذكر الإسلام قال: فسكت، فما رأيتني في يوم أخوف أن تقع علي حجارة من السماء في ذلك اليوم، حتى قال: إلا سهيل بن بيضاء فأنزل الله (مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثَخِّنَ فِي الْأَرْضِ) إلى آخر الآية⁽²⁾.

(1) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالمالكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم (1763/3).

(2) مسند الإمام أحمد (373/1)، تفسير ابن كثير (325/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

وهذه الآية تضع قاعدة هامة في بناء الدولة حينما تكون في مرحلة التكوين والإعداد، وكيف ينبغي ألا تظهر بمظهر اللين، حتى تُرهب من قبل أعدائها، وفي سبيل هذه الكلية يطرح الاهتمام بالجزئيات حتى ولو كانت الحاجة ملحة إليها⁽¹⁾.

وكان سعد بن معاذ رضي الله عنه لما شرع الصحابة في أسر المشركين كره ذلك ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الكراهية في وجه سعد لما يصنع الناس، فقال له رسول الله: «والله لكأنك يا سعد تكره ما يصنع القوم» قال: أجل والله يا رسول الله، كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك، فكان الإثخان بالقتل أحب إليّ من استبقاء الرجل⁽²⁾.

كانت معاملة النبي صلى الله عليه وسلم للأسرى تحفها الرحمة، والعدل، والحزم، والأهداف الدعوية؛ ولذلك تعددت أساليبه، وتنوعت طرق تعامله عليه الصلاة والسلام، فهناك من قتله، وبعضهم قبل فيهم الفداء، والبعض الآخر منّ عليهم، وآخرون اشترط عليهم تعليم عشرة من أبناء المسلمين مقابل المن عليهم.

أ- حفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم لجوار المطعم بن عدي: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في أسارى بدر: «لو كان مطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء النتنى لأطلقتهم له»⁽³⁾.

وهذا الحديث تعبير عن الوفاء والاعتراف بالجميل، فقد كان للمطعم مواقف تذكر بخير، فهو الذي دخل الرسول صلى الله عليه وسلم في جواره حينما عاد من الطائف، كما كان من أشد القائمين على نقض الصحيفة يوم حُصر المسلمون وبنو هاشم⁽⁴⁾.

وهذا يدل على قمة الوفاء لمواقف الرجال، ولو كانوا مشركين⁽⁵⁾.

(1) انظر: معين السير، ص209. (3) انظر: التربية الجهادية للغضبان (141/1).

(3) أبو داود في الجهاد، باب المن على الأسير، رقم 2689 وإسناده صحيح. (4) انظر: معين السيرة، ص208. (6) انظر: التربية القيادية (54/3).

ب- مقتل عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث: وإذا كان هذا الوفاء لرجل مثل المطعم بن عدي، فلا بد من الحزم مع مجرمي الحرب ورؤوس الفتنة من أمثال عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث، فقد كان من أكبر دعاة الحرب ضد الإسلام، والمتربصين بالمسلمين الدوائر، فبقاؤهما يعد مصدر خطر كبير على الإسلام، ولا سيما في تلك الظروف الحاسمة التي تمر بها الدعوة الإسلامية، فلو أطلق سراحهما لما تورعا على سلوك أي طريق فيه كيد للإسلام وأهله، فقتلهما في هذا الظرف ضرورة تقتضيها المصلحة العامة لدعوة الإسلام الفتية⁽¹⁾؛ ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلها عندما وصل إلى الصفراء⁽²⁾، أثناء رجوعه للمدينة، فلما سمع عقبة بن معيط بأمر قتله قال: يا ويلي، علام أقتل يا معشر قريش من بين من هاهنا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لعداوتك لله ولرسوله» قال: يا محمد منك أفضل، فاجعني كرجل من قومي، إن قتلتهم قتلتي، وإن مننت عليهم مننت علي، وإن أخذت منهم الفداء كنت كأحدهم، يا محمد من للصبية؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «النار، قدمه يا عاصم فاضرب عنقه»⁽³⁾ فقدمه عاصم فضرب عنقه⁽⁴⁾.

وأما النضر بن الحارث، فقد كان من شياطين قريش، وممن يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وينصب له العداوة، وكان قد قدم الحيرة، وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس، وأحاديث رستم وإسفنديار، فكان إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلساً فذكر فيه بالله، وحذر قومه ما أصاب قبلهم من الأمم من نقمة الله، خلفه في مجلسه إذا قام، ثم قال: أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثاً منه، فهلم إليّ فأنا أحدثكم أحسن من حديثه، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم وإسفنديار، ثم يقول: بماذا محمد أحسن حديثاً مني؟⁽⁵⁾.

(1) انظر: غزوة بدر الكبرى، محمد أحمد باشميل، ص162.

(2) الصفراء: واد كثير النخل والزرع والخير.

(3) انظر: مجمع الزوائد (89/6) قال فيه: رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات.

(4) انظر: التربية القيادية (60/3). (5) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (439/1، 440).

إن هذا الرجل المتعالي على الله والمتألي عليه، والذي يزعم أنه سينزل أحسن ما أنزل الله، والذي يزعم أنه أحسن حديثاً من محمد لا بد لمثل من يمثل هذا التيار وقد أصبح بين يدي رسول رب العالمين، لا بد أن يُثار لله ولرسوله منه، ومن أجل هذا لم يدخله رسول الله صلى الله عليه وسلم ضمن نطاق الاستشارة⁽¹⁾، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله، فقتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه⁽²⁾.

وبمقتل هذين المجرمين تعلم المسلمون أن بعض الطغاة العتاة المعادين لا مجال للتساهل معهم، فهم زعماء الشر وقادة الضلال، فلا هوادة معهم؛ لأنهم تجاوزوا حد العفو والصفح⁽³⁾ بأعمالهم الشنيعة، فقد كان هذان الرجلان من شر عباد الله وأكثرهم كفراً وعناداً وبغياً وحسداً وهجاء للإسلام وأهله⁽⁴⁾.

جـ الوصية بإكرام الأسرى جانب من المنهج النبوي الكريم: ولما رجع صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فرّق الأسرى بين أصحابه، وقال لهم: «استوصوا بهم خيراً»⁽⁵⁾ وبهذه التوصية النبوية الكريمة ظهر تحقيق قول الله تعالى: (وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) [الإنسان: 8]. فهذا أبو عزيز بن عمير أخو مصعب بن عمير يحدثنا عما رأى قال: كنت في الأسرى يوم بدر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «استوصوا بالأسارى خيراً»، وكنت في نفر من الأنصار، فكانوا إذا قدموا غداهم وعشاءهم أكلوا التمر، وأطعموني البرّ لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم⁽⁶⁾.

وهذا أبو العاص بن الربيع يحدثنا قال: كنت في رهط من الأنصار جزاهم الله خيراً، كنا إذا تعشنا أو تغدينا آثروني بالخبز وأكلوا التمر، والخبز معهم قليل، والتمر زادهم، حتى إن الرجل

(1) انظر: التربية القيادية (57/3).

(7) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (255/2).

(3) انظر: التربية القيادية (60/3).

(4) انظر: البداية والنهاية (306/3).

(8) نفس المصدر (307/3)

(6) مجمع الزوائد (86/6) وقال: رواه الطبراني في الصغير والكبير وإسناده حسن.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

لتقع في يده كسرة فيدفعها إليّ، وكان الوليد بن الوليد بن المغيرة يقول مثل ذلك ويزيد، وكانوا يحملوننا ويمشون⁽¹⁾.

كان هذا الخلق الرحيم الذي وضع أساسه القرآن الكريم في ثنائه على المؤمنين، وذكر به النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه فاتخذوه خلقاً، وكان لهم طبيعة، قد أثر في إسراع مجموعة من أشراف الأسرى وأفاضلهم إلى الإسلام، فأسلم أبو عزيز عقيب بدر، بُعيد وصول الأسرى إلى المدينة، وتنفيذ وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأسلم معه السائب بن عبيد⁽²⁾ بعد أن فدى نفسه، فقد سرت دعوة الإسلام إلى قلوبهم، وظهرت نفوسهم، وعاد الأسرى إلى بلادهم وأهلهم يتحدثون عن محمد صلى الله عليه وسلم ومكارم أخلاقه، وعن محبته وسماحته، وعن دعوته وما فيها من البر والتقوى والإصلاح والخير⁽³⁾. إن هذه المعاملة الكريمة للأسرى شاهد على سمو الإسلام في المجال الأخلاقي، حيث نال أعداء الإسلام في معاملة الصحابة أعلى درجات مكارم الأخلاق، التي تتمثل في خلق الإيثار⁽⁴⁾.

د- فداء العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم: بعثت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداء أسراهم، ففدى كل قوم أسيرهم بما رضوا، وقال العباس: يا رسول الله قد كنت مسلماً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الله أعلم بإسلامك، فإن يكن كما تقول فإن الله يجزيك، وأما ظاهرك قد كان علينا، فافتد نفسك وابني أخيك نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب، وحليفك عتبة بن عمرو أخي بني الحارث بن فهر» قال: ما ذاك عندي يا رسول الله، قال: «فأين المال الذي دفنته أنت وأم الفضل؟ فقلت لها: إن أصبت في سفري هذا، فهذا المال الذي دفنته لبني الفضل وعبد الله وقتم» قال: والله يا رسول الله إني لأعلم أنك رسول الله، إن هذا الشيء ما علمه أحد غيري وغير أم الفضل، فاحسب لي يا رسول الله ما

(1) انظر: المغازي للواقدي (119/1).

(2، 6) انظر: محمد رسول الله، عرجون (474/3).

(4) انظر: التاريخ الإسلامي (175/4، 176).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

أصبتم مني عشرين أوقية من مال كان معي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ذاك شيء أعطانا الله تعالى منك» ففدى نفسه وابني أخويه وحليفه، فأنزل الله عز وجل فيه: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ □ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) [الأنفال: 70، 71]. قال العباس: فأعطاني الله مكان العشرين أوقية في الإسلام عشرين عبدًا كلهم في يده مال يضرب به مع ما أرجو من مغفرة الله عز وجل⁽¹⁾.

هذا والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فهذه الآية الكريمة، وإن كانت نزلت في العباس، إلا أنها عامة في جميع الأسرى⁽²⁾.

استأذن بعض الأنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: انذن لنا فلنترك لابن أختنا العباس فداءه، قال: «والله لا تذكرون منه درهماً»⁽³⁾ أي لا تتركوا للعباس من الفداء شيئاً، ويظهر أدب الأنصار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في قولهم لرسول الله: ابن أختنا⁽⁴⁾، لتكون المنة عليهم في إطلاقه بخلاف لو قالوا: (عمك) لكانت المنة عليه صلى الله عليه وسلم، وهذا من قوة الذكاء وحسن الأدب في الخطاب، وإنما امتنع النبي صلى الله عليه وسلم عن إجابتهم لنلا يكون في الدين نوع محاباة⁽⁵⁾.

وهنا يتعلم الأسرى والمسلمون أيضاً درساً بليغاً في عدم محاباة ذوي القربى، بل كان الأمر على خلاف ذلك، فقد أغلا رسول الله الفداء على عمه العباس⁽⁶⁾.

ورجع العباس لمكة، وقد دفع فداءه وابني أخويه، وأخفى إسلامه، وأصبح يقود جهاز استخبارات الدولة الإسلامية بمكة بمهارة فائقة، وقدرة نادرة حتى انتهى دوره في فتح مكة،

(1) انظر: البخاري في المغازي، باب 12، حديث رقم 4018.

(2) انظر: حديث القرآن الكريم، عن غزوات الرسول (132/1).

(3) فتح الباري (321/7) نقلاً عن المستفاد من قصص القرآن (135/2).

(4) لأن جدة العباس أم عبد المطلب من بني النجار من يثرب.

(5) انظر: سبل الرشاد للصالح (135/4).

(6) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبه (176/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

هو أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت الرسول صلى الله عليه وسلم: قالت عائشة رضي الله عنها: لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم، بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداء أبي العاص بن الربيع بمال، وبعثت فيه بقلادة لها كانت لخديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها، قالت: فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رَقَّ لها رقة شديدة، وقال: «إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردوا عليها الذي لها فافعلوا»، فقالوا: (نعم يا رسول الله، فأطلقوه وردوا عليها الذي لها)⁽²⁾.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ عليه، أو وعده أن يخلي سبيل زينب إليه، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار فقال: «كونا ببطن يأجج⁽³⁾ حتى تمر بكما زينب فتصحبها حتى تأتيا بها»⁽⁴⁾.

إن أبا العاص بن الربيع زوج زينب بنت الرسول صلى الله عليه وسلم لم يُعرف عنه قط موقف في مقاومة الدعوة بأي لون من ألوانها، وقد كفَّ يده ولسانه عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشغله ماله وتجارته وحياؤه من رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مواقف الشراسة القرشية في مقاومة الدعوة إلى الله، وفي بدر كان أبو العاص صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين الأسرى الذين لم يسمع لهم في المعركة صوت، ولم يعرف لهم رأي، ولا شوهدت لهم في قتال جولة، وبعد أن بدأت قريش تفدي أسراها، أرسلت السيدة زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجة أبي العاص بمال تفديه به، ومع المال قلادة كانت أمها السيدة خديجة رضي الله عنها أهدتها إليها فأدخلتها بها على زوجها للتحلي بها، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلادة ابنته رَقَّ لها رقة شديدة، إذ كانت هذه القلادة الكريمة مبعث ذكريات

(1) انظر: التربية القيادية (68/3).

(2) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 261. (2) اسم مكان على ثمانية أميال من مكة.

(4) أبو داود في الجهاد، باب في فداء الأسير بالمال رقم 2692.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ مع الدعاء بحسن الاستفادة

أبوية عنده **صلى الله عليه وسلم**، وذكريات زوجية، وذكريات أسرية، وذكريات عاطفية، فالنبي **صلى الله عليه وسلم** أب، له من عواطف الأبوة أرفع منازلها في سجل المكارم الإنسانية وأشرفها في فضائل الحياة، فتواثبت إلى خبايا نفسه الكريمة المكرمة أسمى مشاعر الرحمة، وتزاحمت على فؤاده الأطهر عواطف الحنان والحنين، فتوجه إلى أصحابه رضي الله عنه متلطفًا يطلب إليهم في رجاء الأعز الأكرم، رجاء يدفعهم إلى العطاء ولا يسلمهم حقهم في الفداء لو أنهم أرادوا الاحتفاظ بهذا الحق وهو في أيديهم يملكون التصرف فيه، فقال لهم: «**إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها الذي لها فافعلوا**».

وهذا أسلوب من أبلغ وألطف ما يسري في حنايا النفوس الكريمة، فيطوعها إلى الاستجابة الراغبة الراضية رضاء ينم عن الغبطة والبهجة⁽¹⁾.

إن هذا الموقف وما يظهر منه من مظاهر الرحمة والعطف منه **صلى الله عليه وسلم** على ابنته، يحمل في طياته مقصدًا آخر وهو أنه كان يتألف صهره للإسلام بذلك، لما عرف عنه من العقل السديد، والرأي الرشيد، فقد كان **صلى الله عليه وسلم** يثني عليه وهو على شركه بحسن المعاملة⁽²⁾.

و- أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي بين الرحمة والحزم النبوي: كان محتاجًا ذا بنات قال: يا رسول الله، لقد عرفت ما لي من مال، وإنني لذو حاجة، وذو عيال فامنن عليّ، فمن عليه رسول الله **صلى الله عليه وسلم** وأخذ عليه ألا يظهر عليه أحدًا فقال أبو عزة يمدح رسول الله **صلى الله عليه وسلم** على ذلك:

مَنْ مَبْلَغَ عَنِي الرِّسُولُ مُحَمَّدًا بِأَنْكَ حَقِّ وَالْمَلِكِ حَمِيدُ
وَأَنْتَ أَمْرُو بُوْنْتُ فِينَا مِبَاءَةٌ (3) لَهَا دَرَجَاتٌ سَهْلَةٌ وَصَعُودُ

(1) انظر: محمد رسول الله، عرجون (480/3-487).

(2) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (183/4). (2) مباءة: مكانة رفيعة.

فإنك من حاربته لمحاربٍ شقيٍّ ومن سالمته لسعيدٍ
ولكن إذا ذكرت بدرًا وأهله تأوَّب ما بي، حسرة وقيود

قال ابن كثير: ثم إن أبا عزة هذا نقض ما كان عاهد الرسول عليه، ولعب المشركون بعقله فرجع إليهم، فلما كان يوم أحد أسر أيضًا، فسأل من النبي صلى الله عليه وسلم أن يمن عليه أيضًا فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا أدعك تمسح عارضيك، وتقول: خدعت محمدًا مرتين»، ثم أمر به فضربت عنقه⁽¹⁾.

فكان النبي صلى الله عليه وسلم به رحيماً وعفا عنه، وأطلق سراحه بدون فداء لما ذكر أبو عزة فقره وما لديه من بنات يعولهن، ولكنه لم يف لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما عاهده من لزوم السلم وعدم إثارة الحرب ضده، فوقع أسيراً في معركة أحد، فكان موقف النبي صلى الله عليه وسلم منه الحزم فأمر بضرب عنقه.

ز- سهيل بن عمرو ووقعه في الأسر وماذا قالت سودة رضي الله عنها: قال عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة رضي الله عنه: (قدم بالأسارى حين قدم بهم المدينة، وسودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عند آل عفراء في مناحتهم على عوف ومعوذ ابني عفراء، وذلك قبل أن يضرب الحجاب، قالت سودة: فوالله إني لعهدهم إذ أتينا فقيلاً: هؤلاء الأسارى قد أتى بهم، فرجعت إلى بيتي ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيه، فإذا أبو يزيد سهيل بن عمرو في ناحية الحجرة ويداه مجموعتان إلى عنقه بحبل، فوالله ما ملكت حين رأيت أبا يزيد كذلك أن قلت: أبا يزيد أعطيتكم بأيديكم ألا متم كراماً.. فما انتبهت إلا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من البيت: «يا سودة أعلی الله ورسوله تحرضين؟» فقلت: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد مجموعة يداه إلى عنقه بالحبل أن قلت ما قلت)⁽²⁾.

وفد مكرز بن حفص بن الأخيف في فداء سهيل بن عمرو، فلما فاوض المسلمين وانتهى إلى

(1) انظر: البداية والنهاية (313/3).

(2) انظر: السيرة النبوية، لمحمد الصوياني (200/2) وسنده صحيح.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

رضانهم قالوا: هات الذي لنا، قال لهم مركز بن حفص: اجعلوا رجلي مكان رجله، واخلوا سبيله حتى يبعث إليكم بفدائه، فخلوا سبيل سهيل وحبسوا مركزاً عندهم، وجاء في حديث مرسل أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: دعني أنزع ثنية سهيل بن عمر، يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيباً في موطن آخر؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا أمثل به فيمثل الله بي وإن كنت نبياً»⁽¹⁾ ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنه عسى أن يقوم مقاماً لا تدمه»⁽²⁾.

قال ابن كثير: وهذا هو المقام الذي قامه سهيل بمكة حين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتدَّ العرب، ونجم النفاق بالمدينة وغيرها، فقام بمكة فخطب في الناس وثبتهم على الدين الحنيف⁽³⁾، فقد قال في ذلك: يا معشر قريش، لا تكونوا آخر الناس إسلاماً وأولهم ردة، من رابنا ضربنا عنقه⁽⁴⁾.

فقد أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزع ثنية سهيل، ورأى أن ذلك من باب التمثيل وتشويه خلقه الإنسان، وقال لعمر: «لا أمثل به فيمثل الله بي، وإن كنت نبياً» وهذا نموذج من منهج رسالته صلى الله عليه وسلم وضعه ليكون نبياً لأمته في انتصاراتها على أعدائها⁽⁵⁾.

ح- التعليم مقابل الفداء: قال ابن عباس: كان ناس من الأسارى يوم بدر ليس لهم فداء، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة⁽⁶⁾؛ وبذلك شرع الأسرى يعلمون غلمان المدينة القراءة والكتابة، وكل من يعلم عشرة من الغلمان يفدي نفسه⁽⁷⁾. وقبول النبي صلى الله عليه وسلم تعليم القراءة والكتابة بدل الفداء في ذلك الوقت الذي كانوا فيه بأشد

(1) انظر: البداية والنهاية (311/3) وقال ابن كثير: مرسل بل معضل.
(2) انظر: البداية والنهاية (311/3).

(4) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (181/4).
(5) انظر: محمد رسول الله، عرجون (474/3).
(7) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 261.

(7) انظر: التربية القيادية (74/3).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

الحاجة إلى المال يرينا سمو الإسلام في نظرته إلى العلم والمعرفة، وإزالة الأمية، وليس هذا بعجيب من دين كان أول ما نزل من كتابه الكريم: (اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ □ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ □ اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ □ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ) [العلق: 1-4]. واستفاضت فيه نصوص القرآن والسنة في الترغيب في العلم وبيان منزلة العلماء، وبهذا العمل الجليل يعتبر النبي صلى الله عليه وسلم أول من وضع حجر الأساس في إزالة الأمية وإشاعة القراءة والكتابة، وأن السبق في هذا للإسلام⁽¹⁾.

ط حكم الأسرى: إن حكم الأسرى في الإسلام مفوض إلى رأي الإمام ليختار حكماً من أربعة، وعلى الإمام أن يراعي مصلحة المسلمين العامة، والأحكام الأربعة هي:

- 1- القتل: وقد قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث.
- 2- المن: وهو إطلاق الأسير بدون مقابل، وهذا ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي عزة الجمحي.
- 3- الفداء: إطلاق سراح الأسير مقابل مبلغ من المال، وهذا ما حدث مع العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم، ونوفل بن الحارث، وعقيل بن أبي طالب وغيرهم.
- 4- الاسترقاق: وقد حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه في يهود بني قريظة أن يقتل المحاربون وتقسّم الأموال وتسبى الذراري والنساء⁽²⁾.

* * *

(4) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبه (164/2، 165).

(2) انظر: غزوة بدر الكبرى، ص 101.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

المبحث السادس

نتائج غزوة بدر ومحاولة اغتيال النبي صلى الله عليه وسلم

أولاً: نتائج غزوة بدر:

1- كان من نتائج غزوة بدر أن قويت شوكة المسلمين، وأصبحوا مرهوبين في المدينة وما جاورها، وأصبح على من يريد أن يغزو المدينة أو ينال من المسلمين أن يفكر ويفكر قبل أن يقدم على فعلته، وتعززت مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة، وارتفع نجم الإسلام فيها، ولم يعد المتشككون بالدعوة الجديدة والمشركون في المدينة يتجرؤون على إظهار كفرهم وعداوتهم للإسلام؛ لذا ظهر النفاق والمكر والخداع، فأعلن فريق منهم إسلامهم ظاهراً أمام النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه، فدخلوا في عداد المسلمين، وأبقوا على الكفر باطناً، فظلوا في عداد الكفار، فلا هم مسلمون مخلصون في إسلامهم، ولا هم كافرون ظاهرون بكفرهم وعداوتهم للمسلمين، قال تعالى: (مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ سَبِيلًا) [النساء: 143]، ومن أجل هذا الموقف المتذبذب شنع الله عليهم، وسمّع بهم في كثير من آياته، وتوعدهم بأشد أنواع العذاب، قال تعالى: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا) [النساء: 145].

ومن نتائج موقعة بدر ازدياد ثقة المسلمين بالله سبحانه وتعالى وبرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم واشتداد ساعدتهم وقوتهم، ودخول عدد كبير من مشركي قريش في الإسلام، وقد ساعد ذلك على رفع معنويات المسلمين المستضعفين الذين كانوا لا يزالون في مكة، فاغتنبت نفوسهم بنصر الله، واطمأنت قلوبهم إلى أن يوم الفرج قريب فازدادوا إيماناً على إيمانهم وثباتاً على عقيدتهم.

والى جانب ذلك، فقد كسب المسلمون مهارة عسكرية، وأساليب جديدة في الحرب، وشهرة واسعة في داخل الجزيرة العربية وخارجها، إذ أصبحوا قوة يحسب لها حسابها في بلاد العرب،

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

فلا تهدد زعامة قريش وحدها، بل زعامة جميع القبائل العربية المنتشرة في مختلف الأصقاع والأماكن، كما أصبح للدولة الجديدة مصدر للدخل من غنائم الجهاد؛ وبذلك انتعش حال المسلمين المادي والاقتصادي بما أفاء الله عليهم من غنائم بعد بؤس وفقر شديدين داما تسعة عشر شهراً (1).

2- أما قريش فكانت خسارتها فادحة فإضافة إلى مقتل أبي جهل بن هشام وأمّية بن خلف وعتبة بن ربيعة وغيرهم من زعماء الكفر الذين كانوا من أشد القرشيين شجاعة وقوة وبأساً، ولم تكن غزوة بدر خسارة حربية لقريش فحسب، بل خسارة معنوية أيضاً، ذلك أن المدينة لم تعد تهدد تجارتها فقط، بل أصبحت تهدد أيضاً سيادتها ونفوذها في الحجاز كله (2)، كان خبر الهزيمة على أهل مكة كالصاعقة، ولم يصدقوا ذلك في بداية الأمر، قال ابن إسحاق رحمه الله: (وكان أول من قدم بمكة بمصاب قريش الحيسمان بن عبد الله الخزاعي، فقالوا له: ما وراءك؟).

قال: قُتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو الحكم بن هشام، وأمّية بن خلف، وزمعة بن الأسود، ونبيه ومنبّه ابنا الحجاج، وأبو البختري بن هشام، فلما جعل يعدد أشراف قريش قال صفوان بن أمّية: والله إن يعقل هذا فسلوه عني؟ فقالوا: ما فعل صفوان بن أمّية؟ قال: هو ذاك جالس في الحجر، قد والله رأيت أباه وأخاه حين قتلا (3).

وهذا أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص علينا أثر خبر هزيمة قريش على أبي لهب -لعنه الله- حيث قال: كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت، وأسلمت أم الفضل وأسلمت، وكان العباس يهاب قومه ويكره أن يخالفهم، وكان يكتُم إسلامه، وكان ذا مال كثير متفرق في قومه، وكان أبو لهب عدو الله قد تخلف عن بدر فبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة.. فلما جاءه الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش كبته الله

(1) انظر: التاريخ السياسي والعسكري، د. علي معطي، ص 274، 275.

(2) انظر التاريخ السياسي والعسكري، ص 375، 376.

(3) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 257. (3) تليق: أي تبقى.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

قال: كنت رجلاً ضعيفاً، وكنت أعمل القداح وأنحتها في حجرة زمزم، فوالله إني لجالس فيها أنحت القداح وعندي أم الفضل (زوجة العباس بن عبد المطلب) جالسة وقد سرنا ما جاءنا من الخبر، إذ أقبل الفاسق أبو لهب يجر رجليه بشرّاً حتى جلس على طنب الحجرة، فكان ظهره إلى ظهري فبينما هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب قد قدم، فقال: أبو لهب: هلم إليّ فعندك لعمري الخبر، قال: جلس إليه والناس قيام عليه فقال: يا ابن أخي أخبرني كيف كان أمر الناس؟ قال: والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقودوننا كيف شاؤوا ويأسروننا كيف شاؤوا، وإيم الله مع ذلك ما لمت الناس، لقينا رجالاً بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض، والله ما تليق⁽¹⁾ شيئاً، ولا يقوم لها شيء.

قال أبو رافع: فرفعت طنب الحجرة بيدي ثم قلت: تلك والله الملائكة، قال: فرفع أبو لهب يده فضرب بها وجهي ضربة شديدة، قال: وثاورته فاحتملني وضرب بي الأرض ثم برك عليّ يضربني وكنت رجلاً ضعيفاً، فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحجرة فأخذته فضربت به ضربة فلعت⁽²⁾ في رأسه شجة منكرة، وقالت: استضعفته أن غاب عنه سيده، فقام مولياً ذليلاً، ثم مات بعد سبع ليالٍ بالعدسة⁽³⁾ فقتلته⁽⁴⁾. وأم الفضل بنت الحارث زوجة العباس بن عبد المطلب وأخت ميمونة أم المؤمنين وخالة خالد بن الوليد، وهي أول امرأة أسلمت بعد خديجة⁽⁵⁾ رضي الله عنهن.

لقد تركت غزوة بدر بنفوس أهل مكة المشركين كمدًا وأحزانًا وآلامًا بسبب هزيمتهم ومن فقدوا وأسروا، فهذا أبو لهب لم يلبث أن أصيب بعدة ومات، وهذا أبو سفيان فقد ابناً له وأسر له

(2) فلعت: شقت

(3) العدسة: قرحة قاتلة كالطاعون، وقد عدس الرجل: إذا أصابه ذلك.

(4) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (258/2).

(5) انظر: المرأة في العهد النبوي، د. عصمة الدين كركر، ص162.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

ابن آخر، وما من بيت من بيوت مكة إلا وفيه مناحة على قتل عزيز أو قريب، أو أسر أسير، فلا عجب أن كانوا صمموا في أنفسهم على الأخذ بالثأر، حتى إن بعضهم حرم على نفسه الاغتسال⁽¹⁾ حتى يأخذ بالثأر ممن أذلوه، وقتلوا أشرفهم وصناديدهم، وانتظروا يترقبون الفرصة للقاء المسلمين والانتصاف منهم، فكان ذلك في أحد⁽²⁾.

3- أما اليهود فقد هالهم أن ينتصر المسلمون في بدر، وأن تقوى شوكتهم فيها، وأن يعز الإسلام ويظهر على دينهم ويكون لرسوله دونهم الحظوة والمكانة، فصمموا على نقض العهد الذي عاهدوا عليه النبي صلى الله عليه وسلم عندما قدم المدينة، وأظهروا عداوتهم التي كانت كامنة في نفوسهم، وأخذوا يجاهرون بها القوم ويعلمون، ثم راحوا يكيدون للإسلام ولرسوله، ويعملون للقضاء عليه بكل الوسائل المتاحة لديهم⁽³⁾، وبدعوا يتحرشون بالنبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين، وما كان النبي صلى الله عليه وسلم ليخفى عليه شيء من ذلك فقد كان يراقبهم عن حذر ويقظة، حتى استخفوا بالمقررات الخلقية، والحرمان التي يعتز بها المسلمون واستعلنوا بالعداوة فلم يكن بد من حربهم وإجلانهم عن المدينة⁽⁴⁾.

ثانيًا: محاولة اغتيال النبي صلى الله عليه وسلم وإسلام عمير بن وهب (شيطان قريش):

قال عروة بن الزبير: جلس عمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن أمية في الحجر، بعد مصاب أهل بدر ببسير، وكان عمير بن وهب شيطانًا من شياطين قريش، وممن كان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ويلقون منه عناء⁽⁵⁾ وهو بمكة، وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر، فذكر أصحاب القليب ومصابهم، فقال صفوان: (والله ما في العيش بعدهم خير). قال له عمير: صدقت، أما والله لولا ديني علي ليس عندي قضاؤه، وعيال أخشى عليهم الضيعة⁽⁶⁾ بعدي،

(1) هو أبو سفيان بن حرب نذر ألا يمس رأسه من ماء جنابة حتى يغزو المسلمين.

(2) انظر: السيرة النبوية لأبي شعبة (171/2).

(3) انظر: التاريخ السياسي العسكري، ص 274.

(4) انظر: السيرة النبوية لأبي شعبة (171/2).

(1) عناء: التعب.

(6) الضيعة: الضياع والتشتت.

(3) العلة: السبب.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

لركبت إلى محمد حتى أقتله، فإن لي فيهم علة⁽¹⁾، ابني أسير في أيديهم.

قال: فاغتنمها صفوان بن أمية فقال: عليّ دينك أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أواسيهم⁽²⁾ ما بقوا، لا يسعني شيء ويعجز عنهم، فقال له عمير: فاكنتم علي شأني وشأنك. قال: أفعّل.

قال: ثم أمر عمير بسيفه، فشحذ وسُمّ، ثم انطلق حتى قدم المدينة، فبينما عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر، ويذكرون ما أكرمهم الله به، وما أراهم في عدوهم، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب وقد أناخ راحلته على باب المسجد متوشحاً سيفه، فقال: هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب، ما جاء إلا لشرٍّ وهو الذي حرش بيننا، وحزنا للقوم يوم بدر. ثم دخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا نبي الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه. قال صلى الله عليه وسلم: «فأدخله عليّ» قال: فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة⁽³⁾ سيفه في عنقه فلبّبه⁽⁴⁾ بها، وقال لمن كان معه من الأنصار: ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده واحذروا عليه من هذا الخبيث، فإنه غير مأمون. ثم دخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر آخذ بحمالة سيفه في عنقه قال: «أرسله يا عمر، ادنُ يا عمير».

فدنا ثم قال: انعموا صباحاً، وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير، بالسلام تحية أهل الجنة»⁽⁵⁾.

فقال: أما والله، يا محمد إن كنت بها لحديث عهد.

فقال: «فما جاء بك يا عمير؟» قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه.

(2) أواسيهم: أقوم على أمرهم ومؤنتهم.

(3) حمالة السيف: ما يربط به السيف على الجسم.

(6) لبّبه: قيده.

(5) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص259.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

قال: «فما بال سيف في عنقك؟» قال: قَبَّحَها الله من سيوف! وهل أغت بنا شيئاً؟! قال: «اصدقني ما الذي جئت به؟» قال: ما جئت إلا لذلك.

قال: «بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر، فذكرتما أصحاب القليب من قريش، ثم قلت: لولا دين عليّ وعيالٍ عندي لخرجت حتى أقتل محمداً، فتحمل لك صفوان بن أمية بدينك وعيالك، على أن تقتلني له، والله حائل بينك وبين ذلك».

قال عمير: أشهد أنك رسول الله، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام، وساقني هذا المساق، ثم شهد شهادة الحق، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فقهوا أخاكم في دينه، وعلموه القرآن، وأطلقوا أسيره ففعلوا».

ثم قال: يا رسول الله إني كنت جاهداً على إطفاء نور الله، شديد الأذى لمن كان على دين الله عز وجل، وأنا أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله وإلى رسوله، وإلى الإسلام، لعل الله يهديهم، وإلا أدبتهم في دينهم كما كنت أؤذي أصحابك في دينهم، قال: فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلحق بمكة وكان صفوان بن أمية حين خرج عمير بن وهب، يقول: أبشروا بوقعة تأتكم الآن في أيام، تنسيكم وقعة بدر، وكان صفوان يسأل عن الركبان، حتى قدم راكب فأخبره بإسلامه، فحلف أن لا يكلمه أبداً، ولا ينفعه بنفع أبداً⁽¹⁾.

وفي هذه القصة دروس وعبر منها:

1- حرص المشركين على التصفية الجسدية للدعاة، فهذا صفوان بن أمية وعمير بن وهب يتفقان على قتل النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا يرشدنا إلى أن أعداء الدعوة قد لا يكتفون برفض الدعوة، والتشويش عليها، وصد الناس عنها، بل يريدون اغتيال الدعاة، وتدبير

(1) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 260.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

المؤامرات لقتلهم، وقد يستأجرون المجرمين لتنفيذ هذا الغرض الخسيس⁽¹⁾. وقد يستغل الأغنياء المترفون من أعداء الدعوة حاجة الفقراء وفقدهم فيوجهونهم لقاء مبلغ من المال إلى خدمة مآربهم، وإن أدى ذلك إلى هلاكهم، فهذا هو صفوان قد استغل فقر عمير وقلة ذات يده ودينه ليرسله إلى هلاكه⁽²⁾.

2- ظهور الحس الأمني الرفيع الذي تميز به الصحابة رضي الله عنهم، فقد انتبه عمر ابن الخطاب لمجيء عمير بن وهب وحذر منه، وأعلن أنه شيطان ما جاء إلا لشر، فقد كان تاريخه معروفا لدى عمر، فقد كان يؤذي المسلمين في مكة، وهو الذي حرض على قتال المسلمين في بدر، وعمل على جمع معلومات عن عددهم؛ ولذلك شرع عمر في أخذ الأسباب لحماية الرسول صلى الله عليه وسلم، فمن جهته فقد أمسك بحمالة سيف عمير الذي في عنقه بشدة فعطله عن إمكانية استخدام سيفه للاعتداء على الرسول صلى الله عليه وسلم وأمر نفراً من الصحابة بحراسة النبي صلى الله عليه وسلم.

3- الاعتزاز بتعاليم هذا الدين، فقد رفض صلى الله عليه وسلم أن يتعامل بتحية الجاهلية، ولم يرد على تحية عمير حين قال له: أنعموا صباحاً، وأخبره بأنه لا يحيي بتحية أهل الجاهلية؛ لأن الله تعالى أكرم المسلمين بتحية أهل الجنة.

4- سمو أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم فقد أحسن إلى عمير، وتجاوز عنه وعفا عنه مع أنه جاء ليقتله⁽³⁾، بل أطلق ولده الأسير بعد أن أسلم عمير وقال لأصحابه: «فقهوا أخاكم في دينه، وأقرئوه القرآن وأطلقوا له أسيره»⁽⁴⁾.

5- قوة إيمان عمير، فقد قرر أن يواجه مكة كلها بالإسلام، وقد أذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفعل، وواجه، وتحدى، وعاد أدراجه إلى المدينة، وأسلم على يديه ناس كثير، وكان

(1) انظر: المستفاد من قصص القرآن (159/2).

(2) انظر: غزوة بدر الكبرى لأبي فارس، ص82.

(3) انظر غزوة بدر الكبرى، ص83.

(4) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص260.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

حين تعد الرجال يطرحه عمر رضي الله عنه ممن يزن عنده ألف رجل، وكان أحد الأربعة الذين أمد بهم أمير المؤمنين عمر، عمرو بن العاص -رضي الله عنهم- الذين كان كل واحد منهم بألف⁽¹⁾.

* * *

(1) انظر: التربية القيادية، (73/3).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

المبحث السابع

بعض الدروس والعبر والفوائد من غزوة بدر

أولاً: حقيقة النصر من الله تعالى:

إن حقيقة النصر في بدر كانت من الله تعالى قال سبحانه فقد بين سبحانه وتعالى أن النصر لا يكون إلا من عند الله تعالى في قوله: (وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) [آل عمران: 126]، وقوله تعالى: (وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُم وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [الأنفال: 10].

في هاتين الآيتين تأكيد على أن النصر لا يكون إلا من عند الله عز وجل، والمعنى: ليس النصر إلا من عند الله دون غيره، و(العزیز) أى: ذو العزة التي لا ترام⁽¹⁾، و(الحكيم) أى: الحكيم فيما شرعه من قتال الكفار مع القدرة على دمارهم وإهلاكهم بحوله وقوته سبحانه وتعالى⁽²⁾.

ويستفاد من هاتين الآيتين: تعليم المؤمنين الاعتماد على الله وحده، وتفويض أمورهم إليه مع التأكيد على أن النصر إنما هو من عند الله وحده، وليس من الملائكة أو غيرهم، فالأسباب يجب أن يأخذ بها المسلمون، لكن يجب أن لا يغتروا بها، وأن يكون اعتمادهم على خالق الأسباب حتى يمددهم الله بنصره وتوقيه، ثم بين سبحانه مظاهر فضله على المؤمنين، وأن النصر الذي كان في بدر، وقتلهم المشركين، ورمي النبي صلى الله عليه وسلم المشركين بالتراب يوم بدر إنما كان في الحقيقة بتوفيق الله أولاً وبفضله ومعونته. وبهذه الآية الكريمة يربي القرآن المسلمين ويعلمهم الاعتماد عليه، قال تعالى: (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتُمْ إِذْ رَمَيْتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [الأنفال: 17]. ولما بين سبحانه وتعالى أن النصر كان من عنده، وضح بعض الحكم من ذلك النصر، قال تعالى: (لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنْ

(1) انظر: تفسير ابن كثير (411/1).

(2) انظر: تفسير ابن كثير (302/2) نقلاً عن حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم (97/1 - 105).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتُهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ □ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ (آل عمران: 127، 128).

وأمر سبحانه وتعالى المؤمنين أن يتذكروا دائما تلك النعمة العظيمة؛ نعمة النصر في بدر، ولا ينسوا من أذهانهم كيف كانت حالتهم قبل النصر، قال تعالى: (وَادْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [الأنفال: 26].

ثانياً: يوم الفرقان:

سُمي يوم بدر يوم الفرقان، ولهذه التسمية أهمية عظيمة في حياة المسلمين، وقد تحدث الأستاذ سيد قطب عن وصف الله تعالى ليوم بدر بأنه يوم الفرقان في قوله تعالى: (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانَ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [الأنفال: 41]. فقال: كانت غزوة بدر، التي بدأت وانتهت بتدبير الله وتوجيهه وقيادته ومدده، فرقاناً بين الحق والباطل، كما يقول المفسرون إجمالاً، وفرقاناً بمعنى أشمل وأدق وأوسع وأعمق كثيراً. كانت فرقاناً بين الحق والباطل فعلاً.. ولكنه الحق الأصيل الذي قامت عليه السماوات والأرض، وقامت عليه فطرة الأحياء والأشياء.. الحق الذي يتمثل في تفرد الله سبحانه بالألوهية والسلطان والتدبير والتقدير، وفي عبودية الكون كله سمائه وأرضه، أشيائه وأحيائه، لهذه الألوهية المتفردة، ولهذا السلطان المتوحد، ولهذا التدبير وهذا التقدير بلا معقب ولا شريك، والباطل الزائف الطارئ الذي كان يعم وجه الأرض إذ ذاك، ويغشي على ذلك الحق الأصيل، ويقم في الأرض طواغيت تتصرف في حياة عباد الله بما تشاء، وأهواء تصرف أمر الحياة والأحياء، فهذا الفرقان الكبير الذي تم يوم بدر، حيث فرق بين ذلك الحق الكبير، وهذا الباطل الطاغي، وزيل بينهما فلم يعودا يلتبسان.

لقد كانت فرقاناً بين الحق والباطل بهذا المدلول الشامل الواسع الدقيق العميق، على أبعاد وآماد، كانت فرقاناً بين هذا الحق وهذا الباطل في أعماق الضمير؛ فرقاناً بين الوحدانية المجردة المطلقة بكل شعبها في الضمير والشعور، وفي الخلق والسلوك، وفي العبادة والعبودية، وبين الشرك في كل صوره التي تشمل عبودية الضمير لغير الله من الأشخاص، والأهواء والقيم والأوضاع والتقاليد والعادات، وكانت فرقاناً بين هذا الحق وهذا الباطل في الواقع الظاهر، كذلك فرقاناً بين العبودية الواقعية للأشخاص، والأهواء، وللقيم والأوضاع والشرائع والقوانين وللتقاليد والعادات، وبين الرجوع في هذا كله لله الواحد الذي لا إله غيره، ولا متسلط سواه، ولا حاكم دونه، ولا مشرع إلا إياه، فارتفعت الهامات لا تنحني لغير الله، وتساوت الرؤوس فلا تخضع إلا لحاكميته وشرعه، وتحررت القطعان البشرية التي كانت مستعبدة للطغاة.

وكانت فرقاناً بين عهدين في تاريخ الحركة الإسلامية: عهد المصابرة والصبر والتجمع والانتظار، وعهد القوة والحركة والمبادأة والاندفاع، والإسلام بوصفه تصويراً جديداً للحياة، ومنهجاً جديداً للوجود الإنساني، ونظاماً جديداً للمجتمع، وشكلاً جديداً للدولة، بوصفه إعلاناً عاماً لتحرير الإنسان في الأرض بتقرير ألوهية الله وحده وحاكميته، ومطاردة الطواغيت التي تغتصب ألوهيته⁽¹⁾.

إلى أن قال: وأخيراً فلقد كانت بدر فرقاناً بين الحق والباطل بمدلول آخر، ذلك المدلول الذي يوحى به قول الله تعالى: (وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ □ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ). لقد كان الذين خرجوا للمعركة من المسلمين إنما خرجوا يريدون غير أبي سفيان واغتنام القافلة، فأراد الله لهم غير ما أرادوا، أراد لهم أن تفلت منهم قافلة أبي سفيان (غير ذات الشوكة)، وأن يلاقوا نفي أبي جهل (ذات الشوكة)، وأن تكون معركة وقتالاً وقتلاً وأسرًا، ولا تكون قافلة وغنيمة ورحلة مريحة، وقد قال الله سبحانه: إنه صنع هذا (لِيُحِقَّ الْحَقَّ

(1) انظر: في ظلال القرآن (1521/3، 1522).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وَيُبْطِلُ الْبَاطِلَ) وكانت هذه إشارة لتقرير حقيقة كبيرة، إن الحق لا يحق وإن الباطل لا يبطل -

في المجتمع الإنساني- بمجرد البيان النظري للحق والباطل، ولا بمجرد الاعتقاد النظري بأن هذا حقٌ وهذا باطلٌ، إن الحق لا يحق، وإن الباطل لا يبطل، ولا يذهب من دنيا الناس، إلا بأن يتحطم سلطان الباطل ويعلو سلطان الحق، وذلك لا يتم إلا بأن يغلب جند الحق ويظهروا ويهزم جند الباطل ويندحروا، فهذا الدين منهج حركي واقعي، لا مجرد نظرية للمعرفة والجدل، أي لمجرد الاعتقاد السلبي.

ولقد حق الحق وبطل الباطل بالموقعة، وكان هذا النصر العملي فرقاناً واقعياً بين الحق والباطل بهذا الاعتبار الذي أشار إليه قول الله تعالى في معرض بيان إرادته سبحانه من وراء المعركة، ومن وراء إخراج الرسول صلى الله عليه وسلم من بيته بالحق، ومن وراء إفلات القافلة (غير ذات الشوكة) ولقاء الفئة ذات الشوكة. ولقد كان هذا كله فرقاناً بين منهج هذا الدين ذاته، تتضح به طبيعة هذا المنهج وحقيقته في حس المسلمين أنفسهم.. وإنه لفرقان ندرك به اليوم ضرورته، حينما ننظر إلى ما أصاب مفهومات هذا الدين من تمييع في نفوس من يسمون أنفسهم مسلمين، حتى ليصل هذا التمييع إلى مفهومات بعض من يقومون بدعوة الناس إلى هذا الدين، وهكذا كان يوم بدر: (يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقْيِ الْجَمْعَانِ) [الأنفال: 41]. بهذه المدلولات المتنوعة الشاملة العميقة، والله على كل شيء قدير، وفي هذا اليوم مثل من قدرته على كل شيء، مثل لا يجادل فيه مجادل، ولا يماري فيه ممار.. مثل من الواقع المشهود، الذي لا سبيل إلى تفسيره إلا بقدرة الله. وأن الله على كل شيء قدير⁽¹⁾.

ثالثاً: الولاء والبراء من فقه الإيمان:

رسمت غزوة بدر لأجيال الأمة صوراً مشرقة في الولاء والبراء، وجعلت خطأ فاصلاً بين الحق والباطل، فكانت الفرقان النفسي والمادي والمفاصلة التامة بين الإسلام والكفر، وفيها

(1) انظر: في ظلال القرآن (1523/3، 1524).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

تجسدت هذه المعاني، فعاشها الصحابة واقعاً مادياً وحقيقة نفسية، وفيها تهاوت القيم الجاهلية، فالتقى الابن بأبيه والأخ بأخيه:

1- كان أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة في صف المسلمين، وكان أبوه عتبة وأخوه الوليد وعمه شيبه في صف المشركين، وقد قتلوا جميعاً في المبارزة الأولى.

2- كان أبو بكر الصديق في صف المسلمين.. وكان ابنه عبد الرحمن في صف المشركين.

3- كان مصعب بن عمير حامل لواء المسلمين، وكان أخوه أبو عزيز بن عمير في صف المشركين، ثم وقع أسيراً في يد أحد الأنصار، فقال مصعب للأنصاري: شد يدك به فإن أمه ذات متاع، فقال أبو عزيز: يا أخي هذه وصيتك بي؟ فقال مصعب: إنه أخي دونك، تلك كانت حقائق وليس مجرد كلمات: إنه أخي دونك⁽¹⁾، إنها القيم المطروحة لتقوم الإنسانية على أساسها، فإذا العقيدة هي أصرة النسب والقرابة وهي الرباط الاجتماعي⁽²⁾.

4- كان شعار المسلمين في بدر (أحدٌ، أحدٌ) وهذا يعني أن القتال في سبيل عقيدة تتمثل بالعبودية للإله الواحد، فلا العصبية ولا القبلية، ولا الأحقاد والضغائن، ولا الثأر هو الباعث والمحرك، ولكنه الإيمان بالله وحده.

ومن هذا المنطلق كانت صور الإيمان مختلفة المظاهر واحدة في مضمونها⁽³⁾، وللايمان فقه عظيم، ومن هذا الفقه حينما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، هاجر إليها كل من استطاع ذلك من المسلمين في مكة، وحبس من كان مضطهداً ولم يستطع ذلك، فلما كان يوم بدر كان بعض هؤلاء في صف المشركين منهم: عبد الله بن سهيل بن عمرو، والحارث بن زمة بن الأسود، وأبو قيس بن الفاكه، وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة وعلي بن أمية بن خلف، والعاص بن منبه.

(1) انظر: البداية والنهاية (307/3).

(2) انظر: معين السيرة، ص213.

(3) المصدر نفسه، ص217.

(4) انظر: معين السيرة، ص217.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

فأما عبد الله بن سهيل بن عمرو فقد انحاز من صف المشركين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد المعركة، وكان أحد الصحابة الذين نالوا هذا الشرف العظيم⁽¹⁾.

وأما الآخرون فلم يفعلوا ذلك، وشهدوا المعركة في صف المشركين وقد أصيبوا جميعاً⁽²⁾ فقتلوا تحت راية الكفر، فنزل في حقهم قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) [النساء: 97].

قال ابن عباس: كان قوم من المسلمين أقاموا بمكة، وكانوا يستخفون بالإسلام، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم، فأصيب بعضهم، فقال المسلمون: كان أصحابنا هؤلاء مسلمين، وأكرهوا على الخروج، فنزلت: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ) إنهم لم يعذروا إذ كانت إمكانات الانتقال إلى صف المؤمنين متوافرة، ولم يكن الفاصل كبيراً بين الصفيين، ولن يعدموا لو أرادوا الفرصة في الانتقال إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فعل عبد الله بن سهيل⁽³⁾.

إن للإيمان مستلزمات تعبر عن صدقه وقوته، ومن مستلزماته استعلاؤه على كل القيم مما سواه، فإذا كان كذلك كان لأصحابه الأثر الفعال، والقوة الفاعلة في بناء الحق والخير الذي أراده الله، إن الإيمان يصبغ السلوك، فإذا به يشع من خلال الحركة والجهد، ومن خلال الكلمة والابتسامة، ومن خلال السمات والانفعالات؛ ولذا لم يعذر الذين كانوا في صف المشركين؛ لأن الإيمان الذي ادعوه لم توجد له مستلزمات فلم يؤت ثماره⁽⁴⁾.

ولهذا الفهم العميق لفقه الإيمان ضرب الصحابة الكرام في بدر مثلاً علياً لصدق الإيمان، التي تدل على أنهم آثروا رضاء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على حب الوالد والولد والأهل والعشيرة، فلا يعجب المسلم من ثناء الله تعالى على هذه المواقف الصادقة في قوله تعالى: (لَا

(2) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (253/2).

(2) انظر: معين السيرة، ص 218.

(3) انظر: معين السيرة، ص 217.

تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (المجادلة: 22).

رابعاً: المعجزات التي ظهرت في بدر وما حولها:

من المعجزات التي ظهرت على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بدر إخباره عن بعض المغيبات، ومن المعلوم أن علم الغيب مختص بالله تعالى وحده، وقد أضافه الله تعالى إلى نفسه الكريمة في غير آية من كتابه العزيز، قال تعالى: (قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) [النمل: 65]. وقال تعالى: (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) [الأنعام: 59].

ومن المعلوم أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يعلمون الغيب ولا اطلاع لهم على شيء منه، فقد قال تعالى: (قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِن تَتَّبِعُوا إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ) [الأنعام: 50]، وكما جاءت الأدلة تدل على أن الله تبارك وتعالى قد اختص بمعرفة علم الغيب، وأنه استأثر به دون خلقه، جاءت أدلة تفيد أن الله تعالى استثنى من خلقه من ارتضاه من الرسل فأودعهم، ما شاء الله من غيبه بطريق الوحي إليهم، وجعله معجزة لهم، ودلالة صادقة على نبوتهم، قال تعالى: (مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمَتُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ) [آل عمران: 179]. وقال تعالى: (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا □ إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا) [الجن: 26، 27]. فنخلص من ذلك أن ما وقع على

لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأخبار بالمغيبات فبوحى من الله تعالى، وهو إعلام الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم للدلالة على ثبوت نبوته وصحة رسالته، وقد اشتهر وانتشر أمره صلى الله عليه وسلم باطلاع الله له على المغيبات⁽¹⁾. وكان لأحداث غزوة بدر نصيب من تلك المعجزات الغيبية منها:

1- مقتل أمية بن خلف:

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: انطلق سعد بن معاذ معتمراً، قال: فنزل على أمية بن خلف أبي صفوان، وكان أمية إذا انطلق إلى الشام فمر بالمدينة نزل على سعد، فقال أمية لسعد: ألا تنظر حتى إذا انتصف النهار وغفل الناس انطلقت فطفت؟ فبينما سعد يطوف إذا أبو جهل، فقال: من هذا الذي يطوف بالكعبة، فقال سعد: أنا سعد، فقال أبو جهل: تطوف بالكعبة أمانة وقد أويتم محمداً وأصحابه؟ فقال: نعم، فتلاحيا⁽²⁾ بينهما، فقال أمية لسعد: لا ترفع صوتك على أبي الحكم فإنه سيد أهل الوادي. ثم قال سعد: والله لئن منعني أن أطوف بالبيت لأقطعن متجرك بالشام، قال: فجعل أمية يقول لسعد: لا ترفع صوتك، وجعل يمسكه فغضب سعد فقال: دعنا عنك. فإني سمعت محمداً صلى الله عليه وسلم يزعم أنه قاتلك، قال: إياي؟ قال: نعم. قال: والله ما يكذب محمد إذا حدث، فرجع إلى امرأته فقال: أما تعلمين ما قال لي أخي اليثربي؟ قالت: وما قال؟ قال: زعم أنه سمع محمداً يزعم أنه قاتلي، قالت: فوالله ما يكذب محمد، قال: فلما خرجوا إلى بدر جاء الصريخ، قالت له امرأته: أما ذكرت ما قال لك أخوك اليثربي؟ قال: فأراد ألا يخرج، فقال له أبو جهل: إنك من أشراف الوادي، فسر يوماً أو يومين، فصار معهم يومين فقتله الله⁽³⁾.

2- مصارع الطغاة:

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا مع عمر بين مكة والمدينة فترأينا الهلال، وكنت

(1) انظر: موسوعة نضرة النعيم (453/1).

(2) تلاحيا: تلاوما وتنازعا، انظر: النهاية (243/4).

(3) البخاري ز انظر: الفتح (3632/6).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

رجلا حديد البصر⁽¹⁾ فرأيته وليس أحد يزعم أنه رآه غيري، قال فجعلت أقول لعمر: أما تراه؟ فجعل يقول لا يراه، قال: يقول عمر: سأراه وأنا مستقلق على فراشي، ثم أنشأ يحدثنا عن أهل بدر، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس يقول: «هذا مصرع فلان غداً، إن شاء الله» قال: فقال عمر: فوالذي بعثه بالحق ما أخطأوا الحدود التي حد رسول الله صلى الله عليه وسلم⁽²⁾.

3- إخبار العباس بن عبد المطلب بالمال الذي دفعه، وإعلام عمير بن وهب بالحديث الذي حدث بينه وبين صفوان:

ومن ذلك لما طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمه دفع الفداء، وأجابه العباس: ما ذاك عندي يا رسول الله، فقال له: «أين المال الذي دفنته أنت وأم الفضل؟ فقلت لها: إن أصبت في سفري هذا، فهذا المال الذي دفنته لبني الفضل وعبد الله وقتم»، قال: والله يا رسول الله، إني لأعلم أنك رسول الله، إن هذا الأمر ما علمه أحد غيري وغير أم الفضل. وما حدث به عمير بن وهب لما جاء متظاهراً بفداء ابنه، وهو يريد قتل النبي صلى الله عليه وسلم باتفاق مع صفوان بن أمية، فقد أنبأه نبأ المؤامرة، فكانت سبباً في إسلامه وصدق إيمانه⁽³⁾.

وذكر ابن القيم في زاد المعاد: أن سيف عكاشة بن محصن انقطع يومئذ، فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم جذلاً من حطب، فقال: «دونك هذا» فلما أخذه عكاشة وهزه، عاد في يده سيقاً طويلاً شديداً أبيض، فلم يزل عنده يقاتل به حتى قتل في الردة أيام أبي بكر⁽⁴⁾. وقال رفاعه بن رافع: رميت بسهم يوم بدر، ففقت عيني، فبصق فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا لي، فما آذاني منها شيء⁽⁵⁾.

(1) حديد البصر: أي نافذ.

(2) مسلم رقم (2873).

(3) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبه (178/2).

(4) انظر: زاد المعاد (186/3) وذكر المحقق أن ابن إسحاق ذكرها من غير سند.

(5) انظر: زاد المعاد (186/3) والأثر فيه خلاف بين التصحيح والتضعيف.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

قال الدكتور أبو شهبه: وما ينبغي لأحد أن يزعم أن المعجزات الحسية لا ضرورة إليها بعد القرآن، فها هي قد بدت آثارها واضحة جلية في إسلام البعض، وتقوية يقين البعض الآخر، وإثبات أنه نبي يوحى إليه، فقد أخبر بمغيبات انتفى في العلم بها كل احتمال إلا أنه خبر السماء، وغير خفي ما يحدثه من انقلاب عود أو عرجون في يد صاحبه سيفاً بئراً في إيمانه وتقوية يقينه، وجهاده به جهاداً لا يعرف التردد أو الخور، وحرصه البالغ على أن يخوض المعارك بسيف خرقت به العادة وصار مثلاً وذكرى في الأولين والآخرين⁽¹⁾.

خامساً: حكم الاستعانة بالمشرك:

في غزوة بدر -في الأحداث التي سبقتها- أراد مشرك أن يلحق بجيش المسلمين، وطلب من النبي صلى الله عليه وسلم الموافقة على قبوله معهم، والاشتراك فيما هم ذاهبون إليه فقال صلى الله عليه وسلم: «ارجع فلن أستعين بمشرك»⁽²⁾ فالحديث يبين أن القاعدة والأصل عدم الاستعانة بغير المسلم في الأمور العامة، ولهذه القاعدة استثناء، وهو جواز الاستعانة بغير المسلم بشروط معينة وهي: تحقق المصلحة، أو رجحانها بهذه الاستعانة، وألا يكون ذلك على حساب الدعوة ومعانيها، وأن يتحقق الوثوق الكافي بمن يستعان به، وأن يكون تابعاً للقيادة الإسلامية، لا متبوعاً، ومقوداً فيها لا قائداً لها، وألا تكون هذه الاستعانة. مثار شبهة لأفراد المسلمين، وأن تكون هناك حاجة حقيقية لهذه الاستعانة وبمن يستعان به، فإذا تحققت هذه الشروط جازت الاستعانة على وجه الاستثناء، وإذا لم تتحقق لم تجز الاستعانة. وفي ضوء هذا الأصل رفض رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتراك المشرك مع المسلمين في مسيرهم إلى عير قريش إذ لا حاجة به أصلاً، وفي ضوء الاستثناء وتحقق شروطه استعان النبي صلى الله عليه وسلم بالمشرك عبد الله بن أريقط الذي استأجره النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في هجرتهم إلى المدينة؛ ليدلها على الطريق إليها.. وهكذا على هذا الاستثناء وتحقق شروطه قبل صلى الله عليه وسلم

(1) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبه (178/2).

(2) انظر: السيرة النبوية الصحيحة للعمري (355/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

حماية عمه أبي طالب له، كما قبل جوار أو إجارة المطعم بن عدي له عند رجوعه عليه الصلاة والسلام من الطائف، وكذلك قبول الصحابة الكرام جوار من أجارهم من المشركين ليدفع هؤلاء الأذى عن أجاروهم⁽¹⁾. وضبط هذه القاعدة مع فهم شروط الاستثناء في واقع الحياة يحتاج إلى فقه دقيق وإيمان عميق.

سادساً: حذيفة بن اليمان، وأسيد بن الحضير رضي الله عنهما:

1- حذيفة بن اليمان ووالده: قال حذيفة: ما منعنا أن نشهد بدرًا إلا أني وأبي أقبلنا نريد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذنا كفار قريش فقالوا: إنكم تريدون محمدًا، فقلنا: ما نريده إنما نريد المدينة، فأخذوا علينا عهد الله وميثاقه لتصيرن إلى المدينة ولا تقاتلوا مع محمد صلى الله عليه وسلم، لما جاوزناهم أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا له ما قالوا وما قلنا لهم فيما ترى؟ قال: نستعين الله عليهم ونفي بعهدهم، فانطلقنا إلى المدينة، فذاك الذي منعنا أن نشهد بدرًا⁽²⁾.

هذه صورة مشرقة في حرص النبي صلى الله عليه وسلم لحفظ العهود، وتربية أصحابه على تطبيق مكارم الأخلاق الرفيعة، وإن كان في ذلك إجحاف بالمسلمين ومفوت لهم جهد بعض أفراد المجاهدين.

2- أسيد بن الحضير: عندما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة قادمًا من بدر لقي بالروحاء رؤوس الناس يهنئونه بما فتح الله عليه، فقال أسيد بن الحضير: يا رسول الله، الحمد لله الذي أظفرك وأقر عينك، والله يا رسول الله ما كان تخلفي عن بدر وأنا أظن أنك تلقى عدوًا، ولكن ظننت أنها غير، ولو ظننت أنه عدو ما تخلفت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صدقت»⁽³⁾.

سابعاً: الحرب الإعلامية في بدر:

(1) انظر: المستفاد من قصص القرآن (144/2، 145).

(2) انظر: المستدرک للحاکم (201/3، 202) هذا حديث صحيح الإسناد وأقره الذهبي.

(3) انظر: البداية والنهاية (305/3).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

فما نخشى بحول الله قوماً
إذا ما ألبوا جمعاً علينا
سمونا يوم بدر بالعوالي
فلم تر عصابة في الناس أنكى
ولكننا توكلنا وقلنا
لقيناهم بها لما سمونا
وإن كثروا وأجمعت الزحوف
كفانا حدّهم ربّ رؤوف
سِراعاً ما تضعفنا الحتوف⁽¹⁾
لمن عادوا إذا لقحت كشوف
مآثرنا ومعقلنا السيوف
ونحن عصابة وهم ألوف⁽²⁾

وقال كعب بن مالك رضي الله عنه:

لما حامت فوارسكم ببدر
وردناه بنور الله يجلو
رسول الله يقدمنا بأمر
فما ظفرت فوارسكم ببدر
فلا تعجل أبا سفيان وارقب
بنصر الله روح القدس فيها
ولا صبروا به عند اللقاء
دُجى الظلماء عنا والغطاء
من أمر الله أحكم بالقضاء
وما رجعوا إليكم بالسواء
جياذ الخيل تطلع من كداء
وميكال، فيا طيب الملاء⁽³⁾⁽⁴⁾

كان النبي صلى الله عليه وسلم يحث شعراء المسلمين على القيام بواجبهم في الدفاع عن المسلمين وإخافة الأعداء بشعرهم، فقد كان الشعر يمثل الحملات الإعلامية المؤثرة في دنيا العرب، فيرفع أقواماً ويخفض آخرين، ويشعل الحروب ويطفئها⁽⁵⁾. كانت بوادر الحرب الإعلامية قد اندلعت منذ الهجرة، غير أن ظهورها أكثر بدأ مع حركة السرايا قبيل بدر، لكنها انفجرت انفجاراً ضخماً بعد بدر؛ لأن الجانب الإعلامي للقبائل المجاورة كان هدفاً مهماً من أهداف

(1) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (26/3) الحتوف: جمع حتف وهو الموت.

(2) هذا محمول على المبالغة لأن جيش قريش ما كان يزيد على الألف.

(3) أي ما أطيب الملاء الذين يقودهم جبريل وميكائيل عليهما السلام.

(4) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (30/3).

(5) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (199/4).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

الفريقين، ويظهر أن القوائد سرعان ما تطير بها الركبان بين يثرب ومكة، فيأتي الرد من الطرف الآخر، فعند النصر تكثر أشعار الفريق المنتصر، بينما تكثر المراثي عند الفريق الثاني، وكان الصف الإسلامي يضم شعراء متخصصين، كعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وكان أشدهم على الكفار حسان⁽¹⁾.

* * *

(1) انظر: المنهج الحركي للسيرة النبوية، ص354، 355.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

المبحث الثامن

أهم الأحداث التي وقعت بين غزوتي بدر وأحد

في أعقاب غزوة بدر أخذت الهيبة العسكرية للمسلمين مداها الكبير في دائرة واسعة في الجزيرة العربية، وأحس ضعفاء المشركين بالخطر وشعر أقوياءهم بغلبة الإسلام، وبدأت النفوس تتطلع إلى الإيمان؛ فتوسعت دائرة الدخول في الإسلام، ورأى الكثيرون أن يدخلوا في الإسلام نفاقاً أو خديعة، وبهذا كله أصبحت الدولة الجديدة أمام أوضاع جديدة من المكر والتآلب والتحالفات، ولكن تأييد الله تعالى ثم جهاز أمن الدولة المتيقظ أفضل مخططات أعداء الإسلام⁽¹⁾.

أولاً: الغزوات التي قادها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بدر وقبل أحد:

1- ماء الكدر في بني سليم: غزا النبي صلى الله عليه وسلم بعد سبع ليالٍ من عودته إلى المدينة من غزوة بدر، وبلغ ماء الكدر في ديار بني سليم الذين قصدهم بغزوته هذه، غير أنه لم يلق حرباً فأقام ثلاث ليالٍ على الماء ثم رجع إلى المدينة⁽²⁾. كان سبب تلك الغزوة تجمع أفراد بني سليم لمقاتلة المسلمين والاعتداء عليهم بعد معركة بدر مباشرة، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجأهم بهجوم سريع غير متوقع، فهرب بنو سليم وتفرقوا على رؤوس الجبال، وبقيت إبلهم مع راع لها يدعى يساراً، فاستاق رسول الله صلى الله عليه وسلم الإبل مع راعيها، وعند موضع صرار، على ثلاثة أميال من المدينة، قسم النبي صلى الله عليه وسلم الإبل التي كان عددها خمسمائة بعير على أصحابه، فأصاب الواحد منهم بعيرين، ونال النبي صلى الله عليه وسلم خمسها، وكان يسار من نصيبه، ولكنه أعتقه بعد ذلك⁽³⁾.

2- غزوة السويق: قدم أبو سفيان بمانتي فرس من مكة، وسلك طريق النجدية حتى نزلوا حي بني النضير ليلاً، واستقبلهم سلام بن مشكم سيد بني النضير، فأطعمهم وأسقامهم وكشف لهم

(1) انظر: الأساس في السنة وفقهها السيرة النبوية (512/1).

(2) انظر: موسوعة نضرة النعيم (296/1). (3) انظر: التاريخ السياسي والعسكري، ص 277.

عن أسرار المسلمين، وتدارس معهم إحدى الطرق لإيقاع الأذى بالمسلمين، ثم قام أبو سفيان بمهاجمة ناحية العريض -وادي المدينة في طرف حرة واقم- فقتل رجلين وأحرق نخلاً وفر عائداً إلى مكة، فتعقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم في مائتي رجل من المهاجرين والأنصار، ولكنه لم يتمكن من إدراكهم؛ لأن أبا سفيان ورجاله قد جدوا في الهرب، وجعلوا يتخفون من أثقالهم ويلقون السوق⁽¹⁾ التي كان يحملونها لغذائهم، وكان المسلمون يمرون بهذه الجرب فيأخذونها، حتى رجعوا بسويق كثير، لذا سميت هذه الغزوة بغزوة السوق، وعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد أن غاب عنها خمسة أيام دون أن يلقي حرباً⁽²⁾.

3- غزوة ذي أمر: جاءت الأخبار من قبل رجال الاستخبارات الإسلامية تفيد بأن رجال قبيلتي ثعلبة ومحارب تجمعوا بذئ أمر بقيادة دُعُثُور بن الحارث المحاربي، يريدون حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والإغارة على المدينة، فاستعمل النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة عثمان بن عفان وخرج في أربع مائة وخمسين من المسلمين بين راكب وراجل، فأصابوا رجلاً بذئ القصة يقال له جبار من بني ثعلبة، كان يحمل أخباراً عن قومه أسراً بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد دخل في الإسلام وانضم إلى بلال ليتفقه في الدين⁽³⁾، أما المشركون من بني ثعلبة ومحارب ما لبثوا أن فروا إلى رؤوس الجبال عند سماعهم بمسير المسلمين، وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في نجد مدة تقارب الشهر دون أن يلقي كيداً من أحد وعاد بعدها إلى المدينة⁽⁴⁾. وفي هذه الغزوة أسلم دُعُثُور بن الحارث الذي كان سيداً مطاعاً بعد أن حدثت له معجزة على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد أصاب المسلمين في هذه الغزوة مطرٌ كثيرٌ فابتلت ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل تحت شجرة ونشر ثيابه لتجف، واستطاع دُعُثُور أن ينفرد برسول الله بسيفه، فقال: يا محمد من يمنعك مني اليوم؟ قال: «الله»، ودفع

(1) السوق: هو أن تحمص الحنطة والشعير ثم يطحن باللين والعسل والسمن.

(2) انظر: السيرة لابن هشام (51/3) التاريخ السياسي والعسكري، ص 278، 279.

(3) انظر: البداية والنهاية (3/4) التاريخ الإسلامي والعسكري، ص 279.

(4) انظر: التاريخ السياسي والعسكري، ص 279. (4) انظر: البداية والنهاية (3/4).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

جبريل في صدره فوق السيف من يده فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «من يمنعك مني» قال: لا أحد، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والله لا أكثر عليك جمعاً أبداً، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه فلما رجع إلى أصحابه فقالوا: ويلك، ما لك؟ فقال: نظرت إلى رجل طويل فدفع صدري فوقعت لظهري، فعرفت أنه ملك، وشهدت أن محمداً رسول الله، والله لا أكثر عليه جمعاً، وجعل يدعو قومه إلى الإسلام⁽¹⁾، ونزل في ذلك قول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) [المائدة:11].

4- غزوة بحران⁽²⁾: كانت هذه الغزوة في شهر جمادى الأولى من السنة الثالثة للهجرة، وقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثمائة من المسلمين حتى بلغ بحران بين مكة والمدينة يريد قتال بني سليم، فوجدتهم قد تفرقوا، فانصرف عنهم، وعاد إلى المدينة بعد أن أمضى خارجها عشر ليال⁽³⁾. ونلاحظ في هذه الغزوات قدرة القيادة الإسلامية على رصد تحركات العدو، ومعرفة قوته، وخططه، ومدده لكي تحطم هذه التجمعات المناوئة للدولة الإسلامية الفتية قبل أن يستفحل أمر هذه القبائل، وتصبح خطراً على المدينة.

وهذه الغزوات في هذه الصحراء المترامية الأطراف كانت دورات تدريبية تربوية للصحابة الكرام، وسعدت سرايا الصحابة بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم لها، فقد كانت تلك الدورات العملية التدريبية القتالية التربوية مستمرة، وتمتد من خمسة أيام إلى شهر، تتم فيها الحياة الجماعية، ويتربى جنود الإسلام على السمع والطاعة، والتدريب المتقن، ويكتسبون خبرات جديدة تساعد على تحطيم الباطل وتقوية الحق.

لقد كان المنهاج النبوي الكريم يهتم بتربية الصحابة في ميادين النزال، ولا يغفل عن المسجد

(2) بحران: كتبها بعضهم بفتح الباء (بحران) وبعضهم بضمها.

(3) انظر: المجتمع المدني للعمري، ص61، التاريخ السياسي والعسكري، ص280.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

ودوره في صقل النفوس، وتنوير العقول، وتهذيب الأخلاق من خلال وجود المربي العظيم **صلى الله عليه وسلم** الذي أصبحت تعاليمه تشع في أوساط المجتمع من خلال القدوة والعبادة الخاشعة لله عز وجل، فالمنهاج النبوي الكريم جمع بين الدورات المسجدية، التربوية، والدورات العسكرية التربوية المكثفة لكي يقوي المجتمع الجديد، وترص صفوفه، ويكسب الخبرات لكي تقوم بنشر الإسلام في الآفاق⁽¹⁾.

5- سرية زيد بن حارثة إلى القردة: أصبح مشركو مكة بعد هزيمتهم في بدر يبحثون عن طريق أخرى لتجارتهم للشام، فأشار بعضهم إلى طريق نجد العراق، وقد سلکوها بالفعل، وخرج منهم تجار، فيهم أبو سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية، وحويطب بن عبد العزى، ومعهم فضة وبضائع كثيرة، بما قيمته مائة ألف درهم، فبلغ ذلك رسول الله **صلى الله عليه وسلم** بواسطة أحد أفراد جهاز الأمن الإسلامي يدعى سليط بن النعمان رضي الله عنه⁽²⁾، فبعث **صلى الله عليه وسلم** زيد بن حارثة في مائة راكب لاعتراض القافلة، فلقبها زيد عند ماء يقال له القردة، وهو ماء من مياه نجد، ففر رجالها مذعورين، وأصاب المسلمون العير وما عليها، وأسروا دليلها فرات بن حيان الذي أسلم بين يدي النبي **صلى الله عليه وسلم**، وعادوا إلى المدينة، فخمسها رسول الله **صلى الله عليه وسلم**، ووزع الباقي بين أفراد السرية⁽³⁾.

ثانياً: غزوة بني قينقاع:

ذكر الزهري أنها وقعت في السنة الثانية للهجرة، وذكر الواقدي وابن سعد أنها وقعت يوم السبت للنصف من شوال من السنة الثانية⁽⁴⁾، واتفق معظم من كتب في مغازي رسول الله **صلى الله عليه وسلم** وسيرته على أنها وقعت بعد معركة بدر، إذ لم يلتزم يهود بني قينقاع بالمعاهدة التي أبرمها الرسول **صلى الله عليه وسلم** معهم، ولم يوفوا بالتزاماتهم التي حددتها، ووقفوا من

(1) انظر: التربية القيادية (118/3، 119).

(2) المصدر نفسه (132/3).

(3) انظر: سيرة ابن هشام (56/3).

(4) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (299/1).

الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين مواقف عدائية، فأظهروا الغضب والحسد عندما انتصر المسلمون في بدر، وجأهروا بعداوتهم للمسلمين⁽¹⁾، وقد جمعهم النبي صلى الله عليه وسلم في سوقهم بالمدينة ونصحهم، ودعاهم إلى الإسلام، وحذرهم أن يصيبهم ما أصاب قريشاً في بدر⁽²⁾، غير أنهم واجهوا النبي صلى الله عليه وسلم بالتحدي والتهديد رغم ما يفترض أن يلتزموا به من الطاعة والمتابعة لبنود المعاهدة التي جعلتهم تحت رئاسته، فقد جابهوه بقولهم: «يا محمد، لا يغرنك من نفسك أنك قتلت نفرًا من قريش كانوا أعمارًا لا يعرفون القتال، إنك لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس، وإنك لم تلق مثلنا»⁽³⁾. وهكذا بدأت الأزمة تتفاعل إذ لم يكن في جوابهم ما يشير إلى الالتزام والاحترام، بل على العكس فإنهم قد أظهروا روحًا عدائيًا، وتحديًا واستعلاء واستعدادًا للقتال، فأنزل الله سبحانه وتعالى فيهم قوله تعالى: (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْيُهُمْ وَهُمْ يُرَوْنَهُمْ مَثَلِيهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ) [آل عمران: 12، 13].

1- الأسباب المباشرة للغزو: لما انتصر المسلمون في بدر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهود ما قال، أضمرت بنو قينقاع نقض العهد الذي بينهم وبين المسلمين، وأخذوا يتحينون الفرصة السانحة لمناوشة المسلمين، حتى جاءتهم فرصتهم الحقيرة الدنيئة عندما جاءت امرأة من العرب قدمت بجلب لها، فباعته بسوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ بها، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوءتها، فضحكوا بها فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهوديًا، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فغضب المسلمون

(1) انظر: موسوعة نضرة النعيم (269/1).

(2) انظر: اليهود في السنة المطهرة (276/1)

(3) نفس المصدر (276/1).

(4) انظر: سيرة ابن هشام (54/3).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع⁽¹⁾.

فحين علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك سار إليهم على رأس جيش من المهاجرين والأنصار، وذلك يوم السبت للنصف من شوال من السنة الثانية للهجرة⁽²⁾، وكان الذي حمل لواء المسلمين يومئذ حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، واستخلف صلى الله عليه وسلم على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر العمري⁽³⁾، واسمه بشير⁽⁴⁾، وحين سار إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نبذ إليهم العهد كما أمره الله تعالى في قوله: (وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ) [الأنفال: 58].

2- ضرب الحصار عليهم: وحين علم اليهود بمقدمه صلى الله عليه وسلم تحصنوا في حصونهم، فحاصروهم النبي صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة، كما ذكر ابن هشام⁽⁵⁾، واستمر الحصار حتى قذف الله في قلوبهم الرعب واضطروا للنزول على حكمه صلى الله عليه وسلم، فقد فاجأهم صلى الله عليه وسلم بأسلوب الحصار، فأربكهم وأوقعهم في حيرة من أمرهم بعد أن قطع عنهم كل مدد وجمد حركتهم، فعاشوا في سجن مما جعلهم في النهاية ييأسون من المقاومة والصبر، فبعد أن كانوا يهددون رسول الله صلى الله عليه وسلم وبأنهم قوم يختلفون بأساً وشدة عن مشركي قريش، إذا بهم يضطرون للنزول على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم⁽⁶⁾، فأمر بهم فربطوا فكانوا يكتفون أكتافاً، واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على كتافهم المنذر بن قدامة السلمي الأوسي⁽⁷⁾.

3- مصير يهود بني قينقاع: حاول ابن سلول زعيم المنافقين أن يحل حلفاءه من وثاقهم، فعندما مر عليهم قال: حلوهم، فقال المنذر: أتحلون قوماً ربطهم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

(2) انظر: المغازي للواقدي (176/1)، الطبقات لابن سعد (28/2، 29).

(3) انظر: تاريخ الطبري (481/2). (7) انظر: اليهود في السنة المطهرة (279/1).

(5) انظر: سيرة ابن هشام (55/3).

(6) انظر: الصراع مع اليهود لأبي فارس (144/1). (2) انظر: اليهود في السنة المطهرة (280/1).

والله لا يحلهم رجل إلا ضربت عنقه⁽¹⁾، فاضطر عبد الله بن أبي سلول أن يتراجع عن أمره ويلجأ إلى استصدار الأمر من النبي صلى الله عليه وسلم بفك أسرهم⁽²⁾. فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد أحسن في موالي -وكانوا حلفاء الخزرج- قال: فأبطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال يا محمد: أحسن في موالي، قال: فأعرض عنه، فأدخل ابن أبي يده في جيب درع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أرسلني»، وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأوا لوجهه ظللاً⁽³⁾، ثم قال: «ويحك أرسلني» قال: لا والله، لا أرسلك حتى تحسن في موالي أربع مائة حاسر، وثلاثة مائة دارع، قد منعوني من الأحمر والأسود، تحصدهم في غداة واحدة؟ إني والله امرؤ أخشى الدوائر. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هم لك»⁽⁴⁾. فخلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيلهم ثم أمر بإجلانهم، وغنم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ما كان لديهم من مال، وقد تولى جمع أموالهم وإحصاءها محمد بن مسلمة رضي الله عنه⁽⁵⁾، وحاول ابن أبي سلول أن يحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم في يهود بني قينقاع لكي يقرهم في ديارهم، فوجد على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم عويم بن ساعدة الأنصاري الأوسي، فردّه عويم، وقال: لا تدخل حتى يأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لك، فدفعه ابن أبي، فغلظ عليه عويم حتى جحش وجه ابن أبي الجدار فسال الدم⁽⁶⁾.

ويظهر في هذا الخبر فقه النبي صلى الله عليه وسلم السياسي في تعامله مع ابن سلول حيث لبى طلبه، فلعل هذا الموقف يغسل قلبه، ويزيل الغشاوة عنه فتتم هدايته، فقال له: هم لك، ولعل الذين يسرون وراء زعامة ابن أبي يصلحون بصلاحه فيتماسك الصف، ويلتحم فلا يتأثر من كيد

(1) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (32/5). (4) المصدر نفسه (33/5).

(3) ظللاً: جمع ظلة وهي السحابة، استعارة لتغير الوجه عند الغضب. (8) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (30/5). (7،4) انظر: اليهود في السنة المطهرة (281/1).

وهناك بُعد آخر حيث حرص **صلى الله عليه وسلم** أن يتفادى حدوث فتنة في مجتمع المؤمنين، حيث إن بعض الأنصار حديثو عهد بالإسلام، ويخشى أن يؤثر فيهم رأس المنافقين عبد الله بن أبي لسمعته الكبيرة فيهم⁽²⁾، ولذلك سلك **صلى الله عليه وسلم** معه أسلوب المداراة والصبر عليه وعلى إساءته تجنباً للفتنة وإظهاراً لحقيقة الرجل من خلال تصرفاته ومواقفه عند من يجهلها، ومن ثم يفر الناس من حوله ولا يتعاطفون معه، وقد حقق هذا الأسلوب نجاحاً باهراً، فقد ظهرت حقيقة ابن سلول لجميع الناس حتى أقرب الناس إليه ومنهم ولده عبد الله، فكانوا بعدها إذا تكلم أسكتوه، وتضايقوا من كلامه⁽³⁾، بل أرادوا قتله كما سيأتي بإذن الله تعالى.

4- تبرؤ عبادة بن الصامت منهم: لما نقضت العهد بنو قينقاع وكان عبادة بن الصامت أحد بني عوف -لهم من حلف بني قينقاع مثل الذي لهم من عبد الله بن أبي- مشى لرسول الله **صلى الله عليه وسلم** وخلعهم إليه، وتبرأ إلى الله عز وجل وإلى رسوله **صلى الله عليه وسلم** من حلفهم، وقال: يا رسول الله، أتولى الله ورسوله **صلى الله عليه وسلم** والمؤمنين، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم⁽⁴⁾. ولما تقرر جلاء بني قينقاع أمر رسول الله **صلى الله عليه وسلم** عبادة بن الصامت أن يجليهم، فجعلت بنو قينقاع تقول: يا أبا الوليد من بين الأوس والخزرج -ونحن مواليك- فعلت هذا بنا؟ قال لهم عبادة: لما حاربتم جنت رسول الله **صلى الله عليه وسلم** فقلت: يا رسول الله إني أبرأ إليك منهم ومن حلفهم، وكان ابن أبي وعبادة بن الصامت منهم بمنزلة واحدة في الحلف، فقال عبد الله بن أبي: تبرأت من حلف مواليك؟ ما هذا بيدهم عندك، فذكره مواطن قد أبلوا فيها، فقال عبادة: يا أبا الحباب، تغيرت القلوب، ومحا الإسلام العهود، أما والله إنك لمعصم بأمر سنرى غيّه غداً، فقالت بنو قينقاع: يا محمد، إن لنا ديناً في الناس، قال النبي **صلى الله عليه وسلم**

(1) انظر: المنهج الحركي للسيرة النبوية للغضبان، 247.

(2) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (32/5). انظر: الصراع مع اليهود لأبي فارس (148/1).

(4) انظر: اليهود في السنة المطهرة (282/1، 283). (4) نفس المصدر (284/1، 285).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وسلم: «تعجلوا وضعوا» وأخذهم عبادة بالرحيل والإجلاء، وطلبوا التنفس، فقال لهم: ولا ساعة من نهار، لكم ثلاث لا أزيد عليها، هذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو كنت أنا ما نفستكم، فلما مضت ثلاث، خرج في آثارهم حتى سلخوا إلى الشام وهو يقول: الشرف الأبعد الأقصى فالأقصى، وبلغ خلف الذباب ثم رجع ولحقوا بأذرع(1).

وهكذا خرج بنو قينقاع من المدينة صاغرين قد ألخوا سلاحهم وتركوا أموالهم غنيمة للمسلمين، وهم كانوا من أشجع يهود المدينة، وأشدهم بأساً، وأكثرهم عدداً وعدة؛ ولذلك لاذت القبائل اليهودية بالصمت والهدوء فترة من الزمن بعد هذا العقاب الرادع، وسيطر الرعب على قلوبهم وخضعت شوكتها(2).

5- الآيات التي نزلت في موالة ابن سلول لليهود وبراءة عبادة بن الصامت منهم: قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ □ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فُيَصْبَحُوا عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ تَادِمِينَ □ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ □ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةً لَّانِمَ ذَلِكَ فَضَّلَ اللَّهُ يُونُسَ مِنْ نِشَاءٍ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ □ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ □ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ) [المائدة: 51-56]. قال ابن عطية في هذه الآيات: لما انقضت بدر وشجر أمر بني قينقاع أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلهم، فقام دونهم عبد الله بن أبي ابن سلول وكان حليفاً لهم، وكان عبادة بن الصامت من حلفهم مثل ما لعبد الله، فلما

(2) انظر: الصراع مع اليهود لأبي فارس (149/1).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

رأى عبادة منزع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما سلكته اليهود من المشاقة لله ورسوله، جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إني أبرأ إلى الله من حلف يهود وولائهم، ولا أوالي إلا الله ورسوله، وقال عبد الله بن أبي: أما أنا فلا أبرأ من ولاء يهود، فإني لا بد لي منهم، إني رجل أخاف الدوائر⁽¹⁾.

إن الفرق واضح بين ابن سلول الذي انغمس في النفاق، ومرد عليه، وبين عبادة بن الصامت رضي الله عنه الذي تربى على المنهاج النبوي فصفت نفسه، وتطهر قلبه، وقوي إيمانه، وتنور عقله، فتخلص من آثار العصبية الجاهلية، والأهواء، والمصالح الذاتية، وقدم مصلحة الإسلام على كل مصلحة، فكان مثلاً حياً للمسلم الصادق، المخلص لعقيدته⁽²⁾.

ثالثاً: تصفية المحرضين على الدولة الإسلامية، مقتل كعب بن الأشرف:

إن خطر المحرضين على الفتنة لا يقل عن خطر الذين يشهرون السيوف لقتال المسلمين، إذ لولا هؤلاء المحرضون لما قامت الفتنة، لذلك أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يتتبع هؤلاء المحرضين ويقتلهم إطفاء لنار الفتنة، وتمكيناً للحق، وقد قتل منهم خلقاً بعد موقعة بدر⁽³⁾ منهم:

أ- عصماء بنت مروان التي كانت تحرض على النبي صلى الله عليه وسلم وتعيب الإسلام، فقد أقدم عمير بن عدي الخطمي رضي الله عنه على قتلها، وحين سأل النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك عما إذا كان عليه شيء؟ قال له النبي صلى الله عليه وسلم: «نصرت الله ورسوله يا عمير»⁽⁴⁾، ثم قال: «لا ينتطح فيها عنزان»⁽⁵⁾ وقد أسلم نتيجة ذلك عدد من بني خزيمة وجهر بالإسلام منهم من كان يستخفي⁽⁶⁾.

ب- مقتل أبي عفك اليهودي: كان أبو عفك شيخاً كبيراً من بني عمرو بن عوف وكان يهودياً،

(1) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (477/1، 478).

(2) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (302/1).

(3) انظر: قراءة سياسية للسيرة النبوية، محمد قلعجي، ص 138.

(4) سنن أبي داود (528/4، 529).

(5) سنن أبي داود، كتاب الحدود، باب الحكم فيمن سب النبي (528/4، 529).

(6) انظر: نضرة النعيم (295/1).

(3) المصدر نفسه (296/1).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

يحرص على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول الشعر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لي بهذا الخبيث؟» فخرج له الصحابي سالم بن عمير فقتله⁽¹⁾.

وأهم حدث في تصفية المحرضين على الدولة ما بين بدر وأحد هو مقتل كعب بن الأشرف.

ج- مقتل كعب بن الأشرف: ينتسب كعب بن الأشرف إلى بني نبهان من قبيلة طى، كان أبوه قد أصاب دماً في الجاهلية، فقدم المدينة وحالف يهود بني النضير، وتزوج عقيلة بنت أبي الحقيق فولدت له كعب⁽²⁾، وكان شاعراً، ناصب الإسلام، وقد غاظه انتصار المسلمين على قريش في معركة بدر، فسافر إلى مكة يهجو النبي صلى الله عليه وسلم ويحرص قريش على الثأر لقتلهم الذين كان ينوح عليهم ويبكيهم في شعره، ويدعو إلى القضاء على الرسول والمسلمين⁽³⁾، ومما قاله من الشعر في قتلى بدر من المشركين:

طحنت رحي بدر لمهلك أهله	ولمثل بدر تستهل وتدمع
قتلت سراة الناس حول حياضهم	لا تبعدوا إن الملوك تصرع
كم قد أصيب بها من أبيض ماجد	ذي بهجة تأوي إليه الضيع
ويقول أقوم أقوام أذل ⁽⁴⁾	إن ابن الأشرف ظل كعباً يجزع
صدقوا، فليت الأرض ساعة	ظلت تسوخ بأهلها وتصدع
نبئت أن بني كنانة كلهم	خشعوا لقول أبي الوليد وجدعوا ⁽⁵⁾

واستمر كعب بن الأشرف في أذية رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجاء وتشجيع قريش لمحاربة المسلمين، واستغوانهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له أبو سفيان: أناشدك الله، أديننا أحب إلى الله أم دين محمد وأصحابه؟ قال: أنتم أهدى منهم سبيلاً⁽⁶⁾، ثم خرج

(5) انظر: نضرة النعيم (298/1).

(2) انظر: السيرة لابن هشام (58/3).

(7، 8، 9) المصدر نفسه، ص158.

(4) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي، ص158.

مقبلاً قد أجمع رأي المشركين على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم معلناً بعداوته وهجائه⁽¹⁾. ولما قدم المدينة أعلن معاداة النبي صلى الله عليه وسلم وشرع في هجائه، وبلغت به الوقاحة والصلف أن يمتد لسانه إلى نساء المسلمين، وشبب بأُم الفضل بنت الحارث -رضي الله عنها- زوجة العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم فقال فيها:

أذهب أنت لم تحلل بمنقبة وتارك أنت أُم الفضل بالحرم
صفراء رادعة لو تعصر انعصرت من ذي القوارير والحناء والكتم⁽²⁾
إحدى بني عامر هام الفؤاد بها ولو تشاء شفت كعباً من السقم
لم أر شمساً بليل قبلها طلعت حتى تبدت لنا في ليلة الظلم⁽³⁾

1- حسان بن ثابت لابن الأشرف بالمرصاد: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحث حسائناً للتصدي لكعب بن الأشرف، فكان صلى الله عليه وسلم يعلم حسائناً أين نزل ابن الأشرف في مكة؟ فعندما نزل على المطلب بن أبي وداعة بن ضميرة السهمي وزوجته عاتكة بنت أسيد بن أبي العيص، فأبلغ صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت بذلك فهجاهم لإيوائهم ابن الأشرف، فلما بلغ عاتكة بنت أسيد هجاء حسان نبذت رحل اليهودي كعب بن الأشرف وقالت لزوجها: ما لنا ولهذا اليهودي؟ ألا ترى ما يصنع بنا حسان؟⁽⁴⁾ وتحول كعب إلى أناس آخرين، وكان كلما تحول إلى قوم آخرين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حسائناً وأخبره أين نزل ابن الأشرف فيهمجو من نزل عندهم فيطرده، وظل يلاحقه حتى لفظه كل بيت هناك، فعاد إلى المدينة راغماً بعد أن ضاقت في وجهه السبل ينتظر مصيره المحتوم وجزاءه الذي يستحقه⁽⁵⁾.

كانت الحرب الإعلامية التي شنّها حسان ضد كعب بن الأشرف قد حققت أهدافها، وهذه بعض الأبيات التي قالها حسان بن ثابت رضي الله عنه في الرد على كعب بن الأشرف:

(2) رادعة: أي يفوح منها أثر الطيب والزعفران، والكتم نبت يخلط بالحناء فيخضب به الشعر فيبقى لونه.

(3) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي، ص 160.

(4) انظر: الصراع مع اليهود لأبي فارس، (111/1).

(5) نفس المصدر، (111/1).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

أبكي لكعب ثم غُلَّ(1) بعبرة
ولقد رأيت بطن بدر منهم
فأبك فقد أبكيت عبداً راضعاً
ولقد شفى الرحمان منا سيدياً
ونجا وأفلت منهم من قلبه
منه وعاش مجدعاً لا يسمع؟
قتلى تسح لها العيون وتدمع
شبه الكليب إلى الكلبية يتبع
وأهان قوماً قاتلوه وصرّعوا
شَغَف يظل لخوفه يتصدع(2)

2- جزاء ابن الأشرف: لقد قام اليهودي ابن الأشرف بجرائم كثيرة، وخيانات عديدة وإساءات متعددة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين والمسلمات القانتات العابدات، وكل جريمة من هذه الجرائم تعد نقضاً للعهد تستوجب عقوبة القتل، فكيف إذا اجتمعت هذه الجرائم كلها في هذا اليهودي الشرير؟(3)

إن ابن الأشرف بهجائه للنبي صلى الله عليه وسلم وإظهاره التعاطف مع أعداء المسلمين ورتاء قتلهم وتحريضهم على المسلمين يكون قد نقض العهد وصار محارباً مهدور الدم، ولذلك(4) أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله وقد فصل البخاري خبر مقتله، فقد روى في صحيحه بإسناده إلى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لكعب بن الأشرف؟ فإنه قد آذى الله ورسوله» فقام محمد بن مسلمة، فقال: يا رسول الله، أتحب أن أقتله؟ قال: «نعم». قال: فأذن لي أن أقول شيئاً. قال: «قل». فأتاه محمد بن مسلمة(5) فقال: إن هذا الرجل قد سألنا صدقة، وإنه قد عانا، وإني قد أتيتك أستسلفك قال: وأيضاً والله لتملنه، قال: إنا قد اتبعناه فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير شأنه، وقد أردنا أن تسلفنا وسقاً أو وسقين. فقال: أرهنوني. قالوا: أي شيء تريد؟ قال: أرهنوني نساءكم. قالوا: كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب؟ قال: فارهنوني أبناءكم. قالوا: كيف نرهنك أبناءنا؟ فيسب أحدهم فيقال: رهن بوسق أو

(1) غُلَّ، من العلل، وهو الشرب بعد الشرب، يريد البكاء بعد البكاء.

(2) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (59/3).

(3) انظر: الصرع مع اليهود (111/1)

(4) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (304/1)

(5) الذي كتب في السيرة النبوية لابن هشام أن الذي جاء كعب بن الأشرف أبو نائلة واسمه سلكان بن سلامة.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وسقين، هذا عار علينا، ولكن نرهنك الأمة، قال سفيان: يعني السلاح.

فواعده أن يأتيه، فجاء ليلاً ومعه أبو نائلة، وهو أخو كعب من الرضاعة، فدعاهم إلى الحصن فنزل إليهم فقالت له امرأته: أين تخرج هذه الساعة؟

فقال: إنما هو محمد بن مسلمة وأخي أبو نائلة. قالت: أسمع صوتاً كأنه يقطر منه الدم. قال: إنما هو أخي محمد بن مسلمة ورضيعة أبو نائلة. وجاء محمد بن مسلمة برجلين⁽¹⁾، وقال: إذا ما جاء فإني قاتل بشعره فأشمه فإذا رأيتوني استمكنت من رأسه فاضربوه، فنزل منهم متوشحاً وهو ينفخ منه ريح الطيب. فقال: أتأذن لي أن أشم رأسك؟ قال: نعم فشمه، ثم أشم أصحابه. ثم قال: أتأذن لي؟ قال: نعم، فلما استمكن منه قال: دونكم فقتلوه، ثم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه⁽²⁾.

وجاء في السيرة النبوية لابن هشام أن محمد بن مسلمة مكث ثلاثة أيام بعد أن استعد لقتل كعب بن الأشرف لا يأكل ولا يشرب إلا ما يعلق به نفسه، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعاه، فقال له: «لم تركت الطعام والشراب؟» فقال: يا رسول الله، قلت لك قولاً لا أدري هل أفين لك به أم لا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما عليك الجهد». فقال: لا بد لنا من أن نقول. قال: «قولوا ما بدا لكم»⁽³⁾.

وجاء في السيرة النبوية عن ابن إسحاق، بإسناد حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم مشى معهم إلى بقيع الغرقد ثم وجههم فقال: «انطلقوا على اسم الله اللهم أعنيهم»⁽⁴⁾.

دروس وعبر:

- (1) وفي كتب السيرة أن الذين قاموا بقتله خمسة نفر هم: محمد بن مسلمة، وسلطان بن سلامة بن وقش، وهو أبو نائلة، أحد بني عبد الأشهل، وكان أخا كعب بن الأشرف من الرضاعة، وعباد بن بشر بن وقش، أحد بني عبد الأشهل وأبو عبيس بن جبر أحد بني حارثة. هؤلاء قدموا أبا نائلة ليحدث كعب بن الأشرف.
- (2) البخاري في المغازي، باب قتل كعب بن الأشرف رقم 4037.
- (3) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (61/3). (2) المصدر نفسه (62/3).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

إن في مقتل كعب بن الأشرف دروساً وعبراً وفوائد في فقه النبي صلى الله عليه وسلم في تعامله مع خصوم الإسلام والدولة الإسلامية، فقد اتضح أن عقوبة الناقض للعهد القتل، وهذا ما حكم به النبي صلى الله عليه وسلم، وعقوبة المعاهد الذي يشتم الرسول صلى الله عليه وسلم ويؤذيه بهجاء أو غيره هي القتل، وهذا ما كان لابن الأشرف، ويؤخذ من هذا أن شاتم الرسول صلى الله عليه وسلم سواء كان معاهداً أو غيره تضرب عنقه عقوبة له، وقد أجاد شيخ الإسلام ابن تيمية في تفصيل هذه الأحكام في كتابه القيم الصارم المسلول على شاتم الرسول صلى الله عليه وسلم.

* يؤخذ من طريقة تنفيذ حكم الرسول صلى الله عليه وسلم باليهودي ابن الأشرف، أن الحكم قد تقتضي المصلحة العامة للمسلمين أن ينفذ سراً، ويتأكد هذا إن كان يترتب على تنفيذه بغير هذه الصورة السرية فتنة أو خطر قد يكلف المسلمين ثمناً باهظاً⁽¹⁾. وقد بينت هذه الصورة على أن مواجهة الكفار أعداء الإسلام ومحاربي الدولة الإسلامية لا تقتصر على مواجهتهم في ميدان المعارك، وإنما تتعدى ذلك إلى كل عمل تحصل به النكاية بالأعداء، ما لم يكن إثماً، وقد يوفر القضاء على رجل له دوره البارز في حرب المسلمين جهوداً كبيرة وخسائر فادحة يتكبدها المسلمون.

وهذا مشروط بالأمن من الفتنة، وذلك بأن يكون للمسلمين شوكة، وقوة ودولة، بحيث لا يترتب على نوعية هذا العمل فتك بالمسلمين، واجتثاث الدعاة من بلدانهم، وإفساد في مجتمعاتهم⁽²⁾. وقد أخطأ بعض المسلمين في العالم الإسلامي، وتعجل الصدام المسلح واستدلوا على ما ذهبوا إليه بمثل هذه الحادثة ولا حجة لهم فيها؛ لأن ذلك كان بالمدينة وللمسلمين شوكة ودولة، أما هم فليس لهم دولة ولا شوكة، ثم كان ذلك إغزازاً للدين وإرهاباً للكافرين، وكانت كلها مصالح لا مفسدة معها، أما ما يحدث في فترات الاستضعاف من هذه الحوادث فإنها يعقبها من

(1) انظر: الصراع مع اليهود لأبي فارس، (115/1).

(2) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (54/5).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

النشر والفساد واستباحة دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم ما لا يخفى على بصير⁽¹⁾.

إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقم بمحاولة تصفية لأي أحد من المشركين في مكة مع القدرة على قتل زعماء الشرك كأبي جهل، وأمّية بن خلف، وعتبة، ولو أشار إلى حمزة أو عمر بذلك أو غيرهما من الصحابة، لقاموا بتنفيذ ذلك، ولكن الهدي النبوي الكريم يعلمنا أن فقه قتل زعماء الكفر يحتاج إلى شوكة وقوة، كما أن هذا الفقه يحتاج إلى فتوى صحيحة من أهلها، واستيعاب فقه المصالح والمفاسد، وهذا يحتاج إلى علماء راسخين، حيث تتشابك المصالح في عصرنا، وحيث للرأي العام دوره الكبير في قرارات الدول، وحيث احتمالات توسع الأضرار⁽²⁾.

* نلاحظ قيمة الكلمة عند الصحابة رضي الله عنهم في موقف محمد بن مسلمة رضي الله عنه بعد أن أعطى كلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يتعهد فيها بقتل اليهودي ابن الأشرف، ثم إبطاؤه في ذلك، أعيته الحيلة بقيام صعوبات في سبيل تحقيق ما وعد، حيث امتنع عن الطعام والشراب وأصابه الغم والحزن؛ لأنه قال قولاً يخشى أن لا يستطيع الوفاء به، ونلاحظ في مجتمعاتنا المعاصرة أن كثيراً من الناس يعطون عهوداً ومواثيق ولا يقدرّون قيمتها ويخفرون ذمتهم ويتراجعون عن عهودهم ومواثيقهم وتبقى حبراً على ورق، فهؤلاء ليسوا أصحاب مبادئ ومواقف يبتغي بها وجه الله، بل هم أصحاب مصالح ومنافع يخشى عليهم أن يعبدوها من دون الله.

إن أصحاب الدعوات يؤثرون أن تندق أعناقهم وأن تضوى أجسامهم وتزهق أرواحهم على أن يتراجعوا عن كلماتهم وعهودهم ومواثيقهم، يستعذبون الموت والعذاب في سبيل عقائدهم وإسلامهم⁽³⁾.

* في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما عليك الجهد»⁽⁴⁾ فيه توجيه نبوي كريم أن النصر لا يأتي إلا بعد بذل الجهد والصبر عند الابتلاء، قال تعالى: (تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا

(1) انظر: وقفات تربوية مع السيرة النبوية، ص 205.

(2) انظر: الأساس في السنة وفقهها السيرة النبوية (537/2).

(3) انظر: الصراع مع اليهود (119/1). (4) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (61/3).

إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (هود: 49]. وعلى

المسلم أن يفرغ كل ما في وسعه من جهد فكري وطاقة جسمية في سبيل تحقيق ما وعد، ثم يتوكل على الله بعد ذلك في النتائج⁽¹⁾.

* وفي قوله صلى الله عليه وسلم: «قولوا ما بدا لكم»⁽²⁾ فقه نبوي كريم، فقد قالوا كلاماً هو في الأحوال العادية كفر، ومن هنا تعرف أنه من أجل تحقيق المهام العسكرية فلا حدود، للكلام الذي يقال، ولكن تأتي هنا مسألة أخرى وهي ما إذا كان النجاح في المهام العسكرية يقتضي أفعالا لا تجوز أو يقتضي ترك فرائض، فما العمل؟ المعروف أنه ليس هناك من الذنوب أعظم من الكفر والشرك، فإذا جاز التظاهر بالكفر لذلك فمن باب أولى جواز غيره، على أن يتأكد طريقاً للوصول إلى الهدف أو يغلب الظن على ذلك، وعلى أن يقتصر فيه على الحد الذي لا بد منه، سواء كانت الوسيلة تأخير فريضة أو ارتكاب محظور، على أن هذا وهذا مقيدان بالفتوى، فهناك محظورات لا يصح فعلها بحال كالزنا واللواط⁽³⁾.

* هناك بعض القضايا تحتاج لأهل الفتوى المؤهلين لأن يفتوا فيها، خصوصاً في الظروف الاستثنائية والحالات الاضطرارية، وفي المحاكمات السياسية والعسكرية لأنها تحتاج إلى الموازنات والفتاوى الاستثنائية التي لا يستطيعها كل إنسان، فالأحكام الأصلية ليست مجهولة، وإنما الأحكام الاستثنائية التي تقتضيها الظروف الاستثنائية تحتاج إلى علماء ربانيين، وفقهاء راسخين لهم القدرة على فهم مقاصد الشريعة، وواقعهم الذي يعيشون فيه⁽⁴⁾.

* وفي قوله صلى الله عليه وسلم: «قولوا ما بدا لكم» فقه عظيم يوضحه قوله صلى الله عليه وسلم: «الحرب خدعة»⁽⁵⁾.

(1) انظر: الصراع مع اليهود (120/1).

(6) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (61/3).

(3) انظر: الأساس في السنة وفقهها السيرة النبوية (538، 537/2).

(3) صحيح مسلم رقم 1740، ص 1362.

(4) نفس المصدر (538، 537/2).

* قوله صلى الله عليه وسلم: «انطلقوا على اسم الله، اللهم أعنهم»⁽¹⁾ كان لهذا التذكير

بالإخلاص في الجهاد، انطلقوا على اسم الله والدعاء لهم بالتوفيق والعون، كل ذلك كان حافزاً على الثبات ورافعاً للمعنويات، فلم يعبأوا بقوة ابن الأشرف ومن حوله من الناس؛ لأنهم استشعروا معية الله لهم ودعاء الرسول صلى الله عليه وسلم ربه بإعانتهم وتحقيق مسعاهم، ونلاحظ في الهدي النبوي الأخذ بكل الأسباب المادية، والتخطيط السديد، ولا ينسى جانب الدعاء النبوي الكريم، فإنهم لم يغفلوا الأسباب الموصلة بهم إلى نجاح مقصودهم؛ لأن المسلم مأمور بالجمع بين التوكل على الله تعالى والأخذ بالأسباب التي شرعها الله سبحانه⁽²⁾. ولذلك كانت خطة محمد بن مسلمة مع إخوانه محكمة وأتقنوا فقه سنة الأخذ بالأسباب، فقد كانت الأسباب التي ساعدت على نجاح الخطة كالتالي:

- أن أبا نائلة كان أخاه من الرضاعة وهو يطمئن إليه ولا يتوجس منه خيفة.
- وفي بعض الروايات طمأن أبو نائلة كعب بن الأشرف، وأدخل الأنس إلى قلبه بمناشدته في الشعر قبل أن يحدثه عن حاجته.
- ولم يحدثه عن حاجته إلى كعب حتى أخرج كعب الذي عنده كان من سبل التوفيق، ولو بقي أولئك النفر لربما قد كشفوا حقيقة الأمر، وحذروا كعباً من عاقبته، فحديثهم معه على انفراد كان في غاية التوفيق.
- تظاهروا بالنيل والتبرم والتظلم من الرسول صلى الله عليه وسلم طمأن كعب بن الأشرف.
- فكرة رهن السلاح كانت في غاية التوفيق حتى يكون اصطحابهم للسلاح غير مربب، ولا يبعث على الريبة ذلك، لأنهم أحضروا ما سيرهنونه إلى كعب، وفي نفس الوقت يستطيعون أن يستخدموا هذا السلاح في أي وقت التقوا به.

(5) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (56/5).

(1) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (61/3).

- أخذ الموعد من كعب بن الأشرف كان إحكاماً في الخطة بحيث يتسنى لهم في أي وقت من الليل أن يأتوه ويطلقوا عليه الباب دون أن يشك فيهم وفي نيتهم.

- اطمئنان ابن الأشرف إلى أبي نائلة ومحمد بن مسلمة جعله يخرج في وقت لا يخرج فيه الإنسان من بيته عادة تحسباً لقتال عدو على حين غرة وغفلة⁽¹⁾.

- إن خطة إبعاد ابن الأشرف عن بيته إلى مكان يخلو به دون رقيب أو نصير كانت موفقة.

- استدراج أبي نائلة لابن الأشرف وشمه طيب رأسه وإمساكه بشعره ليشمه كان موفقاً وتقدمة ليمسك بهذا الرأس الخبيث ويتمكن منه لتكون الفرصة سانحة لتنفيذ حكم الله في هذا اليهودي اللعين⁽²⁾.

- وتظهر قدرة الصحابة الفائقة على الحفاظ على السرية، وذلك من كتمان هذه الخطة مع كثرة من في المدينة من اليهود والمنافقين، ومع تأخر تنفيذها، وكون النبي صلى الله عليه وسلم عرض هذا الأمر في مشهد من الصحابة وجرت فيه مشورة، وهذا دليل على قوة إيمان هؤلاء الصحابة وإخلاصهم لدينهم⁽³⁾.

وقام هؤلاء المغاوير بتنفيذ أدوار الخطة المحكمة التي اتفقوا عليها وأدركوا مقصودهم الأسمى، ورسول الله صلى الله عليه وسلم معهم بإحساسه الكبير ومشاعره الفياضة، فقد كانوا يقومون بتنفيذ العملية بعقولهم وأجسامهم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتولى قيادتهم العليا بالاتصال بالله تعالى ودعائه لهم بالنصر والإعانة⁽⁴⁾.

3- أثر مقتل اليهودي ابن الأشرف على اليهود: انتشر خبر مقتل ابن الأشرف في المدينة،

(1، 2) انظر: الصراع مع اليهود (122/1).

(3) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (56/5). (4) نفس المصدر (57/5).

فأسرع أحبار اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتكون ويحتجون على ما فعله أصحابه، فلم يحفل النبي صلى الله عليه وسلم بهم، بل أكد مقتله الذي كان نتيجة حتمية لموقفه المعادي، وقد أوقعت هذه الحادثة الرعب في نفوس اليهود جميعهم، فلم يعد أحد من عظمائهم يجروء على الخروج من حصنه، كما لم يعد أحد يهود المدينة إلا ويخاف على نفسه من المسلمين⁽¹⁾. واضطر اليهود لتجديد المعاهدة، وكان لمقتل كعب بن الأشرف أثر عميق في نفوسهم، فمضوا يكيدون للإسلام، كما سيتبين من الأحداث، ومن الجدير بالذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يؤاخذ بني النضير بجريرة كعب بن الأشرف، واكتفى بقتله جزاء غدره وجدد المعاهدة معهم⁽²⁾. ومن الفقه النبوي في معاملة اليهود، نستفيد أن العلاج الأمثل لليهود هو زجرهم وقتل أهل الفتن فيهم ومطاردتهم؛ لأنهم أهل شرور لا يتخلصون منها ولا يتوقفون عنها⁽³⁾.

رابعاً: بعض المناسبات الاجتماعية:

أ- زواج النبي صلى الله عليه وسلم بحفصة بنت عمر: قال عمر رضي الله عنه: حين تأيمت⁽⁴⁾ حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السهمي، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوفي في المدينة، فقال عمر: أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة بنت عمر، فقال: سأنظر في أمري، فلبثت ليالي، ثم لقيني فقال: قد بدا لي ألا أتزوج يومي هذا. قال عمر: فلقيت أبا بكر الصديق، فقلت: إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكر الصديق رضي الله عنه فلم يرجع إلي شيئاً، فكنيت عليه أوجد مني على عثمان. فلبثت ليالي ثم خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنكحها إياه، فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت عليّ حين عرضت علي حفصة فلم أرجع إليك شيئاً؟ قال عمر: نعم، قال: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت عليّ،

(1) انظر: التاريخ السياسي والعسكري، ص188. (2) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (304/1).

(3) انظر: الصراع مع اليهود (126/1). (4) تأيمت: مات عنها زوجها.

إلا أنني كنت علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكرها، فلم أكن لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو تركها رسول الله قبلتها⁽¹⁾.

ب- زواج علي رضي الله عنه بفاطمة رضي الله عنها: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: خُطبت فاطمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت مولاة لي: هل علمت أن فاطمة قد خطبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلت: لا، قالت: فقد خطبت، فما يمنعك أن تأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيزوجك، فقلت: وعندي شيء أتزوج به؟ فقالت: إنك إن جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجك.

قال: فوالله ما زالت ترجيني حتى دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما أن قعدت بين يديه أفحمت، فوالله ما استطعت أن أتكلم جلالة وهيبه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما جاء بك؟ ألك حاجة؟» فسكت، فقال: «لعلك جئت تخطف فاطمة؟». فقلت: نعم. فقال: «وهل عندك من شيء تستحلها به؟». فقلت: لا والله يا رسول الله. فقال: «ما فعلت درع سلحتكها؟ فوالذي نفس علي بيده إنها لخطمية ما قيمتها أربعة دراهم». فقلت: عندي. فقال: «قد زوجتكها فابعث إليها بها فاستحلها بها» فإنها كانت لصداق فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم⁽²⁾، وقد جهز رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة في خميل⁽³⁾ وقربة ووسادة آدم⁽⁴⁾ حشوها إنخر⁽⁵⁾⁽⁶⁾.

وهكذا كانت حياتهم في غاية البساطة بعيدة عن التعقيد وهي إلى شطف العيش أقرب منها إلى رغده⁽⁷⁾. وهذه القصة تصور لنا حال السيدة فاطمة من التعب وموقف رسول الله صلى الله عليه وسلم منها عندما طلبت منه أن يعطيها خادماً من السبي، فقد جاء في مسند الإمام أحمد:

(1) البخاري، كتاب النكاح، رقم 5122.

(2) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (160/3) إسناده حسن.

(3) خميل: القطيفة.

(3) الأدم: الجلد.

(5) إنخر: نبات له رائحة عطرة.

(5) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 267.

(7) سنوات: استقيت.

(7) انظر: معين السيرة، ص 255.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

(قال علي لفاطمة ذات يوم: والله لقد سنوت⁽¹⁾ حتى لقد اشتكيت صدري، قال: وجاء الله أباك بسبي فاذهبي فاستخدميه⁽²⁾، فقالت: أنا والله قد طحنت حتى مجلت يدي⁽³⁾. فأنت النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «ما جاء بك أي بنية؟» قالت: جنت لأسلم عليك واستحيت أن تسأله ورجعت، فقال: ما فعلت؟ قال: استحيت أن أسأله، فأتينا جميعاً، فقال علي: يا رسول الله والله لقد سنوت حتى اشتكيت صدري، وقالت فاطمة: قد طحنت حتى مجلت يداي وقد جاءك الله بسبي وسعة فأخذنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفة تطوى⁽⁴⁾ بطونهم، لا أجد ما أنفق عليهم، ولكني أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم» فرجعا فأتاهما النبي صلى الله عليه وسلم وقد دخلا في قطيفتهما إذا غطت رؤوسهما تكشفتهما أقدامهما، وإذا غطيا أقدامهما تكشفت رؤوسهما، فثارا، فقال: «مكانكما» ثم قال: «ألا أخبركما بخير مما سألتانِي؟» قالا: بلى، فقال: «كلمات علمنيهن جبريل عليه السلام» فقال: «تسبحان في دبر كل صلاة عشراً، وتحمدان عشراً، وتكبران عشراً، وإذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثاً وثلاثين واحمداً ثلاثاً وثلاثين وكبراً أربعاً وثلاثين»⁽⁵⁾.

وهكذا كان الهدي النبوي في تربية أهل بيته وأقربانه، لقد أخفقت مساعي السيدة فاطمة وعلي رضي الله عنهما للحصول على خادم؛ لأن السبي يريد عليه الصلاة والسلام أن يبيعه، وينفق ثمنه على أهل الصفة الذي يتلون من الجوع، فهم أيضاً من خاصة رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل علي وفاطمة، والطعام مقدم على الخدمة⁽⁶⁾. ولقد تأثر علي رضي الله عنه بهذه التربية النبوية، ويمر الزمن بالفتى علي فيصبح خليفة المسلمين، فإذا به من آثار هذه التربية يترفع عن الدنيا وزخارفها، ويبيده كنوز الأرض وخيراتها؛ لأن ذكر الله يملأ قلبه ويغمر وجوده،

(2) أي أسأليه خادماً.

(9) مجلت يدي: ثخن جلدها وتعجز.

(4) تطوى: طوى من الجوع فهو طار خالي البطن جائع لم يأكل.

(5) انظر: الفتح الرباني (260/17) رقم 90.

(6) انظر: التربية القيادية (100/3).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

ولقد حافظ على وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم له وقد حدثنا عن ذلك فقال: فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن، فسأله أحد الصحابة ولا ليلة صفين فقال: ولا ليلة صفين⁽¹⁾، وكان كما وصفه ضرار بن ضمرة في مجلس معاوية: (.... يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس بالليل وظلمته، كان والله غزير العبرة، طويل الفكرة، يقلب كفه، ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما جشب...) (2).

* * *

(1) انظر: الإصابة في تميز الصحابة (159/8).

(2) انظر: صفة الصفوة لابن الجوزي (84/1).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

الفصل التاسع

غزوة أحد

المبحث الأول

أحداث ما قبل المعركة

أولاً: أسباب الغزوة:

كانت أسباب غزوة أحد متعددة منها: الديني، والاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي.

1- السبب الديني: فقد أخبر المولى عز وجل أن المشركين ينفقون أموالهم في الصد عن سبيل الله، وإقامة العقبات أمام الدعوة الإسلامية، ومنع الناس في الدخول في الإسلام، والسعي للقضاء على الإسلام والمسلمين ودولتهم الناشئة، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ) [الأنفال: 36].

قال الطبري: يصرفون أموالهم وينفقونها، ليمنعوا الناس عن الدخول في الإسلام⁽¹⁾.

وقال ابن كثير: أخبر تعالى أن الكفار ينفقون أموالهم ليمنعوا عن اتباع الحق⁽²⁾.

وقال الشوكاني: والمعنى أن غرض هؤلاء الكفار في إنفاق أموالهم هو الصد عن سبيل الحق بمحاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجمع الجيوش لذلك⁽³⁾.

من هذا يظهر أن أهم أسباب غزوة أحد هو السبب الديني الذي كان من أهداف قريش للصد عن سبيل الله، واتباع طريق الحق، ومنع الناس من الدخول في الإسلام، ومحاربة الرسول صلى

(1) انظر: غزوة أحد دراسة دعوية، محمد بامدحج، ص71.

(2) انظر: تفسير ابن كثير (341/2) طبعة دار السلام.

(3) انظر: فتح القدير (309).

(4) انظر: غزوة أحد دراسة دعوية، ص71.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

2- السبب الاجتماعي: كان للهزيمة الكبيرة في بدر، وقتل السادة والأشراف من قريش وقع كبير من الخزي والعار الذي يحل بهم، وجعلهم يشعرون بالمدلة والهزيمة، ولذلك بذلوا قصارى جهدهم في غسل هذه الذلة والمهانة التي لصقت بهم، ولذلك شرعوا في جمع المال لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فور عودتهم من بدر، قال ابن إسحاق: (لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القلب، ورجع فلهم إلى مكة، ورجع أبو سفيان بغيرهم فأوقفها بدار الندوة، وكذلك كانوا يصنعون، فلم يحركها ولا فرقها، فطابت أنفس أشرافهم أن يجهزوا منها جيشا لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمشى عبد الله بن ربيعة، وعكرمة بن أبي جهل، والحارث بن هشام، وحويطب بن عبد العزى، وصفوان بن أمية في رجال ممن أصيب آبائهم وأبنائهم وإخوانهم يوم بدر، فكلّموا أبا سفيان ومن كانت له في تلك العير تجارة من قريش، فقالوا: إن محمداً قد وتركم، وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه، لعننا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منها، فقال أبو سفيان: أنا أول من أجاب إلى ذلك(2).

ودعا جبير بن مطعم غلاماً له حبشياً يقال له: وحشي يقذف بحربة له قذف الحبشة فلما يخطئ لها فقال: اخرج مع الناس فإن أنت قتلت حمزة عم محمد بعمي طعيمة بن عدي، فأنت عتيق(3).

3- السبب الاقتصادي: كانت حركة السرايا التي تقوم بها الدولة الإسلامية قد أثرت على اقتصاد قريش وفرضت عليهم حصاراً اقتصادياً قوياً، وكان الاقتصاد المكي قائماً على رحلتي الشتاء والصيف، رحلة الشتاء إلى اليمن وتحمل إليها بضائع الشام ومحاصيلها، ورحلة الصيف إلى الشام تحمل إليها محاصيل اليمن وبضائعها، وقطع أحد جناحي هاتين الرحلتين ضرب للجناح الآخر، لأن تجارتهم إلى الشام قائمة على سلع اليمن، وتجارتهم إلى اليمن قائمة على سلع

(2) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (68/3).

(2) المصدر نفسه (79/3).

الشام⁽¹⁾، قال تعالى: (لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ □ إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ □ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) [قريش].

ويشير إلى هذا قول صفوان بن أمية: (إن محمداً وأصحابه قد عوزوا علينا متاجرنا، فما ندري كيف نصنع بأصحابه، وهم لا يبرحون الساحل، قد وادعهم⁽²⁾، ودخل عامتهم معه، فما ندري أين نسلك، وإن أقمنا نأكل رؤوس أموالنا ونحن في ديارنا هذه، ما لنا بها بقاء، وإنما نزلناها على التجارة إلى الشام في الصيف وفي الشتاء إلى الحبشة⁽³⁾).

4- السبب السياسي: فقد أخذت سيادة قريش في الانهيار بعد غزوة بدر، وتزعزع مركزها بين القبائل بوصفها زعيمة لها، فلا بد من رد الاعتبار والحفاظ على زعامتها مهما كلفها الأمر من جهود ومال وتضحيات.

هذه أهم الأسباب التي جعلت قريش تبادر إلى المواجهة العسكرية ضد الدولة الإسلامية بالمدينة⁽⁴⁾.

ثانياً: خروج قريش من مكة إلى المدينة:

استكملت قريش قواها في يوم السبت لسبع خلون من شوال من السنة الثالثة من الهجرة⁽⁵⁾، وعبأت جيشها المكون من ثلاثة آلاف مقاتل مصحبين معهم النساء والعبيد، ومن تبعها من القبائل العربية المجاورة، فخرجت قريش بحدها وحديدها وأحابيشها⁽⁶⁾ ومن تبعها من كنانة وأهل تهامة. وخرجوا بالظعن⁽⁷⁾، التماس الحفيظة لنلا يفروا.

(1) انظر: غزوة أحد دراسة دعوية، ص74.

(2) وادعهم: أي صالحهم وسالمهم.

(4) انظر: غزوة أحد دراسة دعوية، ص75.

(5) البداية والنهاية (11/4) المغازي للواقدي، (199/1).

(6) الأحابيش: من اجتمع إلى العرب وانضم إليهم.

(7) الظعن: النساء، واحدها ظعينة، والظعينة المرأة في الهودج.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

فخرج أبو سفيان، وهو قائد الناس بهند بنت عتبة بن ربيعة⁽¹⁾، وخرج صفوان بن أمية بن خلف ببرزة بنت مسعود الثقفية، وخرج عكرمة بن أبي جهل بأم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة، وخرج الحارث بن هشام بن المغيرة بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة⁽²⁾.. فأقبلوا حتى نزلوا ببطن السبخة من قناة، على شفير الوادي مما يلي المدينة⁽³⁾.

كانت التعبئة القرشية قد سبقتها حملة إعلامية ضخمة تولى كبرها أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي، وعمرو بن العاص، وهبيرة المخزومي، وابن الزبعرى وقد حققت نتائج كبيرة⁽⁴⁾، وبلغت النفقات الحربية لجيش قريش خمسين ألف دينار ذهباً⁽⁵⁾.

ثالثاً: الاستخبارات النبوية تتابع حركة العدو:

كان العباس بن عبد المطلب يرقب حركات قريش واستعداداتها العسكرية، فلما تحرك هذا الجيش بعث العباس رسالة مستعجلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ضمنها جميع تفاصيل الجيش، وأسرع رسول العباس بإبلاغ الرسالة وجد في السير، حتى إنه قطع الطريق بين مكة والمدينة، التي تبلغ مساحتها خمسمائة كيلومتر، في ثلاثة أيام وسلم الرسالة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مسجد قباء⁽⁶⁾.

كان النبي صلى الله عليه وسلم يتابع أخبار قريش بدقة بواسطة عمه العباس، قال ابن عبد البر: (وكان رضي الله عنه يكتب بأخبار المشركين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان المسلمون يتقوون به بمكة، وكان يحب أن يقدم على رسول الله فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن مقامك في مكة خير)⁽⁷⁾.

(1) انظر: الإصابة (346/8) رقم 11860. (5) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (70/3).

(3) انظر: غزوة أحد دراسة دعوية، ص 78.

(4) انظر: غزوة أحد لأبي فارس، ص 17.

(5) المصدر نفسه، ص 16.

(6) انظر: الرحيق المختوم للمباركفوري، ص 250.

(7) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (812/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

كانت المعلومات التي قدمها العباس لرسول الله صلى الله عليه وسلم دقيقة فقد جاء في رسالته: (أن قريشاً قد أجمعت المسير إليك، فما كنت صانعاً إذا حلوا بك فاصنعه، وقد توجهوا إليك وهم ثلاثة آلاف وقادوا مائتي فرس وفيهم سبعمائة دارع وثلاثة آلاف بعير، وأوعبوا⁽¹⁾ من السلاح)⁽²⁾.

فقد احتوت هذه الرسالة على أمور مهمة منها:

1- معلومات مؤكدة عن تحرك قوات المشركين نحو المدينة.

2- حجم الجيش وقدراته القتالية، وهذا يعين على وضع خطة تواجه هذه القوات الزاحفة.

لم يكتف النبي صلى الله عليه وسلم بمعلومات المخابرات المكية، بل حرص على أن تكون معلوماته عن هذا العدو متجددة مع تلاحق الزمن، وفي هذا إرشاد لقادة المسلمين بأهمية متابعة الأخبار التي يتولد عنها وضع خطط وإستراتيجيات نافعة، ولذلك أرسل صلى الله عليه وسلم الحباب بن المنذر بن الجموح إلى قريش يستطلع الخبر، فدخل بين جيش مكة وحزر عدده وعدده ورجع، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما رأيت؟» قال: رأيت أي رسول الله عدداً، حزرتهم ثلاثة آلاف يزيدون قليلاً أو ينقصون قليلاً، والخيول مائتي فرس، ورأيت دروعاً ظاهرة حزرتها سبعمائة درع، قال: «هل رأيت ظعنًا؟» قال: رأيت النساء معهن الدفاف والأكابر⁽³⁾... فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أردن أن يحرضن القوم ويذكرونهم قتلى بدر، هكذا جاءني خبرهم لا تذكر من شأنهم حرقاً، حسبنا الله ونعم الوكيل، اللهم بك أجول وبك أصول»⁽⁴⁾.

كما أرسل صلى الله عليه وسلم أنساً ومؤنساً ابني فضالة يتنصتان أخبار قريش، فألفياها قد قاربت المدينة، وأرسلت خيلها وإبلها ترعى زروع يثرب المحيطة بها، وعادا فأخبراه بخبر

(1) أوعبوا: خرجوا بجميع ما عندهم من السلاح. (2) انظر: مغازي الواقدي (204/1).

(3) الأكابر: جمع كبير: والكبر هو: الطبل الذي له وجه واحد وهو فارسي معرب.

(4) انظر: مغازي الواقدي (207/1، 208). (5) انظر: السيرة النبوية لأبي شعبة (187/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وبعد أن تأكد من المعلومات حرص **صلى الله عليه وسلم** على حصر تلك المعلومات على المستوى القيادي، خوفاً من أن يؤثر هذا الخبر على معنويات المسلمين قبل إعداد العدة، ولذلك حين قرأ أبي بن كعب رسالة العباس أمره **صلى الله عليه وسلم** بكتمان الأمر، وعاد مسرعاً إلى المدينة، وتبادل الرأي مع قادة المهاجرين والأنصار في كيفية مواجهة الموقف، وكان **صلى الله عليه وسلم** قد أطلع سيد الأنصار سعد بن الربيع على خبر رسالة العباس فقال: والله إنني لأرجو أن يكون خيراً، فاستكتمه إياه، فلما خرج رسول الله **صلى الله عليه وسلم** من عند سعد، قالت له امرأته: ما قال لك رسول الله؟ فقال لها: لا أم لك، أنت وذاك، فقالت: قد سمعت ما قال لك، فأخبرته بما أسر به الرسول **صلى الله عليه وسلم** فاسترجع سعد، وقال: يا رسول الله، إنني خفت أن يفشو الخبر فترى أنني أنا المفشي له وقد استكتمتني إياه، فقال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: «خلَّ عنها»⁽²⁾.

وفي هذه الحادثة درس بالغ للعسكريين وتحذيرهم من إطلاع زوجاتهم على أسرارهم العسكرية، وخططهم وأوامرهم، وينبغي الحذر من إفشاء مثل هذه الأسرار لأن إفشاءها يهدد الأمة ومستقبلها بكارثة كبرى.

إن تاريخ الأمم والشعوب في القديم والحديث يحدثنا أن كثيراً من الهزائم والمآسي والآلام قد حلت بكثير من الأمم نتيجة لتسرب أسرار الجيوش إلى أعدائها عن طريق زوجة خائنة، أو خائن في ثوب صديق، أو قريب في الظاهر عدو في الحقيقة والواقع⁽³⁾.

رابعاً: مشاورته صلى الله عليه وسلم لأصحابه:

بعد أن جمع **صلى الله عليه وسلم** المعلومات الكاملة عن جيش كفار قريش جمع أصحابه

(2) انظر: السيرة الحلبية (489/2).

(2) انظر: غزوة أحد لأبي فارس، ص22.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

رضي الله عنهم وشاورهم في البقاء في المدينة والتحصن فيها أو الخروج لملاقاة المشركين، وكان رأي النبي صلى الله عليه وسلم البقاء في المدينة، وقال: «إنا في جنة حصينة»⁽¹⁾ فإن رأيتم أن تقيموا وتدعوهم حيث نزلوا، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام، وإن دخلوا علينا قاتلناهم فيها، وكان رأي عبد الله بن أبي ابن سلول⁽²⁾ مع رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن رجالاً من المسلمين ممن كان فاته بدر قالوا: يا رسول الله، اخرج بنا إلى أعدائنا.

قال ابن كثير: (وأبى كثير من الناس إلا الخروج إلى العدو ولم يتناهوا إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأيه، ولو رضوا بالذي أمرهم كان ذلك، ولكن غلب القضاء والقدر، وعامة من أشار عليه بالخروج رجال لم يشهدوا بدرًا، قد علموا الذي سبق لأهل بدر من الفضيلة)⁽³⁾.

وقال ابن إسحاق: فلم يزل الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان من أمرهم حب لقاء القوم، حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته، فلبس لأمته⁽⁴⁾، فتلاوم القوم فقالوا: عرض نبي الله صلى الله عليه وسلم بأمر وعرضتم بغيره، فاذهب يا حمزة فقل لنبي الله صلى الله عليه وسلم: (أمرنا لأمرك تبع) فأتى حمزة فقال له: (يا نبي الله إن القوم تلاوموا، فقالوا: أمرنا لأمرك تبع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنه ليس لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل»⁽⁵⁾).

كان رأي من يرى الخروج إلى خارج المدينة مبنياً على أمور منها:

1- أن الأنصار قد تعاهدوا في بيعة العقبة الثانية على نصرته الرسول صلى الله عليه وسلم، فكان أغلبهم يرى أن المكوث داخل المدينة تقاعس عن الوفاء بهذا العهد.

(1) انظر: تاريخ الطبري، (60/2).

(4) انظر: غزوة أحد دراسة دعوية، ص 82.

(3) انظر: البداية والنهاية (14/4).

(6) لأمة الحرب: عدتها.

(5) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (71/3).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

2- أن الأقلية من المهاجرين كانت ترى أنها أحق من الانتصار في الدفاع عن المدينة

ومهاجمة قريش وصدها عن زروع الانتصار.

3- أن الذين فاتهم غزوة بدر كانوا يتحرقون شوقاً من أجل ملاقات الأعداء طمعاً في حصول

الشهادة في سبيل الله.

4- أن الأكثرين كانوا يرون أن في محاصرة قريش للمدينة ظفراً يجب ألا تحلم به، كما توقعوا أن

وقت الحصار سيطول أمده، فيصبح المسلمون مهددين بقطع المؤن عنهم⁽¹⁾.

أما من وجهة نظر من يرى البقاء في المدينة فهو مبني على التخطيط الحربي الآتي:

1- أن جيش مكة لم يكن موحد العناصر، وبذلك يستحيل على هذا الجيش البقاء زمناً طويلاً

إذ لا بد من ظهور الخلاف بينهم إن عاجلاً أو آجلاً.

2- أن مهاجمة المدن المصممة على الدفاع عن حياضها وقلاعها وبيضتها أمر بعيد المنال،

وخصوصاً إذا تشابه السلاح عند كلا الجيشين، وقد كان يوم أحد متشابهاً.

3- أن المدافعين إذا كانوا بين أهلهم فإنهم يستبسلون في الدفاع عن أبنائهم وحماية نسائهم

وبنائهم وأعراضهم.

4- مشاركة النساء والأبناء في القتال وبذلك يتضاعف عدد المقاتلين.

5- استخدام المدافعين أسلحة لها أثر في صفوف الأعداء مثل الأحجار، وغيرها، وتكون

إصابة المهاجمين في متناولهم⁽²⁾.

من الواضح أن الرسول صلى الله عليه وسلم عوّد أصحابه على التصريح بآرائهم عند

مشارورته لهم حتى ولو خالفت رأيه، فهو إنما يشاورهم فيما لا نص فيه تعويداً لهم على التفكير

في الأمور العامة ومعالجة مشاكل الأمة، فلا فائدة من المشورة إذا لم تقترن بحرية إبداء الرأي،

(1) انظر: غزوة أحد، أحمد عز الدين، ص51، 52.

(2) انظر: القيادة العسكرية للرشد، ص374.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

ولم يحدث أن لام الرسول صلى الله عليه وسلم أحداً؛ لأنه أخطأ في اجتهاده ولم يوفق في رأيه، وكذلك فإن الأخذ بالشورى ملزم للإمام، فلا بد أن يطبق الرسول صلى الله عليه وسلم التوجيه القرآني: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) [آل عمران: 159]، لتعتاد على ممارسة الشورى وهنا يظهر الوعي السياسي عند الصحابة رضوان الله عليهم، فرغم أن لهم إبداء الرأي، فإنه ليس لهم فرضه على القائد، فحسبهم أن يبينوا رأيهم ويتركوا للقائد حرية اختيار ما يترجح لديه من الآراء، فلما رأوا أنهم أحوأ في الخروج وأن الرسول صلى الله عليه وسلم عزم على الخروج بسبب إلحاحهم، عادوا فاعتذروا إليه، لكن الرسول الكريم علمهم درساً آخر هو من صفات القيادة الناجحة وهو عدم التردد بعد العزيمة والشروع في التنفيذ، فإن ذلك يزعزع الثقة بها ويغرس الفوضى بين الأتباع⁽¹⁾.

كان النبي صلى الله عليه وسلم قد عزم على الخروج وقد أعلن حالة الطوارئ العامة وتجهز الجميع للقتال، وأمضوا ليلتهم في حذر، كلٌ يصحب سلاحه ولا يفارقه، حتى عند نومه، وأمر صلى الله عليه وسلم بحراسة المدينة، واختار خمسين من أشداء المسلمين ومحاربيهم بقيادة محمد بن مسلمة رضي الله عنه. واهتم الصحابة بحراسة رسول الله، فبات سعد بن معاذ وأسيد بن الحضير وسعد بن عباد في عدة من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ليلة الجمعة مدججين بالسلاح في باب المسجد يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم⁽²⁾.

خامساً: خروج جيش المسلمين إلى أحد:

أ- من الأسباب المهمة التي اتخذها صلى الله عليه وسلم لملاقاة أعدائه اختياره لوقت التحرك والطريق التي تناسب خطته، فقد تحرك بعد منتصف الليل، حيث يكون الجو هادئاً، والحركة قليلة، وفي هذا الوقت بالذات يكون الأعداء، غالباً، في نوم عميق لأن الإعياء ومشقة السفر قد أخذوا

(1) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (380/2).

(2) انظر: غزوة أحد، لأبي فارس ص34، 35.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

ومن المعروف أن من نام بعد تعب يكون ثقيل النوم، فلا يشعر بالأصوات العالية والحركة الثقيلة، قال الواقدي رحمه الله: ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدلج، فلما كان في السحر قال: «أين الأدلاء؟»⁽¹⁾ ثم إنه صلى الله عليه وسلم اختار الطريق المناسب الذي يسلكه حتى يصل إلى أرض المعركة، وذكر صفة ينبغي أن تتوافر في هذا الطريق وهي السرية، حتى لا يرى الأعداء جيش المسلمين، فقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «من رجل يخرج بنا على القوم من طريق لا يمر بنا عليهم؟» فأبدى أبو خيثمة رضي الله عنه استعداداه قائلاً: أنا يا رسول الله، فنفذ به في حرة بني حارثة وبين أموالهم، حتى سلك به في مال لربيعي بن قبيظي، وفي رواية ابن هشام: لمربع بن قبيظي وكان رجلاً منافقاً ضرير البصر، فلما أحس برسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين، قام يحثو في وجوههم التراب، وهو يقول: إن كنت رسول الله فلا أحل لك أن تدخل حائطي، وقد ذكر أنه أخذ حفنة من تراب بيده، ثم قال: والله لو أعلم أنني لا أصيب بها غيرك يا محمد، لضربت بها وجهك، فابتدره القوم ليقتلوه، فقال لهم: لا تقتلوه، فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر، وقد بدر إليه سعد بن زيد أخو بني الأشهل⁽²⁾ قبل نهي رسول الله عنه، فضربه بالقوس في رأسه فشجه⁽³⁾.

ولا شك في أن مروره صلى الله عليه وسلم بين الأشجار والبساتين يدلنا على حرصه صلى الله عليه وسلم على الأخذ بالاحتياطات الأمنية المناسبة في أثناء السير؛ لأن الطرق العامة تكشف للأعداء على مقدار قوات المسلمين، وهذا أمر محذور، فالرسول صلى الله عليه وسلم علم الأمة الأخذ بالسرية من حيث المكان، ومن حيث الزمان، لنلا يستطيع الأعداء معرفة قواتهم فيضعوا الخطط المناسبة لمجابهتها، وبذلك يذهب تنظيم القادة وإعدادهم لجيوشهم في مهب الرياح.

(1) انظر: المغازي للواقدي (217/1).

(2) بنو الأشهل: حي من الأنصار. (2) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (73/3).

وفي هذا الخبر تطبيق عملي لتقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة إذا تعارضت المصلحتان فالرسول صلى الله عليه وسلم حينما مر بالجيش في أرض المنافق مربع بن قبيصة، وترتب على ذلك إفساد المزرعة، لكن فيه مصلحة للجيش باختصار الطريق لهم إلى أحد، فبين صلى الله عليه وسلم أن ما يكون به مصلحة للدين مقدم على ما سواه من المصالح الأخرى، فهنا تعارضت مصلحتان مصلحة عامة ومصلحة خاصة، ومصلحة الدين في هذا الموقف مصلحة عامة وهي مقدمة على المصلحة الخاصة، وهي مصلحة المال⁽¹⁾. وقد رتب الشارع الحكيم مقاصد الشرع في تحقيق المنافع لعباده من حفظ دينهم ونفوسهم وعقولهم ونسلهم وأموالهم طبق ترتيب معين فيما بينها⁽²⁾، فإذا نظرنا إلى كليات الدين الخمس وأهميتها وجدنا أن هذه الكليات متدرجة حسب الأهمية: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، فما يكون به حفظ الدين مقدم على ما يكون به حفظ النفس عند تعارضهما، وما يكون به حفظ النفس مقدم على ما يكون به حفظ العقل، وما به يكون حفظ النسل مقدم على ما به حفظ المال، والترتيب بهذا الشكل من هذه الكليات يحظى باتفاق العلماء⁽³⁾.

ب- انسحاب المنافق ابن سلول بثلاث الجيش: عندما وصل جيش المسلمين الشواط⁽⁴⁾ انسحب المنافق ابن سلول بثلاثمائة من المنافقين بحجة أنه لن يقع قتال مع المشركين، ومعتزلاً على قرار القتال خارج المدينة قائلاً: (أطاع الولدان ومن لا رأي له، أطاعهم وعصاني، علام نقتل أنفسنا)⁽⁵⁾. وكان هدفه الرئيس من هذا التمرد أن يحدث بلبلة واضطراباً في الجيش الإسلامي لتنهيار معنوياته، ويتشجع العدو، وتعلو همته، وعمله هذا ينطوي على خيانة عظيمة، وبغض الإسلام والمسلمين، وقد اقتضت حكمة الله أن يمحس الله الجيش ليظهر الخبيث من الطيب، حتى

(1) انظر: غزوة أحد، دراسة دعوية، ص168.

(2) انظر: ضوابط المصلحة، محمد رمضان البوطي، ص23.

(3) انظر: المقاصد العامة للشريعة، يوسف حامد العالم، ص166.

(4) الشواط: اسم حائط، أي بستان، بين المدينة وأحد.

(5) انظر: البداية والنهاية (14/4).

(2) انظر: غزوة أحد دراسة دعوية، ص84.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

لا يختلط المخلص بالمغرض، والمؤمن بالمنافق⁽¹⁾ قال تعالى: (مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ) [آل عمران: 179]. فالجبن والنكوص هما اللذان كشفا عن طوية المنافقين، فافتضحوا أمام أنفسهم وأمام الناس قبل أن يفضحهم القرآن⁽²⁾.

ج- موقف عبد الله بن عمرو بن حرام من انخزال المنافقين: حاول عبد الله بن حرام رضي الله عنه إقناع المنافقين بالعودة فأبوا، فقال: يا قوم أذكركم الله ألا تدخلوا قومكم ونبكم عندما حضر من عدوهم، فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم، ولكننا لا نرى أن يكون قتال، فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم قال: أبعدكم الله، أعداء الله، فسيغني الله عنكم نبيه⁽³⁾. وفي هؤلاء المنخذين نزل قول الله تعالى: (وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ فَيَاذَنَ اللَّهُ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ □ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ) [آل عمران: 166، 167].

د- بنو سلمة، وبنو حارثة: ولما رجع ابن أبي ابن سلول وأصحابه همت بنو سلمة وبنو حارثة أن ترجعا، ولكن الله ثبتهما وعصمهما، قال جابر بن عبد الله: نزلت هذه الآية فينا: (إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) [آل عمران: 122] بني سلمة، وبني حارثة، وما أحب أنها لم تنزل والله يقول: (وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا)⁽⁴⁾.

لقد أثر موقف المنافقين في نفوس طائفتين من المسلمين ففكروا بالعودة إلى المدينة، ولكنهم غالبوا الضعف الذي ألم بهم، وانتصروا على أنفسهم بعد أن تولاهم الله تعالى فدفع عنهم الوهن فثبتوا مع المؤمنين.

(2) انظر: مرويات غزوة أحد، حسين أحمد، ص71. (4) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص277.

(4) البخاري في المغازي، باب إذ همت طائفتان رقم4051.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وقد ظهر رأيان في أوساط الصحابة تجاه موقف ابن سلول، فالأول: يرى قتل المنافقين الذين خذلوا المسلمين بعودتهم وانشقاقهم عن الجيش، والثاني: لا يرى قتلهم، وقد بين القرآن الكريم موقف الفريقين⁽¹⁾ في الآية: (فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْذُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ سَبِيلًا) [النساء: 88].

هـ - الاستعانة بغير المسلمين: عندما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكان يدعي الشيخين رأى كتيبة لها صوت وجلبة فقال: ما هذه؟ فقالوا: هؤلاء حلفاء عبد الله بن أبي ابن سلول من يهود فقال صلى الله عليه وسلم: «لا نستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك»⁽²⁾، وهذا أصل وضعه النبي صلى الله عليه وسلم في عدم الركون إلى أعداء الإسلام في الاستنصار بهم⁽³⁾.

و- رد النبي صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة لصغر سنهم: رد النبي صلى الله عليه وسلم في معسكره بالشيخين جماعة من الفتیان لصغر أعمارهم، إذ كانوا في سن الرابعة عشرة أو دون ذلك، منهم عبد الله بن عمر، وزيد بن ثابت، وأسامة بن زيد، وزيد بن أرقم، والبراء بن عازب، وأبو سعيد الخدري، بلغ عددهم أربعة عشر صبيًا، وقد ثبت أن ابن عمر كان منهم⁽⁴⁾، وأجاز منهم رافع بن خديج لما قيل له: إنه رام، فبلغ ذلك سمرة بن جندب فذهب إلى زوج أمه مري بن سنان بن ثعلبة عم أبي سعيد الخدري وهو الذي ربي سمرة في حجره يبكي، وقال له: يا أبت أجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم رافعًا وردني، وأنا أصرع رافعًا، فرجع زوج أمه هذا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى رافع وسمرة فقال لهما: «تصارعا» فصرع سمرة رافعًا فأجازه كما أجاز رافعًا، وجعلهما من جنده وعسكر كتائبه، ولكل منهما مجاله واختصاصه⁽⁵⁾.

(1) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (382/3).

(1) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 278.

(3) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (383/2).

(2) انظر: محمد رسول الله، محمد عرجون (561/3).

(4) انظر: محمد رسول الله (571/3).

(5) المصدر نفسه (572/3).

ونلاحظ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أجاز رافعاً وسمرة لامتيار عسكري امتازا به على أقرانها، ورد صغار السن خشية ألا يكون لهم صبر على ضرب السيوف، ورمي السهام، وطعن الرماح، فيفروا من المعركة إذا حمى الوطيس، فيحدث فرارهم خللة في صفوف المسلمين⁽¹⁾.

ونلاحظ أن المجتمع الإسلامي يضج بالحركة، ويسعى للشهادة شبيهاً، وشباباً، وحتى الصبيان يقبلون على الموت ببسالة، ورغبة في الشهادة، تبعث على الدهشة، دون أن يجبرهم قانون التجنيد، أو تدفع بهم قيادة إلى ميدان القتال، وهذا يدل على أثر المنهج النبوي الكريم في تربية شرائح الأمة المتعددة على حب الآخرة والترفع عن أمور الدنيا.

سادساً: خطة الرسول صلى الله عليه وسلم لمواجهة كفار مكة:

أ- وضع الرسول صلى الله عليه وسلم خطة محكمة لمواجهة المشركين من قريش، حيث اختار الموقع المناسب، وانتخب من يصلح للقتال، ورد من لم يكن صالحاً، واختار خمسين منهم للرمية، وشدد الوصية عليهم، وقام بتقسيم الجيش إلى ثلاث كتائب، وأعطى اللواء لأحد أفراد الكتيبة، وهذه الكتائب هي:

- 1- كتيبة المهاجرين، وأعطى لواءها مصعب بن عمير رضي الله عنه.
- 2- كتيبة الأوس من الأنصار، وأعطى لواءها أسيد بن حضير رضي الله عنه.
- 3- كتيبة الخزرج من الأنصار، وأعطى لواءها الحباب بن المنذر رضي الله عنه⁽²⁾.

ب- وكان صلى الله عليه وسلم من هديه يحرض أصحابه على قتال الأعداء، ويحثهم على التحلي بالصبر في ميادين القتال، لكي تتقوى روحهم المعنوية ويصمدوا عند ملاقات أعدائهم، ومن ذلك ما فعله يوم أحد، وفي ذلك يقول الواقدي، ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطب

(2) انظر: غزوة أحد دراسة دعوية، ص 89.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

الناس: «يا أيها الناس، أوصيكم بما أوصاني الله في كتابه من العمل بطاعته، والتناهي عن محارمه، ثم إنكم اليوم بمنزل أجر وذخر لمن ذكر الذي عليه ثم وطن نفسه له على الصبر واليقين والجد والنشاط، فإن جهاد العدو شديد كربه، قليل من يصبر عليه إلا من عزم الله رشده، فإن الله مع من أطاعه وإن الشيطان مع من عصاه، فافتتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد، والتمسوا بذلك ما وعدكم الله، وعليكم بالذي أمركم فإني حريص على رشدكم، فإن الاختلاف والتنازع والتثبيط من أمر العجز والضعف مما لا يحب الله ولا يعطي عليه النصر ولا الظفر»⁽¹⁾.

ويتضح من هذه الخطبة عدة أهداف منها:

1- الحث على الجد والنشاط في ميدان الجهاد.

2- الحث على الصبر عند قتال الأعداء.

3- بيان مساوئ الاختلاف والتنازع⁽²⁾.

إن هذا الهدي المبارك الذي سنه صلى الله عليه وسلم يعلمنا حقائق ثابتة وهي أن الجيوش مهما عظم تسليحها وتنظيمها فإن ذلك لا يغني شيئاً إلا إذا حملته نفوس قوية تحرص على الموت أشد من حرصها على الحياة، وهذا يكون بتعبئة الجنود بالموعة والتوجيه وغرس حب الجهاد والشهادة في نفوسهم.

ج- أدرك الرسول صلى الله عليه وسلم أهمية جبل أحد لحماية جيش المسلمين، فعندما وصل جيش المسلمين إلى جبل أحد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم ظهورهم إلى الجبل ووجههم إلى المدينة، وانتقى خمسين من الرماة تحت إمرة عبد الله بن جبير⁽³⁾. ووضعهم فوق جبل عنين المقابل لجبل أحد، وذلك يمنع التفاف جيش المشركين حول جيش المسلمين، وأصدر أوامره إليهم

(1) انظر: مغازي الواقدي (221/1، 222).

(2) انظر: القيادة العسكرية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، ص 469.

(3) انظر: الإصابة (278/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

قائلا: «إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا، حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم»⁽¹⁾.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للجيش: لا تبرحوا حتى أؤذنكم، وقال: لا يقاتلن أحد حتى أمره بالقتال. وقال لأمير الرماة: «انضح الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا، واثبت مكانك إن كانت لنا أو علينا»، وقال للرماة: «الزموا مكانكم لا تبرحوا منه، فإذا رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم، وإن رأيتمونا نقتل فلا تغيثونا ولا تدفعوا عنا، وارشقوهم بالنبل فإن الخيل لا تقدم على النبل، إنا لن نزال غالبين ما مكثتم مكانكم، اللهم إني أشهدك عليهم»⁽²⁾.

سيطر المسلمون على المرتفعات وتركوا الوادي لجيش مكة ليواجه أحداً وظهره إلى المدينة، وأصبحت مهمة الرماة في النقاط التالية: احتلال الموقع، حماية المسلمين من الخلف، صد الخيل عن المسلمين⁽³⁾.

د- تسوية الصفوف وتنظيم الجيش: تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وصفهم على هيئة صفوف الصلاة، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي على رجله يسوي تلك الصفوف، ويبوئ أصحابه للقتال يقول: تقدم يا فلان، وتأخر يا فلان، فهو يقومهم...، حتى استوت الصفوف⁽⁴⁾. فوضع صلى الله عليه وسلم في مقدمة الصفوف الأشداء، لكي يفتحوا الطريق لمن خلفهم، وقد أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا الأسلوب؛ لأنه أبلغ في قتال الأعداء⁽⁵⁾.

هـ عدم القتال إلا بأمر من القائد: قال الطبري: فجعل ظهره وعسكره إلى أحد، وقال: «لا

(1) انظر: البخاري في المغازي، باب غزوة أحد، رقم 4043.

(2) انظر: السيرة الحلبية (2/496).

(3) انظر: غزوة أحد دراسة دعوية، ص 90.

(4) انظر: الواقي المغازي، (1/219).

(5) انظر: العبقريّة العسكرية في غزوات الرسول، محمد فرج، ص 355، 356.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

يقاتلن أحد حتى نأمره بالقتال» (1). وفي هذا التوجيه فائدة مهمة وهي توحيد القيادة والمسئولية؛ لأنه صلى الله عليه وسلم أدرك المصلحة.

* * *

(1) انظر: تاريخ الطبري، (507/2). هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ مع الدعاء بحسن الاستفادة

المبحث الثاني

في قلب المعركة

أولاً: بدء القتال واشتداده وبوادر الانتصار للمسلمين:

في بداية القتال حاول أبو سفيان أن يوجد شرخاً وتصدعاً في جبهة المسلمين المتماسكة، فأرسل إلى الأنصار يقول: (خلوا بيننا وبين ابن عمناء، فننصرف عنكم، فلا حاجة بنا إلى قتال) فردوا عليه بما يكره⁽¹⁾.

ولما فشلت المحاولة الأولى لجأت قريش إلى محاولة أخرى عن طريق عميل خائن من أهل المدينة، وهو أبو عامر الراهب، حيث حاول أبو عامر الراهب أن يستزل بعض الأنصار فقال: يا معشر الأوس، أنا أبو عامر، قالوا: فلا أنعم الله بك عيئاً يا فاسق فلما سمع ردهم عليه قال: لقد أصاب قومي بعدي شرٌّ، ثم قاتلهم قتالاً شديداً، ورماهم بالحجارة⁽²⁾.

وبدأ القتال بمبارزة بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وطلحة بن عثمان حامل لواء المشركين يوم أحد، يقول صاحب السيرة الحلبيّة: خرج طلحة بن عثمان وكان بيده لواء المشركين، وطلب المبارزة مراراً فلم يخرج إليه أحد فقال: يا أصحاب محمد إنكم تزعمون أن الله تعالى يجعلنا بسيوفكم إلى النار، ويعجلكم بسيوفنا إلى الجنة، فهل أحد منكم يعجلني بسيفه إلى النار أو أعجله بسيفي إلى الجنة؟ فخرج إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال له علي رضي الله عنه: والذي نفسي بيده لا أفارقك حتى يعجلك الله بسيفي إلى النار أو يعجلني بسيفك إلى الجنة، فضربه علي فقطع رجله، فوقع على الأرض فانكشفت عورته، فقال: يا ابن عمي، أنشدك الله والرحم فرجع عنه ولم يجهز عليه، فكبر رسول الله، وقال لعلي بعض أصحابه: أفلا

(1) انظر: إمتاع الأسماع للمقريزي (120/1).

(2) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبه (192/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

أجهزت عليه؟ قال: إن ابن عمي ناشدني الرحم حين انكشفت عورته فاستحييت منه⁽¹⁾.

والتحم الجيشان واشتد القتال، وشرع رسول الله يشحذ في همم أصحابه ويعمل على رفع معنوياتهم وأخذ سيقًا، وقال: «من يأخذ مني هذا؟» فبسطوا أيديهم، كل إنسان منهم يقول: أنا أنا، قال: «فمن يأخذه بحقه» قال: فأحجم القوم، فقال سماك بن خرشة أبو دجانة: وما حقه يا رسول الله؟ قال: «أن تضرب به العدو حتى ينحني» قال: أنا آخذه بحقه، فدفعه إليه وكان رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب، أي يمشي مشية المتكبر، وحين رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبخر بين الصفين قال: «إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن»⁽²⁾.

وهذا الزبير بن العوام يصف لنا ما فعله أبو دجانة يوم أحد قال: وجدت في نفسي حين سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف فمنعني وأعطاه أبا دجانة، وقلت أنا ابن صفية عمته ومن قريش وقد قمت إليه وسألته إياه قبله فأعطاه أبا دجانة وتركني، والله لأنظرن ما يصنع، فاتبعته فأخرج عصابة له حمراء فعصب بها رأسه، فقالت الأنصار: أخرج أبو دجانة عصابة الموت، وهكذا كانت تقول له إذا تعصب فخرج وهو يقول:

أنا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسفح لدى النخيل

أن لا أقوم الدهر في الكيول؟⁽⁴⁾ أضرب بسيف الله والرسول⁽³⁾

فجعل لا يلقي أحدًا إلا قتله، وكان في المشركين رجل لا يدع جريحًا إلا ذفف⁽⁵⁾ عليه فجعل كل منهما يدنو من صاحبه، فدعوت الله أن يجمع بينهما، فالتقيا فاختلفا ضربتين فضرب المشرك أبا دجانة فاتقاه بدرقته فعضت بسيفه وضربه أبو دجانة فقتله، ثم رأيته قد حمل السيف على مفرق رأس هند

(1) انظر: السيرة الحلبية (497/2، 498)، تفسير الطبري (218/7).

(2) مسلم، كتاب فضائل الصحابة رقم 2470.

(3) انظر: البداية والنهاية (17/4).

(5) انظر: البداية والنهاية (18/4).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

بنت عتبة ثم عدل السيف عنها فقلت: الله ورسوله أعلم⁽¹⁾. قال ابن إسحاق: قال أبو دجانة: رأيت إنسانا يحمّس الناس حماساً شديداً فصمدت له فلما حملت عليه السيف ولول، فإذا امرأة، فأكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أضرب به امرأة⁽²⁾.

ثانياً: مخالفة الرماة لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم:

استتبسل المسلمون في مقاتلة المشركين وكان شعارهم: أمت، أمت، واستماتوا في قتال بطولي ملحمي سجل فيه أبطال الإسلام صوراً رائعة في البطولة والشجاعة⁽³⁾، وسجل التاريخ روائع بطولات حمزة بن عبد المطلب، ومصعب بن عمير، وأبو دجانة وأبي طلحة الأنصاري، وسعد بن أبي وقاص، وأمثالهم كثير⁽⁴⁾، وحقق المسلمون الانتصار في الجولة الأولى من المعركة⁽⁵⁾، وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: (وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّنْ بَعْدَ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) [آل عمران: 152].

ولما رأى الرماة الهزيمة التي حلت بقريش وأحلافها ورأوا الغنائم في أرض المعركة جذبهم ذلك إلى ترك مواقعهم ظناً منهم أن المعركة انتهت، فقالوا لأمرهم عبد الله بن جبير: (الغنيمة الغنيمة، ظهر أصحابكم فما تنتظرون؟ فقال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا: والله لنأتين الناس فلنصيبين من الغنيمة⁽⁶⁾، ثم انطلقوا يجمعون الغنائم ولا يعبأون بقول أميرهم، ووصف ابن عباس رضي الله عنهما حالة الرماة في ذلك الموقف فقال: (فلما غنم النبي صلى الله عليه وسلم وأباحوا عسكر المشركين، أكب الرماة جميعاً فدخلوا في

(2) نفس المصدر (18/4).

(3) انظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (303/1).

(4، 9) نفس المصدر (303/1).

(2) مسند أحمد (287/1) رقم 2608.

(6) البخاري، كتاب الجهاد، رقم 3039.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

المعسكر يذهبون، وقد التقت صفوف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم كذا وشبك بين أصابع يديه، والتبسوا فلما أخل الرماة تلك الخلة التي كانوا فيها، دخلت الخيل من ذلك الموقع على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فضرب بعضهم بعضاً، والتبسوا وقتل من المسلمين ناس كثير⁽¹⁾.

ورأى خالد بن الوليد وكان على خيالة المشركين الفرصة سانحة ليقوم بالالتفاف حول المسلمين، ولما رأى المشركون ذلك عادوا إلى القتل من جديد، وأحاطوا بالمسلمين من جهتين، وفقد المسلمون مواقعهم الأولى، وأخذوا يقاتلون بدون تخطيط، فأصبحوا يقاتلون متفرقين، فلا نظام يجمعهم ولا وحدة تشملهم، بل لم يعودوا يميزون بعضهم، فقد قتلوا اليمان والد حذيفة بن اليمان خطأ، وأخذ المسلمون يتساقطون شهداء في الميدان، وفقدوا اتصالهم بالرسول صلى الله عليه وسلم وشاع أنه قتل⁽²⁾، واختلط الحابل بالنابل واشتدت حرارة القتال، وصار المشركون يقتلون كل من يلقونه من المسلمين، واستطاعوا الخلوص قريباً من النبي صلى الله عليه وسلم فرموه بحجر كسر أنفه الشريف ورباعيته⁽³⁾ وشجه⁽⁴⁾ في وجهه الكريم فأثقله وتفجر الدم⁽⁵⁾ منه صلى الله عليه وسلم.

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كُسرت رباعيته يوم أحد، وشجَّ في رأسه، فجعل يسלט الدم عنه، ويقول: «كيف يفلح قوم شجوا نبيهم، وكسروا رباعيته، وهو يدعوهم إلى الله؟» فأنزل الله عز وجل: (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ) [آل عمران: 128].

وحمل ابن قمنة على مصعب بن عمير رضي الله عنه حيث كان شديد الشبه برسول الله صلى

(2) انظر: غزوة أحد دراسة دعوية، ص 98.

(3) الرباعية: إحدى الأسنان الأربعة التي تكون بين الثانية والثالثة.

(4) الشج: كسر في الرأس.

(5) انظر: فقه السيرة للغزالي، ص 294.

(7) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (81/3).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

الله عليه وسلم فقتله، فقال لقريش: قد قتلت محمداً⁽¹⁾ وشاع أن محمداً قد قتل فتفرق المسلمون، ودخل بعضهم المدينة، وانطلقت طائفة منهم فوق الجبل، واختلطت على الصحابة أحوالهم، فما يدرون كيف يفعلون من هول الفاجعة⁽²⁾، ففر جمع من المسلمين من ميدان المعركة، وجلس بعضهم إلى جانب ميدان المعركة بدون قتال، وآثر آخرون الشهادة بعد أن ظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات، ومن هؤلاء أنس بن النضر الذي كان يأسف لعدم شهود بدر، والذي قال في ذلك: (والله لنن أراني الله مشهداً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله كيف أصنع) وقد صدق في وعده، مر يوم أحد على قوم ممن أذهلتهم الشائعة وألقوا بسلاحهم فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قتل رسول الله، فقال: يا قوم إن كان محمد قد قتل فإن رب محمد لم يقتل، وموتوا على ما مات عليه، وقال: اللهم إني أعتذر إليك مما قال هؤلاء، يعني المسلمين، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء، يعني المشركين، ثم لقي سعد بن معاذ فقال: يا سعد إني لأجد ريح الجنة دون أحد، ثم ألقى بنفسه في أتون المعركة، وما زال يقاتل حتى استشهد، فوجد فيه بضع وثمانون ما بين ضربة بسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، فلم تعرفه إلا أخته ببناته⁽³⁾. وفي هذا وأمثاله نزل قول الله تعالى: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) [الأحزاب: 23]. أما أولئك النفر الذين فروا لا يلوون على شيء رغم دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لهم بالصمود والثبات فقد نزل فيهم قوله تعالى: (إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ عِمَّا بَغِمَ لَكُمْ لَكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) [آل عمران: 153].

ولقد حكى القرآن الكريم خبر فرار هذه المجموعة من الصحابة الذين ترخصوا في الفرار بعد سماعهم نبأ مقتل النبي صلى الله عليه وسلم الذي شاع في ساحة المعركة، وكان أول من علم بنجاة الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه حي هو الصحابي كعب بن مالك الذي رفع صوته

(2) انظر: غزوة أحد دراسة دعوية، ص100. (2) المصدر نفسه، ص101.

بالبشرى، فأمره النبي بالسكوت حتى لا يفطن المشركون إلى ذلك⁽¹⁾، وقد نص القرآن الكريم على أن الله تعالى قد عفا عن تلك الفنة التي فرت، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ).

ثالثاً: خطة الرسول صلى الله عليه وسلم في إعادة شتات الجيش:

عندما ابتدأ الهجوم المعاكس من المشركين خلف المسلمين والهدف الرئيسي فيه شخص النبي صلى الله عليه وسلم، لم يتزحزح عليه الصلاة والسلام من موقفه والصحابه يسقطون واحداً تلو الآخر بين يديه، وحصر رسول الله صلى الله عليه وسلم في قلب المشركين وليس معه إلا تسعة من أصحابه سبعة منهم من الأنصار، وكان الهدف أن يفك هذا الحصار، وأن يصعد في الجبل ليمضي إلى جيشه، واستبسل الأنصار في الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واستشهدوا واحداً بعد الآخر⁽²⁾، ثم قاتل عنه طلحة بن عبيد الله حتى أثنى وأصيب بسهم شلت يمينه⁽³⁾، وأراد النبي صلى الله عليه وسلم إلى صخرة فلم يستطع، ففقد طلحة تحته حتى استوى على الصخرة، قال الزبير: فسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «أوجب طلحة»⁽⁴⁾، وقاتل سعد بن أبي وقاص بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يناوله النبال ويقول له: «ارم يا سعد، فداك أبي وأمي»⁽⁵⁾، كما قاتل بين يديه أبو طلحة الأنصاري الذي كان من أمهر الرماة، وهو الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم: «لصوت أبي طلحة في الجيش أشد على المشركين من فئة»⁽⁶⁾، وقد كان متترساً على رسول الله بحجفة، وكان رامياً شديد النزع⁽⁷⁾ كسر يومئذ قوسين أو ثلاث، وكان الرجل يمر معه الجعبة⁽⁸⁾ من النبل فيقول رسول الله صلى الله عليه

(1) انظر: مجمع الزوائد للهيتمي (112/6).

(4) انظر: نضرة النعيم (304/1).

(3) البخاري، رقم 3724.

(2) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص296.

(5) المصدر نفسه، ص295.

(6) المسند والفتح الرباني (589/22) بإسناده رجاله ثقات.

(7) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص296.

(6) الجعبة: الكنانة التي تجعل فيها السهام.

وسلم: «انثرها لأبي طلحة» ثم يشرف إلى القوم فيقول أبو طلحة: يا نبي الله بأبي أنت، لا تشرف إلى القوم⁽¹⁾ ألا يصيبك سهم، نحري دون نحرك⁽²⁾⁽³⁾.

ووقفت نسيبة بنت كعب تذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف وترمي بالقوس وأصيبت بجراح كبيرة، وترس أبو دجانة دون رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه يقع النبل في ظهره وهو منح عليه حتى كثر فيه النبل⁽⁴⁾. والتفّ حول الرسول صلى الله عليه وسلم في تلك اللحظات العصيبة أبو بكر وأبو عبيدة، وقام أبو عبيدة بنزع السهمين من وجه النبي صلى الله عليه وسلم بأسنانه، ثم توارد مجموعة من الأبطال المسلمين، حيث بلغوا قرابة الثلاثين يذودون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم قتادة وثابت بن الدحاح، وسهل بن حنيف، وعمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام.

واستطاع عمر بن الخطاب أن يرد هجوماً مضاداً قاده خالد ضد المسلمين من عالية الجبل، واستبسل الصحابة الذين كانوا مع عمر في رد الهجوم العنيف، عاد المسلمون فسيطروا على الموقف من جديد⁽⁵⁾، ويئس المشركون من إنهاء المعركة بنصر حاسم، وتعبوا من طولها ومن جلادة المسلمين، وانسحب النبي صلى الله عليه وسلم بمن معه ومن لحق به من أصحابه إلى أحد شعاب جبل أحد، وكان المسلمون في حالة من الألم والخوف والغم لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أصابهم، رغم نجاحهم في رد المشركين⁽⁶⁾، فأنزل الله عليهم النعاس فناموا يسيراً، ثم أفاقوا آمنين مطمئنين قال تعالى: (ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِّنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخَفِّونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا

(1) لا تشرف: لا تتطلع.

(2) نحري دون نحرك: جعل الله نحري أقرب إلى السهام من نحرك لأصاب بها دونك.

(3) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص296. (10) انظر: البداية والنهاية (35/4، 36).

(5) انظر: السيرة النبوية لمدير الغضبان، ص468، 470.

(6) انظر: نضرة النعيم (305/1).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

فَقَتَلْنَا هَاهُنَا قُلُوبَكُمْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (آل عمران: 154]. وقد أجمع المفسرون على أن الطائفة التي قد أهتمهم أنفسهم هم المنافقون⁽¹⁾.

أما قريش فإنها يئست من تحقيق نصر حاسم وأجهد رجالها من طول المعركة، ومن صمود المسلمين وجلداهم وخاصة بعد أن اطمأنوا وأنزل الله عليهم الأمانة والصمود فالتفوا حول النبي صلى الله عليه وسلم؛ ولذلك كفوا عن مطاردة المسلمين وعن محاولة اختراق قواتهم⁽²⁾.

رابعاً: من شهداء أحد:

أ- حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه سيد الشهداء عند الله تعالى يوم القيامة:

قاتل أسد الله حمزة قتالاً ضارياً، وأُتِخَنَ في المشركين قتلاً، وأطاح برؤوس نفر من حملة لواء المشركين من بني عبد الدار، وبينما هو على هذه الحالة من الشجاعة والإقدام كمن له وحشي حتى تمكن منه ثم رماه بحربته، فأصاب منه مقتلاً، ولندع وحشياً يخبرنا عن هذا المشهد المؤلم، قال وحشي: إن حمزة قتل طعيمة بن عدي بن الخيار ببدر، قال لي مولاي جبير بن مطعم: إن قتلت حمزة بعمي فأنت حر، فلما خرج الناس عام عنين، وعينين جبل بجبال أحد، بينه وبينه واد، خرجت مع الناس إلى القتال، فلما اصطفوا للقتال خرج سباع فقال: هل من مبارز؟ قال: فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب فقال: يا سباع، يا ابن أم أنمار مقطعة البظور، أتحد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم؟ ثم شد عليه، فكان كأمس الذهاب. قال: وكمنت لحمزة تحت صخرة، فلما دنا مني رميته بحربتي فأضعها في ثنته⁽³⁾ حتى خرجت من بين وركيه، قال: فكان ذاك العهد به⁽⁴⁾، فلما رجع الناس رجعت معهم فأقامت بمكة حتى فشا فيها الإسلام، ثم

(1) انظر: نضرة النعيم (305/1).

(2) المصدر نفسه (306/1).

(3) فأضعها في ثنته: أي في عاتقه.

(4) ذلك العهد به: كناية عن موته.

خرجت إلى الطائف فأرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل لي: إنه لا يهيج الرسل⁽¹⁾ قال: فخرجت معهم حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأيته قال: «أنت وحشي؟» قلت: نعم، قال: «أنت قتلت حمزة؟» قلت: قد كان من الأمر ما قد بلغك، قال: «فهل تستطيع أن تغيب وجهك عني؟» قال: فخرجت فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج مسيلمة الكذاب قلت: لأخرجن إلى مسليمة لعلي أقتله فأكافئ به حمزة قال: فخرجت مع الناس فكان من أمره ما كان، فإذا رجل قائم في ثلثة جدار كأنه جمل أورق⁽²⁾، ثائر الرأس قال: فرميته بحررتي فأضعها بين ثدييه حتى خرجت من بين كتفيه، قال: ووثب إليه رجل من الأنصار فضربه بالسيف على هامته قال: قال عبد الله ابن الفضل فأخبرني سليمان بن يسار أنه سمع عبد الله بن عمر يقول: فقالت جارية على ظهر بيت: وا أمير المؤمنين قتله العبد الأسود⁽³⁾.

1- سؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن مقتل حمزة رضي الله عنه: بعد انتهاء المعركة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه: من رأى مقتل حمزة؟ فقال رجل: أنا رأيت مقتله، قال: «فانطلق أرنا» فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وقف على حمزة فرآه وقد شق بطنه، وقد مٌثل به، فقال: يا رسول الله، مٌثل به والله⁽⁴⁾، وفي رواية (لما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم قتل حمزة بكى فلما نظر إليه شهق)⁽⁵⁾ ووقف بين ظهرائي القتلى فقال: «أنا شهيد على هؤلاء، كفنهم في دمانهم، فإنه ليس جرح يجرح في الله إلا جاء يوم القيامة يدمي، لونه لون الدم، وريحه ريح المسك، قدموا أكثرهم قرآنًا فاجعلوه في اللحد»⁽⁶⁾.

وباستشهاد حمزة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحد تحققت رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد أخبر أصحابه عن رؤياه قبل الخروج إلى أحد فقال: «رأيت في سفي

(1) لا يهيج الرسل: أي لا ينالهم منه مكروه.

(6) أورق: لونه كالرماد.

(3) البخاري، المغازي رقم 4072.

(2) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 283.

(5) المصدر نفسه، ص 284.

(4) المصدر السابق، ص 283.

ذي الفقار فلا⁽¹⁾، فأولته فلا يكون فيكم (أي انهزاماً)، ورأيت أني مردف كبشاً، فأولته كبش الكتيبة، ورأيت أني في درع حصينة، فأولتها المدينة، ورأيت بقرًا تذبح، فبقر والله خير، فبقر والله خير» فكان الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم⁽²⁾.

2- صبر صفية بنت عبد المطلب على شقيقها حمزة: قال الزبير بن العوام رضي الله عنه: إنه لما كان يوم أحد أقبلت امرأة تسعى حتى كادت تشرف على القتلى، قال: فكره النبي صلى الله عليه وسلم أن تراهم فقال: المرأة المرأة، قال الزبير: فتوسمت أنها صفية قال: فخرجت أسعى إليها، قال: فأدركتها قبل أن تنتهي إلى القتلى، قال: فلدمت⁽³⁾ في صدري وكانت امرأة جلدة، قالت: إليك عني لا أرض لك، فقلت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عزم عليك.

قال: فوقفت وأخرجت ثوبين معها فقالت: هذان ثوبان جئت بهما لأخي حمزة فقد بلغني مقتله، فكفنوه فيهما. قال: فجننا بالثوبين لنكفن فيهما حمزة فإذا إلى جنبه رجل من الأنصار قتيل فعل به كما فعل بحمزة، قال: فوجدنا غضاضة وخنى أن يكفن حمزة في ثوبين والأنصاري لا كفن له، فقلنا: لحمزة ثوب وللأنصاري ثوب، فقدرناهما فكان أحدهما أكبر من الآخر فأقرعنا بينهما، فكفنا كل واحد منهما في الثوب الذي صار له⁽⁴⁾.

3- من شعر صفية في بكاء حمزة:

أسائلة أصحاب أحد مخافة بنات أبي من أعجم⁽⁵⁾ وخبير
فقال الخبير إن حمزة قد ثوى وزير رسول الله خير وزير
دعاه إله الحق ذو العرش دعوة إلى جنة يحيا بها وسرور
فذلك ما كنا نرجي ونرتجي لحمزة يوم الحشر خير مصير

(1) الفل: التلم في السيف.

(6) انظر: المسند (271/1) برقم 2445.

(3) لدمت: ضربت ودفعت.

(2) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (185/3).

(4) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 285.

فوالله لا أنساك ما هبت الصبا بكاء وحزناً محضري ومسيرى
على أسد الله الذي كان مدرها⁽¹⁾ يزود عن الإسلام كل كفور
فيا ليت شلوى⁽²⁾ عند ذاك وأعظمي لدى أضبع تغتادني ونسور
أقول وقد أعلى النعي عشيرتي جزي الله خيراً من أخ ونصير⁽³⁾

4- حمزة لا بواكي له: لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد سمع نساء الأنصار يبكين فقال: «لكن حمزة لا بواكي له» فبلغ ذلك نساء الأنصار فبكين حمزة فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استيقظ وهن يبكين فقال: «يا ويحهن، مازلن يبكين منذ اليوم فليبكين، ولا يبكين على هالك بعد اليوم»⁽⁴⁾ وبذلك حرمت النياحة على الميت.

5- رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمي غلاماً للأنصار بـحمزة: قال جابر بن عبد الله: وُلد لرجل منا غلام، فقالوا: ما نسميه؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «سموه بأحب الأسماء إليّ، حمزة بن عبد المطلب»⁽⁵⁾ فحمزة متجذر في القلب النبوي، عالق بالذاكرة الكريمة.. ولكن الله سبحانه ينزل على نبيه صلى الله عليه وسلم فيما بعد أحب الأسماء إليه، فيقولها صلى الله عليه وسلم لمن حوله: «إن أحب أسمائكم إلى الله: عبد الله وعبد الرحمن»⁽⁶⁾.

6- فهل تستطيع أن تغيب وجهك عني؟⁽⁷⁾ فهذا التوجيه الكريم لا يوجد فيه شيء من المؤاخذه والتأثيم لوحشي، وإنما هو تذكير له بأن رؤيته تجلب له شيئاً من المتاعب النفسية، وتحرك في نفسه ذكريات حادث القتل وما تبعه من تمثيل شنيع بشع بعمه، فتثير عنده حزازات بشرية ربما لا يكون من المستطاع منعها ومقاومتها إلا بشيء من العسر والعنت الشديد، مما قد

(1) مدرها: الذي يدفع عن القوم.

(4) الشلو: البقية، تغتادني: تتعاهدني.

(3) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (185/3).

(6) انظر: صحيح ابن ماجة للألباني (265/1).

(5) رواه الحاكم (196/3) سنده حسن.

(8) مسلم، كتاب الأدب رقم 2132.

(7) البخاري، المغازي رقم 4072.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

يشغل النبي صلى الله عليه وسلم ويقلقه⁽¹⁾، فأشار عليه صلى الله عليه وسلم بأن يغيب وجهه حتى يفقد مصدر التذكير بتلك المصيبة⁽²⁾، وفي رواية صحيحة قال وحشي: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي: «وحشي» قلت: نعم، قال: «قتلت حمزة؟» قلت: نعم، الحمد لله الذي أكرمه بيدي ولم يهني بيده، فقالت له قریش: أتعبه وهو قاتل حمزة؟ فقلت: يا رسول الله فاستغفر لي، فتفل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأرض ثلاثة، ودفع في صدري ثلاثة، وقال: «وحشي، اخرج فقاتل في سبيل الله، كما قاتلت لتصد عن سبيل الله»⁽³⁾ فهذا من التوجيه الإرشادي النبوي إلى مكفريات ما سلف من الكفر ومحادة الله تعالى ورسوله، وذكر القتال في سبيل الله بيان للأمر الأنسب في التكفير، وفي حض من النبي صلى الله عليه وسلم لإعلاء راية الجهاد، ولعل مخرج وحشي إلى الإمامة وقتله مسيلمة الكذاب كان أثرًا من آثار توجيه النبي صلى الله عليه وسلم إلى أفضل ما يمحو الخطايا، ويحت الذنوب ويظهر الآثام.

وقد أدرك وحشي ذلك فقال حين قتل مسيلمة الكذاب: قتل خير الناس يعني سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، وقتلت شر الناس مسيلمة الكذاب⁽⁴⁾.

ب- مصعب بن عمير رضي الله عنه:

قال خباب رضي الله عنه: هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نبتغي وجه الله، فوقع أجرنا على الله فمنا من مضى في سبيله ولم يأكل من أجره شيئاً، منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد، ولم يترك إلا نمره، كنا إذا غطينا رأسه بدت رجلاه، وإذا غطينا رجله بدا رأسه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «غطوا رأسه، واجعلوا على رجله الإذخر»⁽⁵⁾، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها⁽⁶⁾، ومن حديث عبد الرحمن بن عوف أنه أتى بطعام وكان صائماً، فقال: قتل

(1) انظر: محمد رسول الله، عرجون (603/3). (2) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (141/5).

(3) رواه الطبراني في الكبير، إسناده حسن (139/22) رقم 370 نقلاً عن صحيح السيرة النبوية، ص 286.

(4) انظر: محمد رسول الله، عرجون (602/3). (5) الإذخر: نوع من العشب.

(6) البخاري في الجنائز، رقم 1286. (7) البخاري في الجنائز رقم 1274، 1275.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ مع الدعاء بحسن الاستفادة

مصعب بن عمير، وكان خيراً مني، فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة، وقتل حمزة أو رجل آخر خير مني، فلم يوجد له ما يكفن فيه، إلا بردة، لقد خشيت أن يكون قد عجلت لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا، ثم جعل يبكي⁽¹⁾ ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من أحد مر على مصعب بن عمير وهو مقتول على طريقه، فوقف عليه ودعا له ثم قرأ هذه الآية: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) [الأحزاب: 23] ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة، فأتوهم وزورهم، والذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه»⁽²⁾.

ج- سعد بن الربيع رضي الله عنه: هذا الذي استكتمه رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر مسير قريش، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه، فلما انتهت معركة أحد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من رجل ينظر ما فعل سعد بن الربيع أفي الأحياء هو أم في الأموات؟» لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد رأى الأسنة شرعت إليه، فقال أبي بن كعب رضي الله عنه: أنا أنظره لك يا رسول الله، فقال له: «إن رأيت سعد بن الربيع فأقرأه مني السلام، وقل له: يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يجذك؟» فنظر أبي فوجده جريحاً به رمق، فقال له: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن أنظر أفي الأحياء أنت أم في الأموات، فقال: قد طعنت اثنتي عشرة طعنة، وقد أنفذت إلى مقاتلي⁽³⁾، وفي رواية صحيحة قال: على رسول الله وعليك السلام، قل له: يا رسول الله أجد ريح الجنة، وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيكم شفر⁽⁴⁾، يطرف، قال: وفاضت نفسه رحمه الله⁽⁵⁾. وهذا نصح لله ورسوله في سكرات الموت يدل على قوة الإيمان، والحرص على الوفاء بالبيعة لم يتأثر

(2) انظر: المستدرك (200/3) صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

(3) انظر: السيرة الحلبية (532/2). (3) شفر: العين.

(5) المصدر السابق، 293.

(5) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 294.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

د- عبد الله بن جحش رضي الله عنه: قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: إن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد: ألا تدعو الله، فخلوا في ناحية فدعا سعد فقال: يا رب إذا لقيت العدو، فلقتني رجلاً شديداً بأسه، شديداً حرده، أقاتله ويقاتلني، ثم ارزقني الظفر عليه حتى أقتله، وأخذ سلبه، فأمن عبد الله بن جحش، ثم قال: اللهم ارزقني رجلاً شديداً حرده، شديداً بأسه، أقاتله فيك ويقاتلني، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني، فإذا لقيتك غداً، قلت: من جدع أنفك وأذنك؟ فأقول: فيك وفي رسولك، فتقول صدقت، قال سعد: يا بني كانت دعوة عبد الله بن جحش خيراً من دعوتي، لقد رأيته آخر النهار وإن أنفه وأذنه لمعلقان في خيط⁽¹⁾. وفي هذا الخبر جواز دعاء الرجل أن يقتل في سبيل الله، وتمنيه ذلك وليس هذا من تمنى الموت المنهي عنه⁽²⁾.

هـ حنظلة بن أبي عامر رضي الله عنه (غسيل الملائكة): لما انكشف المشركون ضرب حنظلة فرس أبي سفيان بن حرب فوق على الأرض، فصاح حنظلة يريد ذبحه، فأدركه الأسود بن شداد، ويقال له ابن شعوب، فحمل على حنظلة بالرمح فأنفذه ومشى إليه حنظلة بالرمح وقد أثبتته، ثم ضرب الثانية فقتله، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إني رأيت الملائكة تغسله بين السماء والأرض بماء المزن، في صحاف الفضة» فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فاسألوا أهله ما شأنه؟» فسألوا صاحبه عنه فقالت: خرج وهو جنب حين سمع الهاتف⁽³⁾، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فلذلك غسلته الملائكة»⁽⁴⁾.

وفي رواية الواقدي: وكان حنظلة بن أبي عامر تزوج جميلة بنت عبد الله بن أبي ابن سلول، فأدخلت عليه في الليلة التي في صباحها قتال أحد، وكان قد استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيت عندها فأذن له، فلما صلى بالصبح غدا يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم

(2) انظر: زاد المعاد (212/3).

(3) أي: سمع منادي رسول الله يدعو للخروج لملاقاة العدو.

(4) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 289.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

ولزمته جميلة فعاد فكان معها، فأجنب منها ثم أراد الخروج، وقد أرسلت قبل ذلك إلى أربعة من قومها فأشهدتهم أنه قد دخل بها، فقبل لها بعد: لم أشهدت عليه؟ قالت: رأيت كأن السماء فرجت فدخل فيها حنظلة ثم أطبقت، فقلت: هذه الشهادة، فأشهدت عليه أنه قد دخل بها، وتعلق بعبد الله بن حنظلة، ثم تزوجها ثابت بن قيس بعد فولدت له محمد بن ثابت بن قيس⁽¹⁾.

وفي هذا الخبر مواقف وعبر منها:

1- في تعلق جميلة بنت عبد الله بن أبي حنظلة بن أبي عامر حين رأت له تلك الرؤيا التي فسرتها بالشهادة، فالمظنون في مثل هذه الحال أن تحاول الابتعاد عنه حتى لا تحمل منه فتكون بعد ذلك غير حظية لدى الخطاب، لكنها تعلقت به رجاء أن تحمل منه فتلد ولدًا ينسب لذلك الشهيد الذي بلغ درجات عليا في الصلاح أولاً، ثم بما ترجوه من نياله الشهادة، ولقد حصل لها ما أملت به فحملت منه وولدت ولدًا ذكرا سمي عبد الله، وكان له ذكر بعد ذلك، وكان من أعلى ما يفخر به أن يقول: أنا ابن غسيل الملائكة.

2- في حرص حنظلة القوي على مقارعة أعداء الله الذي يتمثل في سرعة خروجه إلى الميدان، الأمر الذي لم يتمكن معه من غسل الجنابة.

3- شجاعته الفائقة تظهر في تصديه لقائد المشركين أبي سفيان بن حرب والقائد غالبًا يكون حوله من يحميه، وهو فارس وحنظلة راجل.

4- تشريف رباني كريم في نزول الملائكة لتغسيل حنظلة بمياه المزن في صحاف الفضة.

5- معجزة نبوية في إخبار الصحابة عما قامت به الملائكة من تغسيل، حيث رأى صلى الله عليه وسلم الملائكة وهي تغسل ولم ير الصحابة ذلك⁽²⁾.

(1) انظر: المغازي للواقدي (273/1).

(2) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (130، 129/5).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

6- إذا كان الشهيد جنباً، غسل، كما غسلت الملائكة حنظلة بن أبي عامر⁽¹⁾.

و- عبد الله بن عمرو بن حرام رضي الله عنه: أصر عبد الله بن عمرو بن حرام على الخروج في غزوة أحد، فخطب ابنه جابر بقوله: يا جابر، لا عليك أن تكون في نظاري المدينة حتى تعلم إلى ما يصير أمرنا، فإني والله لولا أنني أترك بنات لي بعدي لأحببت أن تقتل بين يدي⁽²⁾.

وقال لابنه أيضاً: ما أراني إلا مقتولاً في أول من يقتل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وإني لا أترك بعدي أعز علي منك غير نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن على ديناً فاقض واستوص بأخواتك خيراً⁽³⁾. وخرج مع المسلمين ونال وسام الشهادة في سبيل الله، فقد قتل في معركة أحد، وهذا جابر يحدثنا عن ذلك حيث يقول: لما قُتل أبي يوم أحد، جعلت أكشف عن وجهه وأبكي، وجعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهاوني وهو لا ينهايني، وجعلت عمي تبكيه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «تبكين أو لا تبكين ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه»⁽⁴⁾.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا جابر ما لي أراك منكسراً؟» قال: يا رسول الله، استشهد أبي وترك عيلاً وديناً، قال صلى الله عليه وسلم: «أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك؟» قال: بلى يا رسول الله، قال صلى الله عليه وسلم: «ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب، وكلم أباك كفاحاً، يا جابر أما علمت أن الله أحيا أباك فقال: يا عدي، تمنّ عليّ أعطك، قال: يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية، فقال الرب سبحانه: إنه سبق مني أنهم إليها لا يرجعون، قال: يا رب.. فأبلغ من ورائي»⁽⁵⁾. فأنزل الله تعالى: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) [آل عمران: 169]، وقد رأى عبد الله بن عمرو رؤية في منامه قبل أحد، قال:

(1) انظر: زاد المعاد (214/3).

(3) البخاري رقم 4097.

(3) البخاري رقم 1351.

(5) البخاري، رقم 1244.

(5) صحيح ابن ماجه للألباني، رقم 190 (2800). (7) انظر: زاد المعاد (208/3).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

رأيت في النوم قبل أحد، مبشر بن عبد المنذر يقول لي: أنت قادم علينا في أيام، فقلت: وأين أنت؟ فقال: في الجنة نسرح فيها كيف نشاء، قلت له: ألم تقتل يوم بدر؟ قال: بلى ثم أحييت، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: هذه الشهادة يا أبا جابر⁽¹⁾، وقد تحققت تلك الرؤيا بفضل الله ومنه.

ز-خيثمة أبو سعد رضي الله عنه: قال خيثمة أبو سعد، وكان ابنه استشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر، لقد أخطأتني وقعة بدر، وكنت والله عليها حريصاً، حتى ساهمت ابني في الخروج، فخرج سهمه، فرزق الشهادة، وقد رأيت البارحة ابني في النوم في أحسن صورة يسرح في ثمار الجنة وأنهارها، ويقول: الحق بنا ترافقتا في الجنة، فقد وجدت ما وعدني ربي حقاً، وقد والله يا رسول الله أصبحت مشتاقاً إلى مرافقته في الجنة، وقد كبرت سني، ورق عظمي، وأحببت لقاء ربي، فادع الله يا رسول الله أن يرزقني الشهادة، ومرافقة سعد في الجنة، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقتل بأحد شهيداً⁽²⁾.

ح- وهب المزني وابن أخيه رضي الله عنهما: أقبل وهب بن قابوس المزني، ومعه ابن أخيه الحارث بن عقبة بن قابوس، بغنم لهما من جبل مزينة، فوجدا المدينة خلواً فسألا: أين الناس؟ فقالوا: بأحد، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل المشركين من قريش، فقالا: لا نبتغي أثراً بعد عين فخرجا حتى أتيا النبي صلى الله عليه وسلم بأحد فيجدان القوم يقتتلون والدولة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فأغاروا مع المسلمين في النهب، وجاءت الخيل من وراءهم، خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل، فاختلفوا، فقاتلا أشد القتال، فانفرقت فرقة من المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لهذه الفرقة؟» فقال وهب بن قابوس: أنا يا رسول الله، فقام فرماهم بالنبل حتى انصرفوا ثم رجع. فانفرقت فرقة أخرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لهذه الكتبية؟» فقال المزني: أنا يا رسول الله، فقام فذبها بالسيف حتى

(2) انظر: زاد المعاد (208/3).

(2) انظر: المغازي للواقدي (275/1).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

ولوا، ثم رجع المزني، ثم طلعت كتيبة أخرى فقال: «من يقوم لهؤلاء؟» فقال المزني: أنا يا رسول الله، فقال: «قم، وأبشر بالجنة» فقام المزني مسروراً يقول: والله لا أقيـل ولا أستقيـل، فقام فجعل يدخل فيهم فيضرب بالسيف، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إلى المسلمين، حتى خرج من أقصاهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اللهم ارحمه» ثم يرجع فيهم، فما زال كذلك وهم محدقون به، حتى اشتملت عليه أسياهم ورماحهم فقتلوه، فوجد به يومئذ عشرون طعنة برمح، كلها قد خلصت إلى مقتل، ومثل به أقبح المثلة يومئذ، ثم قام ابن أخيه فقاتل قتاله حتى قتل، فكان عمر بن الخطاب يقول: إن أحب ميتة أموت لما مات عليها المزني⁽¹⁾.

وكان بلال بن الحارث المزني يحدث يقول: شهدنا القادسية مع سعد بن أبي وقاص، فلما فتح الله علينا وقسمت بيننا غنائمنا، فأسقط فتى من آل قابوس من مزيـنة⁽²⁾، فجئت سعداً حين فرغ من نومه فقال: بلال؟ قلت: بلال، قال: مرحباً بك، من هذا معك؟ قلت: رجل من قومي من آل قابوس، قال سعد: ما أنت يا فتى من المزني الذي قتل يوم أحد؟ قال: ابن أخيه، قال سعد: مرحباً وأهلاً وأنعم الله بك عيئاً، ذلك الرجل شهد مني يوم أحد مشهداً ما شهدته من أحد، لقد رأيتنا وقد أهدق المشركون بنا من كل ناحية ورسول الله صلى الله عليه وسلم وسطنا، والكتائب تطلع من كل ناحية، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرمي ببصره في الناس يتوسمهم⁽³⁾ يقول: «من لهذه الكتيبة؟» كل ذلك يقول المزني: أنا يا رسول الله، كل ذلك يرده فما أنسى آخر مرة قامها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قم وأبشر بالجنة» قال سعد: وقمت على أثره يعلم الله أنني أطلب مثل ما يطلب يومئذ من الشهادة، فخذنا حومتهم حتى رجعنا فيهم الثانية، وأصابوه -رحمه الله- وودت والله أنني كنت أصبت يومئذ معه، ولكن أجلي استأخر، ثم دعا سعد من ساعته بسهمه فأعطاه وفضله، وقال: اختر في المقام عندنا أو الرجوع إلى أهلـك، فقال بلال: إنه يستحب الرجوع، فرجعنا.

(2) المصدر نفسه (277/1).

(4) انظر: المغازي للواقدي (277/1).

وقال سعد: أشهد لرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفاً عليه وهو مقتول، وهو يقول: «رضي الله عنك فإني عنك راض»، ثم رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على قدميه وقد نال النبي صلى الله عليه وسلم من الجراح ما ناله، وإني لأعلم أن القيام ليشق عليه على قبره حتى وُضع في لحدّه، وعليه بردة لها أعلام خضر، فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم البردة على رأسه فخرمه، وأدركه فيها طولا، وبلغت نصف ساقيه، وأمرنا فجمعنا الحرمل فجعلناه على رجله، وهو في لحدّه، ثم انصرف، فما حال أموت عليها أحبُّ إليَّ من أن ألقى الله تعالى على حال المزني⁽¹⁾.

وهكذا يفعل الإيمان بأصحابه فهذا وهب المزني وابن أخيه تركا الأغنام بالمدينة والتحقا بصفوف المسلمين وحرصا على نيل الشهادة، فأكرمهما الله بها، وقد كانت تلك الملحمة التي سطرها المزني محفورة في ذاكرة الصحابة، فهذا سعد بن أبي وقاص يتذكرها بعد مرور ثلاث عشرة سنة تقريبا على غزوة أحد لمجرد سماع اسم رجل من عشيرة المزني ويتمنى أن يموت ويلقى الله على مثل حالة المزني.

ط عمرو بن الجموح رضي الله عنه: كان عمرو بن الجموح رضي الله عنه أعرج شديد العرج، وكان له بنون أربعة مثل الأسد يشهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد، وهم خلاد ومعوذ ومعاذ وأبو أيمن، فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه، وقالوا: إن الله عز وجل قد عذرك، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن بني يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه وللخروج معك فيه، فوالله إني لأرجو أن أطا بعرجتي هذه في الجنة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما أنت فقد عذرك الله تعالى فلا جهاد عليك» وقال لبنيه: «ما عليكم ألا تمنعوه، لعل الله أن يرزقه الشهادة» فخرج وهو يقول مستقبل القبلة: اللهم لا تردني إلى أهلي خائبا فقتل شهيدا.

(1) المصدر نفسه (277/1).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وفي رواية أتى عمرو بن الجموح رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله: أرأيت إن قاتلت في سبيل الله حتى أقتل، أمشي برجلي هذه صحيحة في الجنة، وكانت رجله عرجاء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعم» فقتلوه يوم أحد هو وابن أخيه ومولى لهم، فمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوا في قبر واحد⁽¹⁾.

وفي هذا الخبر دليل على أن من عذره الله في التخلف عن الجهاد لمرض أو عرج، يجوز له الخروج إليه، وإن لم يجب عليه، كما خرج عمرو بن الجموح وهو أعرج⁽²⁾.

وفيه دليل على شجاعة عمرو بن الجموح ورغبته في نيل الشهادة وصدقه في طلبها، وقد أكرمه الله بذلك.

ي- أبو حذيفة بن اليمان وثابت بن وقش -رضي الله عنهم-: لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد رفع حُسيل بن جابر، وهو اليمان أبو حذيفة بن اليمان، وثابت بن وقش في الأظام⁽³⁾ مع النساء والصبيان، فقال أحدهما لصاحبه وهما شيخان كبيران: لا أبا لك، ما تنتظر؟ فوالله ما بقي لواحد منا من عمره إلا ظم⁽⁴⁾ حمار، إنما نحن هامة اليوم أو غد⁽⁵⁾، أفلا نأخذ أسيفنا ثم نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم، لعل الله يرزقنا شهادة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فأخذوا أسيفهما ثم خرجا حتى دخلا في الناس ولم يعلم بهما، فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون، وأما حُسيل بن جابر فاختلفت عليه أسياف المسلمين فقتلوه ولا يعرفونه، فقال حذيفة: أبي، فقالوا: والله إن عرفناه، وصدقوا، قال حذيفة: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين، فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يديه، فتصدق حذيفة بديته على المسلمين، فزاده ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم⁽⁶⁾ خيراً. وفي هذا الخبر، يظهر أثر الإيمان في نفوس

(1) انظر: المسند (299/5)، السيرة النبوية لابن هشام (101/3).

(2) انظر: زاد المعاد (218/3).

(3) الأظام: الحصون.

(4) ظم حمار: أي مقدار ما بين شربتي حمار.

(5) أي نموت اليوم أو غدًا.

(6) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (98/3).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

الشيوخ الكبار الذين عذروهم الله في الجهاد وكيف تركوا الحصون وخرجوا إلى ساحات الوغى طلباً للشهادة وحباً وشوقاً للقاء الله تعالى، وفيه موقف عظيم لحذيفة، حيث تصدق بدية والده على المسلمين، ودعا لهم بالمغفرة لكونهم قتلوا والده خطأ، وفيه أيضاً: أن المسلمين إذا قتلوا واحداً منهم في الجهاد يظنونهم كافراً، فعلى الإمام ديته من بيت المال؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يدي اليمان أبا حذيفة، فامتنع حذيفة من أخذ الدية، وتصدق بها على المسلمين⁽¹⁾.

ك- الأمور بخواتيمها: إن الأمور بخواتيمها، وقد وقع في غزوة أحد ما يحقق هذه القاعدة المهمة في هذا الدين، فقد وقع حادثان يؤكدان هذا الأمر، وفيهما عظة وعبرة لكل مسلم متعظ ومعتبر⁽²⁾.

1- شأن الأَصِيرم رضي الله عنه: واسمه عمرو بن ثابت بن وقش، عرض عليه الإسلام فلم يسلم، وروى قصته أبو هريرة رضي الله عنه: أن الأَصِيرم كان يأبى الإسلام على قومه، فجاء ذات يوم ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بأحد فقال: أين سعد بن معاذ؟ فقيل: بأحد، فقال: أين بنو أخيه؟ قيل: بأحد: فسأل عن قومه فقيل: بأحد، فبدا له الإسلام فأسلم، وأخذ سيفه، ورمحه، وأخذ لأمته، وركب فرسه فعدا حتى دخل في عرض الناس، فلما رآه المسلمون قالوا: إليك عنا يا عمرو، قال: إني قد آمنت، فقاتل حتى أثخنه الجراحة، فبينما رجال من بني عبد الأشهل يلتهمون قتلاهم في المعركة إذ هم به، فقالوا: والله إن هذا الأَصِيرم، ما جاء به؟ لقد تركناه وإنه لمنكر لهذا الحديث، فسألوه: ما جاء بك؟ أحذب على قومك أم رغبة في الإسلام؟ فقال: بل رغبة في الإسلام، آمنت بالله تعالى ورسوله، وأسلمت ثم أخذت سيفي فغدوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قاتلت حتى أصابني ما أصابني، وإن مت فأموالي إلى محمد يضعها حيث شاء، فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إنه من أهل الجنة». وقيل: مات

(1) انظر: زاد المعاد (218/3).

(7) انظر: غزوة أحد لأبي فارس، ص 117.

فدخل الجنة وما صلى من صلاة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «عَمِلَ قَلِيلاً وَأَجْرٌ»⁽¹⁾
 وكان أبو هريرة يقول: حدثوني عن رجل دخل الجنة ولم يصل قط، فإذا لم يعرفه الناس سألوه من
 هو؟ قال: هو أصيرم بن عبد الأشهل⁽²⁾.

2- شأن مخيريق: لما كانت غزوة أحد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل
 المشركين، جمع مخيرق قومه اليهود وقال لهم: يا معشر يهود، والله لقد علمتم أن نصر محمد
 عليكم لحق، قالوا: إن اليوم يوم السبت، قال: لا سبت لكم. فأخذ سيفه وعدته، وقال: إن أصبت
 فمالي لمحمد يصنع فيه ما شاء، ثم غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتل معه حتى قتل،
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مخيريق خير يهود⁽³⁾.

وقد اختلف في إسلامه، فنقل الذهبي في التجريد وابن حجر في الإصابة عن الواقدي⁽⁴⁾ أن
 مخيريق مات مسلماً، وذكر السهيلي في الروض الأنف أنه مسلم، وذلك حين قال معقباً على
 رواية ابن إسحاق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مخيريق خير يهود» قال:
 ومخيريق مسلم، ولا يجوز أن يقال في مسلم هو خير النصارى، ولا خير اليهود؛ لأن أفعل من
 كذا، إذا أضيف فهو بعض ما أضيف إليه، فإن قيل: وكيف جاز هذا؟ قلنا: لأنه قال: خير يهود،
 ولم يقل خير اليهود، ويهود اسم علم كتمود، يقال: إنهم نسبوا إلى يهوذا بن يعقوب ثم عربت
 الذال دالاً⁽⁵⁾. وقد حقق هذه المسألة الدكتور عبد الله الشقاوي في كتابه (اليهود في السنة
 المطهرة) وذهب إلى أن مخيريق قد أسلم، ودفعه ذلك إلى القتال مع المسلمين، وإلى التصديق
 بماله مع كثرته، ومع ما عرف عن اليهود من حب المال والتكالب عليه⁽⁶⁾.

ل- إنما الأعمال بالنيات: كان ممن قاتل مع المسلمين يوم أحد رجل يدعى قزمان، كان يعرف

(1) انظر: البخاري، الجهاد، رقم 2808. (2) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (100/3، 101).

(3) انظر: المغازي للواقدي، (263/1)، والسيرة لابن هشام (99/3).

(4) انظر: تجريد أسماء الصحابة (70/2)، الإصابة (393/3).

(5) انظر: الروض الأنف للسهيلي (408/4، 409).

(6) انظر: اليهود في السنة المطهرة (306/1).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

بالشجاعة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا ذكر له: إنه من أهل النار، فتأخر يوم أحد فغيرته نساء بني ظفر، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسوي الصفوف حتى انتهى إلى الصف الأول، فكان أول من رمى من المسلمين بسهم، فجعل يرسل نبلاً كأنها الرماح ويكت كتيت الجمل، ثم فعل بالسيف الأفاعيل حتى قتل سبعة أو تسعة وأصابته جراحة، فوقع فناداه قتادة بن النعمان: يا أبا الغيداق، هنيئاً لك الشهادة، وجعل رجال من المسلمين يقولون له: والله لقد أبليت اليوم يا قزمان فأبشر، قال: بماذا؟ فوالله ما قاتلت إلى على أحساب قومي، فلولا ذلك ما قاتلت، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إنه من أهل النار، إن الله تعالى يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر»⁽¹⁾. وفي هذا الخبر بيان لمكان النية في الجهاد، وإنه من قاتل حمية عن قومه أو ليقل شجاع ولم تكن أعماله لله تعالى لا يقبل الله منه.

خامساً: من دلائل النبوة:

1- عين قتادة بن النعمان رضي الله عنه: أصيبت عين قتادة رضي الله عنه حتى سقطت على وجنتيه فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده، فكانت أحسن عينيه وأحدهما، وأصبحت لا ترمد إذا رمدت الأخرى⁽²⁾، وقد قدم ولده على عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- فسأله من أنت؟ فقال له مرتجلاً:

أنا ابن الذي سألت على الخد عينه فردت بكف المصطفى أحسن الرد

فعادت كما كانت لأول أمرها فيا حسنها عينا ويا حسن ما خد

فقال عمر بن عبد العزيز عند ذلك:

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيئا بماء فعادا بعد أبوالا

(1) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (99/3)، غزوة أحد دراسة دعوية، ص113.

(2) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (388/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

ثم وصله فأحسن جائزته(1).

2- مقتل أبي بن خلف: كان أبي بن خلف يلقي رسول الله بمكة، فيقول: يا محمد إن عندي العود فرساً أعلفه كل يوم، أقتلك عليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بل أنا أقتلك إن شاء الله» فلما كان يوم أحد، وأسند رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب أدركه أبي بن خلف وهو يقول: أي محمد لا نجوت، فقال القوم: يا رسول الله، أيعطف عليه رجل منا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «دعوه» فلما دنا تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة، فلما أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم منه انتفض بها انتفاضة تطاير عنه من حوله تطاير الشعراء(2) عن ظهر البعير إذا انتفض بها، ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنة تدأداً(3) منها عن فرسه، فلما رجع إلى قريش وقد خدشه في عنقه خدشاً غير كبير، فاحتقن الدم، قال: قتلني والله محمد، قالوا له: ذهب والله فؤادك، والله إن بك من بأس، قال: إنه قد كان قال لي بمكة: أنا أقتلك، فوالله لو بصق علي لقتلني، فمات عدو الله بسرف(4)، وهم قافلون به إلى مكة(5).

وفي هذا الخبر مثل رفيع على شجاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان أبي بن خلف مدججاً بالسلاح ومتدرعاً بالحديد الواقى، ومع ذلك استطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطعنه بالرمح من فرجة صغيرة في عنقه بين الدرع والبيضة، وهذا يدل على قدرة رسول الله القتالية ودقته في إصابة الهدف، وفي هذا الخبر معجزة للنبي فقد أخبر أياً بأنه سوف يقتله بمشيئة الله وتم ذلك، وفي الخبر عبرة في إيمان المشركين بصدق النبي صلى الله عليه وسلم وأنه إذا قال شيئاً وقع، فقد كان أبي بن خلف على يقين بأنه سيموت من تلك الطعنة، ومع ذلك لم يدخلوا في الإسلام لعنادهم وعبادة أهوائهم(6). وقد خلد حسان بن ثابت هذه الحادثة في شعره

(1) انظر: البداية والنهاية (35/4).

(2) الشعراء: ذباب له لدغ.

(3) تدأداً: تقلب عن فرسه فجعل يتدحرج.

(4) سرف: موضع على ستة أميال من مكة.

(5) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (93/3، 94).

(6) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (169/5).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

لقد ورث الضلالة عن أبيه أبي يوم بارزه الرسول
أتيت إليه تحمل رم عظم وتوعده وأنت به جهول⁽¹⁾

* * *

(1) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (94/3).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

المبحث الثالث

أحداث ما بعد المعركة

أولاً: حوار أبي سفيان مع الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه:

قال البراء رضي الله عنه: وأشرف أبو سفيان فقال أفي القوم محمد؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تجيبوه»، فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ قال: «لا تجيبوه»، فقال: أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال: إن هؤلاء القوم قتلوا، فلو كانوا أحياء لأجابوا، فلم يملك عمر رضي الله عنه نفسه فقال: كذبت يا عدو الله، أبقى الله عليك ما يخزيك، قال أبو سفيان: اعل هبل⁽¹⁾، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أجيبوه»، قال: قالوا: ما نقول؟ قال: «قولوا: الله أعلى وأجل»، قال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أجيبوه»، قالوا: ما نقول؟ قال: «قولوا الله مولانا ولا مولى لكم»، قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، والحرب سجال، وتجدون مثله لم آمر بها ولم تسؤني⁽²⁾. وفي رواية قال عمر: (لا سواء قتلنا في الجنة وقتلكم في النار)⁽³⁾.

كان في سؤال أبي سفيان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر دلالة واضحة على اهتمام المشركين بهؤلاء دون غيرهم؛ لأنه في علمهم أنهم أهل الإسلام وبهم قام صرحه وأركان دولته وأعمدة نظامه، ففي موتهم يعتقد المشركون أنه لا يقوم الإسلام بعدهم. وكان السكوت عن إجابة أبي سفيان أولاً تصغيراً له حتى إذا انتشى وملاه الكبر أخبروه بحقيقة الأمر، وردوا عليه بشجاعة⁽⁴⁾.

وفي هذا يقول ابن القيم في تعليقه على هذا الحوار: فأمرهم بجوابه عند افتخاره بآلهته،

(1) اعل هبل: ظهر دينك.

(2) البخاري، المغازي، رقم 4043، السيرة النبوية الصحيحة (392/2).

(3، 4) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (392/2).

وبشركه، تعظيماً للتوحيد. وإعلاماً بعزة من عبده المسلمون، وقوة جانبه، وأنه لا يغلب، ونحن حزبه وجنده. ولم يأمرهم بإجابته حين قال: أفيكم محمد؟ أفيكم ابن أبي قحافة؟ أفيكم عمر؟ بل روي أنه نهاهم عن إجابته، وقال: **لا تجيبوه**؛ لأن كَلَمَهُم لم يكن برد في طلب القوم، ونار غيظهم بعد متوقدة، فلما قال لأصحابه: أما هؤلاء فقد كفيتموهم، حمي عمر بن الخطاب واشتد غضبه وقال: كذبت يا عدو الله، فكان في هذا الإعلام من الإذلال، والشجاعة وعدم الجبن، والتعرف إلى العدو في تلك الحال، ما يؤذيهم بقوة القوم وبسالتهم، وأنهم لم يهنوا ولم يضعفوا، وأنه وقومه جديرون بعدم الخوف منهم وقد أبقي الله لهم ما يسؤوهم منهم، وكان في الإعلام ببقاء هؤلاء الثلاثة بعد ظنه، وظن قومه أنهم قد أصيبوا من المصلحة، وغيظ العدو وحزبه، والفت في عضده ما ليس في جوابه حين سأل عنهم واحداً واحداً، فكان سؤاله عنهم ونعيمهم لقومه آخر سهام العدو كيده، فصبر له النبي **صلى الله عليه وسلم** حتى استوفى كيده، ثم انتدب له عمر فرد بسهام كيده عليه، وكان ترك الجواب عليه أحسن، وذكره ثانياً أحسن، وأيضاً فإن في ترك إجابته حين سألهم إهانة له، وتصغيراً لشأنه، فلما منته نفسه موتهم، وظن أنهم قد قتلوا، وحصل له بذلك من الكبر والأشر ما حصل، كان في جوابه إهانة له، وتحقير وإذلال، ولم يكن هذا مخالفاً لقول النبي **صلى الله عليه وسلم** «**لا تجيبوه**» فإن إنما نهى عن إجابته حين سأل: أفيكم محمد؟ أفيكم فلان؟ ولم ينه عن إجابته حين قال: أما هؤلاء فقد قتلوا، وبكل حال فلا أحسن من ترك إجابته أولاً، ولا أحسن من إجابته ثانياً⁽¹⁾.

ثانياً: تفقد الرسول صلى الله عليه وسلم الشهداء:

بعد أن انسحب أبو سفيان من أرض المعركة ذهب الرسول **صلى الله عليه وسلم** ليتفقد أصحابه رضي الله عنهم، فمر على بعضهم، ومنهم حمزة بن عبد المطلب، ومصعب بن عمير، وحنظلة بن أبي عامر، وسعد بن الربيع والأصيرم، وبقية الصحابة رضي الله عنهم، فلما أشرف عليهم رسول الله **صلى الله عليه وسلم** قال: «**أنا شهيد على هؤلاء، إنه ما من جريح يجرح في**

(1) انظر: زاد المعاد (202/3، 203).

(2) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (109/3).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

الله إلا والله بعثه يوم القيامة، يدمي جرحه، اللون لون دم، والريح ريح المسك، انظروا أكثر هؤلاء جمعاً للقرآن، فاجعلوه أمام أصحابه في القبر»⁽¹⁾.

وقال جابر بن عبد الله في رواية البخاري: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول: «أيهم أكثر أخذًا للقرآن؟» فإذا أشير له إلى واحد قدمه في اللحد، وقال: «أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة»، وأمر بدفنهم بدمائهم، ولم يصل عليهم، ولم يغسلوا⁽²⁾.

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدفنوا حيث صرعوا، وأعيد من أخذ ليدفن داخل المدينة⁽³⁾.

ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم حمزة بن عبد المطلب، وقد مُثِّل به حزن حزناً شديداً، وبكى حتى نشغ⁽⁴⁾ من البكاء⁽⁵⁾ وقال صلى الله عليه وسلم: «لولا أن تحزن صفة، ويكون سنة من بعدي لتركته حتى يكون في بطون السباع وحواصل الطير، ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم»، فلما رأى المسلمون حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيظه على من فعل بعمه ما فعل، قالوا: والله لنن ظفرنا الله بهم يوماً من الدهر لنمثلن بهم مثله لم يمثلها أحد من العرب⁽⁶⁾، فنزل قول الله تعالى: (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ) [النحل: 126]. لقد ارتكب المشركون صوراً من الوحشية، حيث قاموا بالتمثيل في قتلى المسلمين فبقروا بطون كثير من القتلى وجدعوا أنوفهم، وقطعوا الآذان ومذاكير بعضهم⁽⁷⁾. ومع ذلك صبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه واستجابوا لتوجيه المولى عز وجل، فعفا وصبر وكفر عن يمينه، ونهى عن المثلة.

(2) البخاري، كتاب المغازي، رقم 4079.

(3) سنن النسائي السبوطي وحاشية السندي، كتاب الجنائز، باب أين يدفن الشهيد (79/4) رقم 2006.

(4) النشغ: الشهيق حتى يكاد يبلغ به الغشي.

(5) انظر: مختصر سيرة الرسول، لمحمد عبد الوهاب، ص 331.

(6) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (106/3).

(7) انظر: غزوة أحد لأبي فارس، ص 104.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

روى ابن إسحاق بسنده عن سمرة بن جندب قال: (ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقام قط ففارقته، حتى يأمرنا بالصدقة وينهانا عن المثلة)⁽¹⁾.

ثالثاً: دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم يوم أحد:

صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه الظهر قاعداً لكثرة ما نزل من دمه، وصلى وراءه المسلمون قعود، وتوجه النبي صلى الله عليه وسلم بعد الصلاة إلى الله بالدعاء والثناء على ما نالهم من الجهد والبلاء، فقال لأصحابه: «استوتوا، حتى أثني على ربي عز وجل» فصاروا خلفه صفوفًا، ثم دعا بهذه الكلمات الدالة على عمق الإيمان⁽²⁾، فقال صلى الله عليه وسلم: «اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لما أضللت، ولا مضل لمن هديت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرب لما باعدت، ولا مبعد لما قربت، اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك، اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول، اللهم إني أسألك النعيم يوم الغلبة، والأمن يوم الخوف، اللهم عانذ بك من شر ما أعطيتنا وشر ما منعت، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين، اللهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين، وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا نادمين ولا مفتونين، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسولك، ويصدون عن سبيلك، واجعل عليهم رجزك وعذابك، اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب إله الحق»⁽³⁾ ثم ركب فرسه ورجع إلى المدينة⁽⁴⁾.

وهذا أمر عظيم شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأئمة لكي يطلبوا النصر والتوفيق من رب العالمين، وبين لأئمة أن الدعاء مطلوب في ساعة النصر والفتح، وفي ساعة الهزيمة لأن الدعاء مخ العبادة، كما أنه من أقوى الأسباب في دفع المكروه، وحصول المطلوب، ويجعل القلوب

(1) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (107/3).

(2) انظر: السيرة النبوية لأبي شعبة (210/2).

(3) انظر: مجمع الزوائد (121/6، 122) وقال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(4) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (394/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

متعلقة بخالقها، فينزل عليها السكينة، والثبات والاطمئنان ويمدها بقوة روحية عظيمة، فترتفع المعنويات نحو المعالي وتتطلع إلى ما عند الله تعالى.

في أعقاب المعركة، يتخذ النبي صلى الله عليه وسلم أهبطه وينظم المسلمين صفوفًا، لكي يثني على ربه عز وجل، إنه لموقف عظيم، يجلي إيمانًا عميقًا، ويكشف عن العبودية المطلقة لرب العالمين الفعّال لما يريد، فهو القابض والباسط، المعطي والمانع، لا راد ولا معقب لحكمه. إن هذا الموقف من أعظم مواقف العبودية التي تسمو بالعابدين، وتجل المعبود، كأعظم ما يكون الإجلال والإكبار، وأبرز ما يكون الحمد والثناء⁽¹⁾.

رابعًا: معرفة وجهة العدو:

بعد أن انسحب جيش المشركين من أرض المعركة أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد الغزوة مباشرة، وذلك لمعرفة اتجاه العدو، فقال له: «أخرج في آثار القوم، وانظر ماذا يصنعون وما يريدون؟ فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فهم يريدون المدينة، والذي نفسي بيده إن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ثم لأناجزنهم» قال علي: فخرجت في أثرهم ماذا يصنعون فجنبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجهوا إلى مكة⁽²⁾. فرجع علي رضي الله عنه وأخبر رسول الله بخبر القوم.

وفي هذا الخبر عدة دروس وعبر منها:

يقظة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومراقبته الدقيقة لتحركات العدو، وقدرته صلى الله عليه وسلم على تقدير الأمور، وظهور قوته المعنوية العالية، ويظهر ذلك في استعداداته لمقاتلة المشركين لو أرادوا المدينة، وفيه ثقة النبي صلى الله عليه وسلم بعلي رضي الله عنه ومعرفته بمعادن الرجال، وفيه شجاعة علي رضي الله عنه؛ لأن هذا الجيش لو أبصره ما تورع في محاولة

(1) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، د. محمد فيض الله، ص 132، 133.

(2) انظر: البداية والنهاية (41/4).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

قتله⁽¹⁾، ونلاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم أقام في أرض المعركة بعد أن انتهت، تفقد خلالها الجرحى والشهداء، وأمر بدفنهم ودعا ربه وأثنى عليه سبحانه، وأرسل علياً ليتبع خبر القوم، كل ذلك من أجل أن يحافظ على النصر الذي أحرزه المسلمون في غزوة أحد، وهذا من فقه سنن الله تعالى في الحروب والمعارك، فقد جعل سبحانه من سننه في خلقه أن جعل للنصر أسباباً، وللهزيمة أسباباً، فمن أخذ بأسباب النصر، وصدق التوكل على الله سبحانه وتعالى حقيقة التوكل نال النصر بإذن الله عز وجل، كما قال تعالى: (سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) [الفتح: 23].

ويتجلى فقه النبي صلى الله عليه وسلم في ممارسة سنة الأخذ بالأسباب في غزوة حمراء الأسد.

خامساً: غزوة حمراء الأسد:

نجد في بعض الروايات: أن النبي صلى الله عليه وسلم تابع أخبار المشركين بواسطة بعض أتباعه حتى بعد رجوعهم إلى مكة، وبلغه مقالة أبي سفيان يلوم فيها جنده لكونهم لم يشفوا غليلهم من محمد وجنده، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما انصرف أبو سفيان والمشركون من أحد وبلغوا الروحاء⁽²⁾ قال أبو سفيان: لا محمداً قتلتم ولا الكواعب أردفتهم، شر ما صنعتم، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم⁽³⁾. وتفيد هذه الرواية خبر استطلاع الرسول صلى الله عليه وسلم أعداءه حتى بعد انتهاء المعركة؛ وذلك لكي يطمئن على عدم مباغتتهم له.

وعندما سمع ما كان تعزم عليه قريش من العودة إلى المدينة خرج بمن حضره يوم أحد من المسلمين دون غيرهم إلى حمراء الأسد.

قال ابن إسحاق: كان أحد يوم السبت للنصف من شوال، فلما كان الغد يوم الأحد سادس عشر

(1) انظر: غزوة أحد لأبي فارس، ص 95، 96.

(2) الروحاء: تبعد عن المدينة 73 كيلومتراً في طريق مكة.

(3) انظر: مجمع الزوائد للهيثمى (121/6) قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير محمد بن منصور الجواز. هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ مع الدعاء بحسن الاستفادة

من شوال: أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس بطلب العدو، وألا يخرج معنا إلا من حضر بالأمس، فاستأذنه جابر بن عبد الله في الخروج معه فأذن له، وإنما خرج مرهباً للعدو، وليظنوا أن الذي أصابهم لم يوهنهم عن طلب عدوهم⁽¹⁾، وقد استجاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لنداء الجهاد حتى الذين أصيبوا بالجروح، فهذا رجل من بني عبد الأشهل يقول: شهدت أحدًا أنا وأخ لي فرجعنا جريحين، فلما أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج في طلب العدو قلت لأخي وقال لي: أتفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ والله ما لنا من دابة نركبها، وما منا إلا جريح ثقيل، فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكنت أيسر جرحاً منه، فكان إذا غلب حملته عقبة ومشى عقبة (نوبة)، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون⁽²⁾. وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حمراء الأسد، واقترب بجنوده من جيش المشركين فأقام فيه ثلاثة أيام يتحدى المشركين، فلم يتشجعوا على لقائه ونزاله، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بإشعال النيران فكانوا يشعلون في وقت واحد خمسمائة نار⁽³⁾.

وأقبل معبد بن أبي معبد الخزاعي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم، فأمره أن يلحق بأبي سفيان، فيخذه، فلحقه بالروحاء ولم يعلم بإسلامه، فقال: ما وراءك يا معبد؟ فقال: محمد وأصحابه، فقد تحرقوا عليكم، وخرجوا في جمع لم يخرجوا في مثله، وقد ندم من كان تخلف عنهم من أصحابهم، فقال: ما تقول؟ فقال: ما أرى أن ترتحل حتى يطلع أول الجيش من وراء هذه الأكمة⁽⁴⁾. فقال أبو سفيان: والله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصلهم، قال معبد: فإني أنهاك عن ذلك، والله لقد حملني ما رأيت أن قلت فيه أبياتاً من شعر:

قال: وما قلت؟ قال: قلت:

(1، 4) انظر: البداية والنهاية (50/4).

(3) انظر: غزوة أحد لأبي فارس، ص 144 نقلا عن الطبقات الكبرى لابن سعد (43/2).

(4) انظر: زاد المعاد (245/3).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

كادت تهد من الأصوات راحلتي إذ سالت الأرض بالجرد⁽¹⁾ الأبابل
تردي⁽²⁾ بأسد كرام لا تنابلة⁽³⁾ عند اللقاء ولا ميل⁽⁴⁾ معازيل⁽⁵⁾
فظلت عدواً أظن الأرض مائلة لما سمو برئيس غير مخذول
فقلت: ويل ابن حرب من لقائكم إذا تغطمطت البطحاء بالجبل⁽⁶⁾
إني نذير لأهل البسل صاحبة لكل ذي أربة منهم ومعقول
من جيش أحمد لا وخش⁽⁷⁾ قنابله وليس يوصف ما أنذرت بالقليل⁽⁸⁾

فتنى ذلك أبا سفيان ومن معه، وحاول أبو سفيان أن يغطي انسحابه هذا بشن حرب نفسية على المسلمين، لعله يرهبهم فأرسل مع ركب عبد القيس - وكانوا يريدون المدينة للميرة - رسالة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مفادها، أن أبا سفيان وجيشه قد أجمعوا على السير إليه وإلى أصحابه ليستأنصلهم من الوجود، وواعد أبو سفيان الركب أن يعطيهم زبيباً عندما يأتوه في سوق عكاظ، ومر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الأسد فأخبروه بالذي قال أبو سفيان، فقال هو والمسلمون: حسبنا الله ونعم الوكيل⁽⁹⁾. واستمر المسلمون في معسكرهم، وآثرت قريش السلامة والأوبة، فرجعوا إلى مكة، وبعد ذلك عاد المسلمون إلى المدينة بروح قوية متوثبة، غسلت عار الهزيمة، ومسحت مغبة الفشل، فدخلوها أعزة رفيعة الجانب، عبثوا بانتصار المشركين، وهزوا أعصابهم، وأحبطوا شماتة المنافقين واليهود في المدينة، وأشار القرآن الكريم

(1) الجرد: جمع أجرد وهو الضرسى قصير الشعر، والأبابل: الفرق الكثيرة.
(2) تردى: تسرع.
(3) تنابلة: جمع تنبال وهو القصير.

(4) الميل: جمع أميل وهو الجبان.
(6) معازيل: جمع معزال وهو لا رمح له.

(6) تغطمطت: اضطربت وثار.
(8) وخش: ردئ.
(9) انظر: البداية والنهاية (51/4)
(10) تاريخ الإسلام للذهبي، المغازي، ص226.

إلى هذه الحرب الباردة، وسجل ظواهرها⁽¹⁾ بقوله تعالى: (الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ □ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ □ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ □ إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يَخَوْفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) [آل عمران: 172-175] ووقع في أسر النبي صلى الله عليه وسلم قبل رجوعه إلى المدينة أبو عزة الجمحي الشاعر فقتل صبراً؛ لأنه أخلف وعده للرسول صلى الله عليه وسلم بأن لا يقاتل ضده عندما منَّ عليه ببدر وأطلقه، فعاد فقاتل في أحد، وقد حاول أبو عزة أن يتخلص من القتل، وقال: يا رسول الله أقتلني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا والله، لا تمسح عارضيك⁽²⁾ بمكة بعدها، وتقول: خدعت محمداً مرتين، اضرب عنقه يا زبير»⁽³⁾ فضرب عنقه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم حينئذ: «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين»⁽⁴⁾ فصار هذا الحديث مثلاً ولم يسمع قبل ذلك.

وبعد هذا العمل من قبيل السياسة الشرعية؛ لأن هذا الشاعر من المفسدين في الأرض، الداعين إلى الفتنة، ولأن في المن عليه تمكياً له من أن يعود حرباً على المسلمين.

ولم يؤسر من المشركين سوى أبي عزة الجمحي⁽⁵⁾.

وأما عدد القتلى من المسلمين في أحد فقد انجلت المعركة عن سبعين شهيداً من المسلمين، ويؤيد هذا تفسير قوله تعالى: (أَوْ لَمَّا أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) أنها نزلت تسلياً للمؤمنين عمن أصيب منهم يوم أحد، قال ابن عطية رحمه الله: وكان المشركون قد قتلوا منهم سبعين نفرًا، وكان المسلمون قد قتلوا

(1) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص 142.

(2) عارضيك: هما جانبا الوجه، لسان العرب (742/2).

(3) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (116/3).

(4) البخاري، كتاب الأدب، باب لا يلدغ المرء (134/7) رقم 6133.

(5) انظر: البداية والنهاية (53/4).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

من المشركين ببدر سبعين وأسروا سبعين⁽¹⁾، أما عدد الذين قتلوا يوم أحد من المشركين فاثنتان وعشرون قتيلاً⁽²⁾. كان خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم لملاحقة المشركين في غزوة حمراء الأسد يهدف لتحقيق مجموعة من المقاصد المهمة منها:

- 1- ألا يكون آخر ما تنطوي عليه نفوس الذين خرجوا يوم أحد هو الشعور بالهزيمة.
 - 2- إعلامهم أن لهم الكرة على أعدائهم متى نفضوا عنهم الضعف والفتل واستجابوا لدعوة الله ورسوله.
 - 3- تجربة الصحابة على قتال أعدائهم.
 - 4- إعلامهم أن ما أصابهم في ذلك اليوم إنما هو محنة وابتلاء اقتضتها إرادة الله وحكمته وأنهم أقوياء، وأن خصومهم الغالبين في الظاهر ضعفاء⁽³⁾.
- كما أن في خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى حمراء الأسد إشارة نبوية إلى أهمية استعمال الحرب النفسية للتأثير على معنويات الخصوم، حيث خرج صلى الله عليه وسلم بجنوده إلى حمراء الأسد، ومكث فيها ثلاثة أيام، وأمر بإيقاد النيران فكانت تشاهد من مكان بعيد وملأت الأرجاء بأنوارها، حتى خيل لقريش أن جيش المسلمين ذو عدد كبير لا طاقة لهم به فانصرفوا، وقد ملأ الرعب أفئدتهم⁽⁴⁾. قال ابن سعد: (ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه حتى عسكروا بحمراء الأسد، وكان المسلمون يوقدون تلك الليالي خمسمائة نار حتى ترى من المكان البعيد، وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم في كل وجه فكبث الله تعالى بذلك عدوهم⁽⁵⁾).

سادساً: مشاركة نساء المسلمين في معركة أحد:

كانت غزوة أحد أول معركة في الإسلام تشارك فيها نساء المسلمين، وكان لهذا أثر بالغ في

(1) المحرر الوجيز لابن عطية (411/3).

(2) مرويات غزوة أحد للباكري، ص 367، 369.

(3) انظر: في ظلال القرآن (519/1).

(4) انظر: غزوة أحد لأبي فارس، ص 51.

(5) انظر: الطبقات لابن سعد (49/2).

سقي المحاربين وتضميد الجرحى، وقد ظهرت بطولات النساء وصدق إيمانهن في هذه المعركة، فقد خرجن لكي يسقين العطشى ويدوين الجرحى، ومنهن من قامت برد ضربات المشركين الموجهة للرسول صلى الله عليه وسلم، وممن شاركن في غزوة أحد أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق، وأم عمار، وحمنة بنت جحش الأسدية، وأم سليط، وأم سليم، ونسوة من الأنصار⁽¹⁾، قال ثعلبة بن أبي مالك رضي الله عنه: (إن عمر بن الخطاب قسم مروطاً بين نساء المدينة، فبقي مرط جيد، فقال له بعض من عنده: يا أمير المؤمنين أعط هذا ابنة رسول الله التي عندك، يريدون أم كلثوم بنت علي، فقال عمر رضي الله عنه: أم سليط أحق به من نساء الأنصار ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنها كانت تزفر⁽²⁾ لنا القرب يوم أحد⁽³⁾).

أ- سقي العطشى من المجاهدين:

عن أنس رضي الله عنه قال: (لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وإنهما لمشمرتان أرى خدماً سوقهن تنقران⁽⁴⁾ القرب، وقال غيره: تنقلان القرب على متونهما ثم تفرغانه في أفواه القوم، ثم ترجعان فتملأنها ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم⁽⁵⁾).

وقال كعب بن مالك رضي الله عنه: رأيت أم سليم بنت ملحان وعائشة على ظهورهما القرب يحملانها يوم أحد، حملة بنت جحش تسقي العطشى وتداوي الجرحى، وكانت أم أيمن تسقي الجرحى⁽⁶⁾.

ب- مداواة الجرحى ومواساة المصابين:

(1) مسلم، كتاب الجهاد، باب غزو النساء، رقم 1779.

(2) تزفر: تحمل القرب مملوءة بالماء.

(3) البخاري، كتاب المغازي رقم 4071.

(4) تنقران: أي تحملان وتقفزان بها وثباً.

(5) البخاري، كتاب الجهاد واليسر، باب غزو النساء رقم 2880.

(6) انظر: المغازي للواقدي (249/1).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو بأم سليم، ونسوة من الأنصار معه إذا غزا، فيسقين الماء ويداوين الجرحى⁽¹⁾.

وأخرج عبد الرزاق عن الزهري: كان النساء يشهدن مع النبي صلى الله عليه وسلم المشاهد ويسقين المقاتلة ويداوين الجرحى⁽²⁾. وعن الربيع بنت معوذ قالت: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم نسقي القوم، ونداوي الجرحى، ونرد القتلى إلى المدينة، وفي رواية: كنا نغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم فنسقي القوم ونخدمهم ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة⁽³⁾. وعن أبي حازم أنه سمع سهل بن سعد رضي الله عنه وهو يسأل عن جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أما والله إنني لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله، ومن كان يسكب الماء وبما دووي، قال: كانت فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تغسله، وعلي يسكب الماء بالمجن، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة، أخذت قطعة من حصير فأحرقتها وألصقتها فاستمسك الدم⁽⁴⁾.

ج- الدفاع عن الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم بالسيف:

لم تقاتل المشركين يوم أحد إلا أم عمارة نسيبة المازنية -رضي الله عنها-، وهذا ضمرة ابن سعيد يحدث عن جدته، وكانت قد شهدت أحدًا تسقي الماء قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لمقام نسيبة بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان» وكان يراها تقاتل يومئذ أشد القتال، وإنها لحاجزة ثوبها على وسطها، حتى جرحت ثلاثة عشر جرحًا، فلما حضرتها الوفاة كنت فيمن غسلها، فعددت جراحها جرحًا جرحًا فوجدتها ثلاثة عشر جرحًا، وكانت تقول: إنني لأنظر إلى ابن قمئة وهو يضربها على عاتقها -وكان أعظم جراحها، لقد داوته سنة- ثم نادى منادي النبي صلى الله عليه وسلم إلى حمراء الأسد فشدت عليها ثيابها فما استطاعت من نزف

(1) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزو النساء، رقم 1810.

(2) البخاري فتح الباري لابن حجر (92/6) عند حديث رقم 2880.

(3) البخاري، كتاب الجهاد والسير رقم 2882، 2883.

(4) البخاري، كتاب المغازي، رقم 4075.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

الدم، ولقد مكثنا ليلنا نكمد الجراح حتى أصبحنا، فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحمراء، ما وصل إلى بيته حتى أرسل إليها عبد الله بن كعب المازني⁽¹⁾ -أخو أم عمارة- يسأل عنها، فرجع إليه يخبره بسلامتها فسر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك⁽²⁾. وقد علق الأستاذ حسين الباكري عن مشاركة نسبية بنت كعب في القتال فقال: وخروج المرأة للقتال مع الرجل لم يثبت في ذلك منه شيء غير قصة نسبية، وقتال نسبية إنما كان اضطرارياً حين رأت أن رسول الله أصبح في خطر حين انكشف عنه الناس، فأمر عمارة كانت في موقف أصبح حمل السلاح واجباً على من يقدر على حمله رجلاً كان أو امرأة⁽³⁾.

وعلق الدكتور أكرم ضياء العمري على الآثار الدالة في مشاركة النساء في أحد بقوله: وهذه الآثار تدل على جواز الانتفاع بالنساء عند الضرورة لمداواة الجرحى وخدمتهم إذا أمنت فتنتهن مع لزومهن الستر والصيانة، ولهن أن يدافعن عن أنفسهن بالقتال إذا تعرض لهن الأعداء، مع أن الجهاد فرض على الرجال وحدهم إلا إذا داهم العدو ديار المسلمين فيجب قتاله من الجميع رجالاً ونساء⁽⁴⁾.

وأما الأستاذ محمد أحمد باشميل فقد قال: وقد كانت معركة أحد أول معركة قاتلت فيها المرأة المسلمة المشركين في الإسلام، ومن الثابت أن امرأة واحدة فقط اشتركت في هذه المعركة، وهي تدافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما أنه من الثابت أيضاً أن المرأة التي اشتركت في معركة أحد، لم تخرج بقصد القتال فهي لم تكن مجندة فيها كالرجال، وإنما خرجت لتنظر ما يصنع الناس لتقوم بأية مساعدة يمكنها القيام بها للمسلمين كإغاثة الجرحى بالماء وما شابه ذلك، يضاف إلى هذا أن هذه المرأة التي خاضت معركة أحد هي امرأة قد تخطت سن الشباب، كما أنها لم تخرج إلى المعركة إلا مع زوجها وابنيها الذين كانوا من الجند الذين قاتلوا في المعركة، يضاف

(1) أخو أم عمارة: انظر الذهبي سير أعلام النبلاء (278/2).

(2) المغازي للواقدي (269/1، 270).

(3) انظر: مرويّات غزوة أحد، ص 254.

(4) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (391/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

إلى هذا الرصيد الهائل الذي لديها من المناعة الخلقية والتربية الدينية، فلا يقاس على هذه الصحابية الجليلة مجندات هذا الزمان اللواتي يرتدين لباس الميدان وعنصر الإغراء والفتنة هو أهم عنصر يتميز به ويحرصن على إظهاره للرجال فأين الثرى من الثريا؟

كذلك رجال ذلك العصر لا يقاس عليهم أحد من رجال هذا الزمان من ناحية الشهامة والاستقامة والعفة والرجولة، فكل المحاربين الذين اشتركت معهم امرأة في معركة أحد كانوا صفوة الأمة الإسلامية ورمز نبيلها وشهامتها وعنوان رجولتها واستقامتها، فلا يصح مطلقاً جعل اشتراك تلك المرأة في معركة أحد قاعدة تقاس عليها (من الناحية الشرعية) إباحة تجنيد المرأة في هذا العصر لتقاتل بجانب الرجل (كعنصر أساسي من عناصر الجيش)، فالقياس في هذه الحالة قياس مع الفارق وهو قياس باطل قطعاً⁽¹⁾.

سابعاً: دروس في الصبر تقدمها الصحابيات للأمة:

أ- صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها:

لما استشهد أخوها حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه في أحد وجاءت لتتنظر إليه وقد مثل به المشركون؛ فجدعوا أنفه وبقروا بطنه، وقطعوا أذنيه ومذاكيره، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزبير بن العوام: «القهأ فارجعها، لا ترى ما بأخيها» فقال لها: يا أمه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرني أن ترجعي، قالت: ولم؟ وقد بلغني أنه قد مثل بأخي، وذلك في الله، فما أرضانا بما كان من ذلك، لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله.

فلما جاء الزبير بن العوام رضي الله عنه إلى رسول الله فأخبره بذلك، قال: «خُلَّ سبيلها» فأتته فنظرت إليه، فصلت عليه واسترجعت⁽²⁾، واستغفرت له⁽³⁾.

ب- حمزة بنت جحش رضي الله عنها:

(1) انظر: غزوة أحد، محمد باشميل، ص 171: 173.

(2) استرجعت، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون.

(3) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (108/3).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من دفن أصحابه -رضي الله عنهم- ركب فرسه وخرج المسلمون حوله راجعين إلى المدينة، فلقيته حمنة بنت جحش، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا حمنة: «احتسبي» قالت: من يا رسول الله؟ قال: «أخوك عبد الله بن جحش» قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، غفر الله له، هنيئاً له الشهادة، ثم قال لها: «احتسبي» قالت: من يا رسول الله؟ قال: «خالك حمزة بن عبد المطلب» قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، غفر الله له، هنيئاً له الشهادة، ثم قال لها: «احتسبي» قالت: من يا رسول الله؟ قال: «زوجك مصعب بن عمير»، قالت: واحزنه، وصاحت وولولت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن زوج المرأة منها لمكان» لما رأى من تثبتها على أخيها وخالها، وصياحها على زوجها ثم قال لها: «ولم قلت هذا؟» قالت: يا رسول الله ذكرت يتم بنيه فراغني، فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولولدها أن يحسن الله تعالى عليهم من الخلف⁽¹⁾. فتزوجت طلحة بن عبيد الله فولدت منه محمدًا وعمران⁽²⁾ وكان محمد بن طلحة أوصل الناس لولدها⁽³⁾.

ج- المرأة الدينارية رضي الله عنها:

قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بني دينار، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد، فلما نعوا لها قالت: فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: خيرًا يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين، قالت: أرونيه حتى أنظر إليه، فأشير لها إليه، حتى إذا رآته قالت: كل مصيبة بعدك جلل⁽⁴⁾، تريد صغيرة، وهكذا يفعل الإيمان في نفوس المسلمين.

د- أم سعد بن معاذ وهي كبشة بنت عبيد الخزرجية رضي الله عنها:

خرجت أم سعد بن معاذ تعدو نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسول الله صلى الله

(1) انظر: البداية والنهاية (47/4)، غزوة أحد دراسة دعوية، ص236.

(2) انظر: الإصابة (88/8) رقم 11060.

(3) انظر: غزوة أحد لأبي فارس، ص109.

(4) انظر: البداية والنهاية (48/4).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

عليه وسلم واقف على فرسه، وسعد بن معاذ أخذ بعنان فرسه، فقال سعد: يا رسول الله، أُمي، فقال رسول الله: «مرحباً بها» فدنت حتى تأملت رسول الله فقالت: أما إذا رأيتك سالماً، فقد أشوت⁽¹⁾ المصيبة، فعزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمر بن معاذ ابنها، ثم قال: «يا أم سعد، أبشري وبشري أهليهم أن قتلهم قد توافقوا في الجنة جميعاً، وهم اثنا عشر رجلاً، وقد شفّعوا في أهليهم» قالت: رضينا يا رسول الله، ومن يبكي عليهم بعد هذا؟ ثم قالت: ادع يا رسول الله لمن خلفوا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم أذهب حزن قلوبهم، واجبر مصيبتهم، وأحسن الخلف على من خلفوا»⁽²⁾.

* * *

(1) أشوت: صارت صغيرة خفيفة.

(2) انظر: مغازي الواقدي (315/1، 316).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

المبحث الرابع

بعض الدروس والعبر والفوائد

لقد وصف القرآن الكريم غزوة أحد وصفًا دقيقًا، وكان التصوير القرآني للغزوة أقوى حيوية ووضوحًا من الروايات التي جاءت في الغزوة، كما أن أسلوب الآيات المطمئنة المباشرة واللائمة، والمسكنة والواعظة كان رائعًا وقويًا، فبين القرآن الكريم نفوس جيش النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا تميز لحديث القرآن عن الغزوة، ينفرد به عما جاء في كتب السيرة، فسلط القرآن الكريم الأضواء على خفايا القلوب، التي ما كان المسلمون أنفسهم يعرفون وجودها في قلوبهم، والناظر عموماً في منهج القرآن في التعقيب على غزوة أحد، يجد الدقة والعمق والشمول.

يقول سيد قطب: الدقة في تناول كل موقف، وكل حركة، وكل خالجة، والعمق في التدسس إلى أغوار النفس ومشاعرها الدفينة، والشمول لجوانب النفس وجوانب الحادث. كما نجد الحيوية في التصوير والإيقاع والإيحاء، بحيث تتماوج المشاعر مع التعبير والتصوير تماوجاً عميقاً عنيفاً، ولا تملك أن تقف جامدة أمام الوصف، والتعقيب فهو وصف حي، يستحضر المشاهد، كما لو كانت تتحرك، ويشيع حولها النشاط المؤثر والإشعاع النافذ، والإيحاء المثير⁽¹⁾.

إن حركة النبي صلى الله عليه وسلم في تربية الأمة وإقامة الدولة والتمكين لدين الله، تعتبر انعكاساً في دنيا الحياة لمفاهيم القرآن الكريم التي سيطرت على مشاعره، وأفكاره وأحاسيسه صلى الله عليه وسلم، ولذلك نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم في علاجه لأثر الهزيمة في أحد تابع للمنهج القرآني الكريم، ونحاول تسليط الأضواء على بعض النقاط المهمة في هذا المنهج.

أولاً: تذكير المؤمنين بالسنن ودعوتهم للعلو الإيماني:

قال تعالى: (قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ □ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ □ وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ

(1) في ظلال القرآن (532/1).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

إن المتأمل في هذه الآيات الكريمة يجد أن الله سبحانه وتعالى لم يترك المسلمين لوساوس الشيطان في محنة غزوة بدر، بل خاطبهم بهذه الآيات التي بعث بها الأمل في قلوبهم، وأرشدتهم إلى ما يقويهم ويثبتهم، ويمسح بتوجيهاته دموعهم ويخفف عنهم آلامهم⁽¹⁾.

قال القرطبي: هو تسليّة من الله تعالى للمؤمنين⁽²⁾.

ففي الآيات السابقة دعوة للتأمل في مصير الأمم السابقة التي كذبت بدعوة الله تعالى، وكيف جرت فيهم سنته على حسب عادته، وهي الإهلاك والدمار بسبب كفرهم وظلمهم وفسوقهم على أمره. وجاء التعبير بلفظ كيف الدال على الاستفهام، المقصود به تصوير حالة هؤلاء المكذبين التي تدعو إلى التعجب، وتثير الاستغراب، وتغرس الاعتبار والاتعاظ في قلوب المؤمنين؛ لأن هؤلاء المكذبين مكن الله لهم في الأرض ومنحهم الكثير من نعمه، ولكنهم لم يشكروه عليها، فأهلكهم بسبب طغيانهم⁽³⁾.

وفي قوله تعالى: (وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) دعاهم إلى ترك الضعف، ومحاربة الجبن، والتخلص من الوهن، وعدم الحزن؛ لأنهم هم الأعلون بسبب إيمانهم.

ثانياً: تسليّة المؤمنين وبيان حكمة الله فيما وقع يوم أحد:

قال تعالى: (إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذُ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ □ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ □ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ □ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ) [آل عمران: 140-143].

بيّن الله -سبحانه- لهم أن الجروح والقتلى يجب ألا تؤثر في جسدكم واجتهادهم في جهاد

(1) انظر: حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول (190/1).

(2) انظر: تفسير القرطبي (216/4).

(3) انظر: حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول (191/1).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

العدو؛ وذلك لأنه كما أصابهم ذلك فقد أصاب عدوهم مثله من قبل ذلك، فإذا كانوا مع باطلهم وسوء عاقبتهم لم يفتروا لأجل ذلك في الحرب، فبأن لا يلحقكم الفتور مع حسن العاقبة والتمسك بالحق أولى⁽¹⁾.

وقال صاحب الكشف والمعنى: إن نالوا منكم يوم أحد فقد نلتهم قبله يوم بدر، ثم لم يضعف ذلك قلوبهم، ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال، فأنتم أولى أن لا تضعفوا⁽²⁾. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إنه كان يوم أحد بيوم بدر، قتل المؤمنون يوم أحد، اتخذ الله منهم شهداء، وغلب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر المشركين فجعل الدولة عليهم⁽³⁾. وقد ذكر الله تعالى أربع حكم لما حدث للمؤمنين في غزوة أحد وهي: تحقق علم الله تعالى وإظهاره للمؤمنين، وإكرام بعضهم بالشهادة التي توصل صاحبها إلى أعلى الدرجات، وتطهير المؤمنين وتخليصهم من ذنوبهم ومن المنافقين، ومحق الكافرين واستئصالهم رويداً رويداً⁽⁴⁾.

ثالثاً: كيفية معالجة الأخطاء:

ترفق القرآن الكريم وهو يعقب على ما أصاب المسلمين في أحد على عكس ما نزل في بدر من آيات، فكان أسلوب القرآن الكريم في محاسبة المنتصر على أخطائه أشد من حساب المنكسر، فقال في غزوة بدر: (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ □ لَوْ لَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [الأنفال: 67، 68].

وقال في أحد: (وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ

(1) انظر: تفسير الرازي (14/9).

(4) انظر: تفسير الكشف (465/1).

(3) انظر: تفسير الرازي (105/4).

(4) انظر: حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول (199/1).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (آل عمران: 152) وفي هذا حكمة عملية وتربوية قرآنية يحسن أن يلتزمها أهل التربية والقائمون على التوجيه⁽¹⁾.

رابعاً: ضرب المثل بالمجاهدين السابقين:

قال تعالى: (وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَاثُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ □ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) [آل عمران: 146-148].

قال ابن كثير: عاتب الله بهذه الآيات والتي قبلها من انهزم يوم أحد وتركوا القتال لما سمعوا الصائح يصيح بأن محمداً قد قتل، فعذلهم الله على فرارهم وتركهم القتال⁽²⁾.

وضرب الله لهم مثلاً بإخوانهم المجاهدين السابقين، وهم جماعة كثيرة، ساروا وراء أنبيائهم في درب الجهاد في سبيل الله، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا عن الجهاد بعد الذي أصابهم منه، وما استكانوا للعدو، بل ظلوا صابرين ثابتين في جهادهم، وفي هذا تعريض بالمسلمين الذين أصابهم الوهن والانتكسار عند الإرجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم، وضرب الله مثلاً للمؤمنين لتثبيتهم بأولئك الربانيين وبما قالوه: (وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) [آل عمران: 147] وهذا القول وهو إضافة الذنوب والإسراف إلى نفوسهم -مع كونهم ربانيين- هضم لها واعتراف منهم بالتقصير ودعائهم بالاستغفار من ذنوبهم مقدم على طلبهم تثبيت أقدامهم أمام العدو، ليكون طلبهم إلى ربهم النصر عن زكاة وطهارة وخضوع، وفي هذا تعليم للمسلمين إلى أهمية التضرع، والاستغفار وتحقيق التوبة. وتظهر أهمية ذلك في إنزال النصر على الأعداء (فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ

(1) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص 137.

(2) انظر: تفسير ابن كثير (410/1).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) أي وبذلك نالوا ثواب الدارين: النصر والغنيمة في الدنيا، والثواب الحسن في الآخرة، جزاء إحسانهم في أدب الدعاء والتوجه إلى الله، وإحسانهم في موقف الجهاد، وكانوا بذلك مثلاً يضربه الله للمسلمين المجاهدين، وخص الله تعالى ثواب الآخرة بالحسن دلالة على فضله وتقدمه على ثواب الدنيا وأنه هو المعتمد عنده. (1)

خامساً: مخالفة ولي الأمر تسبب الفشل لجنوده:

ويظهر ذلك في مخالفة الرماة لأمر النبي صلى الله عليه وسلم ووقوعهم في الخطأ الفظيع الذي قلب الموازين، وأدى إلى الخسائر الفادحة التي لحقت بالمسلمين. ولكي نعرف أهمية الطاعة لولي الأمر، نلاحظ أن انخزال عبد الله بن أبي ومن معه من المنافقين لم يؤثر على المسلمين، بينما الخطأ الذي ارتكبه الرماة الذين أحسن الرسول صلى الله عليه وسلم تربيتهم، وأسند لكل واحد منهم عملاً، ثم خالفوا أمره صلى الله عليه وسلم كان ضرره على المسلمين عامة، حيث سلط الله عليهم عدوهم، وذلك بسبب عصيان الأوامر، ثم اختلطت أمورهم وتفرقت كلمتهم، وكاد يُقضى على الدعوة الإسلامية وهي في مهدها.

ونلاحظ من خلال أحداث غزوة أحد: أن المسلمين انتصروا في أول الأمر حينما امتثلوا لأوامر الرسول صلى الله عليه وسلم، وانقادوا لتعليمات قائدهم وأميرهم عبد الله بن جبير رضي الله عنه، بينما انهزموا حينما خالفوا أمره صلى الله عليه وسلم ونزل الرماة من الجبل لجمع الغنائم مع بقية الصحابة (2) رضي الله عنهم، قال تعالى: **(إِنْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ عَمَّا بَعُمُ لَكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)** [آل عمران: 153].

يقول الشيخ محمد بن عثيمين: (ومن آثار عدم الطاعة ما حصل من معصية بعض الصحابة رضي الله عنهم، والنبي صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم، وهم يجاهدون في سبيل الله، لإعلاء

(1) انظر: المستفاد من قصص القرآن (204/2).

(2) انظر: غزوة أحد دراسة دعوية، ص 207-209.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

كلمة الله، والذي حصل أنه لما كانت الغلبة للمؤمنين، ورأى بعض الرماة أن المشركين انهزموا تركوا الموضع الذي أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم ألا يبرحوه، وذهبوا مع الناس، وبهذا كر العدو عليهم من الخلف، وحصل ما حصل من الابتلاء والتمحيص للمؤمنين، وقد أشار الله تعالى إلى هذه العلة بقوله تعالى: (وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّنْ بَعْدَ مَا أَرَأَكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) [آل عمران: 152] هذه المعصية التي فات بها نصر انعقدت أسبابه، وبدأت أوائله، هي معصية واحدة والرسول عليه الصلاة والسلام بين أظهرهم، فكيف بالمعاصي الكثيرة؟ ولهذا نقول: إن المعاصي من آثارها أن الله يسلط بعض الظالمين على بعض بما كانوا يكسبون، ويفوتهم من أسباب النصر والعزة بقدر ما ظلموا فيه أنفسهم⁽¹⁾.

سادساً: خطورة إيثار الدنيا على الآخرة:

وردت نصوص عديدة من آيات وأحاديث تبين منزلة الدنيا عند الله وتصف زخارفها وأثرها على فتنة الإنسان، وتحذر من الحرص عليها، قال تعالى: (زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ) [آل عمران: 14].

وقد حذر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أمته من الاغترار بالدنيا، والحرص الشديد عليها في أكثر من موضع، وذلك لما لهذا الحرص من أثره السيئ على الأمة عامة وعلى من يحملون لواء الدعوة خاصة ومن ذلك:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنة

(1) انظر: الطاعة والمعصية وأثرهما في المجتمع، محمد بن العثيمين نقلا عن غزوة أحد، ص211.
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

بني إسرائيل كانت في النساء»⁽¹⁾ ويظهر للباحث أثر الحرص على الدنيا في غزوة أحد.

قال ابن عباس رضي الله عنه: لما هزم الله المشركين يوم أحد، قال الرماة: (أدركوا الناس ونبي الله، لا يسبقوكم إلى الغنائم، فتكون لهم دونكم) وقال بعضهم: (لا نريم)⁽²⁾ حتى يأذن لنا النبي صلى الله عليه وسلم⁽³⁾ فنزلت: (مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ) [آل عمران: 152].

قال الطبري: قوله سبحانه: (مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا) يعني الغنيمة، قال ابن مسعود: ما كنت أرى أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى نزل فينا يوم أحد⁽⁴⁾ (مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ).

إن الذي حدث في أحد عبرة عظيمة للدعاة وتعليماً لهم بأن حب الدنيا قد يتسلل إلى قلوب أهل الإيمان ويخفى عليهم، فيؤثرون الدنيا ومتاعها على الآخرة ومتطلبات الفوز بنعيمها، ويعصون أوامر الشرع الصريحة كما عصى الرماة أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم الصريحة بتأويل ساقط، يرفعه هوى النفس وحب الدنيا، فيخالفون الشرع وينسون المحكم من أوامره، كل هذا يحدث ويقع من المؤمن وهو غافل عن دوافعه الخفية، وعلى رأسها حب الدنيا، وإيثارها على الآخرة ومتطلبات الإيمان، وهذا يستدعي من الدعاة التفتيش الدائم الدقيق في خبايا نفوسهم واقتلاع حب الدنيا منها، حتى لا تحول بينهم وبين أوامر الشرع، ولا توقعهم في مخالفته بتأويلات ملفوفة بهوى النفس وتلفتها إلى الدنيا ومتاعها⁽⁵⁾.

سابعاً: التعلق والارتباط بالدين:

قال ابن كثير: لما انهزم من انهزم من المسلمين يوم أحد، وقتل من قتل منهم، نادى

(1) مسلم، رقم 2742.

(3) لا نريم: لا نبرح المكان.

(3) انظر: تفسير الطبري (474/3).

(5) المصدر نفسه (474/3).

(5) انظر: المستفاد من قصص القرآن (197/2). (2) انظر: تفسير القرآن العظيم (441/1). هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ مع الدعاء بحسن الاستفادة

الشيطان، ألا إن محمداً قد قتل، ورجع ابن قمينة إلى المشركين فقال لهم: قتلتم محمداً، وإنما كان قد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فشججه في رأسه، فوقع ذلك في قلوب كثير من الناس، واعتقدوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل، وجوزوا عليه ذلك، كما قد قص الله عن كثير من الأنبياء عليهم السلام، فحصل ضعف ووهن وتأخر، عن القتال، ففي ذلك أنزل الله: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) [آل عمران: 144] أي له أسوة بهم في الرسالة وفي جواز القتل عليه⁽¹⁾.

وقد جاء في تفسير الآية السابقة، أن الرسل ليست باقية في أقوامها أبداً، فكل نفس ذائقة الموت، ومهمة الرسول تبليغ ما أرسل به، وقد فعل، وليس من لوازم رسالته البقاء دائما مع قومه، فلا خلود لأحد في هذه الدنيا، ثم قال تعالى منكرًا على من حصل له ضعف لموت النبي صلى الله عليه وسلم أو قتله، فقال تعالى: (أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ) أي رجعتم القهقري، وقعدتم عن الجهاد، والانقلاب على الأعقاب يعني الإدبار عما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم به من أمر الجهاد ومتطلباته: (وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) الذين لم ينقلبوا أو ظلوا ثابتين على دينهم متبعين رسوله حيًّا أو ميِّتًا⁽²⁾.

لقد كان من أسباب البلاء والمصائب التي حدثت للمسلمين يوم أحد أنهم ربطوا إيمانهم وعقيدتهم ودعوتهم إلى الله لإعلاء كلمته بشخص رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهذا الربط بين عقيدة الإيمان بالله ربًّا معبودًا وحده وبين بقاء شخص النبي صلى الله عليه وسلم خالداً فيهم خالطه الحب المغلوب بالعاطفة، الربط بين الرسالة الخالدة وبين الرسول صلى الله عليه وسلم البشر الذي يلحقه الموت كان من أسباب ما نال الصحابة -رضي الله عنهم- من الفوضى والدهشة

(2) انظر: المستفاد من قصص القرآن (200/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

والاستغراب، ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم أساس وجوب التأسي به في الصبر على المكاره، والعمل الدائب على نشر الرسالة، وتبليغ الدعوة ونصرة الحق، وهذا التأسي هو الجانب الأغرّ من جوانب منهج رسالة الإسلام؛ لأنه الدعامة الأولى في بناء مسيرة الدعوة لإعلاء كلمة الله ونشرها في آفاق الأرض، وعدم ربط بقاء الدين واستمرار الجهاد في سبيله ببقاء شخص النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الدنيا (1).

قال ابن القيم: إن غزوة أحد كانت مقدمة وإرهاصاً بين يدي موت رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبتهم ووبخهم على انقلابهم على أعقابهم إن مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو قتل، بل الواجب له عليهم أن يثبتوا على دينه وتوحيده ويموتوا عليه، أو يُقتلوا، فإنهم إنما يعبدون رب محمد، وهو لا يموت فلو مات محمد أو قتل، لا ينبغي لهم أن يصرفهم ذلك عن دينهم، وما جاء به فكل نفس ذائقة الموت، وما نُعت محمد صلى الله عليه وسلم ليخلد، لا هو ولا هم، بل ليموتوا على الإسلام والتوحيد، فإن الموت لا بد منه، سواء مات رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بقي، ولهذا وبخهم على رجوع من رجع منهم عن دينه لما صرخ الشيطان، إن محمداً قد قتل فقال: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) [آل عمران: 144]، والشاكرون هم الذين عرفوا قدر النعمة، فثبتوا عليها حتى ماتوا أو قتلوا فظهر أثر هذا العتاب، وحكم هذا الخطاب يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وارتد من ارتد على عقبه، وثبت الشاكرون على دينهم فنصرهم الله، وأعزهم وظفرهم وجعل العاقبة لهم (2).

قال القرطبي: (فهذه الآية من تتمة العتاب مع المنهزمين، أي لم يكن لهم الانهزام وإن قتل

(1) انظر: محمد رسول الله، صادق عرجون (616/3).

(2) انظر: زاد المعاد (224/3).

(3) انظر: تفسير القرطبي (222/4).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

محمد، والنبوة لا تدرأ الموت، والأديان لا تزول بموت الأنبياء⁽¹⁾. وكلامه -رحمه الله- نفيس جداً، فالذين ظنوا من قبل أن الإسلام قد انتهى بموت النبي صلى الله عليه وسلم، والذين يظنون أن ظهور الإسلام ودعوته متوقف على شخص بعينه، فهؤلاء وأولئك قد أخطأوا ولم يقدروا هذا الدين قدره، ولم يوفوه حقه؛ لأن ظهور هذا الدين وهيمنته على كل الأديان هو قدر الله عز وجل وسنته، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، قال تعالى: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) [التوبة: 33].

فسبب ظهور هذا الدين أنه حق وأنه هدى⁽²⁾.

في غزوة أحد نزل التشريع الإلهي بالعتاب على ما حدث منهم أثناء أحداث غزوة أحد، وعند موت الرسول صلى الله عليه وسلم جاء التطبيق حيث (لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل أبو بكر الصديق رضي الله عنه على فرس من مسكنه بالسنح، حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة رضي الله عنها فتيمة⁽³⁾ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مغشي بثوب حبرة⁽⁴⁾)، فكشف عن وجهه صلى الله عليه وسلم ثم أكبَّ عليه فقبله وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي، والله لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها⁽⁵⁾.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: إن أبا بكر خرج وعمر يكلم الناس، فقال: اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس، فأقبل الناس إليه وتركوا عمر رضي الله عنه فقال أبو بكر رضي الله عنه: أما بعد من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله تعالى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) [آل عمران: 144]

(2) انظر: مرض النبي ووفاته وأثر ذلك على الأمة، خالد أبو صالح، ص20 نقلا عن غزوة أحد دراسة دعوية، ص191.
(3) فتيمم: قصد.
(4) الحبرة: نوع من برود اليمن مخططة غالية الثمن.

(5) البخاري، كتاب المغازي، باب مرض رسول الله ووفاته، رقم4454.
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

وقال: والله لكان الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها منه الناس كلهم، فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها. فأخبرني سعيد بن المسيب أن عمر رضي الله عنه قال: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر رضي الله عنه تلاها فَعَقَرْتُ⁽¹⁾ حتى ما تقلني رجلاي، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها، علمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد مات⁽²⁾.

ثامناً: معاملة النبي صلى الله عليه وسلم للرماة الذين أخطأوا والمنافقين الذين انخدلوا:

أ- الرماة:

إن الرماة الذين أخطأوا الاجتهاد في غزوة أحد لم يخرجهم الرسول صلى الله عليه وسلم خارج الصف، ولم يقل لهم إنكم لا تصلحون لشيء من هذا الأمر بعدما بدا منكم في التجربة من النقص والضعف، بل قبل ضعفهم هذا في رحمة وعفو وفي سماحة، ثم شمل سبحانه وتعالى برعايته وعفوه جميع الذين اشتركوا في هذه الغزوة، رغم ما وقع من بعضهم من أخطاء جسيمة وما ترتب عليه من خسائر فادحة، فعفا سبحانه وتعالى عفواً غسلاً به خطاياهم ومحا به آثار تلك الخطايا، قال تعالى: (وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا بَعَدَ مَا أَرَأَكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) [آل عمران: 152]، وهناك أمر مهم يتصل بهذا العفو قد يترك أثراً في نفوسهم يعوقها بعض الشيء، ذلك هو موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم مما حدث منهم، إنهم يشعرون أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو وحده الذي تحمل نتيجة تلك الأخطاء فلا بد أن ينالوا منه عفواً تطيب به نفوسهم، وتتم به نعمة الله عليهم، لهذا أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يعفو عنهم وحثه على الاستغفار لهم، كما أمره أن يأخذ رأيهم والاستماع إلى مشورتهم، ولا يجعل ما حدث صارفاً له عن الاستفادة من

(1) عقرت: دهشت وتحيرت، وسقطت.

(5) انظر: البخاري، كتاب المغازي، رقم 4454.

خبراتهم ومشورتهم⁽¹⁾، قال تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) [آل عمران: 159].

ب- انخدال ابن سلول المنافق:

كان هدف عبد الله ابن سلول بانسحابه بثلاثمائة من المنافقين، كان يريد أن يحدث بلبلة واضطراباً في الجيش الإسلامي، لتنهيار معنوياته ويتشجع العدو، وتعلو همته. وعمله هذا ينطوي على استهانة بمستقبل الإسلام، وغدر به في أحلك الظروف، وقد حاول عبد الله بن حرام أن يمنعهم من ذلك الانخدال إلا أنهم رفضوا دعوته⁽²⁾، وفيهم نزل قول الله تعالى: (وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ فَيَاذَنَ اللَّهُ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ □ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبِعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ) [آل عمران: 166-167].

فالبرغم من خطورة الموقف وحاجة المسلمين لهذا العدد، لقلة جيش المسلمين وكثرة جيش قريش إلا أن الرسول صلى الله عليه وسلم ترك هؤلاء المنافقين وشأنهم، ولم يعرهم أي اهتمام، واكتفى بفضح أمرهم أمام الناس⁽³⁾. وكان لهذا الأسلوب أثره في توبيخ وإهانة ابن سلول، فعندما رجع رسول الله من غزوته من حمراء الأسد، أراد ابن سلول أن يقوم كعادته لحث الناس على طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الإمام الزهري: كان عبد الله بن أبي له مقام يقومه كل جمعة لا ينكسر له شرقاً في نفسه وفي قومه، وكان فيهم شريقاً، إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وهو يخطب الناس قام فقال: أيها الناس هذا رسول الله بين أظهركم أكرمكم الله به وأعزكم به، فأنصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا، ثم يجلس حتى إذا صنع يوم

(1) انظر: غزوة أحد دراسة دعوية، ص218.

(2) المصدر نفسه، ص219.

(3) نفس المصدر، ص220.

(4) بجرأ: شراً.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ مع الدعاء بحسن الاستفادة

أحد ما صنع ورجع الناس، قام يفعل ذلك كما كان يفعله، فأخذ المسلمون بشيابه من نواحيه، وقالوا: اجلس أي عدو الله، والله لست لذلك بأهل، وقد صنعت ما صنعت فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول: والله لكأنما قلت بُجراً⁽¹⁾، إن قمت أشدد أمره. فلقبه رجال من الأنصار بباب المسجد فقالوا: ويلك ما لك؟ قال: قمت أشدد أمره فوثب إلي رجال من أصحابه يجذبونني ويعنفونني لكأنما قلت بجرًا أن قمت أشدد أمره، قالوا: ويلك ارجع يستغفر لك رسول الله، قال: والله ما أبغي أن يستغفر لي⁽²⁾.

تاسعًا: «أحد جبل يحبنا ونحبه»:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم طلع له أحد فقال: «هذا جبل يحبنا ونحبه»⁽³⁾.

وهذا يدل على دقة شعور النبي صلى الله عليه وسلم حيث قارن بين ما كسبه المسلمون من منعة التحصن والاحتماء بذلك الجبل، وما أودعه الله تعالى فيه من قابلية لذلك، فعبر عن ذلك بأرقى وشائج الصلة وهي المحبة، أفلا يعتبر هذا الوجدان الحي والإحساس المرهف مثلًا أعلى على التخلق بخلق الوفاء؟ ألا إن الذي يعترف بفضل الحجارة الصماء، ويفضي عليها من الأخلاق السامية ما لا يتصف به إلا أفاضل العقلاء لجدير به أن يعترف بأدنى فضل يكون من بني الإنسان، وإن كان وفاؤه صلى الله عليه وسلم للجماد قد سما حتى حاز أرقى العبارات وأرقها، فأخلق ببني الإنسان الأوفياء أن ينالوا منه أعظم من ذلك، فضلًا عن تجمعه بهم الأخوة في الله تعالى⁽⁴⁾.

والحديث النبوي الشريف فيه كثير من المعاني منها ما ذكره الحميدي، ومنها ما قاله الأستاذ صالح الشامي حيث قال: والإنسان كثيرًا ما يربط بين المصيبة وبين مكانها أو زمانها.. وحتى لا

(1) انظر: البداية والنهاية (53/4).

(2) انظر: صحيح البخاري، المغازي، رقم 4084.

(4) انظر: التاريخ الإسلامي (198/5).

(4) انظر: معين السيرة النبوية، ص 427.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

تنسحب هذه العادة وتستمر بعد أن جاء الإسلام كان هذا القول الكريم بياناً للحق، وابتعاداً عن الطيرة والتشاؤم، وذلك المعنى الذي يبقى الآثار السيئة في نفس الإنسان، ولا شك أن المسلمين سيففون على أحد يتذكرون تلك المعركة فحتى لا يرتبط بفكرهم ذلك المعنى السيئ بين لهم أن المكان والزمان مخلوقات لله لا علاقة لهما ولا أثر بما يحدث فيهما، وإنما الأمر بيد الله تعالى، والاستشهاد في سبيل الله كرامة لصاحبه لا مصيبة، وهكذا تتسق المفاهيم في إطارها الإيماني، إذا (أحد) يكرم ويحب انطلاقاً من هذا القول الكريم، وكيف لا يكرم وقد اختاره الله ليثوي فيه حمزة وأصحابه ممن اختارهم الله في ذلك اليوم فجادوا بأنفسهم ابتغاء مرضاته⁽¹⁾.

عاشراً: الملائكة في أحد:

قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم أحد، رجلين عليهما ثياب يقاتلان عنه كأشد القتال، ما رأيتهما قبل ولا بعد، يعني جبريل وميكائيل، عليهما السلام⁽²⁾. وهذا خاص بالدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن الله تكفل بعصمته من الناس، ولم يصح أن الملائكة قاتلت في أحد سوى هذا القتال، ذلك لأن الله تعالى وعدهم أن يمدهم؛ وجعل وعده معلقاً على ثلاثة أمور: الصبر والتقوى وإتيان الأعداء من فورهم، ولم تتحقق هذه الأمور فلم يحصل الإمداد⁽³⁾، قال تعالى: (إِنْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُدْعِيَكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ) [آل عمران: 124، 125].

حادي عشر: قوانين النصر والهزيمة من سورة الأنفال، وآل عمران:

تحدثت سورة الأنفال عن غزوة بدر بشيء من التفصيل، وتحدثت سورة آل عمران عن غزوة أحد لكي تتعلم الأمة كثيراً من المفاهيم، تتعلق بمفهوم القضاء والقدر، ومفهوم الحياة والموت،

(2) مسلم، كتاب الفضائل، باب في قتال جبريل وميكائيل (1802/4).

(3) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (391/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

ومفهوم النصر والهزيمة، ومفهوم الربح والخسارة، ومفهوم الإيمان والنفاق، ومفهوم المنحة والمحنة، ومن المفاهيم التي تعلمها الصحابة -رضي الله عنهم- من خلال أحداث بدر وأحد وسورتي الأنفال وآل عمران، قوانين النصر والهزيمة، وهذه القوانين قد بينتها الآيات الكريمة ويمكن تلخيصها في النقاط التالية:

أ- النصر ابتداء وانتهاء، بيد الله عز وجل، وليس ملكاً لأحد من الخلق، يهبه الله لمن يشاء ويصرفه عن من يشاء، مثله مثل الرزق، والأجل والعمل: (وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [الأنفال: 10].

ب- وحين يقدر الله تعالى النصر، فلن تستطيع قوى الأرض كلها الحيلولة دونه، وحين يقدر الهزيمة، فلن تستطيع قوى الأرض أن تحول بينه وبين الأمة، قال تعالى: (إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) [آل عمران: 160].

ج- ولكن هذا النصر له نواميس ثابتة عند الله عز وجل، نحن بحاجة إلى فقهها، فلا بد أن تكون الرؤية خالصة لله سبحانه عند الذين يمثلون جنده، قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) [محمد: 7]. ونصر الله في الاستجابة له، والاستقامة على منهجه والجهد في سبيله.

د- ووحدة الصف ووحدة الكلمة أساس في النصر، وتفريق الكلمة والاختلاف في الرأي دمار وهزيمة، قال تعالى: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) [الأنفال: 46].

هـ- وطاعة أمر الله تعالى ورسوله وعدم الخروج عليها أساس في النصر، أما المعصية فتقود إلى الهزيمة قال تعالى: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) [الأنفال: 46].

و- وحب الدنيا والتهافت عليها يفقد الأمة عون الله ونصره، قال تعالى: (حَتَّى إِذَا فُشِيتُمْ
وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَأَيْتُمْ مَا تَحِبُّونَ مِّنْكُمْ مَّن يَرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّن يَرِيدُ
الْآخِرَةَ) [آل عمران: 152].

ز- ونقص العدد والعدة ليس هو سبب الهزيمة، قال تعالى: (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ
فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [آل عمران: 123].

ح- ولكن لا بد من الإعداد المادي والمعنوي لمواجهة العدو⁽¹⁾، قال تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا
اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِّنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ
اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) [الأنفال: 60].

ط- والثبات عند المواجهة، والصبر عند اللقاء من العوامل الرئيسية في النصر، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [الأنفال: 45]. وقال
تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ لَدُنْبَارٍ) [الأنفال: 15].

ي- ولا شيء يعين على الثبات والصبر عند اللقاء مثل ذكر الله الكثير، باتجاه القلب إلى الله
وحده منزل النصر، وطلب العون منه، والتوكل عليه، وعدم الاعتماد على العدد أو العدة أو الذات،
والتبرؤ من الحول والقوة، هو عامل أساسي من عوامل النصر⁽²⁾، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [الأنفال: 45].

ثاني عشر: فضل الشهداء وما أعدّه الله لهم من نعيم مقيم:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحهم في أجواف
طيور خضر، ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما
وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحسن مقيلهم، قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا؛ لنلا

(1) انظر: فقه السيرة النبوية للغضبان، ص 461، 462.

(2) انظر: فقه السيرة النبوية للغضبان، ص 463.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب، فقال عز وجل: أنا أبلغهم عنكم» فأنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم هذه الآيات⁽¹⁾، قال تعالى: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ □ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ □ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ) [آل عمران: 169-171].

وقد جاء في تفسير الآيات السابقة ما رواه الواحدي عن سعيد بن جبير أنه قال: لما أصيب حمزة بن عبد المطلب، ومصعب بن عمير يوم أحد، ورأوا ما رزقوا من الخير قالوا: ليت إخواننا يعلمون ما أصابنا من الخير كي يزدادوا في الجهاد رغبة، فقال الله تعالى: أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله تعالى: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ) إلى قوله: (وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ)⁽²⁾. وروى مسلم بسنده عن مسروق، قال: سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) قال: أما إنا سألنا عن ذلك، فقال: «أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة، حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيء نشتهي؟! ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نُقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا»⁽³⁾.

ثالث عشر: الهجوم الإعلامي على المشركين:

كان الإعلام في العهد النبوي يقوم على الشعر، وكان شعراء المشركين في بدر في موقف

(1) انظر: تفسير الطبري (170/4).

(2) انظر: أسباب النزول للواحدي، ص125، تفسير الطبري (269/4).

(3) مسلم، كتاب الإمارة، باب أرواح الشهداء في الجنة (1887/3).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

الدفاع والرثاء، وفي أحد حاول شعراء قريش أن يضخموا هذا النصر، فجعلوا من الحبة قبة، وأمام هذه الكبرياء المزيفة، انبرى حسان بن ثابت وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة للرد على حملات المشركين الإعلامية التي قادها شعراؤهم كهبيبة بن أبي وهب، وعبد الله الزبعرى وضرار بن الخطاب وعمر بن العاص⁽¹⁾.

وكانت قصائد حسان كالقنابل على المشركين، وقد أشاد بشجاعة المسلمين، حيث استطاعوا أن يقتلوا حملة المشركين، ويوبخ المشركين ويصفهم بالجبن حينما لم يستطيعوا حماية لوائهم حتى كان في النهاية بيد امرأة منهم، وولى أشرافهم وتركوه، وفي هذا الهجاء تذكير للمشركين بمواقف الذل والجبن التي تعرضوا لها في بداية المعركة، حتى لا يغتروا بما حصل في نهايتها من إصابة المسلمين.

ولقد أصاب حسان من المشركين مقتلاً حينما عيرهم بالتخلي عن اللواء وإقدام امرأة منهم على حمله، وهذا يتضمن وصفهم بالجبن الشديد حيث أقدمت امرأة على ما نكلوا عنه⁽²⁾. ومما قاله في شأن عمرة بنت علقمة الحارثية ورفعها اللواء:

إذا عَضَلَّ سَيْقَتِ إلينا كأنها جداية شريكِ معلماتِ الحواجب⁽³⁾

أقمنا لهم طعناً مبيراً منكلاً وحُزنهم بالضرب من كل جانب⁽⁴⁾

فلولا لواء الحارثية أصبحوا يباعون في الأسواق بيع الجلائب⁽⁵⁾

وعندما أخذ اللواء من الحارثية غلام حبشي لبني طلحة، كان لواء المشركين قد أخذه صواب من الحارثية وقاتل به قتالاً عنيفاً قتل على أثره فرمى حسان بن ثابت أبياته في هذا الموضوع فقال:

(1) انظر: معين السيرة، ص252، 253.

(2) انظر: التاريخ الإسلامي (21/5).

(3) عضل: اسم قبيلة ابن خزيمة، الجداية: الصغير من أولاد الظباء.

(4) مبيراً: مهلكاً، ومنكلاً: قامعاً لهم ولغيرهم.

(5) الجلائب: ما يجلب إلى الأسواق لبيع فيها.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

فخرتم باللواء وشر فخر لواء حين رد إلى صواب
 جعلتم فخركم فيه بعدد وألم من يطا عفر التراب
 ظننتم، والسفيه له ظنون وما إن ذاك من أمر الصواب⁽¹⁾

ومن أعجب ما قرأت في المعركة الإعلامية بين المسلمين والمشركين محاولة ضرار بن الخطاب قبل إسلامه أن يفتخر ببدر على اعتبار النصر كان لرسول الله والمهاجرين وفي ذلك قوله:

فإن تظفروا في يوم بدر فإنما بأحمد أمسى جدكم وهو ظاهر
 وبالنفر الأخيار هم أولياؤه يحامون في اللأواء والموت حاضر
 يعد أبو بكر وحمزة فيهم وبذ عن علي وسط من أنت ذاك
 ويدعى أبو حفص وعثمان منهم وسعد إذا ما كان في الحرب حاضر
 أولئك لا من نتجت من ديارها بنو الأوس والنجار حين تفاخر⁽²⁾

وهكذا حولها إلى لغة قبلية تقوم على مفاهيم جاهلية ولقد أجابه كعب رضي الله عنه:

وفينا رسول الله والأوس حوله له معقل منهم عزيز وناصر
 وجمع بني النجار تحت لوانه يمسون في المأذى والنقع ثائر

إلى أن قال:

وكان رسول الله قد قال أقبلوا فولوا وقالوا: إنما أنت ساحر
 لأمر أراد الله أن يهلكوا به وليس لأمر حمه النار زاجر

(1) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (87/3).

(2) انظر: معين السيرة، ص 252.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

كما أجابه بقوله:

وبيوم بدر إذ نرد وجوهم جبريل تحت لوائنا ومحمد
وهو أفخر بيت قالتة العرب كما قال صاحب العقد الفريد⁽¹⁾.

* * *

(1) انظر: معين السيرة، ص252.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

الفصل العاشر

أهم الأحداث ما بين أحد والخندق

المبحث الأول

محاولات المشركين لزعة الدولة الإسلامية

كانت غزوة أحد مشجعة لأعداء الدولة الإسلامية على مواجهتها، وساد الشعور لدى الأعراب المشركين، بإمكان مناوشة المسلمين والتغلب عليهم، واتجهت أنظار المشركين من الأعراب إلى غزو المدينة لاستئصال شأفتهم، وكسر شوكتهم، فطمعت بنو أسد في الدولة الإسلامية، وشرع خالد بن سفيان الهزلي لجمع الحشود لكي يهاجم بها المدينة، وتجرات عضل والقارة على خداع المسلمين، وقام عامر بن الطفيل يقتل القراء الدعاة الآمنين، وحاولت يهود بني النضير أن تغتال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتصدى لهذه المحاولات الماكرة الحبيب المصطفى بشجاعة فائقة، وسياسة ماهرة، وتخطيط سليم، وتنفيذ دقيق.

أولاً: طمع بني أسد في الدولة الإسلامية:

بلغت النبي صلى الله عليه وسلم بواسطة عيونه المنبثة في الجزيرة العربية أخبار الاستعدادات التي قام بها بنو أسد بن خزيمة بقيادة طليحة الأسيدي من أجل غزو المدينة طمعا في خيراتها، وانتصارا لشركهم، ومظاهرة لقريش في عدوانها على المسلمين، فسارع النبي صلى الله عليه وسلم إلى تشكيل سرية في مائة وخمسين رجلا من المهاجرين والأنصار وأمر عليهم أبا سلمة بن عبد الأسد⁽¹⁾، المخزومي وعقد له لواء، وقال له: «سر حتى تنزل أرض بني أسد، فأغر عليهم قبل أن تتلاقى عليك جموعهم»⁽²⁾. فسار إليهم أبو سلمة في المحرم⁽¹⁾ فأغار على أنعامهم،

(1) انظر: نضرة النعيم (313/1).

(2) انظر: قراءة سياسية للسيرة النبوية، ص 162، 163.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

ففرّوا من وجهه فأخذها، ولم يلق عناء في تشتيت أعداء الإسلام، وعاد إلى المدينة مظفراً، وأبو سلمة يعد من السابقين إلى الإيمان ومن خيرة الرعيل الأول، وقد عاد من هذه الغزوة متعباً، إذ نَعَرَ جرحه الذي أصابه في (أحد) فلم يلبث حتى مات⁽²⁾. ونلاحظ في هذه السرية عدة أمور منها: الدقة في التخطيط الحربي عند النبي صلى الله عليه وسلم حيث فرق أعدائه قبل أن يجتمعوا، فذهلوا لمجيء سرية أبي سلمة وهم يظنون أن المسلمين قد أضعفتهم وقعة أحد وأذهلتهم عن أنفسهم، فأصيب المشركون بالرعب من المسلمين، ووهنت عزيمتهم، وانشغلوا بأنفسهم عن مهاجمة المدينة، وتظهر دقة المسلمين في الرصد الحربي واختيارهم التوقيت الصحيح والطريق المناسب، حيث وصلوا إلى الأعداء قبل أن يعلموا عنهم أي شيء رغم بعد المسافة، وكان هذا هو أهم عوامل نجاح المسلمين في هذه السرية، وتركت هذه السرية في نفوس الأعداء شعوراً مؤثراً على معنوياتهم، ألا وهو قناعتهم بقدرة المسلمين على الاستخفاء والقيام بالحروب الخاطفة المفاجئة تجعلهم يمتثلون رعباً منهم ويتوقعون الإغارة في أي وقت، وهذا الشعور حملهم على الاعتراف بقوة المسلمين، ومسالمتهم⁽³⁾.

ثانياً: خالد بن سفيان الهذلي وتصدى عبد الله بن أنيس رضي الله عنه له:

قام خالد بن سفيان الهذلي يجمع المقاتلة من هذيل وغيرها في عرفات، وكان يتهيأ لغزو المسلمين في المدينة مظهرة لقريش، وتقرباً إليها، ودفاعاً عن عقائدهم الفاسدة، وطمعاً في خيرات المدينة، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابي عبد الله بن أنيس الجهني إليه بعد أن كلفه مهمة قتله⁽⁴⁾. وهذا عبد الله بن أنيس يحدثنا بنفسه قال رضي الله عنه: دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إنه قد بلغني أن خالد بن سفيان بن نبيح يجمع لي الناس ليغزوني» وهو بعزنة فاتته فاقتله، قال: قلت: يا رسول الله انعتة حتى أعرفه، قال: «إذا رأيته

(1) انظر: زاد المعاد (243/3). (4) فقه السيرة للغزالي، ص 274.

(1) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (23/6). (2) انظر: نظرة النعيم (313/1).

قال: فخرجت متوشحاً بسيفي، حتى وقعت عليه بعرة مع ظعن يرتاد لهن منزلاً، حين كان وقت العصر، فلما رأيته وجدت ما وصف لي رسول الله صلى الله عليه وسلم من القشعريرة، فأقبلت نحوه، وخشيت أن يكون بيني وبينه محاولة تشغلني عن الصلاة، فصليت وأنا أمشي نحوه أوميء برأسي الركوع والسجود، فلما انتهيت إليه قال: من الرجل، قلت: رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل فجاءك لهذا، قال: أجل أنا في ذلك، قال: فمشيت معه شيئاً، حتى إذا أمكنني حملت عليه بالسيف حتى قتلته، ثم خرجت وتركت ظعائنه مكبات عليه، فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآني فقال: «أفلح الوجه» قال: قلت: قتلته يا رسول الله، قال: «صدقت»، قال: ثم قام معي رسول الله فدخل في بيته فأعطاني عصا، فقال: «أمسك هذه عندك يا عبد الله بن أنيس».

قال: فخرجت بها على الناس فقالوا: ما هذه العصا؟ قال: قلت أعطانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمرني أن أمسكها، قالوا: أولاً ترجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتسأله عن ذلك؟ قال: فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله لم أعطيتني هذه العصا؟ قال: «آية بيني وبينك يوم القيامة، إن أقل الناس المختصرون⁽¹⁾ يوم القيامة» فقرنها عبد الله بسيفه فلم تزل معه، حتى إذا مات أمر بها فضمت معه في كفنه، ثم دفنا جميعاً⁽²⁾.

وفي هذا الخبر فوائد ودروس وعبر منها:

1- دقة الرصد الحربي: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي للجانب الأمني أهميته؛ ولذلك كان يتابع تحركات الأعداء، ويعد بعد ذلك الحلول المناسبة للمشكلات والأزمات في وقتها الملائم، ولذلك لم يمهل خالد بن سفيان حتى يكثر جمعه ويشتد ساعده، بل عمل على القضاء على

(1) المختصرون: أو المتخصرون: والمراد هنا يأتون يوم القيامة ومعهم أعمال صالحة يتكفون عليها.

(2) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص319. (2) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (27/6).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

الفتنة وهي أيامها الأولى بحزم؛ وبذلك حقق للأمة مكاسب كبيرة وقلل التضحيات المتوقعة من مجيء خالد بن سفيان بجيش لغزو المدينة، وهذا العمل يحتاج لقدرة في الرصد الحربي، وسرعة في اتخاذ القرار.

2- فراسة النبي صلى الله عليه وسلم في اختيار الرجال: كان صلى الله عليه وسلم يتمتع بفراسة عظيمة في اختيار الرجال ومعرفة كبيرة لذوي الكفاءات من أصحابه، فكان يختار لكل مهمة من يناسبها، فيختار للقيادة من يجمع بين سداد الرأي وحسن التصرف والشجاعة، ويختار للدعوة والتعليم من يجمع بين غزارة العلم ودماثة الخلق والمهارة في اجتذاب الناس، ويختار للوفادة على الملوك والأمراء من يجمع بين حسن المظهر وفصاحة اللسان وسرعة البديهة، وفي الأعمال الفدائية يختار من يجمع بين الشجاعة الفائقة وقوة القلب والمقدرة على التحكم في المشاعر⁽¹⁾. فقد كان عبد الله بن أنيس الجهني قوي القلب ثبت الجنان، راسخ اليقين، عظيم الإيمان⁽²⁾. وبجانب هذه الصفات العظيمة التي أهلتها لهذه المهمة فهناك سبب آخر فقد كان يمتاز بمعرفة مواطن تلك القبائل لمجاورتها ديار قومه (جهينة)⁽³⁾.

3- المكافأة على هذا العمل أخروية: لم تكن المكافأة على هذا العمل العظيم الجريء مادية دنيوية كما يتمناه الكثير ممن يقوم بالمهمات الشاقة في جيوش العالم قديماً وحديثاً، بل كانت أسمى من ذلك وأعظم فهي وسام شرف أخروي قليل من يناله⁽⁴⁾، فقد كان الصحابة -رضي الله عنهم- وسائر المتقين لا ينتظرون جزاء في الدنيا، ولو حصلوا على شيء من متاع الدنيا فإنه لا يعتبر عندهم شيئاً كبيراً، وإنما ينتظرون جزاءهم في الآخرة، ولهذا كانت مكافأة عبد الله بن أنيس تلك العصا التي ستكون علامة بينه وبين رسول الله يوم القيامة، وهذا يدل على علو مكانته في

(2) انظر: محمد رسول الله، صادق عرجون (50/4، 51).

(3) انظر: غزوة أحد، محمد باشميل، ص31. (5) انظر: السرايا والبعوث النبوية، ص159، 160.

4- بعض الأحكام الفقهية: تضمن هذا الخبر بعض الأحكام والفوائد منها (صلاة الطالب) قال الخطابي: واختلفوا في صلاة الطالب، فقال عوام أهل العلم: إذا كان مطلوباً كان له أن يصلي إيماء، وإذا كان طالباً نزل إن كان راكباً وصلى بالأرض راكعاً وساجداً⁽²⁾، وكذلك قال ابن المنذر⁽³⁾، أما الشافعي فشرط شرطاً لم يشترطه غيره، قال: إذا قل الطالبون عن المطلوبين، وانقطع الطالبون عن أصحابهم فيخافون عودة المطلوبين عليهم فإذا كان هكذا كان لهم أن يصلوا يومئذ إيماء.

قال الخطابي: وبعض هذه المعاني موجودة في قصة عبد الله بن أنيس⁽⁴⁾، وقد ذكر بدر العيني في عمدة القاري مذاهب الفقهاء في هذا الباب، فعند أبي حنيفة: إذا كان الرجل مطلوباً فلا بأس بصلاته سائراً، وإن كان طالباً فلا، وقال مالك وجماعة من أصحابه: هما سواء، كل واحد منهما يصلي على دابته.

وقال الأوزاعي والشافعي في آخرين كقول أبي حنيفة، وهو قول عطاء والحسن والثوري وأحمد وأبي ثور.

وعن الشافعي: إن خاف الطالب فوت المطلوب أوماً وإلا فلا⁽⁵⁾.

5- جواز الاجتهاد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم: يجوز الاجتهاد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، فعبد الله بن أنيس رضي الله عنه أداه اجتهاده أن يصلي هذه الصلاة، ولم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم، مما يدل على جواز الصلاة عند شدة الخوف بالإيماء⁽⁶⁾.

(1) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (29/6).

(2) انظر: السرايا والبعوث النبوية، ص160.

(4) معالم السنن للخطابي (42/2) حاشية واحد على سنن أبي داود.

(5) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (263/6).

(6) انظر: السرايا والبعوث، ص161.

(6) انظر: عون المعبود، العظيم آبادي (129/4).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وهذا الاستدلال صحيح لا شك فيه؛ لأن عبد الله بن أنيس فعل ذلك في حياة النبي وذلك زمن الوحي، ومحال أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يطلع عليه⁽¹⁾.

6- من دلائل النبوة: فقد وصف صلى الله عليه وسلم خالد بن سفيان الهذلي لعبد الله بن أنيس وصفاً دقيقاً دون أن يراه حتى أن ابن أنيس عندما رد على رسول الله صلى الله عليه وسلم متعجباً كما وقع في رواية الواقدي: (يا رسول الله ما فرقت من شيء قط، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بلى آية ما بيني وبينه أن تجد له قشعريرة إذا رأيته»⁽²⁾) وقد وجد عبد الله بن أنيس خالد الهذلي على الصفة التي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول عبد الله: فلما رأيته هبته وفرقت منه، فقلت: صدق الله ورسوله⁽³⁾.

7- ما قاله عبد الله بن أنيس من الشعر في قتله لخالد الهذلي:

تركت ابن ثور كالحوار وحوله	نواح تفري كل جيب مقدر
تناولته والظعن خلفي وخلفه	بأبيض من ماء الحديد المهند
أقول له والسيف يعجم رأسه	أنا ابن أنيس فارساً غير قعد
وقلت له خذها بضربة ماجد	حنيف على دين النبي محمد
وكنت إذا هم النبي بكافر	سبقت إليه باللسان وباليد ⁽⁴⁾

ثالثاً: غدر قبيلتي عضل والقارة، وفاجعة الرجيع:

اختلفت مرويات سرية الرجيع فيما بينها كثيراً حول السبب الذي من أجله بعث النبي صلى الله عليه وسلم، وفي الوقت الذي يورد البخاري بأنه إنما بعث عيئاً لتجمع المعلومات عن العدو⁽⁵⁾، فإن مرويات أخرى بأسانيد صحيحة ورد فيها أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم

(2) انظر: مغازي الواقدي (532/2).

(3) انظر: البيهقي، دلائل النبوة (41/4) من رواية موسى بن عقبة.

(4) انظر: البداية والنهاية (143/4).

(2) البخاري رقم 4086.

وسلم رهط من قبيلتي عضل والقارة المضريتين إلى المدينة وقالوا: (إن فينا إسلامًا فابعث معنا نفرًا من أصحابك يفقهونا ويقرئونا القرآن ويعلمونا شرائع الإسلام)⁽¹⁾، ويظهر أن قبيلة هذيل قد سعت للثأر من المسلمين لخالد بن سفيان الهذلي فلجأت إلى الخديعة والغدر، وقد جزم الواقدي⁽²⁾ بأن السبب هو أن بني لحيان وهم حي من هذيل، مشت إلى عضل والقارة، وجعلت لهم جعلا ليخرجوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويطلبوا منه أن يخرج معهم من يدعوهم إلى الإسلام ويفقههم في الدين، فيكمنوا لهم ويأسروهم ويصيبوا بهم ثمنًا في مكة⁽³⁾.

وهكذا بعث الرسول صلى الله عليه وسلم هذه السرية التي تتألف من عشرة من الصحابة⁽⁴⁾، وجعل عليهم عاصم بن ثابت بن الأقلح أميرًا، حتى إذا كانوا بين عسفان ومكة أغار بنو لحيان، وهم قريب من مائتي مقاتل، فالتجأواهم إلى تل مرتفع بعد أن أحاطوا بهم من كل جانب، ثم أعطوهم الأمان من القتل، ولكن قائد السرية أعلن رفضه أن ينزل في ذمة كافر⁽⁵⁾، وقال عاصم بن ثابت: إنني نذرت ألا أقبل جوار مشرك أبدًا، فجعل عاصم يقاتلهم وهو يقول:

ما علّتي وأنا جلد نابل النبل والقوس لها بلابل⁽⁶⁾
تزل عن صفحتها المعابل الموت حق والحياة باطل
وكل ما حمّ الإله نازل بالمرء والمرء إليه آتل
إن لم أقاتل فأمي هابل⁽⁷⁾

فرماهم بالنبل حتى فنيت نبله، ثم طاعنهم بالرمح حتى كسر رمحه، وبقي السيف فقال: اللهم حميت دينك أول نهاري فاحم لي لحمي آخره، وكانوا يجردون كل من قتل من أصحابه، فكسر غمد

(1) انظر: مغازي الواقدي (355/1، 354/1).

(4) المصدر نفسه (355/1، 354/1).

(3) انظر: نضرة النعيم (314/1).

(6) البخاري رقم 4086.

(5) انظر: نضرة النعيم (314/1).

(8) بلابل: جمع بلبله وبلبال، وهو شدة الهم.

(7) انظر: مغازي الواقدي (355/1).

(2) المصدر نفسه (355/1).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

سيفه ثم قاتل حتى قتل، وقد جرح رجلين وقتل واحداً وكان يقول وهو يقاتل:

أنا أبو سليمان ومثلي رامي ورثت مجداً معشراً كراماً

ثم شرعوا فيه الأسنة حتى قتلوه، وكانت سلافة بنت سعد بن الشَّهيد قد قتل زوجها وبنوها أربعة، قد كان عاصم قتل منهم اثنين: الحارث، ومسافعاً، فنذرت لأن أمكنها الله منه أن تشرب في قحف⁽¹⁾ رأسه الخمر، وجعلت لمن جاء برأس عاصم مائة ناقة، قد علمت بذلك العرب وعلمته بنو لحيان، فأرادوا أن يحتزوا رأس عاصم ليذهبوا به إلى سلافة بنت سعد ليأخذوا منها مائة ناقة، فبعث الله تعالى عليهم الدبر فحمته، فلم يدنُ إليه أحد إلا لدغت وجهه، وجاء منها شيء كثير لا طاقة لأحد به، فقالوا: دعوه إلى الليل، فإنه إذا جاء الليل ذهب عنه الدبر، فلما جاء الليل بعث الله عليه سيلاً ولم يكن في السماء سحاب في وجه من الوجوه، فاحتمله فذهب به فلم يصلوا إليه⁽²⁾.

لقد قتل عاصم في سبعة من أفراد السرية بالنبال، ثم أعطى الأعراب الأمان من جديد للثلاثة الباقين، فقبلوا غير أنهم سرعان ما غدروا بهم بعد ما تمكنوا منهم، وقد قاومهم عبد الله بن طارق فقتلوه واقتادوا الاثنين إلى مكة، وهما خبيب وزيد بن الدثنة فباعوهما لقريش⁽³⁾، وكان ذلك في صفر سنة 4 هـ⁽⁴⁾.

فأما خبيب فقد اشتراه بنو الحارث بن عامر بن نوفل ليقتلوه بالحارث الذي كان خبيب قد قتله يوم بدر، فمكث عندهم أسيراً حتى إذا أجمعوا قتله استعار موسى من بنات الحارث، استحد بها فأعارته، وغفلت عن صبي لها فجلس على فخذه، ففزعت المرأة لنلا يقتله انتقاماً منه، فقال خبيب: أتخشين أن أقتله ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله تعالى، فكانت تقول: ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب، لقد رأيت يأكُل من قطف عنب وما بمكة يومئذ ثمرة، وإنه لموثق في الحديد، وما كان إلا رزقاً رزقه الله، فخرجوا به من الحرم ليقتلوه، فقال: دعوني أصلي ركعتين ثم انصرف

(2) المصدر نفسه (356/1).

(4) انظر: نضرة النعيم (314/1).

(4) جوامع السيرة لابن حزم، ص 176.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

إليهم فقال: لولا أن تروا ما بي جزع من الموت لزدت، فكان أول من سن الركعتين عند القتل هو⁽¹⁾، ثم قال: (اللهم أحصهم عددًا، واقتلهم بددًا)⁽²⁾ ولا تبق منهم أحدًا) ثم قال:

لقد أجمع الأحزاب حولي وألبوا قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
 وكلهم مبدي العداوة جاهد عليّ لأنني في وثاق بمضيع
 وقد قربوا أبناءهم ونساءهم وقربت من جذع طويل ممنع
 إلى الله أشكو غربتي بعد كربتي وما أرصد الأحزاب لي عند مصرعي
 فذا العرش صبرني على ما يراد بي فقد بضّعوا لحمي وقد ياس⁽³⁾ مطمعي
 وقد خيروني الكفر، والموت دونه فقد ذرفت عياني من غير مجزع
 وما بي حذار الموت إني لميت وإن إلى ربي إيابي ومرجعي
 ولست أبالي حين أقتل مسلمًا على أي شق كان في الله مضجعي
 وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو مُمزع
 فلست بمبدي للعدو تخشعًا ولا جزعًا إني إلى الله مرجعي⁽⁴⁾

فقال له أبو سفيان: أيسرك أن محمدًا عندنا يضرب عنقه وأنت في أهلك، فقال: لا والله، ما يسرنني أني في أهلي، وأن محمدًا في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه⁽⁵⁾، ثم قتل وصلبوه ووكلوا به من يحرس جثته، فجاء عمرو بن أمية الضمري، فاحتلمه بجذعه ليلا، فذهب به ودفنه⁽⁶⁾. وأما زيد بن الدثنة فاشتراه صفوان بن أمية وقتله بأبيه (أمية بن خلف الذي قتل ببدر)، وقد سألته أبو سفيان قبل قتله: أنشدك الله يا زيد أحب أن محمدًا الآن عندنا مكانك تضرب عنقه وأنت في أهلك؟ فقال: والله ما أحب أن محمدًا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه

(1) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (399/1).

(2) أي متفرقين في القتل واحدًا بعد واحد من التبديد.

(3) ياس: لغة في يئس.

(4) انظر: زاد المعاد (245/3).

(6) المصدر السابق (246/3).

فقال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً⁽¹⁾.

وقد عرفت هذه الحادثة المفجعة بالرجيع نسبة إلى ماء الرجيع الذي حصلت عنده، وفي هذه الحادثة دروس وعبر وفوائد منها:

1- فوائد ذكرها ابن حجر: وفي الحديث أن للأسير أن يمتنع من قبول الأمان ولا يمكن من نفسه ولو قتل، أنفة من أن يجري عليه حكم كافر، وهذا إذا أراد الأخذ بالشدة، فإن أراد الأخذ بالرخصة فله أن يستأمن، قال الحسن البصري: لا بأس بذلك، وقال سفيان الثوري: أكره ذلك. وفيه الوفاء للمشركون بالعهد، والتورع عن قتل أولادهم، والتلطف بمن أريد قتله وإثبات كرامة الأولياء، والدعاء على المشركين بالتعميم، والصلاة عند القتل وفيه إنشاد الشعر، وإنشاده عند القتل دلالة على قوة يقين خبيب وشدة في دينه.

وفيه أن الله يبتلي عبده المؤمن بما شاء كما سبق في علمه ليثيبه، ولو شاء ربك ما فعلوه، وفيه استجابة دعاء المسلم وإكرامه حياً وميتاً، وغير ذلك من الفوائد مما يظهر بالتأمل، وإنما استجاب الله له من حماية لحمه من المشركين، ولم يمنعهم من قتله لما أراد من إكرامه بالشهادة، ومن كرامته حمايته من هتك حرمة بقطع لحمه⁽²⁾.

2- بين التسليم والقتال حتى الموت: يستدل مما سبق أن للأسير في يد العدو أن يمتنع من قبول الأمان ولا يمكن من نفسه ولو قتل، ترفعا عن أن يجري عليه حكم كافر، كما فعل عاصم، فإن أراد الترخص، فله أن يستأمن مترقباً الفرصة مؤملاً الخلاص كما فعل خبيب وزيد، ولكن لو قدر الأسير على الهرب لزمه ذلك في الأصح، وإن أمكنه إظهار دينه بينهم، لأن الأسير في يد الكفار مقهور مهان، فكان من الواجب عليه تخليص نفسه من هوان الأسر ورقه⁽³⁾.

(1) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (400/2).

(2) انظر: فتح الباري (444/7، 445).

(3) انظر: السيرة للبطي، ص 188، 189.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وهذا الحدث يفتح أمام المسلمين باباً واسعاً في التعامل مع الأحداث في اختيارهم الأسر إذا طلبوا مظلومين، أو اختيارهم القتال حتى الموت، ما دام الطالب لا يطلبهم بعدل وما دامت السلطة غير إسلامية⁽¹⁾.

3- تعظيم سنة النبي صلى الله عليه وسلم: وفي الحديث يظهر تعظيم الصحابة لسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وكيف أن خبيباً مع أنه في أسر المشركين، ويعلم أنه سيقول بين عشية أو ضحاها، ومع ذلك كان حريصاً على سنة الاستحداد، واستعار موسى لذلك، وفي هذا تذكير لمن يستهين بكثير من السنن، بل والواجبات بحجة أن لا ينبغي أن ينشغل المسلمون بذلك للظروف التي تمر بها الأمة، وفي الواقع لا منافاة بين تعظيم السنة والدخول في شرائع الإسلام كافة⁽²⁾.

4- الإسلام ينتزع الغدر والأحقاد: عندما استعار خبيب موسى من بعض بنات الحارث ليستحد بها فأعارته، قالت المرأة: فغفلت عن صبي لي، تدرج إليه حتى أتاه، فوضعه على فخذه فلما رآته فزعت منه فزعة عرف ذلك مني، وفي يده موسى، فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله⁽³⁾.

إنه موقف رائع يدل على سمو الروح، وصفاء النفس، والالتزام بالمنهج الإسلامي فقد قال تعالى: (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) [الإسراء: 15].

إنه الوفاء يتعلمه الناس ممن غدر بهم، إن الاستقامة طبيعة سلوك المسلم في حالتي الرخاء والشدّة⁽⁴⁾.

وفي قول خبيب رضي الله عنه: (ما كنت لأفعل إن شاء الله) يشير هذا الأسلوب في البيان العربي إلى أن هذا الفعل غير وارد ولا متصور ولا هو في الحسبان، في هذا الظرف الحاسم،

(1) انظر: الأساس في السنة لسعيد حوى (622/2).

(2) انظر: وقفات تربوية مع السيرة النبوية، أحمد فريد، ص234.

(3) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص320 رواية غريبة. (2) انظر: معين السيرة، ص259.

الذي قد يتعلق فيه الاستثناء، لموقع الضرورة، وإنقاذ المهج، لكن المبدأ الأصلي، الوفاء والكف عن البرءاء، لا تنهض له هذه الاعتبارات الموهومة⁽¹⁾. وهذا مثل من عظمة الصحابة رضي الله عنهم حين يطبقون أخلاق الإسلام على أنفسهم مع أعدائهم، وإن كانوا قد ظلموهم، وهذا دليل على وعيهم وكمال إيمانهم⁽²⁾.

5- حب النبي صلى الله عليه وسلم عند الصحابة: إن حظ الصحابة من حبه صلى الله عليه وسلم كان أتم وأوفر، ذلك أن المحبة ثمرة المعرفة وهم بقدره صلى الله عليه وسلم ومنزلته أعلم وأعرف من غيرهم؛ فبالتالي كان حبهم له صلى الله عليه وسلم أشد وأكبر⁽³⁾.

ففي حادثة الرجيع يظهر هذا الحب في الحوار الهادئ بين أبي سفيان وبين زيد بن الدثنة، إذ قال له أبو سفيان: أتحب أن محمداً الآن عندنا مكانك تضرب عنقه، وأنت في أهلك؟ فقال زيد: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة، وإني جالس في أهلي⁽⁴⁾.

وهذا الحب من الإيمان فقد قال صلى الله عليه وسلم: «ثلاث من كنَّ فيه وجد فيهن حلاوة الإيمان، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»⁽⁵⁾.

6- مما قاله حسان في ذم بني لحيان: تأثر المسلمون بمقتل أصحاب الرجيع تأثراً بالغاً، وكان حسان رضي الله عنه بشعره يعبر عن حال المسلمين، فمن يستحق الهجاء هجاه، ومن يستحق المدح مدحه، فقال في هجاء بني لحيان:

إن سرك الغدر صرفاً لا مراج له فأت الرجيع فسل عن دار لحيان

(1) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص 153.

(2) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (38/6).

(3) انظر: حقوق النبي على أمته، د. محمد التميمي (314/1).

(4) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص 154.

(5) البخاري، كتاب الإيمان (72/1) رقم 21. (2) انظر: البداية والنهاية (70/4).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

قوم تواصلوا بأكل الجار بينهم فالكلب والقرد والإنسان مثلاً
لو ينطق التيس يوماً قام يخطبهم وكان ذا شرف فيهم وذا شان⁽¹⁾

رابعاً: طمع عامر بن الطفيل في المسلمين وفاجعة بنر معونة (4هـ):

عامر بن الطفيل زعيم من زعماء بني عامر كان متكبراً متغطرساً، طامعاً في الملك، وكان يرى أن النبي صلى الله عليه وسلم سوف تكون له الغلبة على الجزيرة العربية؛ ولذلك جاء هذا المشرك إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له: أخيرك بين ثلاث خصال: أن يكون لك السهل، ولي أهل المدر، أو أن أكون خليفتك من بعدك، أو أغزوك بغطفان بألف أشقر وألف شقراء⁽²⁾. فرفض صلى الله عليه وسلم تلك المطالب الجاهلية، وجاء إلى المدينة ملاعب الأسنة سيد بني عامر عم عامر بن الطفيل وقدم إلى النبي صلى الله عليه وسلم هدية، فعرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم الإسلام فأبى أن يسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: فإني لا أقبل هدية من مشرك، فقال ملاعب الأسنة: فابعث إلى أهل نجد من شئت فأنا لهم جار، فبعث إليهم بقوم فيهم المنذر بن عمرو، وهو الذي يقال له المعتق ليموت أو أعتق الموت، فاستجاش⁽³⁾ عليهم عامر بن الطفيل بني عامر فأبوا أن يطيعوه، وأبوا أن يخفروا ملاعب الأسنة، فاستجاش عليهم بني سليم فأطاعوه، فاتبعهم بقريب من مائة رجل رام فأدركهم ببئر معونة، فقتلوهم إلا عمرو بن أمية⁽⁴⁾. ومن حديث أنس رضي الله عنه قال: جاء ناس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: أن ابعث معنا رجالاً يعلمونا القرآن والسنة، فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار يقال لهم القراء فيهم خالي حرام، يقرأون القرآن، ويتدارسون بالليل يتعلمون، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد، ويحتطبون فيبيعونه، ويشترون به الطعام لأهل الصفة والفقراء، فبعثهم النبي صلى الله عليه وسلم إليهم، فعرضوا لهم فقتلوهم، قبل أن يبلغوا المكان، فقالوا: اللهم بلغ عنا نبينا، أنا

(2) البخاري، رقم 4091 يقصد بألف أشقر وألف شقراء الخيل.

(3) استجاش: طلب لهم الجيش وجمعه.

(4) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص322.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

قد لقيناك فرضينا عنك، ورضيت عنا، قال: وأتى رجل حراماً خال أنس، من خلفه فطعنه برمح حتى أنفذه، فقال حرام: فزت ورب الكعبة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «إن إخوانكم قد قتلوا وإنهم قالوا: اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك، فرضينا عنك ورضيت عنا»⁽¹⁾.

وفي هذه الحادثة المؤلمة، والفاجعة المفجعة دروس وعبر وفوائد منها:

1- لا بد للدعوة من توضيحات: رأينا كيف غدر حلفاء هذيل بأصحاب الرجيع من القراء، الذين أرسلهم النبي صلى الله عليه وسلم معلمين ومفقهين في غزوة الرجيع، وها هنا عامر بن الطفيل يغدر بالسبعين القراء، الذين استنفروا للدعوة إلى الله، والتفقيه في دين الله في مجزرة رهيبة دنيئة، وذلك في يوم بئر معونة.

وقد تركت هذه المصائب في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم أثراً غائرة، بعيدة الأعماق حتى إنه لبث شهراً يقنت في صلاة الفجر، داعياً على قبائل سليم التي عصت الله ورسوله⁽²⁾. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم شهراً متتابعاً في الظهر والعصر والمغرب والعشاء وصلاة الصبح، في دبر كل صلاة، إذا قال: (سمع الله لمن حمده) من الركعة الأخيرة، يدعو على أحياء من بني سليم، على رعل وذكوان وعصية، ويؤمن من خلفه⁽³⁾، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: وذلك بدء القنوت وما كنا نقنت⁽⁴⁾.

لكن ذلك لم يفت في عضد المسلمين، ولا فتر من حميتهم في الدعوة إلى الله، ولا كسر من عزمهم في مواصلة الدعوة وخدمة دين الله؛ لأن مصلحة الدعوة فوق الأنفس والدماء، بل إن الدعوة لا يكتب لها النصر إذا لم تبذل في سبيلها الأرواح، ولا شيء يمكن للدعوة في الأرض مثل الصلابة في مواجهة الأحداث والأزمات واسترخاض التضحيات من أجلها.

إن الدعوات بدون قوى أو تضحيات، يوشك أن تكون بمثابة فلسفات وأخيلة تلفها الكتب

(1) مسلم في الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد رقم 677.

(2) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة ص 151.

(3) انظر: سنن أبي داود في الصلاة باب القنوت في الصلوات: 1443.

(4) البخاري، رقم 4088.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وترويها الأساطير ثم تطوى مع الزمن.

إن حادثتي الرجيع وبئر معونة تبصرنا بالمسئولية الضخمة عن دين الله، والدعوة إليه، ووضعت نصب أعيننا نماذج من التضحيات العظيمة التي قدمها الصحابة الكرام من أجل عقيدتهم ودينهم ومرضاة ربهم.

إن للسعادة ثمنًا، وإن للراحة ثمنًا، وإن للمجد والسلطان ثمنًا، وثن هذه الدعوة: دم زكي يهراق في سبيل الله من أجل تحقيق شرع الله ونظامه، وتثبيت معالم دينه على وجه البسيطة⁽¹⁾.

2- فزت ورب الكعبة: صاحب الكلمة حرام بن ملحان رضي الله عنه فعندما اخترق الرمح ظهره حتى خرج من صدره، وأصبح يتلقى الدم بيديه، ويمسح به وجهه ورأسه ويقول: (فزت ورب الكعبة)⁽²⁾؛ إن هذا المشهد يجعل أقسى القلوب وأعظمها تحجرًا يتأثر، ويستصغر نفسه أمام هؤلاء العظماء الذين لا تصفر وجوههم فزعًا من الموت، وإنما يعلوها البشر والسرور، وتغشاها السكينة والطمأنينة⁽³⁾. وهذا المنظر البديع الرائع الذي لا يتصوره العقل البشري المجرد عن الإيمان جعل جبار بن سلمى وهو الذي طعن حرام بن ملحان يتساءل عن قول حرام: فزت ورب الكعبة، وهذا جبار يحدثنا بنفسه فيقول: إن مما دعاني إلى الإسلام، أني طعنت رجلا منهم يومئذ برمح بين كتفيه فنظرت إلى سنان الرمح حين خرج من صدره فسمعتة يقول: فزت ورب الكعبة، فقلت في نفسي: ما فاز؟ ألسنت قد قتلت الرجل؟ حتى سألت بعد ذلك عن قوله، فقالوا: للشهادة فقلت: فاز لعمر الله، فكان سببًا لإسلامه⁽⁴⁾.

وهذا الموقف الخارق للعادة يدعونا للتساؤل: هل يتعرض الشهيد لألم الموت؟

(1) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص152.

(2) البخاري في المغازي رقم 4091.

(3) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (50/6).

(4) انظر: السيرة النبوية للندي، ص243، 244، وابن هشام (207/3).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وتأتينا الإجابة الشافية من رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى في قوله: «ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة»⁽¹⁾.

فللشهيد منزلة خاصة عند الله، فجزاء الثمن الباهظ الذي يدفعه وهو روحه رخيصة في سبيل الله عز وجل، لم يبخره أعدل العادلين حقه فكافأه مكافأة بست جوائز كل واحدة منها تعدل الدنيا بمن فيها، فعن المقدم بن معد يكرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويحلى حلة الإيمان، ويزوج من الحور العين، ويشفع في سبعين إنساناً من أقاربه»⁽²⁾.

هذا بالإضافة إلى الوسام المميز المشرف الذي يأتي به يوم القيامة، وجرحه كهينة يوم جرح: اللون لون الدم، والريح ريح مسك⁽³⁾.

كما أن حياة الشهداء لا تنتهي بمجرد موتهم، بل هم أحياء يرزقون ويتنعمون عند ربهم⁽⁴⁾، قال تعالى: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) [آل عمران: 169].

3- عدم معرفة النبي صلى الله عليه وسلم للغيب: إن حادثتي بئر معونة والرجيع وغيرهما تدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يعلم الغيب، كما دلت على ذلك أدلة أخرى منها قوله عز وجل: (قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) [الأعراف: 188].

فإن الله عز وجل وحده عالم الغيب، والرسول والملائكة لا يعلمون عن الغيب إلا ما علمهم ربهم

(1) انظر: صحيح سنن الترمذي للألباني (132/2).

(2) المصدر نفسه (129/2).

(7) المصدر السابق (128/2).

(4) انظر: السرايا والبعوث النبوية، ص245. (2) انظر: وقفات تربوية مع السيرة النبوية، ص237.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

عز وجل⁽¹⁾: (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا) [الجن: 26].

4- الوفاء بالعهد: وقع عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه أسيرًا في بئر معونة، ولما علم عامر ابن الطفيل أنه من مضر أطلقه، وجز ناصيته، وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه، فلما خرج عمرو قاصدا المدينة نزل في طريقه في ظلل والتقى برجلين من بني عامر، وكان معهم عقد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوار، لم يعلم به عمرو بن أمية، وقد سألهما حين نزلا: ممن أنتما؟ فقال: من بني عامر، فأملهما، حتى ناما، عدا عليهما فقتلهما وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثورة من بني عامر، فيما أصابوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله، فأخبره الخبر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد قتلتم قتيلين لأديئهما»⁽²⁾. وهذا موقف رفيع فقد ودى صلى الله عليه وسلم ذينك الرجلين العامريين الذين قتلتهما عمرو بن أمية الضمري لكونهما يحملان عقداً منه صلى الله عليه وسلم، ولم يؤاخذهما بما فعل بعض أفراد قومهما، وهذا يمثل منتهى القمة في الوفاء بالعهود.

قد كان بإمكان النبي صلى الله عليه وسلم أن يعتبر عمل عمرو بن أمية جزاء من الانتقام الذي ينبغي أن يواجه به المجرمون المعتدون، ولكن ما ذنب الأبرياء حتى يؤخذوا بجريرة المعتدين من قومهم؟.

إن التوجيهات الإسلامية الرفيعة دفعت بالمسلمين ونبههم صلى الله عليه وسلم إلى الرقي الأخلاقي الذي لا نظير له في دنيا الناس⁽³⁾.

5- الصحابي الجليل عامر بن فهيرة رضي الله عنه: لما قُتل الذين ببئر معونة وأسر عمرو ابن أمية الضمري، قال له عامر بن الطفيل: من هذا؟ فأشار إلى قتيل، فقال له عمرو بن أمية: هذا عامر بن فهيرة، فقال: لقد رأيته بعد ما قتل رفع إلى السماء حتى إني لأنظر إلى السماء بينه

(2) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (206/3). (4) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (50/6).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

6- حسان بن ثابت رضي الله عنه يحرض على قتل عامر بن الطفيل: كان حسان رضي الله عنه من رجالات المؤسسة الإعلامية، فكان يشن الحرب النفسية على الأعداء، وكان بجانبه كعب بن مالك وعبد الله بن رواحة -رضي الله عنهم- فلم يتركوا حدثاً من أحداث السيرة إلا قالوا فيه شعراً، وكل قصيدة للكافرين يردون عليها بقصائد، وقد علمنا ما أحدثه شعر حسان في طرد كعب بن الأشرف اليهودي، وكان **صلى الله عليه وسلم** يتعهد شعراء الدولة الإسلامية ويشجعهم على خوض هذا الباب من الجهاد، فعلى المسلمين المعاصرين قادة وزعماء وعلماء وفقهاء وجماعات أن يرفعوا شعراءهم ويشجعوهم لخصوص هذا الجهاد العظيم⁽²⁾.

ولما بلغ حسان خبر أصحاب بئر معونة نظم أبياتاً تناقلتها الركبان يحث فيها ربيعة بن عامر ملاعب الأسنة ويحرضه بعامر بن الطفيل بإخفاره ذمة أبي براء:

ألا من مبلغ عني ربيعاً فما أحدثت في الحادثان بعدي
أبوك أبو الفعال أبو براء وخالك ما جد حكم بن سعد
بني أم البنين ألم يرعكم وأنتم من ذوانب أهل نجد
تحكم عامر بأبي براء ليخفره وما خطأ كعمد⁽³⁾

فلما بلغ ربيعة بن أبي براء هذا الشعر، وكان الشعر عندهم أوجع من رشق النبل، وقطع السيوف للرقاب، وطعن النحور بالرماح، قام ربيعة بأخذ ثأر أبيه فضرب عامر بن الطفيل ضربة أشواه بها -أي لم تصب منه مقتلاً- فوثب عليه قومه، وقالوا لعامر: اقتص، فقال: قد عفوت، وإن عشت فسأرى رأيي فيما أتى إلي⁽⁴⁾. ومما قاله حسان وهو يبكي قتلى بئر معونة، ويخص المنذر بن عمرو رضي الله عنه:

(1) البخاري في المغازي رقم 4093.

(2) انظر: الأساس في السنة وفقهها - السيرة النبوية (656/2).

(3) انظر: محمد رسول الله، صادق عرجون (64/4). (4) المصدر نفسه (64/4).

على قتلى معونة فاستهلي بدمع العين سحاً غير نزر⁽¹⁾
على خيل الرسول غداة لاقوا منايهم ولاقتهم بقدر⁽²⁾
أصابهم الفناء بعقد قوم نُحُون عقد حبلم بغدر⁽³⁾
فيا لهفي لمنذر إذ تولى وأعنق في منيته بصبر⁽⁴⁾

7- مصير عامر بن الطفيل العامري: استجاب الله لدعاء نبيه صلى الله عليه وسلم فقد دعا على عامر بن الطفيل فقال: «اللهم اكفني عامراً»⁽⁵⁾ فأصيب الطاغية بمرض عضال وصفه صلى الله عليه وسلم بقوله: «غدة كغدة البعير»⁽⁶⁾ وسماه صلى الله عليه وسلم بـ «الطاعون»، وهو وصف دقيق للطاعون الدبلي الذي يتميز (بارتفاع درجة الحرارة، وتضخم العقد الليمفاوية في منطقة الأرب وتحت الإبط، وكذا تضخم الطحال)⁽⁷⁾ وهو ما أصيب به عامر بن الطفيل حتى أصبح حبيساً في بيت امرأة من قومه.

لقد أصيب عامر بن الطفيل وتلاشت أحلامه بالتملك على أهل المدن في الجزيرة العربية، أو خلافة النبي صلى الله عليه وسلم، وأما تلك الجيوش التي هدد النبي صلى الله عليه وسلم بها، فقد تحولت إلى آلام تحبسه في بيت امرأة قد ولى عنه الناس ونفروا منه خشية العدوى، ففقد صوابه، وصرخ بمن بقي حوله فقال: (غدة كغدة البكر في بيت امرأة من بني فلان، انتوني بفرسي، فركبه فمات على ظهر فرسه)⁽⁸⁾. هلك ذلك الجبار العنيد كالمجنون بعد أن تطاير الناس من حوله خوفاً على أنفسهم من العدوى⁽⁹⁾.

(1) استهلي: أسبلي، والنزر: القليل.

(2) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (209/3). (7) تحون: تنقضي (بالبناء للمجهول).

(4) أعنق: أسرع، والعنق: ضرب من السير السريع، ابن هشام (209/3).

(5) انظر: الأساس في السنة وفقها السيرة النبوية (631/2).

(6) انظر: السيرة النبوية، محمد الصوياني، ص130.

(7) انظر: تعليق الدكتور قلنجي على الدلائل (346/3).

(8,6) انظر: السيرة النبوية للصوياني، ص131.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة
info@libya-web.net - libya-web.net

زواج النبي صلى الله عليه وسلم بأم المساكين وأم سلمة وأحداث متفرقة

أولاً: زينب بنت خزيمة أم المساكين رضي الله عنها:

هي زينب بنت خزيمة بن الحارث الهلالية، فهي من بني عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة. وكانت تسمى في الجاهلية «أم المساكين» لإطعامها إياهم، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان على رأس واحد وثلاثين شهراً من الهجرة، فمكثت عنده ثمانية أشهر، وتوفيت في حياته صلى الله عليه وسلم في آخر ربيع الأول على رأس تسعة وثلاثين شهراً، ودفنت في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم⁽¹⁾.

كانت زينب بنت خزيمة تحت عبد الله بن جحش بن رئاب الذي قتل في معركة أحد شهيداً في سبيل الله تعالى، فتزوجها صلى الله عليه وسلم إكراماً لها بعد أن فجعت بقتل زوجها في معركة أحد، ولم يتركها أرملة وحيدة، فكأنه كافأها صلى الله عليه وسلم على فضائلها بعد مصاب زوجها⁽²⁾.

ثانياً: زواج النبي صلى الله عليه وسلم بأم سلمة رضي الله عنها:

هي هند بنت أبي أمية حذافة بن المغيرة القرشية المخزومية، كانت زوجة ابن عمها أبي عبد الله بن عبد الأسد، وزوجها هذا هو ابن عمه الرسول صلى الله عليه وسلم برة بنت عبد المطلب، وهو أيضاً أخو رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة، وقد هاجرت أم سلمة رضي الله عنها وزوجها أبو سلمة إلى الحبشة فراراً بدينهما من المشركين، ثم رجعا إلى مكة وهاجرا إلى المدينة بعد أن هاجر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون⁽³⁾.

1- حديث أم سلمة لأبي سلمة رضي الله عنهما:

(1) انظر: تفسير القرطبي (166/14).

(2) انظر: المفصل في أحكام المرأة، عبد الكريم زيدان (469/11).

(3) انظر: سير أعلام النبلاء (202/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

قالت أم سلمة لأبي سلمة: بلغني أنه ليس امرأة يموت زوجها وهو من أهل الجنة، ثم لم تزوج إلا جمع الله بينهما في الجنة، فتعال أعاهدك ألا تزوج بعدي ولا أتزوج بعدك. قال: أتطيعيني؟ قالت: نعم، قال: إذا مت تزوجي، اللهم ارزق أم سلمة بعدي رجلاً خيراً مني، لا يحزنها ولا يؤذيها، فلما مات قلت: من خير من أبي سلمة؟ فما لبث وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقام على الباب فذكر الخطبة إلى ابن أخيها، أو ابنها فقالت: أرد على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو أتقدم عليه بعيالي، ثم جاء الغد فخطب⁽¹⁾.

2- دعاء أم سلمة لما توفي زوجها:

لما توفي زوجها أبو سلمة من أثر جراحات أصابته في قتاله للمشركين، وكانت تحبه وتجله، فلما مات أبو سلمة جاءت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله إن أبا سلمة قد مات قال: «قولي: اللهم اغفر لي وله وأعقبني⁽²⁾ منه عقبى حسنة» قالت: فقلت، فأعقبني الله من هو خير لي منه محمداً صلى الله عليه وسلم⁽³⁾.

3- حوار رسول الله صلى الله عليه وسلم لأم سلمة عندما خطبها:

قال عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما: إن أم سلمة لما انقضت عدتها خطبها أبو بكر فردته، ثم خطبها عمر فردته، فبعث إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: مرحباً: أخبر رسول الله أني غيرى⁽⁴⁾، وأني مصيبة⁽⁵⁾، وليس أحد من أوليائي شاهداً.

فبعث إليها: «أما قولك: إني مصيبة، فإن الله سيكشفك صبيانك، وأما قولك: إني غيرى فسأدعو الله أن يذهب غيرتك، وأما الأولياء فليس أحد منهم إلا سيرضى بي»⁽⁶⁾.

(1) انظر: سير أعلام النبلاء (203/2) وقال المحقق: أخرجه ابن سعد ورجاله ثقات.

(2) وأعقبني: أي بدلني وعوضني منه، أي في مقابلته عقبى حسنة أي بدلاً صالحاً.

(3) مسلم في الجناز رقم 919. (3) غيرى: كثيرة الغيرة.

(5) مصيبة: أي ذات صبيان وأولاد صغار.

(6) انظر: سير أعلام النبلاء (203/2، 204) وإسناده صحيح.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وفي رواية: إني امرأة قد أدبر من سني، فكانت إجابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لها: «وأما السن فأنا أكبر منك»⁽¹⁾ وهكذا أحسن إليها صلى الله عليه وسلم الجواب، وما كان إلا محسنًا⁽²⁾.

قالت أم سلمة: يا عمر (أي ابنها) قم فزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم⁽³⁾، قال ابن كثير في تعليقه على قول أم سلمة: قم يا عمر فزوّج النبي صلى الله عليه وسلم: تعني قد رضيت وأذنت، فتوهم بعض العلماء أنها تقول لابنها عمر بن أبي سلمة، وقد كان ذاك صغيراً لا يلي مثله العقد، وقد جمعت في ذلك جزءاً مفرداً بينت فيه الصواب في ذلك، والله الحمد والمنة، وأن الذي ولي عقدها عليه ابنها سلمة بن أبي سلمة وهو أكبر⁽⁴⁾ ولدها.

4- تأييد رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنت زينب ومعاملة لها:

فلما وافقت على الزواج قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما أني لا أنقصك مما أعطيت فلانة رحيين وجرتين ووسادة من آدم حشوها ليف»⁽⁵⁾.

وكانت أم سلمة قد ولدت طفلة من زوجها أبي سلمة بعد موته، فعندما تزوجها صلى الله عليه وسلم جعل يأتيها، فإذا جاء أخذت زينب فوضعتها في حجرها لترضعها، وكان صلى الله عليه وسلم حياً كريماً يستحي فيرجع ففعل ذلك مراراً⁽⁶⁾، ففطن عمار بن ياسر رضي الله عنه وهو أخ لأم سلمة من أمها (سمية) الشهيدة التي قتلها أبو جهل، فأطلق قدميه نحو بيت أخته أم سلمة، فأخذ ابنة أخته ليسترضعها في بيته أو عند إحدى النساء، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أين زنا؟» فقالت قريبة ابن أبي أمية ووافقها عندها⁽⁷⁾: أخذها عمار بن ياسر فقال صلى

(1) انظر: الطبقات لابن سعد (90/8) رجاله ثقات، لكنه مرسل.

(2) انظر: المفصل في أحكام المرأة (470/11).

(3) انظر: سير أعلام النبلاء (204/2) وإسناده صحيح.

(4) انظر: البداية والنهاية (92/4).

(5) انظر: سير أعلام النبلاء (204/2). (2) المصدر نفسه (204/2).

(7) أي: توافق مجيء النبي (مع زيارة تلك المرأة لأم سلمة).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

الله عليه وسلم: «إني آتيكم الليلة».

قالت أم سلمة: فقامت فوضعت ثفالي⁽¹⁾، وأخرجت حبات من شعير كانت في جرتي، وأخرجت شحمًا فعصده، ثم بات، ثم أصبح، وقال حين أصبح: «إن بك على أهلك كرامة، فإن شئت سبعت⁽²⁾ لك وإن أسبع لك أسبع لنسائي⁽³⁾، وإن شئت ثلثت ثم درت» قالت: ثلث⁽⁴⁾، فأقام النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام عند أم سلمة ثم قال صلى الله عليه وسلم: «للبر سبع وللثيب ثلاث»⁽⁵⁾ هي مدة إقامة المتزوج عند زوجته إذا كان عنده غيرها.

أقام صلى الله عليه وسلم عند أم سلمة رضي الله عنها ثلاثة أيام سعيدة، ثم رتب لها يومًا كبقية زوجاته.

5- تغيير اسم برة بنت أبي سلمة:

تقول تلك الطفلة اليتيمة -رضي الله عنها-: إن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على أم سلمة حين تزوجها واسمي برة، فسمعها تدعوني برة، فقال: «لا تزكوا أنفسكم، فإن الله هو أعلم بالبرة منكن والفاجرة، سمها زينب».

فقالت أم سلمة: فهي زينب⁽⁶⁾.

وهذا من هدي النبي صلى الله عليه وسلم، فقد كان يحب الأسماء الجميلة، ولم يكن صلى الله عليه وسلم يغير أسماء الأطفال فقط، بل كان للرجال والنساء والعجائز نصيب من ذلك الذوق النبوي الرفيع، فقد ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يقال له: شهاب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بل أنت هشام»⁽⁷⁾.

(1) هو ما يبسط تحت الرحى عند الطحن.

(2) أي أقمت عندك سبعة أيام.

(3) حديث حسن رواه ابن سعد (93/8).

(4) انظر: السيرة النبوية كما جاءت من الأحاديث الصحيحة للصوياني (136/3).

(5) حديث صحيح، صحيح الجامع للألباني (919/2).

(6) سنده قوي رواه ابن إسحاق ومن طريقه البخاري في الأدب المفرد (821).

(7) سنده حسن رواه البخاري في الأدب المفرد (825).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وكان **صلى الله عليه وسلم** إذا أتاه الرجل وله اسم لا يحبه حوله⁽¹⁾، إلى اسم أجمل وألطف، وكان يفعل ذلك مع العجائز **صلى الله عليه وسلم**. فهذه عائشة رضي الله عنها تحدثنا، حيث تقول رضي الله عنها: (جاءت عجوز إلى النبي **صلى الله عليه وسلم** وهو عندي فقال لها رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: «من أنت؟» قالت: جثامة المزنية. فقال: «بل أنت حسانة المزنية، كيف أنتم؟ كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟» قالت: بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله. ففكرت إليه لحم، فجعل يناولها، فقلت: يا رسول الله لا تغمر يدك، فلما خرجت قلت: يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟ فقال: «إنها كانت تأتينا زمن خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان»⁽²⁾.

6- الحكمة في زواج أم سلمة:

والحكمة في هذا الزواج -كما يقول صاحب تفسير المنار-: ليس لأجل التمتع المباح له، وإنما كان لفضلها الذي يعرفه المتأمل بجودة رأيها يوم الحديبية، ولتعزيتها أي بوفاة زوجها⁽³⁾، ولا ننسى كذلك أن أم سلمة من بني مخزوم أعز بطون قريش، وهي التي كانت تحمل لواء الحرب والمواجهة لرسول الله **صلى الله عليه وسلم** ووراء هذا الزواج تفتيت حقد هذه القبيلة وتقريب قلوب أبنائها، وتحبب إليهم ليدخلوا في الإسلام بعد أن صاروا أصهار رسول الله **صلى الله عليه وسلم**⁽⁴⁾.

وفي هذا الزواج فقه النبي **صلى الله عليه وسلم** في البناء الداخلي للأمة، وتأدية حق الشهداء في زوجاتهم، وحق هذه الزوجات من أن ينهلن من نور النبوة ما يشاء الله أن ينهلن لكي يبلغن عن رسول الله⁽⁵⁾.

(1) حديث حسن رواه الطبراني (119/17).

(2) سننه قوي رواه الحاكم (62/1) والبيهقي في شعب الإيمان (517/6).

(3) انظر: تفسير المنار (372/4). (4) انظر: التربية القيادية (356/3).

(5) المصدر نفسه (357/3). (6) انظر: سير أعلام النبلاء (210/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

وكانت أم سلمة آخر من مات من أمهات المؤمنين، وكانت وفاتها سنة إحدى وستين، وقد روت عن رسول الله أحاديث، يبلغ مسندها ثلاثمائة وثمانية وثمانين حديثاً، واتفق البخاري ومسلم على ثلاثة عشر، وانفرد البخاري بثلاثة ومسلم بثلاثة عشر⁽¹⁾. لقد ساهمت في نشر العلم والحكمة عن رسول الله وبموتها انطفأ آخر مصباح من مصابيح أمهات المؤمنين طالما شمع النور والهدى والعلم، فرضي الله عنها وأرضاها⁽²⁾.

ثالثاً: مولد الحسن بن علي رضي الله عنهما:

قال الإمام القرطبي -رحمه الله-: ولد الحسن في شعبان من السنة الرابعة وعلى هذا ولد الحسين قبل تمام السنة من ولادة الحسن، ويؤيده ما ذكره الواقدي أن فاطمة علقت بالحسين بعد مولد الحسن بخمسين ليلة. وجزم النواوي في التهذيب أن الحسن ولد لخمس خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة⁽³⁾.

يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لما ولد الحسن سميته حرباً، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أروني ابني.. ما سميتموه؟» قلت: حرباً، قال صلى الله عليه وسلم: «بل هو حسن»⁽⁴⁾.

وهكذا غيّر صلى الله عليه وسلم ذلك الاسم الحاد باسم جميل يدخل السرور والفرحة على القلب.

فحمل المولود الجديد اسمه الجميل، وحمله صلى الله عليه وسلم بين يديه وقبله، وهذا أبو رافع يخبرنا عن ماذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم أذن في أذني الحسن حين ولدته فاطمة بالصلاة⁽⁵⁾.

(2) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبه (248/2، 249).

(3) انظر: شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (10/1).

(4) البخاري في الأدب (286).

(3) أبو داود رقم 5105.

وحدثنا أبو رافع عن عقيقة الحسن فقال: لما ولدت فاطمة حسناً قالت: ألا أعق عن ابني بدم (بكشين؟) قال صلى الله عليه وسلم: «لا ولكن احلقي رأسه وتصدقي بوزن شعره من فضة على المساكين والأوفاض» وكان الأوفاض ناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم محتاجين في المسجد أو الصفة، ففعلت ذلك⁽¹⁾.

وأحب صلى الله عليه وسلم أن يقدم عقيقة الحسن، فعق عنه كبشين⁽²⁾.

وقد قال صلى الله عليه وسلم في العقيقة: «كل غلام مرتين بعقيقته، يذبح عنه يوم سابعه، ويحلق رأسه ويسمى»⁽³⁾.

رابعاً: زيد بن ثابت رضي الله عنه يتعلم لغة اليهود سنة 4هـ:

وفي هذه السنة تعلم زيد بن ثابت كتابة اليهود، فعن خارجة بن زيد بن ثابت عن زيد بن ثابت: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يتعلم كتابة يهود ليقراه على النبي صلى الله عليه وسلم إذا كتبوا إليه⁽⁴⁾، فتعلمه في خمسة عشر يوماً، وفي رواية أخرى أن رسول الله لما قدم المدينة ذهب بزيد إلى رسول الله، وقالوا: يا رسول الله، هذا غلام من بني النجار معه مما أنزل الله عليك بضع عشرة سورة، فأعجب ذلك رسول الله وقال: «يا زيد تعلم لي كتاب يهود، فإني والله ما آمن يهود على كتاب» قال زيد: فتعلمت له كتابهم، ما مرت خمس عشرة ليلة حتى حفظته، وكنت أقرأ له كتبهم إذا كتبوا إليه، وأجيب عنه إذا كتب⁽⁵⁾.

وبهذا الخبر يتضح أن للترجمان مكانة رفيعة في الدولة، إذ هو الذي يطلع على أسرار الدولة وما يأتيها من مراسلات، أو ما ترسله من مخاطبات، إذ لا يصح أن يطلع كل إنسان على تلك الكتب الصادرة والواردة لنلا تختل الدولة وتكشف أسرارها؛ ولذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم

(1) رواه الطبراني (30/3) بسند حسن.

(2) انظر: السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة للصوياني (106/3).

(3) انظر: صحيح الجامع (835/2).

(4) البخاري، كتاب الأحكام رقم 7195.

(5) انظر: سير أعلام النبلاء (429/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

زيد بن ثابت بتعلم لغة اليهود⁽¹⁾، وتعلم زيد بن ثابت لغة يهود في خمس عشرة يوما يدل على ذكاء مفرط، وقوة حافظته، وقد كان رضي الله عنه ممن حفظ القرآن كله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن أشهر كتاب الوحي بين يديه، وهو الذي تولى كتابة القرآن وحده في الصحف في عهد الصديق، وكان أحد كاتب المصاحف في عهد عثمان رضي الله عنه، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدًا بتعلم لغة اليهود وكتابتهم يدل على أن الإسلام يحجب إلى المسلم أن يتعلم لغة غيره وكتابتهم، ويتعرف على علومهم ومعارفهم ولا سيما إذا دعت لذلك ضرورة⁽²⁾.

* * *

(1) انظر: زيد بن ثابت، كاتب الوحي وجامع القرآن، صفوان داوودي، ص80، 81.

(2) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبه (249/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

المبحث الثالث

إجلاء يهود بني النضير

أصاب يهود المدينة، الخوف والرعب، طيلة الفترة التي تفصل بين مقتل كعب بن الأشرف، وبين معركة أحد التي جرت في شوال عام 3هـ، ولكن الهزيمة التي حلت بالمسلمين في تلك المعركة، أحييت في نفوس المشركين والمنافقين الأمل من جديد، بتحقيق مطامعهم وأغراضهم، وأزالت من قلوب اليهود الهلع على المصير، ومما ساهم في تبديد هذا الهلع عندهم مقتل أصحاب الرجيع، وبئر معونة، وبذلك لم يدم خوف اليهود طويلاً وعادوا إلى أساليب الدس والمكر والخداع، وشرعوا في حشد حصونهم بالسلاح والعتاد للانقضاض على المسلمين ودولتهم، ثم صمموا على قتل النبي صلى الله عليه وسلم والغدر به⁽¹⁾.

أولاً: تاريخ الغزوة وأسبابها:

أ- تاريخ الغزوة:

يرى المحققون من المؤرخين أن غزوة بني النضير كانت بعد أحد في ربيع الأول من السنة الرابعة من الهجرة، وقد رد ابن القيم على من زعم أن غزوة بني النضير بعد بدر بستة أشهر بقوله: وزعم محمد بن شهاب الزهري أن غزوة بني النضير كانت بعد بدر بستة أشهر، وهذا وهم منه، أو غلط عليه، بل الذي لا شك فيه: أنها بعد أحد والذي كانت بعد بدر بستة أشهر، هي غزوة بني قينقاع، وقريظة بعد الخندق، وخيبر بعد الحديبية⁽²⁾.

وقال ابن العربي: والصحيح أنها بعد أحد⁽³⁾. وإلى هذا الرأي ذهب ابن كثير⁽⁴⁾.

ب- أسباب الغزوة:

(1) انظر: التاريخ السياسي والعسكري، ص 188، 189.

(2) انظر: زاد المعاد (249/3).

(4) انظر: حديث القرآن عن الغزوات (254/1).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

هناك مجموعة من الأسباب حملت النبي صلى الله عليه وسلم على غزوة بني النضير

وإجلانهم من أهمها:

1- نقض بني النضير عهودهم التي تحتم عليهم ألا يؤووا عدوًا للمسلمين، ولم يكتفوا بهذا

النقض، بل أرشدوا الأعداء إلى مواطن الضعف في المدينة.

وقد حصل ذلك في غزوة السويق⁽¹⁾ حيث نذر أبو سفيان بن حرب حين رجع إلى مكة بعد غزوة بدر، نذر ألا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو المدينة، فلما خرج في مائتي راكب قاصدًا المدينة قام سيد بني النضير سلام بن مشكم بالوقوف معه وضيافته وأبطن له خبر الناس، ولم تكن مخابرات المدينة غافلة عن ذلك⁽²⁾.

قال موسى بن عقبة صاحب المغازي: (كانت بنو النضير قد دسوا إلى قريش وحصونهم على

قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودلوهم على العورة)⁽³⁾.

2- محاولة اغتيال النبي صلى الله عليه وسلم: خرج النبي صلى الله عليه وسلم في نفر من

أصحابه عن طريق قباء إلى ديار بني النضير يستعينهم في دية القتيلين العامرين اللذين ذهبا ضحية جهل عمرو بن أمية الضمري بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهما؛ وذلك تنفيذًا للعهد الذي كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين بني النضير حول أداء الديات، وإقرارًا لما كان يقوم بين بني النضير وبين بني عامر من عقود وأحلاف.

استقبل بنو النضير النبي صلى الله عليه وسلم بكثير من البشاشة والكياسة، ثم خلا بعضهم

إلى بعض يتشاورون في قتله والغدر به، ويبدو أنهم اتفقوا على إلقاء صخرة عليه صلى الله عليه وسلم، من فوق جدار كان يجلس بالقرب منه، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم الذي كان برعاية الله وحفظه أدرك مقاصد بني النضير، إذ جاءه الخبر من السماء بما عزموا عليه من شر،

(1) غزوة السويق كانت بعد بدر وقد تحدثت عنها.

(2) انظر: فتح الباري (332/7).

(3) انظر: تاريخ الطبري (284/2).

فنهض وانطلق بسرعة إلى المدينة، ثم تبعه أصحابه بعد قليل⁽¹⁾.

لم تكن مؤامرة بني النضير، التي أفضلها الله سبحانه وتعالى تستهدف شخص النبي صلى الله عليه وسلم فحسب، بل كانت تستهدف كذلك دولة المدينة والدعوة الإسلامية برمتها؛ لذا صمم محمد صلى الله عليه وسلم على محاربة بني النضير، الذين نقضوا العهد والمواثيق معه وأمر أصحابه بالتهيؤ لقتالهم والسير إليهم⁽²⁾.

هذه الأسباب وغيرها أدت إلى غزوة بني النضير، وقد ذُكر القرآن الكريم المؤمنين بهذه النعمة الجليلة وكيف نجى الله نبيه صلى الله عليه وسلم من مكر يهود بني النضير، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) [المائدة: 11].

وقد أورد المفسرون في سبب نزول هذه الآية الكريمة روايات منها:

أخرج الطبري عن أبي زياد قال: جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النضير ليستعينهم في عقل أصحابه ومعه أبو بكر وعمر وعلي فقال: «أعينوني في عقل أصابني» فقالوا: نعم يا أبا القاسم قد آن لك أن تأتينا وتسالنا حاجة، اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي تسألنا، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ينتظرون وجاء رأس القوم، وهو الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال، فقال لأصحابه: لا ترون أقرب منه الآن، اطرحوا عليه حجارة فاقتلوه، ولا ترون شراً أبداً. فجاءوا إلى رحي لهم عزيمة ليطرحوها عليه، فأمسك الله عنها أيديهم حتى جاء جبريل عليه السلام فأقامه من ثم، فأنزل الله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) فأخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ما أرادوا به⁽³⁾.

(1) انظر: الواقدي (365/1) التاريخ السياسي والعسكري، ص190.

(2) انظر: التاريخ السياسي والعسكري لدولة المدينة، ص190.

(3) انظر: تفسير ابن جرير (144/6، 145).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وذكر محمد بن إسحاق ومجاهد وعكرمة وغير واحد⁽¹⁾ أنها نزلت في شأن بني النضير حين أرادوا أن يلقوا على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحي لما جاءهم يستعينهم في دية العامريين، ووكّلوا عمرو بن جحاش بذلك أن جلس النبي صلى الله عليه وسلم تحت الجدار، واجتمعوا عنده أن يلقي الرحي من فوقه، فأطلع الله النبي صلى الله عليه وسلم على ما تماروا عليه، فرجع إلى المدينة وتبعه أصحابه فأنزل الله في ذلك هذه الآية⁽²⁾.

وقد رجّح ابن جرير أن تكون الآية قد نزلت بسبب ما أضمره بنو النضير من كيد وسوء للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال: (وأولى الأقوال بالصحة في تأويل ذلك قول من قال: عنى الله بالنعمة التي ذكر في هذه الآية نعمته على المؤمنين به ورسوله التي أنعم بها عليهم في استنقاذه نبينهم صلى الله عليه وسلم مما كانت يهود النضير همت به من قتله وقتل من معه، يوم سار إليهم في الدية التي تحملها عن قتلي عمرو بن أمية، وإنما قلنا بالصحة في تأويل ذلك؛ لأن الله عقب ذلك برمي اليهود بسوء صنائعها وقبيح فعالها، وخيانتها ربها وأنبياءها)⁽³⁾.

وقد وافق الدكتور محمد آل عابد ترجيح الطبري، وقال: لا مانع أن تكون الآية الكريمة نزلت بعد تلك الحوادث مجتمعة، فقد تعددت الحوادث والمنزل واحد، كما قال العلماء⁽⁴⁾.

ومعنى الآية الكريمة: أي اذكروا نعمة الله عليكم، التي من أكبر مظاهرها كفه عنكم أيدي اليهود الذين هموا أن يمدوا أيديهم بالسوء إلى نبيكم، وشارفوا أن ينفذوا مؤامرتهم الخبيثة، ولكن الله أحبط مكرهم ونجى نبيكم صلى الله عليه وسلم من شرورهم. ثم أمر - سبحانه - بتقواه والتوكل عليه، فقال تعالى: (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ).

أي اتقوا الله -أيها المؤمنون- في رعاية حقوق نعمته، ولا تخلوا بشكرها، فقد أراكم قدرته،

(1) هذه الآثار وإن كان فيها ضعف يمكن أن تعضد لتصبح بمجموعها صالحة للاحتجاج بها. انظر: المجتمع المدني في عهد النبوة، ص 145.

(2) انظر: تفسير ابن كثير (31/2). (4) انظر: تفسير الطبري (144/6، 145).

(4) انظر: حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول (251/1).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

وتوكلوا عليه وحده، فقد أراكم عنايته بكم، وعلى الله وحده فليتوكل المؤمنون⁽¹⁾.

ثانياً: إنذار بني النضير بالجلاء وحصارهم:

أ- إنذار بني النضير: سجلت معظم كتب السيرة النبوية خبر إنذار النبي صلى الله عليه وسلم لبني النضير بالجلاء خلال عشرة أيام، وقد أرسل صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة إليهم، وقال له: «أذهب إلى يهود بني النضير، وقل لهم: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلني إليكم أن اخرجوا من بلادي؛ لقد نقضتم العهد الذي جعلت لكم مما هممتم به من الغدر، وقد أجلتكم عشراً، فمن رأي بعد منكم ضربت عنقه»⁽²⁾، ولم يجدوا جواباً يردون به سوى أن قالوا لمحمد بن مسلمة: يا محمد، ما كنا نظن أن يجيئنا بهذا رجل من الأوس، فقال محمد: تغيرت القلوب، ومحا الإسلام العهود، فقالوا: نتحمل، فمكثوا أياما يعدون العدة للرحيل⁽³⁾. وفي تلك المدة أرسل إليهم عبد الله بن أبي ابن سلول من يقول لهم: اثبتوا وتمنعوا فإننا لن نسلحكم، وإن قوتلتهم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم خرجنا معكم⁽⁴⁾، ولا تخرجوا فإن معي من العرب وممن انضوى إلى قومي ألفين، فأقيموا، فهم يدخلون معكم حصونكم، ويموتون عن آخرهم قبل أن يصلوا إليكم⁽⁵⁾. فعادت لليهود بعض ثقتهم وتشجع كبيرهم (حيي بن أخطب) وأرسل إلى النبي صلى الله عليه وسلم جدي بن أخطب يقول له: إنا لن نريم -أي لن نبرح- دارنا فاصنع ما بدا لك، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبر المسلمون معه، وقال: «حاربت يهود»⁽⁶⁾.

ب- ضرب الحصار وإجلاؤهم: وانقضت الأيام العشرة ولم يخرجوا من ديارهم، فتحركت جيوش المسلمين صوبهم، وضربت عليهم الحصار لمدة خمس عشرة ليلة. وأمر صلى الله عليه وسلم بحرق نخيلهم، وقضى بذلك على أسباب تعلقهم بأموالهم وزروعهم، وضعفت حماسهم

(1) انظر: حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول (252/1).

(2) انظر: طبقات ابن سعد الكبرى (57/2)، مغازي الواقدي (363/1 - 370).

(3) انظر: تاريخ الطبري (552/2). (4) انظر: سيرة ابن هشام (212/3).

(5) انظر: تاريخ الطبري (553/2). (6) انظر: السيرة النبوية لابن كثير (146/3).

للقاتل، وجزعوا وتصايحوا: يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من يفعله، فما بال قطع النخيل وتخريبها؟ وألقى الله في قلوبهم الرعب، وأدرك بنو النضير أن لا مفر من جلانهم، ودب اليأس في قلوبهم وخاصة بعد أن أخلف ابن أبي وعده بنصرهم، وعجز إخوانهم أن يسوقوا إليهم خيراً أو يدفعوا عنهم شراً، فأرسلوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم يلتمسون منه أن يؤمنهم حتى يخرجوا من ديارهم. فوافقهم النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال لهم: «اخرجوا منها، ولكم دماؤكم وما حملت الإبل إلا الحلقة - وهي الدروع والسلاح- فرضوا بذلك»⁽¹⁾. ونقض اليهود سقف بيوتهم وعمدها وجدرانها لكي لا ينتفع منها المسلمون. وحملوا معهم كميات كبيرة من الذهب والفضة حتى أن سلام بن أبي الحقيق وحده حمل جلد ثور مملوءاً ذهباً وفضة، وكان يقول: هذا الذي أعدناه لرفع الأرض وخفضها، وإن كنا تركنا نخلاً ففي خبير النخل⁽²⁾. وحملوا أمتعتهم على ستمائة بعير، وخرجوا ومعهم الدفوف والمزامير والقيان يعزفن من خلفهم، حتى لا يشمت بهم المسلمون، فقصد بعضهم خبير وسار آخرون إلى أذرعات الشام⁽³⁾.

وقد تولى عملية إخراجهم من المدينة محمد بن مسلمة، بأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم⁽⁴⁾. وكان من أشرافهم الذين ساروا إلى خبير: سلام بن أبي الحقيق، وحيي بن أخطب، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، فلما نزلوها دان لهم أهلها⁽⁵⁾.

ثالثاً: الدروس والعبر في هذه الغزوة:

تحدث القرآن الكريم عن غزوة بني النضير في سورة كاملة وهي سورة الحشر، وقد سمي حبر الأمة عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- سورة الحشر بسورة بني النضير، ففي البخاري عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس رضي الله عنهما سورة الحشر، قال: سورة بني

(1) انظر: حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول (257/1).

(2) انظر: السيرة الحلبية (566/2).

(3) انظر: السيرة الحلبية (565/2)، حديث القرآن الكريم (257/1).

(4) انظر: المغازي للواقدي (374/1)، اليهود في السنة المطهرة (321/1).

(5) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (212/3).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وقد بينت هذه السورة ملايسات هذه الغزوة، وفصلت القول فيها، وبينت أحكام الفيء، ومن هم المستحقون له؟ وأوضحت موقف المنافقين من اليهود، كما كشفت عن حقائق نفسيات اليهود، وضربت الأمثال لعلاقة المنافقين باليهود، وفي أثناء الحديث عن الغزوة وجه سبحانه خطابه إلى المؤمنين وأمرهم بتقواه وحذرهم من معصيته، ثم تحدث سبحانه عن القرآن الكريم، وأسمائه وصفاته، وهكذا كان المجتمع المسلم يتربى بالأحداث على التوحيد وتعظيم منهج الله، والاستعداد ليوم القيامة. وبالتأمل في السورة يمكننا استخراج بعض الدروس والعبر من أهمها:

أ- الثناء على الله وتمجيده: ابتدأت السورة بالثناء على الله، وأن الكون كله بجميع ما فيه من مخلوقات من إنسان، وحيوان، ونبات، وجماد، ينزه الله ويمجده ويشهد بوحديته وقدرته وجلاله، وناطق بعظمته وسلطانه⁽²⁾. قال تعالى: (سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [الحشر: 1].

كان استفتاح هذه السورة بالإخبار أن جميع من في السماوات والأرض، تسبح بحمد ربها، وتنزهه عما لا يليق بجلاله، وتعبدوه وتخضع لعظمته؛ لأنه العزيز، الذي قهر كل شيء، فلا يمتنع عليه شيء، ولا يستعصي عليه عسير.

الحكيم في خلقه وأمره، فلا يخلق شيئاً عبثاً، ولا يشرع ما لا مصلحة فيه، ولا يفعل إلا ما هو مقتض حكمته، ومن ذلك نصره لرسوله صلى الله عليه وسلم على الذين كفروا من أهل الكتاب، من بني النضير حين غدروا برسوله، فأخرجهم من ديارهم وأوطانهم، التي ألفوها وأحبوها⁽³⁾.

ب- الرعب جند من جند الله: قال تعالى: (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ

(1) البخاري، كتاب المغازي، باب حديث بن النضير رقم 4029.

(2) انظر: حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول (327/1).

(3) انظر: تفسير السعدي (327/3).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرَّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ □ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ □ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ([الحشر: 2-4].

إن المتأمل في هذه الآيات الكريمة يتبين له أن الله هو الذي أخرج يهود بني النضير من ديارهم إلى الشام، حيث أول الحشر في حين أن كل الأسباب المادية معهم حتى اعتقدوا أنه لا أحد يستطيع أن يخرجهم من حصونهم لمتانتها وقوتها.

لكن الله فاجأهم من حيث لم يحتسبوا، جاءهم من قلوبهم التي لم يتوقعوا أنهم يهزمون بها، فقذف فيها الرعب فإذا بهم يهدمون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين، وهذا الأسلوب القرآني الفريد يربي الأمة بالأحداث والوقائع، وهو يختلف تماما عن طريقة أهل السير، ويمتاز بأنه يكشف الحقائق ويوضح الخفايا، ويربط الأحداث بفاعلها الحقيقي وهو رب العالمين، ومن ذلك أنها بينت أن الذي أخرج بني النضير هو الله جل جلاله: (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ).

واستمرت الآية الكريمة تبين أن يهود بني النضير حسبوا كل شيء وأحاطوا بجميع الأسباب الأرضية، لكن جاءتهم الهزيمة من مكان اطمأنوا إليه وهو أنفسهم، فإذا الرعب يأتي من داخلهم، فإذا بهم ينهارون في أسرع لحظة، لذلك يجب على كل إنسان عاقل أن يعتبر بهذه الغزوة، وأن يعرف أن الله هو المتصرف في الأمور، وأنه لا تقف أمام قدرته العظيمة لا الأسباب ولا المسببات، فهو القادر على كل شيء، فعلى الناس أن يؤمنوا به تعالى ويصلحوا أمرهم، فإذا اتبعوا أمر الله أصلح الله لهم كل شيء، وأخرج أعداءهم من حيث لم يحتسبوا.

إن هذه الغزوة درسٌ للأمة في جميع عصورها تذكرهم أن طريق النصر قريب وهو الرجوع إلى الله والاعتماد عليه والتسليم لشريعته، وتقديره حق قدره، فإذا عرف ذلك المؤمنون نصرهم الله ولو كان عدوهم قويا وكثيرا، فإن الله لا يعجزه شيء، وأقرب شاهد واقعي لذلك هو إجلاء بني

النضير، وهي عبرة فليعتبر بها، والسعيد من اعتبر بغيره.

ثم أوضح سبحانه أنه لو لم يعاقبهم بالجلاء لعذبهم في الدنيا بالقتل، أما في الآخرة فلهم عذاب النار⁽¹⁾.

ج- تخريب ممتلكات الأعداء: لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بجيشه وحاصر بني النضير تحصنوا منه في الحصون، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع النخل والتحريق فيها، فنادوه: يا محمد، قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه، فما بال قطع النخل وتحريقها؟⁽²⁾ فأنزل الله عز وجل: (مَا قَطَعْتُمْ مِّنْ لِّيَّةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ)⁽³⁾ وقد توسع الشيخ محمد أبو زهرة في شرح هذه الآية فقال ما ملخصه بعد أن ساق آراء الفقهاء في ذلك: والذي ننتهي إليه بالنسبة لما يكون في الحرب من هدم وتحريق وتخريب أنه يستفاد من مصادر الشريعة وأعمال النبي صلى الله عليه وسلم في حروبه:

1- أن الأصل هو عدم قطع الشجر وعدم تخريب البناء؛ لأن الهدف من الحرب ليس إيذاء الرعية، ولكن دفع أذى الراعي الظالم وبذلك وردت الآثار.

2- أنه إذا تبين أن قطع الشجر وهدم البناء توجبه ضرورة حربية لا مناص منها كأن يستتر العدو به ويتخذ وسيلة لإيذاء جيش المؤمنين، فإنه لا مناص من قطع الأشجار وهدم البناء، على أنه ضرورة من ضرورات القتال، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم هنا وفي حصن ثقيف.

3- أن كلام الفقهاء الذين أجازوا الهدم والقلع يجب أن يخرج على أساس هذه الضرورات، لا على أساس إيذاء العدو والإفساد المجرد، فالعدو ليس الشعب، إنما العدو هم الذين

(1) انظر: حديث القرآن الكريم (270/1، 271). (2) المصدر نفسه (274/1).

(3) انظر: تفسير الطبري (34/28).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

يحملون السلاح ليقاتلوا⁽¹⁾.

د- تطوير السياسة المالية للدولة الإسلامية: بيّن سبحانه وتعالى حكم الأموال التي أخذها المسلمون من بني النضير بعد أن تم إجلاؤهم، فقال تعالى: (وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [الحشر: 6].

وبيّن سبحانه وتعالى أن الأموال التي عادت إلى المسلمين من بني النضير قد تفضل بها عليهم بدون قتال شديد؛ وذلك لأن المسلمين مشوا إلى أعدائهم ولم يركبوا خيلاً ولا إبلًا وافتتحها صلى الله عليه وسلم صلحاً، وأجلّاهم، وأخذ أموالهم ووضعها حيث أمره الله، فقد كانت أموال بني النضير للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة، فكان ينفق على أهله منها نفقة سنة، ثم يجعل ما بقي في السلاح والكراع عدة في سبيل الله⁽²⁾.

ثم بيّن المولى عز وجل أحكام الفبيء في قرى الكفار عامة، فقال تعالى: (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) [الحشر: 8].

فكانت هذه الغنيمة خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولهذا تصرف فيه -أي الفبيء- كما يشاء فردّه على المسلمين في وجوه البر والمصالح التي ذكرها الله عز وجل في هذه الآيات. ولما غنم صلى الله عليه وسلم أموال بني النضير، دعا ثابت بن قيس فقال: «ادع لي قومك»، قال ثابت: الخزرج؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «الأنصار كلها» فدعا له الأوس والخزرج.

فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم ذكر الأنصار وما صنعوا بالمهاجرين وإنزالهم في

(1) انظر: خاتم النبيين للشيخ محمد أبو زهرة (265/2-269).

(2,2) مسلم، كتاب الجهاد باب حكم الفبيء (1376/3) رقم 1757.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

منازلهم وأموالهم، وأثرتهم على أنفسهم ثم قال: «إن أحببتكم قسمت بينكم وبين المهاجرين ما أفاء الله عليّ من بني النضير، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في منازلكم وأموالكم، وإن أحببتهم أعطيتهم وخرجوا من دوركم».

فقال سعد بن عباد وسعد بن معاذ: يا رسول الله، بل نقسم بين المهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا، وقالت الأنصار: رضينا وسلمنا يا رسول الله⁽¹⁾.

وقسم ما أفاء الله، وأعطى المهاجرين ولم يعط أحداً من الأنصار شيئاً، غير أبي دجانة، وسهل بن حنيف لحاجتهما⁽²⁾، ومع أنه صلى الله عليه وسلم يعلم أن الفيء كان خاصاً له إلا أنه جمع الأنصار وسألهم عن قسمة الأموال لتطيب نفوسهم، وهذا من الهدى النبوي الكريم في سياسة الأمور. وكانت الغاية من هذا التوزيع تخفيف العبء عن الأنصار، وهكذا انتقل المهاجرون إلى دور بني النضير، وأعيدت دور الأنصار إلى أصحابها، واستغنى بعض المهاجرين مما يمكن أن يقال فيه: إن الأزمة قد بدأت بالانفراج⁽³⁾.

إن قسمة أموال بني النضير أوجدت تطوراً كبيراً في السياسة المالية للدولة الإسلامية، فقد كانت الغنائم الحربية قبل هذه الغزوة تقسم بين المحاربين بعد أن تأخذ الدولة الإسلامية خمسها لتصرف في مصارف معينة حددها القرآن الكريم، وبعد غزوة بني النضير، أصبحت هناك سياسة مالية جديدة فيما يتعلق بالغنائم، وخلصتها: أن الغنائم الحربية أصبحت حسب السياسة الجديدة على نوعين:

- 1- غنائم استولى عليها المجاهدون بحد سيوفهم، وهذه الغنائم تقسم بين المجاهدين بعد أن تأخذ الدولة خمسها لتصرفه في مصارفه الخاصة.
- 2- غنائم يوقعها الله بأيدي المجاهدين دون قتال، وهذا النوع يختص رئيس الدولة الإسلامية

(3) انظر: شرح الزرقاني على المواهب (86/3). (4) انظر: السيرة النبوية لصالح الشامي ص222.

بالتصرف فيه حسب ما يرى المصلحة في ذلك، يعالج به الأوضاع الاقتصادية في البلاد؛ فينقذ الفقراء من فقرهم، أو يشتري به سلاحاً، أو يبني به مدينة أو يصلح به طرقاً أو... وهذا يعني أنه قد أصبح لرئيس الدولة الإسلامية ميزانية خاصة يتصرف فيها تصرفاً سريعاً حسب مقتضيات المصلحة⁽¹⁾، وقد ذكر سبحانه وتعالى في الآيتين اللتين أوضحنا سياسته عليه الصلاة والسلام في تقسيم فيء بني النضير إذ اختص به أناساً دون آخرين العلة في ذلك في قوله تعالى: (مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) [الحشر: 7]. أي لكي لا يكون تداول المال محصوراً فيما بين طبقة الأغنياء منكم فقط، والتعليل لهذه الغاية يؤذن بأن سياسة الشريعة الإسلامية في شؤون المال، قائمة في جملتها على تحقيق هذا المبدأ، وأن كل ما تفيض به كتب الشريعة الإسلامية من الأحكام المتعلقة بمختلف شؤون الاقتصاد والمال يبغي من ورائه إقامة مجتمع عادل تتقارب فيه طبقات الناس وفئاتهم ويقضى فيه على أسباب الثغرات التي قد تظهر فيما بينها، والتي قد تؤثر على سير العدالة وتطبيقها.

ولو طبقت أحكام الشريعة الإسلامية وأنظمتها الخاصة بشؤون المال من إحياء لشريعة الزكاة ومنع للربا وقضاء على مختلف مظاهر الاحتكارات، لعاش الناس كلهم في بحبوحة من العيش قد يتفاوتون في الرزق، ولكنهم جميعاً مكتفون وليس فيهم كلٌّ على آخر، وإن كانوا جميعاً يتعاونون⁽²⁾. وبعد بيان العلة في توزيع أموال الفيء عقب سبحانه بأمر المسلمين بأن يأخذوا ما أتى به الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن ينتهوا عما نهاهم عنه، وأن هذا من لوازم الإيمان، وأمرهم بالتقوى، فإن عقابه شديد وأليم للعصاة. قال تعالى: (مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ

(1) انظر: قراءة سياسية للسيرة النبوية، محمد قلجي، ص169.

(2) انظر: فقه السيرة للبوطي، ص194.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ([الحشر: 7]. أي: ما أمركم به الرسول صلى الله عليه وسلم فافعلوه، وما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمركم بكل خير وصلاح، وينهى عن كل شر وفساد. وقوله: (**وَاتَّقُوا اللَّهَ**) خافوا ربكم بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه. وقوله: (**إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**) أي فإن عقابه أليم وعذابه شديد لمن عصاه وخالف ما أمره به، قال المفسرون: والآية وإن نزلت في أموال الفيء إلا أنها عامة في كل ما أمر الله به النبي صلى الله عليه وسلم أو نهى عنه من واجب، أو مندوب، أو مستحب، أو محرم، فيدخل فيها الفيء وغيره⁽¹⁾. وقد جاءت آيات كثيرة تربي الأمة على وجوب الانقياد لحكم الله تعالى، ولحكم رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك في كل الأمور، قال تعالى: (**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**) [النساء: 65].

وقال صلى الله عليه وسلم: «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم، واختلافهم على أنبيائهم»⁽²⁾.

هـ فضل المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان:

1- فضل المهاجرين: بينت الآيات الكريمة في سورة الحشر فضل المهاجرين على غيرهم، فهم لهم الدرجة الأولى، فقد اشتملت الآيات على أوصافهم الجميلة، وشهد الله لهم بالصدق، قال تعالى: (**لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**) [الحشر: 8].

2- فضل الأنصار: فقد وضحت الآيات فضل الأنصار، وقد وصفهم الله بهذه الصفات، قال تعالى: (**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ**)

(1) انظر: تفسير الرازي (28/29)، صفوة التفاسير (351/3).

(2) مسلم، كتاب الفضائل، باب توقيره صلى الله عليه وسلم وترك إكثار سؤاله (1830/4).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

3- فضل التابعين لهم بإحسان: وهم المتتبعون لآثارهم الحسنة وأوصافهم الجميلة، الداعون في السر والعلانية لإخوانهم الذين سبقوهم بالإيمان⁽¹⁾، قال تعالى: (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) [الحشر: 10]. وهكذا تحدثت السورة الكريمة عن صور مشرقة للمهاجرين، والأنصار، والتابعين لهم بإحسان.

و- موقف المنافقين في المدينة: بينت الآيات الكريمة حالة المنافقين، ووضحت موقفهم وتحالفهم مع إخوانهم من اليهود، وكشفت أيضا موقفهم من المسلمين، وموقف اليهود ونفسياتهم⁽²⁾، قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) [الحشر: 11].

يخبرنا المولى عز وجل عن المنافقين كعبد الله بن أبي وأضرابه حين بعثوا إلى يهود بني النضير يعدونهم بمناصرتهم، وقوله: (لِإِخْوَانِهِمْ) أي الذين بينهم وبينهم أخوة الكفر، وهم يهود بني النضير، وجعلهم إخوانًا له لكون الكفر قد جمعهم، وإن اختلف نوع كفرهم، فهم إخوان في الكفر.

ز- تحريم الخمر: حرمت الخمر ليالي حصار بني النضير⁽³⁾ في ربيع الأول من السنة الرابعة من الهجرة⁽⁴⁾، وقد خضع تحريم الخمر لسنة التدرج، وكان ذلك التحريم على مراحل معروفة في تاريخ التشريع الإسلامي، حتى نزلت الآيات الحاسمة في النهي عنها من سورة المائدة، وفي ختامها (فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ) [المائدة: 91] قال المؤمنون في قوة وتصميم: قد انتهينا يا

(1) انظر: حديث القرآن الكريم (291/1).

(2) انظر: حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول (264/1).

(3) المصدر نفسه (253/1).

(4) انظر تفسير القرطبي (10/18).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

رب⁽¹⁾. وفي قوله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِنْهُمْ هُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ) [البقرة: 219].

يقول سيد قطب رحمه الله: وهذا النص الذي بين أيدينا كان أول خطوة من خطوات التحريم، فالأشياء والأعمال قد لا تكون شرّاً خالصاً، فالخير يلتبس بالشر، والشر يلتبس بالخير في هذه الأرض، ولكن مدار الحل والحرمة هو غلبة الخير أو غلبة الشر، فإذا كان الإثم في الخمر والميسر أكبر من النفع، فتلك علة تحريم ومنع وإن لم يصرح هنا بالتحريم والمنع.

هنا يبدو لنا طرف من منهج التربية الإسلامية القرآنية الربانية الحكيمة، وهو المنهج الذي يمكن استقراؤه في الكثير من شرائعه وفرائضه وتوجيهاته، ونحن نشير إلى قاعدة من قواعد هذا المنهج بمناسبة الحديث عن الخمر والميسر، عندما يتعلق الأمر أو النهي بقاعدة من قواعد التصور الإيماني أي بمسألة اعتقادية، فإن الإسلام يقضي فيها قضاء حاسماً منذ اللحظة الأولى. ولكن عندما يتعلق الأمر أو النهي بعبادة وتقليد، أو بوضع اجتماعي معقد، فإن الإسلام يتريث به ويأخذ المسألة باليسر والتدرج، ويهيئ الظروف الواقعة التي تيسر التنفيذ والطاعة، فعندما كانت المسألة مسألة التوحيد أو الشرك أمضى أمره منذ اللحظة الأولى في ضربة حازمة جازمة لا تردد فيها ولا تلفت، ولا مجاملة فيها ولا مساومة، ولا لقاء في منتصف الطريق؛ لأن المسألة هنا مسألة أساسية للتصور، لا يصلح بدونها إيمان ولا يقام إسلام.

فأما الخمر والميسر، فقد كان الأمر أمر عادة وألفة، والعادة تحتاج إلى علاج، فبدأ بتحريك الوجدان الديني المنطقي التشريعي في نفوس المسلمين، بأن الإثم في الخمر والميسر أكبر من النفع، وفي هذا إحياء بأن تركهما هو الأولى ثم جاءت الخطوة الثانية بآية سورة النساء: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى

(1) انظر: الخصائص العامة للإسلام، للقرضاوي، ص181.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا) [النساء: 43]. والصلاة في خمسة أوقات، معظمها متقارب، لا يكفي ما بينها للسكر والإفاقة، وفي هذا تضيق لفرص المزاولة العملية لعادة الشرب، وكسر لعادة الإدمان التي تتعلق بمواعيد التعاطي، إذ المعروف أن المدمن يشعر بالحاجة إلى ما أدمن عليه من مسكر أو مخدر في الموعد الذي اعتاد تناوله، فإذا تجاوز هذا الوقت وتكرر هذا التجاوز فترة حد العادة، أمكن التغلب عليها، حتى إذا تمت هاتان الخطوتان جاء النهي الجازم الأخير لتحريم الخمر والميسر⁽¹⁾. (إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ) [المائدة: 91].

ح- لا يحقق المكر السيئ إلا بأهله: كان مكر اليهود، وتآمرهم على حياة الرسول صلى الله عليه وسلم والدولة الإسلامية في غاية الخسة والوضاعة، وكانوا يريدون من مكرهم وغدرهم عزة ورفعة ومجدًا، وغلبة، لكن الله سخر منهم، ونجى رسوله والمسلمين من مكرهم وأذلهم وأخزاهم، فزال مجدهم، وكسر غلبتهم، وخرب بيوتهم، ورحلهم عن ديارهم، ولم يكلف ذلك المسلمين اصطدامًا مسلحًا، ولا قتالًا ضارياً، ولكن الله قذف في قلوبهم الرعب والفزع، فطلبوا النجاة بأرواحهم في ذلة وخزي، مخلفين وراءهم ثروة وملكًا، حازه المسلمون غنيمة باردة، وقد قال تعالى في شأنهم: (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ) [الحشر: 2].

هذه عاقبة المكر السيئ، والغدر المشين، وانظر بعد ذلك كيف أشار القرآن الكريم إلى مواطن العبرة في هذه الموقعة، وإلى هذا التهديد الذي أعلنه لكل من يسلك سبيل المكر المزري، والحق

(1) انظر: في ظلال القرآن (229/1).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

المستبد⁽¹⁾ وقال: (فَاَعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ) [الحشر: 2].

ويظهر لي من الآية الكريمة الاعتبار من وجوه:

1- إن الذي يقف في وجه الحق، ويصد الناس عنه، ويطارد دعاة الحق منهزم لا محالة، قال تعالى: (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتٌ بَلْ يَكْفُرُونَ لِقَاءِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَبْئِسَ الْمِهَادُ).

2- الصراع بين الحق والباطل لا يتوقف وبقا حتى يرث الله الأرض وما عليها، وستكون للباطل جولات وللحق جولات، ولكن العقوبة لأهل الحق في نهاية المطاف.

3- الاعتبار يكون بتجنب ما ارتكبه اليهود من خيانة وغدر حتى لا يحدث نفس المصير الذي حدث لهم من الهزيمة والذل والهوان⁽²⁾.

ط- لا إكراه في الدين: كان في بني النضير أناس من أبناء الأنصار قد تهودوا بسبب تربيتهم بين ظهرائي اليهود، فأراد أهلهم المسلمون منعهم من الرحيل معهم. فأنزل الله عز وجل: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنَ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [البقرة: 256].

روى أبو داود في سننه عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: كانت المرأة تكون مقلاة⁽³⁾ فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوّدّه، فلما أجليت بنو النضير، كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالوا: لا ندع أبناءنا، فأنزل الله عز وجل: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) [البقرة: 256]⁽⁴⁾.

* * *

(1) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص 167، 168.

(2) انظر: الصراع مع اليهود لأبي فارس، ص 179.

(3) المقلاة: التي لا يعيش لها ولد، سنن أبي داود (133/3).

(4) أبو داود، كتاب الجهاد، باب الأسير يكره على الإسلام (132/3) رقم 2682.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

المبحث الرابع

غزوة ذات الرقاع

أولاً: تاريخها وأسبابها، ولماذا سميت بذات الرقاع؟:

اختلف أهل المغازي والسير في تاريخ هذه الغزوة، وقد ذهب البخاري⁽¹⁾ إلى أنها كانت بعد خيبر، وذهب ابن إسحاق⁽²⁾ إلى أنها بعد غزوة بني النضير، وقيل بعد الخندق سنة أربع، وعند الواقدي⁽³⁾ وابن سعد⁽⁴⁾ أنها كانت في المحرم سنة خمس.

وقد ذكر البوطي بأن تاريخ الغزوة كان في السنة الرابعة للهجرة بعد مرور شهر ونصف تقريباً على إجلاء بني النضير، وقال بأن هذا الرأي ذهب إليه أكثر علماء السير والمغازي⁽⁵⁾، وإليه ذهب.

وأما سبب الغزوة ما ظهر من الغدر لدى كثير من قبائل نجد بالمسلمين، ذلك الغدر الذي تجلى في مقتل أولئك الدعاة السبعين الذين خرجوا يدعون إلى الله تعالى، فخرج صلى الله عليه وسلم قاصداً قبائل محارب وبني ثعلبة⁽⁶⁾. وقد ذكر الدكتور محمد أبو فارس أن قادماً قدم المدينة فأخبر المسلمين أن بني محارب وبني ثعلبة من غطفان قد جمعوا الجموع لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما كان منه صلى الله عليه وسلم إلا أن سار إليهم في عقر دارهم على رأس أربعمئة مقاتل وقيل سبعمئة مقاتل، ولما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ديارهم خافوا وهربوا إلى رؤوس الجبال، تاركين نساءهم وأطفالهم وأموالهم، وحضرت الصلاة فخاف المسلمون أن يغيروا عليهم، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف، وعاد رسول

(1) البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة ذات الرقاع (62/5) رقم 4128.

(2) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (225/3).

(3) انظر: المغازي للواقدي (395/1).

(4) انظر: الطبقات لابن سعد (61/2).

(5) انظر: فقه السيرة النبوية، ص 194.

(6) نفس المصدر، ص 194، 195.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وقد حققت هذه الحملة العسكرية أغراضها، وتمكنت من تشتيت الحشد الذي قامت به غطفان لغزو المدينة فأرهب تلك القبائل وألقى عليها درساً بأن المسلمين ليسوا قادرين فقط على سحق من تحدته نفسه بالاقتراب من المدينة، بل قادرين على نقل المعركة إلى أرض العدو نفسه وضربه في عقر داره⁽²⁾.

وسميت بذات الرقاع؛ لأنهم كانوا يربطون على أرجلهم من الخرق والرقاع اتقاء الحر، وقيل: لأنهم رقعوا راياتهم، وقيل لشجرة كانت اسمها ذات الرقاع⁽³⁾، وقيل: لأن المسلمين نزلوا في أرض كان فيها بقع بيض وسود مختلفة، فسميت لذلك⁽⁴⁾. والصحيح: أنهم كانوا يربطون على أرجلهم من الخرق، فقد روى الشيخان بسنديهما عن أبي موسى الأشعري قال: خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة ونحن ستة نفر بيننا بغير نتعقبه فنقبت أقدامنا، ونقبت قدماي، وسقطت أظفاري، وكنا نلثف على أرجلنا الخرق، فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب بالخرق على أرجلنا⁽⁵⁾.

ثانياً: صلاة الخوف وحراسة الثغور:

1- صلاة الخوف: أنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف في هذه الغزوة، وبين القرآن الكريم صفة الصلاة ساعة مواجهة العدو قال تعالى: (وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَدَى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ

(1) انظر: غزوة الأحزاب لأبي فارس، ص14.

(2) انظر: غزوة الأحزاب، محمد أحمد باشميل، ص77، 78.

(3) انظر: حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول (309/1)

(4) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص170.

(5) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة ذات الرقاع (145/5).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

مَرَضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخَذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ([النساء: 102].

فقد صلى المسلمون صلاة الخوف، وصفة هذه الصلاة أن طائفة صفت معه، وطائفة في وجه العدو، فصلّى بالتّي معه ركعة ثمّ ثبت قائماً، وأتموا لأنفسهم ثمّ انصرفوا فصفوا وجاء العدو، وجاءت الطائفة الأخرى فصلّى بهم الركعة التي بقيت في صلاته، ثمّ ثبت جالساً، وأتموا لأنفسهم ثمّ سلم بهم⁽¹⁾.

وفي رواية: أنه صلى بطائفة ركعتين ثمّ تأخروا، وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين، فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أربع ركعات وللقوم ركعتان⁽²⁾. قال الدكتور البوطي: ووجه التوفيق بين الحديثين أنه عليه الصلاة والسلام صلى بأصحابه صلاة الخوف أكثر من مرة فصلاها مرة على النحو الأول، وصلاها مرة أخرى على النحو التالي.

وكانت هذه الصلاة بمنطقة نخل التي تبعد عن المدينة بيومين⁽³⁾، ودلّ تشريع صلاة الخوف على أهمية الصلاة فحتى في قلب المعركة لا يمكن التساهل فيها، ولا يمكن التنازل عنها، مهما كانت الظروف؛ وبذلك تندمج الصلاة والعبادة بالجهاد وفق المنهاج النبوي في تربية الأمة الذي استمد من كتاب الله تعالى، فلا يوجد أي انفصال أو انفصام بين العبادة والجهاد⁽⁴⁾.

2- حراسة الثغور: عندما رجع الجيش الإسلامي من غزوة ذات الرقاع سبوا امرأة من المشركين، فنذر زوجها ألا يرجع حتى يهريق دمًا في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، فجاء ليلاً وقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم رجلين على الحراسة أثناء نومهم، وهما عباد بن بشر، وعمار بن ياسر، فضرب عبداً بسهم وهو قائم يصلي فنزعه، ولم يقطع صلاته، حتى رشقه بثلاثة سهام، فلم ينصرف منها حتى سلم، فأيقظ صاحبه، فقال: سبحانه الله، هل نبهتني؟ فقال: كنت في سورة أقرأها فلم أحب أن أقطعها، فلما تابع عليّ الرمي ركعت فأذنتك، وإيم الله لولا أن

(1) انظر: السيرة في ضوء المصادر الأصلية، ص425.

(2) مسلم (576/2) رقم 311.

(3) انظر: فقه السيرة النبوية للبوطي، ص207.

(4) انظر: التربية القيادية (303/3، 304).

(2) انظر: السيرة في ضوء المصادر الأصلية، ص427.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

أضيق ثغراً أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه، لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفذها⁽¹⁾. ومن هذه الحادثة يمكننا أن نستخلص دروساً وعبراً منها:

أ- اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بأمن الجنود، ويظهر ذلك في اختياره رجلين من خيار الصحابة لحراسة الجيش ليلاً.

ب- تقسيم الحراسة، ونلاحظ أن الرجلين اللذين أنيطت بهما حراسة الجيش قد اقتسما الليل نصفين، نصفاً للراحة ونصفاً للحراسة، إذ لا بد من راحة جسم الجندي بعض الوقت.

ج- التعلق بالقرآن الكريم وحب تلاوته: فقد كان حبه للتلاوة قد أنساه آلام السهام التي كانت تنغرس في جسمه وتثج الدم منه بغزارة⁽²⁾.

د- الشعور بمسئولية الحراسة: فلم يقطع عباد صلاته لألم يشعر به وإنما قطعها استشعاراً بمسئولية الحراسة التي كلف بها، وهذا درس بليغ في مفهوم العبادة والجهاد⁽³⁾.

هـ- مكان الحراسة استراتيجي: اختار النبي صلى الله عليه وسلم فم الشعب مكان إقامة الحرس، وكان هذا الاختيار في غاية التوفيق؛ لأنه المكان الذي يتوقع العدو منه لمهاجمة المعسكر.

و- قرب مهجع الحرس من الحارس: ولذلك استطاع الحارس أن يوقظ أخاه النائم، ولو كان المهجع بعيداً عن الحارس لما تمكن من إيقاظ أخيه، وبالتالي يحدث ما لا تحمد عقباه⁽⁴⁾.

ثالثاً: شجاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومعاملته لجابر بن عبد الله:

1- شجاعة الرسول صلى الله عليه وسلم:

عندما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة ذات الرقاع أدركته القائلة في وادٍ كثير

(2) انظر: غزوة الأحزاب لأبي فارس، ص30، 31.

(3) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص428.

(4) انظر: غزوة الأحزاب لأبي فارس، ص32.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

العضاة، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق الناس يستظلون الشجر، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة علق بها سيفه، قال جابر بن عبد الله: (فمننا نومة، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا، فجئناه فإذا عنده أعرابي جالس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتاً، فقال لي: من يمنعك مني؟ فقلت له: الله» فما هو ذا جالس، لم يعاقبه رسول الله، واسم الأعرابي: غورث بن الحارث⁽¹⁾). وقد عاهد غورث رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يقاتله، ولا يكون مع قوم يقاتلونه، فخلى سبيله، فجاء إلى أصحابه فقال: (جنتكم من عند خير الناس)⁽²⁾.

وفي هذه القصة دليل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفرط شجاعته وقوة يقينه وصبره على الأذى وحلمه على الجهال، وفيها جواز تفرق العسكر في النزول ونومهم إذا لم يكن هناك ما يخافون منه⁽³⁾.

إن هذه القصة ثابتة وصحيحة وهي تكشف عن مدى رعاية الباري جل جلاله وحفظه لنبيه صلى الله عليه وسلم، ثم هي تزيدك يقيناً بالخوارق التي أخضعها الله جل جلاله له عليه الصلاة والسلام، مما يزيدك تبصراً ويقيناً بشخصيته النبوية، فقد كان من السهل الطبيعي بالنسبة لذلك المشرك، وقد أخذ السيف ورفع فوق النبي صلى الله عليه وسلم وهو أعزل غارق في غفلة النوم، أن يهوي به عليه فيقتله، وإنك لتلمس من ذلك المشرك هذا الاعتداد بنفسه والزهو بالفرصة الذهبية التي أمكنته من رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: من يمنعك مني؟ فما الذي طرأ بعد ذلك حتى عاقه عن القتل؟⁽⁴⁾.

ليس لهذا تفسير إلا العناية الإلهية، والإعجاز الإلهي، الذي يتخطى العادات والسنن، ويتجاوز

(1) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص426.

(2) المصدر نفسه، ص427.

(3) انظر: فتح الباري (317/15) نقلاً عن السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص427.

(4) انظر: فقه السيرة للبوطي، ص200.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

قوى الناس، لنصرة نبيه، والذود عن دعوته⁽¹⁾. فقد كانت العناية الإلهية كافية لأن تملأ قلب المشرك بالرعب وأن تقذف في ساعديه تياراً من الرجفة، فيسقط من يده السيف ثم يجلس متأدباً مطرقاً بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما حدث مصداق لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) [المائدة: 67]، فليست العصمة المقصودة في الآية أن لا يتعرض الرسول صلى الله عليه وسلم لأذى أو محنة من قومه، إذ تلك هي سنة الله في عباده كما قد علمت، وإنما المراد من العصمة ألا تطول إليه أي يد تحاول اغتياله وقتله لتغتال فيه الدعوة الإسلامية التي بعث لتبليغها⁽²⁾.

2- معاملته صلى الله عليه وسلم لجابر بن عبد الله:

قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غزوة ذات الرقاع من نخل على جبل لي ضعيف، فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: جعلت الرفاق تمضي، وجعلت أتخلف، حتى أدركني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ما لك يا جابر؟» قال: قلت: يا رسول الله أبطنني جملي هذا، قال: «أنخه» فأنخته، وأناخ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال «أعطني هذه العصا من يدك، أو اقطع لي عصا من شجرة» قال: ففعلت، قال: فأخذها رسول الله فنخسه بها نخسات، ثم قال: «اركب» فركبت، فخرج -والذي بعثه بالحق- يواثق ناقته مواهقة (أي يسابقها ويعارضها في المشي لسرعته).

في هذه القصة صورة جميلة ورفيعة لخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه من حيث لطف الحديث، والتواضع الرفيع، الوقوف على أحواله، فقد شعر الرسول صلى الله عليه وسلم أن سبب تأخر جابر عن الركب هو ضعف جملة الذي لا يملك غيره لبؤس حاله، حيث إن والده مات شهيداً في أحد وترك له مجموعة من البنات والأولاد ليرعاهم، وهو مقل في الرزق.

(1) انظر: دروس وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص178.

(2) انظر: فقه السيرة للبوطي، ص200.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة
info@libya-web.net - libya-web.net

المبحث الخامس

غزوة بدر الموعد، ودومة الجندل

أولاً: غزوة بدر الموعد:

تنفيذاً للموعد الذي كان أبو سفيان قد اقترحه في أعقاب معركة أحد، والتزام الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك، فقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة على رأس جيش من أصحابه قوامه ألف وخمسمائة مقاتل بينهم عشرة من الخيالة، وذلك في ذي القعدة سنة 4 هـ، وحمل لواء الجيش علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فوصلوا بدرًا فاقاموا فيها ثمانية أيام بانتظار وصول قوات المشركين من قريش بقيادة أبي سفيان بحسب الموعد بين الطرفين، غير أن أحدًا من المشركين لم يصل إلى بدر، وكان أبو سفيان قد جمع قوات قريش وحلفائها التي تألفت من ألفي مقاتل معهم خمسون فرسًا، فلما وصلوا إلى مر الظهران، نزلوا على مياه مجنة على بعد أربعين ميلاً من مكة ثم عاد بهم أبو سفيان إلى مكة⁽¹⁾ بعد أن خطب فيهم وقال: يا معشر قريش إنه لا يصلحكم إلا عام خصيب ترعون فيه الشجر، وتشربون فيه اللبن، وإن عامكم هذا عام جذب وإني راجع فارجعوا⁽²⁾، وأقبل مخشي بن عمرو الضمري وهو الذي وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بني ضمرة في غزوة ودان، فالتقى برسول الله صلى الله عليه وسلم في بدر وقال: يا محمد أجنث للقاء قريش على هذا الماء؟ قال: «نعم، يا أبا بني ضمرة، وإن شئت مع ذلك رددنا إليك ما كان بيننا وبينك، ثم جالدناك حتى يحكم الله بيننا وبينك» قال: لا والله يا محمد ما لنا بذلك منك من حاجة⁽³⁾.

ففي هذا اللقاء أكد رسول الله صلى الله عليه وسلم على معنى كبير في إظهار قوة المسلمين، وأن العقد الذي كان بين الفريقين يستمر بعامل قوة المسلمين لا بعامل ضعفهم، وبناء على طلب

(1) انظر: موسوعة نضرة النعيم (318/1، 319). (2) انظر: غزوة الأحزاب، محمد أحمد باشميل، ص88.

(3) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (232/3). (4) انظر: معين السيرة للشامي، ص264، 265. هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ مع الدعاء بحسن الاستفادة

الطرف الثاني، وفي هذا ما فيه من القوة للمسلمين وإلقاء الرعب في قلوب أعدائهم⁽¹⁾. لقد كانت تحركات الجيش الإسلامي من المدينة حتى بدر مناورة رائعة ناجحة أثبت بها وجوده، وأعطى الدليل القاطع لأعداء الإسلام داخل المدينة وخارجها، أنه أصبح أقوى قوة مرهوبة في الجزيرة العربية كلها، ولا أدل على ذلك من أن جيش مكة وهو من أعظم الجيوش في الجزيرة من حيث كثرة العدد وقوة التنظيم وجودة التسليح قد هاب الجيش الإسلامي ونكل عن حربه بعد أن خرج للقاءه بموجب ميعاد سابق حدده (في أحد) قائد عام جيش مكة⁽²⁾.

إن الحملة الإعلامية التي قام بها المشركون لإثبات انتصارهم في أحد وتفوقهم الحربي قد انتكست على رؤوسهم، وأصبحوا مثار السخرية عند العرب، وثبت للناس أن ارتباك المسلمين للمفاجأة في أحد وسقوط القتلى منهم لا يعني انهزامهم ولا ضعفهم العسكري⁽³⁾، فقد ساهمت هذه الغزوة في المحافظة على السمعة العسكرية للمسلمين⁽⁴⁾، وكسبوا انتصاراً مغنواً عظيماً على أعدائهم بدون قتال، وشاركوا في الموسم التجاري ببدر وربحوا في تجارتهم ربحاً طيباً⁽⁵⁾. لقد كان لإخلاف قريش الموعد أثر في تقوية مكانة المسلمين وإعادة هيبته⁽⁶⁾.

ثانياً: دومة الجندل:

كانت غزوة دومة الجندل من ضمن حركة تثبيت أركان الدولة الإسلامية، فبعد غزوة بدر الموعد، تحركت القوات الإسلامية بقيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو قضاة التي كانت تنزل شمال قبائل أسد وغطفان، وفي حدود الغساسنة الموالين للدولة الرومية (بيزنطة) ولها إشراف على سوق (دومة الجندل) الشهير (على بعد 450 كيلومتراً شمال المدينة)، كانت هذه القبيلة أول من احتك بها المسلمون فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة المعروفة

(2) انظر: غزوة الأحزاب، باشميل، ص 88، 89.

(3) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (66/6). (2) انظر: التربية القيادية (463/3).

(5) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (67/6).

(6) انظر: المجتمع المدني في عهد النبوة للعمري، ص 91.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

بغزوة دومة الجندل (ربيع الأول 5هـ/ أغسطس 626م)⁽¹⁾ فقد وصلت الأنباء إلى المدينة بتجمع بعض القبائل عند دومة الجندل للإغارة على القوافل التي تمر بهم، والتعرض لمن في القافلة بالأذى والظلم، كما وردت الأنباء بأنهم يفكرون في القرب من المدينة لعجم عودها⁽²⁾.

إن دومة الجندل تعتبر بلادًا نائية بالنسبة للمدينة المنورة؛ لأنها تقع على الحدود بين الحجاز والشام، وفي منتصف الطريق بين البحر الأحمر والخليج العربي، وهي على مسيرة ست عشرة ليلة من المدينة، ولو أن المسلمين أغفلوا أمرها، وسكتوا على وجود هذا التجمع فيها ما لامهم أحد ولا ضرهم هذا التجمع في شيء على المدى القريب، ولكن النظرة السياسية البعيدة والعقلية العسكرية الفذة أوجبت على المسلمين أن يتحركوا لفض هذا التجمع⁽³⁾ والقضاء عليه قبل أن يستفحل شأنه للأسباب الآتية، وكذلك بغية تحقيق بعض الأهداف:

1- لأن السكوت على هذا التجمع وما شاكله يؤدي بلا شك إلى تطوره واستفحاله، ثم يؤدي بعد ذلك إلى إضعاف قوة المسلمين وإسقاط هيبتهم، وهو الأمر الذي يجاهدون من أجل استرداده.

2- وجود مثل هذا التجمع في الطريق إلى الشام قد يؤثر على الوضع الاقتصادي للمسلمين، فلو أن المسلمين سكتوا على هذا التجمع لتعرضت قوافلهم أو قوافل القبائل التي تحتمي بهم للسلب والنهب، مما يضعف الاقتصاد، ويؤدي إلى حالة من التذمر والاضطراب.

3- وهناك أمر أهم من الأمرين السابقين وهو فرض نفوذ المسلمين على هذه المنطقة كلها، وإشعار سكانها بأنهم في حمايتهم وتحت مسنوليتهم، لذلك فهم يؤمنون لهم الطرق، ويحمون لهم تجارتهم، ويحاربون كل إرهاب من شأنه أن يزعجهم أو يعرضهم للخطر⁽⁴⁾.

4- حرمان قريش من أي حليف تجاري قد يمدّها بما تحتاج من التجارة، وصرف أنظارهم

(1) انظر: دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة للشجاع، ص144.

(2) انظر: تأملات في سيرة الرسول لمحمد الوكيل، ص169.

(3) المصدر نفسه، ص169.

(4) تأملات في سيرة الرسول، ص169.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

عن هذه المنطقة التجارية الهامة؛ لأن ظهور الدولة الإسلامية بهذه القوة يؤثر على نفسية قريش العدو الأول للدولة الإسلامية، ويجعلها تخشى المسلمين على تجارتها⁽¹⁾.

5- الحرص على إزالة الرهبة النفسية عند العرب الذين ما كانوا يحلمون بمواجهة الروم، والتأكيد عملياً للمسلمين بأن رسالتهم عالمية⁽²⁾ وليست مقصورة على العرب. ورأى بعض المؤرخين كالذهبي، والواقدي، ومحمد أحمد باشميل، وغيرهم أن من أهداف تلك الغزوة إرهاب الروم الذين تقع المنطقة التي وصل إليها **صلى الله عليه وسلم** بجيشه على حدودهم وعلى مسافة خمس ليالٍ من عاصمة ملكهم الثانية دمشق⁽³⁾. لهذا ندب رسول الله **صلى الله عليه وسلم** المسلمين للخروج وخرج في ألف من أصحابه، وكان يسير الليل، ويكمن النهار حتى يخفي مسيره⁽⁴⁾، ولا تشيع أخباره وتنقل أسراره، وتتعبه عيون الأعداء⁽⁵⁾.

واتخذ له دليلاً من بني عذرة يسمى (مذكوراً)، وسار حتى دنا من القوم، عندئذ تفرقوا، ولم يلق رسول الله **صلى الله عليه وسلم** منهم أحداً فقد ولوا مدبرين، وتركوا نعمهم وماشيئهم غنيمة باردة للمسلمين، وأسر المسلمون رجلاً منهم، وأحضره إلى الرسول فسأله عنهم، فقال: هربوا لما سمعوا بأنك أخذت نعمهم، فعرض عليه رسول الله **صلى الله عليه وسلم** الإسلام فأسلم وأقام بساحتهم أياماً، وبعث البعوث، وبعث السرايا، وفرق الجيوش، فلم يصب منهم أحد، وعاد المسلمون إلى المدينة، وفي أثناء عودتهم وادع الرسول عيينة بن حصن الفزاري واستأذن عيينة رسول الله **صلى الله عليه وسلم** في أن ترعى إبله وغنمه في أرض قريبة من المدينة على ستة وثلاثين ميلاً منها.

(1) انظر: دراسات في عهد النبوة للشجاع، ص144، 145.

(2) المصدر نفسه، ص144.

(3) انظر: غزوة الأحزاب، باشميل، ص93، تاريخ المغازي للذهبي، ص258.

(4) انظر: تأملات في سيرة الرسول، ص170.

(5) انظر: غزوة الأحزاب لأبي فارس، ص40.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

إن وصول جيوش المسلمين إلى دومة الجندل، وهي على هذه المسافة البعيدة من المدينة وموادعة عيينة بن حصن للمسلمين، واستئذانه في أن يرعى بابله وغنمه في أرض بينها وبين المدينة ستة وثلاثون ميلاً، أي ما يقرب من خمسة وستين كيلومتراً، لدليل قاطع على ما وصلت إليه قوة المسلمين، وعلى شعورهم بالمسؤولية الكاملة تجاه تأمين الحياة للناس في هذه المنطقة، وأن هذه المناطق النائية كانت ضمن الدولة الإسلامية، وإن الدولة أصبحت منيعة، ليس في مقدور أحد أن يعتدي عليها، ولو كان ذلك في استطاعة أحد لكان هو عيينة بن حصن الذي كان يغضب لغضبه عشرة آلاف فتى⁽¹⁾.

كانت غزوة دومة الجندل بعيدة عن المدينة من جهة الشام، إذ بينها وبين دمشق ما لا يزيد عن خمس ليالٍ، وقد كانت بمثابة إعلان عن دعوة الإسلام بين سكان البوادي الشمالية وأطراف الشام الجنوبية، وأحسوا بقوة الإسلام وسطوته، كما كانت لقيصر وجنده، كما أن سير الجيش الإسلامي هذه المسافات الطويلة قد كان فيه تدريب له على السير إلى الجهات النائية، وفي أرض لم يعهدها من قبل، ولذلك تعتبر هذه الغزوة فاتحة سير الجيوش الإسلامية للفتوحات العظيمة في بلاد آسيا وأفريقيا فيما بعد⁽²⁾.

كان خطة الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة ترمي إلى أهداف عديدة، فهي غزوة، وحرب استطلاعية تمسح الجزيرة العربية، وتتعرف على مراكز القوى فيها، وهي حرب إعلامية تأتي على أعقاب بدر الموعد، وتستثمر انتصاراتها، وهي حرب عسكرية تريد أن تصد هجوماً محتملاً على المسلمين حيث ضوى إليها قوم من العرب كثير يريدون أن يدنوا من المدينة، وهي حرب سياسية تريد أن تجهض من تحركات القبائل المحتمل أن تتحرك بعد أنباء غزوة أحد لتقصد المدينة وتسبيحها⁽³⁾.

(1) انظر: تأملات في سيرة الرسول، ص 170.

(2) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبه، ص 251، 252.

(3) انظر: التربية القيادية (372/3).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

كانت هذه الغزوة دورة تربوية رائعة وقاسية وشاملة يقودها رسول الله صلى الله عليه

وسلم وبين يديه ألف من أصحابه، فيتلقون فيها كل لحظة دروساً في الطاعة والانضباط، ودروساً في التدريب الجسمي والعسكري والتحمل لمشاق الحياة وصعوباتها، وأحكاماً وفقهاً في الحلال والحرام، وعمليات صهر وتذويب لقواعد الجيش الإسلامي في بوتقة واحدة خارج إطار العشيرة، وخارج كيان القبيلة، حيث أخذت تغدو إلى المدينة عناصر كثيرة من أبناء القبائل المجاورة، والتخلي عن الأطر القبلية وعصباتها للانصهار في بوتقة الأمة الواحدة التي تجعل الولاء لله ورسوله، وفوق هذا كله تتيح الفرصة لجيل بدر الرائد أن يقوم بمهمة التربية للوافدين الجدد وتعليمهم وتثقيفهم، كما تتيح الفرصة لكشف ضعف النفوس، ومن له صلة بمعسكر النفاق من خلال مراقبة تصرفاته وسلوكه، إنها ليست ساعات محدودة أو أياماً معدودة، بل هي دورة قرابة شهر، لا يمكن إلا أن تبرز فيها كل الطابع وكل النوازع، فيتلقاها عليه الصلاة والسلام ليصوغها على ضوء الإسلام ويعلم الجيل الرائد فن القيادة وعظمة السياسة.

كانت معركة صامتة، وتربية هادئة، وكان الجيش مع قائده يقطع ما ينوف عن ألف ميل في هذه الصحراء، يتربى ويتثقف ويتدرب ويمتحن ويقوم، ليكون هذا استعداداً لمعارك قادمة⁽¹⁾. وفي غيابه في غزوة دومة الجندل عين **صلى الله عليه وسلم** سباع بن عرفطة الغفاري والياً على المدينة في تجربة جديدة، فهو ليس أوسياً ولا خزرجياً ولا قرشياً، بل من غفار التي كانت تعتبر من سراق الحبيج عند العرب، فلا بد لهذا الجيل أن يتربى على الطاعة والانضباط للأمير أيا كان شأن هذا الأمير، وهذا يدل على عظمة المنهج النبوي في تربية الأمة والارتقاء بها، وعلى عظمة قيادة النبي **صلى الله عليه وسلم** وفراسته في أتباعه وثقته فيهم ومعرفته لمواهبهم، فهو **صلى الله عليه وسلم** على معرفة بكفاءة سباع بن عرفطة الغفاري وعبقريته وقدرته على الإدارة الحازمة، فكان **صلى الله عليه وسلم** يربي أصحابه وهو غائب عن المدينة لكي يهيمن منهج رب

(1) انظر: التربية القيادية (373/3).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

العالمين على المسلمين، ويصنع منها أمة واحدة تسمع وتطيع لكتاب ربها وسنة نبيها⁽¹⁾.

* * *

(1) المصدر نفسه (374/3).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

غزوة بني المصطلق

أولاً: من هم بنو المصطلق؟ ومتى وقعت الغزوة وأسبابها؟:

1- بنو المصطلق: هم بطن⁽¹⁾ من خزاعة، والمصطلق⁽²⁾ جدهم، وهو جذيمة بن سعد ابن عمرو بن ربيعة ابن حارثة بن عمرو بن عامر ماء السماء⁽³⁾.

2- تاريخ الغزوة: اختلف العلماء في ذلك، وانحصرت أقوالهم فيها في ثلاثة أقوال، فمن قائل إنها في شعبان سنة ست، قال بذلك ابن إسحاق وخليفة بن خياط، وابن جرير الطبري. ومن قال بأنها في شعبان من العام الرابع للهجرة، مثل المسعودي.

وذهبت طائفة إلى أنها كانت في شعبان من السنة الخامسة، منهم موسى بن عقبة، وابن سعد، وابن قتيبة، والبلاذري، والذهبي، وابن القيم، وابن حجر العسقلاني، وابن كثير -رحمهم الله- ومن المحدثين الخصري بك، والغزالي، والبوطي.

وقد كانت وفاة سعد بن معاذ في أعقاب غزوة بني قريظة، وغزوة بني قريظة كانت في ذي القعدة من السنة الخامسة على القول الراجح، فيتعين أن تكون غزوة بني المصطلق قبلها⁽⁴⁾.

3- أسباب هذه الغزوة: من أهم الأسباب لهذه الغزوة:

أ- تأييد هذه القبيلة لقريش واشتراكها معها في معركة أحد ضد المسلمين، ضمن كتلة الأحابيش التي اشتركت في المعركة تأييداً لقريش.

ب- سيطرة هذه القبيلة على الخط الرئيسي المؤدي إلى مكة، فكانت حاجزاً منيعاً من نفوذ

(1) فرع.

(2) المصطلق: بضم الميم وسكون الصاد وفتح الطاء المهملتين وكسر اللام.

(3) انظر: حديث القرآن عن غزوات الرسول (311/1).

(4) من أراد مزيداً من التفصيل فليرجع إلى مرويات غزوة بني المصطلق، ص 97.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

ج- أن الرسول صلى الله عليه وسلم بلغه أن بني المصطلق يجمعون له، وكان قائدهم الحارث بن أبي ضرار ينظم جموعهم، فلما سمع بهم خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له: المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل فهزمهم شر هزيمة⁽²⁾.

4- أحداث غزوة بني المصطلق: عندما شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحركة بني المصطلق المريبة أرسل بريدة بن الحصيب الأسلمي للتأكد من نيتهم، وأظهر لهم بريدة أنه جاء لعونهم فتأكد من قصدهم، فأخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك.

وفي يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر شعبان من السنة الخامسة للهجرة خرج الرسول صلى الله عليه وسلم من المدينة في سبعمائة مقاتل⁽³⁾، وثلاثين فارساً⁽⁴⁾، متوجهاً إلى بني المصطلق، ولما كان بنو المصطلق ممن بلغتهم دعوة الإسلام، واشتركوا مع الكفار في غزوة أحد، وكانوا يجمعون الجموع لحرب المسلمين، فقد روى البخاري⁽⁵⁾ ومسلم⁽⁶⁾ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أغار عليهم وهم غارون -أي غافلون- وأنعامهم تُسقى على الماء، فقتل مقاتلهم وسبى ذراريهم، وأصاب يومئذ جويرية بنت الحارث⁽⁷⁾.

ثانياً: زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من جويرية بنت الحارث رضي الله عنها:

قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا بني المصطلق، وكان من بين الأسرى جويرية بنت الحارث، وكانت بركة على قومها، ولنسمع قصتها من السيدة عائشة رضي الله عنها حيث قالت: (لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا بني المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث

(1) انظر: صحيح السيرة النبوية للعلي، ص332.

(2) حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول (315/1).

(3) انظر: تاريخ الإسلام، المغازي للذهبي، ص259.

(5) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص433.

(6) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب جواز الإغارة على الكفار، (1356/3) رقم 1730.

(7) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص433.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

في سهم لثابت بن قيس بن شماس، أو لابن عم له، فكاتبته على نفسها وكانت امرأة حلوة ملحة لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه، فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لتستعينه في كتابتها.

قالت: فوالله ما هو أن رأيته على باب حجرتي فكرهتها، وعرفت أنه سيرى منها ما رأيت، فدخلت عليه فقالت: يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لا يخفى عليك، ف وقعت في السهم لثابت بن قيس بن شماس أو -لابن عم له- فكاتبته على نفسي فجئتك أستعينك على كتابتي. قال: «فهل لك في خير من ذلك؟».

قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: «أقض عنك كتابك وأتزوجك». قالت: نعم يا رسول الله، قد فعلت. قالت: وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج جويرية بنت الحارث. فقال الناس: أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسلوا ما بأيديهم. قالت: فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها⁽¹⁾. وجاء الحارث بن أبي ضرار بعد الواقعة، بفداء ابنته، إلى المدينة، فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام فأسلم⁽²⁾.

تعتبر غزوة المريسيع من الغزوات الفريدة المباركة التي أسلمت عقبها قبيلة بأسرها، وكان الحدث الذي أسلمت القبيلة من أجله هو أن الصحابة حرروا وردوا الأسرى الذين أصابوهم إلى ذويهم بعد أن تملكوهم باليمين في قسم الغنائم، واستكثروا على أنفسهم أن يملكوا أصهار نبيهم عليه الصلاة والسلام، وحيال هذا العتق الجماعي، وإزاء هذه الأريحية الفذة، دخلت القبيلة كلها في دين الله.

إن مرد هذا الحدث التاريخي وسببه البعيد، هو حب الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم، وتكريمهم إياه، وإكبارهم شخصه العظيم، وكذلك يوتي الحب النبوي هذه الثمار الطيبة، ويصنع هذه المآثر الفريدة في التاريخ.

(1) انظر: البداية والنهاية (160/4، 161).

(2) انظر: حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول (317/1).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

لقد كان زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من جويرية بنت الحارث له أبعاده، وتحققت

تلك الأبعاد بإسلام قومها، فقد كان الزواج منها من أهدافه الطمع في إسلام قومها، وبذلك يكثر سواد المسلمين، ويعز الإسلام، وهذه مصلحة إسلامية بعيدة، يسر الله هذا الزواج، وباركه، وحقق الأمل البعيد المنشود من ورائه، فأسلمت القبيلة كلها بإسلام جويرية، وإسلام أبيها الحارث، فقد عاد هذا الزواج على المسلمين بالبركة والقوة، والدعم المادي والأدبي معاً للإسلام والمسلمين⁽¹⁾.

أصبحت جويرية بنت الحارث زوجة لسيد المرسلين وأماً للمؤمنين، فكانت رضي الله عنها عالمة بما تسمع، وعاملة بما تعلم، فقيهة عابدة، تقية ورعة، نقية الفؤاد، مضيئة العقل، مشرقة الروح، تحب الله ورسوله، وتحب الخير للمسلمين.

وكانت رضي الله عنها تروي من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ناقلة لحقائق الدين من خزانها عند من تنزلت عليه صلى الله عليه وسلم، يرويه عنها سداة العلم من علماء الصحابة رضي الله عنهم، لينشروه في المجتمع المسلم علماً وعملاً، وفي عامة المجتمع الإنساني دعوة وهداية⁽²⁾. فقد حدث عنها ابن عباس، وعبيد بن السباق، وكريب مولى ابن عباس ومجاهد، وأبو أيوب يحيى بن مالك الأزدي. بلغ مسندها في كتاب بقي بن مخلد سبعة أحاديث⁽³⁾، منها أربعة في الكتب الستة، عند البخاري حديث، وعند مسلم حديثان، وقد تضمنت مروياتها أحاديث في الصوم في عدم تخصيص يوم الجمعة بالصوم، وحديث في الدعوات في ثواب التسبيح، وفي الزكاة في إباحة الهدية للنبي صلى الله عليه وسلم وإن كان المهدي ملكها بطريق الصدقة، كما روت في العتق، وبسبعة أحاديث شريفة خلدت أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها اسمها في عالم الرواية، لتضيف إلى شرف صحبتها للنبي صلى الله عليه وسلم وأموتها للمسلمين، تبليغها الأمة سنن المصطفى صلى الله عليه وسلم ما تيسر لها ذلك⁽⁴⁾.

(1) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص 199، 200.

(2) انظر: محمد رسول الله، محمد صادق عرجون، (250/4).

(3) انظر: دور المرأة في خدمة الحديث، آمال قرداش، ص 88.

(4) دور المرأة في خدمة الحديث، ص 88، 89. (2) انظر: محمد رسول الله، صادق عرجون (250/4).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وكانت أم المؤمنين جويرية بنت الحارث -رضي الله عنها- من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات والقانتات الصابرات في مجال مناجاة الله تعالى وتحميده وتقديسه وتسبيحه⁽¹⁾، فهذه أم المؤمنين جويرية تحدثنا عن ذلك فتقول: إن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها⁽²⁾، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة، فقال: «ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟» قالت: نعم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لقد قلت بعدك أربع كلمات، ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن، سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته»⁽³⁾.

وقد توفيت رضي الله عنها سنة خمسين، وقيل: ست وخمسين⁽⁴⁾.

ثالثاً: محاولة المنافقين في هذه الغزوة إثارة الفتنة بين المهاجرين والأنصار:

خرج في غزوة بني المصطلق عدد كبير من المنافقين مع المسلمين، وكان يغلب عليهم التخلف في الغزوات السابقة، لكنهم لما رأوا اطراد النصر للمسلمين خرجوا طمعاً في الغنمة⁽⁵⁾. وعند ماء المريسيع كشف المنافقون عن الحقد الذي يضمرونه للإسلام والمسلمين، فكلما كسب الإسلام نصراً جديداً ازدادوا غيظاً على غيظهم، وقلوبهم تتطلع إلى اليوم الذي يهزم فيه المسلمون لتشفى من الغل، فلما انتصر المسلمون في المريسيع سعى المنافقون إلى إثارة العصبية بين المهاجرين والأنصار، فلما أخفقت المحاولة سعوا إلى إيذاء الرسول صلى الله عليه وسلم في نفسه وأهل بيته، فشنوا حرباً نفسية مريرة من خلال حادثة الإفك التي اختلقوها، ولنترك الصحابي زيد بن أرقم وهو شاهد عيان ومشارك في الحادث الأول يحكي خبر ذلك⁽⁶⁾.

(2) مسجد: المكان الذي تصلي فيه في بيتها.

(3) مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب التسبيح أول النهار، رقم 2726.

(4) انظر: الطبقات لابن سعد (121/8) خليفة بن خياط تاريخه، ص 234.

(5) انظر: حديث القرآن الكريم (318/1). (7) انظر: السيرة الصحيحة للعمري (408/2).

قال: (كنت في غزاة⁽¹⁾) فسمعت عبد الله بن أبي يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله، ولنن رجعا من عنده ليخرجن الأعز منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي⁽²⁾، فذكره للنبي صلى الله عليه وسلم فدعاني فحدثته، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عبد الله بن أبي وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، فكذبني رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدقه، فأصابني هم لم يصبني مثله قط، فجلست في البيت، فقال لي عمي: ما أردت إلا أن كذبك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتك؟ فأنزل الله تعالى: (إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ) [المنافقين: 1] فبعث إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ، فقال: «إن الله قد صدقك يا زيد»⁽³⁾.

ويحكي شاهد عيان آخر هو جابر بن عبد الله الأنصاري ما حدث عند ماء المريسيع، وأدى إلى كلام المنافقين لإثارة العصبية وتمزيق وحدة المسلمين، قال: (كنا في غزاة فكسع⁽⁴⁾) رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ما بال دعوى الجاهلية؟».

قالوا: يا رسول الله، كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال: «دعوها فإنها منتنة» فسمع بذلك عبد الله بن أبي فقال: فعلوها؟ أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقام عمر فقال: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «دعه، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه»⁽⁵⁾.

وفي رواية قال عمر بن الخطاب: مرُّ به عباد بن بشر فليقتله، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه، لا، ولكن أذن بالرحيل»،

(1) غزاة: صرحت الروايات الأخرى بأنها بني المصطلق.

(2) يريد بعمه سعد بن عباد وهو رأس الخزرج وليس عمه حقيقة.

(3) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (408/2). (2) كسع: ضربه برجله.

(4) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (409/2). (5) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (319/3).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وذلك في ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها، فارتحل الناس⁽¹⁾.

وقد مشى عبد الله بن أبي ابن سلول إلى رسول الله حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمعه منه، فحلف بالله ما قلت ما قال ولا تكلمت به، فقال من حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار من أصحابه: يا رسول الله عسى أن يكون الغلام قد أوهم في حديثه. فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم، لقيه أسيد بن حضير، فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ثم قال: يا نبي الله لقد رحت في ساعة منكرا، ما كنت تروح في مثلها، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أو بلغك ما قال صاحبكم؟». قال: وأي صاحب يا رسول الله؟ قال: «عبد الله بن أبي؟» قال: وما قال؟ قال: «زعم إن رجع إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل». قال: فأنت يا رسول الله تخرجه منها إن شئت، هو الذليل وأنت العزيز. ثم قال: يا رسول الله، أرفق به، فوالله لقد جاعنا الله بك، وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه، فإنه يرى أنك استلبت ملكه. ثم مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس يومهم ذلك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس، ثم نزل بالناس، فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياماً.

وإنما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس، من حديث عبد الله بن أبي، ونزلت السورة التي ذكر فيها المنافقون في ابن أبي ومن كان على مثل أمره، فلما نزلت أخذ رسول الله بأذن زيد بن أرقم، ثم قال: هذا الذي أوفى الله بأذنه⁽²⁾. إن هذه الحادثة من السيرة النبوية العطرة مليئة بالدروس والعبر، فمن أهم تلك الدروس:

1- الحفاظ على السمعة السياسية ووحدة الصف الداخلية:

وهذا الدرس يظهر في قوله صلى الله عليه وسلم: فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه؟⁽³⁾.

(2) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (319/3، 320).

(3) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (409/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

إنها المحافظة التامة على السمعة السياسية، والفرق كبير جداً بين أن يتحدث الناس عن حب أصحاب محمدٍ محمدًا، ويؤكدون على ذلك بلسان قائدهم الأكبر أبي سفيان: ما رأيت أحدًا يحب أحدًا كحب أصحاب محمدٍ محمدًا⁽¹⁾، وبين أن يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه، ولا شك أن وراء ذلك محاولات ضخمة ستتم في محاولة الدخول إلى الصف الداخلي في المدينة من العدو، بينما هم يانسون الآن من قدرتهم على شيء أمام ذلك الحب وتلك التضحيات⁽²⁾.

ولم يقف النبي صلى الله عليه وسلم موقفًا سلبيًا حيال تلك المؤامرة التي تزعمها ابن سلول لتصديق الصف المسلم، وإحياء نعرات الجاهلية في وسطه، بل اتخذ إزاءها الخطوة الإيجابية التالية:

أ- سار رسول الله بالناس يومهم ذلك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصدر يومهم الثاني حتى آذنتهم الشمس، ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياما⁽³⁾. وبهذا التصرف البالغ الغاية في السياسة الرشيدة قضى على الفتنة قضاء مبرمًا، ولم يدع مجالاً للحديث فيما قال ابن أبي.

ب- لم يواجه النبي صلى الله عليه وسلم ابن سلول ومؤامراته المدبرة بالقوة واستعمال السلاح حرصًا على وحدة الصف المسلم، وذلك لأن لابن أبي أتباعًا وشيعة مسلمين مغرورين، ولو فتك به لأرعدت له أنوف، وغضب له رجال متحمسون له، وقد يدفعهم تحمسهم له إلى تقطيع الوحدة المسلمة، وليس في ذلك أي مصلحة للمسلمين ولا للإسلام، وإنها لسياسة شرعية حكيمة رشيدة في معالجة المواقف العصبية في حزم وقوة أعصاب وبُعد نظر⁽⁴⁾. وهذه البراعة في الحكمة والسياسة وتدبير الأمور متفرعة عن كونه صلى الله عليه وسلم نبيًا ورسولاً إلى الناس⁽⁵⁾

(1) انظر: التربية القيادية (463/3).

(4) المصدر نفسه (463/3).

(3) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبه (255/2).

(4) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص 202.

(5) انظر: فقه السيرة النبوية للبوطي، ص 409. (2) انظر: السيرة النبوية لابن شهبه (257/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

لكي تقتدي به الأمة في تصرفاته العظيمة.

وقد كان لتسامح الرسول صلى الله عليه وسلم مع رأس المنافقين أبعد الآثار فيما بعد، فقد كان ابن أبي سلول كلما أحدث حدثاً كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه، ويعنفونه، ويعرضون قتله على النبي صلى الله عليه وسلم، والرسول يأبى ويصفح، فأراد رسول الله أن يكشف لسيف الحق عن آثار سياسته الحكيمة، فقال: «كيف ترى يا عمر؟ أما والله لو قتلته يوم قلت لي لأرعدت له أنوف لو أمرتها اليوم لقتلته» فقال عمر: قد -والله- علمت لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم بركة من أمري⁽¹⁾.

2- (بل نترفق به، ونحسن صحبته ما بقي معنا):

كان لابن أبي سلول ولد مؤمن مخلص يسمى عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول، فلما علم بالأحداث ونزول السورة، أتى رسول الله فقال له: (يا رسول الله، بلغني أنك تريد قتل أبي ابن سلول فيما بلغك عنه، فإن كنت فاعلا، فمرني به، فانا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها من رجل أبر بوالده مني، وإنني لأخشى أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل أبي يمشي بين الناس، فأقتله، فأقتل رجلاً مؤمناً بكافر فأدخل النار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بل نترفق به، ونحسن صحبته ما بقي معنا»⁽²⁾. ولما وصل المسلمون مشارف المدينة تصدى عبد الله لأبيه عبد الله بن أبي، وقال له: قف فوالله لا تدخلها حتى يأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك، فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذنه في ذلك، فأذن له⁽³⁾.

3- مثل أعلى في الإيمان:

جسده عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول في موقفه من والده، وتقديمه وإخلاصه لله

(2) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (321/3).

(3) انظر: الولاء والبراء في الإسلام، ص 209 للقطاني.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

ولرسوله، وتقديم محبتهم ومراضيتهم على محبة ومراضي الأبوة⁽¹⁾. لقد ضرب الابن أروع مثل في الإيمان والتضحية بعاطفة الأبوة، فقابله **صلى الله عليه وسلم** صاحب القلب الكبير والخلق العظيم بمثل رفيع في العفو والرحمة وحسن الصحبة «بل نترفق به، ونحسن صحبته ما بقي معنا» يا لروعة العفو، ويا لجلال العظمة النبوية⁽²⁾، فقد تطف النبي **صلى الله عليه وسلم** بهذا الصحابي الجليل، وهذا من روعه، وأذهب هواجسه⁽³⁾.

4- محاربة العصبية الجاهلية:

إن العصبية الممقوتة والتي نصفها بالجاهلية غير مقصورة على العصبية القبلية أي الاشتراك في النسب الواحد، نسب القبيلة التي ينتمون إليها، وإنما الاشتراك في معنى أو وصف معين يجعل المشتركين فيه يتعاونون ويتناصرون فيما بينهم بالحق وبالباطل، ويكون ولاؤهم فيما بينهم على أساس هذا المعنى أو الوصف المشترك، فعندما كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، قال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فسمع ذلك النبي **صلى الله عليه وسلم** فقال: «ما بال دعوى الجاهلية؟» قالوا: رجل من المهاجرين كسع رجلاً من الأنصار، فقال النبي **صلى الله عليه وسلم**: «دعوها فإنها منتنة»⁽⁴⁾، ووجه الدلالة بهذا الخبر، أن النبي **صلى الله عليه وسلم** أنكر هذه المناداة لما تشعره من معنى العصبية، مع أن المناادي استعمل اسماً استعمله القرآن وهو (المهاجرين) (والأنصار). فالمهاجري استنصر بالمهاجرين مع أنه هو الذي كسع، فكأنه بندانة هذا يريد عونهم، لاشتراكه وإياهم بمعنى واحد وهو (المهاجرة)، وكذلك الأنصاري استنصر بالأنصار؛ لأنه منهم ويشترك وإياهم بوصف واحد ومعنى واحد وهو مدلول كلمة (الأنصار)، وكان حق الاثنين -إذا كان لا بد من الاستنصار بالغير- أن يكون الاستنصار بالمسلمين جميعاً، وعلى هذا فالمطلوب من الدعاة التأكيد على نبذ العصبية بجميع أنواعها سواء

(1) انظر: محمد رسول الله، صادق عرجون، (163/3).

(2) انظر: السيرة النبوية لابن شهاب (257/2).

(3) انظر: محمد رسول الله، صادق عرجون (163/3).

(4) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (209/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

كانت عصبية تقوم على أساس الاشتراك بالقبيلة الواحدة، أو على أي أساس آخر، من بلد، أو مذهب، أو حزب، أو عرق، أو لون، أو دم، أو جنس، وأن يكون الولاء والتناصر على أساس الاشتراك بالأخوة الإسلامية التي أقامها وأثبتها واعتبرها الله تعالى بين المسلمين بقوله تعالى: (**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**) [الحجرات: 10]. وأن يكون التناصر فيما بينهم تناصراً على الحق لا على الباطل بمعنى أن ينصروا المحق، وأن يكونوا معه، لا مع المعتدي⁽¹⁾.

لقد أوضح الرسول صلى الله عليه وسلم أن العصبية هي من دعاوى الجاهلية، وقال: «لينصر الرجل أخاه ظالماً أو مظلوماً، إن كان ظالماً فلينبهه فإنه له نصر، وإن كان مظلوماً فلينبهه»⁽²⁾ فجعل التناصر في طلب الحق والإنصاف وأبطل المفهوم الجاهلي: انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً⁽³⁾.

إن مهمة الدعاة وطلاب العلم والعلماء والفقهاء في التخلص من العصبية، ودعوة المسلمين إلى نبذها، كما أمر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مهمة صعبة، ولكنها ليست مستحيلة، ولأهميتها الكبيرة علينا أن نبذل ما في وسعنا لقلعها من النفوس⁽⁴⁾.

رابعاً: توجيه القرآن الكريم للمجتمع الإسلامي في أعقاب غزوة بني المصطلق:

نزلت سورة (المنافقون) في أعقاب غزوة بني المصطلق، حيث كان المسلمون راجعين إلى المدينة، وذلك بدليل رواية الإمام الترمذي (فلما أصبحنا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المنافقون)⁽⁵⁾. فقد تحدثت السورة بإسهاب عن المنافقين، وأشارت إلى بعض الحوادث والأقوال التي وقعت منهم ورويت عنهم وفضحت أكاذيبهم، إلا أنها في الختام حذرت المؤمنين من الانشغال بزينة الدنيا ومتاعها، وحثت على الإنفاق، ويمكن لدارس هذه السورة أن يلاحظ عدة

(1) انظر: المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة (301/2، 302).

(2) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (209/2). (5) المصدر نفسه (209/2).

(4) انظر: المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة (302/2).

(5) انظر: سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب «ومن سورة المنافقون» (415/5).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

1- تحدثت السورة الكريمة في البدء عن أخلاق المنافقين، وفضحت كذبهم في أقوالهم ووصفت حالهم⁽¹⁾؛ فابتدأت هذه السورة بإيراد صفات المنافقين التي من أهمها الكذب في ادعاء الإيمان، وحلف الإيمان الكاذبة، وجبنهم وضعفهم وتآمرهم على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين، وصددهم الناس عن دين الله⁽²⁾، قال تعالى: (إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ □ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ □ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ □ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صِيحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) [المنافقون: 4-1].

2- ثم بينت الآيات عنادهم وتصميمهم على الباطل، وعصيانهم لمن يدعوهم إلى الحق وبينت مقالاتهم الشنيعة بالتفصيل خاصة ما قالوه في غزوة بني المصطلق من أنهم سيتردون الرسول والمؤمنين من المدينة، وأن العزة لهم، إلى غير ذلك من الأقوال العظيمة الفظيعة⁽³⁾.

قال تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّاْ رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ □ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ □ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْقَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ □ يَقُولُونَ لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ) [المنافقون: 5-8].

وهكذا كان المجتمع المدني يتربى بالأحداث، والقرآن الكريم يقوم بتوجيهه وتعليمه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم بالإشراف على ذلك.

(1) انظر: حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول (327/1).

(2) انظر: التفسير المنير، د. وهبة الزحيلي، (213/28).

(3) انظر: حديث القرآن الكريم (327/1).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

خامساً: محاولة المنافقين الطعن في عرض النبي صلى الله عليه وسلم بالافتراء على

عائشة- رضي الله عنها - بما يعرف بحديث الإفك:

حاك المنافقون في هذه الغزوة حادثة الإفك، بعد أن فشل كيدهم في المحاولة الأولى لإثارة النعرة الجاهلية، فقد أُلْمِتْ بالبِيت النبوي هذه النازلة الشديدة والمحنة العظيمة التي كان القصد منها النيل من النبي صلى الله عليه وسلم ومن أهل بيته الأطهار. هذا وقد أجمع أهل المغازي والسير⁽¹⁾ على أن حادثة الإفك كانت في أعقاب غزوة بني المصطلق، وتابعهم في ذلك المفسرون⁽²⁾، والمحدثون⁽³⁾.

وقد أخرج البخاري ومسلم حديث الإفك في صحيحيهما، وهذا سياق القصة من صحيح البخاري: قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه، قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها⁽⁴⁾ فخرج سهمي، فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما نزل الحجاب فأنا أحمل في هودجي⁽⁵⁾ وأنزل فيه. فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك، وقفل ودنونا من المدينة قافلين، آذن ليلة بالرحيل، فقامت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فإذا عقد لي من جَزَع ظفار⁽⁶⁾ قد انقطع، فالتصمت عقدي وحسبني ابتغاؤه، وأقبل الرهط⁽⁷⁾ الذين كانوا يرحلون لي، فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت ركبته، وهم يحسبون أنني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يثقلهن اللحم، إنما نأكل العُلقة⁽⁸⁾ من الطعام، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه، وكنت جارية حديثة السنة فبعثوا الجمل، وساروا، فوجدت عقدي بعد ما استمر الجيش

(1) كالواقدي، والذهبي، والطبري، وابن سعد، وابن حزم

(2) كابن كثير، والرازي، والطبري وغيرهم.

(3) كابن حجر، والنووي.

(5) الهودج: محمل له قبة تستر بالثياب يوضع على ظهر البعير تركب فيه النساء.

(6) جزع ظفار: هو خرز معروف في سواده بياض كالعروق وهي مدينة باليمن.

(7) الرهط: الجماعة من ثلاثة إلى عشرة.

(8) العُلقة: البلغة من الطعام.

فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب، فأقمت منزلي الذي كنت فيه، وظننت أنهم سيفقدونني فيرجعون إليّ، فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت، وكان صفوان بن المعطل السلمي⁽¹⁾ ثم الذكواني من وراء الجيش فأدلج⁽²⁾ فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني فعرفني حين رأيته وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه⁽³⁾ حين عرفني، فخرمت⁽⁴⁾ وجهي بجلبابي والله ما كلمني كلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، حتى أناخ راحلته فوطئ على يديها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة، حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين⁽⁵⁾ في نحر الظهيرة⁽⁶⁾، فهلك من هلك، وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أبي ابن سلول.

1- انتشار الدعاية بالمدينة:

وقدما المدينة فاشتكت حين قدمت شهراً، والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك لا أشعر بشيء من ذلك، وهو يرييني⁽⁷⁾ إني لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم ثم يقول: «كيف تيكم؟»⁽⁸⁾ ثم ينصرف، وذلك الذي يرييني ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعدما نقهت، فخرجت معي أم مسطح قبل المناصع⁽⁹⁾، وهو متبرزنا، وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكنف⁽¹⁰⁾ قريباً من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول في التبرز قبل الغائط، فكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا، فانطلقت أنا وأم مسطح وهي ابنة أبي رهم بن عبد مناف، وأما بنت صخر

(1) صحابي جليل كان صاحب ساقية رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزواته.

(2) فأدلج: بالتشديد سار آخر الليل.

(3) أي بقوله: إنا لله وإنا إليه راجعون.

(2) فخرمت: أي غطيت.

(5) موغرين: الوغرة: شدة الحر.

(4) نحر الظهر: أولها وهو وقت شدة الحر.

(7) يرييني: يشككني.

(6) كيف تيكم: وهي للمؤنث مثل ذاكم للمذكر.

(9) المناصع: المواضع التي يتخلى فيها لقضاء الحاجة.

(10) الكنف: جمع كنيف: المكان الساتر.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

بن عامر خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أثاثه⁽¹⁾، فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي قد فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مرطها⁽²⁾، فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بنس ما قلت أتسبين رجلاً شهد بدرًا؟ قالت: أي هنتاه⁽³⁾ أو لم تسمعي ما قال؟ قلت: وما قال؟ فأخبرتني بخبر أهل الإفك فازددت مرضًا على مرضي، قالت: فلما رجعت إلى بيتي ودخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم -تعني فسلم- ثم قال: «كيف تيكم؟» فقلت: أتأذن لي أن آتي أبوي؟ قالت: وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما، قالت: فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجئت أبوي فقلت لأمي: يا أمتاه ما يتحدث الناس؟ قالت: يا بنية هوني عليك، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة⁽⁴⁾ عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها⁽⁵⁾، قالت: فقلت: سبحان الله لقد تحدث الناس بهذا؟ فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع⁽⁶⁾ ولا أكتحل بنوم حتى أصبحت أبكي.

2- استشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه عند تأخر نزول الوحي:

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد رضي الله عنهما حين استلبث⁽⁷⁾ الوحي يستأمرهما في فراق أهله، قالت: فأما أسامة فأشار على رسول الله بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم لهم في نفسه من الود، فقال: يا رسول الله أهلك وما نعلم إلا خيراً، وأما علي بن أبي طالب فقال: يا رسول الله لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك. قالت: فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال: «أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك؟» قالت بريرة: لا والذي بعثك بالحق، إن رأيت عليها أمراً أغمصه⁽⁸⁾ عليها

(1) مسطح بن أثاثه بن عباد بن المطلب، توفي في خلافة عثمان.

(2) فعثرت في مرطها: أي وطنته برجلها فسقطت.

(3) هنتاه: يا بلهاء، كأنها نسبت إلى قلة المعرفة بمكاند الناس وشرورهم.

(4) وضيئة: الوضاعة: الحسن والبهجة.

(5) إلا أكثرن عليها: أي القول في عيبها.

(6) لا يرقأ لي دمع: لا ينقطع ولا يسكت.

(7) استلبث: وهو الإبطاء والتأخر.

(8) أغمصه عليها: أي أعيبها به وأطعن بها عليه.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن⁽¹⁾ فتأكله. فقام رسول الله فاستعذر⁽²⁾ يومئذ من عبد الله بن أبي ابن سلول، قالت: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر: «يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً⁽³⁾ ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي» فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: يا رسول الله أنا أعذك منه إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك.

3- آثار فتنة الإفك:

قالت: فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج -وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحمية⁽⁴⁾- فقال لسعد: كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله، فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد فقال لسعد بن عبادة: لنقتله فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فتناور الحيان⁽⁵⁾ الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر، فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت.

قالت: فبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، قالت: فأصبح أبواي عندي وقد بكيت ليلتين ويوماً، لا أكتحل بنوم، ولا يرقأ لي دمع، يظنان أن البكاء فائق كبدي، قالت: فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي فاستأذنت عليّ امرأة من الأنصار فأذنت لها، فجلست تبكي معي، قالت: فبينما نحن على ذلك دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس، قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها.

4- مفاتحة الرسول صلى الله عليه وسلم لعائشة وجوابها له:

(1) الداجن: هي الشاة التي يعلفها الناس في منازلهم.

(2) فاستعذر: أي قال: من يقوم بعذري إن كفاؤه على سوء صنيعه.

(3) هو صفوان بن المعطل السلمي.

(4) احتملته الحمية: أي حملته الأنفة والغضب على الجهل.

(5) فتناور الحيان: أي تناهضوا للنزاع والعصية.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وقد لبث الوحي شهراً⁽¹⁾ لا يوحى إليه في شأنى قالت: فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال: «أما بعد: يا عائشة، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا⁽²⁾، فإن كنت بريئة فسيبرنك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه» فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص⁽³⁾ دمعي حتى ما أحس منه قطرة، فقلت لأبي: أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم عني فيما قال، قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت لأمي: أجيبى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن: إني والله لقد علمت، لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به، فلنن قلت إني بريئة، والله يعلم أني بريئة لا تصدقوني بذلك، ولنن اعترفت لكم بأمر، والله يعلم أني منه بريئة لتصدقن، والله ما أجد لكم مثلاً إلا قول أبي يوسف⁽⁴⁾ قال: (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ) [يوسف: 18]. قالت: ثم تحولت فاضطجعت على فراشي، قالت: وأنا حينئذ أعلم أني بريئة، وأن الله مبرئي ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأنى وحياً يتلى، ولشأنى في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر يتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله بها.

5- نزول الوحي ببراءة عائشة:

قالت: فوالله ما رام⁽⁵⁾ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء⁽⁶⁾ حتى أنه ليتحدر منه مثل الجمان⁽⁷⁾ من العرق، وهو في يوم شات من ثقل القول الذي ينزل عليه.

(1) التقيد بالشهر فهو المدة التي أولها إتيان عائشة إلى بيت أبيها.

(2) كناية عما رميت به من الإفك.

(3) قلص دمعي: أي ارتفع وذهب.

(4) هو يعقوب عليه السلام.

(5) ما رام: ما برح وما فارق مجلسه.

(6) البرحاء: شدة الكرب من ثقل الوحي.

(7) الجمان: اللؤلؤ الصغار وقيل حب يتخذ من الفضة أمثال اللؤلؤ.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

قالت: فلما سُري⁽¹⁾ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُري عنه وهو يضحك، فكانت

أول كلمة تكلم بها: «يا عائشة، أما الله عز وجل فقد برأك» فقالت أُمي: قومي إليه، قالت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله عز وجل. وأنزل الله: (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ □ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ □ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ □ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ □ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّتْرِ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ □ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ □ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ □ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَوْوْفٌ رَّحِيمٌ) [النور: 11-20].

6- موقف أبي بكر الصديق ممن تكلم في عائشة رضي الله عنها:

فلما أنزل الله هذا في براءتي، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه -وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقربته منه وفقره-: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال فأنزل الله (وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [النور: 22].

قال أبو بكر: بلى، والله إنني أحب أن يغفر الله لي، فأرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً. قالت عائشة: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل

(1) سُري: انكشف عنه ما يجده من الهم والثقل.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

زينب بنت جحش⁽¹⁾ عن أمري فقال: يا زينب ماذا علمت أو رأيت؟ فقالت: يا رسول الله أحمي⁽²⁾ سمعي وبصري، وما علمت إلا خيراً، قالت: وهي التي كانت تساميني⁽³⁾ من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعصمها الله⁽⁴⁾ بالورع⁽⁵⁾ وطفقت⁽⁶⁾ أختها حمنة⁽⁷⁾ تحارب لها، فهلك ممن هلك من أصحاب الإفك⁽⁸⁾.

كانت قصة الإفك حلقة من سلسلة فنون الإيذاء والمحن التي لقيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعداء الدين، وكان من لطف الله تعالى بنبيه صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين أن كشف الله زيفها وبطلانها، وسجل التاريخ بروايات صحيحة مواقف المؤمنين من هذه الفرية، لا سيما موقف أبي أيوب وأم أيوب، وهي مواقف يتأسى بها المؤمنون عندما تعرض لهم في حياتهم مثل هذه الفرية، فقد انقطع الوحي، وبقيت الدروس لتكون عبرة وعظة للأجيال إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها⁽⁹⁾.

سادساً: أهم الآداب والأحكام التي تؤخذ من آيات الإفك:

أخذ العلماء من الآيات التي نزلت في حادثة الإفك أحكاماً وآداباً من أهمها ما يأتي:

1- تبرئة السيدة عائشة رضي الله عنها من الإفك بقرآن يتلى إلى آخر الزمان، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ) [النور: 11].

2- أن حكمة الله تعالى اقتضت أن يبزرغ الخير من ثنایا الشر، فقد كان ابتلاء أسرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه بحديث الإفك خيراً لهم، حيث كتب لهم الأجر العظيم على صبرهم

(1) هي زينب بنت جحش أم المؤمنين رضي الله عنها وهي بنت عمته رضي الله عنها.

(2) أحمي سمعي وبصري: أي أمنعها من العذاب بسبب الكذب.

(3) تساميني: أي تعاليني وتفاخرني، أي تناولني عنده صلى الله عليه وسلم.

(4) ومعنى عصمها: حفظها ومنعها. (6) الورع: الكف عن المحارم والتحرر منها.

(6) طفقت: شرعت.

(7) حمنة بنت جحش بنت عمته صلى الله عليه وسلم وهي أخت زينب رضي الله عنهما.

(8) البخاري، كتاب التفسير باب (لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ) رقم 4750.

(9) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 440

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وقوة إيمانهم، قال تعالى: (لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ) [النور: 11].

3- الحرص على سمعة المؤمنين، وعلى حسن الظن فيما بينهم، قال تعالى: (لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ) [النور: 12].

4- تكذيب القائلين بالإفك، قال تعالى: (لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ) [النور: 13].

5- بيان فضل الله على المؤمنين ورأفته بهم، قال تعالى: (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) [النور: 14].

6- وجوب التثبت من الأقوال قبل نشرها، والتأكد من صحتها، قال تعالى: (وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ) [النور: 16].

7- النهي عن اقتراف مثل هذا الذنب العظيم أو العودة إليه، قال تعالى: (يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ □ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) [النور: 17، 18].

8- النهي عن إشاعة الفاحشة بين المؤمنين، قال تعالى: (وَإِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) [النور: 19].

9- بيان فضل الله سبحانه على عباده المؤمنين ورأفته بهم وكرر ذلك تأكيداً له، قال تعالى: (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ) [النور: 20].

10- النهي عن تتبع خطوات الشيطان التي تؤدي للهلاك، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [النور: 21].

11- الحث على النفقة على الأقارب وإن أساءوا⁽¹⁾، قال تعالى: (وَلَا يَأْتَلُ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [النور: 22].

12- غيرة الله تعالى على عباده المؤمنين الصادقين، ودفاعه عنهم، وتهديده لمن يرميهم بالفحشاء باللعن في الدنيا والآخرة، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ □ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ □ □ يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ) [النور: 23-25].

قال صاحب الكشاف عند تفسيره لهذه الآيات:

ولو قلبت القرآن كله وفتشت عما أوعد به العصاة لم تر الله قد غلظ في شيء تغليظه في إفك عائشة رضوان الله عليها، ولا أنزل من الآيات القوارع، المشحونة بالوعيد الشديد، والعقاب البالغ، والزجر العنيف، واستعظام ما ارتكب من ذلك، واستفطاع ما أقدم عليه، ما أنزل فيه على طرق مختلفة وأساليب مُفْتَنَةٍ، كل واحد منها كافٍ في بابه، ولو لم ينزل إلا هذه الآيات الثلاث: (إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ) إلى قوله: (هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ) [النور: 23-25] لكفى بها حديثاً جعل القذفة معلونين في الدارين جميعاً، وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة، وبأن ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بما أفكوا وبهتوا، وأنه يوفيههم جزاءهم الحق الذي هم أهله⁽²⁾.

13- بيان سنة من سنن الله الجارية في الكون وهي أن الطيبين يجعلهم الله من نصيب الطيبات، والطيبات يجعلهن من نصيب الطيبين، قال تعالى: (الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) [النور: 26].

(1) انظر: حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول (385/1، 386).

(2) انظر: حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول (386/1) نقلاً عن تفسير الكشاف (223/3).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

14- والناس عندما رُميت الصديقة بنت الصديق بالإفك كانوا على أربعة أقسام⁽¹⁾:

قال فضيلة الشيخ عبد القادر شيبه الحمد - عند تعليقه على حديث يتعلق بقصة الإفك -: إن الناس عندما رُميت الصديقة بنت الصديق بالإفك كانوا أربعة أقسام:

قسم: وهو أكثر الناس، حموا أسماعهم وألسنتهم فسكتوا، ولم ينطقوا إلا بخير ولم يصدقوا ولم يكذبوا، **وقسم:** سارع إلى التكذيب، وهم أبو أيوب الأنصاري وأم أيوب رضي الله عنهما، فقد وصفوه عند سماعه بأنه إفك وبرؤوا عائشة مما نسب إليها في الحال.

أما القسم الثالث: فكانوا جملة من المسلمين لم يصدقوا ولم يكذبوا ولم ينفوه، ولكنهم يتحدثون بما يقول أهل الإفك، وهم يحسبون أن الكلام بذلك أمر هين لا يعرضهم لعقوبة الله؛ لأن ناقل الكفر ليس بكافر، وحكي الإفك ليس بقاذف، ومن هؤلاء حمنة بنت جحش وحسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثه.

أما القسم الرابع: فهم الذين جاءوا بالإفك وعلى رأس هؤلاء عدو الله عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين لعنه الله وهو الذي تولى كبره.

وقد أشار الله عز وجل إلى فضل القسم الثاني من هذه الأقسام، وأنه كان ينبغي لجميع المسلمين أن يقفوا هذا الموقف، فقال: (**لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ**) [النور: 12].

أما القسم الثالث: فقد أشار الله عز وجل إلى أنه ما كان ينبغي لهم أن يتحدثوا بمثل هذا الحديث حيث يقول: (**إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّنِّتِمْ وَتَقُولُونَ بَآفَوا هُكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ** □ **وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَّا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ**) [النور: 15، 16].

(1) انظر: حديث القرآن الكريم (387/1).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وقد أثبت الله عز وجل لأهل هذا القسم فضائلهم التي عملوها حيث أثبت لمسطح هجرته وإيمانه عندما حلف أبو بكر أنه لن ينفق على مسطح، ولن يتصدق عليه وهو من ذوي قرابته، فقال عز وجل: (وَلَا يَأْتِلُ أَوْلُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [النور: 22].

أما القسم الرابع: وهو جماعة عبد الله بن أبي الذين جاءوا بالإفك واخترعوا هذا الكذب، فقد أشار الله إلى موتهم على الكفر، وأنه لن يقبل منهم توبة، وأنه أنزل عليهم لعنته في الدنيا والآخرة⁽¹⁾، حيث قال: (إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ □ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ □ يَوْمَئِذٍ يُوقِفُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ) [النور: 23-25].

سابعاً: فوائد وأحكام ودروس من حادثة الإفك وغزوة بني المصطلق:

1- بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم:

جاءت محنة الإفك منطوية على حكمة إلهية استهدفت إبراز شخصية النبي صلى الله عليه وسلم وإظهارها صافية مميزة عن كل ما قد يلتبس بها، فلو كان الوحي أمراً ذاتياً غير منفصل عن شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، لما عاش الرسول صلى الله عليه وسلم تلك المحنة بكل أبعادها شهراً كاملاً، ولكن الحقيقة التي تجلت للناس بهذه المحنة أن ظهرت بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم ونبوته، فعندما حسم الوحي اللغظ الذي دار حول أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- عادت المياه إلى مجاريها بينها وبين الرسول صلى الله عليه وسلم، وفرح الجميع بهذه النتيجة بعد تلك المعاناة القاسية، فدل ذلك على حقيقة الوحي، وأن الأمر لو لم يكن من عند الله تعالى لبقيت رواسب المحنة في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفة خاصة، ولانعكس ذلك على تصرفاته مع زوجته عائشة رضي الله عنها، وهكذا شاء الله أن تكون هذه المحنة دليلاً كبيراً

(1) انظر: فقه الإسلام، شرح بلوغ المرام، لفضيلة الشيخ عبد القادر شيبه الحمد (5/9).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم⁽¹⁾.

2- حد القذف وأهميته في المحافظة على أعراض المسلمين:

كان المجتمع الإسلامي يتربى من خلال الأحداث، فعندما وقعت حادثة الإفك أراد المولى -عز وجل- أن يشرع بعض الأحكام التي تساهم في المحافظة على أعراض المؤمنين، ولذلك نزلت سورة النور، التي تحدثت عن حكم الزاني والزانية وعن قبح فاحشة الزنا، وعما يجب على الحاكم أن يفعله إذا ما رمى أحد الزوجين صاحبه، وعن العقوبة التي أوجبها الله على الذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء إلى غير ذلك من الأحكام⁽²⁾.

إن الإسلام حرم الزنا، وأوجب العقوبة على فاعله، فقد حرم أيضاً كل الأسباب المسببة له، وكل الطرق الموصلة إليه، ومنها إشاعة الفاحشة والقذف بها لتنزيه المجتمع من أن تسري فيه ألفاظ الفاحشة والحديث عنها؛ لأن كثرة الحديث عن فاحشة الزنا وسهولة قولها في كل وقت يهون أمرها لدى سامعيها، ويجري ضعفاء النفوس على ارتكابها، لهذا حرمت الشريعة الإسلامية القذف بالزنا، وأوجب على من قذف عفيفاً أو عفيفة، طاهراً أو طاهرة، بريئاً أو بريئة من الزنا حد القذف وهو الجلد ثمانين جلدة وعدم قبول شهادته إلا بعد توبته توبة صادقة نصوحاً⁽³⁾.

هذا وقد أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حد القذف على مسطح وحسان وحمنة، وروى محمد بن إسحاق وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم جلد في الإفك رجلين وامرأة: مسطحاً وحساناً وحمنة، وذكره الترمذي⁽⁴⁾ قال القرطبي: والمشهور من الأخبار والمعروف عند العلماء أن الذي حدَّ حسان ومسطح وحمنة، ولم يسمع بحد عبد الله بن أبي⁽⁵⁾. وقد وردت آثار ضعيفة

(1) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص441.

(2) انظر: حديث القرآن الكريم (357/1).

(3) انظر: آثار تطبيق الشريعة، د. محمد الزاحم، ص117.

(4) انظر: تفسير القرطبي (197/12).

(5) نفس المصدر (201/12).

(4) انظر: مرويات غزوة بني المصطلق، ص242.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

تدل على أن عبد الله بن أبي أقيم عليه الحد، ولكنها كلها ضعيفة لا تقوم بها حجة⁽¹⁾.

وقد ذكر ابن القيم وجه الحكمة في عدم حد عبد الله بن أبي فقال:

أ- قيل: لأن الحدود تخفيف عن أهلها وكفارة، والخبيث ليس أهلاً لذلك، وقد وعده الله بالعذاب العظيم في الآخرة ويكفيه عن الحد.

ب- وقيل: كان يستوشي الحديث ويجمعه ويحكيه ويخرجه في قوالب من لا ينسب إليه.

ج- وقيل: الحد لا يثبت إلا ببينة أو إقرار وهو لم يقر بالقذف ولا شهد به عليه أحد، فإنه كان يذكره بين أصحابه ولم يشهدوا عليه، ولم يكن يذكره بين المؤمنين.

د- وقيل: بل ترك حده لمصلحة هي أعظم من إقامته عليه، كما ترك قتله مع ظهور نفاقه وتكلمه بما يوجب قتله مراراً، وهي تأليف قومه وعدم تنفيرهم من الإسلام.

ثم قال في ختام كلامه ولعله ترك لهذه الوجوه كلها⁽²⁾.

3- اعتذار حسان رضي الله عنه للسيدة عائشة رضي الله عنها:

قد بينت الروايات أن مَنْ خاض في الإفك قد تاب ما عدا ابن أبي، وقد اعتذر حسان رضي الله عنه عما كان منه، وقال يمدح عائشة بما هي أهل له⁽³⁾:

رأيتك وليغفر لك الله حرة من المحصنات غير ذات غوائل
حصان رزان ما تزن بريبة وتصبح غرثي من لحوم الغوافل
وإن الذي قد قيل ليس بلانق بك الدهر بل قيل امرئ متناحل
فإن كنت أهجوكم كما بلغوكم فلا رفعت سوطي إلي أناملي
فكيف وودي ما حييت ونصرتي لآل رسول الله زين المحافل

(6) انظر: السيرة النبوية لأبي شعبة (263/2).

(2) انظر: زاد المعاد (263/3، 264).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وإن لهم عزاً يرى الناس دونه قصاراً، وطال العز كل التطاول⁽¹⁾

4- من الأحكام المستنبطة من غزوة بني المصطلق:

جواز الإغارة على من بلغتهم دعوة الإسلام دون إنذار، ومنها صحة جعل العتق صداقاً كما فعل صلى الله عليه وسلم مع جويرية بنت الحارث في هذه الغزوة، ومنها مشروعية القرعة بين النساء عند إرادة السفر ببعضهن، ومنها جواز استرقاق العرب كما حدث في الغزوة وهو قول جمهور العلماء⁽²⁾، وقد أجمع العلماء قاطبة على أن من سب عائشة رضي الله عنها بعد براءتها براءة قطعية بنص القرآن ورمائها بما اتهمت به فإنه كافر؛ لأنه معاند للقرآن⁽³⁾. ومن الأحكام التي عرفت في هذه الغزوة حكم العزل عن النساء حيث سأل الصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم عنه فأذن به وقال: «ما عليكم ألا تفعلوا، ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا وهي كائنة»⁽⁴⁾. فذهب الجمهور إلى جواز العزل عن الزوجة الحرة بإذنها⁽⁵⁾، ونزلت آية التيمم في هذه الغزوة، تنوياً بشأن الصلاة، وتنبيهاً على عظيم شأنها، وأنه لا يحول دون أدائها فقد الماء، وهو وسيلة الطهارة التي هي أعظم شروطها، كما لا يحول الخوف وفقد الأمن من إقامتها⁽⁶⁾.

* * *

(1) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي، المغازي، ص281.

(2) انظر: كتاب الأم للشافعي (4/186).

(3) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (5/643).

(4) انظر: السيرة النبوية الصحيحة للعمري (2/415).

(5) انظر: نيل الأوطار للشوكاني (6/222-224).

(6) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص210، 211.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

الفصل الحادي عشر غزوة الأحزاب 5هـ

المبحث الأول

تاريخ الغزوة، وأسبابها، وأحداثها

أولاً: تاريخ الغزوة وأسبابها:

1- تاريخ الغزوة:

ذهب جمهور أهل السير والمغازي إلى أن غزوة الأحزاب كانت في شهر شوال من السنة الخامسة⁽¹⁾، وقال الواقدي⁽²⁾: إنها وقعت في يوم الثلاثاء الثامن من ذي القعدة في العام الخامس الهجري، وقال ابن سعد⁽³⁾: إن الله استجاب لدعاء الرسول فهزم الأحزاب يوم الأربعاء من شهر ذي القعدة سنة خمس من مهاجرة **صلى الله عليه وسلم**، ونقل عن الزهري، ومالك بن أنس، وموسى بن عقبة، أنها وقعت سنة أربع هجرية⁽⁴⁾.

ويرى العلماء أن القائلين بأنها وقعت سنة أربع كانوا يعدون التاريخ من المحرم الذي وقع بعد الهجرة، ويلغون الأشهر التي قبل ذلك إلى ربيع الأول، وهو مخالف لما عليه الجمهور من جعل التاريخ من المحرم سنة الهجرة⁽⁵⁾ وجزم ابن حزم⁽⁶⁾ أنها وقعت سنة أربع لقول ابن عمر إن الرسول **صلى الله عليه وسلم** رده يوم أحد -وهي في السنة الثالثة باتفاق- وهو ابن أربع عشر

(1) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص443.

(2) انظر: المغازي (440/2) بدون إسناد.

(3) الطبقات (65/2، 73) بإسناد متصل.

(4) انظر: البداية والنهاية (105/4).

(5) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص443.

(6) انظر: جوامع السيرة، ص185.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

سنة⁽¹⁾، ولكن البيهقي⁽²⁾، وابن حجر⁽³⁾، وغيرهما فسروا ذلك بأن ابن عمر كان يوم أحد في بداية الرابعة عشرة ويوم الخندق في نهاية الخامسة عشرة وهو الموافق لقول الجمهور⁽⁴⁾.

والى ما ذهب إليه الجمهور وهو الراجح لديّ مال ابن القيم حيث قال: وكانت سنة خمس من الهجرة في شوال على أصح القولين، إذ لا خلاف أن أحدًا كانت في شوال سنة ثلاث، وواعد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام المقبل وهو سنة أربع، ثم أخلفوه من أجل جذب تلك السنة، فرجعوا فلما كانت سنة خمس جاعوا لحربه⁽⁵⁾.

2- أسبابها:

إن يهود بني النضير بعد أن خرجوا من المدينة إلى خيبر خرجوا وهم يحملون معهم أحقادهم على المسلمين، فما أن استقروا بخيبر حتى أخذوا يرسمون الخطط للانتقام من المسلمين، فاتفقت كلمتهم على التوجه إلى القبائل العربية المختلفة لتحريضها على حرب المسلمين، وكونوا لهذا الغرض الخبيث وفدًا يتكون من سلام بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وهوذة بن قيس الوائلي وأبي عمار⁽⁶⁾.

وقد نجح الوفد نجاحًا كبيرًا في مهمته، حيث وافقت قريش التي شعرت بمرارة الحصار الاقتصادي المضروب عليها من قبل المسلمين، ووافقت غطفان طمعًا في خيرات المدينة وفي السلب والنهب وتابعتهم قبائل أخرى.

وقد قال وفد اليهود لمشركي مكة: إن دينكم خير من دين محمد، وأنتم أولى بالحق منه⁽⁷⁾، وعن ذلك يقول الله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْثُوا نُصِيْبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ

(1) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص444.

(2) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (396/3).

(3) انظر: الفتح (396/3).

(4) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص444.

(5) انظر: زاد المعاد (288/2) (2) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (237/3).

(7) انظر: التاريخ السياسي والعسكري، د. علي معطي، ص310.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا □ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنَ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ([النساء: 51، 52].

وحول هذه المقالة أشار الأستاذ ولفنسون إلى الخطأ الكبير الذي وقع فيه هؤلاء اليهود بتفضيلهم دين قريش الوثني على دين الإسلام الذي يدعو إلى عبادة الإله الواحد، فقال: (والذي يؤلم كل مؤمن بإله واحد من اليهود والمسلمين على السواء، إنما هو تلك المحادثة التي جرت بين نفر من اليهود وبين قريش الوثنيين، حيث فضل هؤلاء النفر من اليهود أديان قريش على دين صاحب الرسالة الإسلامية)⁽¹⁾، ولا ريب فإن قريشاً قد سُرَّت بما سمعت من مدح لدينها، فازدادت حماساً، وأصبحت أكثر تصميمًا على حرب المسلمين، ثم أعلنت موافقتها على هذه الدعوة والاشتراك في الحملة التي ستهاجم المدينة، وضربت لها موعداً⁽²⁾.

وقد أبرم الوفد اليهودي مع زعماء أعراب غطفان اتفاقية الاتحاد العربي الوثني اليهودي العسكري ضد المسلمين، وكان أهم بنود هذا الاتفاق هو:

أ- أن تكون قوة غطفان في جيش الاتحاد هذا ستة آلاف مقاتل.

ب- أن يدفع اليهود لقبائل غطفان (مقابل ذلك) كل تمر خبير لسنة واحدة⁽³⁾.

لقد استطاع وفد اليهود أن يرجع من رحلته إلى المدينة، ومعه عشرة آلاف مقاتل؛ أربعة آلاف من قريش وأحلافها، وستة آلاف من غطفان وأحلافها، وقد نزلت تلك الأعداد الهائلة بالقرب من المدينة.

ثانياً: متابعة المسلمين للأحزاب:

كان جهاز أمن الدولة الإسلامية على حذر تام من أعدائه؛ لذا فقد كان يتتبع أخبار الأحزاب، ويرصد تحركاتهم، ويتابع حركة الوفد اليهودي منذ خرج من خيبر في اتجاه مكة، وكان على علم

(1) انظر: تاريخ اليهود في بلاد العرب، ولفنسون، ص142.

(2) انظر: تاريخ اليهود في بلاد العرب، ولفنسون، ص310.

(3) انظر: غزوة الأحزاب، محمد احمد باشميل، ص141.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

تام بكل ما يجري بين الوفد اليهودي وبين قريش أولاً، ثم غطفان ثانياً، وبمجرد حصول المدينة على هذه المعلومات عن العدو شرع الرسول صلى الله عليه وسلم في اتخاذ الإجراءات الدفاعية اللازمة، ودعا إلى اجتماع عاجل حضره كبار قادة جيش المسلمين من المهاجرين والأنصار، بحث فيه معهم هذا الموقف الخطير الناجم عن مساعي اليهود الخبيثة⁽¹⁾. فأدلى سلمان الفارسي رضي الله عنه برأيه الذي يتضمن حفر خندق كبير لصد عدوان الأحزاب، فأعجب النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، قال الواقدي -رحمه الله-: فقال سلمان: يا رسول الله، إنا إذا كنا بأرض فارس وتخوفنا الخيل، خندقنا علينا، فهل لك يا رسول الله أن تخندق؟ فأعجب رأي سليمان المسلمين⁽²⁾.

وعندما استقر الرأي -بعد المشاورة- على حفر الخندق، ذهب النبي صلى الله عليه وسلم هو وبعض أصحابه لتحديد مكانه واختار للمسلمين مكاناً تتوافر فيه الحماية للجيش.

فقد ذكر الواقدي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب فرساً له ومعه نفر من أصحابه من المهاجرين والأنصار، فارتاد موضعاً ينزله، فكان أعجب المنازل إليه أن يجعل سلعاً خلف ظهره ويخندق من المذاد إلى ذباب⁽³⁾ إلى راتج⁽⁴⁾، وقد استفاد صلى الله عليه وسلم من مناعة جبل سلع⁽⁵⁾ في حماية ظهور الصحابة.

كان اختيار تلك المواقع موفّقاً؛ لأن شمال المدينة هو الجانب المكشوف أمام العدو والذي يستطيع منه دخول المدينة وتهديدها، أما الجوانب الأخرى فهي حصينة منيعة، تقف عقبة أمام أي هجوم يقوم به الأعداء، فكانت الدور من ناحية الجنوب متلاصقة عالية كالسور المنيع، وكانت

(1) المصدر نفسه، ص 144، 145.

(2) انظر: مغازي الواقدي (444/2)، والطبقات الكبرى (66/2).

(3) ذباب: أكمة صغيرة في المدينة يفصل بينها وبين جبل سلع ثنية الوداع.

(4) راتج: حصن من حصون المدينة لأناس من اليهود.

(5) جبل سلع: هو أشهر جبال المدينة، انظر: معجم البلدان (236/3).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

حرة واقم⁽¹⁾ من جهة الشرق، وحررة الوبرة من جهة الغرب، تقومان كحصن طبيعي، وكانت أطام بني قريظة في الجنوب الشرقي كقيلة بتأمين ظهر المسلمين، وكان بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبني قريظة عهد ألا يمالنوا عليه أحدا، ولا يناصروا عدواً ضده⁽²⁾.

ويستفاد من بحث الرسول صلى الله عليه وسلم عن مكان ملائم لنزول الجند أهمية الموقع الذي ينزل فيه الجند، وأنه ينبغي أن يتوافر فيه شرط أساسي وهو الحماية التامة للجند؛ لأن ذلك له أثر واضح على سير المعركة ونتائجها⁽³⁾.

لقد كانت خطة الرسول صلى الله عليه وسلم في الخندق متطورة، ومتقدمة، حيث شرع بالأخذ بالأساليب الجديدة في القتال، ولم يكن حفر الخندق من الأمور المعروفة لدى العرب في حروبهم، بل كان الأخذ بهذا الأسلوب غريباً عنهم، وبهذا يكون الرسول صلى الله عليه وسلم هو أول من استعمل الخندق في الحروب في تاريخ العرب والمسلمين، فقد كان هذا الخندق مفاجأة مذهلة لأعداء الإسلام، وأبطل خططهم التي رسموها، وكان من عوامل تحقيق هذه المفاجأة ما قام به المسلمون من إتقان رفيع لسرية الخطة وسرعة إنجازها، وكان هذا الأسلوب الجديد في القتال له أثر في إضعاف معنويات الأحزاب وتشتيت قواتهم.

ثالثاً: اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بالجبهة الداخلية:

1- لما علم النبي صلى الله عليه وسلم بقدوم جيش الأحزاب وأراد الخروج إلى الخندق أمر بوضع ذراري المسلمين ونسائهم وصبيانهم في حصن بني حارثة، حتى يكونوا في مأمن من خطر الأعداء، وقد فعل ذلك صلى الله عليه وسلم لأن حماية الذراري والنساء والصبيان لها أثر فعال على معنويات المقاتلين؛ لأن الجندي إذا اطمأن على زوجه وأبنائه يكون مرتاح الضمير هادئ الأعصاب، فلا يشغل تفكيره أمر من أمور الحياة، يسخر كل إمكانياته وقدراته العقلية

(1) هي حرة المدينة الشرقية: انظر: معجم معالم الحجاز (283/2، 285)

(2) انظر: العبقريّة العسكرية في غزوات الرسول، ص442.

(3) انظر: القيادة العسكرية في عهد الرسول، ص426.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

للإبداع في القتال، أما إذا كان الأمر بعكس ذلك فإن أمر الجندي يضطرب ومغنوياته تضعف ويستولي عليه القلق، مما يكون له أثر في تراجعته عن القتال؛ وبذلك تنزل الكارثة بالجميع⁽¹⁾.

2- ومن الأمور التي ساهمت في تقوية وتماسك الجبهة الداخلية مشاركة النبي صلى الله عليه وسلم جنده أعباء العمل، فقد شارك الرسول صلى الله عليه وسلم الصحابة في العمل المضني، فأخذ يعمل بيده الشريفة، في حفر الخندق، فعن ابن إسحاق قال: سمعت البراء يحدث قال: لما كان يوم الأحزاب وخندق رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني الغبار جلدة بطنه، وكان كثير الشعر⁽²⁾.

فعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الصحابة بهمة عالية لا تعرف الكلل، فأعطى القدوة الحسنة لأصحابه حتى بذلوا ما في وسعهم لإنجاز حفر ذلك الخندق.

3- وكان صلى الله عليه وسلم يشارك الصحابة -رضي الله عنهم- في آلامهم وآمالهم، بل كان يستأثر بالمصاعب الجمة دونهم، ففي غزوة الأحزاب نجد أنه صلى الله عليه وسلم كان يعاني من ألم الجوع كغيره، بل أشد، حيث وصل به الأمر إلى أن يربط حجراً على بطنه الشريف من شدة الجوع⁽³⁾، ثم إنه صلى الله عليه وسلم شاركهم في آلامهم فحين وجد ما يسد رمقه بعد هذا الجوع الذي استمر ثلاثاً، لم يستأثر بذلك دونهم، وهذا ما سوف نعرفه بإذن الله عند الحديث عن وليمة جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

4- رفع مغنويات الجنود وإدخال السرور عليهم: اقترن حفر الخندق بصعوبات جمة، فقد كان الجو بارداً، والريح شديدة والحالة المعيشية صعبة، بالإضافة إلى الخوف من قدوم العدو الذي

(1) انظر: غزوة الأحزاب، د. محمد عبد القادر أبو فارس، ص98.

(2) انظر: البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الأحزاب، (57/5) رقم 4106.

(3) انظر: غزوة الأحزاب، د. محمد أبو فارس، ص116، 117.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

يتوقعونه في كل لحظة، ويضاف إلى ذلك العمل المضني، حيث كان الصحابة يحفرون بأيديهم وينقلون التراب على ظهورهم، ولا شك في أن هذا الظرف بطبيعة الحال يحتاج إلى قدر كبير من الحزم، والجد، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينسَ في هذا الظرف أن هؤلاء الجند إنما هم بشر كغيرهم، لهم نفوس بحاجة إلى الراحة من عناء العمل، كما أنها بحاجة إلى من يدخل السرور حتى تنسى تلك الآلام التي تعانيها فوق معاناة العمل الرئيسي. ولهذا نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرتجز بكلمات ابن رواحة وهو ينقل التراب :

اللهم لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينتنا علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الأعداء قد بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أبينا
ثم يمد صوته بآخرها⁽¹⁾.

وعن أنس رضي الله عنه أن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون يوم الخندق:
نحن الذين بايعوا محمداً على الإسلام ما بقينا أبداً
أو قال على الجهاد والنبي يقول:

اللهم إن الخير خير الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة⁽²⁾

لقد كان لهذا التبسط والمرح في ذلك الوقت أثره في التخفيف عن الصحابة مما يعانونه نتيجة للظروف الصعبة التي يعيشونها، كما كان له أثره في بعث الهمة والنشاط بإنجاز العمل الذي كلفوا بإتمامه، قبل وصول عدوهم⁽³⁾.

5- تقدير ظروف الجند والإذن بالانصراف عند الحاجة: كان الصحابة رضي الله عنهم على قدر كبير من الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم، فكانوا يستأذنونهم في الانصراف إذا عرضت

(1) البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق (57/5) رقم 4106.

(2) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب (1432/3) رقم 129.

(3) انظر: القيادة العسكرية في عهد الرسول، ص 482.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

لهم ضرورة، فيذهبون لقضاء حوائجهم، ثم يرجعون إلى ما كانوا فيه من العمل، رغبة في الخير واحتساباً له، فأنزل الله فيهم: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنَ لَمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [النور: 62].

ومعنى الآية الكريمة: إذا استأذنتك يا محمد الذين لا يذهبون عنك إلا بإذنتك في هذه المواطن لقضاء بعض حاجاتهم التي تعرض لهم فأذن لمن شئت منهم في الانصراف عنك لقضاءها، واستغفر لهم⁽¹⁾، فكان النبي صلى الله عليه وسلم بالخيار، إن شاء أذن له إذا رأى ذلك ضرورة للمستأذن، ولم ير فيه مضرّة على الجماعة، فكان يأذن أو يمنع حسب ما تقتضيه المصلحة ويقتضيه مقام الحال⁽²⁾.

6- تقسيم الصحابة إلى دوريات للحراسة: قسم النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه إلى مجموعات للحراسة ومقاومة كل من يريد أن يخترق الخندق، وقام المسلمون بواجبهم في حراسة الخندق وحراسة نبيهم صلى الله عليه وسلم، واستطاعوا أن يصدوا كل هجوم حاول المشركون شنه، وكانوا على أهبة الاستعداد جنوداً وقيادة، حتى أنهم استمروا ذات يوم من السحر إلى جوف من الليل في اليوم الثاني، ويفوت المسلمون الصلوات الأربع، ويقضونها لعجزهم عن التوقف لحظة واحدة أثناء الاشتباك المباشر للقتال، واستطاع علي بن أبي طالب مع مجموعة من الصحابة أن يصدوا محاولة عكرمة ابن أبي جهل، بل تصدى علي لبطل قريش عمرو بن عبد ود وقتله⁽³⁾، وكانت هناك مجموعة من الأنصار تقوم بحراسة النبي صلى الله عليه وسلم في كل ليلة على رأسهم عباد بن بشر رضي الله عنه، فالنبي صلى الله عليه وسلم هو القائد الأعلى وهو المشرف المباشر على إدارة المعركة فهو الذي يرسم الخطط ويراقب تنفيذها فهو الذي:

(1) انظر: صفوة التفاسير للصابوني (351/2).

(2) أحكام القرآن لابن العربي (1410/3).

(3) انظر: فقه السيرة لمنير الغضبان، ص 504.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

- أ- أمر بحفر الخندق بعد أن تمت المشاورة في ذلك، فاختار مكاناً مناسباً لذلك، وهي السهول الواقعة شمال المدينة، إذ كانت هي الجهة الوحيدة المكشوفة أمام الأعداء.
- ب- قسّم أعمال حفر الخندق بين الصحابة، كل أربعين ذراعاً لعشرة من الصحابة، ووكّل بكل جانب جماعة يحفرون فيه.
- ج- سيطر صلى الله عليه وسلم على العمل، فلا يستطيع أحد ترك عمله إلا بإذن منه صلى الله عليه وسلم.
- د- قسم صلى الله عليه وسلم واجبات احتلال الموضع بنفسه، بحيث تستمر الحراسة على كل شبر من الخندق ليلاً ونهاراً، ثم إنه صلى الله عليه وسلم كان يقوم بمهمة الإشراف العام على الجند بتشجيعهم ورفع مغنوياتهم.
- هـ- استطاع صلى الله عليه وسلم لما يتمتع به من حنكة وبراعة سياسية مستمدة من شخصيته النبوية أن يمسك بزمام الأمور، وينقذ المؤمنين من الموقف الحرج الذي حدث لهم عندما وصلت الأحزاب إلى المدينة، وأصبح الخطر يهدد المدينة وما حولها⁽¹⁾، فقد توحدت قيادة المسلمين تحت زعامته صلى الله عليه وسلم، فكان ذلك من أسباب كسب المعركة والفوز بها.

* * *

(1) انظر: القيادة العسكرية في عصر الرسول، ص 11.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

المبحث الثاني

اشتداد المحنة بالمسلمين

مع أن المسلمين أخذوا بكافة الاحتياطات في تأمين جبهتهم الداخلية، ومحاولة الدفاع عن الإسلام والمدينة من جيش الأحزاب الزاحف، إلا أن سنة الله الماضية لا نصر إلا بعد شدة، ولا منحة إلا بعد محنة، وكلما اقترب النصر زاد البلاء والامتحان، وقد ازدادت محنة المسلمين في الخندق لأمور:

أولاً: نقض اليهود من بني قريظة العهد ومحاولة ضرب المسلمين من الخلف:

كان المسلمون يخشون غدر يهود بني قريظة الذين يسكنون في جنوب المدينة فيقع المسلمون حينئذ بين نارين، اليهود خلف خطوطهم، والأحزاب بأعدادهم الهائلة من أمامهم، ونجح اليهودي زعيم بني النضير في استدراج كعب بن أسد زعيم بني قريظة لينضم مع الأحزاب لمحاربة المسلمين.

وسرت الشائعات بين المسلمين بأن قريظة قد نقضت عهدها معهم، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يخشى أن تنقض بنو قريظة العهد الذي بينهم وبينه؛ لأن اليهود قوم لا عهد لهم ولا ذمة، ولذلك انتدب النبي صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام (رجل المهمات الصعبة) ليأتيه من أخبارهم فذهب الزبير، فنظر ثم رجع فقال: يا رسول الله: رأيتهم يصلحون حصونهم ويدربون⁽¹⁾ طرقهم، وقد جمعوا ماشيتهم⁽²⁾. وبعد أن كثرت القرائن الدالة على نقض بني قريظة للعهد، أرسل سعد بن معاذ وسعد بن عباد وعبد الله بن رواحة وخوات بن جبير -رضي الله عنهم- وقال لهم: انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فإن كان حقاً فالحنوا لي لحناً⁽³⁾ أعرفه،

(1) يدربون طرقهم: يسهلون طرقهم من أجل السير إلى المسلمين.
(2) انظر: مغازي الواقدي (457/2).
(3) لحناً: أي كلام لا يفهمه أحد سواي.

ولا تفتوا في أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس⁽¹⁾.
فخرجوا حتى أتوهم، فوجدوهم قد نقضوا العهد، فرجعوا فسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا: عضل والقارة⁽²⁾، فعرف النبي صلى الله عليه وسلم مرادهم⁽³⁾.

واستقبل النبي صلى الله عليه وسلم غدر بني قريظة بالثبات والحزم واستخدام كل الوسائل التي من شأنها أن تقوي روح المؤمنين وتصدع جبهات المعتدين، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم في الوقت نفسه (سلمة بن أسلم) في مائتي رجل، وزيد بن حارثة في ثلاثمائة رجل، يحرسون المدينة، ويظهرون التكبير ليرهبوا بني قريظة، وفي هذه الأثناء استعدت بنو قريظة للمشاركة مع الأحزاب، فأرسلت إلى جيوشها عشرين بعيراً كانت محملة تمرًا، وشعيراً، وتيناً لتمدهم بها وتقويهم على البقاء إلا أنها أصبحت غنيمة للمسلمين الذين استطاعوا مصادرتها وأتوا بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم⁽⁴⁾.

ثانياً: تشديد الحصار على المسلمين وانسحاب المنافقين ونشرهم الأراجيف:

زادت جيوش الأحزاب في تشديد الحصار على المسلمين بعد انضمام بني قريظة إليها، واشتد الكرب على المسلمين، وتأزم الموقف، وقد تحدث القرآن الكريم عن حالة الحرج والتدهور التي أصابت المسلمين ووصف ما وصل إليه المسلمون من جزع وخوف، وفزع في تلك المحنة الرهيبة أصدق وصف، حيث قال تعالى: (إِذْ جَاءُوكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا □ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا) [الأحزاب: 10، 11]. وكان ظن المسلمين بالله قوياً، وقد سجله القرآن الكريم بقوله تعالى: (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا) [الأحزاب: 22].

(1) انظر: السيرة النبوية لابن كثير (199/3).

(2) قبيلتان من هذيل سبق منهما الغدر بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في ذات الرجيع.

(3) انظر: البداية والنهاية (95/4).

(3) انظر: السيرة الحلبية (323/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وأما المنافقون فقد انسحبوا من الجيش، وزاد خوفهم حتى قال معتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط، وطلب البعض الآخر الإذن لهم بالرجوع إلى بيوتهم بحجة أنها عورة، فقد كان موقفهم يتسم بالجبن والإرجاف وتخذيل المؤمنين، وقد وردت روايات ضعيفة تحكي أقوالهم في السخرية والإجحاف والتخذيل⁽¹⁾، ولكن القرآن الكريم يتكفل بتصوير ذلك أدق تصوير⁽²⁾، والآيات هي: (وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا □ وَلَوْ دَخَلْتَ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَسِيرًا □ □ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الدُّبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا □ قُلْ لَّنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُمْ مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا □ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِن أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا □ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا □ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا □ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا) [الأحزاب: 13-20].

إن الآيات السابقة أشارت إلى النفاق وما تولد عنه من القلق في النفوس، والجبن في القلوب، وانعدام الثقة بالله عند تعاظم الخطوب والجرأة على الله تعالى بدل اللجوء إليه عند الامتحان، ولا يقف الأمر عند الاعتقاد بل يتبعه العمل المخذل المرجف، فهم يستأذنون الرسول صلى الله عليه وسلم للانصراف عن ميدان العمل، والقتال بحجج واهية؛ زاعمين أن بيوتهم مكشوفة للأعداء، وإنما يقصدون الفرار من الموت لضعف معتقدتهم وللخوف

(1) انظر: المعجم الكبير للطبراني (376/11) مجمع الزوائد (131/6).

(2) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (424/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

المسيطر عليهم، بل ويحثون الآخرين على ترك موقعهم والرجوع إلى بيوتهم، ولم يراعوا عقد الإيمان وعهود الإسلام⁽¹⁾.

وتزايدت محاولات المشركين لاقتحام الخندق، وأصبحت خيل المشركين تطوف بأعداد كبيرة كل ليلة حول الخندق حتى الصباح، وحاول خالد بن الوليد مع مجموعة من فرسان قريش أن يقتحم الخندق على المسلمين في ناحية ضيقة منه، ويأخذهم على حين غرة، لكن أسيد بن حضير في مانتين من الصحابة يراقبون تحركاتهم، وقد حصلت مناوشات استشهد فيها الطفيل بن النعمان والذي قتله وحشي قاتل حمزة يوم أحد، رماه بحربة عبر الخندق فأصابته مقتلاً⁽²⁾، واستطاع حبان بن العرقعة من المشركين أن يرمي سهماً أصاب سعد بن معاذ رضي الله عنه في أكله⁽³⁾، وقال: خذها وأنا بن العرقعة، وقد قال سعد بن معاذ عندما أصيب: اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقتني لها، فإنه لا قوم أحب إليّ أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه، اللهم وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها شهادة، ولا تمتني حتى تفر عيني من بني قريظة⁽⁴⁾. وقد استجاب الله دعوة هذا العبد الصالح وهو الذي سيحكم فيهم، ثم وجه المشركون كتيبة غليظة نحو مقر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقاتلهم المسلمون يوماً إلى الليل، فلما حانت صلاة العصر دنت كتيبة، فلم يقدر النبي صلى الله عليه وسلم ولا أحد من أصحابه الذين كانوا معه أن يصلوا، وشغل بهم النبي صلى الله عليه وسلم فلم يصل العصر، ولم تنصرف الكتيبة إلا مع الليل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ملأ الله عليهم بيوتهم وقبورهم ناراً، كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس»⁽⁵⁾.

ثالثاً: محاولة النبي صلى الله عليه وسلم تخفيف حدة الحصار بعقد صلح مع غطفان وبث الإشاعات في صفوف الأعداء:

(1) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (425/2).

(2) انظر: حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول (424/2).

(3) الأكل: عرق في وسط الذراع في كل عضو منه شعبة إذا قطع لم يرقأ الدم.

(4) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب إخراج اليهود (1389/3) رقم 1769.

(5) البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق (58/5) رقم 4111.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

1- سياسة النبي صلى الله عليه وسلم في المفاوضات مع غطفان:

ظهرت حنكته صلى الله عليه وسلم وحسن سياسته حين اختار قبيلة غطفان بالذات لمصالحتها على مال يدفعه إليها على أن تترك محاربته وترجع إلى بلادها، فهو يعلم صلى الله عليه وسلم أن غطفان وقادتها ليس لهم من وراء الاشتراك في هذا الغزو أي هدف سياسي يريدون تحقيقه، أو باعث عقائدي يقاتلون تحت رايته، وإنما كان هدفهم الأول والأخير من الاشتراك في هذا الغزو الكبير هو الحصول على المال بالاستيلاء عليه من خيرات المدينة عند احتلالها؛ ولهذا لم يحاول الرسول صلى الله عليه وسلم الاتصال بقيادة الأحزاب من اليهود (كحيي بن أخطب، وكنانة بن الربيع) أو قادة قريش كأبي سفيان بن حرب، لأن هدف أولئك الرئيسي، لم يكن المال، وإنما كان هدفهم هدفًا سياسيًا وعقائديًا يتوقف تحقيقه والوصول إليه على هدم الكيان الإسلامي من الأساس؛ لذا فقد كان اتصاله (فقط) بقيادة غطفان، الذين (فعلاً) لم يترددوا في قبول العرض الذي عرضه عليهم النبي صلى الله عليه وسلم⁽¹⁾، فقد استجاب القائدان الغطفانيان (عيينة بن حصن، والحارث بن عوف) لطلب النبي صلى الله عليه وسلم وحضرا مع بعض أعوانهما إلى مقر قيادة النبي صلى الله عليه وسلم واجتمعا به وراء الخندق مستخفين دون أن يعلم بهما أحد، وشرع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مفاوضاتهم، وكانت تدور حول عرض تقدم به رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو فيه إلى عقد صلح منفرد بينه وبين غطفان، وأهم البنود التي جاءت في هذه الاتفاقية المقترحة:

- أ- عقد صلح منفرد بين المسلمين وغطفان الموجودة ضمن جيوش الأحزاب.
- ب- توادع غطفان المسلمين وتتوقف عن القيام بأي عمل حربي ضدهم (وخاصة في هذه الفترة).
- ج- تفك غطفان الحصار عن المدينة وتنسحب بجيوشها عائدة إلى بلادها.

(1) انظر: غزوة الأحزاب، محمد أحمد باشميل، ص201.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

د- يدفع المسلمون لغطفان (مقابل ذلك) ثلث ثمار المدينة كلها من مختلف الأنواع،
ويظهر أن ذلك لسنة واحدة⁽¹⁾، فقد ذكر الواقدي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لقائدي غطفان: «أرأيت إن جعلت لكم ثلث تمر المدينة ترجعان بمن معكم وتخذلان بين
الأعراب؟» قالوا: تعطينا نصف تمر المدينة، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
يزيدهما على الثلث، فرفضاً بذلك، وجاء في عشرة من قومهما حين تقارب الأمر⁽²⁾.

ويعني قبول قائدي غطفان ما عرضه عليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوجهة
العسكرية، وضوح الهدف الذي خرجت غطفان من أجله، وهو الوقود الذي يشعل نفوس هؤلاء
ويحركها في جبهة القتال، ولا شك في أن اختفاء هذا الدافع يعني أن المحارب فقد ثلثي قدرته
على القتال، وبذلك تضعف عنده الروح المعنوية التي تدفعه إلى الاستبسال في مواجهة خصمه؛
وبذلك استطاع صلى الله عليه وسلم أن يفتت ويضعف من قوة جبهة الأحزاب⁽³⁾.

فقد أبرز صلى الله عليه وسلم في هذه المفاوضات جانباً من جوانب منهج النبوة في التحرك
لفك الأزمات عند استحكامها وتأزمها، لتكون لأجيال المجتمع المسلم درساً تربوياً من دروس
التربية المنهجية عند اشتداد البلاء⁽⁴⁾، وقبل عقد الصلح مع غطفان شاور رسول الله صلى الله
عليه وسلم الصحابة في هذا الأمر، فكان رأيهم في عدم إعطاء غطفان شيئاً من ثمار المدينة وقال
السعدان -سعد بن معاذ، وسعد بن عباد-: يا رسول الله أمراً تحبه، فنصنعه، أم شيئاً أمرك الله به
لا بد لنا من العمل به، أم شيئاً تصنعه لنا؟ فقال: «بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا
لأنني رأيت العرب رمتكم عن قوس واحدة، وكالبوكم من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم من
شوكتهم إلى أمر ما» فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله قد كنا وهؤلاء على الشرك بالله وعبادة
الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة واحدة إلا قرى أو بيعاً، أفحين

(1) المصدر نفسه ص 201، 202.

(2) انظر: المغازي للواقدي (477/2).

(3) انظر: القيادة العسكرية في عهد الرسول، ص 413.

(4) انظر: محمد رسول الله، صادق عرجون (176/4).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه، نعطيهم أموالنا؟ ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف، حتى يحكم الله بيننا وبينهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أنت وذاك».

فتناول سعد بن معاذ الصحيفة، فمحا ما فيها من الكتاب، ثم قال: ليجهدوا علينا⁽¹⁾. كان رد زعيم الأنصار سعد بن معاذ، وسعد بن عباد في غاية الاستسلام لله تعالى والأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم وطاعته، فقد جعلوا أمر المفاوضة مع غطفان ثلاثة أقسام:

الأول: أن يكون هذا الأمر من عند الله تعالى فلا مجال لإبداء الرأي بل لا بد من التسليم والرضا.

والثاني: أن يكون شيئاً يحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم، باعتباره رأيه الخاص، فرأيه مقدم وله الطاعة في ذلك.

الثالث: أن يكون شيئاً عمله الرسول صلى الله عليه وسلم لمصلحة المسلمين من باب الإرفاق بهم، فهذا هو الذي يكون مجالاً للرأي.

ولما تبين للسعدين من جواب الرسول صلى الله عليه وسلم أنه أراد القسم الثالث، أجاب سعد بن معاذ بجواب قوي كبت به زعيم غطفان حيث بين أن الأنصار لم يذلوا لأولئك المعتدين في الجاهلية، فكيف وقد أعزهم الله تعالى بالإسلام، وقد أعجب النبي صلى الله عليه وسلم بجواب سعد، وتبين له منه ارتفاع معنوية الأنصار واحتفاظهم بالروح المعنوية العالية، فالغى بذلك ما بدأ به من الصلح مع غطفان⁽²⁾.

وفي قوله صلى الله عليه وسلم: «إني قد علمت أن العرب قد رمتكم عن قوس واحدة»⁽³⁾ دليل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستهدف من عمله ألا يجتمع الأعداء عليه صفًا واحدًا، وهذا يرشد المسلمين إلى عدة أمور منها:

(1) انظر: البداية والنهاية (106/4).
(1) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (125/6).
(2) انظر: البداية والنهاية (106/4).

* أن يحاول المسلمون التفتيش عن ثغرات القوى المعادية.

* أن يكون الهدف الإستراتيجي للقيادة المسلمة تحييد من تستطيع تحييده، ولا تنسى القيادة الفتوى والشورى والمصلحة الآنية والمستقبلية للإسلام⁽¹⁾.

وفي استشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم للصحابة يبين لنا أسلوبه في القيادة، وحرصه على فرض الشورى في كل أمر عسكري يتصل بالجماعة، فالأمر شورى ولا ينفرد به فرد حتى ولو كان هذا الفرد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما دام الأمر في دائرة الاجتهاد ولم ينزل به وحي⁽²⁾. إن قبول الرسول صلى الله عليه وسلم رأي الصحابة في رفض هذا الصلح يدل على أن القائد الناجح هو الذي يربط بينه وبين جنده رباط الثقة، حيث يعرف قدرهم ويدركون قدره، ويحترم رأيهم ويحترمون رأيه، ومصالحة النبي صلى الله عليه وسلم مع قاندي غطفان تعد من باب السياسة الشرعية التي تراعي فيها المصالح والمفاسد حسب ما تراه القيادة الرشيدة للأمة⁽³⁾.

إن موقف الصحابة من هذا الصلح يحمل في طياته ثلاثة معان:

أ- أنه يؤكد شجاعة المسلمين الأدبية في إبداء الرأي، والمشورة في أي أمر يخص الجماعة، إذا دعت الحاجة إلى ذلك.

ب- أنه يكشف عن جوهر المسلمين وعن حقيقة اتصالهم بالله ورسوله وبالإسلام.

ج- أنه يبين ما تمتلئ به الروح المعنوية لدى المسلمين من قدرة على مواجهة المواقف الحرجة بالصبر، والرغبة القوية في قهر العدو، مهما كثر عدده وعتاده أو تعدد حلفاؤه⁽⁴⁾.

2- اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم ببث الخذلان في صفوف الأعداء:

(3) انظر: الأساس في السنة (687/2).

(2) انظر: العبقريّة العسكرية في غزوات الرسول، ص414.

(3) انظر: القيادة العسكرية في عهد الرسول، ص414.

(4) المصدر نفسه، ص 415، 416.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

استخدام النبي صلى الله عليه وسلم سلاح التشكيك والدعاية لتمزيق ما بين الأحزاب من ثقة وتضامن، فلقد كان يعلم صلى الله عليه وسلم أن هناك تصدعاً خفياً بين صفوف الأحزاب، فاجتهد أن يبرزه ويوسع شقته ويستغله في جانبه، فقد سبق أن أطمع غطفان ففكك عزمها، والآن ساق المولى عز وجل نعيم بن مسعود الغطفاني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعلن إسلامه، وقال له: يا رسول الله، إن قومي لم يعلموا بإسلامي فمرني بما شئت، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة»⁽¹⁾.

فقام نعيم بزرع الشك بين الأطراف المتحالفة بأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأغرى اليهود بطلب رهائن من قريش لئلا تدعهم وتنصرف عن الحصار، وقال لقريش بأن اليهود إنما تطلب الرهائن لتسليمها للمسلمين ثمناً لعودتها إلى صلحهم، لقد اشتهرت قصة نعيم بن مسعود في أنها لا تتنافى مع قواعد السياسة الشرعية، فالحرب خدعة⁽²⁾.

وقد نجحت دعاية نعيم بن مسعود أيما نجاح، فغرست روح التشكيك، وعدم الثقة بين قادة الأحزاب؛ مما أدى إلى كسر شوكتهم، وتهبيط عزمهم.

وكان من أسباب نجاح مهمة نعيم قيامها على الأسس التالية:

- أ- أنه أخفى إسلامه عن كل الأطراف، بحيث وثق كل طرف فيما قدمه له من نصح.
- ب- أنه ذكر بني قريظة بمصير بني قينقاع وبني النضير، وبصرهم بالمستقبل الذي ينتظرهم إن هم استمروا في حروبهم للرسول صلى الله عليه وسلم، فكان هذا الأساس سبباً في تغيير أفكارهم وقلب مخططاتهم العدوانية.
- ج- أنه نجح في إقناع كل الأطراف بأن يكتم كل طرف ما قال له، وفي استمرار هذا الكتمان نجاح في مهمته، فلو انكشف أمره لدى أي طرف من الأطراف لفشلت مهمته. وهكذا قام

(1) انظر: البداية والنهاية (113/4).

(2) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (430/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

نعيم بن مسعود بدور عظيم في غزوة الأحزاب⁽¹⁾.

* * *

(1) انظر: القيادة العسكرية في عهد الرسول، ص 477.
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

المبحث الثالث

مجيء نصر الله والوصف القرآني لغزوة الأحزاب

أولاً: شدة تضرع الرسول صلى الله عليه وسلم ونزول النصر:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير التضرع والدعاء والاستعانة بالله، وخصوصاً في مغازيه، وعندما اشتد الكرب على المسلمين أكثر مما سبق حتى بلغت القلوب الحناجر وزلزلوا زلزالاً شديداً، فما كان من المسلمين إلا أن توجهوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وقالوا: يا رسول الله هل من شيء نقوله؟ فقد بلغت القلوب الحناجر، فقال: نعم. اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا (1). وجاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن أبي أوفى قال: دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأحزاب فقال: اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم (2)، فاستجاب الله سبحانه دعاء نبيه صلى الله عليه وسلم، فأقبلت بشائر الفرج فقد صرفهم الله بحوله وقوته، وزلزل أبدانهم وقلوبهم، وشتت جمعهم بالخلاف، ثم أرسل عليهم الريح الباردة الشديدة، وألقى الرعب في قلوبهم، وأنزل جنوداً من عنده سبحانه، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا) [الأحزاب: 9].

قال القرطبي -رحمه الله-: وكانت هذه الريح معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين كانوا قريباً منهم، ولم يكن بينهم إلا عرض الخندق، وكانوا في عافية منها ولا خبر عندهم بها... وبعث الله عليهم الملائكة فقلعت الأوتاد وقطعت أطناب الفساطيط (3)، وأطفأت النيران، وأكفأت القدور، وجالت الخيول بعضها في بعض، وأرسل عليهم الرعب، وكثر تكبير الملائكة في جوانب المعسكر حتى كان سيد كل خباء يقول: يا بني فلان هلم

(1) مسند الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري (18/4).

(2) البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الأحزاب (59/5) رقم 4114.

(3) الفساطيط: جمع فسطاط نوع من الأبنية في السفر وهو دون السرادق.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

إليَّ فإذا اجتمعوا قال لهم: النجاء النجاء، لما بعث الله عليهم الرعب⁽¹⁾.

وحرص الرسول عليه الصلاة والسلام أن يؤكد لصاحبه ثم للمسلمين في الأرض، أن هذه الأحزاب التي تجاوزت عشرة آلاف مقاتل لم تهزم بالقتال من المسلمين، رغم تضحياتهم، ولم تهزم بعقرية المواجهة، إنما هزمت بالله وحده: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا) [الأحزاب: 9]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «لا إله إلا الله وحده، أعز جنده، ونصر عبده، وغلب الأحزاب وحده، فلا شيء بعده»⁽²⁾.

ودعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه، واعتماده عليه وحده، لا يتناقض أبداً مع التماس الأسباب البشرية للنصر، فقد تعامل صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة مع سنة الأخذ بالأسباب، فبذل جهده لتفريق الأحزاب، وفك الحصار، وغير ذلك من الأمور التي ذكرناها⁽³⁾.

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا سنة الأخذ بالأسباب، وضرورة الالتجاء إلى الله وإخلاص العبودية له؛ لأنه لا تجدي وسائل القوة كلها إذا لم تتوافر وسيلة التضرع إلى الله والإكثار من الإقبال عليه بالدعاء والاستغاثة، فقد كان الدعاء والتضرع إلى الله من الأعمال المتكررة الدائمة التي فزع إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته كلها⁽⁴⁾.

ثانياً: تحري انصراف الأحزاب:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتابع أمر الأحزاب، وأحب أن يتحرى عما حدث عن قرب فقال: ألا رجل يأتينا بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة⁽⁵⁾. فاستعمل صلى الله عليه وسلم أسلوب الترغيب، وكرره ثلاث مرات، وعندما لم يُجد هذا الأسلوب لجأ إلى أسلوب الجزم والحزم

(1) انظر: تفسير القرطبي (144/4).

(2) البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق (5-59) رقم 4114.

(3) انظر: فقه السيرة النبوية للغضبان، ص503.

(4) انظر: فقه السيرة للبطي، ص222.

(5) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب (1414/3) رقم 1788.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

في الأمر، فعين واحدًا بنفسه فقال: «قم يا حذيفة فانتنا بخبر القوم، ولا تدعهم علي» (1).

وفي هذا معنى تربوي وهو أن القيادة الناجحة هي التي توجه جنودها إلى أهدافها عن طريق الترغيب والتشجيع، ولا تلجأ إلى الأمر والحزم إلا عند الضرورة.

قال حذيفة رضي الله عنه: فمضيت كأنما أمشي في حمام، فإذا أبو سفيان يصلي ظهره بالنار، فوضعت سهمًا في كبد القوس، وأردت أن أرميه ثم ذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تدعهم علي، ولو رميته لأصيبته فرجعت كأنما أمشي في حمام، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصابني البرد حين رجعت وقررت، فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم وألبسني فضل عبادة كانت عليه يصلي فيها، فلم أبرح نائمًا حتى أصبح فلما أن أصبحت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قم يا نومان» (2).

ويؤخذ من قصة حذيفة دروس وعبر منها:

1- معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعادن الرجال، حيث اختار حذيفة ليقوم بمهمة التجسس على الأحزاب، وأن معدن حذيفة معدن ثمين فهو شجاع، ولا يقوم بهذه الأعمال إلا من كان ذا شجاعة نادرة، وهو بالإضافة إلى ذلك لبق ذكي خفيف الحركة، سريع التخلص من المأزق الحرجة.

2- الانضباط العسكري الذي يتحلى به حذيفة: لقد مرت فرصة سانحة يقتل فيها قائد الأحزاب وهم بذلك، ولكنه ذكر أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ألا يذعروهم، وأن مهمته الإتيان بخبرهم، فنزع سهمه من قوسه (3).

3- كرامات الأولياء: إن ما حدث لحذيفة بن اليمان عندما سار لمعرفة خبر الأحزاب في جو بارد ماطر شديد الريح، وإذا به لا يشعر بهذا الجو البارد، ويمشي وكأنما يمشي في حمام،

(1) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب رقم 1788.

(2) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب، (1414/3) رقم 1788.

(3) انظر: فقه السيرة النبوية للغضبان، ص 505، السيرة النبوية لأبي فارس، ص 367.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وتلازمه هذه الحالة مدة بقائه بين الأحزاب وحتى عاد إلى معسكر المسلمين؛ لا شك هذه كرامة يمن الله بها على عباده المؤمنين⁽¹⁾.

4- لطف النبي صلى الله عليه وسلم مع حذيفة عند رجوعه، فقد كان صلى الله عليه وسلم يترفق بأصحابه، ولم تمنعه صلاة الليل وحلاوة المناجاة من التلطف بحذيفة الذي جاء بأحسن الأنباء وأصدق الأخبار وأهمها، فشملة بكسانه الذي يصلي فيه، ليدفنه، وتركه ملفوفاً به حتى أتم صلاته، بل حتى بعد أن أفضى إليه بالمهمة، فلما وجبت المكتوبة أيقظه بلطف وخفة ودعابة قانلاً: «قم يا نومان»، دعابة تقطر حلاوة، وتفيض بالحنان، وتسيل رقة، إنها صورة نموذجية للرافة والرحمة اللتين تحلى بهما فؤاد الرسول صلى الله عليه وسلم، وتطبيق فريد رفيع لهما في أصحابه الكرام⁽²⁾، وصدق الله العظيم في قوله: (بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) [التوبة: 128].

5- وتستوقفنا سرعة البديهة لدى الصحابي الكريم، وقد دخل في القوم، كما في رواية الزرقاني، وقال أبو سفيان: ليأخذ كل رجل منكم بيد جليسه، قال حذيفة: فضربت بيدي على يد الذي على يميني فقلت: من أنت؟ قال: معاوية بن أبي سفيان، ثم ضربت بيدي على يد الذي عن شمالي، فقلت: من أنت؟ قال: عمرو بن العاص⁽³⁾. وهكذا بدرهم بالمسألة حتى لا يتيح لهم فرصة ليسألوه، وبهذا تخلص من هذا المأزق الحرج الذي ربما كان أودى بحياته⁽⁴⁾.

ثالثاً: الوصف القرآني لغزوة الأحزاب ونتائجها:

تحدث القرآن الكريم عن غزوة الأحزاب ورد الأمر كله لله سبحانه، وقد سجل القرآن الكريم غزوتي الأحزاب وقريظة، والقرآن كعهدنا به يسجل الخالدات التي تسع الزمان والمكان، فالمسلمون معرضون دائماً لأن يغزوا في عقر دارهم وفي عواصم بلدانهم، ومعرضون لأن يتكالب عليهم الأعداء جميعاً، فأن يسجل القرآن حادثتي الأحزاب وقريظة فذلك من سمة التكرار

(1) انظر: السيرة النبوية لأبي فارس، ص 367.

(2) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص 246.

(3) انظر: شرح الزرقاني (120/2). (5) انظر: من معين السيرة، ص 293.

على مدى العصور⁽¹⁾؛ لكي يستفيد المسلمون من الدروس والعبر من الحوادث السابقة التي ذكرت في القرآن الكريم على وجه الخصوص. والذي يتدبر حديث القرآن عن غزوة الأحزاب يراه قد اهتم ببيان أمور من أهمها ما يلي:

1- تذكير المؤمنين بنعم الله عليهم، كما قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (الأحزاب: 9)).

2- التصوير البديع لما أصاب المسلمين من هم بسبب إحاطة الأحزاب بالمدينة: (إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا) (الأحزاب: 10).

3- الكشف عن نوايا المنافقين السيئة، وأخلاقهم الذميمة، وجبنهم الخالغ، ومعاذيرهم الباطلة، ونقضهم للعهود، قال تعالى: (وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا) (الأحزاب: 12).

4- حض المؤمنين في كل زمان ومكان على التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله، وجهاده وكل أحواله استجابة لقوله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) (الأحزاب: 21).

5- مدح المؤمنين على مواقفهم النبيلة وهم يواجهون جيوش الأحزاب بإيمان صادق ووفاء بعهد الله تعالى، قال تعالى: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) (الأحزاب: 23).

6- بيان سنة من سنن الله التي لا تتخلف، وهي جعل العاقبة للمؤمنين والهزيمة لأعدائهم، قال تعالى: (وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ

(1) انظر: الأساس في السنة (662/2)

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

الله قوياً عزيزاً ([الأحزاب: 25].

7- امتنانه سبحانه على عباده المؤمنين حيث نصرهم على بني قريظة، وهم في حصونهم المنيعه بدون قتال يذكر، حيث ألقى سبحانه الرعب في قلوبهم فنزلوا على حكم الله ورسوله⁽¹⁾، قال تعالى: (وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا □ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّوها وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا) [الأحزاب: 26، 27].

لقد كانت غزوة الأحزاب من الغزوات الهامة التي خاضها المسلمون ضد أعدائهم وحققوا فيها نتائج مهمة منها:

* انتصار المسلمين، وانهزام أعدائهم، وتفرقهم، ورجوعهم مدحورين بغیظهم قد خابت آمانيهم وآمالهم.

* تغير الموقف لصالح المسلمين، فانقلبوا من موقف الدفاع إلى الهجوم، وقد أشار إلى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: «الآن نغزوهم، ولا يغلزوننا، نحن نسير إليهم»⁽²⁾.

* كشفت هذه الغزوة يهود بني قريظة وحقدهم على المسلمين وتربص الدوائر بهم، فقد نقضوا عهدهم مع النبي صلى الله عليه وسلم في أحلك الظروف وأصعبها.

* كشفت غزوة الأحزاب حقيقة صدق إيمان المسلمين وحقيقة المنافقين وحقيقة يهود بني قريظة، فكان الابتلاء بغزوة الأحزاب تمحيصاً للمسلمين وإظهار حقيقة المنافقين واليهود.

* كانت غزوة بني قريظة نتيجة من نتائج غزوة الأحزاب، حيث تم فيها محاسبة يهود بني قريظة الذين نقضوا العهد مع النبي صلى الله عليه وسلم في أحلك الظروف وأقساها⁽³⁾.

(1) انظر: حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول (490/2، 491).

(2) البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق، (58/5) رقم 4110.

(3) انظر: حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول (442/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

رابعاً: التخلص من بني قريظة:

بعد عودة النبي من الخندق ووضعه السلاح أمر الله تعالى نبيه بقتال بني قريظة، فأمر الحبيب **صلى الله عليه وسلم** أصحابه بالتوجه إليهم، وقد أعلمهم بأن الله تعالى قد أرسل جبريل ليزلزل حصونهم ويقذف في قلوبهم الرعب وأوصاهم بأن: **«لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة»**⁽¹⁾. وضرب المسلمون الحصار على بني قريظة خمساً وعشرين ليلة⁽²⁾، ولما اشتد الحصار وعظم البلاء على بني قريظة، أرادوا الاستسلام والنزول على أن يحكم الرسول **صلى الله عليه وسلم** فيهم سعد بن معاذ رضي الله عنه ونزلوا على حكمه، ورأوا أنه سيرأف بهم بسبب الحلف بينهم وبين قومه الأوس، فجاء بسعد محمولاً؛ لأنه كان قد أصابه سهم في ذراعه يوم الخندق، فقضى أن تقتل المقاتلة، وأن تُسبى النساء والذرية، وأن تُقسم أموالهم، فأقره رسول الله **صلى الله عليه وسلم**، وقال: **«قضيت بحكم الله»**⁽³⁾ ونفذ حكم الإعدام في أربعمئة في سوق المدينة، حيث حفرت أخاديد وقتلوا فيها بشكل مجموعات، وقد نجا مجموعة قليلة جداً بسبب وفائها للعهد ودخولها في الإسلام، وقسمت أموالهم وذرايرهم على المسلمين. وهذا جزاء عادل نزل بمن أراد الغدر وتبرأ من حلفه للمسلمين، وكان جزاؤهم من جنس عملهم، حين عرضوا بخيانتهم أرواح المسلمين للقتل، وأموالهم للنهب، ونساءهم وذرايرهم للسبي، فكان أن عوقبوا بذلك جزاء وفاقاً⁽⁴⁾.

ولم تقتل من نساء بني قريظة إلا واحدة، ونترك السيدة عائشة -رضي الله عنها- تحدثنا عنها، قالت السيدة عائشة: لم يقتل من نساءهم إلا امرأة واحدة قالت: والله إنها لعندي تتحدث معي تضحك ظهراً وبطناً⁽⁵⁾، ورسول الله **صلى الله عليه وسلم** يقتل رجالهم بالسوق إذ هتف هاتف باسمها: أين فلانة؟ قالت: أنا والله، قالت: قلت: ويلك وما لك؟ قالت: أقتل، قلت: ولم؟ قالت: حدثنا

(1) البخاري، كتاب المغازي، باب مرجع النبي **صلى الله عليه وسلم** من الأحزاب (60/5) رقم 4119.

(2) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 373.

(3) البخاري، كتاب المغازي، باب مرجع رسول الله من الأحزاب (61/5) رقم 4121.

(4) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (315/1-317).

(5) ظهراً وبطناً: لا يبدو على ملامحها أثر الحزن.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

أحدثته⁽¹⁾ قالت: فانطلق بها فضربت عنقها، وكانت عائشة رضي الله عنها تقول: والله ما أنسى عجبى من طيب نفسها، وكثرة ضحكها، وقد عرفت أنها تقتل⁽²⁾.

بالقضاء على بني قريظة خلت المدينة تماماً من الوجود اليهودي، وصارت خالصة للمسلمين، وخلت الجبهة الداخلية من عنصر خطر، لديه القدرة على المؤامرة والكيد والمكر، واضمحل حلم قريش؛ لأنها كانت تعول، وتؤمل في يهود بأن يكون لهم موقف ضد المسلمين، وابتعد خطر اليهود الذي كان يمد المنافقين بأسباب التحريض والقوة⁽³⁾.

إن حماية الجبهة الداخلية للدولة الإسلامية من العابثين منهج نبوي كريم رسمه الحبيب المصطفى للأمة المسلمة.

* * *

(1) طرحت الرحا على خالد بن سويد فقتلته، فقتلها رسول الله صلى الله عليه وسلم به.

(2) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 377.

(3) انظر: سيرة الرسول، دروزة (76/2) نقلا عن دراسات في عهد النبوة للشجاع، ص 153.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

المبحث الرابع

فوائد ودروس وعبر

أولاً: المعجزات الحسية لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

ظهرت خلال مرحلة حفر الخندق معجزات حسية للنبي صلى الله عليه وسلم، منها تكثير الطعام الذي أعده جابر بن عبد الله، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: إنا يوم الخندق مُحَقَّر⁽¹⁾، فعرضت كدية شديدة، فجاءوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق، فقال: «أنا نازل» ثم قام وبطنه معسوب بحجر، ولبتنا ثلاثة أيام لا ندوق ذواقاً، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم المعول، فضرب في الكدية فعاد كثيباً أهيل⁽²⁾ أو أهيم⁽³⁾.

قال جابر: فقلت: يا رسول الله، انذن لي إلى البيت، فقلت لامرأتي: رأيت بالنبي صلى الله عليه وسلم شيئاً ما كان في ذلك صبر، فعندك شيء؟ فقالت: عندي شعير وعناق⁽⁴⁾، فذبحت العناق، وطحنت الشعير، حتى جعلنا اللحم بالبرمة⁽⁵⁾، ثم جئت النبي صلى الله عليه وسلم والعجين قد انكسر والبرمة بين الأثافي⁽⁶⁾. قد كادت أن تنضج، فقلت: طعيم لي، فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان، قال: «كم هو؟» فذكرت له، فقال «كثير طيب»، قال: قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتي. فقال: «قوموا»، فقام المهاجرون والأنصار، فلما دخل على امرأته قال: ويحك جاء النبي صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين والأنصار ومن معهم، قالت: هل سألوك؟ قلت: نعم، فقال «ادخلوا ولا تضاعطوا»⁽⁷⁾ فجعل يكثر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر البرمة والتنور إذا أخذ منه، ويقرب إلى أصحابه، ثم ينزع فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا وبقي

(1) محقر: اسم فاعل من حَقَّرَ.

(2) أهيل: رملاً سائلاً. انظر: النهاية في غريب الحديث (289/5).

(3) أهيم: الرمل الذي لا يتمالك، انظر: لسان العرب (858/3).

(4) العناق: الأنثى من أولاد الماعز، انظر: النهاية في غريب الحديث (310/3).

(5) البرمة: هي القدر مطلقاً، انظر: النهاية في غريب الحديث (121/1).

(6) الأثافي: الحجارة التي تنصب ويجعل القدر عليها، انظر: القاموس المحيط (120/3).

(7) ولا تضاعطوا: أي لا تزعجوا. انظر: لسان العرب (537/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

بقية، قال: «كلي هذا وأهدي فإن الناس أصابتهم مجاعة»⁽¹⁾.

وهذه ابنة بشير بن سعد تقول: دعنتي أمي عمرة بنت رواحة فأعطتني حفنة من تمر في ثوبي، ثم قالت: أي بنية، اذهبي إلى أبيك وخالك عبد الله بن رواحة بغدائهما، قالت: فأخذتها فانطلقت بها، فمررت برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألتمس أبي وخالي، فقال: تعالي يا بنية ما هذا معك؟ فقلت: يا رسول الله، هذا تمر بعثتني به أمي إلى أبي بشير بن سعد، وخالي عبد الله بن رواحة يتغذيانه، قال: هاتيه، قالت: فصبته في كفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ملأتهما، ثم أمر بثوب فبسط له ثم دعا بالتمر عليه فتبدد فوق الثوب، ثم قال لإنسان عنده: اصرخ في أهل الخندق أن هلم إلى الغذاء، فاجتمع أهل الخندق عليه فجعلوا يأكلون منه، وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه، وإنه ليسقط من أطراف الثوب⁽²⁾.

ففي هذين الخبرين معجزات حسية ظاهرة للرسول صلى الله عليه وسلم، كما يظهر دور المرأة المسلمة في مشاركة المسلمين في جهادهم، فعندما اشتغل المسلمون بحفر الخندق تركوا أعمالهم، وبعدت عنهم أرزاقهم، وقل عنهم القوت، وأصاب الناس جوع وحرمان حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه يشدون على بطونهم الحجارة من شدة الجوع، فكانت المرأة المسلمة تعين المسلمين بإعداد ما قدرت عليه من الطعام⁽³⁾.

ومن دلائل النبوة أثناء حفر الخندق إخباره صلى الله عليه وسلم عمار بن ياسر- وهو يحفر معهم الخندق- بأن ستقتله الفئة الباغية، فقتل في صفين وكان في جيش علي⁽⁴⁾، وعندما اعترضت صخرة الصحابة وهم يحفرون، ضربها الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاث ضربات فتفتتت قال إثر الضربة الأولى: «الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام، والله إنني لأبصر قصورها الحمراء الساعة»، ثم ضربها الثانية فقال: «الله أكبر، أعطيت مفاتيح فارس، والله إنني لأبصر

(1) البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق (55/5) رقم 4101.
(2) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (241/3). (2) انظر: المرأة في العهد النبوي، ص 175.

(4) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 448.
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

قصر المدائن أبيض»، ثم ضرب الثالثة، وقال: «الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذه الساعة»⁽¹⁾. وقد تحققت هذه البشارة التي أخبرت عن اتساع الفتوحات الإسلامية والإخبار عنها في وقت كان المسلمون فيه محصورين في المدينة يواجهون المشاق والخوف والجوع والبرد القارس⁽²⁾.

ثانياً: بين التصور والواقع:

قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان: يا أبا عبد الله، أرايتم رسول الله وصحبتموه؟ قال: نعم، يا ابن أخي، قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنا نجهد، قال: فقال: والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض، ولحملناه على أعناقنا، فقال حذيفة: يا ابن أخي، والله لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، بالخندق⁽³⁾، ثم ذكر حديث تكليفه بمهمة الذهاب إلى معسكر المشركين.

هذا تابعي يلتقي بالصحابي حذيفة ويتخيل أنه لو وجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لاستطاع أن يفعل ما لم يفعله الصحابة الكرام، والخيال شيء والواقع شيء آخر، والصحابة رضي الله عنهم بشر، لهم طاقات البشر، وقدراتهم، وقد قدموا كل من يستطيعون، فلم يبخلوا بالأنفس فضلاً عن المال والجهد، وقد وضع صلى الله عليه وسلم الأمور في نصابها بقوله: «خير القرون قرني» فبين أن عملهم لا يعدله عمل.

إن الذين جاءوا من بعد، فوجدوا سلطان الإسلام ممتدّاً، وعاشوا في ظل الأمن والرخاء والعدل، بعيدين عن الفتنة والابتلاء، هم بحاجة إلى نقلة بعيدة يستشعرون من خلالها أجواء الماضي بكل ما فيه من جهالات وضلالات وكفر، وبعد ذلك يمكنهم تقدير الجهد المبذول من

(5) انظر: نضرة النعيم (325/1).

(1) المصدر نفسه، ص449.

(3) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (255/3)

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

الصحابة حتى قام الإسلام في الأرض⁽¹⁾.

ثالثاً: سلمان منا أهل البيت⁽²⁾:

قال المهاجرون يوم الخندق: سلمان منا، وقالت الأنصار: سلمان منا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سلمان منا أهل البيت⁽³⁾، وهذا الوسام النبوي الخالد لسلمان يشعر بأن سلمان من المهاجرين؛ لأن أهل البيت من المهاجرين⁽⁴⁾.

رابعاً: الصلاة الوسطى:

قال صلى الله عليه وسلم: «ملأ الله عليهم بيوتهم وقبورهم ناراً، كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس»⁽⁵⁾.

وقد استدل طائفة من العلماء بهذا الحديث على كون الصلاة الوسطى هي صلاة العصر، كما هو منصوص عليه، وألزم القاضي الماوردي مذهب الشافعي بهذا لصحة الحديث، وقد استدل طائفة من العلماء بهذا الصنيع على جواز تأخير الصلاة لعذر القتال كما هو مذهب مكحول والأوزاعي⁽⁶⁾.

قال الدكتور البوطي: لقد فاتت النبي صلى الله عليه وسلم صلاة العصر كما رأيت في هذه الموقعة، لشدة انشغاله، حتى صلاها قضاء بعدما غربت الشمس. وفي روايات أخرى غير الصحيحين أن الذي فاتته أكثر من صلاة واحدة، صلاها تباعاً بعدما خرج وقتها وفرغ لأدائها، وهذا يدل على مشروعية قضاء الفائتة، ولا ينقض هذه الدلالة ما ذهب إليه البعض من أن تأخير الصلاة لمثل ذلك الانشغال كان جائزاً إذ ذاك ثم نسخ حينما شرعت صلاة الخوف للمسلمين رجالاً

(1) انظر: من معين السيرة للشامي، ص 291.

(2) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (247/3).

(3) المصدر نفسه (247/3) ضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير.

(4) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (108/6).

(5) البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق رقم 4111.

(6) انظر: الأساس في السنة (682/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وركبائاً عند التحام القتال بينهم وبين المشركين، إذ النسخ على فرض صحته ليس وارداً على مشروعية القضاء، وإنما هو وارد على صحة تأخير الصلاة بسبب الانشغال، أي أن نسخ صحة التأخير ليس نسخاً لما كان قد ثبت من مشروعية القضاء أيضاً، بل هي مسكوت عنها، فتبقى على مشروعيتها السابقة⁽¹⁾.

خامساً: الحلال والحرام:

عرضت قريش فداء مقابل جثة عمرو بن ود، فقال صلى الله عليه وسلم: «ادفعوا إليهم جيفته، فإنه خبيث الجيفة، خبيث الدية فلم يقبل منهم شيئاً».

حدث هذا والمسلمون في ضنك من العيش، ومع ذلك فالحلال حلال والحرام حرام، إنها مقاييس الإسلام في الحلال والحرام، فأين هذا من الناس المحسوبين على المسلمين الذين يحاولون إيجاد المبررات لأكل الربا وما شابهه؟⁽²⁾

سادساً: شجاعة صفية عمة الرسول صلى الله عليه وسلم:

كان صلى الله عليه وسلم قد وضع النساء والأطفال في حصن فارع وهو حصن قوي، حماية لهم؛ لأن المسلمين في شغل عن حمايتهم لمواجهة جيوش الأحزاب، فعندما نقض يهود بني قريظة عهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلت يهودياً ليستطلع وضع الحصن الذي فيه نساء المسلمين وأطفالهم، فأبصرته صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت عموداً ونزلت من الحصن فضربتة بالعمود فقتلته، فكان هذا الفعل من صفية رادعاً لليهود من التحرش بهذا الحصن الذي ليس فيه إلا النساء والأطفال، حيث ظنت يهود بني قريظة أنه محمي من قبل الجيش الإسلامي، أو أن فيه على الأقل من يدافع عنه من الرجال⁽³⁾، ففي هذا

(1) انظر: فقه السيرة النبوية، ص223.

(2) انظر: من معين السيرة، ص294.

(3) انظر: الرحيق المختوم، ص283، 284.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

الخبر دليل للمرأة في الدفاع عن نفسها إن لم تجد من يدافع عنها⁽¹⁾.

سابعاً: عدم صحة ما يروى عن جبن حسان رضي الله عنه:

ففي قصة صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتلها لليهودي جاء في رواية سندها ضعيف⁽²⁾ أن صفية -رضي الله عنها- قالت لحسان بن ثابت: إن هذا اليهودي يطيف بالحصن كما ترى، ولا آمنه أن يدل على عورتنا من ورائنا من يهود، وقد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فانزل إليه فاقتله، فقال: يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب، والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا، قالت صفية: فلما قال ذلك، احتجرت عموداً ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلته، ثم رجعت الحصن، فقلت: يا حسان انزل فاستلبه، فإنه لم يمنعني أن استلبه إلا أنه رجل، فقال: ما لي بسلبه من حاجة يا بنت عبد المطلب⁽³⁾.

وهذا الخبر لا يصح لأمر منها:

1- من حيث الإسناد فالخبر ليس مسنداً، وهو ساقط لا يصح ولا يجوز أن يروى، فيساء إلى صحابي من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينافح عن الدعوة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم عمره كله.

2- لو كان حسان بن ثابت رضي الله عنه معروفاً بالجبن الذي ذكر عنه لهجاه أعداؤه ومبغضوه بهذه الخصلة الذميمة، لا سيما الذين كان يهاجيهم، فلم يسلم من هجائه أحد من زعماء الجاهلية، والرسول صلى الله عليه وسلم كان يؤيده ويدعو له، ويشجعه على هجاء زعماء المشركين⁽⁴⁾.

ثامناً: أول مستشفى إسلامي حربي:

(1) انظر: المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة (246/2).

(2) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص365. (4) المصدر نفسه، ص365.

(1) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص365. (2) انظر: غزوة الأحزاب، الدكتور أبو فارس.

أنشأ المسلمون أول مستشفى إسلامي حربي في غزوة الأحزاب، فقد ضرب الرسول صلوات الله وسلامه عليه خيمة في مسجده الشريف في المدينة، عندما دارت رحى غزوة الأحزاب، فأمر **صلى الله عليه وسلم** أن تكون رفيدة الأسلمية الأنصارية رئيسة ذلك المستشفى النبوي الحربي، وبذلك أصبحت أول ممرضة عسكرية في الإسلام⁽¹⁾، وجاء في السيرة النبوية لابن هشام: ... وكان **صلى الله عليه وسلم** قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم، يقال لها رفيدة، في مسجده، كانت تداوي الجرحى، وتحتسب بنفسها على خدمة من به ضيعة من المسلمين، وكان **صلى الله عليه وسلم** قد قال لقومه حين أصاب سعد بن معاذ السهم بالخنق: «اجعلوه في خيمة رفيدة، حتى أعوده من قريب»⁽²⁾.

ويفهم من النص السابق أن من أصيب من المسلمين إن كان له أهل اعتنى به أهله، وإن لم يكن له أهل، جيء به إلى المسجد حيث ضربت خيمة فيه لمن كانت به ضيعة من المسلمين، وسعد بن معاذ الأوسي، ليس به ضيعة، ولكن لما أراد الرسول **صلى الله عليه وسلم** الاطمئنان عليه باستمرار، جعله في تلك الخيمة التي أعدت لمن به ضيعة وليس له أهل، ذلك أن هؤلاء هم في رعاية رسول الله **صلى الله عليه وسلم**، وإلا فلم ضربت الخيمة في المسجد، وكان بالإمكان ضربها في أي مكان آخر؟

إن سعد بن معاذ يكرم لمآثره وما بذله في سبيل الله تعالى، فيكون هذا التكريم أن يجعل في خيمة أعدت لمن به ضيعة، وهكذا حينما يرتفع السادة يجعلون مع المغمورين الذين أخلصوا أعمالهم لله تعالى فاستحقوا أن يكونوا في رعاية رسول الله **صلى الله عليه وسلم**⁽³⁾، وهذا منهج نبوي كريم أصبح دستوراً للمسلمين على مدى الزمن.

تاسعاً: المسلم يقع في الإثم ولكنه يسارع في التوبة:

(1) انظر: المستشفيات الإسلامية، الدكتور عبد الله السعيد، ص43.

(2) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (263/3).

(3) انظر: من معين السيرة، ص294.

(2) انظر: المستفاد من قصص القرآن (286/2).
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

أرسل بنو قريظة إلى أبي لبابة بن عبد المنذر -وكانوا حلفاءه- فاستشاروه في النزول على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأشار إلى حلقه يعني الذبح، ثم ندم فتوجه إلى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فارتبط به حتى تاب الله عليه، وقد ظل مرتبطاً بالجدع في المسجد ست ليالٍ تأتيه امرأته في وقت كل صلاة فتحله للصلاة ثم يعود فيرتبط في الجذع⁽¹⁾، وقد قال أبو لبابة: لا أبرح مكاني هذا حتى يتوب الله عليّ مما صنعت: قالت أم سلمة: فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من السحر وهو يضحك فقلت: مم تضحك يا رسول الله؟ أضحك الله سنك. قال: تيب على أبي لبابة، قالت: قلت: أفلا أبشره يا رسول الله؟ قال: بلى إن شئت، فقامت على باب حجرتها، وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب، فقالت: يا أبا لبابة، أبشر فقد تاب الله عليك قالت: فثار الناس ليطلقوه فقال: لا والله حتى يكون رسول الله هو الذي يطلقني بيده. فلما مر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه⁽²⁾. وذلك في الاعتراف بالذنب والتوبة النصوح، وإن موطن العبرة في هذا الموقف يكمن في تصرف أبي لبابة بعدما وقعت منه هذه الزلة التي أفشى بها سرّاً حربياً خطيراً، فأبو لبابة لم يحاول التكتّم على ما بدر منه والظهور أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين بمظهر الرجل الذي أدى مهمته بنجاح، وأنه لم يحصل منه شيء من المخالفات، وكان بإمكانه أن يخفي هذا الأمر حيث لم يطلع عليه أحد من المسلمين، وأن يستكتم اليهود أمره، ولكنه تذكر رقابة الله عليه وعلمه بما يسر ويعلم، وتذكر حق رسول الله صلى الله عليه وسلم العظيم عليه وهو الذي انتمنه على ذلك السر، ففرغ لهذه الزلة فرعاً عظيماً⁽³⁾، وأقر بذنبه واعترف به وبادر إلى العقوبة الذاتية التلقائية، دون انتظار التحقيق وتوقيع العقوبة الواجبة، إنها صورة تطبيقية لقوله تعالى: (إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) [النساء: 17].

(2) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (262/3).

(3) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (165/6).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

إنها صورة فريدة لتوقيع العقوبة من الإنسان نفسه على نفسه... ولا يفعل ذلك إلا أهل الإيمان، وما ذلك إلا من آثار الإيمان العميق الراسخ، الذي لا يرضى لصاحبه أن يخالطه إثم أو فسوق. وقد فرح الصحابة وفرح النبي صلى الله عليه وسلم نفسه، بتوبة الله على أبي لبابة، وتسابقوا إلى تهنئته حتى كانت أم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم هي التي بادرت بالتهنئة

بعد الإذن فبشرته

بقبول الله توبته⁽¹⁾. وقد أنزل الله تعالى في أبي لبابة قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [الأنفال: 27]. ونزل في توبته قوله تعالى: (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [التوبة: 102]⁽²⁾.

عاشراً: من فضائل سعد بن معاذ رضي الله عنه:

ظهرت لسعد بن معاذ رضي الله عنه في هذه الغزوة فضائل كثيرة تدل على فضله ومنزلته عند الله ورسوله صلى الله عليه وسلم منها:

* استجابة الله تعالى لدعائه عندما قال: (اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحب إليّ أن أجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك صلى الله عليه وسلم وأخرجوه، اللهم فإن بقي من حرب قريش شيء فأبقتني له حتى أجاهدهم فيك)، وقد استجيب دعاؤه فتحجر جرحه، وتمائل للشفاء⁽³⁾ حتى كانت غزوة بني قريظة، وكان سعد قد دعا أيضاً: (ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة⁽⁴⁾)، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم فيهم إليه، فحكم فيهم بالحق ولم تأخذه في الله لومة لائم، وهذا دليل على تجرد قلبه لله تعالى⁽⁵⁾.

(1) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص 261.

(2) انظر: السيرة النبوية لابن هشام، (262/3).

(3) انظر: فقه السيرة للبوطي، ص 228.

(4) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب إخراج اليهود (1389/3) رقم 1769.

(5) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (170/6).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

* ومن إكرام رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله للأنصار عندما جاء سعد للحكم في بني قريظة: «قوموا إلى سيدكم»⁽¹⁾. وهذا تكريم لسعد، وتقدير لشجاعته حيث سماه سيِّداً، وأمر بالقيام له⁽²⁾.

* وعندما نفذ حكم الله في يهود بني قريظة رفع سعد يده يدعو الله ثانية يقول: اللهم فإني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم (يعني قريشاً ومشركين)، فإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فافجرها واجعل موتي فيها⁽³⁾، وقد استجيب دعاؤه فانفجر جرحه تلك الليلة ومات رحمه الله⁽⁴⁾. ومن خلال دعائه الأول والثاني، نلاحظ هذا الدعاء العجيب، دعاء العظماء الذين يعرفون أن رسالتهم في الحياة ليست الاستشهاد فقط، بل متابعة الجهاد إلى اللحظة الأخيرة، فهو المسؤول عن نصرته الإسلام في قومه وأمته⁽⁵⁾.

* ونرى من سيرته أنه لو أقسم على الله لأبره، فهو وجيه في السماوات والأرض، فقد شاعت إرادة المولى تعالى أن يعيد الأمر في بني قريظة كله إليه، وأن يطلب بنو قريظة أن يكون الحكم فيهم لسعد بن معاذ.

* إنه لم يحرص كثيراً على الحياة، بعد انتهاء الجهاد، وانتهاء المسؤولية وتأدية الأمانة المناطة به في قيادة قومه لحرب الأحمر والأسود من الناس، فإذا انتهت الحروب ووضعت بين المسلمين وقريش، وشفى غيظ قلبه في الحكم في بني قريظة، وبدا قطف الثمار للإسلام فلا ثمة أشهى من الشهادة (فافجر جرحي واجعل موتي فيه)⁽⁶⁾. وقد تحققت آماله، فقد أصدر حكمه في بني قريظة وشهد مصرع حلفاء الأمس أعداء اليوم، وها هو جرحه ينفجر⁽⁷⁾. وعندما انفجر

(1) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (263/3).

(2) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص 265.

(3) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (275/3).

(4) انظر: فقه السيرة للبوطي، ص 228.

(2) انظر: التربية القيادية (70/3).

(4) المصدر نفسه (74/4).

(6) انظر: التربية القيادية (71/4).

جرحه نقله قومه فاحتملوه إلى بني عبد الأشهل إلى منازلهم، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل: انطلقوا فخرج وخرج معه الصحابة، وأسرع حتى تقطعت شسوع نعالهم، وسقطت أرديتهم، فقال: إني أخاف أن تسبقنا الملائكة فتغسله كما غسلت حنظلة، فانتهى إلى البيت وهو يغسل، وأمه تبكيه وتقول:

ويل أم سعد سعدًا حزامة وجدًا

فقال: كل نائحة تكذب إلا أم سعد، ثم خرج به، وقال: يقول له القوم: ما حملنا يا رسول الله ميتًا أخف علينا منه قال: «وما يمنعه أن يخف؟ وقد هبط من الملائكة كذا وكذا لم يهبطوا قط قبل يومهم قد حملوه معكم»⁽¹⁾.

وقد جاء في النسائي عن ابن عمر رضي الله عنهما عدد الملائكة الذين شاركوا في تشييع جنازة سعد فقد قال صلى الله عليه وسلم: «هذا العبد الصالح الذي تحرك له العرش، وفتحت أبواب السماء، وشهده سبعون ألفًا من الملائكة، لم ينزلوا إلى الأرض قبل ذلك، لقد ضم ضمة ثم أفرج عنه»⁽²⁾ يعني سعدًا.

وها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم يودع سعدًا كما روى عبد الله بن شداد: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يكيده نفسه فقال: «جزاك الله خيرًا من سيد قوم، فقد أنجزت ما وعدته، ولينجزك الله ما وعدك»⁽³⁾.

* لقد أثنى النبي صلى الله عليه وسلم على هذا العبد الصالح بعد موته كثيرًا أمام الصحابة ليتعرف الناس على أعماله الصالحة فيتأسوا به⁽⁴⁾، فقد قال صلى الله عليه وسلم: «اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ»⁽⁵⁾ وفي حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: أهديت لرسول

(1) انظر: سير أعلام النبلاء (287/1) إسناده حسن.

(2) انظر: سير أعلام النبلاء (295/1) إسناده صحيح، أخرجه النسائي (100/4) في الجنائز.

(3) انظر: سير أعلام النبلاء (288/1) رجاله ثقات. (2) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (171/6).

(4) مسلم، فضائل الصحابة، رقم 2468.

(5) مسلم، فضائل الصحابة رقم 2466.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

الله صلى الله عليه وسلم حلة حرير فجعل أصحابه يلمسونه ويعجبون من لينها، فقال: «أتعجبون من لين هذه؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير منها وألين»⁽¹⁾.

ومع كل هذه المآثر والمحسن والأعمال الجليلة التي قدمها لخدمة دين الله، فقد تعرض لضمة القبر: لما انتهوا إلى قبر سعد رضي الله عنه نزل فيه أربعة: الحارث بن أوس، وأسيد بن الحضير، وأبو نائلة سلكان، وسلمة بن سلامة بن وقش، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف، فلما وضع في قبره، تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبح ثلاثاً، فسبح المسلمون حتى ارتج البقيع ثم كبر ثلاثاً، وكبر المسلمون، فسئل عن ذلك فقال: «تضايق على صاحبكم القبر، وضم ضمة لو نجا منها أحد لنجا هو، ثم فرج الله عنه»⁽²⁾.

إن هذا الصحابي الجليل قد استشهد وهو في ريعان شبابه، فقد كان في السابعة والثلاثين من عمره، يوم وافته منيته، وهذا يعني أنه قاد قومه إلى الإسلام وهو في الثلاثين من عمره، فقد كانت هذه السيادة في العشرينيات من عمره، وقبل أن يكون على مشارف الثلاثين، وإنما تنفجر الطاقات الكامنة والموهب بعد سن الأربعين التي هي غاية الرشد قال تعالى: (وَصَيَّنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي دُرِّيَّتِي إِنَّيْ تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) [الأحقاف: 15]. فأي طراز هذا الذي حفل تاريخه بهذه المآثر، واستبشر أهل السماوات بقدومه، واهتز عرش الرحمن فرحاً لوفاته، من دون خلق الله أجمعين⁽³⁾. كان سعد بن معاذ، رجلاً أبيض، طوالاً، جميلاً، حسن الوجه، أعين، حسن اللحية⁽⁴⁾، رحمة الله عليه ورضي عنه، وأعلى ذكره في المصلحين.

حادي عشر: مقتل حيي بن أخطب وكعب بن أسد:

(2) انظر: التربية القيادية (77/4)، نقلا عن مسند الإمام أحمد (141/6).
(3) انظر: القيادة الربانية (78/4).
(6) انظر: سير النبلاء (290/1).

1- مقتل حيي بن أخطب النضري:

روى عبد الرزاق في مصنفه بالسند إلى سعيد بن المسيب، فذكر بعض خبر الأحزاب وقريظة إلى أن قال: فلما فض الله جموع الأحزاب انطلق -يعني حيي- حتى إذا كان بالروحاء ذكر العهد والميثاق الذي أعطاهم، فرجع حتى دخل معهم، فلما أقبلت بنو قريظة أتى به مكتوفاً بعد، فقال حيي للنبي صلى الله عليه وسلم: أما والله ما لمت نفسي في عداوتك، ولكنه من يخذل الله يُخذل، فأمر به النبي صلى الله عليه وسلم فضربت عنقه⁽¹⁾. ثم أنه أقبل على الناس قبل تنفيذ حكم الإعدام وقال لهم: أيها الناس، إنه لا بأس بأمر الله، كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بني إسرائيل، ثم جلس فضربت عنقه⁽²⁾.

وفي مقتل حيي بن أخطب دروس وعبر منها:

أ- لا يحق المكر السيئ إلا بأهله: فقد ألّب القبائل العربية واليهودية على محاربة الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم، وأقنع بني قريظة بضرورة نقض العهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم وطعنه من الخلف، فجعل الله كيده في نحره وكتبه، وفي النهاية قادت محاولات إلى حتفه. إن الله لا يهمل الظالمين، ولكن يمهلهم ويستدرجهم حتى إذا أخذهم أخذهم عزيز مقتدر، فكان أخذه أليماً شديداً

قال صلى الله عليه وسلم: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»⁽³⁾ ثم تلا قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ) [هود: 102].

ب- التجلد في مواطن الشدة: لقد تجلد حيي وتقدم لتضرب عنقه حتى لا يشمت فيه شامت، وهو يعرف أنه على باطل، ظالم لنفسه، قد أوردها موارد الهلاك، ومع هذا يموت على ذلك، والعزة بالإثم تأخذه إلى جهنم وبنس المصير؛ لأنه يعبد هواه، ولا يعبد ربه، قال تعالى: (أفرأيت)

(1) انظر: مصنف عبد الرزاق (371/5) رقم 9727.

(2) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (265/3).

(3) انظر: الصراع مع اليهود لأبي فارس (112/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ([الجاثية: 23].

ج- من يخذل الله يخذل: إن الله تعالى إذا خذل أحداً ليس له نصير يمنعه أو يدفع عنه، قال سبحانه: (إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) [آل عمران: 160].

كما أن عداوة حيي للرسول صلى الله عليه وسلم باعثها الحسد والحقد؛ ولذلك عبر حيي صراحة أن الله لم يكن معه يوماً من الأيام، بل كان حيي في شق الشيطان عدواً لأوليائه الرحمن، يشاقق الله، فالله خاذله ومُسْلِمُه لكل ما يؤذيه ويتعبه، ولا توجد قوة في الأرض ولا في السماء تنصره وتحول بينه وبين الهزيمة؛ لأن إرادة الله هي النافذة، وقدره هو الكائن، لا راداً لقضائه، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء⁽¹⁾. قال تعالى: (وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بَخِيرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [الأنعام: 17].

2- مقتل كعب بن أسد القرظي:

وجيء برئيس بني قريظة كعب بن أسد، وقبل أن يضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنقه جرى بينه وبين كعب الحوار التالي: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كعب بن أسد؟». قال كعب بن أسد: نعم يا أبا القاسم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما انتفعتم بنصح ابن خراش لكم، وكان مصدقاً بي، أما أمركم باتباعي، وإن رأيتموني تفرقوني منه السلام؟». قال كعب: بلى والتوراة يا أبا القاسم، ولولا أن تعيرني يهود بالجزع من السيف لاتبعتك، ولكني على دين يهود. فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب عنقه فضربت⁽²⁾. ومما ترويه كتب السيرة النبوية عن يهود بني قريظة أنهم كانوا يرسلون طائفة تلو طائفة

(1) انظر: الصراع مع اليهود (113/2، 114). (2) انظر: اليهود في السنة المطهرة (368/1).

لتضرب أعناقهم، وقد سألوا زعيمهم كعب بن أسد فقالوا: يا كعب ما تراه يصنع بنا؟ قال: أفي كل موطن لا تعقلون؟ ألا ترون الداعي لا ينزع، وأنه من ذهب به منكم لا يرجع؟ هو والله القتل⁽¹⁾.

ونلاحظ خبر مقتل كعب بن أسد، أنه كان متعصباً ليهوديته وهو يعلم بطلانها، وأنه على علم بصدق رسالة رسولنا صلى الله عليه وسلم ولكنه لم يؤمن ولم يدخل الإسلام خوفاً من أن تعيره يهود بأنه جزع من السيف، فعدم إيمانه وبقاؤه على الكفر كان نتيجة ريائه، وحبه للثناء وخوفه من ذمه وتعييره، وهذا دليل على السفه والحمق وخذلان الله لهذا اليهودي المخادع⁽²⁾.

ثاني عشر: شفاعة ثابت بن قيس في الزبير بن باطا، وسلمى بنت قيس في رفاعة بن سموال:

1- شفاعة ثابت بن قيس في الزبير بن باطا:

أقبل ثابت بن قيس بن شماس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: هب لي الزبير اليهودي أجزه، فقد كانت له عندي يد يوم بعثت، فأعطاه إياه، فأقبل ثابت حتى أتاه فقال: يا أبا عبد الرحمن، هل تعرفني؟ فقال: نعم، وهل ينكر الرجل أخاه، قال ثابت: أردت أن أجزيك اليوم بيد لك عندي يوم بعثت، قال: فافعل، فإن الكريم يجزي الكريم، قال: قد فعلت، قد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوهبك لي، فأطلق عنه إيساره، فقال الزبير: ليس لي قاند، وقد أخذتم امرأتي وابني، فرجع ثابت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستوهبه امرأته وبنيه فوهبهم له، فرجع ثابت إلى الزبير فقال: رد إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأتك وبنيك، فقال الزبير: حانط لي فيه أعنق، وليس لي ولا لأهلي عيش إلا به، فرجع ثابت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوهبه له، فرجع ثابت إلى الزبير فقال: قد رد إليك رسول الله أهلك ومالك، فأسلم تسلم، قال: ما

(4) انظر: الصراع مع اليهود (115/2).

فعل الجليسان؟⁽¹⁾ وذكر رجال قومه، قال ثابت: قد قتلوا وفرغ منهم، ولعل الله تبارك وتعالى أن يكون أبقاك لخير، قال الزبير: أسألك بالله يا ثابت وببيدي التي عندك يوم بعثت إلا ألحقتني بهم، فليس في العيش خير بعدهم، فذكر ذلك ثابت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بالزبير فقتل⁽²⁾.

2- شفاعة سلمى بنت قيس في رفاعة بن سموال القرظي:

كانت سلمى بنت قيس وكنيته أم المنذر أخت سليط بن قيس، وكانت إحدى خالات رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد صلت معه القبلتين، وبايعته بيعة النساء، سألته رفاعة ابن سموال القرظي، وكان رجلاً قد بلغ، فلاذ بها، وكان يعرفهم قبل ذلك فقالت: يا نبي الله، بأبي أنت وأمي، هب لي رفاعة، فإنه قد زعم أنه سيصلي ويأكل لحم الجمل، فوهبه لها، فاستحيته⁽³⁾. وفي هذا الخبر دليل على أن الإسلام يكرم المرأة ويعتبر شفاعتها، هذه هي معاملة المرأة في هذا الدين، إنه يكرمها، ويساعدها ويشجعها على فعل الخير⁽⁴⁾.

ثالث عشر: من أدب الخلاف:

في اختلاف الصحابة في فهم كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة»⁽⁵⁾، فبعضهم فهم منه المراد الاستعجال، فصلّى العصر لما دخل وقته، وبعضهم أخذ بالظاهر فلم يصل إلا في بني قريظة، ولم يعنف النبي صلى الله عليه وسلم أحداً منهم أو عاتبه، ففي ذلك دلالة هامة على أصل من الأصول الشرعية الكبرى وهو تقرير مبدأ الخلاف في مسائل الفروع، واعتبار كل من المتخالفين معذوراً ومثاباً، كما أن فيه تقريراً لمبدأ الاجتهاد في استنباط الأحكام الشرعية، وفيه ما يدل على أن استئصال الخلاف في مسائل الفروع التي تنبع من

(1) انظر: اليهود في السنة المطهرة (372/1). (2) المصدر نفسه (373/1).

(4) انظر: الصراع مع اليهود (116/2).

(5) البخاري، كتاب المغازي، (60/5) رقم 4119. (6) انظر: فقه السيرة النبوية للبوطي، ص 226. هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ مع الدعاء بحسن الاستفادة

دلالات ظنية أمر لا يمكن أن يتصور أو يتم⁽¹⁾.

إن السعي في محاولة القضاء على الخلاف في مسائل الفروع، معاندة للحكمة الربانية والتدبير الإلهي في تشريعه، عدا أنه ضرب من العبث الباطل، إذ كيف تضمن انتزاع الخلاف في مسألة ما دام دليلها ظنيًا محتملاً؟... ولو أمكن ذلك أن يتم في عصرنا، لكان أولى العصور به عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكان أولى الناس بالألا يختلفوا هم أصحابه، فما بالهم اختلفوا مع ذلك كما رأيت؟⁽²⁾ وفي الحديث السابق من الفقه أنه لا يعاب على من أخذ بظاهر حديث نبوي أو آية من كتاب الله، كما لا يعاب من استنبط من النص معنى يخصه، وفيه أيضاً أن المختلفين في الفروع من المجتهدين لا إثم على المخطئ، فقد قال صلى الله عليه وسلم: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد»⁽³⁾.

وحاصل ما وقع أن بعض الصحابة حملوا النهي على حقيقته، ولم يبالوا بخروج الوقت وقت الصلاة توجيهاً لهذا النهي الخاص على النهي العام عن تأخير الصلاة عن وقتها⁽⁴⁾.

وقد علق الحافظ ابن حجر على هذه القصة فقال: ثم الاستدلال بهذه القصة على أن كل مجتهد مصيب على الإطلاق ليس بواضح، وإنما فيه ترك تعنيف من بذل وسعه واجتهد، فيستفاد منه عدم تأنيمه، وحاصل ما وقع في القصة أن بعض الصحابة حملوا النص على حقيقته، ولم يبالوا بخروج الوقت ترجيحاً للنهي الثاني على النهي الأول، وهو ترك تأخير الصلاة عن وقتها، واستدلوا بجواز التأخير لمن اشتغل بأمر الحرب بنظير ما وقع في تلك الأيام بالخذق، والبعض الآخر حملوا النهي على غير الحقيقة، وأنه كناية على الحث والاستعجال والإسراع إلى بني قريظة، وقد استدلل به الجمهور على عدم تأنيم من اجتهد؛ لأنه صلى الله عليه وسلم لم يعنف أحداً

(1) انظر: فقه السيرة النبوية للبطي، ص226.

(2) سنن أبي داود (3557).

(4) اختصار من فتح الباري (473/7).

(4) المستفاد من قصص القرآن (286/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

من الطائفتين، فلو كان هناك إثم لعنف من أثم⁽¹⁾.

رابع عشر: توزيع غنائم بني قريظة وإسلام ريحانة بنت عمرو:

1- جمع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم التي خلفها بنو قريظة، فكانت من السيوف ألفاً وخمسمائة سيف، ومن الرماح ألفي رمح، ومن الدروع ثلاثمائة درع، ومن التروس ألفاً وخمسمائة ترس وجحفة، كما تركوا عدداً كبيراً من الشياه والإبل وأثاثاً كثيراً وآنية كثيرة، ووجد المسلمون دنائاً من الخمر، فوزعت الغنائم وهي الأموال المنقولة كالسلاح والأثاث وغيرها بين المحاربين من أنصار ومهاجرين ممن شهدوا الغزوة، فأعطى أربعة أخماس الغنائم لهم، إذ جعل للفارس سهمين، وللراجل سهماً، فالفارس يأخذ ثلاثة أسهم له وفارسه، وغير الفارس يأخذ سهماً واحداً له، والخمس المتبقي هو سهم الله ورسوله المقرر في كتابه تعالى⁽²⁾.

وأما ما وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون من الخمر عند بني قريظة فقد أراقوه ولم يأخذوا منه شيئاً، ولم ينتفعوا به كذلك، وقد أسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لسويد بن خالد الذي قتلته المرأة اليهودية بالرحى، وأعطى سهمه لورثته⁽³⁾، ولصحابي آخر مات أثناء حصار بني قريظة⁽⁴⁾، كما رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء اللواتي حضرن ولم يسهم لهن، منهن: صفية بنت عبد المطلب، وأم عمارة، وأم سليط، وأم العلاء، والسميراء بنت قيس، وأم سعد بن معاذ⁽⁵⁾، وأما الأموال غير المنقولة كالأراضي والديار فقد أعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم للمهاجرين دون الأنصار، وأمر المهاجرين أن يردوا إلى الأنصار ما أخذوه منهم

من نخل وأرض، وكانت على سبيل العارية، ينتفعون بثمارها⁽⁶⁾، قال تعالى عن تلك

(2) انظر: الصراع مع اليهود (96/2، 97).

(3) المصدر نفسه (97/2).

(4) انظر: اليهود في السنة المطهرة (375/1).

(5) انظر: سيرة الرسول لعزة دروزة (202/2).

(6) انظر: الصراع مع اليهود (98/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ مع الدعاء بحسن الاستفادة

الأراضي والديار: (وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّوها وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا) [الأحزاب: 27].

قال الأستاذ محمد دروزة: أما عبارة «وأرضا لم تطووها» فقد قال المفسرون: إنها أرض خيبر، وإن الجملة بشرى سابقة لفتحها، غير أن الذي تلهم روح الآية ومضمونها على ما يتبادر لنا أنها أرض لبني قريظة بعيدة عن مساكنهم، آلت إلى المسلمين دون حرب أو حصار، ونتيجة للمصير الذي صار إليه أصحابها⁽¹⁾. هذا وقد أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن عبادة رضي الله عنه بالخمس من الذرية والنساء إلى الشام فباعها، واشترى بالثمن سلاحاً وخيلاً ليستعين به المسلمون في معاركهم مع الأعداء من يهود ومشركين، وكذلك بعث إلى نجد سعد بن زيد فباع سبياً واشترى سلاحاً⁽²⁾.

2- إسلام ريحانة رضي الله عنها: وكان من بين السبي ريحانة بنت عمرو بن خنافة إحدى نساء بني عمرو من بني قريظة قد أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتزوجها بعد أن تسلم، فترددت، وبقيت وقتاً على دينها، ثم شرح الله صدرها للإسلام فأسلمت، فبعثها إلى بيت أم منذر بنت قيس حتى حاضت ثم طهرت، فجاءها وخيرها: أيعتقها ويتزوجها أو تكون في ملكه صلى الله عليه وسلم؟ فاختارت أن تكون في ملكه رضي الله عنها⁽³⁾.

خامس عشر: الإعلام الإسلامي في غزوة الأحزاب:

قام شعراء الصحابة بدورهم الجهادي، فقالوا قصائد رائعة وضحو بها موقف المسلمين في غزوة الأحزاب، نفتطف منها أبياتاً منها كنماذج لهذه القصائد، فمن ذلك قول كعب بن مالك، أخو بني سلمة:

وسائلة تسائل ما لقينا ولو شهدت رأتنا صابرينا

(2) انظر: الصرع مع اليهود (98/2).

(6) المصدر نفسه (99/2).

صبرنا لا نرى لله عدلاً على ما نابنا متوكلينا
 وكان لنا النبي وزير صدق به نعلو البرية أجمعينا
 نقاتل معشرا ظلموا وعقوا وكانوا بالعداوة مرصدينا⁽¹⁾
 نعالجهم إذا نهضوا إلينا بضرب يعجل المتسرعينا
 ترانا في فضافض سابغات كغدران الملا متسريلينا⁽²⁾
 إلى أن قال:

لننصر أحمدًا والله، حتى نكون عباد صدق مخلصينا
 ويعلم أهل مكة حين ساروا وأحزاب أتوا متحزبيننا
 بأن الله ليس له شريك وأن الله مولى المؤمنيننا
 فإما تقتلوا سعدًا سفاها فإن الله خير القادرينا
 سيدخله جنانا طبيبات تكون مقامة للصالحينا
 كما قد ردكم فلا شريداً بغيطكم خزايا خائبينا
 خزايا لم تنالوا ثم خيراً وكدم أن تكونوا دامرينا
 بريح عاصف هبت عليكم فكنتم تحتها متمهينا⁽³⁾

* * *

(1) المرصد: المعد للأمر عدته.

(2) متسريلينا: يلبسون الدروع

(3) متمهينا: العمى الذين لا يبصرون.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

الفصل الثاني عشر

ما بين غزوة الأحزاب والحديبية من أحداث مهمة

المبحث الأول

زواج النبي صلى الله عليه وسلم بزینب بنت جحش رضي الله عنها

ومع استمرار حركة السرايا، وبناء الدولة، وبسط هيبتها في الجزيرة العربية، كانت حركة البناء التشريعي والاجتماعي للأمة الإسلامية تتكامل، فنظام التبني يهدم، والحجاب يفرض، وأدب الولائم يقرر، وضرورة الالتزام بطاعة الله ورسوله يؤكد على وجوبها، وتحارب الأعراف التي تعارض شرع الله تعالى، ففي زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيدة زينب بنت جحش حكمٌ ودروسٌ وعبرٌ بقت خالدة على مر العصور وكر الدهور وتوالي الأزمان، وهذه قصة أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها.

أولاً: اسمها ونسبها:

هي زينب بنت جحش بن رباب بن يعمر الأسدية، أخت عبد الله بن جحش، وحملة بنت جحش رضي الله عنهما.

أمها: أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخت حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه⁽¹⁾.

يقال كان اسمها: برة، فسمّاها النبي صلى الله عليه وسلم زينب، وكانت تكنى أم الحكم⁽²⁾.

وكانت زينب رضي الله عنها من المهاجرات الأول، ورعة صوامة قوامة، كثيرة الخير والصدقة، فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(1) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (372/1).

(2) المصدر نفسه (1849/4).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

أسرعن لحوقا بي أطولكن يداً، قالت: فكن يتناولن أيتهن أطول يداً، قالت: فكانت أطولنا يداً زينب؛ لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق⁽¹⁾.

وقد مدحتها السيدة عائشة رضي الله عنها كثيراً، وقالت في حقها: لم أر امرأة قط خيراً في الدين من زينب، وأتقى لله وأصدق حديثاً، وأوصل للرحم وأعظم صدقة، وأشد ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تصدق به، وتقرب به إلى الله تعالى، ما عدا سورة من حدة كانت فيها تسرع منها الفبيئة⁽²⁾.

ثانياً: زواجها من زيد بن حارثة رضي الله عنه:

أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يحطم تلك الفوارق الطبقية الموروثة في الأمة المسلمة من عادات الجاهلية ليكون الناس سواسية كأسنان المشط، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى، وكان الموالي وهم الذي جرى عليهم الرق ثم تحرروا طبقة أدنى من طبقة السادة، ومن الموالي كان زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أعتقه ثم تبناه، فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزوج زيداً من شريفة بني أسد، وهي ابنة عمته زينب بنت جحش رضي الله عنها، ليبطل تلك الفوارق الطبقية بنفسه في أسرته، وكانت هذه الفوارق من العمق والعنف بحيث لا يحطمها إلا فعل واقعي من رسول الله صلى الله عليه وسلم، لتتخذ منه الأمة المسلمة أسوة وقودة، وتسير البشرية على هداية في هذا الطريق.

وأيضاً لعل من الحكمة في هذا الزواج أنه كان مقدمة لتشريع آخر لا يقل أهمية في حفظ توازن المجتمع وحماية الأسرة عن الأول، وإن لم تظهر هذه الحكمة في بداية الأمر⁽³⁾.

انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخطب لفتاه زيد بن حارثة رضي الله عنه فدخل على زينب بنت جحش الأسدية رضي الله عنها فخطبها، فقالت: لست بناكحته، فقال رسول الله صلى

(1) مسلم في فضائل الصحابة (1907/4) رقم 2452.

(2) مسلم في فضائل الصحابة (1892/4) رقم 2442.

(3) انظر: قضايا نساء النبي والمؤمنات، حفصة بنت عثمان الخلفي ص 205.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

الله عليه وسلم: «بلى فانكحيه»، قالت: يا رسول الله أوامر في نفسي؟ فبينما هما يتحادثان أنزل الله تعالى هذه الآية: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ) [الأحزاب: 36].

فقالت: يا رسول الله قد رضيت له زوجاً؟ قال: «نعم» قالت: لا أعصي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد زوجته نفسي⁽¹⁾.

وكان زيد بن حارثة إذ ذاك لا يزال يدعى زيد بن محمد، فتزوجها زيد، وأصدقها في هذا الزواج عشرة دنانير، وستين درهماً، وخماراً، وملحفة، ودرعاً، وخمسين مئداً من طعام، وعشرة أمداد من تمر⁽²⁾.

ثالثاً: طلاق زيد لزینب رضي الله عنها:

شاعت حكمة الله تعالى أن لا يتوافق زيد وزينب في زواجهما، وأصبحت حياة الزوجين لا تطاق، وصمم زيد على فراق زوجه زينب، وكان قبل ذلك يشتكي لرسول الله صلى الله عليه وسلم من عدم استطاعته البقاء مع زينب، ورسول الله يأمره بامساك زوجه مع تقوى الله في شأنها، حتى أذن الله بالطلاق فطلقها زيد، وانفصمت العلاقة بينهما بعد أن قضى زيد وطره، وبعد أن مكث معها ما يقرب من سنة، قال ابن كثير: فمكثت عنده قريباً من سنة أو فوقها، ثم وقع بينهما (يعني الخلاف) فجاء زيد يشكوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له: «أمسك عليك زوجك واتق الله»⁽³⁾.

لم يبقَ لزيد رغبة في إبقاء العلاقة الزوجية معها؛ لأنه كان كريم النفس لا يريد أن يبني سعادته وراحته على شقاء الآخرين وتعاستهم والإضرار بهم؛ ولهذا صمم على الفراق وعدم الإضرار بها؛ لأنها كانت تعيش في قلق واضطراب، وانتهى زواج زيد بن حارثة رضي الله عنه

(1) انظر: جامع البيان للطبري (11/22). (4) انظر: تفسير ابن كثير (489/3).

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم (491/3).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

بزينب بنت جحش على هذا الوضع دون أي تدخل خارجي بينهما، ووقع ذلك الطلاق بمحض اختياره وإرادته، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهيه عن ذلك، ويأمره بتقوى الله وإمسك زوجته⁽¹⁾. قال ابن كثير بعد أن ذكر هذا السبب: (ذكر ابن أبي حاتم وابن جرير آثاراً عن بعض السلف رضي الله عنهم أحببنا أن نضرب عنها صفحاً لعدم صحتها فلا نوردها)⁽²⁾.

رابعاً: الحكمة من زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من زينب:

كانت عادة التبني متغلغلة في نفوس الناس ومشاعرهم، وليس من السهل التغلب عليها وإلغاء الآثار المترتبة عليها، هذه العادة في صدر الإسلام في مكة وفي أول الهجرة إلى المدينة، ثم شاء الله تعالى فنزلت الآيات في نفي أن يكون الأدعياء أبناء لمن ادّعاهم في الحقيقة، وإنما ذلك حسب دعوى المدعي فقط، وذلك لا يغير من الواقع شيئاً، فقال تعالى: (مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ كُفْرٌ كُفَرْتُمْ بِهِ بِآقِوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ) [الأحزاب: 4].

ثم أمر تبارك وتعالى برد نسبهم إلى آبائهم في الحقيقة، فهذا من العدل والقسط والبر، فقال تعالى: (ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا)

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: (إن زيد بن حارثة رضي الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد، حتى نزل القرآن)⁽³⁾.

ولم يجعل الله سبحانه وتعالى عدم معرفتهم لأبائهم الحقيقيين مبرراً لإبقاء تبنيهم لهم، بل حرم التبني في هذه الحالة، وأخبر أنهم حينئذ إخوانهم ومواليهم، فقال تعالى: (ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا

(1) انظر: قضايا نساء النبي والمؤمنات، ص209.

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم (491/3).

(3) البخاري في التفسير باب (ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ) (276/3) رقم 4782.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ([الأحزاب: 5]. أي فإن لم تعرفوا آباءهم فليس بينكم وبينهم إلا الأخوة في الدين والموالاتة، وذلك عوضاً عما فاتهم من النسب، فيقال: فلان مولى فلان، أو مولى بني فلان⁽¹⁾.

وهذه الأخوة في الدين والموالاتة لها أهمية كبرى، فهي ثابتة حتى للذين عرف آبائهم؛ ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة رضي الله عنه: «أنت أخونا ومولانا»⁽²⁾ أي أخونا في الإسلام والولاية، كما قال تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) [الحجرات: 10]. وجاءت نصوص أخرى تعالج هذا الأمر من جهة أخرى، وهي جهة الابن، فجاء تحريم الانتساب إلى غير الأب الحقيقي والمنتسب يعلم ذلك تحريماً قاطعاً لا شبهة فيه⁽³⁾، قال صلى الله عليه وسلم: «من ادعى إلى غير أبيه أو انتهى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله تعالى منه صرفاً ولا عدلاً»⁽⁴⁾⁽⁵⁾.

وقد جعل الشارع لنشوء النسب سبباً واضحاً هو الاتصال بالمرأة عن طريق الزواج أو ملك اليمين، وأبطل ما كان يجري عليه أهل الجاهلية من إلحاق الأولاد عن طريق العهر والزنا قال صلى الله عليه وسلم: «الولد للفرش وللعاهر الحجر»⁽⁶⁾ ومعناه أن من يجيء من الأولاد ثمرة لفرش صحيح قائم على عقد الزواج أو ملك اليمين يلتحق نسبه بأبيه، وأن العهر والزنا لا يصلح أن يكون سبباً للنسب، وإنما يكون سبباً لشيء آخر هو الرجم والحجارة⁽⁷⁾. ثم إن الله سبحانه وتعالى بعد أن منع وحرّم دعوة الابن بنسبته إلى من تبناه وأمر بدعوته منسوباً إلى أبيه الحقيقي إن عرف، أو إلى الأخوة في الدين والموالاتة بعد ذلك بين حكم من أخطأ أو تعمد مخالفة هذا التشريع الإلهي، قال تعالى: (ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ

(1) انظر: تفسير السعدي (136/4).

(2) البخاري في الصلح (267/2) رقم 2699.

(3) انظر: قضايا نساء النبي والمؤمنات، ص 189.

(4) صرفاً: توبة، وقيل: نافلة، عدلاً: أي فدية وقيل: فريضة.

(5) البخاري في فضائل المدينة (411/2) رقم 3172.

(6) البخاري في الحدود (254/4) رقم 6818.

(7) انظر: علاقة الآباء بالأبناء في الشريعة الإسلامية، د. سعاد الصانع، ص 52، 53.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ([الأحزاب: 5].

فقد نفى الله سبحانه وتعالى الجناح (الإثم) عن خطأ في نسبة الابن إلى غير أبيه في الحقيقة، وذلك بعد الاجتهاد واستفراغ الوسع أو نسي فنسب الابن إلى غير أبيه بجريان لسانه بذلك، وأثبت الحرج والإثم لمن تعدد الباطل وهو دعوة الرجل لغير أبيه بعد علمه بتحريم ذلك⁽¹⁾.

كانت عادة التبني مستحكمة في نفوس الناس، وقد أخذت أبعادها مع مرور الزمن فكان زواج النبي صلى الله عليه وسلم بالسيدة زينب إلغاءً عملياً وليس إلغاءً ذهنيّاً فحسب⁽²⁾.

إن الحكمة في زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من السيدة زينب حكمة واضحة وظاهرة، وقد بينها الله تعالى بقوله عز وجل: (لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطْراً وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً) [الأحزاب: 37].

وقد ذكر المبطلون من الكفار وفروخهم ومقلدوهم بما ينعقون به، ويرددونه الجهال متعلقين بروايات مكذوبة خلاصتها كما يفترون أن النبي صلى الله عليه وسلم قد هوي زينب بنت جحش بعد أن تزوجت بزيد بن حارثة، فلما علم زيد بذلك أراد طلاقها ليتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم⁽³⁾، فهذا قول باطل، وقد نسب الإمام ابن العربي هذا القول من جذوره فقال: فأما قولكم: إن النبي صلى الله عليه وسلم رآها أي رأى زينب بنت جحش فوقع في قلبه، فباطل، فإنه كان صلى الله عليه وسلم معها في كل وقت وموضع، ولم يكن حينئذ حجاب، فكيف تنشأ معه وينشأ معها، ويلحظها في كل ساعة ولا تقع في قلبه إلا إذا كان لها زوج؟ حاشا لذلك القلب المطهر من هذه العلاقة الفاسدة، وقد قال تعالى: (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) [طه: 131] والنساء أفتن الزهرات فيخالف هذا في المطلقات فكيف في المنكوحات؟

(1) انظر: قضايا نساء النبي والمؤمنات، ص 191، 192.

(2) انظر: من معين السيرة، ص 311.

(3) انظر: المفصل في أحكام المرأة، عبد الكريم زيدان (474/11، 475).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

ثم إن قوله تعالى: (وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ) [الأحزاب: 37] يعني من نكاحك لها وهو الذي أبداه لا سواه أقول: فلو كان الذي أخفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم هو حبه لها لأبداه الله تعالى وأظهره فتيقنا أن الذي أخفاه رسول الله من أمر زينب هو نكاحه إياها وليس ما تخيله المبطلون من حبه لها⁽¹⁾.

إن الشرع أراد تأكيد إبطال نظام التبني وإبطال كل نتاجه وتعميق هذا الإبطال في النفوس وتأكيد به بالتطبيق العملي، والقُدوة والتأسي بمن يقتدي به في تطبيق هذه الأحكام الجديدة الناسخة، وهذا ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم بزواجه بزَيْنَب بأمر من الله تعالى العزيز الحكيم⁽²⁾.

خامساً: قصة زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من زينب وما فيها من دروس وعبر:

لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد: اذهب فاذكرها عليّ فانطلق قال: فلما رأيته عظمت في صدري فقلت: يا زينب أبشري أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك، قالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي، فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليها بغير إذن⁽³⁾، وأصدقها أربع مائة درهم، وكان زواجه صلى الله عليه وسلم بزَيْنَب في السنة الخامسة على المشهور، وقال الحافظ البيهقي: تزوجها بعد بني قريظة⁽⁴⁾.

وأولم الرسول صلى الله عليه وسلم في عرس زينب وليمة كبيرة، فأولم بشاة وقد دُعِيَ إلى الوليمة كل من لقيه أنس رضي الله عنه بناء على أمر الرسول صلى الله عليه وسلم، فعن أنس رضي الله عنه قال: ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أولم على امرأة من نساؤه ما أولم

(1) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (1531/3، 1532).

(2) انظر: المفصل في أحكام المرأة (476/11).

(3) مسلم في النكاح (1048/2) رقم 1428. (2) انظر: البداية والنهاية (147/4).

وهكذا تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر ربه، زينب بنت جحش -رضي الله عنها- بعد طلاق زيد لها وانقضاء عدتها، وفي زواجه صلى الله عليه وسلم بزينب وما نزل فيه من القرآن وما واكبه من أحداث عظمت وعبر⁽²⁾ وقفنا عند بعضها، ويجدر بنا أن نتأمل في بعض الدروس والعبر التي نقف عليها منها:

1- كان خاطب زينب للنبي صلى الله عليه وسلم هو زوجها الأول زيد بن حارثة رضي الله عنه، ولعل اختيار رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد مقصود لذاته، ليقطع بذلك السنة المتقولين وما قد يزعمونه من أن طلاقها وقع بغير اختيار منه، وأنه قد بقي في نفسه من الرغبة فيها شيء، وفي هذا يقول ابن حجر: (هذا من أبلغ ما وقع في ذلك، وهو أن يكون الذي كان زوجها هو الخاطب، لئلا يظن أحد أن ذلك وقع قهراً بغير رضاه، وفيه أيضا اختبار ما كان عنده منها هل بقي منه شيء أم لا؟)⁽³⁾.

وفي هذا من الحكمة أيضا أن ما يقع بين الزوجين من نفرة وخلاف ثم طلاق لا يجوز أن يكون مانعاً من نصح أحد الزوجين للآخر، وأن يراعي فيه حقوق الأخوة الإيمانية، فهذا زيد رغم ما وقع بينه وبين زينب، ورغم أن هذا كان بسببها إلا أنه ذهب يخطبها لرسول الله، بل ويقول لها: (يا زينب أبشري).

2- في الآية التي نزلت بشأن هذا الزواج عتاب للنبي صلى الله عليه وسلم من ربه، إذ كان حين يأتيه زيد يشكو زينب ومعاملتها له ورغبته في طلاقها يقول: (أمسك عليك زوجك واتق الله) أي اتق الله ودع طلاقها، أو اتق الله فيما تذكره من سوء عشرتها، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخفي في نفسه ما أبلغه الله به أن زيدا سيطلقها، وأنها ستكون زوجة له، ويخشى متى وقع

(1) البخاري في النكاح باب من أولم على بعض نسائه (3870/3) رقم 5171.

(2) انظر: قضايا نساء النبي والمؤمنات، ص312.

(3) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (524/8).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

هذا من كلام الناس في قولهم: تزوج مطلقة من تنباه وهو زيد بن حارثة. روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (جاء زيد بن حارثة يشكو، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اتق الله وأمسك زوجك» قال أنس: لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتمًا شيئًا من الوحي لكتّم هذه الآية⁽¹⁾).

3- في قوله تعالى: (فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا) منقبة عظيمة لزيد بن حارثة رضي الله عنه فقد انفرد بهذا، إذ لم يسم القرآن أحدًا من الصحابة غيره، قال السهيلي: (كان يقال: زيد بن محمد حتى نزل (ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ) فقال: أنا زيد بن حارثة، وحرّم عليه أن يقول: أنا زيد بن محمد، فلما نزع عنه هذا الشرف وهذا الفخر، وعلم الله وحشته من ذلك شرفه بخصيصة لم يكن يخص بها أحدًا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وهي أنه سماه في القرآن، فقال تعالى: (فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا) يعني من زينب، ومن ذكره الله تعالى باسمه في الذكر الحكيم حتى صار اسمه قرآنًا يتلى في المحاريب، نوه به غاية التنويه، فكان في هذا تأنيس له وعوض من الفخر بأبوة محمد صلى الله عليه وسلم له. ألا ترى إلى قول أبي بن كعب حين قال له النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك سورة كذا» فبكى، وقال: أو ذكرت هنالك؟ وكان بكاؤه من الفرح حين أخبر أن الله تعالى ذكره، فكيف بمن صار اسمه قرآنًا يتلى مخلصًا لا يبيد، يتلوه أهل الدنيا إذا قرؤوا القرآن، وأهل الجنة أبدًا، لا يزال على السنة المؤمنين، كما لا يزال مذكورًا على الخصوص عند رب العالمين، إذ القرآن كلام الله القويم وهو باق لا يبيد، فاسم زيد هذا في الصحف المكرمة المرفوعة المطهرة تذكره في التلاوة السفارة الكرام البررة، وليس ذلك لاسم من أسماء المؤمنين إلا لنبي من الأنبياء ولزيد بن حارثة تعويضًا من الله تعالى له ما نزع منه⁽²⁾.

4- زواج النبي صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش رضي الله عنها كان بأمر ربه، وهو

(1) البخاري في التوحيد (388/4) رقم 7420.

(2) انظر: تفسير القرطبي (194/14).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

الذي زوجه إياها، قال تعالى: (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا) [الأحزاب: 37].

وفي هذا شرف عظيم ومنقبة جلية لزَيْنَب رضي الله عنها، كانت تفتخر بها وحق لها ذلك، فعن أنس رضي الله عنه قال: كانت تفتخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول: زَوْجَن أَهَالِيكُنْ وَزَوْجَنِي اللَّهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ، وفي رواية أخرى: (كانت تفتخر على نساء النبي صلى الله عليه وسلم وكانت تقول: إن الله أنكحني في السماء)⁽¹⁾.

ولعل هذه المنقبة وهذا الشرف لزَيْنَب رضي الله عنها كان جزاء لها حين أذعنت وخضعت لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمرها بالزواج من مولاه زيد بن حارثة، وكانت لذلك كارهة، ثم لما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرها بذلك قبلت الزواج منه⁽²⁾.

5- في وليمة صلى الله عليه وسلم على زينب علامة من علامات نبوته ودلالة من دلالتها، وهي تكثير الطعام بدعوته، وفي هذه الوليمة أيضا كان نزول آية حجاب نساء النبي صلى الله عليه وسلم وما شرع من آداب الضيافة⁽³⁾.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل بأهله قال: فصنعت أُمِّي أُمِّ سَلِيمٍ حَيْسًا فَجَعَلْتَهُ فِي تَوْرٍ⁽⁴⁾، فقالت: يا أنس: اذهب بهذا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل: بعثت بهذا إليك أُمِّي، وهي تقرنك السلام وتقول: إن هذا لك منا قليل يا رسول الله، قال: فذهبت بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: إن أُمِّي تقرنك السلام، وتقول: إن هذا منا قليل يا رسول الله، فقال: «ضعه»، ثم قال: «اذهب فادع لي فلانًا وفلانًا، ومن

(1) البخاري في التوحيد، باب وكان عرشه على الماء (388/4) رقم 7421.

(2) انظر: قضايا نساء النبي والمؤمنات، ص 218.

(3) المصدر نفسه، ص 218.

(4) تور: الإناء.

لقيت» وسمى رجلاً، قال: فدعوت من سمى ومن لقيت قال: قلت لأنس، عدد كم كانوا؟ قال: زهاء ثلاثمائة. وقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أنس: هات التور» قال: فدخلوا حتى امتلأت الصفة والحجرة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليتحلق عشرة عشرة، وليأكل كل إنسان مما يليه» قال: فأكلوا حتى شبعوا، قال: فخرجت طائفة، ودخلت طائفة حتى أكلوا كلهم، فقال لي: «يا أنس، ارفع» قال: فرفعت فما أدري حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت، قال: وجلس طوائف منهم يتحدثون في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس، وزوجته مولىة وجهها إلى الحائط، فثقلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على نسائه ثم رجع، فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رجع ظنوا أنهم قد أثقلوا عليه، قال: فابتدروا الباب فخرجوا كلهم، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أرخى الستر ودخل، وأنا جالس في الحجرة، فلم يلبث إلا يسيراً حتى خرج عليّ، وأنزلت هذه الآيات، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأهن على الناس: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْسِنِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا زَوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا) [الأحزاب: 53].

قال الجعد⁽¹⁾: قال أنس بن مالك: أنا أحدث الناس عهداً بهذه الآيات، وحُجِبَ نساء النبي صلى الله عليه وسلم⁽²⁾.

وقد حجب رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه لنزول آية الحجاب التي قال المولى عز وجل فيها: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ...).

(1) الجعد بن دينار، أبو عثمان الشكري، البصري من أصحاب أنس.

(2) البخاري في النكاح، باب (الهدية للعروس) (378/3) رقم 5163.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وقد كان نزول آية الحجاب من موافقات عمر رضي الله عنه، روى البخاري في صحيحه عن أنس قال: قال عمر رضي الله عنه: قلت: يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، فأنزل الله آية الحجاب⁽¹⁾.

وبنزول هذه الآية كان تشريع الحجاب في الإسلام بالنسبة لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم، والمراد عدم إبداء شيء من أجسامهن للأجانب عنهن، وعدم محادثتهن أو طلب شيء منهم إلا من وراء حجاب، أي ستر يكون بينهن وبين غيرهن، ولما نزلت قال الآباء والأبناء والأقارب لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ونحن أيضا نكلمهن من وراء حجاب؟. فأنزل الله قوله: (لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا) [الأحزاب: 55].

ونزل أيضا في شأن نساء النبي في أدب الخطاب والإقامة في البيوت قوله تعالى: (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا □ وَقرن في بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) [الأحزاب: 32، 33].

وقد فصل سبحانه وتعالى في كتابه الكريم ما يتعلق بالنساء المسلمات: من غض البصر، وحفظ الفرج، وعدم إبداء مواضع الزينة من عنق وساق وعضد وساعد وشعر، ونحوها من العورة الظاهرة إلا للمحارم⁽²⁾. وقد جاء ذلك في سورة النور، وقد بينت السنة النبوية كل ما يتعلق بالنساء من احتجاب وتصون وتعفف، وعدم السفور والخلاعة والابتذال بما لا مزيد عليه⁽³⁾.

(1) البخاري في التفسير (29/6) رقم 4790.

(2) انظر: السنة النبوية لأبي شهبة (312/2).

(3) المصدر نفسه (314/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

هذه بعض الدروس والعبر استخرجت من قصة زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش، وما واكب ذلك الزواج من نزول آيات بينات في أحكام الحجاب، وما شرع من آداب الضيافة.

هذا وقد توفيت زينب بنت جحش رضي الله عنها سنة عشرين من الهجرة وعمرها ثلاث وخمسون سنة، وكانت كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أول نسائه لحوقاً به⁽¹⁾، وقد بلغت مروياتها عن النبي صلى الله عليه وسلم وفق كتاب بقي بن مخلد أحد عشر حديثاً⁽²⁾ ولها في الكتب الستة خمسة أحاديث⁽³⁾، اتفق لها في البخاري ومسلم عن حديثين⁽⁴⁾، فقد تركت ذكرًا طيبًا في تاريخ الأمة الإسلامية⁽⁵⁾.

* * *

-
- (1) انظر: الطبقات الكبرى (115/8).
 (2) انظر: تلقيح الفهوم لابن الجوزي، ص370.
 (3) انظر: تحفة الأشراف للمزي (323-321/11).
 (4) انظر: سير أعلام النبلاء (121/2).
 (5) انظر: دور المرأة في خدمة الحديث، ص58.
 هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
 مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

المبحث الثاني

الآن نغزوهم ولا يغزوننا⁽¹⁾

كان **صلى الله عليه وسلم** يعمل حساب كل القوى المجاورة، ولا يغفل عن أي قوة منها، وقد صرح بعد غزوة الخندق بأن الخطة القادمة هي غزو قريش، فقد تغيرت موازين القوى، وأصبح المسلمون لهم القدرة على الهجوم أكثر من قبل، فسعى **صلى الله عليه وسلم** لبسط سيادة الدولة على ما تبقى من قوى حول المدينة؛ لأن ذلك له صلة بالإعداد لغزو قريش في مرحلة لاحقة، فقد قام **صلى الله عليه وسلم** خلال عام واحد -العام السادس- بغزوتين وأرسل أربع عشرة سرية غير ما قام به في نهاية العام الخامس الهجري، وهذه الأعمال والتحركات قصد منها المزيد من إنهاء قوى قريش وإحكام الحصار، وتقليل أظفارها من خلال اقتطاع كل ما يمدّها بالقوة من حلفائها⁽²⁾، فقد استثمر رسول الله وأصحابه ما حققوه من نجاح في صد الأحزاب وإفشال خططهم، وردّهم كيد يهود بني قريظة في نحورهم، فباشروا نشاطاً واسع النطاق ضد خصومهم على جميع الجبهات، فقد ضيقوا الخناق الاقتصادي على قريش من جديد، كما نفذوا العديد من السرايا لمعاقبة المشركين في الأحزاب من جهة أو للثأر من القبائل التي كانت قد غدرت بالدعاة، أو ناصبت الإسلام العداء، وقد تمثل النشاط العسكري الإسلامي خلال هذه الفترة فيما يلي:

أولاً: سرية محمد بن مسلمة إلى بني القرطاء:

كانت العشائر النجدية من أجراً العناصر البدوية الوثنية على المسلمين؛ لأن النجديين أهل قوة وبأس وعدد غامر، وقد رأينا كيف أن العمود الفقري لقوات الأحزاب الضاربة كان من هذه القبائل النجدية، حيث كان رجال هذه القبائل الشرسة يشكلون الأغلبية الساحقة من تلك القوة الضاربة، ستة آلاف مقاتل من غطفان وأشجع وأسلم وفزارة وأسد، كانت ضمن الجيوش التي

(1) البخاري في المغازي (58/5) رقم 4110.

(2) انظر: دراسات في عهد النبوة للشجاع، ص 139.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

قادها أبو سفيان لحرب المسلمين فحاصروهم أهل المدينة.

ولهذا فإن أول حملة عسكرية وجهها النبي صلى الله عليه وسلم لتأديب خصومه بعد غزوة الأحزاب هي تلك الحملة التي جردها على القبائل النجدية من بني بكر بن كلاب الذين كانوا يقطنون القرطاء بناحية ضربة⁽¹⁾، على مسافة سبع ليالٍ من المدينة، ففي أوائل شهر المحرم عام خمس للهجرة وبعد الانتهاء مباشرة من القضاء على يهود بني قريظة وجه صلى الله عليه وسلم⁽²⁾ سرية من ثلاثين من أصحابه عليهم محمد بن مسلمة لشن الغارة على بني القرطاء من قبيلة بكر بن كلاب، وذلك في العاشر من محرم سنة 6هـ⁽³⁾، وقد داهموهم على حين غرة فقتلوا منهم عشرة وفر الباقون، وغنم المسلمون إبلهم وماشيته⁽⁴⁾. وفي طريق عودتهم أسروا ثمامة بن أثال الحنفي سيد بني حنيفة، وهم لا يعرفونه فقدموا به المدينة وربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ماذا عندك يا ثمامة؟ فقال: عندي خير يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكرك، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت، فترك حتى كان الغد فقال: ما عندك يا ثمامة؟ فقال: عندي ما قلت لك. إن تنعم تنعم على شاكرك، فتركه حتى كان بعد الغد فقال: ما عندك يا ثمامة؟، فقال عندي ما قلت لك، فقال: أطلقوا ثمامة، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، يا محمد، والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إليّ، والله ما كان دين أبغض إليّ من دينك فأصبح دينك أحب الدين إليّ والله ما كان بلد أبغض إليّ من بلدك فأصبحت بلدك أحب البلاد إليّ، وأن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟ فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت؟ قال: لا والله ولكني أسلمت مع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا والله لا

(1) قرية عامرة قديمة على وجه الدهر في طريق مكة من البصرة من نجد.

(2) انظر: صلح الحديبية، باثميل، ص24.

(3) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي، المغازي، ص351.

(4) مسلم (1386/3) رقم 1764.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي صلى الله عليه وسلم⁽¹⁾. وقد أبر بقسمه مما دفع وجوه مكة إلى أن يكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه بأرحامهم أن يكتب إلى ثمامة ليخلي لهم حمل الطعام⁽²⁾، فاستجاب النبي صلى الله عليه وسلم لرجاء قومه بالرغم أنه في حالة حرب معهم، وكتب إلى سيد بني حنيفة ثمامة: **أَنْ خَلَّ بَيْنَ قَوْمِي وَبَيْنَ مِيرَتِهِمْ**، فامتثل ثمامة أمر نبيه، وسمح لبني حنيفة باستئناف إرسال المحاصيل إلى مكة، فارتفع عن أهلها كابوس المجاعة⁽³⁾. وفي هذه القصة دروس وعبر منها:

- 1- جواز ربط الكافر في المسجد.
- 2- جواز المن على الأسير الكافر، وتعظيم أمر العفو عن المسيء، لأن ثمامة أقسم أن بغضه انقلب حباً في ساعة واحدة لما أسداه النبي صلى الله عليه وسلم إليه من العفو والمن بغير مقابل.
- 3- الاغتسال عند الإسلام كما فعل ثمامة حين أسلم.
- 4- الإحسان يزيل البغض وينبت الحب.
- 5- يشرع للكافر إذا أراد عمل خير ثم أسلم أن يستمر في عمل ذلك الخير.
- 6- الملاطفة لمن يرجى إسلامه من الأسارى إذا كان في ذلك مصلحة للإسلام، ولا سيما من يتبعه على إسلامه العدد الكثير من قومه⁽⁴⁾.
- 7- الإسلام يغير سلوك المؤمن حين يضع المسلم قدراته تحت إمرة الإسلام والمسلمين، كما فعل ثمامة بعدم إرساله القمح لأهل مكة إلا بإذن من الرسول عليه السلام.
- 8- ينبغي أن يخلع المؤمن على عتبة الإيمان، وعند تركه للكفر، كل علاقاته السابقة،

(1) انظر: نضرة النعيم (330/1).

(5) المصدر نفسه (330/1).

(3) انظر: السيرة الحلبية (298/2)، الاستيعاب لابن عبد البر ترجمة ثمامة بن أثال الحنفي.

(4) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص386، 387. (2) المصدر نفسه، ص387.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

والنزاهة بأوامر رب العالمين بعد إيمانه⁽¹⁾.

ثانياً: سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى سيف البحر:

تعتبر سرية أبي عبيدة إلى سيف البحر، استمراراً لسياسية النبي صلى الله عليه وسلم العسكرية لإضعاف قريش ومحاصرتهم اقتصادياً على المدى الطويل، فقد بعث صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح في ثلاثمائة راكب قبل الساحل، ليرصدوا عيراً لقريش، وعندما كانوا ببعض الطريق فني الزاد، فأمر أبو عبيدة بأزواد الجيش فجمع، فكان قدر مزود تمر، يقوتهم منه كل يوم قليلاً قليلاً، حتى كان أخيراً نصيب الواحد منهم ثمرة واحدة، وقد أدرك الجنود صعوبة الموقف فتقبلوا هذا الإجراء بصدور رحبة دون تذمر أو ضجر، بل إنهم ساهموا في خطة قائدهم التشفية، فصاروا يحاولون الإبقاء على التمرة أكبر وقت ممكن⁽²⁾. يقول جابر رضي الله عنه أحد أفراد

هذه السرية: (كنا نمصها كما يمص الصبي، ثم نشرب عليها من الماء فتكفينا يومنا إلى الليل)⁽³⁾ وقد سأل وهب بن كيسان جابراً رضي الله عنه: ما تغني عنكم ثمرة؟ فقال: لقد وجدنا فقدها حين فني⁽⁴⁾.

وقد اضطر ذلك الجيش إلى أكل ورق الشجر، قال جابر رضي الله عنه: وكنا نضرب بعصينا الخبط⁽⁵⁾، ثم نبله بالماء فنأكله⁽⁶⁾ (فسمى ذلك الجيش جيش الخبط)⁽⁷⁾، وقد أثر هذا الموقف في قيس بن سعد بن عباد رضي الله عنهما أحد جنود هذه السرية الشجاعة، وهو رجل من أهل بيت اشتهر بالكرم، فحرق للجيش ثلاث جزائر⁽⁸⁾، ثم نحر ثلاث جزائر، ثم إن أبا

(2) انظر: السرايا والبعوث النبوية، ص118. (4) مسلم شرح النووي (84/13).

(4) فتح الباري (77/8).

(5) الخبط: ضرب الشجر بالعصا لينثر ورقها واسم الورق الساقط خبط.

(6) شرح النووي (84/13). (8) فتح الباري (78/8).

(8) جمع جزور، والجزور: البعير، أو خاص بالناقة.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

فبينما هم كذلك من الجوع والجهد الشديدين إذ زفر البحر زفرة أخرج الله فيها حوتًا ضخماً، فألقاه على الشاطئ، ويصف لنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مقدار ضخامة هذا الحوت العجيب فيقول: وانطلقنا على ساحل البحر، فرُفِع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم⁽²⁾، فأتيناه فإذا هي دابة تدعى العنبر⁽³⁾، قال: قال أبو عبيدة: ميتة، ثم قال: لا بل نحن رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي سبيل الله، وقد اضطررتم فكلوا، قال: فأقمنا عليها شهراً، ونحن ثلاثمائة حتى سمنا، قال: ولقد رأيتنا نغترف من وقب⁽⁴⁾ عينيه بالقلال⁽⁵⁾ الدهن، ونقتطع منه الفدر⁽⁶⁾ كالثور، أو قدر الثور، فلقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلاً فأقعدهم في وقب عينيه، وأخذ ضلعاً من أضلاعه فأقامها، ثم رحل أعظم بعير معنا فمر من تحتها⁽⁷⁾، وتزودنا من لحمه وشائق، فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم⁽⁸⁾ فقال: «ما حبسكم؟» قلنا: كنا نتبع عيرات قريش، وذكرنا له من أمر الدابة⁽⁹⁾، فقال: «هو رزق أخرج الله لكم، فهل معكم من لحمه شيء فتطعمونا» قال: فأرسلنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه فأكله⁽¹⁰⁾. كانت هذه السرية على الأرجح قبل صلح الحديبية، وليس في رجب سنة ثمان كما ذكر ابن سعد⁽¹¹⁾، وذلك لسببين: السبب الأول: أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يغز ولم يبعث سرية في الشهر الحرام، والثاني: أن رجب سنة ثمان هو ضمن فترة

(1) فتح الباري (78/8).

(2) الكثيب: التل من الرمل.

(3) العنبر: سمكة كبيرة يتخذ من جلدها التراس.

(4) الوقب: النقرة التي تكون فيها العين.

(5) القلال: الجرة العظيمة.

(6) الفدر: جمع فدره وهي القطعة من اللحم.

(7) انظر: السرايا والبعوث النبوية، ص 121.

(8) انظر: شرح النووي (85/13: 87).

(9) صحيح سنن النسائي للألباني (910/3).

(10) شرح النووي (87/13).

(11) انظر: الطبقات لابن سعد (132/2)، والذهبي في المغازي، ص 519.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وذكر ابن سعد والواقدي⁽²⁾ أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثهم إلى حي من جهينة، وقال ابن حجر⁽³⁾: إن هذا لا يغير ظاهره ما في الصحيح؛ لأنه يمكن الجمع بين كونهم يتلقون غيراً لقريش ويقصدون حياً من جهينة، ويحتمل أن يكون تلقيهم للغير ليس لمحاربتهم بل لحفظهم من جهينة، ويقوي هذا الجمع ما عند مسلم⁽⁴⁾ أن البعث كان إلى أرض جهينة⁽⁵⁾.

وفي هذه القصة دروس وعبر منها:

1- حكمة أبي عبيدة رضي الله عنه حيث جمع الأزواد، وسوى بين المجاهدين في التوزيع ليستطيع تجاوز الأزمة بهم، وذلك درس تعلمه من رسول الله صلى الله عليه وسلم عملياً أكثر من مرة.

2- كرم قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما، في وقت عصب، ليس بيده يومها ما يخفف عن الناس، ففي رواية الواقدي: «أن قيس بن سعد رضي الله عنه استدان هذه النوق من رجل جهني، وأن أبا عبيدة رضي الله عنه نهاه قائلاً: تريد أن تخفر ذمتك ولا مال لك»⁽⁶⁾، فأراد أبو عبيدة الرفق به⁽⁷⁾.

وقد بدأ سعد ينحر وينحر حتى نهاه أبو عبيدة، فقال له سعد: يا أبا عبيدة أترى أن أبا ثابت يقضي ديون الناس، ويحمل الكل، ويطعم في المجاعة، لا يقضي عني تمراً لقوم مجاهدين في سبيل الله⁽⁸⁾، وقال ذلك قيس لأبي عبيدة؛ لأنه قد اتفق مع رجل من جهينة على أن يشتري منه نوقاً ينحرها للجيش على أن يعطيه بدل ذلك تمراً بالمدينة وقد وافق الجهني على تلك الصفقة.

(1) انظر: المجتمع المدني للعمرى، ص125.

(2) انظر: المغازي (774/2)، السيرة النبوية على ضوء مصادرها الأصلية، ص480.

(3) انظر: السيرة النبوية على ضوء مصادرها الأصلية، ص480.

(4) مسلم (1537/3) رقم 1935.

(5) انظر: السيرة النبوية على ضوء مصادرها الأصلية، ص480.

(6) انظر: معين السرية، ص323، السرايا والبعوث النبوية، ص119.

(7) انظر: السرايا والبعوث النبوية، ص119.

(8) انظر: معين السيرة، ص323 نقلاً عن الزرقاني في شرحه (282/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وعندما علم سعد بن عباد بنهي أبي عبدة لقيس بحجة أنه لا مال له، وإنما المال لأبيه، وهب ابنه أربع حوائط أدناها يُجذ منه خمسون وسقاً⁽¹⁾.

3- الحلال والحرام: إن المسلمين في هذه السرية بلغ بهم الجوع غايته، فكانت التمرة الواحدة طعام الرجل طوال يوم كامل في سفر ومشقة، ويمرون وهم على تلك الحال من فقد التمر وأكل الخبط على الجهني الذي اشترى منه قيس أو على قومه، فما يخطر بفرعهم أن يغيروا عليهم لينتزعوا منهم طعامهم، كما كانت الحال في الجاهلية؛ لأنهم اليوم ينطلقون بدين الله الذي جاء ليحفظ على الناس أموالهم في جملة ما حفظ وهم اليوم يفرقون بين الحلال والحرام الذي تعلموه من منهج رب العالمين⁽²⁾.

4- جواز أكل ميتة البحر: وتدل القصة على جواز أكل ميتة البحر، وأنها لم تدخل في قوله عز وجل: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ) [المائدة: 3]، وقد قال تعالى: (أَحَلَّ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعَامَهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلْغِيَارَةِ) [المائدة: 96]، وقد صح عن أبي بكر الصديق وعبد الله بن عباس وجماعة من الصحابة (أن صيد البحر ما صيد منه، وطعامه ما مات فيه) وفي السنن عن ابن عمر مرفوعاً وموقوفاً: (أحللت لنا ميتتان ودمان، فأما الميتتان فالسمك والجراد، وأما الدمان فالكبد والطحال) حديث حسن. كما أن في أكل الرسول صلى الله عليه وسلم من لحم الحوت الذي تغذى منه المسلمون مدة دليل على مشروعية أكل ميتة البحر⁽³⁾.

5- بعض الأحكام التي ذكرها الإمام النووي: قال النووي: في هذا الحديث جواز صد أهل الحرب واغتيالهم والخروج لأخذ مالهم واغتنامه، وأن الجيوش لا بد لها من أمير يضبطها، وينقادون لأمره ونهيه، وأنه ينبغي أن يكون الأمير أفضلهم، أو من أفضلهم، قالوا: ويستحب للرفقة من الناس وإن قتلوا أن يؤمروا بعضهم عليهم، وينقادوا له، قال أصحابنا وغيرهم من

(1) انظر: معين السيرة، ص323.

(2) المصدر نفسه، ص324.

(3) انظر: السيرة في ضوء مصادرها الأصلية، ص480.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

العلماء: يستحب للرفقة من المسافرين خلط أزوادهم ليكون أبرك، وأحسن في العشرة، وألا يختص بعضهم بأكل دون بعض، والله أعلم⁽¹⁾.

ثالثاً: سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل:

كانت هذه السرية قد وجهت إلى أبعد مدى وصلت إليه الجيوش النبوية في الجزيرة العربية، ودومة الجندل قريبة من تخوم الشام، فهي أبعد ثلاثة أضعاف عن المدينة بعدها عن دمشق، وهي تقوم في قلب الصحراء العربية واسطة الصلة بين الروم في أرض الشام والعرب في الجزيرة، وسكانها من قبيلة كلب الكبرى، وقد دخلوا في النصرانية نتيجة جوارهم وتأثرهم بجوار الروم النصارى، وهذه السرية تدخل ضمن مخطط النبي صلى الله عليه وسلم في احتكاكه مع الإمبراطورية الرومانية.

وأما أمير السرية فهو عبد الرحمن بن عوف أحد العشرة المبشرين بالجنة، ومن رجال الرعيل الأول، فقد كان إحدى الدعائم الكبرى للدعوة الإسلامية منذ دخوله فيها على يد الصديق رضي الله عنه. ومهمة هذه السرية ذات جانبين: مهمة دعوية، ومهمة حربية؛ لذلك انتدب لها عبد الرحمن بن عوف الذي تربى على محض الإسلام منذ أيامه الأولى⁽²⁾.

وعن هذه السرية حدثنا عبد الله بن عمر فقال: دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف فقال: تجهز فإني باعثك في سرية في يومك هذا، أو من غد إن شاء الله، قال ابن عمر: فسمعت ذلك فقلت: لأدخلن فأصلين مع النبي الغداة، فلأسمعن وصيته لعبد الرحمن بن عوف.

قال: فغدوت فصليت فإذا أبو بكر وعمر، وناس من المهاجرين فيهم عبد الرحمن بن عوف، وإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان أمره أن يسير من الليل إلى دومة الجندل فيدعوهم إلى الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن: ما خلفك عن أصحابك؟ قال ابن عمر: وقد مضى أصحابه في السحر، فهم معسكرون بالجرف وكانوا سبعمائة رجل، فقال: أحببت

(1) شرح النووي على مسلم (86/13).

(2) انظر: التربية القيادية (167/4، 168).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

يا رسول الله أن يكون آخر عهدي بك وعليّ ثياب سفري.

قال: وعلى عبد الرحمن بن عوف عمامة قد لفها على رأسه، قال ابن عمر: فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم فأقعدته بين يديه فنقض عمامته بيده، ثم عممه بعمامة سوداء فأرعى بين كتفيه منها، ثم قال: هكذا فاعتم يا ابن عوف. قال: وعلى ابن عوف السيف متوشحه، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اغزُ باسم الله، وفي سبيل الله فقاتل من كفر بالله، لا تغل ولا تغدر ولا تقتل وليدًا، قال ابن عمر: ثم بسط يده، فقال: يا أيها الناس، اتقوا خمسًا قبل أن يحل بكم: ما نقص مكيال قوم إلا أخذهم الله بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يرجعون، وما نكت قوم عهدهم إلا سلط الله عليهم عدوهم، وما منع قوم الزكاة إلا أمسك الله عليهم قطر السماء، ولولا البهائم لم يسقطوا، وما ظهرت الفاحشة في قوم إلا سلط الله عليهم الطاعون، وما حكم قوم بغير آي القرآن إلا ألبسهم الله شيعًا، وأذاق بعضهم بأس بعض.

قال: فخرج عبد الرحمن حتى لحق أصحابه فسار حتى قدم دومة الجندل، فلما حل بها دعاهم إلى الإسلام فمكت بها ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام، وقد كانوا أول ما قدم يعطونه إلا السيف، فلما كان اليوم الثالث أسلم الأصم بن عمرو الكلبي، وكان نصرانيًا وكان رأسهم، فكتب عبد الرحمن إلى النبي صلى الله عليه وسلم يخبره بذلك، وبعث رجلاً من جهينة يقال له رافع بن مكيث، وكتب يخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه قد أراد أن يتزوج فيهم، فكتب إليه النبي صلى الله عليه وسلم أن يتزوج بنت الأصم تماضر، فتزوجها عبد الرحمن وبنى بها، ثم أقبل بها وهي أم أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف. وذكر الواقدي أن هذه السرية في شعبان سنة ست (1).

وفي هذه السرية دروس وعبر منها:

1- تواضع النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه وشفقته عليهم، حيث ألبس عبد الرحمن بن عوف عمامته بيده، وهذا التواضع منه صلى الله عليه وسلم يرفع من معنويات الصحابة رضي

(1) انظر: مغازي الواقدي (560/2، 561).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

الله عنهم، ويدفعهم إلى بذل المزيد من الطاقة في سبيل خدمة هذا الدين؛ لأن التلاحم والمودة بين القائد وجنوده، من أهم عوامل نجاح العمل وتحقيق الأهداف⁽¹⁾.

2- كان جيش عبد الرحمن جيش مبادئ فتحرك ضارباً في هذه الصحراء المترامية يحمل شرع الله إلى خلقه، وهدى رسوله إلى أمته مستوعباً لمقاصد الجهاد وأحكامه، فالجهاد ليس باسم محمد صلى الله عليه وسلم فهو عبد الله ورسوله، ولا مكان لزعيم أو أمة أو قبيلة أو راية أو وطن أو جيش أو قومية بجوار هذه الراية الخفاقة في هذا الوجود، راية الله تعالى: «اغزُ باسم الله» فحزب الله تعالى هو الذي يحيي هذه الصحراء الظمأى بغيث العقيدة الخالصة عقيدة التوحيد⁽²⁾، وهدفهم من هذا التحرك في سبيل الله وحده قال تعالى: (قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ □ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) [الأنعام: 162، 163].

قتالهم لمن كفر بالله وليس القتال على المبدأ الجاهلي:

وأحيانا على بكر أخينا إذا لم نجد إلا أخانا

أما هذا الجيش القوي الفتى، فهو يمضي في الأرض قدماً ليقاتل من كفر بالله⁽³⁾.

3- ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف عن الغلول وهو الأخذ من الغنيمة قبل قسمتها، ونهاه عن الغدر في العهود وعن قتل الولدان، وتلك نماذج من الأدب الإسلامي في الجهاد، فالقتال نوع من العنف والقسوة، ولكنه بالنسبة للمسلمين الذين طهر الله تعالى قلوبهم من الغل والحسد أمر عارض لإحقاق الحق وإزهاق الباطل، وحماية المحقين من المبطلين وليس متأصلاً في نفوسهم؛ ولذلك كان محفوفاً بالآداب السامية التي تجعل الإنسان

(1) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (184/6).

(2) انظر: التربية القيادية (171/4).

(3) المصدر نفسه (172/4).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

الواحد جامعاً بين منتهى القوة والبطش ومنتهى الرحمة والعطف⁽¹⁾.

4- كان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه سيداً من سادات هذه الأمة، وواحدًا من أكبر دعائها، فهو يملك من الحلم، والحكمة والثقافة، والتجربة والعبقرية، والقدم في الإسلام، والبلاء فيه ما لا يملكه غيره، ولهذا بذل كل طاقته لتحقيق الهدف الرئيسي الأول، وهو الدخول في الإسلام، وكان مترينًا هاديًا خبيرًا بالنفوس والقلوب، فشحن كل الإمكانيات الفكرية والحركية، لإنجاح هذه المهمة العظمى، وتكفل عمله بفضل الله تعالى بالإنجاح الكبير، وخاصة أن الجهد انصب على إقناع الرئيس، حسب توجيهات المصطفى صلى الله عليه وسلم.

5- إن إسلام سيد بني كلب في دومة الجندل الأصبع بن عمرو على يد عبد الرحمن بن عوف، يذكرنا بجعفر بن أبي طالب الذي أسلم على يديه النجاشي ملك الحبشة، ومصعب بن عمير بالمدينة حيث استجاب له سادات الأوس والخزرج وزعامتهم للإسلام، وهذه الشخصيات العظمى الثلاثة هم من الرواد الأوائل، ومن المؤسسين في المدرسة الإسلامية الأولى بمكة المكرمة.

هذا عبد الرحمن بن عوف الذي أصيب بأحد عشر جرحاً أدت بعضها إلى أن يكون عنده عرج من شدتها، يصنع ركانز العقيدة الإسلامية بجيشه المظفر شمال الجزيرة العربية، وينضم الكثيرون إلى الإسلام، لتغدو دومة الجندل موقعاً جديداً من المواقع الإسلامية، في هذه الأطراف المتنامية، فلا غنى للمسلمين عن هذه القلعة، وعن هذه الموقعة للمستقبل القريب في المواجهة مع العرب والروم المناوئين للإسلام⁽²⁾.

وهذه أول مرة يحكم الإسلام خارج حدوده ويتعايش المسلمون والنصارى في دولة واحدة، فالذين أسلموا تطبق عليهم أحكام الإسلام، والذين بقوا على نصرانيتهم تؤخذ منهم الجزية، وكان هذا الانفتاح تدريباً جديداً للصحابة على المجتمعات الجديدة التي سينتقلون إليها فيما بعد، وينساحون في العراق والشام وفي قلب فارس والروم، ليعلموا الناس أن العقيدة تنبني من خلال

(1) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (184/6).

(2) انظر: التربية القيادية (174/4).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

الحوار لا من خلال السيف، وأن مبادئ الإسلام لها قوتها الذاتية التي تشع أنوارها على المجتمعات التي قد انغمست في الظلام البهيم⁽¹⁾.

6- إن زواج عبد الرحمن بن عوف من ابنة سيد بني كلب زعيم دومة الجندل يقوي الروابط بين الزعيم المسلم الجديد بدومة الجندل وبين دولة الإسلام في المدينة، ويربط مصيره بمصير دولة الإسلام، ومصير الإسلام نفسه حين يشعر أن فلذة كبده مقيمة في العرين الإسلامي الذي أصبح يحن له حنينه لأرضه وبلده⁽²⁾.

وقد كان **صلى الله عليه وسلم** يحرص على أن يتزوج هو وقادته بنات سادة القبائل؛ لأن ذلك كسباً كبيراً لدعوة الإسلام، حيث تكون المصاهرة سبباً في القرب وامتصاص أسباب العداء ثم الدخول في الإسلام⁽³⁾.

رابعاً: تأديب الغادرين: غزوة بني لحيان، وغزوة الغابة وغيرهما:

1- بعد رحيل الأحزاب انتقل المسلمون من دور الدفاع إلى دور الهجوم وأصبحوا يمسون بأيديهم زمام المبادرة، وحين الوقت لتأديب بني لحيان الذين غدروا بخبيب وأصحابه يوم الرجيع، وأخذ ثار الشهداء، فخرج إليهم في مائتي صحابي، في ربيع الأول أو جمادى الأولى سنة ست من الهجرة⁽⁴⁾.

أ- **تضليل العدو:** كانت أرض بني لحيان من هذيل تبعد عن المدينة أكثر من مائتين من الأميال. وهي مسافة بعيدة، يلاقي مشاقاً كبيرة كل من يريد قطعها، ولكن النبي **صلى الله عليه وسلم** كان حريصاً على الاقتصاص لأصحابه من الذين استشهدوا (غداً) على يد هذه القبائل الهمجية التي لا قيمة للعهود عندها.

(2) انظر: التربية القيادية (174/4).

(3) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (186/6).

(4) انظر: السيرة النبوية في ضوء مصادرها الأصلية، ص 468.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وكما هي عادة النبي صلى الله عليه وسلم في تضليل العدو الذي يريد مهاجمته اتجه بجيشه نحو الشمال، بينما تقع منازل بني لحيان في أقصى الجنوب.

وقد أعلن النبي صلى الله عليه وسلم قبل تحركه نحو الشمال: أنه يريد الإغارة على الشام، وحتى أصحابه لم يعلموا أنه يريد بني لحيان إلا عندما انحرف بهم نحو الجنوب، بعد أن اتجه بهم متوغلاً نحو الشمال حوالي عشرين ميلاً.. في حركة تمويهية على العدو بارعة.

وكان تغيير خط سيره من الشمال إلى الجنوب عند مكان يقال له (البتراء)، ففي ذلك المكان عطف بجيشه نحو الغرب حتى استقام على الجادة منصّباً نحو الجنوب⁽¹⁾.

ب- فرار اللحيانيين قبل وصول النبي صلى الله عليه وسلم: كانت بنو لحيان على غاية التيقظ والانتباه، فقد بثت الأرصاد والجواسيس في الطرق ليتحسسوا لها ويتجسسوا لذلك، فما كاد النبي صلى الله عليه وسلم يقترب بجيشه من منازلهم حتى انسحبوا منها فارين، وهربوا في رؤوس الجبال، وذلك بعد أن نقلت إليهم عيونهم خبر اقتراب جيش المسلمين من ديارهم.

ولما وصل النبي صلى الله عليه وسلم بجيشه عسكر في ديارهم ثم بث السرايا من رجاله ليتعقبوا هؤلاء الغادرين، ويأتون إليه بمن يقدرون عليه، واستمرت السرايا النبوية في البحث والمطاردة يومين كاملين إلا أنها لم تجد أي أثر لهذه القبائل التي تمنعت في رؤوس تلك الجبال الشاهقة، وأقام صلى الله عليه وسلم في ديارهم يومين لإرهابهم وتحديدهم، وليظهر للأعداء مدى قوة المسلمين وثقتهم بأنفسهم، وقدرتهم على الحركة حتى إلى قلب ديار العدو متى شاءوا⁽²⁾.

ج- إرهاب المشركين بمكة: رأى النبي صلى الله عليه وسلم أن يغتنم فرصة وجوده بجيشه قريباً من مكة فقرر أن يقوم بمناورة عسكرية يرهب بها المشركين في مكة، فتحرك بجيشه حتى نزل به وادي عسفان⁽³⁾، وهناك استدعى أبا بكر الصديق، وأعطاه عشرة فوارس من أصحابه

(1) انظر: صلح الحديبية بأشميل، ص34، 35. (2) المصدر نفسه، ص36.

(3) عسفان: قرية بين مكة والمدينة على نحو يومين من مكة. هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ مع الدعاء بحسن الاستفادة

وأمره بأن يتحرك بهم نحو مكة ليبيت الذعر والفرع في نفوسهم، فاتجه الصديق بالفرسان العشرة نحو مكة حتى وصل بهم كراع الغميم⁽¹⁾، وهو مكان قريب جداً من مكة، فسمعت قريش بذلك فظنت أن النبي صلى الله عليه وسلم ينوي غزوها فانتابها الخوف والفرع والرعب، وساد صفوفها الذعر، هذا هو الذي هدف إليه النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الحركة التي كلف الصديق أن يقوم بها.

أما الصديق وفرسانه العشرة فبعد أن وصلوا كراع الغميم، وعلموا أنهم قد أحدثوا الذعر والفرع في نفوس أهل مكة عادوا سالمين إلى النبي صلى الله عليه وسلم فتحرك بجيشه عائداً إلى المدينة⁽²⁾.

د- الترحم على الشهداء: عندما وصل النبي صلى الله عليه وسلم إلى بطن (گران)⁽³⁾ حيث لقي الشهداء من أصحابه مصرعهم على أيدي الخونة من هذيل، ترحم على هؤلاء الشهداء ودعا لهم⁽⁴⁾.

2- غزوة الغابة⁽⁵⁾: لم تكد تمضي ليالٍ قلائل على عودة رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته لبني لحيان، حتى أغار عيينة بن حصن الفزاري في خيل لغطفان كان عددها أربعين على لقاح (الإبل الحوامل ذوات الألبان) لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة، وقتلوا ذر بن أبي ذر الغفاري، وأسروا زوجته ليلى، واستاقوا الإبل التي كان عددها عشرين، ولما علم الرسول صلى الله عليه وسلم بخبر عيينة، خرج في خمسمائة من أصحابه في إثره، بعد أن استخلف سعد بن عبادة في ثلاثمائة من قومه يحرسون المدينة⁽⁶⁾.

وعند جبل ذي قرد⁽⁷⁾ أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم العدو، فقتل بعض أفرادهم واستنقذ

(1) كراع الغميم: موضع بناحية الحجاز بين مكة والمدينة وهو واد.

(2) انظر: صلح الحديبية، ص 37. (2) غران بضم أوله: واد بين سارية ومكة.

(4) انظر: صلح الحديبية، ص 38.

(5) الغابة: موضع قرب المدينة من ناحية الشام فيه أموال لأهل المدينة.

(6) انظر: عيون الأثر، ابن سيد الناس (72/2، 73).

(7) ذو قرد: ماء على نحو بريد من المدينة مما يلي غطفان.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وقد أبدى سلمة بن الأكوع في هذه المعركة بطولة نادرة وخاصة قبل وصول كتيبة الفرسان النبوية، حيث كان من ضمن الرعاة في منطقة الغابة، وظل بمفرده يشاغل المغيرين ويراميهم بالنبل، وكان من أعظم الرماة في عصره، وقد استخلص مجموعة من الإبل المنهوبة قبل قدوم كتيبة الفرسان⁽²⁾.

أما المرأة التي أسرها المغيرون من غطفان وهي زوجة ابن أبي ذر الذي قتله المشركون أثناء الغارة في الغابة، فقد عادت سالمة إلى المدينة بعد أن تمكنت من الإفلات من القوم على ظهر ناقة تابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد نذرت إن نجاها الله عز وجل لتتحرن تلك الناقة، فلما أخبرت النبي صلى الله عليه وسلم عن نذرها تبسم وقال: «بنسما جزيتها» (أي أنها حملتك ونجت بك من الأعداء فيكون جزاؤها النحر) ثم قال لها صلى الله عليه وسلم: «لا نذر في معصية الله، ولا فيما لا تملكين»⁽³⁾.

وقد عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد أن أمضى خمس ليال خارجها⁽⁴⁾. وهذه الغزوة من أكبر الغزوات التأديبية التي قادها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ضد أعراب نجد بعد غزوة الأحزاب وبني قريظة وقبل غزوة خيبر⁽⁵⁾، وتتابع سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد غزوة ذي قرد لتأديب المشركين فنجحت بعض هذه السرايا، وتعثر بعضها الآخر، وكان أبرزها سرية عكاشة بن محصن الأسدي التي عرفت بسرية الغمر⁽⁶⁾، وقد بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول سنة ست من الهجرة، إلى بني أسد، فوصلت إلى موضع يقال له الغمر، فوجدت القوم قد هربوا وتفرقوا في الجبال القريبة، فأغار

(1) انظر: التاريخ السياسي والعسكري، ص 327.

(2) انظر: صلح الحديبية، ص 43.

(4) انظر: التاريخ السياسي والعسكري، ص 327.

(5) انظر: صلح الحديبية، ص 45.

(6) الغمر: ماء لبني أسد على ليلتين من فيد الذي هو قلعة بطريق مكة.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

عكاشة وأصحابه على نعم لهم فغنموا مائتي بعير، وعادوا إلى المدينة⁽¹⁾.

ومن أبرزها أيضا سرية محمد بن مسلمة الأنصاري إلى ذي القصة⁽²⁾ لإرهاب بني ثعلبة وغُوال ومنعهم من الإغارة على سرح المدينة، وفي شهر ربيع الثاني سنة ست من الهجرة خرج محمد بن مسلمة في عشرة من المسلمين حتى وردوا عليهم ليلاً فأحرق بهم القوم وهم مائة رجل، فتراموا ساعة من الليل، ثم حملت عليهم الأعراب بالرماح فقتلوه، ووقع محمد بن مسلمة جريحاً، ولم يتمكن من العودة إلا بعد أن مرَّ به رجل من المسلمين، فحمّله حتى ورد به المدينة⁽³⁾.

وعلى الأثر بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح في أربعين رجلاً إلى منازلهم، فلم يجدوا واحداً، ولكنهم غنموا بعض نعمهم فساقوها وعادوا بها إلى المدينة⁽⁴⁾.

وفي شهر جمادى الأولى من السنة نفسها، كانت سرية زيد بن حارثة الثانية إلى العيص⁽⁵⁾ في سبعين ومائة راكب، لاعتراض قافلة لقريش كانت مقبلة من الشام فأدركها وأخذها وما فيها، وأسر بعض أفرادها، كان منهم أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله، وأمه هالة بن خويلد أخت خديجة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمغيرة بن معاوية بن أبي العاص⁽⁶⁾. وفي شعبان سنة ست من الهجرة خرجت سرية بقيادة علي بن أبي طالب لتأديب بني سعد بن بكر الذين جمعوا الناس لإمداد يهود خيبر، وقد بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في مائة من المسلمين، فأغار عليهم، وغنم بعض نعمهم وعاد بها إلى المدينة⁽⁷⁾.

كانت هذه السرية تأديباً لكل من تسول له نفسه مساعدة اليهود في بغيتهم المتوقع، حيث علمت تلك القبائل أن عين المدينة يقظة لكل ما يدور حولها، وأن جميع التحركات كانت تحت

(1) تاريخ الطبري (640/2).

(2) ذو القصة، موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلاً في طريق الربرة.

(3) انظر: التاريخ السياسي والعسكري، ص328.

(4) الواقدي (551/1).

(5) العيص: بينها وبين المدينة أربع ليال.

(6) انظر: محمد رسول الله، محمد رضا، ص245، 246.

(7) انظر: التاريخ السياسي والعسكري، ص330.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

المراقبة⁽¹⁾. فقد تميزت الدولة الإسلامية بدقة رصدتها لأعدائها، وهكذا يكون التخطيط الحربي السليم، وذلك بقطع الطريق على تجمع الأعداد الكبيرة حتى بالإمدادات الصغيرة⁽²⁾.

إن حركة السرايا والبعوث التي كان يقودها رسول الله صلى الله عليه وسلم ترشد المسلمين إلى أهمية متابعة أخبار الأعداء وجمع المعلومات عنهم، فقد كانت المعلومات تتجمع عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من مصادر متعددة عن طريق سراياه الاستطلاعية والمسلمين المتخفين، والمتعاطفين مع المسلمين، المعاهدين، الفراسة واستكشاف ما وراء السطور، المهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يفاجأ بتآمر داخلي أو تهديد خارجي، وهذا يجعل المسلمين في عصرنا أمام قضية يجب أن يعطوها كامل الاعتبار، مع ملاحظة الضوابط الشرعية⁽³⁾.

خامساً: سرية كرز بن جابر الفهري إلى العرنيين:

قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من عكل⁽⁴⁾ وعرينة⁽⁵⁾ في شوال من العام السادس الهجري⁽⁶⁾، وتكلموا بالإسلام، فقالوا: يا نبي الله إنا كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف، واستوخموا المدينة، فأمر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذود⁽⁷⁾ وراع، وأمرهم أن يخرجوا فيه فيشربوا من ألبانها ويتمسحوا بأبوالها، فانطلقوا حتى إذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد إسلامهم، وقتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم واستاقوا الذود. فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم خبرهم فبعث الطلب في آثارهم⁽⁸⁾، فقبضوا عليهم؛ فأمر بهم فسمروا أعينهم وقطعوا أيديهم وأرجلهم، وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم، قال قتادة راوي الحديث: بلغنا أن النبي

(2) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (189/6).

(1) انظر: من معين السيرة، ص325.

(4) عكل: قبيلة من تيم الرباب.

(3) انظر: الأساس في السنة (712/2).

(5) عرينة: حي من بجيلة.

(6) من رواية الواقدي (568/2) معلقة، وابن سعد (93/2) معلقة.

(7) الذود: الإبل ما بين الثلاثة إلى العشرة وقيل ما بين الثنتين إلى التسعة.

(8) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص478.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

صلى الله عليه وسلم بعد ذلك كان يحث على الصدقة وينهى عن المثلة⁽¹⁾.

وقال أبو قلابة في حديثه: (هؤلاء قوم سرقوا وقتلوا وكفروا بعد إيمانهم، وحاربوا الله ورسوله)⁽²⁾.

قال الجمهور: إن الآية (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [المائدة: 33] قد نزلت في هؤلاء العرنيين⁽³⁾، وقيلت أسباب أخرى في نزولها⁽⁴⁾.

وعلى كل حال، فالعبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب، فهذا الحكم باق حتى يومنا هذا، وأدل دليل على ذلك، ما أجمع عليه المسلمون من وجود حكم الحاربة في الإسلام، سواء كانت الآية نزلت في الكفار أم في المسلمين، وهذه الآية نازلة في المشركين كما في البخاري، فدل ذلك على أن العبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب.

وكون المثلة منسوخة أو منهيًا عنها، وأن النبي صلى الله عليه وسلم سمل أعين العرنيين، لا يستدل به في هذه القضية، لكون العرنيين سملوا أعين الرعاة فصار سمل النبي صلى الله عليه وسلم لهم قصاصًا لا مثلة⁽⁵⁾.

إن حادثة العرنيين ترتب عليها تنفيذ حكم الحاربة، ونزول آيات بينات في هذا الحكم، فقد حصر المولى عز وجل جزاء المحاربين في أربعة أمور، وكان ذلك الحصر بأقوى أدوات الحصر.

ثم إنه وصف هؤلاء المحاربين بأوصاف يشمنز منها كل عاقل، ذلك أنه وصفهم بأنهم حرب لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم، وأنهم يريدون إفساد الأرض بتخويف سكانها، وتقتيلهم

(1، 10) نفس المصدر، ص478.

(1) انظر: سبل الهدى والرشاد للشامي (6/181-190) فيها تفصيل.

(2) انظر: تفسير الطبري (10/242-244).

(3) انظر: علاج القرآن الكريم للجريمة، د. عبد الله الشنقيطي، ص297، 298.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وسلبهم ونهب ممتلكاتهم ظلماً وجوراً لا مستند لهم ولا باعث إلا الإفساد والطغيان، فكانت رحمة الله تعالى الرحيم بهم وغيرهم من خلقه مقتضية الحكم عليهم بواحد من أمور أربعة وهي: القتل، والصلب، وقطع الأيدي، والأرجل من خلاف، والإبعاد من مخالطة العامة، وعزلهم عنها بالنفي والتغريب حتى لا تتكرر منهم تلك الجرائم الشنيعة، وحتى يرتدع غيرهم من ارتكاب مثل هذا الجرم الشنيع، ولكي يظهرهم ما يوقع بهم من عقاب من الذنوب والآثام، إن هم تابوا ورجعوا إلى رشدهم وصوابهم.

ثم إن هؤلاء لهم ذلة ومهانة في الحياة الدنيا لأذيتهم المسلمين، وقد علل تعالى لحوق تلك الرذيلة بهم مدة الحياة الدنيا بسبب ما اقترفوه من جريمة الحراية، وباقية معهم إلى يوم القيامة، لكن الرب جل وعلا أعد لهؤلاء في الآخرة عذاباً عظيماً.

ثم استثنى جل وعلا من هؤلاء من أناب إليه ورجع في أسلوب حكيم مؤثر داع إلى رجوعهم وتوبتهم من هذه الجريمة المنكرة، فلقد عفا عنهم تعالى إذا ما رجعوا وجاءوا تائبين قبل القدرة عليهم، لكون تلك التوبة مظنة لصدقهم في توبتهم ورجوعهم عن غيهم؛ لأنهم رجعوا قبل القدرة عليهم، وبتقييد العفو عنهم بتوبتهم قبل القدرة عليهم يفهم أنهم إن قدر عليهم قبل التوبة لا ينالون من العفو ما ينالونه لو تابوا قبل القدرة عليهم. وهذا نوع من العلاج في غاية الدقة والإنصاف، وفيه من الحفز على التقليل من هذه الجريمة وتركها ما لا يخفى على ذي عقل لبيب.

وكذلك الشأن في جميع أساليب القرآن الكريم العلاجية، كلها توافق الذوق السليم والعقل الراجح المتزن المتمتع بصفاء الفطرة السليمة.

ثم ختم تعالى الآيتين الكريمتين بأنه غفور رحيم لمن تاب منهم وأصلح، فلا يقتط أحد من رحمته الواسعة، ولا يحول بين العبد ورحمة ربه ومغفرته عظيم ذنبه، وجسيم خطئه، ما لم يقارف شركاً. وفي الجملة فقد عالجت الآيات القرآنية الحراية في المجتمع الإسلامي علاجاً لا مزيد عليه وذلك واضح مما يلي:

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

- 1- وصف المحارب بأنه محارب لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم.
 - 2- عظم الجزاء المترتب على الحراية أيا كان هو.
 - 3- مكانته الدنيا في الدنيا والآخرة إن لم يتب.
 - 4- يظهر علاج القرآن الكريم لهذه الجريمة الشنعاء بفتح باب التوبة لمتعاطيها على مصراعيه حتى لا يكون سده في وجهه حافزاً له على التمادي في جرمه والاستمرار في عتوه⁽¹⁾.
- قال تعالى: (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ □ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [المائدة: 33، 34].
- وهكذا كانت حركة بناء المجتمع وإقامة الدولة متشابكة في قضاياها العسكرية والسياسية والاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية.

* * *

(1) انظر: علاج القرآن الكريم للجريمة، ص 313-315.
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

المبحث الثالث

تصفية المحرضين على الدولة

أولاً: سرية عبد الله بن عتيك لقتل سلام بن أبي الحقيق:

كان أبو رافع سلام بن أبي الحقيق من يهود بني النضير كثير التحريض على الدولة الإسلامية، حتى إنه جعل لغطفان ومن حولها من قبائل مشركي العرب الجعل العظيم إن هي قامت لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشاع أمر أبي رافع وانتشر، وكان ممن ألب الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصبح تحريضه على دولة الإسلام من الأخطار التي يجب أن يوضع لها الحد⁽¹⁾.

1- توجه السرية إلى خيبر ودخولها:

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي رافع اليهودي رجالا من الأنصار فأمر عليهم عبد الله بن عتيك.. وكان أبو رافع في حصن له فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرهم. قال عبد الله بن عتيك لأصحابه: اجلسوا مكانكم فإني منطلق ومتلطف للبواب لعلني أن أدخل، فأقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجة، وقد دخل الناس، فهتف به البواب: يا عبد الله، إن كنت تريد أن تدخل فادخل، فإني أريد أن أغلق الباب، فدخلت، فكمنت فلما دخل الناس أغلق الباب، ثم غلق الأغاليق على وتد. قال ابن عتيك: فقامت إلى الأقاليد فأخذتها ففتحت الباب⁽²⁾.

2- تنفيذ العقوبة بحق أبي رافع:

ولما دخل أبو عتيك رضي الله عنه ومن معه من أفراد سريته إلى داخل الحصن، وأخذوا ينتظرون الفرصة المناسبة لقتل هذا اليهودي الخبيث أبي رافع. وقد جاء في البخاري: أن عبد الله بن عتيك أدرك نفرًا من أصحاب أبي رافع يسمرون عنده،

(1) انظر: قراءة سياسية للسيرة النبوية، محمد قلجي، ص212.

(2) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص465.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وكان في علالي له، فكمن حتى ذهب عنه أهل سمره ثم صعد إليه، وكلما دخل باباً أغلقه عليه، من الداخل حتى لا يحول أحد بينه وبين تنفيذ العقوبة، بحق أبي رافع، فانتهى إلى أبي رافع فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله، لا يدري أين هو من البيت، قال ابن عتيك: فقلت: يا أبا رافع. قال: من هذا؟ قال ابن عتيك: فأهويت نحو الصوت فأضربه ضربة بالسيف، وأنا دهش ما أغنيت شيئاً. وصاح، فخرجت من البيت، فمكثت غير بعيد ثم دخلت إليه. فقلت: ما هذا الصوت يا أبا رافع؟ قال: لأمك الويل إن رجلاً في البيت ضربني قبل بالسيف. قلت: فأضربه ضربة أثخنه ولم أقتله، ثم وضعت ظبة السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره فعرفت أنني قتلت. فجعلت أفتح الأبواب باباً باباً حتى انتهيت إلى درجة له، فوضعت رجلي وأنا أرى أنني قد انتهيت إلى الأرض، فوقعت في ليلة مقمرة، فانكسرت ساقي فعصبتها بعمامة، ثم انطلقت حتى جلست على الباب فقلت: لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته؟ فلما صاح الديك قام الناعي على السور فقال: أنعي أبا رافع تاجر أهل الحجاز، فانطلقت إلى أصحابي فقلت: النجاء، فقد قتل الله أبا رافع، فانتهى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال: ابسط رجلك، فبسطت رجلي فمسحها فكأنها لم أشتكها قط⁽¹⁾.

وقد ذكرت كتب السيرة أن امرأة أبي رافع حينما ضرب بالسيف صاحت فأراد قتلها، ثم كف عن ذلك؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهاهم عن قتل النساء والصبيان⁽²⁾، وأن ابن عتيك كان يرطن بلغة اليهود، وأنه استخدمها مع زوجة أبي رافع اليهودي وأهل بيته.

ويذكر كتاب السيرة أن سرية ابن عتيك كلها شاركت في ضرب أبي رافع، وأن كل واحد منهم ادّعى أن ضربته كانت هي القاضية على أبي رافع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «عجلوا بأسياكم» فأتوا بأسياهم فنظروا إليها، ثم قال: «هذا قتله» وهو سيف عبد الله بن أنيس، هذا أثر الطعام في سيف عبد الله بن أنيس⁽³⁾. وقد يتوهم القارئ الكريم أن هناك تناقضاً بين رواية

(1) البخاري، كتاب المغازي، باب قتل أبي رافع (33/5) رقم 4039.

(2) انظر: شرح المواهب اللدنية (168/2).

(3) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (91/2، 92) المغازي للواقدي (294/1) المغازي النبوية للزهري، ص 114.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

البخاري، ورواية كتب السيرة الأخرى التي تقول: إن الضربة القاضية كانت من عبد الله بن أنيس، والحق أنه ليس كذلك؛ ذلك لأن عبد الله بن عتيك يخبر عن نفسه، وأنه غلب على ظنه أنه هو القاتل، وأنه قد حكى عن دوره في ضرب اليهودي أبي رافع، ولا يعني هذا أن غيره لم يشارك في قتله، إذ لم ينف هو مشاركة غيره له في قتل أبي رافع، والروايات يفسر بعضها بعضاً، ويشرح بعضها بعضاً والروايات تذكر أن كل واحد من أفراد السرية كان يدعي أن ضربته هي القاضية والمميتة لأبي رافع، وقد نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعواهم وفحص سيوفهم، وحكم بعد ذلك بأن الضربة القاضية كانت بسيف عبد الله بن أنيس رضي الله عنه لظهور أثر الطعام عليه، أي أن هذا السيف قد دخل جوف أبي رافع ومزق أحشائه، وقطع أمعائه، وخلط غذاءه في جوفه⁽¹⁾.

وقد ذكرت كتب السيرة أسماء سرية عبد الله بن عتيك وهم: مسعود بن سنان، عبد الله بن أنيس، أبو قتادة الحارث بن ربعي، خزاعي بن أسود⁽²⁾.

وفي هذه السرية دروس وعبر كثيرة منها:

1- إن كل أعضاء هذه السرية كانوا من الخزرج فقد حرصوا على أن ينافسوا إخوانهم من الأوس، الذين قتلوا كعب بن الأشرف، فقد كانوا كفرسي رهان في المسابقة في الخيرات فهم لا يتنافسون على اغتنام مظاهر الحياة الدنيا من المال والمناصب، وإنما يتسابقون إلى الفوز بمرضاة النبي صلى الله عليه وسلم التي مآلها رضوان الله تعالى والسعادة الأخروية⁽³⁾.

قال كعب بن مالك: وكان مما صنع الله تعالى به لرسوله صلى الله عليه وسلم أن هذين الحيين من الأنصار، الأوس والخزرج، كانا يتصاولان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

(1) انظر: الصراع مع اليهود (189/1).

(2) انظر: التاريخ الإسلامي (177/6).

(2) انظر: صلح الحديبية، باشميل، ص 91.

تصاول الفحلين؛ يعني يتسابقان في خدمته، لا يصنع الأوس شيئاً فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غناء إلا قالت الخزرج: والله لا تذهبون بهذه فضلاً علينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الإسلام، قال: فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها، وإذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الأوس مثل ذلك⁽¹⁾.

2- فائدة لغة العدو: فقد استطاع عبد الله بن عتيك أن يصعد إلى حصن أبي رافع وأن يخاطب امرأته وأن يدخل بيته مطمئناً؛ لأنه خاطبه بلغته، لغة اليهود في ذلك الوقت، ويؤخذ من ذلك استحباب تعلم لغة غير المسلمين لا سيما الأعداء منهم خاصة لأولئك العسكريين الذين يذهبون لمهمات استطلاعية تجمع أخبار العدو وتزود القيادة بها، والقيادة ترسم⁽²⁾.

3- عناصر نجاح خطة ابن عتيك في قتل أبي رافع اليهودي: ذهابه وحده، فقد قرر أن يذهب وحيداً إلى الحصن، ويحاول أن يدخله، ومن ثم يفتش عن طريقة يدخل بها أفراد سرّيته، تصرفه العادي الذي لم يلفت انتباه أحد من الحراس، قدرته على التمويه على الحارس، وإيهامه أنه يقضي حاجته، وهذا منع الحارس من النظر إليه وتفحصه وتفكره في وجهه، مراقبة حركة الحارس الدقيقة بعد دخول الحصن وإغلاقه، فقد كمن في مكان لم يشعر به الحارس، وراقب الحارس حتى وضع مفتاح الحصن في مكان معين وتابعه حتى انصرف، وأخذ المفتاح وأصبح يستخدمه كيفما يشاء وفي أي وقت يشاء⁽³⁾.

4- عناية الله عز وجل بأوليائه، فهذا الصحابي الجليل استمر بعون من الله تعالى يمشي ويبذل طاقته حتى بعد أن أصيبت رجله، وكأنه لا يشكو من علة حتى إذا انتهت مهمته تماماً، وأصبح غير محتاج لبذل الجهد عاد إليه الألم، وحمله أصحابه، فلما حدث النبي صلى الله عليه وسلم خبره قال له: **ابسط رجلك، قال: فبسطت رجلي فمسحها فكأنها لم**

(1) انظر: السيرة لابن هشام (177/6).

(4) انظر: الصراع مع اليهود (191/1).

(3) المصدر نفسه (192/1، 193).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

5- فوائد من القصة استخرجها ابن حجر حيث قال: وفي هذا الحديث من الفوائد جواز اغتيال المشرك الذي بلغته الدعوة وأصر وقتل من أعان على رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده أو ماله أو لسانه، وجواز التجسس على أهل الحرب، وتطلب غرتهم والأخذ بالشدة في محاربة المشركين، وجواز إيهام القوم للمصلحة، وتعرض القليل من المسلمين للكثير من المشركين، والحكم بالدليل والعلامة لاستدلال ابن عتيك على أبي رافع بصوته واعتماده على صوت الناعي بموته، والله أعلم(2).

6- وجود عبد الله بن أنيس جندياً في هذه السرية، وليس أميراً فيها له دلالة الكبرى في عملية التربية والتعليم، فهو العقبي البدري المصلي للقبليتين، فهو من السابقين الأولين من الأنصار، وليس عبد الله بن أنيس نكرة في مجال الجهاد والبطولات، فلا بد أن نذكر أنه وحده الذي ابتعثه رسول الله إلى اغتيال سفيان بن خالد الهذلي في أطراف مكة، وهو الذي كان يعد العدة لغزو المدينة، وهو الذي نجح نجاحاً باهراً في مهمته تلك، وقتله في فراشه وداخل خيمته، وأعجز قومه هرباً، وعاد منتصراً مظفراً، فهو مليء بالمجد، ومع ذلك فلم يكن أمير المجموعة، إنما كان أحد أفرادها، وهو يحمل هذا التاريخ المشرق في سجلاته عند ربه عز وجل قبل أن يكون عند الناس.

وهو درس تربوي خالد قد استوعبه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا النوع من التربية لا مثيل له في عالم الأرض، فالذي يحكم في الجيوش تسلسل الرتب حتى أن الرتبة الواحدة يتحكم فيها المتقدم بالمستجد، وعلى المستجد السمع والطاعة للمتقدم ولو بأشهر، وبهذا المنطق لا يجوز أن يتقدم على عبد الله بن أنيس أحد، ولكنها التربية النبوية العظيمة التي خطها النبي صلى الله عليه وسلم في أكثر من موقع، لتجعل هذا الجيل يتعلم من سابقه ويتدرب على

(1) البخاري، المغازي، رقم 4039.

(2) فتح الباري (345/7).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

يديه، فطالما أرسل عليه الصلاة والسلام سرايا فيها أبو بكر وعمر جنديان عاديان في غمار الجنود⁽¹⁾.

ثانياً: سرية عبد الله بن رواحة إلى اليسير بن رزام اليهودي:

بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اليسير بن رزام أمير اليهود بخير بعد سلام بن أبي الحقيق، أخذ في جمع يهود الشمال وتحريضهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يكتف بذلك بل بدأ بتأليب قبائل غطفان وجمعها لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحين علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يببته اليهود له من الخديعة والمكر رأى صلى الله عليه وسلم أن يتأكد من ذلك قبل أن يقدم على أمر ما، فأرسل عبد الله بن رواحة في نفر من المسلمين رواداً يكتشفون ما تخبئه يهود ومن لف لفها من مشركي العرب⁽²⁾.

وقد تأكدت المخابرات النبوية من أمر اليسير بن رزام، وكان هذا كافياً لقيام النبي صلى الله عليه وسلم ببعث سرية في ثلاثين راكباً عليهم عبد الله بن رواحة، وفيهم عبد الله بن أنيس فأتوه فقالوا: أرسلنا إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستعملك على خير، فلم يزلوا به حتى تبعهم في ثلاثين رجلاً مع كل رجل منهم رديف من المسلمين، وكان هو رديف عبد الله بن أنيس على بعيره، حتى إذا كانوا بقرقرة ثيار على ستة أميال من خير، ندم اليسير على مسيره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهوى بيده على سيف رديفه ابن أنيس، ففطن له، فافتحم به، ثم ضربه بالسيف، فقطع رجله وضربه اليسير بمخرش⁽³⁾ في يده من شواخط⁽⁴⁾ فضرب به وجه عبد الله فأمه⁽⁵⁾، ومال كل رجل من المسلمين على رديفه من اليهود فقتله، إلا رجل واحد أفلت على رجله، فلما قدم ابن أنيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم تفل على

(1) انظر: التربية القيادية (148/4).

(2) انظر: اليهود في السنة المطهرة (388/1، 389).

(3) المخرش: شبه المقرعة يضرب به، وهي معوجة الرأس.

(4) الشواخط: شجر ابن النع، من أشجار الجبال التي يتخذ منها القسي والسهام.

(5) فأمه: أي جرحه في رأسه، والشجة المأمومة هي التي تبلغ أم الرأس.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

شجّه، فلم تقح ولم تؤذّه⁽¹⁾. وكانت هذه السرية في شوال سنة ست من الهجرة⁽²⁾.

وفي هذه السرية دروس وعبر منها:

- 1- كانت الخطة النبوية هي محاولة إيقاف نهر الدم بين اليهود والمسلمين ابتداءً، فقد كان دور عبد الله بن رواحة في هذا الاتجاه، غير أن الحقد اليهودي الذي أشرب قلوبهم والسم الذي ينفثونه على المسلمين، هو الذي غلب آخر الأمر، وأفسد الخطة كلها، فقد حاولوا الغدر بالمسلمين فوقعت الدائرة عليهم.
- 2- إن البأس في الحرب ما لم يكن غليظاً وشديداً، فلن تحسم المواجهة مع العدو، وستجعل الحرب تفتى كل شيء وتأكل كل شيء، فلا بد من بث الرهبة والرعب في قلوب العدو، ولا بد من الشدة معه حين لا يجدي الحوار أو المناقشة، ولا بد من الغلظة التي تشعر العدو أن من يقاتله لا يخشى في الله لومة لائم.
- 3- شهد العام السادس من الهجرة تصعيداً عنيفاً في عمليات المواجهة مع العدو، ولا يكاد يمر شهر دون سرية أو سريتين تضرب في الصحراء، وتفض جمعاً أو تحطم عدواً أو تغتال طاغوتاً، فقد كان شعار المرحلة: الآن نغزوهم ولا يغزوننا، فقد كان حزب الله ينطلق في الآفاق باسم الله، يحمل المبادئ الخالدة، والقيم العليا يقدمها للخلق كافة، ويزيح كل طاغوت يحول دون وصول هذه المبادئ، ونشهد حزب الله في أفرادهِ جميعاً، والذين تلقوا أعلى مستويات التربية الخلقية، والفكرية، والعسكرية، والسياسية، كيف ينفذون هذا المنهج وكيف يكون واقعهم ترجمة عملية وحية لمبادئهم، وكيف يتقدمون ليتصدروا مرحلة جديدة تبدأ معالمها وملاحمها مع صلح الحديبية⁽³⁾.

* * *

(5، 6) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 477.

(3) انظر: التربية القيادية (189/4 - 192).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

المبحث الأول

تاريخه وأسبابه ومخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة

أولاً تاريخه وأسبابه:

في يوم الاثنين الأول من ذي القعدة سنة 6هـ⁽¹⁾ خرج الرسول صلى الله عليه وسلم من المدينة متوجهاً بأصحابه إلى مكة لأداء العمرة⁽²⁾، وسبب هذه الغزوة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رؤيا في منامه وهو في المدينة، وتتلخص هذه الرؤيا أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى أنه قد دخل مكة مع أصحابه المسلمين محرماً مؤدياً للعمرة، وقد ساق الهدي معظماً للبيت مقدساً له، فبشر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه ففرحوا بها⁽³⁾ فرحاً عظيماً، فقد طال عهدهم بمكة والكعبة التي رضعوا بلبان حبها ودانوا بتعظيمها، وما زادهم الإسلام إلا ارتباطاً بها وشوقاً إليها، وقد تافت نفوسهم إلى الطواف حولها، وتطلعت إليها تطلّعاً شديداً، وكان المهاجرون أشدهم حنيناً إلى مكة، فقد ولدوا ونشأوا فيها وأحبوها حباً شديداً، وقد حيل بينهم وبينها، فلما أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، تهيأوا لتلك الزيارة العظيمة⁽⁴⁾، واستنفر صلى الله عليه وسلم أهل البوادي والأعراب ليخرجوا معه؛ لأنه كان يخشى أن تصده قريش عن البيت الحرام، وكانت استخبارات المدينة قد علمت بأمر التحالف العسكري الذي عقد بين قريش في جنوب المدينة المنورة وخيبر في شمالها، وكان هدف هذا التحالف جعل الدولة الإسلامية بين

(1) أجمع أهل العلم على تاريخها بدون خلاف، انظر: المجموع للنووي (78/7).

(2) انظر: نضرة النعيم (334/1).

(3) انظر: حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول (495/2).

(4) انظر: السيرة النبوية للنووي، ص 273.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

طرفي الكماشة، ثم إطباق فكها عليها وإنهاء الوجود الإسلامي فيها، فقد حان الوقت لكسر ذلك التحالف سياسياً، فقد كانت الكعبة في نظر العرب قاطبة ليست ملكاً لقريش، بل هي تراث أبيهم إسماعيل، ولهذا فليس من حق قريش أن تمنع من زيارتها من تشاء، وتجزئ من تشاء، فإذن من حق محمد وأصحابه زيارة الكعبة(1).

وانتشر خبر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم بين قبائل العرب، وكان انتشار الخبر له أثر في الرأي العام، وخصوصاً بعدما أكد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه لا يريد حرباً، وإنما يريد أن يعتمر ويعظم شعائر الله، وحقق هذا الفعل الكريم مكاسب إعلامية رفيعة المستوى، وقد كان هدف النبي صلى الله عليه وسلم معلناً ألا وهو زيارة بيت الله الحرام لأداء العمرة، فتجرد هو وأصحابه من المخيط، ولبسوا ثياب الإحرام، وأحرم بالعمرة من ذي الحليفة بعد أن قلد الهدى وأشعره(2). وقد كان صلى الله عليه وسلم على جانب كبير من الحيطة والحذر، فقد أرسل بشر بن سفيان الخزاعي عيناً له(3)، وقدم بين يديه طليعة استكشافية مكونة من عشرين رجلاً، وفي ذلك يقول الواقدي: (دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عباد بن بشر فقدمه أمامه طليعة في خيل المسلمين من عشرين فارساً، وكان فيها رجال من المهاجرين والأنصار)(4) وكان هدفه صلى الله عليه وسلم من ذلك الاستعداد للطوارئ التي يمكن أن يفاجأ بها، وأيضاً فقد كانت مهمة هذه الطليعة استكشاف خبر العدو(5).

وأخذ صلى الله عليه وسلم بمشورة عمر في ذي الحليفة عندما قال له: يا رسول الله تدخل على قوم هم لك حرب بغير سلاح ولا كراع؟ فبعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة من يحمل له الكراع والسلاح(6)، وكان قصده صلى الله عليه وسلم من ذلك: الاستعداد لهؤلاء الأعداء،

(1) انظر: قراءة سياسية للسيرة النبوية، ص213، 214.

(2) أشعره: إشعار البدن أن يشق أحد جنبي سنام البدنة حتى يسيل دمها، مرويات الحديبية، ص55.

(3) انظر: مرويات غزوة الحديبية للحكمي، ص58، 59.

(4) انظر: مغازي الواقدي (974/2).

(5) انظر: صلح الحديبية، محمد باشميل، ص309.

(6) تاريخ الطبري (622/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

الذين يملكون السلاح والعتاد ما يستطيعون به إلحاق الأذى بالمسلمين والنيل منهم⁽¹⁾، وهذا التعامل مع سنة الأخذ بالأسباب من هديه الكريم الذي جعله لأمته لتقتدي به من بعده **صلى الله عليه وسلم**، لما في ذلك من المصالح الكثيرة، ولما فيه من درء مكائد الأعداء الذين يتربصون بالمسلمين الدوائر⁽²⁾.

ثانياً: وصول النبي صلى الله عليه وسلم بعسفان:

لما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي الخزاعي، فقال: يا رسول الله، هذه قريش قد سمعت بمسيرك ومعها العوذ المطافيل⁽³⁾، قد لبسوا جلود النمر يعاهدون الله ألا تدخلها عليهم عنوة أبداً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا ويح قريش لقد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر الناس؟ فإن أصابوني كان الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وهم وافرون⁽⁵⁾، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فماذا تظن قريش؟ والله إني لا أزال أجاهدهم على الذي بعثني الله له حتى يظهر الله له أو تنفرد هذه السالفة»⁽⁶⁾. وقد استشار صلى الله عليه وسلم أصحابه لما بلغه خبر استعداد قريش لصدده عن دخول البيت الحرام، وعرض صلى الله عليه وسلم على الصحابة -رضي الله عنهم- المشورة في هذا الأمر على رأيين يحملان العزم والتصميم:

1- الميل إلى عيال وذراري الأحابيش الذين خرجوا لمعاونة قريش على مقاتلة المسلمين وصددهم عن البيت.

2- قصد البيت الحرام، فمن صدده عنه قاتله حتى يتمكن من تحقيق هدفه⁽⁷⁾. ولما عرض

(1) انظر: القيادة العسكرية في عهد الرسول، ص489.

(2) المصدر نفسه، ص489.

(3) المراد: خرجوا ومعهم النساء والأولاد لئلا يفروا عنهم وهم على الاستعارة.

(4) يا ويح: كلمة ترحم وتوجع، انظر: لسان العرب (996/3).

(5) وافرون: جمع وافر وهو الذي لم ينقص منه شيء، لسان العرب (958/3).

(6) البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد (237/3) رقم 2732.

(7) انظر: القيادة العسكرية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، ص489.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

صلى الله عليه وسلم المشورة في هذا الأمر على الصحابة تقدم أبو بكر الصديق برأيه الذي تدعمه الحجة الواضحة، حيث أشار على رسول الله **صلى الله عليه وسلم** بترك قتالهم والاستمرار على ما خرج له من أداء العمرة حتى يكون بدء القتال منهم، فاستحسن النبي **صلى الله عليه وسلم** هذا الرأي، وأخذ به وأمر الناس أن يمضوا في هذا السبيل⁽¹⁾. وعندما اقتربت خيل المشركين من المسلمين صلى النبي **صلى الله عليه وسلم** بأصحابه صلاة الخوف بعسفان.

ثالثاً: الرسول صلى الله عليه وسلم يغير الطريق وينزل بالحديبية:

ولما بلغ رسول الله **صلى الله عليه وسلم** أن قريشاً قد خرجت تعترض طريقه وتنصب كميناً له ولأصحابه بقيادة خالد بن الوليد، وهو لم يقرر المصادمة، رأى أن يغير طريق الجيش الإسلامي تفادياً للصدام مع المشركين، فقال: «من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها؟» فقال رجل من أسلم: أنا يا رسول الله، فسلك بهم طريقاً وعراً بين شعاب شق على المسلمين السير فيه حتى خرجوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادي، وعند ذلك قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم** للناس: «قولوا: نستغفر الله ونتوب إليه» فقالوا ذلك. فقال: «والله إنها الحطة التي عرضت على بني إسرائيل فلم يقولوها»⁽²⁾.

فأمر رسول الله **صلى الله عليه وسلم** الناس أن يسلكوا ذات اليمين بين ظهري الحمش في طريق تخرجه إلى ثنية المرار، مهبط الحديبية من أسفل مكة، فسلك الجيش ذلك الطريق بخفة ودون أن يشعر به أحد، فما نظر خالد إلا وقترة⁽³⁾ جيش المسلمين قد ثارت، فعاد مسرعاً هو ومن معه إلى مكة يحذر أهلها، ويأمرهم بالاستعداد لهذا الحدث المفاجئ⁽⁴⁾، وقد أصاب الذعر المشركين وفوجئوا بنزول الجيش الإسلامي بالحديبية حيث تعرضت مكة للخطر، وأصبحت مهددة

(1) انظر: ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية للشيخ عدنان النحوي، ص160.

(2) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (338/3). (5) قتره: غبار .

(6) غزوة الحديبية لأبي فارس، ص39.

يقول اللواء محمود شيت في هذا الدرس الرائع:

لم تكن حركة المسلمين على هذا الطريق خوفًا من قوات الجيش، فالذي يخاف من عدوه لا يقترب من قاعدته⁽²⁾ الأصلية، وهي مركز قواته، بل يحاول الابتعاد عن قاعدة العدو الأصلية حتى يطيل خط مواصلات العدو، وبذلك يزيد من صعوباته ومشاكله، ويجعل فرصة النصر أمامه أقل من حالة الاقتراب من قاعدته الأصلية⁽³⁾.

وقد جاء في كتاب (اقتباس النظام العسكري في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم) ما بيّن الحكمة من تغيير الطرق ما نصه: ويؤخذ من اتخاذ الأدلة والتحول إلى الطرق الآمنة أن القيادة الواعية البصيرة، تسلك في سيرها بالجيش طرقًا بعيدة عن المخاطر والمهالك وتتجنب الدروب التي تجعل الجيش خاضعًا تحت تصرفات العدو وهجماته⁽⁴⁾.

رابعًا: ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل:

وعندما اقترب الرسول صلى الله عليه وسلم من الحديبية، بركت ناقته القصواء، فقال الصحابة رضي الله عنهم: خلأت القصواء⁽⁵⁾، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل»، ثم قال: «والذي نفسي بيده لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمت الله إلا أعطيتهم إياها»⁽⁶⁾ ثم زجرها فوثبت ثم عدل عن دخول مكة، وسار حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد -بئر- قليل الماء، ما لبثوا أن نزحوه ثم اشتكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش، فانتزع سهمًا من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه

(1) انظر: السيرة النبوية لأبي فارس، ص374.

(2) انظر: السيرة النبوية لأبي فارس، ص374.

(3) انظر: الرسول القائد، شيت خطاب، ص186، 187.

(4) انظر: السيرة النبوية لأبي فارس، ص374 نقلا عن اقتباس النظم العسكرية، ص258.

(5) بركت من غير علة ظاهرة، فلم تبرح مكانها.

(6) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص484.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

فيها، فجاش لهم بالري فارتووا جميعاً⁽¹⁾، وفي رواية أنه جلس على شفة البئر فدعا بماء فمضمض ومج في البئر⁽²⁾. ويمكن الجمع بأن يكون الأمران معا وقعا، كما ذكر ابن حجر⁽³⁾، ويؤيده ما ذكره الواقدي⁽⁴⁾، وعروة⁽⁵⁾ من أن الرسول صلى الله عليه وسلم تمضمض في دلو وصبه في البئر، ونزع سهماً من كنانته فألقاه فيها ودعا ففارت⁽⁶⁾.

وفي بروك ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقسمه بعد ذلك دروس وعبرمنها:

1- كل شيء في هذا الكون يسير بأمر الله ومشيتته، ولا يخرج في سيره عن مشيئته وإرادته، فتأمل في ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم أين بركت، وكيف كره الصحابة بروكها وحاولوا إنهاضها لتستمر في سيرها فيستمرروا في سيرهم إلى البيت العتيق مهما كانت النتائج، ولكن الله سبحانه وتعالى أراد غير ذلك⁽⁷⁾.

2- وقد استنبط ابن حجر العسقلاني -رحمه الله- فائدة جليلة من قوله صلى الله عليه وسلم: «حبسها حابس الفيل»⁽⁸⁾ فقال: وفي هذه القصة جواز التشبيه من الجهة العامة وإن اختلفت الجهة الخاصة؛ لأن أصحاب الفيل كانوا على باطل محض، وأصحاب هذه الناقة كانوا على حق محض، لكن جاء التشبيه من جهة إرادة الله منع الحرم مطلقاً، أما من أهل الباطل فواضح، وأما من أهل الحق فللمعنى الذي تقدم ذكره⁽⁹⁾.

3- ومن الفوائد أن المشركين وأهل البدع والفجور، والبغاة والظلمة إذا طلبوا أمراً يعظمون فيه حرمة من حرمت الله تعالى، أجيبوا إليه وأعطوه، وأعينوا عليه، وإن منعوا غيره، فيعانون

(1) نفس المصدر، ص 484. (8) الفتح (758/14) رقم 3577.

(3) الفتح (164/11) رقم 2731، 2732. (10) المغازي (588/2).

(5) من رواية أبي الأسود عنه كما ذكر ابن حجر في الفتح (164/11).

(6) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 484.

(7) انظر: صلح الحديبية لأبي فارس، ص 43.

(8) انظر: فتح الباري لابن حجر (260/6). (4) المصدر نفسه (61/6).

على ما فيه تعظيم حرمان الله تعالى، لا على كفرهم وبغيهم، ويمنعون مما سوى ذلك، فكل من التمس المعاونة على محبوب الله تعالى مُرَضٍ له، أوجب إلى ذلك كأننا من كان، ما لا يترتب على إعانتة على ذلك المحبوب مبعوض الله أعظم منه، وهذا من أدق المواضع وأصعبها، وأشقها على النفوس⁽¹⁾.

4- إن الله سبحانه وتعالى، جلت قدرته، وعزت عظمته، قضى ألا يكون قتال بين المسلمين والمشركون من أهل مكة في هذه الغزوة بالذات؛ لحكم ظهرت فيما بعد منها:

أ- دخول المسلمين بالقوة يعني أن تحدث مذابح، وتزهق أرواح كثيرة، وتسفك دماء غزيرة من الطرفين، وهذا أمر لم يردده الباري سبحانه، وكان لمصلحة الفريقين المؤمنين والمشركون.

ب- إن من المحتمل أن ينال الأذى والقتل والتشريد على أيدي المؤمنين بعض المستضعفين من إخوانهم من المسلمين في مكة، وهذا فيه ما فيه من المعرة التي لا يليق بمسلم أن يقع فيها، قال سبحانه: (هُم الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ وَلَوْلَا رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنَاتِ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوُّوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) [الفتح: 25].

ج- لقد سبق في علم الله عز وجل أن هؤلاء الذين يقفون اليوم صادين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم عن المسجد الحرام، هم الذين سيفتح قلوبهم إلى الإسلام، ويستفتح الله على أيديهم بلادًا كثيرة، حين يحملون هذه الرسالة للناس، وينيرون ظلمة الطريق للمدجلين⁽²⁾.

خامسًا: السفارة بين الرسول صلى الله عليه وسلم وقريش:

بذل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما في وسعه لإفهام قريش أنه لا يريد حربًا معهم، وإنما

(1) انظر: صلح الحديبية لأبي فارس، ص 47.

(2) صلح الحديبية لأبي فارس، ص 45.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

يريد زيارة البيت الحرام وتعظيمه وهو حق للمسلمين، كما هو حق لغيرهم، وعندما تأكدت قريش من ذلك أرسلت إليه من يفاوضه، ويتعرف على قوة المسلمين ومدى عزمهم على القتال إذا أجنوا إليه، وطمعاً في صد المسلمين عن البيت بالطرق السلمية من جهة ثالثة⁽¹⁾.

1- ركب من خزاعة بقيادة بُدَيْل بن ورقاء:

جاء بُدَيْل بن ورقاء في رجال من خزاعة، وكانت خزاعة عيبة⁽²⁾ نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل تهامة، وبينوا أن قريشاً تعتزم صد المسلمين عن دخول مكة، فأوضح لهم الرسول صلى الله عليه وسلم سبب مجيئه، وذكر لهم الضرر الذي وقع على قريش من استمرار الحرب، واقترح عليهم أن تكون بينهم هدنة إلى وقت معلوم حتى يتضح لهم الأمر، وإن أبوا فلا مناص من الحرب، ولو كان في ذلك هلاكه، فنقلوا ذلك إلى قريش⁽³⁾، وقالوا لهم: يا معشر قريش إنكم تعجلون على محمد، إن محمداً لم يأت لقتال، وإنما جاء زائراً هذا البيت، فاتهموهم وخاطبوهم بما يكرهون، وقالوا: وإن كان إنما جاء لذلك فلا والله لا يدخلها علينا عنوة أبداً ولا نتحدث بذلك العرب⁽⁴⁾. وقد ظهرت براعة النبي صلى الله عليه وسلم السياسية في عرضه على مشركي مكة الهدنة والصلاح؛ لأن في ذلك فوائد كثيرة منها:

أ- فبالهدنة يضمن حياد قريش ويعزلها عن أي صراع يحدث في الجزيرة العربية، سواء كان هذا الصراع مع القبائل العربية الأخرى، أم مع اليهود ذلك العدو اللئيم الغادر الذي يتربص بالمسلمين الدوائر.

ب- حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على أن يبقى الاتصال مفتوحاً بينه وبين قريش، ليسمع منهم ويسمعوا منه بواسطة الرسل، والسفراء، وفي هذا تقريب للنفوس وتبريد لجو الحرب، وإضعاف لحماسهم نحو القتال.

(1) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص485.

(2) أي خاصته وأصحاب سره.

(3) البخاري، كتاب الشروط رقم 2731، 2732.

(4) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (340/3).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

ج- حرص صلى الله عليه وسلم على أن تدرك خزاعة بقيادة بديل والركب الذي معه أن حليفهم قوي، فتزداد ثقتهم به وحلفهم له ولبنى هاشم من قبل الإسلام، فقد بقي ولم يُلغ، وتأكد في صلح الحديبية.

د- إن العقلاء الذين يفكرون بعقولهم حين يسمعون كلام الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه جاء معظمًا للبيت، والمشركون يردونه، وهو يصير على تعظيمه، سيقف هؤلاء بجانبه ويتعاطفون معه فيقوى مركزه، ويضعف مركز قريش الإعلامي والديني في نفوس الناس.

هـ- إن مشركي مكة لم يطمئنوا إلى كلام بديل الذي نقله إليهم؛ ذلك لأنهم يعلمون أن خزاعة كانت عيبة نصح لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ويشعرون بوذّ خزاعة للرسول والمسلمين⁽¹⁾.

و- ويؤخذ من جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم لبديل بن ورقاء حسن التلطف في الوصول إلى الطاعات، وإن كانت غير واجبة، ما لم يكن ذلك ممنوعًا شرعًا؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أجاب المشركين لما طلبوا منه، ولم يظهر لهم ما في النفوس من البغض لهم والكراهية فيهم لطفًا منه عليه السلام فيما يؤمل من البلوغ إلى الطاعة التي خرج إليها⁽²⁾.

2- سفارة عروة بن مسعود الثقفي:

لم تقبل قريش ما نقله بديل بن ورقاء الخزاعي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه جاء زائرًا للبيت ولم يأت مقاتلاً، واتهمتهم، بل وأسمعتهم ما يكرهون، فاقترح عليهم عروة بن مسعود الثقفي أن يقابل الرسول صلى الله عليه وسلم ويسمع منه، ثم يأتيهم بالخبر اليقين⁽³⁾. وقد ذكر ذلك البخاري في صحيحه فقال:.... فقام عروة بن مسعود فقال: أي قوم، أستم بالوالد؟ قالوا: بلى، قال: أولست بالولد؟ قالوا: بلى، قال: فهل تتهمونني؟ قالوا: لا، قال: أستم تعلمون أنني استنشرت

(1) انظر: صلح الحديبية لأبي فارس، ص 67.

(2، 3) المصدر نفسه، ص 68.

(4) اسم سوق من أسواق العرب في الجاهلية في شمال الطائف، يعقد كل عام.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

أهل عكاظ (1)، فلما بلحوا (2) عليّ جئتم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا: بلى، قال: فإن هذا قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها، ودعوني آتية، قالوا: انته فأتاه فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحواً من قوله لبديل (3)، فقال عروة عند ذلك: أي محمد، أرايت إن استأصلت أمر قومك، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى فإنني والله لا أرى وجوهاً، وإنني لأرى أشواباً (4) من الناس خليفاً أن يفروا ويدعوك، فقال أبو بكر: امصص بظر (5) اللات، أنحن نفر عنه وندعه؟ (6) فقال: من ذاك؟ قالوا: أبو بكر، قال: أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجرك بها لأجبتك.

لقد حاول عروة بن مسعود أن يشنّ على المسلمين حرباً نفسية حتى يهزمهم مغنويًا، فاستخدم عنصر الإشاعة، ويظهر ذلك عندما لوح بقوة قريش العسكرية، معتمداً على المبالغة في تصوير الموقف بأنه سيؤول لصالح قريش لا محالة، وذلك بأن يوقع الفتنة والإرباك في صفوف المسلمين، وذلك حينما حاول إضعاف الثقة بين القائد وجنوده عندما قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إني لأرى أشواباً من الناس خليفاً أن يفروا ويدعوك، حاول ذلك من أجل التأثير على نفسيات المسلمين ولخدمة أهداف قريش العسكرية والإعلامية، وحاول أيضاً أن يفتعل أزمة عسكرية كبيرة بين النبي صلى الله عليه وسلم وجنوده من أجل التأثير على مغنوياتهم وتحطيم عزائمهم، وهذا من أقوى أساليب الحرب النفسية التي استخدمت ضد المسلمين، أثناء تلك المفاوضات. وحاول عروة أن يثير الرعب وذلك بتخويف المسلمين من قوة قريش التي لا تقهر، وتصوير المعركة بأنها في غير صالحهم، لقد مارس عروة بن مسعود في مفاوضاته عناصر

(5) بلحوا علي: أبوا، كأنهم أعيوا عن الخروج معه وإعانتة.

(1) البخاري، كتاب الشروط في الجهاد (236/3) رقم 2732.

(2) أشواباً: أي أخلاطاً من قبائل شتى.

(5) البظر: ما تقطعه الخاتنة من بضع المرأة عند ختانها.

(6) البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد (237/3) رقم 2732.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

الحرب النفسية من إشاعة وافتعال الأزمات وإثارة الرعب⁽¹⁾، إلا أن تلك العناصر تحطمت أمام الإيمان العميق والتكوين الدقيق والصف الإسلامي المرصوص. ومن المفارقات الرائعة التي حصلت أثناء المفاوضات مع عروة بن مسعود وهي من عجائب الأحداث التي يستشف منها الدليل القاطع على قوة الإيمان التي كان يتمتع بها أصحاب النبي **صلى الله عليه وسلم**، وعلى قدرة هذا الدين في تحويل الإنسان من شيطان مريد إلى إنسان فاضل نبيل، حيث كان أحد الذين يتولون حراسة النبي **صلى الله عليه وسلم** أثناء محادثاته مع عروة بن مسعود الثقفي في الحديبية هو المغيرة بن شعبه⁽²⁾ -ابن أخي عروة بن مسعود نفسه- وكان المغيرة هذا قبل أن يهديه الله للإسلام شاباً فاتكاً سكيراً، قاطعاً للطريق غير أن دخوله للإسلام حوله إلى إنسان آخر، وقد أصبح بفضل الله تعالى من الصفوة المؤمنة، وقد وقع عليه الاختيار ليقوم بمهام حراسة النبي **صلى الله عليه وسلم** في ذلك الجو الملبد بغيوم الحرب، وكان من عادة الجاهلية في المفاوضات، أن يمسك المفاوض بلحية الذي يراه ندّاً له أثناء الحديث، وعلى هذه القاعدة كان عروة بن مسعود يمسك بلحية رسول الله **صلى الله عليه وسلم** أثناء المناقشة، الأمر الذي أغضب المغيرة بن شعبه الذي كان قائماً على رأس رسول الله **صلى الله عليه وسلم** بالسيف يحرسه وعلى وجهه المغفر فانتهر عمه وقرع يده بقائم السيف قائلاً له: اكفف يدك عن مس لحية رسول الله **صلى الله عليه وسلم** قبل أن لا تصل إليك، وكان النبي **صلى الله عليه وسلم** يبتسم للذي يجري بين عروة المشترك وبين ابن أخيه المؤمن، ولما كان المغيرة بن شعبه يقف بلباسه الحربي متوشحاً بسيفه ودرعه وعلى وجهه المغفر، فإن عمه عروة لم يكن باستطاعته معرفته، فقال للنبي **صلى الله عليه وسلم** وهو في أشد الغضب، ليت شعري من أنت يا محمد؟ من هذا الذي أرى من بين أصحابك؟ فقال له رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبه، فقال له عمه: وأنت بذلك يا غدر؟ لقد أورثتنا العداوة من ثقيف أجد الدهر، والله ما غسلت غدرتك إلا بالأمس. كان المغيرة

(1) انظر: منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية، سليم حجازي، ص 131، 132.
(2) أسلم قبل عمرة الحديبية وشهدها، وشهد بيعة الرضوان، أصيبت عينه في اليرموك، وكان رسول سعد بن أبي وقاص إلى رستم، الإصابة (452/3)

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه في شيء⁽¹⁾.

لقد فشل عروة في مفاوضاته، ورجع محذراً قريشاً من أن تدخل في صراع مسلح مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقال لهم: يا قوم، والله لقد وفدت على الملوك؛ وفدت على قيصر، وكسرى، والنجاشي، وإنني والله ما رأيت ملكاً قط أطوع فيمن هو بين ظهرائه من محمد وأصحابه، والله ما يشدون إليه النظر، وما يرفعون عنده الصوت، وما يكفيه إلا أن يشير إلى أمر فيفعل، وما يتنخم وما يبصق إلا وقعت في يدي رجل منهم يمسح بها جلده، وما يتوضأ إلا ازدحموا عليه أيهم يظفر منه بشيء، وقد حزرت القوم، واعلموا إنكم إن أردتم السيف، بذلوه لكم، وقد رأيت قوماً ما يبالون ما يصنع بهم، إذا منعوا صاحبهم، والله لقد رأيت نسيات معه، وإن كن ليسلمنه أبداً على حال، فروا رأيكم، وإياكم وإضجاع⁽²⁾ الرأي، فمادوه يا قوم، اقبلوا ما عرض فإني لكم ناصح مع أنني أخاف ألا تنصروا عليه؛ رجل أتى هذا البيت معظماً له، معه الهدى، ينحره وينصرف، فقالت قريش: لا تكلم بهذا يا أبا يعفور⁽³⁾، لو غيرك تكلم بها للمناه، ولكن نرده عن البيت في عامنا هذا ويرجع قابل⁽⁴⁾.

لقد انتقلت الحرب النفسية وتأثيرها في صفوف المسلمين لتعمل داخل جبهة قريش وفي نفوسهم، فقد كان تصوير عروة لما رآه صادقاً، حيث بين لقريش وضع المسلمين في الحديبية، من طاعتهم لنبيهم الكريم وحبهم له وتفانيهم بالدفاع عنه، وبما يتمتعون به من معنويات عالية جداً، واستعداد عسكري ونفسي يفوق الوصف، فكان ذلك بمثابة التحذير الفعلي لقريش بعدم التعجيل والدخول في حرب مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، مما قد تكون نتائج هذه المعركة لصالح المسلمين، الأمر الذي أسقط في أيدي زعمائها، ولم تكن قريش تتوقعه أبداً في

(1) البخاري، كتاب في الشروط (238/3) رقم 2732.

(2) إضجاع الرأي: أي الوهن في الرأي. (3) أبا يعفور: كنية عروة بن مسعود الثقفي.

(4) انظر: مغازي الواقدي (598/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

تقويمها للأمور، لقد كان وقع كل كلمة قالها سيد ثقيف كالصاعقة على مسامع نفوس زعماء قريش، لقد كان **صلى الله عليه وسلم** موفقاً من قبل الله تعالى، ولذلك نجد أثره على عروة بن مسعود، مما جعل الانشقاق يدب في معسكر قريش، وأخذت جبهة قريش تتداعى أمام قوة الحق الصامدة، وكذلك فقد انهارت حجة قريش في جمعها للعرب ضد النبي **صلى الله عليه وسلم**.

لقد نجح النبي **صلى الله عليه وسلم** بحكمته وذكائه نجاحاً عظيماً، باستخدام الأساليب الإعلامية والدبلوماسية المتعددة للحصول على الغاية المنشودة، وهي تفتيت جبهة قريش الداخلية، وإيقاع الهزيمة في نفوسهم، وإبعاد حلفائهم عنهم وإن هذه النتيجة لتعد بحق نصراً ساحقاً حققه رسول الله **صلى الله عليه وسلم** على الجبهات السياسية والإعلامية والعسكرية⁽¹⁾.

3- سفارة الحُلس بن علقمة:

ثم بعثوا الحلس بن علقمة الكناني سيد الأحابيش، فلما رآه رسول الله **صلى الله عليه وسلم** قال: إن هذا من قوم يتألهون، فابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه وأمر برفع الصوت في التلبية، فلما رأى الحلس الهدى يسيل عليه من عرض الوادي في قلانده، رجع إلى قريش قبل أن يصل إلى رسول الله **صلى الله عليه وسلم**؛ وذلك إعظاماً لما رأى⁽²⁾ فقد كان الوادي مجذباً لا ماء فيه ولا مرعى، وقد أكل الهدى أوباره من طول الحبس عن محله، ورأى المسلمين وقد استقبلوه رافعين أصواتهم بالتلبية وهم في زي الإحرام، وقد شعثوا من طول المكوث على إحرامهم.. ولذلك استنكر تصرف قريش بشدة، وانصرف سيد بني كنانة عائداً من حيث أتى دون أن يفتح النبي **صلى الله عليه وسلم** بشيء، أو أن يفاوضه كما كان مقرراً من قبل، واعتبر عمل قريش عدوانياً ضد زوار بيت الله الحرام، ولا يجوز لأحد أن يؤيدها أو أن يناصرها على ذلك⁽³⁾، فرجع محتجاً على قريش التي أعلنت غضبها لصراحة الحلس، وحاولت أن تتلافى هذا الموقف الذي يهدد

(1) انظر: منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية، ص145.

(2) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص488.

(3) انظر: منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية، ص108.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

بانقسام خطير في جبهة قريش العسكرية، ونسف الحلف المعقود بين قريش والأحابيش، وقالوا لزعيم الأحابيش: إنما كل ما رأيت هو مكيدة من محمد وأصحابه، فاكفف عنا حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به⁽¹⁾.

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم عالماً ومستوعباً لشخصية الحلس ونفسيته، ويظهر ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: هذا من قوم يتألهون. فالواضح من هذه المعلومة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان على معرفة تامة بهذا الرجل، وبحكم هذه المعرفة قد درس شخصيته دراسة موضوعية وذلك بما كان عنده من حب شديد من التعظيم للحرمان والمقدسات والعمل على الاستفادة الكاملة من هذا الجانب في كسب المعركة، وعلى هذا الأساس فقد قام صلى الله عليه وسلم بوضع خطة محكمة مناسبة تقضي بوضع الحقائق كاملة أمام هذا الرجل وإظهار موقف المسلمين أو على الأقل وقوفه على الحياد في هذا الصراع.

والجدير بالذكر أن الحلس كان يتمتع بسمعة طيبة بين العرب جميعاً؛ وذلك لما يتميز به من رجاحة العقل، ولما يتمتع به من مركز ممتاز بوصفه زعيماً وقائداً لقوات الأحابيش، كما كان يتمتع باحترام وتقدير من جانب النبي صلى الله عليه وسلم وقريش على حد سواء، لهذا فإنه إذا ما تبين له أن الحق والعدل في جانب المسلمين فإنه يستطيع أن يقوم بدور مهم في إحلال السلام بين الطرفين المتنازعين والعمل على كبح جماح قريش، وإقناعها بالعدول عن موقفها العدائي ضد المسلمين وصددهم عن المسجد الحرام، ومن هنا فقد كانت الدراسة النفسية التي قام بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لشخصية الحلس تتناسب كلياً مع المبادئ التي يؤمن بها، وعلى ذلك فقد كانت درجة التأثير والاستجابة الناتجة عن هذه العملية إيجابية تماماً⁽²⁾ ومرضية، وهكذا استطاع صلى الله عليه وسلم أن يؤثر على عروة بن مسعود والحلس بن علقمة؛ مما جعل الانشقاق يدب في صفوف مشركي مكة.

(1) الواقدي، المغازي (600/2).

(2) انظر: منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية، ص 111.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

يقول الأستاذ العقاد عن قدرة الرسول في توظيف الطاقات وإدارة الصراع: كان رسول

الله صلى الله عليه وسلم الخبير بتجنيد بعوث الحرب وبعوث الاستطلاع، وكان خبيراً كذلك بتجنيد كل قوة في يده متى وجب القتال، إن كانت قوة رأي أو قوة لسان أو قوة نفوذ، فما نعرف أن أحداً وجه قوة الدعوة توجيهاً أشد ولا أنفع في بلوغ الغاية من توجيهه عليه السلام. ثم يضيف الكاتب قائلًا: والدعوة في الحرب، كما لا يخفى، لها غرضان أصيلان من بين أغراضها العديدة، أحدهما: إقناع خصمك والناس بحقك، وثانيهما: إضعافه عن قتالك بإضعاف عزمه وإيقاع الشتات بين صفوفه، ثم يقول: وربما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم برجل واحد في هذا الغرض ما لم تبلغه الدول بالفرق المنظمة⁽¹⁾.

4- سفارة مركز بن حفص:

وكان من سفراء قريش يوم الحديبية مركز بن حفص، وقد روى البخاري ذلك فقال: فقام رجل منهم يقال له مركز بن حفص، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: هذا مركز وهو رجل فاجر، فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو، قال معمر: فأخبرني أيوب عن عكرمة، أنه لما جاء سهيل بن عمرو، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لقد سهل لكم من أمركم»⁽²⁾ ولنا حديث مع سهيل بإذن الله تعالى.

سادسًا: الوفود النبوية إلى قريش ووقوع بعض الأسرى في يد المسلمين:

رأى النبي صلى الله عليه وسلم أن من الضرورة إرسال مبعوث خاص من جانبه إلى قريش يبلغهم نواياه السلمية بعدم الرغبة في القتال، واحترام المقدسات، ومن ثم أداء مناسك العمرة، والعودة إلى المدينة، فوقع الاختيار على أن يكون مبعوث الرسول صلى الله عليه وسلم إلى قريش (خراش بن أمية الخزاعي) وحمله على جمل يقال له (الثعلب)، فلما دخل مكة عقرت به قريش

(1) انظر: عبقريّة محمد صلى الله عليه وسلم، ص49.

(2) البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد، (239/3) رقم 2732.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وأرادوا قتل خراش فمنعهم الأحابيش، فعاد خراش بن أمية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخبره بما صنعت قريش، فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرسل سفيراً آخر بتبليغ قريش رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووقع اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم في بداية الأمر على عمر بن الخطاب⁽¹⁾، فاعتذر لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الذهاب إليهم، وأشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث عثمان مكانه⁽²⁾، وعرض عمر رضي الله عنه رأيه هذا معزراً بالحجة الواضحة، وهي ضرورة توافر الحماية لمن يخالط هؤلاء الأعداء، وحيث إن هذا الأمر لم يكن متحققاً بالنسبة لعمر رضي الله عنه، فقد أشار على النبي صلى الله عليه وسلم بعثمان رضي الله عنه، لأن له قبيلة تحميه من أذى المشركين حتى يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم⁽³⁾، وقال لرسول الله: إني أخاف قريشاً على نفسي، قد عرفت عداوتي لها، وليس بها من بني عدي من يمنعني، وإن أحببت يا رسول الله دخلت عليهم⁽⁴⁾، فلم يقل رسول الله شيئاً، قال عمر: ولكن أدلك يا رسول الله على رجل أعز بمكة مني، وأكثر عشيرة وأمنع، عثمان بن عفان، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان رضي الله عنه فقال: «أذهب إلى قريش فخيرهم أنا لم نأت لقتال أحد، وإنما جننا زواراً لهذا البيت، معظمين لحرمة، معنا الهدى، ننحره وننصرف» فخرج عثمان بن عفان رضي الله عنه حتى أتى بلدح⁽⁵⁾، فوجد قريشاً هنالك فقالوا: أين تريد؟ قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكم يدعوكم إلى الله وإلى الإسلام، تدخلون في الدين كافة، فإن الله مظهر دينه ومعز نبيه، وأخرى تكفون ويلي هذا منه غيركم، فإن ظفروا بمحمد فذلك ما أردتم، وإن ظفر محمد كنتم بالخيار أن تدخلوا فيما دخل فيه الناس أو تقاتلوا وأنتم وافرون جامون، إن الحرب قد نهكتكم، وأذهبت بالأماثل منكم.. فجعل عثمان يكلمهم فيأتيهم بما لا يريدون ويقولون: قد سمعنا ما تقول ولا كان هذا أبداً، ولا

(1) انظر: غزوة الحديبية لأبي فارس، ص83. (3) انظر: المغازي للواقدي (600/2).

(3) نفس المصدر (600/2). (5) انظر: المغازي للواقدي (600/2).

(5) مكان قريب من مكة.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

دخلها علينا عنوة، فارجع إلى صاحبك فأخبره أنه لا يصل إلينا.

فقام إليه أبان بن سعد بن العاص فرحب به وأجاره، وقال: لا تقصر عن حاجتك، ثم نزل عن فرس كان عليه، فحمل عثمان على السرج وردفه وراءه، فدخل عثمان مكة، فأتى أشرفهم رجلاً رجلاً، أبا سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية وغيرهما، منهم من لقي ببلدح، ومنهم من لقي بمكة، فجعلوا يردون عليه: إن محمداً لا يدخلها علينا أبداً⁽¹⁾.

وعرض المشركون على عثمان رضي الله عنه أن يطوف بالبيت فأبى⁽²⁾، وقام عثمان بتبليغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المستضعفين بمكة، وبشرهم بقرب الفرج والمخرج⁽³⁾، وأخذ منهم رسالة شفعية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء فيها: اقرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم منا السلام، إن الذي أنزله بالحديبية لقادر على أن يدخله بطن مكة⁽⁴⁾.

واختلط المسلمون بالمشركون في أمر الصلح، فرمى رجل من أحد الفريقين رجلاً من الفريق الآخر، وكانت معركة، وتراموا بالنبل والحجارة، وصاح الفريقان كلاهما، وارتهن كل واحد من الفريقين بمن فيهم⁽⁵⁾. وقد تحدث القرآن الكريم عن ذلك قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا) [الفتح: 24].

وقد روى مسلم سبب نزول الآية السابقة: أن ثمانين رجلاً من أهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم متسلحين، يريدون غرة⁽⁶⁾ النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فأخذهم سلماً⁽⁷⁾ فاستحياهم⁽⁸⁾، فأنزل الله عز وجل الآية المذكورة⁽⁹⁾.

(1) زاد المعاد (290/3)، السيرة النبوية لابن هشام (344/3).

(2) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (344/3). (3) انظر: زاد المعاد (290/3).

(4) انظر: غزوة الحديبية لأبي فارس، ص85. (5) انظر: زاد المعاد (291/3).

(6) غرة (غرة) هي الغلة: أي يريدون غفلته (شرح النووي 187/12).

(7) سلماً: المراد به الاستسلام والإذعان (شرح النووي 187/12).

(8) فاستحياهم: فاستبقاهم (المفردات للراغب، ص140).

(9) مسلم، كتاب الجهاد والسير (1442/3). (10) تبيحاً: خادماً أتبعه (شرح النووي 176/12).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وهذا سلمة بن الأكوع يحدثنا عما حدث؛ قال: ثم إن المشركين راسلونا الصلح حتى مشى بعضنا في بعض، واصطلحنا قال: وكنت تبيعاً⁽¹⁾ لطلحة بن عبيد الله، أسقي فرسه، وأحسه⁽²⁾ وأخدمه وأكل من طعامه، وتركت أهلي ومالي، مهاجراً إلى الله ورسوله، قال: فلما اصطلحنا نحن وأهل مكة، واختلط بعضنا ببعض، أتيت شجرة فكسحت شوكتها⁽³⁾ فاضطجعت في أصلها، قال: فأتاني أربعة من المشركين من أهل مكة، فجعلوا يقعون في رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأبغضتهم فتحولت إلى شجرة أخرى، وعلقوا سلاحهم واضطجعوا، فبينما هم كذلك إذ نادى مناد من أسفل الوادي: يا للمهاجرين قتل ابن زعيم، قال: فاخترطت سيفي⁽⁴⁾ ثم شددت على أولئك الأربعة وهم رقود، فأخذت سلاحهم فجعلت ضغثاً⁽⁵⁾ في يدي قال: ثم قلت: والذي كرم وجه محمد ما يرفع أحد منكم رأسه إلا ضربت الذي فيه عيناه⁽⁶⁾، قال: ثم جئت بهم أسوقهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: وجاء عمي عامر برجل من العبلات⁽⁷⁾ يقال له مكرز يقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على فرس مجفف⁽⁸⁾ في سبعين من المشركين، فنظر إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «دعوهم يكن لهم بدء الفجور وثناه»⁽⁹⁾، فعفا عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله: (وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا) [الفتح: 24]⁽¹⁰⁾.

قال ابن كثير: هذا امتنان من الله تعالى على عباده المؤمنين حيث كف أيدي المشركين عنهم، فلم يصل إليهم منهم سوء، وكف أيدي المؤمنين عن المشركين فلم يقاتلوهم عن المسجد الحرام،

(2) وأحسه: أي أحك ظهره بالمحسة لأزيل عنه الغبار، (شرح مسلم، النووي 176/12).

(3) فكسحت شوكتها: أي كنست ما تحتها من الشوك (شرح مسلم، النووي 176/12).

(4) فاخترطت سيفي: أي سللته (شرح مسلم، النووي 176/12).

(5) ضغثاً: الضغمة (شرح مسلم، النووي 176/12).

(6) الذي فيه عيناه: يريد رأسه.

(7) العبلات: قوم من قريش نسبوا إلى أمهم عبله بنت عبيد (شرح مسلم، النووي 177/12).

(8) مجفف: أي عليه تجفاف وهو ثوب كالجل يلبسه الفرس ليقيه من السلاح.

(9) (وثناه) أي عودة ثانية (شرح مسلم للنووي 176/12).

(10) مسلم، كتاب الجهاد والسير (1432/3).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

بل صان كلا من الفريقين وأوجد بينهم صلحاً فيه خير للمؤمنين وعافية في الدنيا والآخرة⁽¹⁾.

سابعاً: بيعة الرضوان:

لما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن عثمان رضي الله عنه قُتل، دعا رسول الله أصحابه إلى مبايعته على قتل المشركين ومناجزتهم، فاستجاب الصحابة وبايعوه على الموت⁽²⁾، سوى الجد بن قيس، وذلك لنفاقه⁽³⁾. وفي رواية أن البيعة كانت على الصبر⁽⁴⁾، وفي رواية على عدم الفرار⁽⁵⁾، ولا تعارض في ذلك؛ لأن المبايعة على الموت تعني الصبر وعدم الفرار⁽⁶⁾.

وكان أول من بايعه على ذلك سنان عبد الله بن وهب الأسدي⁽⁷⁾ فخرج الناس بعده يبايعون على بيعته⁽⁸⁾، وبايعه سلمة بن الأكوع ثلاث مرات، في أول الناس، وأوسطهم، وآخرهم⁽⁹⁾. وقال النبي صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى: «هذه يد عثمان» فضرب بها على يده⁽¹⁰⁾، وكان عدد الصحابة الذين أخذ منهم الرسول صلى الله عليه وسلم المبايعة تحت الشجرة ألفاً وأربعمائة صحابي⁽¹¹⁾، وقد تحدث القرآن الكريم عن أهل بيعة الرضوان وورد فضلهم في نصوص كثيرة من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية منها:

قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِثْلُ شَيْءٍ عَظِيمٍ) [الفتح: 10].

(1) تفسير ابن كثير (192/4).

(11) البخاري رقم الحديث 4169.

(3) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 486.

(4) البخاري، رقم 4169. (3) مسلم، رقم 1856.

(4، 5، 6) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 486.

(9) انظر: زاد المعاد (291/3).

(10) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 404.

(11) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 482.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وهذه الآية فيها ثناء ومدح عظيم لأهل بيعة الرضوان فقد جعل الله مبايعتهم لرسوله صلى الله عليه وسلم مبايعة له، وفي هذا غاية التشريف والتكريم لهم رضي الله عنهم⁽¹⁾.

وقد ورد الثناء عليهم في السنة المطهرة في أحاديث كثيرة ومن ذلك ما يلي:

أ- من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية: «أنتم خير أهل الأرض». وكنا ألقا وأربعمانة ولو كنت أبصر لأريتكم موضع الشجرة⁽²⁾.

ب- وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أخبرتني أم مبشر: أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها» قالت: بلى يا رسول الله، فانتهرها، فقالت حفصة: (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «قد قال الله عز وجل: (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا □ ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا) [مريم: 71، 72].

قال النووي رحمه الله تعالى: قوله صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها» قال العلماء: معناه لا يدخلها أحد منهم قطعاً، وإنما قال إن شاء الله للتبرك لا للشك، وأما قول حفصة بلى، وانتهاز النبي صلى الله عليه وسلم لها فقالت: (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) فقال النبي صلى الله عليه وسلم: وقد قال: (ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا) فيه دليل للمناظرة والجواب على وجه الاسترشاد وهو مقصود حفصة لا أنها أرادت رد مقالته صلى الله عليه وسلم.

والصحيح أن المراد بالورود في الآية المرور على الصراط وهو جسر منصوب على جهنم فيقع فيها أهلها وينجو الآخرون⁽³⁾.

(1) انظر: عقيدة أهل السنة في الصحابة، د. ناصر حسن الشيخ (205/1).

(2) مسلم (1485/3).

(3) شرح النووي على صحيح مسلم (85/16).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وحين نمنع النظر في هذا الجيل الفريد مقارنة مع أهل بدر نلاحظ ارتفاع عدد المهاجرين إلى النصف من الجيش، وهذا الارتفاع الهائل في عدد المهاجرين من ثلاثة وثمانين في بدر إلى ثمانمائة كان معظمه من القبائل العربية المجاورة، وهي قبائل صغيرة، إذا قيس بالقبائل الكبرى، لكن شبابها كانوا يفدون إلى المدينة ينضون تحت لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويتلقون التربية اليومية في المسجد، والتربية العملية في المعارك والغزوات، فيتدربون على الجندية الخالصة ويفقهون دينهم مباشرة من رسول رب العالمين، وينشؤون في ظلال القدوة العليا لهم من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، ويتنافسون في الطاعة والامتثال لأمر الله ورسوله، فنالت قبائلهم بذلك شرفاً ربا على القبائل الكبرى التي تخاذلت في الانضمام للإسلام، فقبيلة أسلم وغفار كانت على رأس هذه القبائل، ويعود الفضل بعد الله في ذلك إلى الرعيل الأول منهم، واللبنات الأولى التي انضمت إلى الدعوة إلى أبي ذر الغفاري الذي كان من السابقين في إسلامه بمكة ومضى داعياً في قومه حتى جاءه سبعون بيتاً من غفار يوم بهم المدينة بعد أحد، وإلى بريدة بن الحصيبي الأسلمي، الذي تلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل دخوله المدينة، فأسلم ومعه سبعون من قومه كذلك⁽¹⁾.

أما القبائل الأخرى من مزينة وجهينة، وأشجع، وخزاعة، فقد بدأ شبابها يفدون إلى المدينة، لكن بأعداد ضئيلة، وبقي كيان القبيلة على الشرك، وبقي أعرابياً بعيداً عن محضن التربية العظيم داخل المدينة، فلم يتح له هذا الفضل، والاعتراف من رحيق النبوة؛ ولهذا كانت الآيات التي نزلت في المخلفين من الأعراب كالصواعق على رؤوسهم، لتخلفهم عن الانضمام إلى الجيش الإسلامي الماضي إلى الحديبية⁽²⁾.

* * *

(1) انظر: التربية القيادية (214/4).

(2) المصدر نفسه (216/4).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

المبحث الثاني

صلح الحديبية وما ترتب عليه من أحداث

أولاً: مفاوضة سهيل بن عمرو لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

لما بلغ قريشاً أمر ببيعة الرضوان، وأدرك زعماءها تصميم الرسول صلى الله عليه وسلم على القتال أوفدوا سهيل بن عمرو في نفر من رجالهم لمفاوضة النبي صلى الله عليه وسلم⁽¹⁾، ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم سهيلاً قال: «لقد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل»⁽²⁾.

كان سهيل بن عمرو أحد زعماء قريش البارزين الذين كانوا يعرفون بالحنكة السياسية والدهاء، فهو خطيب ماهر، ذو عقل راجح، ورزانة، وأصالة في الرأي.

شرع الفريقان المتفاوضان في بحث بنود الصلح، وذلك بعد رجوع عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقد استعرض الفريقان النقاط التي يجب أن تتضمنها معاهدة الصلح، واستعرضا في مباحثاتهما مختلف القضايا التي كانت تشكل مثار الخلاف بينهما. هذا وقد اتفق الفريقان من حيث المبدأ على بعض النقاط، واختلفا على البعض الآخر، وقد طال البحث والجدل والأخذ والرد حول هذه البنود، وبعد المراجعات والمفاوضات تقاربت وجهات النظر بين الفريقين، وعند الشروع في وضع الصيغة النهائية للمعاهدة وكتابتها لتكون نافذة المفعول رسمياً حدث خلاف بين الوفدين على بعض النقاط كاد أن يعثر سير هذه الاتفاقية، فعندما شرع النبي صلى الله عليه وسلم في إملاء صيغة المعاهدة المتفق عليها، أمر الكاتب وهو سيدنا علي بن أبي طالب، بأن يبدأ المعاهدة بكلمة: (بسم الله الرحمن الرحيم)، وهنا اعترض رئيس الوفد القرشي سهيل بن عمرو قائلاً: لا أعرف الرحمن، اكتب (باسمك اللهم)، فضج الصحابة على هذا الاعتراض، قائلين: هو الرحمن،

(1) انظر: التاريخ السياسي والعسكري، ص339، 340.

(2) انظر: مغازي الواقدي (602/2، 604، 605).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

ولا نكتب إلا الرحمن، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم تمشياً مع سياسة الحكمة والمرونة والحلم، قال للكاتب: «اكتب باسمك اللهم»⁽¹⁾ واستمر في إملاء صيغة المعاهدة هذه، فأمر الكاتب أن يكتب «هذا ما اصطلح عليه رسول الله»، وقبل أن يكمل الجملة اعترض رئيس الوفد القرشي على كلمة رسول الله قائلًا: لو أعلم أنك رسول الله ما خالفتك، واتبعتك، أفترب عن اسمك واسم أبيك محمد بن عبد الله؟ اكتب اسمك واسم أبيك⁽²⁾.

واعترض المسلمون على ذلك، ولكن رسول الله بحكمته وتسامحه وبُعد نظره حسم الخلاف وأمر الكاتب بأن يشطب كلمة رسول الله من الوثيقة فالتزم الصحابة الصمت والهدوء.

إن النبي صلى الله عليه وسلم وافق المشركين على ترك كتابة (بسم الله الرحمن الرحيم) وكتابة (باسمك اللهم) بدلا عنها، وكذا وافقهم في كتابة محمد بن عبد الله وترك كتابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذا وافقهم في رد من جاء منهم إلى المسلمين دون من ذهب منهم إليهم، وإنما وافقهم في هذه الأمور للمصلحة المهمة الحاصلة بالصلح مع أنه لا مفسدة في هذه الأمور، أما البسملة وباسمك اللهم فمعناها واحد، وكذا قوله (محمد بن عبد الله) هو أيضا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس في ترك وصف الله سبحانه وتعالى في هذا الموضع بالرحمن الرحيم ما ينفي ذلك، ولا في ترك وصف النبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة ما ينفيها، فلا مفسدة فيما طلبوه، وإنما كانت المفسدة تكون لو طلبوا أن يكتب ما لا يحل من تعظيم آلهتهم ونحو ذلك.

وأما شرط رد من جاء منهم وعدم رد من ذهب إليهم، فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم تعليل ذلك والحكمة فيه في هذا الحديث بقوله: «من ذهب منا إليهم فأبعده الله، ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجاً ومخرجاً ثم كان قال صلى الله عليه وسلم»⁽³⁾.

وتم عقد هذه المعاهدة وكانت صياغتها من عشرة بنود جاءت على الشكل التالي:

(1، 4) المصدر نفسه (610/2).

(3) انظر: المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة (342/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

1- باسمك اللهم.

2- هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو.

3- واصطلحنا على وضع الحرب على الناس عشر سنين، يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض.

4- على أنه من قدم مكة من أصحاب محمد حاجاً أو معتمراً أو يبتغي من فضل الله فهو آمن على دمه وماله، ومن قدم المدينة من قريش مجتازاً إلى مصر أو إلى الشام، يبتغي من فضل الله فهو آمن على دمه وماله.

5- على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه.

6- وأن بيننا عيبة مكفوفة، وأنه لا أسلال ولا أغلال⁽¹⁾.

7- وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخله، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه (فتواثبت خراعة فقالوا: نحن في عقد محمد وعهده، وتوثبت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم).

8- وأنت ترجع عنا عامك هذا، فلا تدخل علينا مكة، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك، فأقمت بها ثلاثاً معك سلاح الراكب، السيوف في القرب، ولا تدخلها بغيرها.

9- وعلى أن هذا الهدى ما جنناه ومحله فلا تقدمه علينا.

10- أشهد على الصلح رجال من المسلمين ورجال من المشركين.

(1) العيبة هنا مثل: والمعنى أن بيننا صدوراً سليمة في المحافظة على العهد الذي عقدناه بيننا، وقد يشبه صدر الإنسان الذي هو مستودع سره، وقوله: لا أسلال ولا أغلال: تعني الأسلال من السلة وهي السرقة، والأغلال أي الخيانة والمعنى العام: أن بعضنا يأمن بعضاً في نفسه وماله فلا يتعرض لدمه ولا لماله.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

فمن المسلمين: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن سهيل بن عمرو، وسعد بن أبي وقاص، ومحمد بن سلمة، وعلي بن أبي طالب كاتب المعاهدة رضي الله عنهم أجمعين.

ومن المشركين: مكرز بن حفص، وسهيل بن عمرو⁽¹⁾.

تعتبر هذه المعاهدة أساساً للمعاهدات الإسلامية ونموذجاً فريداً للمعاهدات الدولية، بما سبقها من مفاوضات، وما حوته من شروط، وما تمثل بها من خلق النبي صلى الله عليه وسلم في النزول عند رضا الطرف الآخر، وفي كيفية الصياغة والالتزام، هذه المعاهدة سبقها مفاوضات من قبل المشركين والمسلمين، وفشل بعض الممثلين في الوصول إلى اتفاق، ودارت مشاورات شتى من الجانبين قبل الوصول إليه، حتى توصل الفريقان إلى اتفاق عن طريق ممثل المشركين (سهيل بن عمرو) ورسول الله صلى الله عليه وسلم على مآل المسلمين.

عقدت هذه المعاهدة في الوقت الذي كان فيه المسلمون بمركز القوة لا الضعف، وكان باستطاعتهم ألا يقبلوا شروطها التي اغتاز منها كثير من الصحابة، ولكن ما كان لهم أن يخرجوا عن طوع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى، وقد تمادى رسول قريش على رسول الله في مفاوضاته، وكان فرداً بين جيش المسلمين، فلم ينله أذى، ولم يتماد عليه المسلمون بالقتل (لأن السفراء لا تقتل) ولكن رسول الله يرضيه، ويسعه بالحلم واللين، حتى يصل إلى الغاية التي ينشدها الإسلام، وهي حقن الدماء، وإحلال السلام، ورجاء أن يعقل القوم الحق، وأن يراجعوا المواقف، ويسمعوا كلام الله⁽²⁾، وتدخل الدعوة الإسلامية طوراً جديداً بصور أخرى في الانتشار والاتصال بالناس عندما نتأمل نصوص المعاهدة التي تمت في الحديبية فإننا نأخذ منها الآتي:

1- إن ديباجة المعاهدات الإسلامية كانت تبدأ باسم الله، أو باسمك اللهم، والقانون الدولي في

(1) المعاهدات في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي، د. محمد الديك، ص270، 271.

(2) انظر: المعاهدات في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي، ص268، 269.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

صياغة المعاهدات يقول: (تبدأ كتابة المعاهدات بديباجة يتفق عليها طرفا التعاقد).

والذي يجب أن نلاحظه أن المعاهدات في الإسلام تستند إلى الله الذي تبدأ باسمه سبحانه، حيث هو الرقيب والحسيب على ما في النوايا والقلوب، واسم الله مقدس في كل قلب يؤمن به، حتى أولئك الذين فسدت عقائدهم، فإنهم لا ينكرون الله، ولكنهم أفسدوا تصورهم لذات الله، وقد جرت أعراف بعض الذين يستهون قلوب العامة بالشعارات الجوفاء أن يقولوا بدل اسم الله: باسم الشعب، أو باسم الأمة، باعتبار قدسية ما يبدؤون به كما يزعمون، ولكن الذي يؤمن بالله لا يعدل عن قدسية الله في اعتقاده، ولذلك كانت البداية (باسمك اللهم).

2- ذكر في المعاهدة طرفا التعاقد بعد (الديباجة) كما يسميها القانون الدولي، وهذا ما عليه القانون الدولي العام من أنه يذكر بعد الديباجة أسماء الممثلين أو الدول التي هي أطراف في عقد المعاهدة.

3- بواعث المعاهدة، فقد جاء في بداية هذه المعاهدة ذكر الصلح لأجل وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس، ويكف بعضهم عن بعض، وهذا ما عليه القانون الدولي العام كذلك.

4- الدخول في صلب المعاهدة وشروطها، حيث ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه المعاهدة الشروط المتفق عليها بين الطرفين، وهذا ما عليه القانون الدولي العام.

5- في معاهدة صلح الحديبية جواز ابتداء الإمام (رئيس الدولة الإسلامية) بطلب صلح العدو إذا رأى المصلحة للمسلمين فيه، ولا يتوقف ذلك على أن يكون ابتداء الطلب منهم⁽¹⁾.

6- إن مصالحه المشركين ببعض ما فيه ضيم على المسلمين جائز للمصلحة الراجحة ودفع

(1) انظر: زاد المعاد لابن القيم (306/3).

(2) المصدر نفسه (306/3).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

ما هو شر منه، ففيه دفع أعلى المفسدتين باحتمال أدناهما⁽¹⁾.

7- إن صلح الحديبية سماه الله فتحاً؛ لأن الفتح في اللغة هو فتح المغلق، والصلح الذي حصل مع المشركين بالحديبية كان مسدوداً مغلقاً ففتحه الله، والصلح كذلك يفتح القلوب المغلقة نحو الطرف الآخر.

لقد كانت الصورة الظاهرة في شروط الحديبية فيها ضيم للمسلمين، وهي في باطنها عز وفتح ونصر، حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إلى ما وراء المعاهدة من الفتح العظيم من وراء ستر رقيق، وكان يعطي المشركين كل ما سألوه من الشروط التي لم يحتملها أكثر أصحابه ورؤوسهم، وهو صلى الله عليه وسلم يعلم ما في ضمن هذا المكروه من محبوب⁽²⁾.

8- إن المعاهدة قد تكون مفتوحة لمن يحب أن يدخل فيها من الأطراف أو الدول الأخرى، وهذا ما عليه القانون الدولي، حيث أجاز أن تكون المعاهدة مفتوحة لمن يحب الدخول فيها من الأطراف الأخرى، فقد دخلت خزاعة وكنانة في الصلح الذي أنهى حالة الحرب القائمة بين هاتين القبيلتين والتي امتدت سنوات عديدة⁽³⁾.

9- إن المعاهدة لا بد لها من توقيع الأطراف والإشهاد عليها، وتوقيع رسول الله صلى الله عليه وسلم وإشهاد أصحابه إنما هو بمثابة التوقيع على المعاهدة والتصديق عليها، كما هو في القانون الدولي العام.

10- إن المعاهدة يجوز أن يكون الوسيط فيها طرفاً محايداً، أو طرفاً يقرب بين وجهات النظر كوساطة سيد الأحابيش (الحلس بن علقمة) حليف قريش الأكبر، وطلبت منه قريش أن

(2) انظر: المعاهدات في الشريعة الإسلامية، ص272. (2) انظر: صلح الحديبية، باشميل، ص280.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

يكون وسيطاً بينهم وبين المسلمين، وكان الحلس ذا عقل راجح وبصيرة نافذة، وكان سيداً مطاعاً، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرفه ويعرف فيه التأله الشديد والتعظيم للحرم.

وعندما اختارته قريش كانت تطمع في أن يكون لمركزه الممتاز بين العرب، ولما يتمتع به من تقدير لدى النبي صلى الله عليه وسلم، تأثير على الرسول وأصحابه⁽¹⁾.

وهذا ما يقره القانون الدولي، حيث إن المعاهدة قد تعقد بوساطة دولة أخرى ليست طرفاً في النزاع، أو أحد المبعوثين الذي لا علاقة له أو لدولته في النزاع القائم بين طرفي التعاقد.

11- إن المعاهدة تعتبر نافذة المفعول بمجرد الاتفاق على المعاهدة وشروطها، حتى ولو لم تكتب ولم يوقع عليها الطرفان، وذلك كما حدث لأبي جندل بن سهيل بن عمرو الذي رده الرسول صلى الله عليه وسلم بموجب قبوله عليه السلام بالبند الخامس من المعاهدة، والذي يقول: (على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم...) فمنذ أعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم التزامه بهذا الشرط أجراه ولو لم تكن المعاهدة قد كتبت بعد، ولم يوقع عليها الطرفان.

12- إن المعاهدة تكتب من نسختين، ويأخذ كل طرف نسخة طبق الأصل من المعاهدة، حيث إنه بعد أن تمت إجراءات الصلح النهائية في الحديبية أخذ كل من الفريقين نسخة من وثيقة الصلح التاريخية، وانصرف الوفد القرشي راجعاً إلى مكة⁽²⁾.

ثانياً: موقف أبي جندل والوفاء بالعهد:

(1) المصدر نفسه، ص 199، 200.

(1) انظر: المعاهدات في الشريعة الإسلامية، ص 273.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

إن من أبلغ دروس صلح الحديبية درس الوفاء بالعهد، والتقيد بما يفرضه شرف الكلمة من الوفاء بالالتزامات التي يقطعها المسلم على نفسه، وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه أعلى مثل في التاريخ القديم والحديث، لاحترام كلمة لم تكتب، واحترام كلمة تكتب كذلك، وفي الجد في عهوده، وحبه للصراحة والواقعية، وبغضه التحايل والالتواء والكيد، وذلك حينما كان يفاوض (سهيل بن عمرو) في الحديبية، حيث جاءه ابن سهيل يرسف في الأغلال، وقد فر من مشركي مكة، وكان أبوه يتفاوض مع الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان هذا الابن ممن آمنوا بالإسلام جاء مستصرخاً بالمسلمين، وقد انفلت من أيدي المشركين، فلما رأى سهيل ابنه قام إليه وأخذ بتلابيبه، وقال: يا محمد لقد لجت القضية بيني وبينك، أي فرغنا من المناقشة قبل أن يأتيتك هذا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: صدقت، فقال أبو جندل: يا معشر المسلمين أأرد إلى المشركين يفتنونني في ديني؟! فلم يغن عنه ذلك شيئاً، ورده رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لأبي جندل: إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهداً، وإنا لا نغدر بهم، غير أن النبي صلى الله عليه وسلم إزاء هذه المأساة التي حالت بنود معاهدة الصلح بينه وبين أن يجد مخرجاً منها لأبي جندل المسلم، طمأن أبا جندل وبشره بقرب الفرج له ولمن على شاكلته من المسلمين، وقال له وهو يواسيه: «يا أبا جندل، اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً»⁽¹⁾. وفي هذه الكلمات النبوية المشرقة العظيمة دلالة ليس فوقها دلالة على مقدار حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم وتمسكه بفضيلة الوفاء بالعهد مهما كانت نتائجه وعواقبه فيما يبدو للناس⁽²⁾. لقد كان درس أبي جندل امتحاناً قاسياً ورهيباً لهذا الوفاء بالعهد أثبت فيه الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون نجاحاً عظيماً في كبت عواطفهم وحبس مشاعرهم، وقد صبروا لمنظر أخيهام أبي جندل وتأثروا من ذلك المشهد عندما كان أبوه يجتذبه من تلابيبه، والدماء تنزف منه،

(1) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (347/3).

(2) انظر: محمد رسول الله، صادق عرجون (275/4).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

مما زاد في إيلاهم حتى أن الكثيرين منهم أخذوا يكون بمرارة إشفافاً منهم على أخيهام في العقيدة، وهم ينظرون إلى أبيه المشرك وهو يسحبه بفضاظة الوثني الجلف ليعود به مرة أخرى إلى سجنه الرهيب في مكة.

وقد صبر أبو جندل واحتسب لمصابه في سبيل دينه وعقيدته، وتحقق فيه قول الله تعالى: (... وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا □ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) [الطلاق: 2، 3].

فلم تمر أقل من سنة حتى تمكن مع إخوانه المسلمين المستضعفين بمكة من الإفلات من سجون مكة، وأصبحوا قوة صار كفار مكة يخشونها، بعد أن انضموا إلى أبي بصير، وسيطروا على طرق قوافل المشركين الآتية من الشام⁽¹⁾. وسيأتي تفصيل ذلك لاحقاً بإذن الله تعالى.

ثالثاً: احترام المعارضة النزيهة:

بعد الاتفاق على معاهدة الصلح وقبل تسجيل وثائقها ظهرت بين المسلمين معارضة شديدة وقوية لهذه الاتفاقية، وخاصة في البندين اللذين يلتزم النبي صلى الله عليه وسلم بموجبهما برد من جاءه من المسلمين لاجئاً، ولا تلتزم قريش برد من جاءها من المسلمين مرتدّاً، والبند الذي يقضي بأن يعود المسلمون من الحديبية إلى المدينة دون أن يدخلوا مكة ذلك العام، وقد كان أشد الناس معارضة لهذه الاتفاقية وانتقاداً لها، عمر بن الخطاب، وأسيد بن حضير سيد الأوس، وسعد بن عباد سيد الخزرج.

وقد ذكر المؤرخون أن عمر بن الخطاب أتى رسول الله معلناً معارضته لهذه الاتفاقية، وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ألسنت برسول الله؟ قال: «بلى» قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: «بلى» قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: «بلى» قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ قال: «إني

(1) انظر: صلح الحديبية، باشميل، ص322-325.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

رسول الله ولست أعصيه»⁽¹⁾. وفي رواية: «أنا عبد الله ورسوله، لن أخالف أمره، ولن يضيعني»⁽²⁾، قلت: أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: «بلى، فأخبرتكم أنا نأتيه العام؟» قلت: لا، قال: «فإنك آتية ومطوف به». قال عمر: فأتيت أبا بكر فقلت له: يا أبا بكر، أليس برسول الله؟ قال: بلى، قال: أو لسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أو ليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعلام نعطي الدنيا في ديننا؟ فقال أبو بكر ناصحاً الفاروق بأن يترك الاحتجاج والمعارضة: الزم غرزه، فإني أشهد أنه رسول الله، وأن الحق ما أمر به، ولن يخالف أمر الله ولن يضيعه الله⁽³⁾.

وبعد حادثة أبي جندل المؤلمة المؤثرة عاد الصحابة إلى تجديد المعارضة للصلح، وذهبت مجموعة منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم عمر بن الخطاب لمراجعته، وإعلان معارضتهم مجدداً للصلح إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم بما أعطاه الله من صبر وحكمة وحلم وقوة حجة استطاع أن يقتنع المعارضين بوجاهة الصلح، وأنه في صالح المسلمين، وأنه نصر لهم⁽⁴⁾ وأن الله سيجعل للمستضعفين من أمثال أبي جندل فرجاً ومخرجاً، وقد تحقق ما أخبر به صلى الله عليه وسلم.

وبهذا يتبين أن الرسول صلى الله عليه وسلم وضع قاعدة احترام المعارضة النزيهة، حيث قرر ذلك بقوله وفعله، وهو -والله أعلم- إنما أراد بهذا الفعل إرشاد القادة من بعده إلى احترام المعارضة النزيهة التي تصدر من أتباعهم، وذلك بتشجيع الأتباع على إبداء الآراء السليمة التي تخدم المصلحة العامة⁽⁵⁾.

وهذا الهدى النبوي الكريم بين أن حرية الرأي مكفولة في المجتمع الإسلامي، وأن للفرد في

(1) انظر: من معين السيرة، ص 333. (3) انظر: تاريخ الطبري (634/2).

(3) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (346/3).

(4) انظر: صلح الحديبية، باشميل، ص 270.

(5) انظر: القيادة العسكرية في عهد رسول الله، ص 495.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

ونفهم من معارضة عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن المعارضة لرئيس الدولة في رأي من الآراء، وموقف من المواقف ليست جريمة تستوجب العقاب، ويغيب صاحبها في غياهب السجون⁽¹⁾.

لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قضية كتابة الصلح قال لأصحابه: «قوموا فأنحروا ثم احلقوا» حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد، دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك؟ أخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنك ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً، حتى كان بعضهم يقتل بعضاً غمّاً (2)

وفي هذه الحادثة تستوقفنا أمور فيها دروس وعبر منها:

- (1) انظر: غزوة الحديبية لأبي فارس، ص 134، 135.
- (2) البخاري، كتاب الشروط (240/3) رقم 2732.
- (3) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (348/3).
- (4) البرة: حلقة تجعل في أنف البعير ليزل ويتراض.
- (5) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (349/3).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

1- كان رأي أم سلمة سديداً ومباركاً، حيث فهمت رضي الله عنها وعن الصحابة أنه وقع في أنفسهم أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم بالتحلل أخذاً بالرخصة في حقهم، وأنه يستمر على الإحرام أخذاً بالعزيمة، في حق نفسه، فأشارت على النبي صلى الله عليه وسلم أن يتحلل لينتفي عنهم هذا الاحتمال، وعرف النبي صلى الله عليه وسلم صواب ما أشارت به ففعله، فلما رأى الصحابة ذلك بادروا إلى فعل ما أمرهم به، فلم يبق بعد ذلك غاية تنتظر، فكان ذلك رأياً سديداً ومشورة مباركة، وفي ذلك دليل على استحسان مشاورة المرأة الفاضلة ما دامت ذات فكرة صائبة ورأي سديد⁽¹⁾. كما أنه لا فرق في الإسلام بين أن تأتي المشورة من رجل أو امرأة طالما أنها مشورة صائبة، وهذا عين التكريم للمرأة التي يزعم أعداء الإسلام أنه غمطها حقها وتجاهل وجودها، وهل هناك اعتراف واحترام لرأي المرأة أكثر من أن تشير على نبي مرسل ويعمل النبي صلى الله عليه وسلم بمشورتها لحل مشكلة اصطدم بها وأغضبت⁽²⁾.

2- أهمية القدوة العملية، فقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أمر وكرره ثلاث مرات، وفيهم كبار الصحابة وشيوخهم، ومع ذلك لم يستجب أحد لدعوته، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخطوة العملية التي أشارت بها أم سلمة تحقق المراد، فالقدوة العملية في مثل هذه المواقف أجدى وأنفع⁽³⁾.

3- حكم الإحصار في العمرة والحج: دلَّ عمل الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من أمر الصلح، من التحلل والنحر والحلق، على أن المحصر يجوز له أن يتحلل، وذلك بأن يذبح شاة، حيث أحصر أو ما يقوم مقامها، ويحلق ثم ينوي التحلل مما كان قد أهل به، سواء كان حجاً أو عمرة، كما دلَّ على أن المتحلل لا يلزم بقضاء الحج أو العمرة إذا كان

(1) انظر: ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية، ص161.

(2) انظر: المعاهدات في الشريعة الإسلامية، ص273.

(3) انظر: تأملات في السيرة النبوية لمحمد السيد الوكيل، ص211.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

متطوعاً، وخالف الحنفية فأروا أن القضاء بعد المباشرة واجب، بدليل أن جميع الذين خرجوا معه صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية خرجوا معه في عمرة القضاء إلا من توفي أو استشهد منهم في غزوة خيبر⁽¹⁾.

خامساً: العودة إلى المدينة ونزول سورة الفتح:

ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية قاصداً المدينة حتى إذا كان بين مكة والمدينة نزلت سورة الفتح قال تعالى: (سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِالسِّنْتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعاً بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبيراً) [الفتح: 11].

وقد عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عظيم فرحته بنزولها وقال: أنزلت عليّ الليلة سورة وهي أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس⁽²⁾ ثم قرأ: (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا) [الفتح: 1]، فقال أصحاب رسول الله: هنيئاً مريئاً، فما لنا؟ فأنزل الله: (لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) [الفتح: 5]⁽³⁾.

وقد أسرع الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف على راحلته بكراع الغميم فقرأ عليهم (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا). فقال رجل: يا رسول الله، أفتح هو؟ قال: نعم، والذي نفسي بيده إنه لفتح⁽⁴⁾، فانقلبت كآبة المسلمين وحزنهم إلى فرح غامر، وأدركوا أنهم لا يمكن أن يحيطوا بالأسباب والنتائج، وأن التسليم لأمر الله ورسوله فيه كل الخير لهم ولدعوة الإسلام⁽⁵⁾.

كان حديث القرآن الكريم عن هذا الحدث العظيم في سورة الفتح، وكان القرآن الكريم له منهجه الخاص في عرضه لغزوة الحديبية، فنجد في حديثه عن هذه الغزوة أنه سمى الصلح الذي

(1) انظر: فقه السيرة للبوطي، ص 243.

(2) البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية (80/5) رقم 4177.

(3) البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية (78/5) رقم 4172.

(4) سنن أبي داود، معالم السنن، كتاب الجهاد رقم 2736.

(5) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (449/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وقع بين الفريقين مع عدم وقوع القتال فتحاً مبيئاً.

إننا بالتأمل في أسباب النزول نجد أن سورة الفتح نزلت بعد انتهاء النبي صلى الله عليه وسلم من الصلح وهو عائد إلى المدينة النبوية، وبعد أن خاض النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون تلك التجارب العظيمة من الأمل في العمرة، إلى مواجهة المشركين، إلى بيعة الرضوان، إلى الصلح الذي لم يكن بعض الصحابة راضين عنه ودارت في أنفسهم أشياء كثيرة حول هذه الأحداث الجسام.

ينزل القرآن الكريم ويبين للمسلمين بأن هذا الصلح هو فتح مبين، ويؤكد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان على صواب في قبول الصلح، بل لتزداد ثقة المؤمنين برسول الله صلى الله عليه وسلم حين يبشره الله على الملأ من الدنيا بأن الله تعالى فتح بالصلح ليغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر كرامة منه سبحانه لرسوله؛ ليزداد المسلمون ثقة واطمئناً بأنهم على الصواب، وأن ما فعلوه هو الحق ومآله السعادة، ثم بين سبحانه أن توفيق الله كان مع المؤمنين فهو الذي وفقهم للصبر مع رسوله، وموافقهم أخيراً على ما جنح له من أمر الصلح، وأن ذلك كان بسبب إنزال السكينة على قلوبهم حتى على قلوب من أنكر بعض شروط الصلح، واستسلم للأمر على مضض، فلم يحصل رفض لهذا الصلح بل كلهم نزلوا على أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بفضل السكينة التي أنزلها عليهم، قال تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) [الفتح: 4].

فالقرآن الكريم يبين أن الله هو الذي أنزل السكينة عليهم ليتذكروا فضله، ويدوموا على شكره، وهذا الإعلام بإنزال السكينة مما يتميز به حديث القرآن الكريم عن هذه الغزوة، إذ السكينة أمر معنوي لا يعلم نزوله إلا الله، وأشار القرآن الكريم إلى بيعة الرضوان وهي مبايعة الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم على الموت، فأتى الله سبحانه وتعالى على هذه البيعة، وكتب لها الخلود في القرآن، وقرر أنها مبايعة لله عز وجل، فقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

اللَّهُ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ([الفتح: 10].

وبهذا نرى ما يتميز به القرآن الكريم في حديثه عن الغزوات فهو يبين الحقائق ويصح العقائد، ويربي النفوس، ويفضح المنافقين، ويبشر المسلمين بغنائم قريبة تحققت في خيبر، وبين أصحاب الأعداء، فليس كل من تخلف عن الجهاد يعاتب وإنما هناك استثناء، وهذا من كمال رحمته الإلهية، ثم لما تم صلح الحديبية وعاد المسلمون إلى المدينة ولم يتحقق ما قصده من دخول مكة أشار سبحانه وتعالى إلى الرؤيا التي سبقت أن رآها النبي صلى الله عليه وسلم وبشر بها أصحابه وبين أنها رؤيا صدق، وأنها ستتحقق، قال تعالى: (لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَبَجَلٍ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتَحًا قَرِيبًا) [الفتح: 27].

ثم اختتمت السورة الجليلة بصفات مدح للنبي صلى الله عليه وسلم ولأصحابه الكرام.

قال تعالى: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا □ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سَوْقِهِ يُعْجِبُ الزَّרَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) [الفتح: 28، 29].

لقد أيقن الصحابة الكرام أن الدعوة قد دخلت في طور جديد وفتح أكيد، وآفاق أوسع، وامتداد أرحب، وأن من طبيعة هذا الدين أن ينمو ويعيش في أجواء السلم والأمن أكثر منه وقت الحرب، ولمسوا مع الأيام نتائج صلح الحديبية التي كان من أهمها:

1- اعترفت قريش في هذه المعاهدة بكيان الدولة المسلمة، فالمعاهدة دائماً لا تكون إلا بين ندين، وكان لهذا الاعتراف أثره في نفوس القبائل المتأثرة بموقف قريش الجحودي، حيث

كانوا يرون أنها الإمام والقُدوة.

2- دخلت المهابة في قلوب المشركين والمنافقين، وتيقن الكثير منهم بغلبة الإسلام، وقد تجلت بعض مظاهر ذلك في مبادرة كثير من صناديد قريش إلى الإسلام، مثل: خالد بن الوليد وعمرو بن العاص، كما تجلت في مسارعة الأعراب المجاورين للمدينة إلى الاعتذار عن تخلفهم.

3- أعطت الهدنة فرصة لنشر الإسلام وتعريف الناس به؛ مما أدى إلى دخول كثير من القبائل فيه، يقول الإمام الزهري: (فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب وأمن الناس بعضهم بعضاً، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه، ولقد دخل في تينك السنتين مثل ما كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر)⁽¹⁾.

وعقب عليه ابن هشام بقوله: والدليل على قول الزهري: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة في قول جابر بن عبد الله، ثم خرج في عام الفتح بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف⁽²⁾.

4- أمن المسلمون جانب قريش فحولوا ثقلهم على اليهود، ومن كان يناوئهم من القبائل الأخرى، فكانت غزوة خيبر بعد صلح الحديبية.

5- مفاوضات الصلح جعلت حلفاء قريش يفقهون موقف المسلمين ويميلون إليه، فهذا الحلس بن علقمة عندما رأى المسلمين يلبون رجع إلى أصحابه، قال: لقد رأيت البدن قد قلدت وأشعرت، فما أرى أن يصدوا عن البيت.

6- مكن صلح الحديبية النبي صلى الله عليه وسلم من تجهيز غزوة مؤتة، فكانت خطوة

(1) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (351/3).

(2) المصدر نفسه (351/3، 352).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

جديدة لنقل الدعوة الإسلامية بأسلوب آخر خارج الجزيرة العربية.

7- ساعد صلح الحديبية النبي صلى الله عليه وسلم على إرسال رسائل إلى ملوك الفرس والروم والقبط يدعوهم إلى الإسلام.

8- كان صلح الحديبية سبباً ومقدمة لفتح مكة: يقول ابن القيم: كانت الهدنة مقدمة بين يدي الفتح الأعظم، الذي أعز الله به رسوله وجنده، ودخل الناس به في دين الله أفواجا، فكانت هذه الهدنة باباً له ومفتاحاً ومؤنناً بين يديه، وهذه عادة الله في الأمور العظام التي يقضيها قدراً وشرعاً أن يوطئ لها بين يديها بمقدمات وتوطئات تؤذن لها وتدل عليها⁽¹⁾.

سادساً: أبو بصير في المدينة وقيادته لحرب العصابات:

في أعقاب صلح الحديبية مباشرة استطاع أبو بصير عتبة بن أسيد أن يفر بدينه من سجون الشرك في مكة المكرمة، وأن يلتحق برسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة فبعثت قريش في إثره اثنين من رجالها إلى رسول الله، ليرجعا به، تنفيذاً لشرط المعاهدة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بصير: يا أبا بصير، إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، فانطلق إلى قومك، فقال أبو بصير: يا رسول الله، أتردني إلى المشركين يفتنونني في ديني؟ قال: يا أبا بصير، انطلق فإن الله سيجعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً⁽²⁾. فانطلق معهما، وقد شق ذلك على المسلمين وهم ينظرون بحزن إلى أخيه في العقيدة، وهو يعود إلى سجنه بمكة بعد أن استطاع أن يفلت من ظلم قريش، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يهتم بالوفاء بالعهود والمواثيق، ولم يكن عنده مجرد نظرية مكتوبة على الورق، ولكنه كان سلوكاً عملياً في حياته وفي علاقته الدولية، فقد أوصى الله سبحانه وتعالى بالوفاء بالعهود، وحذر من نقض الأيمان بعد توكيدها في كثير من الآيات القرآنية، قال تعالى: (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْفُضُوا الْأَيْمَانَ

(1) انظر: زاد المعاد (309/3).

(2) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (352/3).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ([النحل: 91].

وقال جل وعلا: (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا) [الإسراء: 34].

وبهذا يكون الوفاء بالعهد عند المسلمين قاعدة أصولية من قواعد الدين الإسلامي التي يجب على كل مسلم أن يلتزم بها⁽¹⁾.

لقد التزم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعهد مع قريش، وسلم أبا بصير إليهما (القرشيين) وانطلق معهما، فلما كانا بذى الحليفة، قال لأحد صاحبيه: أصارم سيفك هذا يا أخا بني عامر؟ فقال: نعم، قال: أنظر إليه؟ قال: انظر إن شئت، فاستله أبو بصير، ثم علاه به حتى قتله، ففر الآخر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: قتل صاحبكم صاحبي، فما لبث أبو بصير أن حضر، متوشحاً بالسيف، وقال: يا رسول الله وفت ذمتك، وأدى الله عنك، أسلمتني بيد القوم، وقد امتنعت بديني أن أفتن فيه، أو يعث بي⁽²⁾، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ويل أمه مسعر حرب لو كان له أحد»⁽³⁾، فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده عليهم فخرج حتى أتى سيف البحر⁽⁴⁾، وقد فهم المستضعفون بمكة من عبارة الرسول صلى الله عليه وسلم أن أبا بصير بحاجة إلى الرجال، فأخذوا يفرون من مكة إلى أبي بصير في سيف البحر، فلحق به أبو جندل بن سهيل بن عمرو وغيره حتى اجتمع عند أبي بصير عصابة قوية، فما يسمعون بغير لقريش خرجت إلى الشام إلا اعترضوا طريقها وقتلوا من فيها، وأخذوا الأموال التي كانوا يتجرون بها، فأرسل المشركون إلى النبي صلى الله عليه وسلم يناشدونه بالله والرحم لما أرسل إلى أبي بصير ومن معه، ومن أتاه منهم فهو آمن، وتخلوا في ذلك عن أقسى شروطهم التي صبوا فيها كؤوس كبريائهم، فذلت قريش من حيث طلبت العز⁽⁵⁾.

(1) انظر: منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية، ص 329.

(2) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (353/3).

(3) البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد (241/3) رقم 4732.

(4) البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد (241/3) رقم 4732.

(5) انظر: محمد رسول الله، صادق عرجون (281/4).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

فأرسل إليهم النبي صلى الله عليه وسلم⁽¹⁾ وهم بناحية العيص، فقدموا عليه وكانوا قريباً من الستين أو السبعين⁽²⁾، فأوى النبي صلى الله عليه وسلم تلك العصابة المؤمنة التي أفضت مضاجع قريش، وأرغمتها على إسقاط شرطها التعسفي، فزادت بهم قوة المسلمين وقويت بهم شوكتهم، واشتد بأسهم.

غير أن أبا بصير، رأس تلك العصابة ومؤسسها، لم يقدر له أن يكون معها، فقد وافاه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم بالعودة إلى المدينة، وهو على فراش الموت، فلفظ أنفاسه حيث كان في الثغر، وهواه في قلب المجتمع النبوي في المدينة⁽³⁾.

إن قصة أبي جندل وأبي بصير وما احتملاه في سبيل العقيدة، وما أبدياه من الثبات والإخلاص والعزيمة والجهاد حتى مرغوا رؤوس المشركين بالتراب، وجعلوهم يتوسلون بالمسلمين لترك ما اشترطوه عليهم في الحديبية، هذه القصة نموذج يقتدى به في الثبات على العقيدة وبذل الجهد في نصرتها، وفيها ما يشير إلى مبدأ (قد يسع الفرد ما لا يسع الجماعة) فقد ألحق أبو بصير وجماعته الضرر بالمشركين في وقت كانت فيه دولة الإسلام لا تستطيع ذلك وفاء بالصلح، لكن أبا بصير وأصحابه خارج سلطة الدولة، ولو في ظاهر الحال، ولم يكن ما قام به أبو بصير والمستضعفون بمكة مجرد اجتهد فردي لم يحظ بإقرار الرسول صلى الله عليه وسلم أن يأمر أبا بصير بالكف عن قوافل المشركين ابتداءً أو بالعودة إلى مكة، لكن ذلك لم يحدث، فكان إقراراً له، إذ كان موقف أبي بصير وأصحابه في غاية الحكمة حيث لم يستكينوا لطغاة مكة يفتنونهم عن دينهم ويمنعونهم من اللحاق بالمدينة، فاخترأوا موقفاً فيه خلاصهم وإسناد دولتهم بأعمال تضعف اقتصاد مكة وتزعزع إحساسهم بالأمن في وقت الصلح، بل يمكن القول بأن اتخاذ هذا الموقف كان بإشارة وتشجيع من النبي صلى الله عليه وسلم حين وصف أبا بصير⁽⁴⁾ بأنه:

(1) البخاري، كتاب الشروط (241/3) رقم 4732.

(2) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (451/2).

(3) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص 296.

(4) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (452/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

«مسعر حرب لو كان معه أحد»⁽¹⁾.

سابعاً: امتناع النبي صلى الله عليه وسلم عن رد المهاجرات:

صممت مجموعة من النساء المستضعفات في مكة على الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام، وفي مقدمة هؤلاء النساء أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، فقد هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلح الحديبية، فأراد كفار مكة أن يردوهن فأنزل الله تعالى في حقهن: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآثُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ أَلَا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكَمُ حُكْمُ اللَّهِ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) [الممتحنة: 10].

قال الأستاذ محمد الغزالي: (وقد أبى المسلمون عقيب صلح الحديبية أن يردوا النسوة المهاجرات بدينهن إلى أوليائهن، إما لأنهم فهموا أن المعاهدة خاصة بالرجال فحسب، أو لأنهم خشوا على النساء اللاتي أسلمن، أن يضعفن أمام التعذيب والإهانة، وهن لا يستطعن ضرباً في الأرض، ورداً للكيد كما فعل أبو جندل وأبو بصير وأضرابهما، وأيا كان الأمر فإن احتجاج من أسلم من النساء تم بتعليم القرآن)⁽²⁾.

(1) البخاري، كتاب الشروط (241/3) رقم 4732.

(2) انظر: فقه السيرة للغزالي، ص 367.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

المبحث الثالث

دروس وعبر وفوائد

كانت غزوة الحديبية غنية بالدروس العقائدية، والفقهية، والأصولية والتربوية.. إلخ، وسوف أذكر منها بعض الدروس على سبيل المثال لا الحصر:

أولاً: أحكام تتعلق بالعقيدة:

1- حكم القيام على رأس الكبير وهو جالس:

في قيام المغيرة بن شعبة على رأس النبي صلى الله عليه وسلم بالسيف، ولم يكن من عادته أن يقام على رأسه وهو قاعد، وهذه سنة يقتدى بها عند قدوم رسل العدو من إظهار العز والفخر والتعظيم للإمام وطاعته ووقايته بالنفوس، وهذه هي العادة الجارية عند قدوم رسل المؤمنين على الكافرين وقدوم رسل الكافرين على المؤمنين، وليس هذا من النوع الذي ذمه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «من أحب أن يتمثل له الرجل قياماً فليتبوأ مقعده من النار»⁽¹⁾.

كما أن الفخر والخيلاء في الحرب ليسا من هذا النوع المذموم في غيره⁽²⁾، ويشبه هذا ما فعله أبو دجانة في غزوة أحد، فكل ما يدل على التكبر أو التجبر في المشي ممنوع شرعاً، ولكنه جائز في حالة الحرب بخصوصها، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم عن مشية أبي دجانة: «إنها مشية يكرهها الله إلا في هذا الموضع»⁽³⁾.

2- استحباب الفأل وأنه مغاير للطيرة:

لما جاء سهيل بن عمرو لمفاوضة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله: «سهل

(1) أخرجه أبو داود في الأدب (5229): باب قيام الرجل للرجل.

(2) انظر: زاد المعاد (304/3). (3) انظر: فقه السيرة للبيوطي، ص 241.

أمركم»⁽¹⁾ ففي الحديث استحباب التفاؤل، وأنه ليس من الطيرة المكروهة⁽²⁾.

وقد جاءت أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم تبين معنى الفأل، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا طيرة وخيرها⁽³⁾ الفأل» قالوا: وما الفأل يا رسول الله؟ قال: «الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم»⁽⁴⁾ والفرق بين الفأل والطيرة: أن الفأل من طريق حسن الظن بالله، والطيرة لا تكون إلا في سوء فلذلك كرهت⁽⁵⁾.

وقد ذكرت الطيرة عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «أحسنها الفأل ولا ترد مسلماً، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع بالسيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك»⁽⁶⁾.

3- بيان كفر من اعتقد أن للكوكب تأثيراً في إيجاد المطر:

قال خالد الجهنني رضي الله عنه صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية -على إثر سماء⁽⁷⁾ كانت من الليلة- فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال: بنوء⁽⁸⁾ كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب»⁽⁹⁾.

وقد حمل العلماء الكفر المذكور في الحديث على أحد نوعيه الاعتقادي أو كفر النعمة بحسب حال القائل.

(1، 5) انظر: زاد المعاد (305/3).

(3) انظر: غزوة الحديبية للحكمي، ص 303.

(4) صحيح البخاري مع الفتح، 5754. (8) فتح الباري (215/10).

(6) سنن أبي داود مع معالم السنن، كتاب الطب: 3919.

(7) إثر سماء: المقصود المطر.

(8) الأنواء: ثمان وعشرون منزلة، ينزل القمر كل ليلة في منزلة.

(9) البخاري، كتاب الأذان، 846. (5) الأم (252/1).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

فمن قال: مطرنا بنوء كذا معتقداً أن للكوكب فاعليه وتأثيراً في إيجاد المطر فهو كافر كفرةً مخرجاً من الملة، قال الشافعي: من قال مطرنا بنوء كذا وكذا على ما كان أهل الجاهلية يعنون من إضافة المطر إلى أنه بنوء كذا فذلك كفر كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن النوء وقت، والوقت مخلوق لا يملك لنفسه ولا لغيره شيئاً، ومن قال مطرنا بنوء كذا على معنى مطرنا في وقت كذا فلا يكون كفرةً وغيره من الكلام أحب إليّ منه⁽¹⁾.
فالشافعي يقصد هنا الكفر الاعتقادي⁽²⁾.

4- هل يجوز التبرك بفضلات الصالحين وآثارهم:

ففي حديث عروة بن مسعود وهو يصف أصحاب رسول الله حوله قال: فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده.. وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه⁽³⁾.

وقد علق الشاطبي على هذا الحديث وأحاديث أخرى تماثله فقال: فالظاهر في مثل هذا النوع أن يكون مشروعاً في حق من ثبت ولايته واتباعه لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتبرك بفضله وضوئه، ويتدلك بنخامته ويستشفى بآثاره كلها، ويرجى نحو مما كان في آثار المتبوع الأصل⁽⁴⁾ صلى الله عليه وسلم إلا أنه عارضنا في ذلك أصل مقطوع به في منته مشكل في تنزيله، وهو أن الصحابة رضي الله عنهم بعد موته عليه السلام لم يقع من أحد منهم في شيء من ذلك بالنسبة إلى من خلفه، إذ لم يترك النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته أفضل من أبي بكر الصديق رضي الله عنه فهو كان خليفته، ولم يفعل به شيء من ذلك، ولا عمر رضي الله عنه وهو كان أفضل الأمة بعده، ثم كذلك عثمان ثم علي ثم سائر الصحابة الذين لا أحد أفضل منهم في الأمة، ثم لم يثبت لواحد منهم من طريق صحيح معروف أن متبركاً تبرك على أحد تلك الوجوه أو نحوها،

(2) انظر: غزوة الحديبية للحكمي، ص 304.

(3) البخاري مع الفتح، كتاب الشروط رقم 2731، 2732.

(4) قال محقق كتاب الاعتصام: يظهر أن الجملة محرفة.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

بل اقتصروا على الاقتداء بالأفعال والأقوال والسير التي اتبعوا فيها النبي صلى الله عليه وسلم، فهو إذن إجماع منهم على ترك تلك الأشياء⁽¹⁾.

وقد أخرج ابن وهب في جامعه من حديث يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال: حدثني رجل⁽²⁾ من الأنصار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا توضأ أو تنخم ابتدر من حوله من المسلمين وضوءه ونخامته فشربوه ومسحوا به جلودهم، فلما رآهم يصنعون ذلك سألهم: «لم تفعلون هذا؟» قالوا: نلتمس الطهور والبركة بذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كان منكم يحب أن يحبه الله ورسوله فليصدق الحديث، وليؤد الأمانة، ولا يؤذ جاره»⁽³⁾.

وهذا الحديث أفاد أن الأولى ترك التبرك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولعل سكوت النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك يوم الحديبية ليرى عروة بن مسعود رسول قريش مدى تعلق الصحابة رضوان الله عليهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وحبهم له، لا سيما وقد قال للنبي صلى الله عليه وسلم: «إني لأرى أشواباً من الناس خليفاً أن يفروا ويدعوك»⁽⁴⁾. هذه بعض المسائل العقائدية.

ثانياً: أحكام فقهية وأصولية:

1- قصة كعب بن عجرة ونزول آية الفدية:

قال كعب بن عجرة رضي الله عنه: وقف عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية ورأسي يتهافت⁽⁵⁾ قملاً فقال: «أيؤذيك هوامك»⁽⁶⁾ قلت: نعم، قال: «فاحلق رأسك» أو قال: «احلق» قال: فنزلت هذه الآية: (فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكَ) [البقرة: 196] فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «صم ثلاثة أيام، أو تصدق

(1) انظر: غزوة الحديبية للحكمي، ص305.

(2) هو عبد الرحمن بن أبي قرد ت. الترغيب والترهيب (589/3).

(3) هذا الحديث قال عنه الألباني: هو حديث ثابت له طرق وشواهد في معجمي الطبراني وغيرها، السلسلة الصحيحة رقم 2998.

(4) البخاري، كتاب الشروط رقم 2732.

(5) يتهافت: يتساقط، النهاية (266/5).

(6) الهوام: جمع هامة وهي ما يذب من الأخشاش، والمراد القمل.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

بفرق بين ستة أو انسك⁽¹⁾ بما تيسر»⁽²⁾ وفي رواية مسلم: أن النبي صلى الله عليه وسلم مر به وهو بالحديبية قبل أن يدخل مكة وهو محرم وهو يوقد تحت قدر والقمل يتهافت على وجهه فقال: أيؤذيك هوامك هذا؟ قال نعم، قال: فاحلق رأسك وأطعم فرقاً بين ستة مساكين (والفرق ثلاث أصع) أو صم ثلاثة أيام أو انسك نسيكة⁽³⁾، وآية البقرة المذكورة تبين حكم من كان مُحَرَّمًا وبه أذى من رأسه، وهي نزلت في كعب بن عجرة خاصة، وأصبحت لكل مسلم يمر بنفسه الحالة.

2- مشروعية الصلاة في الرحال:

روى ابن ماجه عن أبي المليح بن أسامة قال: خرجت إلى المسجد في ليلة مطيرة فلما رجعت استفتحت فقال أبي⁽⁴⁾: من هذا؟ قال: أبو المليح، قال: لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وأصابتنا سماء لم تبل أسافل نعالنا، فنادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم: صلوا في رحالك⁽⁵⁾. وهذا الحديث صحيح فسنده متصل برواية الثقات، وقد صححه ابن حجر⁽⁶⁾.

3- انصراف المسلمين من الحديبية ونومهم عن صلاة الصبح:

كانت مدة إقامة المسلمين بالحديبية بضعة عشر يوماً، ويقال: عشرين ليلة على قول الواقدي⁽⁷⁾ وابن سعد⁽⁸⁾.

وعن ابن عائذ: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام في غزوته هذه شهراً ونصفاً)⁽⁹⁾. والذي يبدو أن الواقدي وابن سعد أرادوا تحديد مدة إقامته صلى الله عليه وسلم في الحديبية،

(1) انسك: اذبح، النهاية (48/5).

(2) صحيح البخاري مع الفتح كتاب المحصر: 1815.

(3) مسلم، كتاب الحج: 1201.

(4) أسامة بن عمير الهذلي البصري، صحابي تفرد ولده عنه.

(5) سنن ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة: 936.

(6) فتح الباري (113/2) غزوة الحديبية للحكمي، ص 221.

(7) انظر: مغازي الواقدي (616/2).

(8) انظر: الطبقات الكبرى (98/2).

(9) انظر: شرح الزرقاني على المواهب (210/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

أما ابن عائذ فقصد الزمن الذي استغرقته غيبة النبي صلى الله عليه وسلم منذ خروجه من المدينة إلى عودته إليها.

وبعد أن تحلل المسلمون من عمرتهم تلك قفلوا راجعين إلى المدينة، فلما كان من الليل عدلوا عن الطريق للنوم ووكلوا بلالا بحراستهم، فنام بلال ولم يوقظهم إلا حرُّ الشمس⁽¹⁾، كما جاء في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حيث قال: أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يكلؤنا؟»⁽²⁾ فقال بلال: أنا. فناموا حتى طلعت الشمس، واستيقظ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «افعلوا كما كنتم تفعلون» قال: ففعلنا، قال: «فكذلك فافعلوا لمن نام أو نسي»⁽³⁾ وقد وردت أحاديث أخرى تفيد أن قصة نومهم عن صلاة الصبح وقعت في غير الحديبية، وحاول بعض العلماء التوفيق بين هذه النصوص، وذهب الدكتور حافظ الحكمي إلى أن ما ورد من اختلاف بين حديث عبد الله بن مسعود في قصة الحديبية وغيره محمول على تعدد القصة كما رجح ذلك النووي⁽⁴⁾، وجنح إليه ابن كثير⁽⁵⁾ وابن حجر⁽⁶⁾ والزرقاني، بل قال السيوطي: لا يجمع إلا بتعدد القصة⁽⁷⁾.

4- مشروعية الهدنة بين المسلمين وأعدائهم ومقدار المدة التي تجوز المهادنة عليها:

استدل العلماء والأئمة بصلح الحديبية على جواز عقد هدنة بين المسلمين وأهل الحرب من أعدائهم إلى مدة معلومة، سواء أكان ذلك بعوض يأخذونه منهم أم بغير عوض، أما بدون عوض فلأن هدنة المدينة كانت كذلك، وأما بعوض فبقيااس الأولى؛ لأنها إذا جازت بدون عوض، فلأن تجوز بعوض أقرب وأوجه.

(1) انظر: غزوة الحديبية، ص251.

(2) يكلؤنا: يحرصنا.

(3) انظر: سنن أبي داود مع معالم السنن، كتاب الصلاة: 447.

(4) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (5/181، 182)، غزوة الحديبية، ص258.

(5) انظر: البداية والنهاية (4/213).

(6) فتح الباري (1/449)، شرح الزرقاني على الموطأ (1/47).

(7) انظر: تنوير الحوالك (1/33).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وأما إذا كانت المصالحة على مال يبذله المسلمون فهو غير جائز عند جمهور المسلمين، لما فيه من الصغار لهم، ولأنه لم يثبت دليل من الكتاب أو السنة على جواز ذلك، قالوا: إلا إن دعت إليه ضرورة لا محيص عنها، وهو أن يخاف المسلمون الهلاك أو الأسر فيجوز كما يجوز للأسير فداء نفسه بالمال.

وقد ذهب الشافعي وأحمد -رحمهما الله- وكثير من الأئمة إلى أن الصلح لا ينبغي أن يكون إلا إلى مدة معلومة، وأنه لا يجوز أن تزيد المدة على عشر سنوات مهما طال؛ لأنها هي المدة التي صالح النبي صلى الله عليه وسلم قريشاً عليها عام الحديبية⁽¹⁾. وذهب آخرون إلى جواز الهدنة أكثر من عشر سنين على ما يراه الإمام من المصلحة وهو قول أبي حنيفة⁽²⁾.

والتحقيق: أن القول الأول هو الراجح لظاهر الحديث، وإن وجدت مصلحة في الزيادة على العشر جدد العقد، كما قال الشافعي⁽³⁾.

وقال بعض المتأخرين⁽⁴⁾: يجوز عقد صلح مؤبد غير مؤقت بمدة معينة، واستدل بقوله تعالى: (إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتِلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا) [النساء: 90]. وهذا قول مبني على أن الأصل في علاقة المسلمين بالكفار هي السلم لا الحرب⁽⁵⁾، وأن الجهاد إنما شرع لمجرد الدفاع عن المسلمين فحسب⁽⁶⁾.

وهذا القول مردود لما يلي:

أ- أن صاحب هذا القول قد خرق الاتفاق بعد أن حكاه بنفسه، حيث قال: اتفق الفقهاء على أن

(1) انظر: فقه السيرة النبوية للبوطي، ص242.

(2) انظر: فتح القدير (5/546)، غزوة الحديبية، ص294.

(3) انظر: غزوة الحديبية، ص295.

(4) آثار الحرب في الفقه الإسلامي للدكتور وهبة الزحيلي، ص680.

عقد الصلح مع العدو لا بد من أن يكون مقدراً بمدة معينة، فلا تصح المهادنة مطلقة إلى الأبد من غير تقدير بمدة⁽¹⁾.

ب- الآية التي استدلت بها منسوخة بقوله تعالى: (فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [التوبة: 5] فقد نقل ذلك ابن جرير⁽²⁾ عن عكرمة والحسن وقتادة وابن زيد، وحكاه القرطبي⁽³⁾ عن مجاهد، ثم قال: وهو أصح شيء في معنى الآية.

ج- الأصل الذي انبنى عليه هذا القول: مردود بآية براءة السابقة وبواقع سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه مع أعدائهم.

د- أما فكرة أن الجهاد إنما شرع للدفاع عن المسلمين، فهي فكرة دخيلة، وقد تصدى لها سيد قطب⁽⁴⁾ -رحمه الله- ففندها، وبين أن سبب نشوئها هو الانهزام أمام هجمات المستشرقين، وعدم الفهم لمرحلية الدعوة⁽⁵⁾.

5- المطلق يجري على إطلاقه:

هذه قاعدة أصولية يؤيدها ما رواه ابن هشام عن أبي عبيد أنه قال: عن بعض من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لما قدم المدينة: ألم تقل يا رسول الله إنك تدخل مكة آمناً؟ قال: «بلى، أفقلت لكم من عامي هذا؟» قالوا: لا، قال: «فهو كما قال لي جبريل عليه السلام»⁽⁶⁾. وفي هذا الأثر، تبشير المؤمنين بفتح مكة في المستقبل، وإيماء بالوحي الصادق إلى ذلك النصر، ولفت لهم إلى وجوب التسليم لأمره، بإطلاق، كما ورد مطلقاً، دون تحميله زيادات وقيوداً تصرفه

(3)، (4)، (1) المصدر نفسه، ص 675.

(2) انظر: تفسير الطبري (24/9: 26).

(3) المصدر نفسه (308/5).

(4) في ظلال القرآن (1433/3) وما بعدها.

(5) انظر: غزوة الحديبية للحكمي، ص 296.

(6) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص 297.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

6- وجوب طاعته صلى الله عليه وسلم والانقياد لأمره وإن خالف ظاهر ذلك القياس أو كراهته النفوس:

جاء في قصة الحديبية أن عمر بن الخطاب وبعض الصحابة -رضي الله عنهم- كرهوا الصلح مع قريش⁽²⁾، لما رأوا في شروطها من الظلم والإجحاف في حقهم، لكنهم ندموا بعد ذلك على صنعهم، ورأوا أنهم وقعوا في حرج، إذ كيف يكرهون شيئاً رضي به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وظلت تلك الحادثة درساً لهم فيما استقبلوا من حياتهم، وكانوا يحذرون غيرهم من الوقوع فيما وقعوا فيه من الاعتماد على الرأي⁽³⁾؛ فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: (أيها الناس اتهموا الرأي على الدين، فلقد رأيتني أرد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برأي اجتهداً، فوالله ما آلو عن الحق وذلك يوم أبي جندل)⁽⁴⁾.

وكان سهل بن حنيف رضي الله عنه يقول: اتهموا رأيكم، رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لرددته⁽⁵⁾.

ولقد بقي عمر بن الخطاب رضي الله عنه برهة من الزمن متخوفاً أن ينزل الله به عقاباً للذي صنع يوم الحديبية. فكان رضي الله عنه يتحدث عن قصته تلك ويقول: فما زلت أصوم وأتصدق وأعتق من الذي صنعت مخافة كلامي الذي تكلمت به يومئذ حتى رجوت أن يكون خيراً⁽⁶⁾.

قال ابن الديبع الشيباني تعليقاً على هذه الحادثة: قال العلماء: لا يخفى ما في هذه القصة من وجوب طاعته صلى الله عليه وسلم والانقياد لأمره، وإن خالف ظاهر ذلك مقتضى القياس أو

(1) انظر: غزوة الحديبية للحكمي، ص313.

(2) نفس المصدر، ص313.

(3) انظر: غزوة الحديبية، للحكمي، ص313.

(2) المصدر نفسه، ص179.

(5) المصدر السابق، ص313.

(6) انظر: حدائق الأنوار ومطالع الأسوار (622/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

كرهته النفوس، فيجب على كل مكلف أن يعتقد أن الخير فيما أمر به، وأنه عين الصلاح المتضمن لسعادة الدنيا والآخرة، وأنه جاء على أتم الوجوه وأكملها غير أن أكثر العقول قصرت عن إدراك غايته وعاقبة أمره⁽¹⁾.

ثالثاً: أنموذج من التربية النبوية:

في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يصعد الثنية، ثنية المزار، فإنه يحط عنه ما حط عن بني إسرائيل»⁽²⁾. يظهر في هذا الحديث جانب عظيم من جوانب التربية النبوية يستحق التأمل والتدبر، فرسول الله صلى الله عليه وسلم يشجع أصحابه على صعود الثنية، ثم يخبرهم أن الذي يجتازها سينال مغفرة من الله تعالى، وحين نتأمل هذا الحديث تبرز لنا معان عظيمة منها:

1- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يربط قلوب أصحابه باليوم الآخر في كل لحظة من لحظات حياتهم.

2- أنه يريد لفت أنظارهم إلى أن كل حركة يتحركونها وكل عمل يقومون به حتى ما يرون أنه من العادات أو من دواعي الغريزة، يجب استغلاله للتزود لذلك اليوم، وكان صلى الله عليه وسلم يسعى دائماً لترسيخ تلك المعاني في نفوس الصحابة فنراه يقول في موطن آخر: «وفي بضع أحدكم صدقة» قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر»⁽³⁾.

ويقول في موطن ثالث: «وانك مهما أنفقت من نفقة فإنها صدقة حتى اللقمة التي ترفعها إلى في امرأتك»⁽⁴⁾.

(1) انظر: مرويات غزوة الحديبية، ص315.

(2) مسلم، كتاب صفات المنافقين رقم 2780.

(3) مسلم، كتاب الزكاة: 53.

(4) البخاري، مع الفتح كتاب الوصايا: 2742.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

إن تلك المعاني إذا تمكنت في قلب المسلم لكفيلة بأن تصبغ حياته كلها بصبغة العبودية لله وحده، وإذا شملت العبادة كل نواحي حياة المسلم فإن لهذا الشمول آثاراً مباركة سوف يشعر بها الفرد في نفسه ثم يلمسها فيمن حوله⁽¹⁾.

ومن أبرز تلك الآثار أمران:

أ- أن يصبغ حياة المسلم وأعماله بالصبغة الربانية ويجعله مشدوداً إلى الله في كل ما يؤديه، فهو يقوم به بنية العابد الخاشع، وروح القانت المخبت، وهذا يدفعه إلى الاستكثار من كل عمل نافع، وكل إنتاج صالح، وكل ما ييسر له ولأبناء نوعه الانتفاع بالحياة، على أمثل وجوهاها، فإن ذلك يزيد رصيده من الحسنات والقربات عند الله تعالى، كما يدعو هذا المعنى إلى إحسان عمله الدنيوي وتجويده وإتقانه ما دام يقدمه إلى ربه سبحانه ابتغاء رضوانه وحسن مثوبته.

ب- أنه يمنح المسلم وحدة الوجهة ووحدة الغاية في حياته كلها، فهو يرضي رباً واحداً في كل ما يأتي ويدع، ويتجه إلى هذا الرب بسعيه كله الديني والدنيوي، لا انقسام ولا صراع، ولا ازدواج في شخصيته ولا في حياته⁽²⁾.

ولقد عاش الصحابة الكرام تلك المعاني وحولوها إلى حقائق ملموسة في حياتهم كلها، وما حفظ الله سيرتهم إلا لكي نقندي بهم في حياتنا وتكون حجة على كل من جاء بعدهم⁽³⁾.

(1) انظر: مرويّات غزوة الحديبية للحكمي، ص315.

(2) انظر: العبادة في الإسلام للقرضاوي، ص66.

(3) انظر: مرويّات غزوة الحديبية للحكمي، ص316، لقد استفدت في فصل غزوة الحديبية استفادة كبيرة من كتاب مرويّات غزوة الحديبية، للحكمي، وصلح الحديبية، باشميل، غزوة الحديبية لأبي فارس. وكانت هذه الكتب هي العمدة في هذا الفصل كما استفدت من غيرها كمراجع ومصادر.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

أهم الأحداث ما بين الحديبية وفتح مكة

المبحث الأول

غزوة خيبر

أولاً: تاريخها وأسبابها:

ذكر ابن إسحاق⁽¹⁾ أنها كانت في المحرم من السنة السابعة للهجرة، وذكر الواقدي⁽²⁾ أنها كانت في صفر أو ربيع الأول من السنة السابعة للهجرة، بعد العودة من غزوة الحديبية، وذهب ابن سعد⁽³⁾ إلى أنها في جمادى الأولى سنة سبع، وقال الإمامان الزهري ومالك: إنها في محرم من السنة السادسة⁽⁴⁾، وقد رجح ابن حجر⁽⁵⁾ قول ابن إسحاق على قول الواقدي⁽⁶⁾.

لم يُظهر يهود خيبر العداء للمسلمين حتى نزل فيهم زعماء بني النضير، الذي حَزَّ في نفوسهم إجلالهم عن ديارهم، ولم يكن الإجلال كافياً لكسر شوكتهم، فقد غادروا المدينة ومعهم النساء والأبناء والأموال، وخلفهم القيان يضرّبن الدفوف والمزامير بزهاء وفخر ما رئي مثله في حي من الناس في زمانهم⁽⁷⁾.

وكان من أبرز زعماء بني النضير الذين نزلوا في خيبر سلام بن أبي الحقيق وكنانة بن أبي الحقيق، وحيي بن أخطب فلما نزلوا دان لهم أهلها⁽⁸⁾.

(1) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (455/3)، معلقاً.

(2) انظر: المغازي (634/2).

(3) انظر: الطبقات لابن سعد (106/2).

(4) انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (33/1).

(5) انظر: الفتح (41/16)، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص500.

(6) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص500.

(7) انظر: السيرة النبوية الأصلية، (319/1).

(8) المصدر نفسه (319/1).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وكان تزعم هؤلاء ليهود خبير كافيًا في جرها إلى الصراع والتصدي والانتقام من المسلمين، فقد كان يدفعهم حقد دفين ورغبة قوية في العودة إلى ديارهم داخل المدينة، وكان أول تحرك قوي ما حدث في غزوة الأحزاب، حيث كان لخبير وعلى رأسها زعماء بني النضير دور كبير في حشد قريش والأعراب ضد المسلمين وتسخير أموالهم في ذلك، ثم سعيهم في إقناع بني قريظة بالغدر والتعاون مع الأحزاب⁽¹⁾، بل إنهم أنفقوا أموالهم واستغلوا علاقاتهم مع يهود بني قريظة من أجل نصره الأحزاب وطعن المسلمين في ظهورهم⁽²⁾، وهكذا أصبحت خبير مصدر خطر كبير على المسلمين ودولتهم النامية.

تفرغ المسلمون بعد صلح الحديبية لتصفية خطر يهود خبير الذي أصبح يهدد أمن المسلمين، ولقد تضمنت سورة الفتح التي نزلت بعد الحديبية وعدًا إلهيًا بفتح خبير وحياسة أموالها غنيمة⁽³⁾، قال تعالى: (وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا) وَآخَرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ([الفتح:20، 21].

ثانيًا: مسير الجيش الإسلامي إلى خبير:

سار الجيش إلى خبير بروح إيمانية عالية على الرغم من علمهم بمنعة حصون خبير وشدة بأس رجالها وعتادها الحربي، وكانوا يكبرون ويهللون بأصوات مرتفعة، فطلب منهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يرفقوا بأنفسهم قائلا: «أيها الناس.. إنكم تدعون سميعًا قريبًا وهو معكم»⁽⁴⁾.

وكان سيره صلى الله عليه وسلم بالجنود ليلا، فقد قال سلمة بن الأكوع رضي الله عنه: خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى خبير فسرنا ليلا⁽⁵⁾، وكان عامر بن الأكوع يحدو بالقوم

(1) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (319/1).

(2) انظر: نصره النعيم (349/1).

(4) البخاري، كتاب الدعوات رقم 6384.

(5) البخاري، كتاب المغازي رقم 4196.

ويقول:

اللهم لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
 فاغفر فداء لك⁽¹⁾ ما اتقينا وثبت الأقدام إن لاقينا
 وألقين سكينه علينا إنا إذا صبح بنا أتينا
 وبالصياح عولوا علينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من هذا السائق؟» قالوا: عامر بن الأكوع.

قال: «يرحمه الله».

قال رجل -وهو عمر بن الخطاب⁽²⁾- من القوم: وجبت يا نبي الله، لولا متعتنا به⁽³⁾.

وعندما وصل الجيش الإسلامي بالصهباء، وهي من أدنى خيبر، صلى العصر ثم دعا بالأزواد، فلم يؤت إلا السويق، فأمر به فثري، فأكل وأكل معه الصحابة، ثم قام إلى المغرب فمضمض ثم صلى بالصحابة ولم يتوضأ⁽⁴⁾.

وكان صلى الله عليه وسلم قد بعث عباد بن بشر رضي الله عنه في سرية استطلاعية يتلقت أخبار العدو، ويستطلع إن كان هناك كمائن، فلقي في الطريق عيئاً لليهود من أشجع فقال: من أنت؟ قال: باغ ابتغى أبعة ضلت لي، أنا على إثرها، قال عباد: ألك علم بخيبر؟ قال: عهدي بها حديث، فم تسألني عنه؟ قال: عن اليهود؟ قال: نعم، كان كنانة بن أبي الحقيق وهوذة بن قيس ساروا في حلفائهم من غطفان، فاستنفروهم وجعلوا لهم ثمر خيبر سنة، فجاءوا معدين مؤيدين بالكرع والسلاح يقودهم عتبة بن بدر، ودخلوا معهم في حصونهم، وفيهم عشرة آلاف مقاتل، وهم أهل الحصون التي لا ترام، وسلاح وطعام كثير لو حصروا لسنين لكفاهم، وماء وأنى

(8) البخاري، كتاب المغازي، رقم 4196.

(2) انظر: فتح الباري (466/7).

(2) انظر: المغازي للواقدي (640/2: 641).

(4) انظر: الصراع مع اليهود (30/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
 مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

يشربون في حصونهم، ما أرى لأحد بهم طاقة، فرفع عباد بن بشر السوط فضربه ضربات، وقال: ما أنت إلا عين لهم، اصدقني وإلا ضربت عنقك. فقال الأعرابي: القوم مرعوبون منكم خائفون، وجلون لما صنعتهم بمن كان يثرب من اليهود، وقال لي كنانة: اذهب معترضاً للطريق فإنهم لا يستنكرون مكانك واحذرهم لنا، وادن منهم كالسائل لهم ما تقوى به، ثم ألق إليهم كثرة عددنا ومادتنا، فإنهم لن يدعوا سؤلك، وعجل الرجعة إلينا بخبرهم⁽¹⁾.

وعندما وصل جيش المسلمين إلى مشارف خيبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: قفوا. ثم قال: «اللهم رب السموات وما أظللن، ورب الأرضين وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما ذرين، إنا نسألك خير هذه القرية، وخير أهلها وخير ما فيها، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها، وشر ما فيها»، اقدموا باسم الله، وكان يقولها لكل قرية دخلها⁽²⁾.

ولما أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم الليل أمر الجيش بالنوم على مشارف خيبر، ثم استيقظوا مبكرين، وضربوا خيامهم ومعسكرهم بوادي الرجيع، وهو وادي يقع بين خيبر وغطفان، حتى يقطعوا المدد عن يهود خيبر من قبيلة غطفان⁽³⁾.

ولما أصبح الصبح خرجت اليهود بمساحيهم⁽⁴⁾ ومكاثلهم⁽⁵⁾، فلما رأوا جيش المسلمين قالوا: محمد والله، محمد والخميس، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين»⁽⁶⁾.

ثالثاً: وصف تساقط حصون خيبر:

هرب اليهود إلى حصونهم وحاصرهم المسلمون، وأخذوا في فتح حصونهم واحداً تلو الآخر،

(2) انظر: المستدرك (100/2) قال الحاكم: حديث صحيح الإسناد وأقره الذهبي.

(3) انظر: الصراع مع اليهود (45/2).

(4) المساحي: جمع ومفردها مسحة، والمسحة: المجرفة من الحديد.

(5) المكاثل: جمع مكثل، وهو المقطف الكبير.

(6) البخاري، كتاب المغازي، رقم 4210.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وكان أول ما سقط من حصونهم ناعم والصعب بمنطقة النطاة، وأبى النزار بمنطقة الشق، وكانت هاتان المنطقتان في الشمال الشرقي من خيبر، ثم حصن القموص المنيع في منطقة الكتيبة، وهو حصن ابن أبي الحقيق، ثم أسقطوا حصني منطقة الوطيح والسالام⁽¹⁾.

وقد واجه المسلمون مقاومة شديدة وصعوبة كبيرة عند فتح بعض هذه الحصون، منها حصن ناعم الذي استشهد تحته محمود بن مسلمة الأنصاري، حيث ألقى عليه مرحب رحي من أعلى الحصن⁽²⁾، والذي استغرق فتحه عشرة أيام⁽³⁾، فقد حمل راية المسلمين عند حصاره أبو بكر الصديق، ولم يفتح الله عليه، وعندما جهد الناس، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه سيدفع اللواء غداً إلى رجل يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله، لا يرجع حتى يفتح له، فطابت نفوس المسلمين، فلما صلى فجر اليوم الثالث دعا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ودفع إليه اللواء فحمله فتم فتح الحصن على يديه⁽⁴⁾، وكان علي يشتكي من رمد في عينيه عندما دعاه الرسول صلى الله عليه وسلم فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له فبرئ⁽⁵⁾، ولقد أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم علياً بأن يدعو اليهود إلى الإسلام قبل أن يداهمهم، وقال له: «فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن تكون لك حمر النعم»⁽⁶⁾ وعندما سأله علي: يا رسول الله على ماذا أقاتل الناس؟ قال: «قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإذا فعلوا ذلك منعوا منكم دماءهم وأموالهم، إلا بحقها وحسابهم على الله»⁽⁷⁾.

وعندما حاصر المسلمون هذا الحصن برز لهم سيده وبطلهم مرحب وكان سبباً في استشهاد عامر بن الأكوع، ثم بارزه علي فقتله⁽⁸⁾، مما أثر سلباً في معنويات اليهود ومن ثم هزيمتهم⁽¹⁾.

(1) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 501.

(2) نفس المصدر، ص 501. (3) انظر: الواقدي (657/2).

(4) انظر: المستدرك (37/3) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(5) مسلم (1872/4) رقم 2406. (6) مسلم (1872/2) رقم 2406.

(7) مسلم (1872/2) رقم 2405.

(8) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 502.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

ووردت مجموعة من روايات تخبر بأن علياً رضي الله عنه تترس بباب عظيم كان عند حصن ناعم بعد أن أسقط يهودي ترسه من يده، وكلها روايات ضعيفة⁽²⁾، وعدم الاعتماد عليها لا ينفي قوة علي وشجاعته، فيكفيه ما ثبت في ذلك وهو كثير⁽³⁾.

توجه المسلمون إلى حصن الصعب بن معاذ بعد فتح حصن ناعم، وأبلى حامل رايتهم الحباب بن المنذر بلاء حسناً حتى افتتحوه بعد ثلاثة أيام، ووجدوا فيه الكثير من الطعام والمتاع، يوم كانوا في ضائقة من قلة الطعام، ثم توجهوا بعده إلى حصن قلعة الزبير الذي اجتمع فيه الفارون من حصن ناعم والصعب وبقية ما فتح من حصون يهود، فحاصروه وقطعوا عنه مجرى الماء الذي يغذيه، فاضطروهم إلى النزول للقتال، فهزموهم بعد ثلاثة أيام، وبذلك تمت السيطرة على آخر حصون منطقة النطاة التي كان فيها أشد اليهود، ثم توجهوا إلى حصون منطقة الشق وبدعوا بحصن أبي فاقتحموه، وأفلت بعض مقاتلته إلى حصن نزار، وتوجه إليهم المسلمون فحاصروهم ثم افتتحوا الحصن، وفر بقية أهل الشق من حصونهم وتجمعوا في حصن القموص المنيع وحصن الوطيح وحصن السلاط، فحاصروهم المسلمون لمدة أربعة عشر يوماً حتى طلبوا الصلح⁽⁴⁾.

وهكذا فتحت خيبر عنوة⁽⁵⁾ استناداً إلى النظر في مجريات الأحداث التي سقتها، وما روى البخاري⁽⁶⁾ ومسلم⁽⁷⁾، وأبو داود⁽⁸⁾ من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا خيبر وافتتحها عنوة⁽⁹⁾.

وبذلك سقطت سائر خيبر بيد المسلمين، وسارع أهل فدك في شمالي خيبر إلى طلب الصلح،

(10، 11) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (324/1).

(4) انظر: الواقدي (658/2 - 671).

(5) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 504.

(6) نفس المصدر، ص 504. (4) مسلم (1427/3) رقم 1365.

(8) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 504.

(9) نفس المصدر، ص 504. (7) انظر: مغازي الواقدي (699/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وأن يسيرهم ويحقن دماءهم، وبذلوا له الأموال فوافق على طلبهم⁽¹⁾، فكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنه لا يوجف عليها بخيل ولا ركاب، وحاصر المسلمون وادي القرى، وهي مجموعة قرى بين خيبر وتيماء ليالي⁽²⁾، ثم استسلمت، فغنم المسلمون أموالاً كثيرة وتركوا الأرض والنخل بيد اليهود وعاملهم عليها مثل خيبر وصالحت تيماء على مثل صلح خيبر ووادي القرى⁽³⁾. وبذلك تساقطت سائر الحصون اليهودية أمام قوات المسلمين وقد بلغ قتلى اليهود في معارك خيبر ثلاثة وتسعين رجلاً⁽⁴⁾، وسببت النساء والذراري منهن صفية بنت حيي بن أخطب فأعتقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوجها⁽⁵⁾.

واستشهد من المسلمين عشرون رجلاً فيما ذكر ابن إسحاق⁽⁶⁾، وخمسة عشر فيما ذكر الواقدي⁽⁷⁾.

رابعاً: الأعرابي الشهيد، والراعي الأسود، وبطل إلى النار:

1- الأعرابي الشهيد: جاء رجل من الأعراب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأمن به، واتبعه، فقال: أهاجر معك؟ فأوصى به بعض أصحابه، فلما كانت غزوة خيبر، غنم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً فقسمه، وقسم للأعرابي فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ قالوا: قسم قسمه لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذه فجاء به للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما هذا يا رسول الله؟ قال: «قسم قسمته لك» قال: ما على هذا اتبعتك، ولكن اتبعتك على أن أرمي هاهنا، وأشار إلى حلقه، بسهم، فأموت فأدخل الجنة، فقال: إن تصدق الله يصدقك، ثم نهض إلى قتال العدو، فأتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهو مقتول، فقال: «أهو هو؟» قالوا: نعم. قال: «صدق الله فصدقته». فكفنه النبي

(2) انظر: تاريخ خليفة 85 نقلاً عن ابن إسحاق. (9) زاد المعاد (354/3، 355).

(4) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 504.

(5) مسلم، كتاب النكاح (1045/2). (12) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (327/1).

(7) انظر: المغازي (700/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

صلى الله عليه وسلم في جيبته، ثم قدمه، فصلى عليه، وكان من دعائه له: «اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك، قُتل شهيداً، وأنا عليه شهيد»⁽¹⁾.

2- الراعي الأسود: وجاء عبد أسود حبشي من أهل خيبر، كان في غنم لسيده، فلما رأى أهل خيبر قد أخذوا السلاح، سألهم: ما تريدون؟ قالوا: نقاتل هذا الذي يزعم أنه نبي، فوقع في نفسه ذكر النبي، فأقبل بغنمه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ماذا تقول؟ وما تدعو إليه؟ قال: «أدعو إلى الإسلام، وأن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وألا تعبد إلا الله» قال العبد: فما لي إن شهدت وآمنت بالله عز وجل، قال: «لك الجنة إن مت على ذلك».

فأسلم ثم قال: يا نبي الله، إن هذه الغنم عندي أمانة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أخرجها من عندك وارمها بـ (الحصباء) فإن الله سيؤدي عنك أمانتك» ففعل فرجعت الغنم إلى سيدها، فعلم اليهودي أن غلامه قد أسلم، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس، فوعظهم وحضهم على الجهاد، فلما التقى المسلمون واليهود قتل فيمن قتل العبد الأسود واحتمله المسلمون إلى معسكرهم فأدخل في الفسطاط فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع في الفسطاط، ثم أقبل على أصحابه، وقال: «لقد أكرم الله هذا العبد، وساقه إلى خيبر، ولقد رأيت عند رأسه اثنتين من الحور العين، ولم يصل لله سجدة قط»⁽²⁾.

3- بطل لكنه إلى النار: كان في جيش المسلمين بخبير رجل لا يدع للمشركين شاذة ولا فاذة⁽³⁾ إلا اتبعها يضربها بسيفه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما إنه من أهل النار» فقالوا: أين من أهل الجنة إن كان من أهل النار؟ فقال رجل: والله لا يموت على هذه الحال أبداً، فاتبعه حتى جرح، فاشتدت جراحته واستعجل الموت، فوضع سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل عليه فقتل نفسه، فجاء رجل إلى رسول الله فقال: أشهد أنك رسول الله، قال: «وما ذاك»

(1) أخرجه النسائي (60/4)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (291/1)، والحاكم (595/3)، والبيهقي (15/4، 16)، وإسناده صحيح نقلاً عن زاد المعاد (324/3).

(2) انظر: زاد المعاد (323/3، 324)، السيرة الحلبية (39/3).

(3) الشاذ: الذي يفارق الجماعة، الفاذ: الذي لم يختلط بالجماعة.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

فأخبره، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، وإنه من أهل النار، وإنه ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وإنه لمن أهل الجنة»⁽¹⁾.

خامساً: قدوم جعفر بن أبي طالب ومن معه من الحبشة:

قدم جعفر بن أبي طالب وصحبه من مهاجري الحبشة على رسول الله يوم فتح خيبر، فقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عينيه والتزمه وقال: «ما أدري بأيهما أنا أسر بفتح خيبر أم بقدم جعفر»، وكان صلى الله عليه وسلم قد أرسل في طلبهم من النجاشي، عمرو بن أمية الضمري، فحملهم في سفينتين ووافق قدومهم عليه يوم فتح خيبر، وقد رافق جعفر في قدومه أبو موسى الأشعري ومن كان بصحبته من الأشعريين⁽²⁾، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: بلغنا مخرج النبي صلى الله عليه وسلم ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لي أنا أصغرهم أحدهم أبو بردة، والآخر أبو رهم، إما قال: في بضع، وإما قال في ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلاً من قومي، فركبنا السفينة، فألقنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبي طالب فأقمنا جميعاً، فوافقنا النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح خيبر⁽³⁾.

لقد مكث جعفر وإخوانه في الحبشة بضعة عشر عاماً، نزل خلالها قرآن كثير، ودارت معارك شتى مع الكفار، وتقلب المسلمون قبل الهجرة العامة وبعدها في أطوار متباينة، حتى ظن البعض أن مهاجري الحبشة -وقد فاتهم هذا كله- أقل قدرًا من غيرهم⁽⁴⁾.

فعن أبي موسى: كان أناس يقولون لنا سبقتكم بالهجرة، ودخلت أسماء بنت عميس على حفصة زوج النبي زائرة -وكانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر- فدخل عمر على حفصة وأسماء عندها، فقال حين رأى أسماء: من هذه؟ قالت أسماء: ابنة عميس، قال عمر: الحبشية هذه؟ البحريةية هذه؟ قالت أسماء: نعم، قال عمر: سبقتكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله منكم،

(1) البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر 4207.

(2) انظر: معين السيرة، ص 253.

(3) البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، رقم 4230، 4231.

(4) انظر: فقه السيرة للغزالي، ص 350.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

فغضبت، وقالت: كلا والله، كنتم مع رسول الله يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم، وكنا في أرض البعداء البغضاء بالحبشة، وذلك في الله وفي رسول الله، وإيم الله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلت لرسول الله وأسأله، والله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه، فلما جاءت النبي صلى الله عليه وسلم قالت: كذا وكذا، قال: «ليس بأحق بي منكم، وله ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان»⁽¹⁾. فأخذت أسماء هذا الوسام ووزعته على جميع أعضاء الوفد حيث كانوا⁽²⁾، كما قالت: يأتون أرسالاً يسألونني عن هذا الحديث، ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في نفوسهم مما قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم⁽³⁾. وقد أشركهم النبي صلى الله عليه وسلم في مغام خيبر بعد أن استأذن من الصحابة رضي الله عنهم الذين شاركوا في فتحها⁽⁴⁾.

سادساً: تقسيم الغنائم:

1- كانت غزوة خيبر من أكثر غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم غنيمة، من حيث الأراضي والنخيل والثياب والأطعمة وغير ذلك، ومن خلال وصف كتب السيرة نلاحظ أن الغنائم تتكون من:

أ- الطعام: فقد غنم المسلمون كثيراً من الأطعمة من حصون خيبر، فقد وجدوا فيها الشحم والزيت والعسل والسمن، وغير ذلك، فأباح رسول الله صلى الله عليه وسلم الأكل من تلك الأطعمة، ولم يخمسها⁽⁵⁾.

ب- الثياب والأثاث والإبل والبقر والغنم، لقد أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسها ووضعه فيما وضعه الله فيه، ووزع أربعة أخماسها على المحاربين.

(1) البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، رقم 4231.

(2) انظر: فقه السيرة للغضبان، ص535. (4) مسلم، فضل الصحابة، رقم 2502، 2503.

(4) انظر: الصراع مع اليهود لأبي فارس، (96/3).

(5) المصدر نفسه (140/3).

(6) المصدر نفسه (141/3، 142).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

ج- السبي: لقد سبى رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً من نساء اليهود، ووزع السبي على المسلمين، فهو غنيمة ويأخذ حكم الغنيمة.

د- أما الأراضي والنخيل فقد قسمها النبي إلى ستة وثلاثين سهماً، وجمع كل سهم مائة سهم، فكانت ثلاثة آلاف وستمئة سهم، فكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين النصف من ذلك، وهو ألف وثمانمائة سهم، ووزع النصف الآخر، وهو ألف وثمانمائة سهم لنوابه، وما ينزل به من أمور المسلمين⁽¹⁾.

هـ- وكان من بين ما غنم المسلمون من يهود خيبر عدة صحف من التوراة فطلب اليهود ردّها، فأمر بتسليمها إليهم، ولم يصنع صلى الله عليه وسلم ما صنع الرومان حينما فتحوا أورشليم وأحرقوا الكتب المقدسة، وداسوها بأرجلهم، ولا ما صنع النصارى في حروب اضطهاد اليهود في الأندلس حين أحرقوا كذلك صحف التوراة⁽²⁾.

وقد أبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود خيبر فيها على أن يعملوا في زراعتها وينفقوا عليها من أموالهم، ولهم نصف ثمارها، على أن للمسلمين حق إخراجهم منها متى أرادوا، وكان اليهود قد بادروا بعرض ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا: نحن أعلم بالأرض منكم فوافق على ذلك بعد أن هم بإخراجهم منها⁽³⁾.

وقد اشترط عليهم أن يجلبهم عنها متى شاء، وهنا تظهر براعة سياسة جديدة في عقد الشروط، فإن بقاء اليهود في الأرض يفلحونها يوفر للمسلمين الجنود المجاهدين في سبيل الله، ومن جهة أخرى فإن اليهود هم أصحاب الأرض وهم أدري بفلاحتها من غيرهم، فبقاؤهم فيها يعطي ثمرة أكثر وأجود وبخاصة أنهم لن يأخذوا أجراً، ولكنهم سيأخذون نصف ما يخرج من الأرض قل أو كثير.

(2) انظر: السيرة النبوية لأبي شعبة (419/2).

(3) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (328/1).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وقد ضمن الرسول -بشرط إجلائهم متى شاء المسلمون- إخضاعهم وكسر شوكتهم؛

لأنهم يعلمون إذا فعلوا شيئاً يضر بالمسلمين سيطردهونهم منها، ولا يعودون إليها أبداً.

وقد حدث ذلك فعلاً في عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث اعتدوا على عبد الله ابن عمر ففدعوا يديه من المرفقين، وكانوا قبل ذلك في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم اعتدوا على عبد الله بن سهل فقتلوه، فلما تحقق عمر من غدريهم وخيانتهم أمر بإجلائهم⁽¹⁾. وحاول يهود خيبر أن يخفوا الفضة والذهب وغيبوا مسكاً⁽²⁾ لحبي بن أخطب، وكان قد قتل مع بني قريظة، وكان احتمله معه يوم بني النضير حين أجليت النضير، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم سعية عم حبي بن أخطب: أين مسك حبي بن أخطب؟ قال: أذهبته الحروب والنفقات⁽³⁾.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: العهد قريب والمال أكثر من ذلك، فدفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الزبير بن العوام، فمسه بغذاب، وقد كان حبي قبل ذلك دخل خربة، فقال عمه: قد رأيت حبياً يطوف في خربة هاهنا، فذهبوا فطافوا، فوجدوا المسك في الخربة⁽⁴⁾. وبعد الاتفاق الذي تم بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ويهود خيبر على إصلاح الأرض جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة يأتيهم كل عام فيخرصها عليهم ثم يضمنهم الشرط، فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شدة خرصه⁽⁵⁾، وأرادوا أن يرشوه فقال: يا أعداء الله تطعموني السحت؟ والله لقد جئكم من عند أحب الناس إليّ، ولأنتم أبغض الناس إليّ من عدتكم من القردة والخنازير، ولا يحملني بغضي إياكم وحبي إياه على أن لا أعدل عليكم. فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض⁽⁶⁾.

لقد أصبحت خيبر ملكاً للمسلمين وصارت مورداً مهماً لهم، قال ابن عمر رضي الله عنه: ما

(1) انظر: تأملات في سيرة الرسول، لمحمد سيد الوكيل، ص228، 229.

(2) المسك: الجلد عامة أو جلد السلخة خاصة (السلخة ولد الشاة).

(3) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (326/1).

(4) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (المغازي)، ص424.

(5) الخرص: الحرز والحدس والتخمين، وخرص العدد: قدره تقديرًا بظن لا إحاطة.

(6) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي، (المغازي)، ص424.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

شبعنا حتى فتحت خيبر⁽¹⁾، وقد تحسن الوضع الاقتصادي بعد خيبر، ورد المهاجرون المنائح التي أعطاهم إياها الأتصار⁽²⁾ من النخل.

سابعاً زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من صفية بنت حيي بن أخطب:

لما فتح المسلمون القموص -حصن بني أبي الحقيق- كانت صفية في السبي فأعطاهما دحية الكلبي، فجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم: فقال يا رسول الله، أعطيت دحية صفية بنت حيي سيدة قومها، وهي ما تصلح إلا لك، فاستحسن النبي صلى الله عليه وسلم ما أشار به الرجل، وقال لدحية، خذ جارية من السبي غيرها⁽³⁾، ثم أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعتقها وجعل عتقها صداقها⁽⁴⁾، ثم تزوجها بعد أن طهرت من حيضتها⁽⁵⁾، وبعد أن أسلمت.

ولم يخرج النبي صلى الله عليه وسلم من خيبر حتى طهرت صفية من حيضها، فحملها وراءه فلما صار إلى منزل على ستة أميال من خيبر مال يريد أن يعرس بها، فأبت عليه، فوجد في نفسه، فلما كان بالصهباء نزل بها هناك فمشطتها أم سليم، وعطرتها، وزفتها إلى النبي صلى الله عليه وسلم وبني بها، فسألها: «ما حملك على الامتناع من النزول أولاً» فقالت: خشيت عليك من قرب اليهود، فعظمت في نفسه، ومكث رسول الله بالصهباء ثلاثة أيام، وأولم عليها ودعا المسلمين،

وما كان فيها من لحم وإنما التمر والأقط والسمن، فقال المسلمون: إحدى أمهات المؤمنين أو ما ملكت يمينه، فلما ارتحل وطأ له خلفه ومد عليها الحجاب، فأيقنوا أنها إحدى أمهات المؤمنين⁽⁶⁾.

وقد كانت أم المؤمنين صفية بنت حيي قد رأت رؤية، فقد روى البيهقي -رحمه الله- بإسناد صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما في حديث طويل قال: ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(1) البخاري، كتاب المغازي، غزوة خيبر رقم 4243.

(2) انظر: معين السيرة، ص 352.

(3، 5) انظر: السيرة النبوية لأبي شعبة (383/2).

(5) انظر: الصراع مع اليهود (101/3).

(6) انظر: السيرة النبوية لأبي شعبة (384/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

بعين صفة خضرة، فقال: «يا صفة ما هذه الخضرة؟» فقالت: كان رأسي في حجر ابن حقيق، وأنا نائمة، فرأيت كأن قمرًا وقع في حجري، فأخبرته بذلك فلطمني، وقال: تمنين ملك يثرب⁽¹⁾.

وهكذا صدق الله رؤيا صفة رضي الله عنها، وأكرمها بالزواج من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأعتقها من النار، وجعلها أمًّا للمؤمنين، وزوجًا في الجنة لخاتم الأنبياء والمرسلين⁽²⁾، وقد أكرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم غاية الإكرام، وكان يجلس عند بغيره فيضع ركبته لتضع صفة رجلها على ركبته حتى تركب، وقد بلغ من أدبها أنها كانت تأبى أن تضع رجلها على ركبته، فكانت تضع ركبته على ركبته وتركب⁽³⁾.

وهذه صفة رضي الله عنها تحدثنا عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقول: ما رأيت أحدًا قط أحسن خلقًا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، لقد رأيته ركب بي في خيبر، وأنا على عجر ناقته ليلاً، فجعلت أنعس، فتضرب رأسي مؤخرة الرحل، فيمسني بيده، ويقول: «يا هذه مهلاً»⁽⁴⁾. وعن صفة رضي الله عنها أنها بلغها عن عائشة وحفصة أنهما قالتا: نحن أكرم على رسول الله صلى الله عليه وسلم من صفة، نحن أزواجه وبنات عمه، فدخل عليها صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال: «ألا قلت: وكيف تكونان خير مني وزوجي محمد وأبي هارون، وعمي موسى»⁽⁵⁾.

لقد تأثرت صفة بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصبح صلى الله عليه وسلم أحب إليها من أبيها وزوجها والناس أجمعين، بل أصبح أحب إليها من نفسها، تفديه بكل ما تملك حتى نفسها، وإذا ألم به مرض تمننت أن يكون فيها، وأن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم سليمًا

(1) انظر: السنن الكبرى (138/9) نقلا عن الصراع مع اليهود (103/3).

(2) انظر: الصراع مع اليهود (122/3). (2) انظر: السيرة النبوية لأبي شعبة (384/2).

(4) انظر: السيرة الحلبية (45/3). (4، 5) انظر: شرح المواهب اللدنية (233/2).

معافى، فقد أخرج ابن سعد -رحمه الله- بإسناد حسن عن زيد بن أسلم رضي الله عنه قال: اجتمع نساؤه صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي توفي فيه، فقالت صفية رضي الله عنها: إني والله يا نبي الله لوددت أن الذي بك بي، فغمز بها أزواجه، فأبصرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «مضمن»، فقلن: من أي شيء فقال: «من تغامزكن بها، والله إنها لصادقة»⁽¹⁾.

ومما له صلة بزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفية بنت حيي، حراسة أبي أيوب الأنصاري لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أن دخل بصفية، فعن ابن إسحاق أنه قال: ولما أعرس رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفية بخيبر، أو ببعض الطريق.. فبات بها رسول الله في قبة له، وبات أبو أيوب خالد بن زيد أخو بني النجار متوشحاً سيفه، يحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويطيف بالقبة، حتى أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رأى مكانه قال: «ما لك يا أبا أيوب؟» قال: يا رسول الله، خفت عليك من هذه المرأة، وكانت امرأة قد قتلت أباهما وزوجها وقومها، وكانت حديثة عهد بكفر، فخفتها عليك⁽²⁾، فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمله الذي ينبئ على غاية الحب، والإيمان، وقال: «اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحرسني»⁽³⁾.

وكان زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفية فيه حكمة عظيمة، فهو لم يرد بزواجه منها قضاء شهوة، أو إشباعاً لغريزة، كما يزعم الأفاكون، وإنما أراد إعزازها وتكريمها، وصيانتها من أن تفتش لرجل لا يعرف لها شرفها ونسبها في قومها، وهذا إلى ما فيه من العزاء لها، قد قتل أبوها من قبل، وزوجها وكثير من قومها، ولم يكن هناك أجمل مما صنعه الرسول معها، كما أن فيه رباط المصاهرة بين النبي واليهود عسى أن يكون هذا ما يخفف من عدائهم للإسلام والانضواء تحت لوائه والحد من مكرهم وسعيهم بالفساد⁽⁴⁾، وكانت أم المؤمنين صفية عاقلة وحليمة، وصادقة، يروى أن جارية لها أتت عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالت: إن

(6) انظر: زاد المعاد (328/3).

(3) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبه (385/2).

صفية تحب السبت، وتصل اليهود، فبعث إليها فسألها عن ذلك، فقالت: أما السبت فإني لم أحبه منذ أبدلني الله به الجمعة، وأما اليهود فإن لي فيهم رحماً فأنا أصلها، فقبل منها، ثم قالت للجارية: ما حملك على هذا؟ قالت: الشيطان، فقالت لها: اذهبي فأنت حرة.

وكانت وفاتها في رمضان سنة خمسين للهجرة في زمن معاوية، وقيل سنة اثنتين وخمسين رضي الله عنها وأرضاها⁽¹⁾.

ثامناً: محاولة أثيمة لليهود.. الشاة المسمومة:

قال أبو هريرة رضي الله عنه: لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اجمعوا لي من كان هاهنا من اليهود» فجمعوا له، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني سائلكم عن شيء فهل أنت صادقي عنه؟». فقالوا: نعم يا أبا القاسم. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أبوكم؟». قالوا: أبونا فلان. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كذبتم بل أبوكم فلان». فقالوا: صدقت وبررت. فقال: «هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟» فقالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبناك عرفت كذبنا كما عرفت في أبينا. قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أهل النار؟». فقالوا: نكون فيها يسيراً ثم تخلفوننا. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اخسؤوا فيها والله لا نخلفكم فيها أبداً». ثم قال لهم: «فهل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟». قالوا: نعم. فقال: «هل جعلتم في الشاة سمّاً». فقالوا: نعم. فقال: «ما حملكم على ذلك؟». فقالوا: أردنا إن كنت كاذباً نستريح منك، وإن كنت نبياً لم يضرنا⁽²⁾.

قال صاحب بلوغ الأمان عن الشاة المسمومة: أهدتها إليه زينب بنت الحارث اليهودية امرأة سلام بن مشكم، وكانت سألت أي عضو من الشاة أحب إليه؟ فقيل: الذراع، فأكثر فيها من السم،

(2، 1) المصدر نفسه (385/2).

(2) البخاري، كتاب الجهاد والسير (79/4) رقم 3169.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

فلما تناول الذراع لأك منها مضغة، ولم يسغها، وأكل منها معه بشر بن البراء فأسأغ لقمة ومات منها⁽¹⁾.

وفي مغازي عروة: فتناول الذراع فانتهش منها، وتناول بشر عظمًا آخر، فانتهش منه، فلما أرغم رسول الله صلى الله عليه وسلم، أرغم بشر ما في فيه، فقال رسول الله: ارفعوا أيديكم، فإن كتف الشاة تخبرني أنني قد بغيت فيها، فقال بشر بن البراء: والذي أكرمك لقد وجدت ذلك في أكلتي التي أكلت، ولم يمنعني أن ألفظها إلا أنني كرهت أن أنغص طعامك، فلما أكلت ما في فيك لم أرغب بنفسي عن نفسك، ورجوت أن لا أكون رغمتها وفيها بغي⁽²⁾.

وقال ابن القيم: وجيء بالمرأة إلى رسول الله فقالت: أردت قتلك، فقال: «ما كان الله ليسلطك علي» قالوا: ألا تقتلها؟ قال: «لا» ولم يتعرض لها، ولم يعاقبها، واحتجم على الكاهل، وأمر من أكل منها فاحتجم، فمات بعضهم⁽³⁾.

وقد اختلف في قتل المرأة والصحيح أنه لما مات بشر قتلها⁽⁴⁾، ولقد كان السم الذي وضعته اليهودية قويًا جدًا إذ مات بشر بن البراء فوراً، وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم يعاوده ألم السم حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى بعد أن بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وتركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها⁽⁵⁾. وقد روى الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في مرض موته الذي مات فيه: «يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخير، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري⁽⁶⁾ من ذلك السم»⁽⁷⁾.

تاسعاً: الحجاج بن علاط السلمي وإرجاع أمواله من مكة:

(1) انظر: بلوغ الأماني بحاشية الفتح الرباني (123/21).

(2) انظر: مغازي رسول الله، لعروة بن الزبير، ص 198.

(3،4) زاد المعاد (336/3).

(5) انظر: الصراع مع اليهود (121/3).

(6) أبهري: عرق مستبطن بالظهر متصل بالقلب إذا انقطع مات صاحبه.

(7) صحيح البخاري بشرح فتح الباري (159/9 - 196) طبعة الحلبي.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر قال الحجاج بن علاط: يا رسول الله إن لي بمكة مالا، وإن لي بها أهلا، وإنني أريد أن أكتبهم، فأنا في حل إن أنا نلت منك، وقلت شيئا؟ فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول ما يشاء فأتى امرأته حين قدم، فقال: اجمعي لي ما كان عندك، فإني أريد أن أشتري من غنائم محمد وأصحابه، فإنهم قد استبيحوا، أو أصيبت أموالهم، قال: ففشا ذلك في مكة فانقمع المسلمون، وأظهر المشركون فرحا وسرورا، قال: وبلغ الخبر العباس رضي الله عنه فقعد، وجعل لا يستطيع أن يقوم.

قال معمر: فأخبرني عثمان الجزري عن مقسم قال: فأخذ ابناً له يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له، قثم، فاستلقى فوضعه على صدره وهو يقول:

حبي قثم، حبي قثم شبيه ذي الأنف الأشم
نبي رب ذي النعم برغم أنف من رغم

قال ثابت بن أنس: ثم أرسل غلاماً له إلى الحجاج فقال: ويلك ما جئت به؟ وماذا تقول؟ فما وعد الله خير مما جئت به، قال: فقال الحجاج بن علاط لغلامه: اقرأ على أبي الفضل السلام، وقل له: فيخل لي في بعض بيوته لآتيه، فإن الخبر على ما يسره، فجاءه غلامه، فلما بلغ باب الدار قال: أبشر يا أبا الفضل، قال: فوثب العباس فرحاً، حتى قبل بين عينيه، فأخبره بما قال الحجاج، فأعتقه، قال: ثم جاء الحجاج فأخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد افتتح خيبر، وغنم أموالهم، وجرت سهام الله في أموالهم، واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية بنت حبي، فأخذها لنفسه وخيرها أن يعتقها، وتكون زوجته⁽¹⁾، ولكنني جئت لمالي، وإنني استأذنت النبي صلى الله عليه وسلم فأذن لي، فأخف عليّ يا أبا الفضل ثلاثاً، ثم اذكر ما شئت⁽²⁾، فجمعت امرأته ما كان عندها من حلي ومتاع فجمعه، فدفعته

(1) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص459.

(2) انظر: تاريخ الذهبي (المغازي)، ص439.

إليه، ثم انشمر به، فلما كان بعد ثلاث أتى العباس امرأة الحجاج فقال: ما فعل زوجك؟ فأخبرته أنه ذهب يوم كذا وكذا، وقالت: لا يخزيك الله يا أبا الفضل، لقد شق علينا الذي بلغك، قال: أجل، لا يخزيني الله، ولم يكن بحمد الله إلا ما أحببنا، فتح الله خبير على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجرت فيها سهام الله، واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية بنت حيي لنفسه، فإن كانت لك حاجة في زوجك فالحقي به، قالت: أظنك والله صادقاً، قال فإني صادق، الأمر على ما أخبرتك، فقال: ثم ذهب حتى أتى مجالس قريش، وهم يقولون إذ مر بهم: لا يصيبك إلا خيراً يا أبا الفضل، قال لهم: لم يصبني إلا خير بحمد الله، قد أخبرني الحجاج بن علاط أن خبير قد فتحها الله على رسوله صلى الله عليه وسلم، وجرت فيها سهام الله، واصطفى صفية لنفسه، وقد سألتني أن أخفي عليه ثلاثاً، وإنما جاء ليأخذ ماله، وما كان له من شيء هاهنا، ثم يذهب، قال: فرد الله الكأبة التي كانت بالمسلمين على المشركين، وخرج المسلمون ومن كان دخل بيته مكتئباً حتى أتوا العباس، فأخبرهم الخبر، وسر المسلمون ورد الله تبارك وتعالى ما كان من كأبة أو غيظ أو حزن على المشركين⁽¹⁾. وفي هذا الخبر فقه غزير منه: جواز كذب الإنسان على نفسه وعلى غيره، إذا لم يتضمن ضرر ذلك الغير إذا كان يتوصل بالكذب إلى حقه، كما كذب الحجاج بن علاط على المسلمين، حتى أخذ ماله من مكة من غير مضرة لحقت المسلمين من ذلك الكذب، وأما ما نال من بمكة من المسلمين من الأذى والحزن، بمفسدة يسيرة في جنب المصلحة التي حصلت بالكذب، ولا سيما تكميل الفرح والسرور، وزيادة الإيمان الذي حصل بالخبر الصادق بعد هذا الكذب، فكان الكذب سبباً في حصول هذه المصلحة الراجحة.

عاشراً: بعض الأحكام الفقهية المتعلقة بالغزوة:

وردت في غزوة خبير أحكام شرعية كثيرة منها:

(1) أخرجه أحمد في المسند (138/3، 139) عبد الرزاق في المصنف رقم 9771، وأبو يعلى برقم 3479، والبيهقي في السنن (151/9)، والدلائل (5266/4، 5267) وقال الهيثمي في المجمع (154/6، 155) رواه أحمد، وأبو يعلى، والبزار والطبراني، ورجاله رجال الصحيح، وقال ابن كثير في البداية (23/4) عن سند أحمد: وهذا الإسناد على شرط الشيخين، نقلاً عن صحيح السيرة النبوية، ص 460.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

1- تحريم أكل لحوم الحمر الأنسية: عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية⁽¹⁾.

2- حرمة وطء السبايا الحوامل: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يسق ماءه زرع غيره»⁽²⁾.

3- حرمة وطء السبايا غير الحوامل قبل استبراء الرحم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يقع على امرأة من السبي حتى يستبرئها»⁽³⁾.

والاستبراء إنما يكون بأن تطهر من حيضة واحدة فقط، ولا تجب عليها العدة وإن كانت متزوجة من كافر سواء مات أو بقي حيًّا؛ لأن العدة وفاء الزوج الميت وحداد عليه، ولا يحد على الكافر كما علمت⁽⁴⁾.

4- حرمة ربا الفضل: عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل رجلا على خيبر، فجاءه بتمر جنب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل تمر خيبر هكذا؟» فقال: لا والله يا رسول الله، إنا لناخذ الصاع من هذا بالصاعين والثلاثة، فقال: «لا تفعل بع الجمع بالدرهم، ثم ابتع بالدرهم جنباً»⁽⁵⁾. فالتفاضل مع اتحاد الجنس هو ربا الفضل، إذ اشترى صاعاً بأكثر من صاع، فالزيادة هنا هي الربا، وهذا محرم، كما رأيت إذ نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وأرشد إلى الحل السليم بأن يبيع ما لديه من تمر ثم يشتري بما لديه من نقود ما يشتهي من تمر؛ لأن الحاجة قد تدفع صاحبها إلى قبول الربا⁽⁶⁾.

5- حرمة بيع الذهب بالذهب العين، وتبر الفضة بالورق العين: روى عن عبادة بن الصامت

(1) انظر: زاد المعاد (122/4، 123) البخاري، كتاب المغازي رقم 4215.
(2) انظر: الطبقات (113/2).
(3) انظر: الروض الأنف (41/4).

(4) انظر: الصراع مع اليهود (134/3).

(5) البخاري كتاب المغازي رقم 4244.

(6) انظر: الصراع مع اليهود (134/3).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

أنه قال: نهانا رسول الله يوم خيبر أن نبيع أو نبتاع تبر الذهب بالذهب والعين، وتبر الفضة بالورق العين، وقال «ابتاعوا تبر الذهب بالورق والعين، وتبر الفضة بالذهب والعين»⁽¹⁾. والمراد من الحديث: أن يباع الذهب بالذهب مثلاً بمثل والفضة بالفضة مثلاً بمثل، بلا زيادة ولا نقص، وعندما يقابل الذهب بالفضة لا تشترط المماثلة، كما هو معلوم وثابت في الصحاح⁽²⁾.

6- مشروعية المساقاة والمزارعة: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أعطى النبي صلى الله عليه وسلم خيبر لليهود أن يعملوها ويزرعوها، ولهم شطر ما يخرج منها⁽³⁾.

وقد تساءل بعض الباحثين: لم جاءت أحكام هذه البيوع في خيبر وما الحكمة من ذلك؟ وأجاب الشيخ محمد أبو زهرة على هذا فقال: إن فتح خيبر كان فتحاً جديداً بالنسبة للعلاقات المالية التي يجري في ظلها التبادل المالي، فكانت فيها شرعية المزارعة والمساقاة ولم تكن تجري كثيراً في يثرب⁽⁴⁾.

7- حل أكل لحوم الخيل: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر عن أكل لحوم الحمر، ورخص في الخيل⁽⁵⁾.

8- تحريم المتعة: عن علي رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن متعة النساء يوم خيبر، وعن أكل لحوم الحمر الأنسية⁽⁶⁾.

9- مشاركة المرأة في غزوة خيبر: روت أمية بنت أبي الصلت عن امرأة من بني غفار قالت: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة من بني غفار فقلن: يا رسول الله قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا -وهو السير إلى خيبر- فنداوي الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا، فقال: على بركة الله، قالت: فخرجنا معه، قالت: فوالله لنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى

(1) انظر: السيرة النبوية لابن هشام مع الروض الأنف (41/4).

(2) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص 321.

(3) البخاري، كتاب المغازي، رقم 4248.

(4) انظر: خاتم النبيين (1104/2)، الصراع مع اليهود (136/3).

(5) البخاري، كتاب المغازي، رقم 4219.

(6) البخاري، كتاب المغازي، رقم 4216.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

الصبح ونزلت عن حقيبة رحله، قالت: وإذا بها دم مني وكانت أول حيضة حضتها، قالت: فتقبضت إلى الناقة واستحييت، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بي ورأى الدم قال: «ما لك؟ لعك نفست؟» قالت: قلت: نعم؟ قال: «فأصلحي من نفسك ثم خذي إناء من ماء فاطرحي فيه ملحا ثم اغسلي ما أصاب الحقيبة من الدم، ثم عودي لمركبك» قالت: فلما فتح الله خيبر رضح لنا من الفيء، وأخذ هذه القلادة التي ترين في عنقي فأعطانيها وعلقها بيده في عنقي، فوالله لا تفارقني أبداً⁽¹⁾، وكانت في عنقها حتى ماتت، ثم أوصت أن تدفن معها، قالت: وكانت لا تطهر من حيضها، إلا جعلت في طهرها ملحاً، وأوصت به أن يجعل في غسلها حين ماتت⁽²⁾. وهي صورة حية أمام كل فتاة مسلمة، تحرص على أن تشارك في أجر الجهاد مع المسلمين⁽³⁾.

وهكذا كانت حياة الرسول صلى الله عليه وسلم تعليمًا وتربية للأمة في السلم والحرب على معاني العقيدة وحقيقة العبادة، وهذا غيض من فيض وجزء من كل.

هذا وقد أحدث فتح خيبر وفدك ووادي القرى وتيماء دويًا هائلًا في الجزيرة العربية بين مختلف القبائل، وقد أصيبت قريش بالغيط والكأبة إذ لم تكن تتوقع ذلك، وهي تعلم مدى حصانة قلاع يهود خيبر، وكثرة مقاتليهم ووفرة سلاحهم ومؤونتهم ومتاعهم⁽⁴⁾، أما القبائل العربية الأخرى المناصرة لقريش فقد أدهشها خبر هزيمة يهود خيبر وخذلها انتصار المسلمين الساحق؛ ولذلك فإنها جنحت إلى مسالمة المسلمين وموادعتهم بعد أن أدركت عدم جدوى استمرارها في عدائهم، مما فتح الباب واسعًا لنشر الإسلام في أرجاء الجزيرة العربية، بعد أن تعززت مكانة المسلمين في أعين أعدائهم إلى جانب ما تحقق له من خير وتعزيز لوضعهم الاقتصادي⁽⁵⁾.

واستمرت حركة السرايا بعد خيبر، وكانت كثيرة، وأمر عليها صلى الله عليه وسلم كبار

(1) انظر: البداية والنهاية (205/4).

(2) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (372/3، 373).

(3) انظر: فقه السيرة لمنير الغضبان، ص534.

(4) انظر: نضرة النعيم، (353/1).

(5) المصدر نفسه، (353/1).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

الصحابة، وكان في بعضها قتال، ولم يكن في بعضها قتال⁽¹⁾.

* * *

(1) انظر: السيرة النبوية للنذوي، ص221.
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

المبحث الثاني

دعوة الملوك والأمراء

أولاً: كان صلح الحديبية إيذاناً ببداية المد الإسلامي:

فقد انساح هذا المد إلى أطراف الجزيرة العربية بل تجاوزها إلى ما وراء حدود الجزيرة العربية فمئذ (أن عقد الرسول صلى الله عليه وسلم صلح الحديبية مع قريش وما تلا ذلك من إخضاع يهود شمال الحجاز في خيبر ووادي القرى وتيماء وفدك إلى سيادة الإسلام، فإن الرسول لم يأل جهداً لنشر الإسلام خارج حدود الحجاز، وكذلك خارج حدود الجزيرة العربية، وقد عبر عليه الصلاة والسلام عن هذا المنهج قولاً وعملاً من خلال إرساله عددًا من الرسل والمبعوثين إلى أمراء الجزيرة العربية وإلى ملوك العالم المعاصر خارج الجزيرة العربية.

وتعد هذه الخطوة نقطة تحول هامة في تاريخ العرب والإسلام ليس لأن الرسول سوف يوحد عرب الجزيرة العربية تحت راية الإسلام فحسب، ولكن لأن هؤلاء العرب بعد أن اعتنقوا الإسلام وتمثلوا رسالة السماء أنيط بهم حمل الدعوة الإسلامية إلى البشرية كافة⁽¹⁾.

ويشير المنهج النبوي في دعوة الزعماء والملوك إلى ما يجب أن تكون عليه وسائل الدعوة، فإلى جانب دعوة الأمراء والشعوب، اختار الرسول صلى الله عليه وسلم أسلوباً جديداً من أساليب الدعوة وهو مراسلة الملوك ورؤساء القبائل، وكان لأسلوب إرسال الرسائل إلى الملوك والأمراء أثر بارز في دخول بعضهم الإسلام وإظهار الود من البعض الآخر، كما كشفت هذه الرسائل مواقف بعض الملوك والأمراء من الدعوة الإسلامية ودولتها في المدينة؛ وبذلك حققت هذه الرسائل نتائج كثيرة، واستطاعت الدولة الإسلامية من خلال ردود الفعل المختلفة تجاه الرسائل أن تنتهج نهجاً سياسياً وعسكرياً واضحاً ومتميزاً⁽²⁾، وإليك أهم هذه الرسائل:

(1) انظر: السفارات النبوية، د. محمد العقيلي، ص15.

(2) انظر: العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية، د. سعيد المهجر، ص112.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

1- فقد وردت رواية صحيحة⁽¹⁾ تضمنت نص كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الذي بعثه

مع دحية الكلبي إلى هرقل عظيم الروم⁽²⁾، وذلك في مدة هدنة الحديبية وهو كما يلي:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى: أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت عليك إثم الأريسيين، (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) [آل عمران: 64]⁽³⁾».

ولقد تسلم هرقل رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ودقق في الأمر كما في الحديث الطويل المشهور بين أبي سفيان وهرقل المروي في الصحيحين حين سألته عن أحوال النبي، وقال بعد ذلك لأبي سفيان: (إن كان ما تقول فيه حقاً فإنه نبي، وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظنه منكم، ولو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه)⁽⁴⁾.

2- أرسل النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب إلى كسرى ملك الإمبراطورية الفارسية، مع عبد

الله بن حذافة السهمي، (أمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين⁽⁵⁾ فدفعه عظيم البحرين إلى

كسرى، فلما قرأه مزقه، فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمزقوا كل

ممزق)⁽⁶⁾، ونص الرسالة كما أورده الطبري كالتالي:

«بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع

الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلى الناس كافة، لينذر من

(1) مسلم (1393/3 - 1397) رقم 1773.

(2) انظر: نضرة النعيم (344/1) اعتمدت عليه في توثيق مصادر الرسائل.

(3) مسلم شرح النووي، كتاب الجهاد، كتب النبي (107/12).

(4) مسلم (1393/3) رقم 1773.

(5) شرح المواهب اللدنية (341/3).

(6) البخاري مع فتح الباري (26/8) رقم 4424، وكانت الرسالة في محرم سنة 7هـ، كما في زاد المعاد.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

كان حيًّا، أسلمَ تسلمُ، فإن أبيت عليك إثم المجوس» (1).

3- أما كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ملك الحبشة فقد أرسله مع عمرو بن أمية الضمري وقد جاء في الكتاب:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى النجاشي ملك الحبشة، أسلم أنت، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحسنة، فحملت به، فخلق من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاته عن طاعته، وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فإني رسول الله، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى» (2).

4- أما كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس حاكم مصر (3)، وكذلك رد المقوقس إليه (4)، فلم تثبت من طرق صحيحة، ولا يعني ذلك نفي إرسال الكتاب إليه، كما أن ذلك لا يعني الطعن بصحة النصوص من الناحية التاريخية، فربما تكون صحيحة من حيث الشكل والمضمون غير أنها لا يمكن أن يحتج بها في السياسة الشرعية (5). فلقد أورد محمد بن سعد في طبقاته (6) أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث إلى المقوقس جريح بن مينا ملك الإسكندرية وعظيم القبط، كتابًا مع حاطب بن أبي بلتعة اللخمي، وأنه قال خيرًا وقارب الأمر، غير أنه لم يسلم وأهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم عدة هدايا كان بينها مارية القبطية، وأنه لما ورد جواب المقوقس إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ضن الخبيث

(1) انظر: تاريخ الطبري (654/2، 655).

(2) انظر: نصب الراية للزيلعي (421/4) نقلًا عن نضرة النعيم (346/1).

(7، 8) انظر: نضرة النعيم (346/1).

(5) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (459/2). (2) انظر: الطبقات الكبرى (260/1، 261).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

بملكه، ولا بقاء لملكه»⁽¹⁾.

5- وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب أخا بني أسد بن خزيمة، برسالة إلى المنذر بن الحارث بن أبي شمر الغساني صاحب دمشق⁽²⁾، حين عودته والمسلمين من الحديبية، وقد تضمن نص الرسالة قوله: سلام على من اتبع الهدى، وآمن به، إني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يُبقى لك ملكك⁽³⁾.

6- وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم سليط بن عمرو العامري بكتاب إلى هوزة بن علي الحنفي⁽⁴⁾ عند مقدمه من الحديبية، وقد اشترط هوزة الحنفي على الرسول صلى الله عليه وسلم بعد قراءته رسالته إليه أن يجعل له بعض الأمر معه، فرفض النبي صلى الله عليه وسلم أن يقبل ذلك⁽⁵⁾.

7- وأرسل صلى الله عليه وسلم أبا العلاء الحضرمي⁽⁶⁾ بكتابه إلى المنذر بن ساوي العبدي أمير البحرين بعد انصرافه من الحديبية، ونقلت المصادر التاريخية أن المنذر قد استجاب لكتاب النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم وأسلم معه جميع العرب بالبحرين، فأما أهل البلاد من اليهود والمجوس فإنهم صالحوا العلاء والمنذر على الجزية من كل حالم دينار⁽⁷⁾، ونقل أبو عبيد القاسم بن سلام نص كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن ساوي برواية عروة بن الزبير، وجاء فيه:

«سلام أنت، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإن من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم الذي له ذمة الله، وذمة الرسول، فمن أحب ذلك من المجوس

(1) البداية والنهاية (340/5).

(4، 5) انظر: تاريخ الطبري (652/2).

(4) كان صاحب اليمامة، ومات بعد فتح مكة بقليل.

(5) انظر: نصب الراية (425/4)، إعلام السائلين، ابن طولون، ص 105، 107.

(6) انظر: صبح الأعشى للقلشندي (368/6).

(7) الزيلعي تخريج أحاديث الهداية (419/4، 420).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

فإنه آمن ومن أبي فإن الجزية عليه»⁽¹⁾.

وفي ذي القعدة سنة 8هـ بعث النبي صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص بكتابه إلى جيفر وعبد ابني الجلندي الأزديين بعمان⁽²⁾، وقد جاء فيه: «من محمد النبي رسول الله ليعباد الله الأسبذيين ملوك عمان، وأسد عمان، ومن كان منهم بالبحرين إنهم إن آمنوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطاعوا الله ورسوله وأعطوا حق النبي صلى الله عليه وسلم، ونسكوا نسك المؤمنين، فإنهم آمنون وأن لهم ما أسلموا عليه، غير أن مال بيت النار ثنيا لله ورسوله، وأن عشور التمر صدقة، ونصف عشور الحب، وأن للمسلمين نصرهم ونصحهم، وأن لهم على المسلمين مثل ذلك، وأن لهم أرحاءهم يطحنون بها ما شاءوا»⁽³⁾.

وأوردت المصادر بعد ذلك عددًا كبيرًا من المرويات عن رسائل أخرى لم تثبت من الناحية الحديثية⁽⁴⁾.

ثانيًا: دروس وعبر وفوائد:

1- الأريسيون:

وردت كلمة (الأريسيين) أو (اليريسيين) -على اختلاف الروايات- في الكتاب الذي وجه إلى هرقل وحده، ولم ترد في كتاب من الكتب التي أرسلت إلى غيره، واختلف علماء الحديث واللغة من مدلول هذه الكلمة، فالقول المشهور أن (الأريسيين) جمع (أريسي) وهم الخول، والخدم والأكارون⁽⁵⁾.

وذهب العلامة أبو الحسن الندوي إلى أن المراد بالأريسيين هم أتباع (أريوس) المصري وهو مؤسس فرقة مسيحية كان لها دور كبير في تاريخ العقائد المسيحية والإصلاح الديني، وقد شغلت

(1) الأموال لأبي عبيد، ص28. (2) انظر: صبح الأعشي (376/6).

(3) انظر: الأموال لأبي عبيد، ص28، 29. (4) انظر: نضرة النعيم (348/1).

(5) انظر: السيرة النبوية للندوي، ص304. (6) المصدر نفسه، ص305. هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ مع الدعاء بحسن الاستفادة

الدولة البيزنطية والكنيسة المسيحية زمناً طويلاً، و(أريوس) هو الذي نادى بالتوحيد، والتمييز بين الخالق والمخلوق والأب والابن على حد تعبير المسيحيين، لعدة قرون⁽¹⁾.

ودامت عقيدة (أريوس) ودعوته تصارعان الدعوة المكشوفة إلى تأليه المسيح وتسويته بالإله الواحد الصمد، وكانت الحرب سجالاً، وقد دان بهذه العقيدة عدد كبير من النصارى في الولايات الشرقية من المملكة البيزنطية إلى أن عقد تيوسورس الكبير مجمعاً مسيحياً في القسطنطينية قضى بالوهية المسيح وابنيته، وقضى هذا الإعلان على العقيدة التي دعا إليها (أريوس) واختفت، ولكنها عاشت بعد ذلك، ودانت بها طائفة من النصارى، اشتهرت بالفرقة الأريسية أو الأريسيين، فمن المرجح المعقول أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما عنى هذه الفرقة بقوله: «فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين» فإنها هي القائمة بالتوحيد النسبي في العالم المسيحي الذي تنزعه الدولة البيزنطية العظمى، التي كان على رأسها (هرقل)⁽²⁾.

وقد تحدث الإمام أبو جعفر الطحاوي عن هذه الفرقة فقال: وقد ذكر بعض أهل المعرفة بهذه المعاني أن في رهط هرقل فرقة تعرف بالأروسية، توحد الله، وتعترف بعبودية المسيح له عز وجل، ولا تقول شيئاً مما يقول النصارى في ربوبيته وتؤمن بنبوته، فإنها تمسك بدين المسيح مؤمنة بما في إنجيله، جاحدة لما يقوله النصارى سوى ذلك، وإذا كان ذلك كذلك جاز أن يقال لهذه الفرقة (الأريسيون) في الرفع، (الأريسيين) في النصب والجر، كما ذهب إليه أصحاب الحديث⁽³⁾.

2- اعتبارات حكيمة خاصة بالملوك:

في رسائل رسول الله صلى الله عليه وسلم للملوك فوارق دقيقة مؤسسة على حكمة الدعوة، روعي فيها ما يمتاز به هؤلاء الملوك في العقائد التي يدينون بها، (والخلفيات) التي يمتازون

(2) وقد ذهب إلى ما ذهب إليه العلامة الندوي، الدكتور معروف الدواليبي في الأريسيين، ويؤيد ما قاله الندوي أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما عنى بقوله: فإن توليت عليك إثم (اليريسيين) أتباع أريوس الفرق المسيحية الوحيدة القائلة ببشرية المسيح النافية لالوهيته وقد جاء هذا البحث القيم في رسالة نظرات إسلامية، ص 68-83، انظر: السيرة النبوية، ص 307.

(3) انظر: مشكل الآثار (399/3)

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

بها، فلما كان هرقل والمقوقس يدينان بالوهمية المسيح كلياً أو جزئياً، وكونه ابن الله، جاءت في الكتابين اللذين وجها إليهما كلمة (عبد الله) مع اسم النبي صلى الله عليه وسلم صاحب هاتين الرسالتين، فيبتدئ الكتابان بعد التسمية بقوله: «من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم» وبقوله: «من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط» بخلاف ما جاء في كتابه صلى الله عليه وسلم إلى كسرى أبرويز، فاكتفى بقوله: «من رسول الله إلى عظيم الفرس». وجاءت كذلك آية (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) [آل عمران: 64] في هذين الكتابين، وما جاءت في كتابه إلى كسرى أبرويز لأن الآية تخاطب أهل الكتاب الذين دانوا بالوهمية المسيح، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم، وقد كان هرقل إمبراطور الدولة البيزنطية والمقوقس حاكم مصر قاندين سياسيين، وزعيمين دينيين كبيرين للعالم المسيحي، مع اختلاف يسير في الاعتقاد في المسيح هل له طبيعة أم طبيعتان⁽¹⁾.

ولما كان كسرى أبرويز وقومه يعبدون الشمس والنار، ويدينون بوجود إلهين، أحدهما يمثل الخير وهو يزدان، والثاني يمثل الشر وهو أهرمن، وكانوا بعيدين عن مفهوم النبوة والتصور الصحيح للرسالة السماوية، جاءت في الكتاب الذي وجهه إلى الإمبراطور الإيراني عبارة: «وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً لِّئَنذَرَ مَنْ كَانَ حَيًّا»⁽²⁾.

وقد كان تلقي الملوك لهذه الرسائل يختلف، فأما هرقل والنجاشي والمقوقس، فتأدبوا، وتلطفوا في جوابهم وأكرم (النجاشي والمقوقس رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأرسل المقوقس هدايا منها جاريتان كانت إحداها مارية أم إبراهيم ابن رسول الله، وأما كسرى أبرويز فلما قرئ عليه الكتاب مزقه وقال: (يكتب إليّ هذا وهو عبدي؟) فبلغ ذلك رسول الله صلى الله

(1) انظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للندوي، ص38، 39.

(2) انظر: السيرة النبوية للندوي، ص290.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

عليه وسلم فقال: «مزق الله ملكه»⁽¹⁾.

وأمر كسرى بأذان وهو حاكمه على اليمن بإحضاره، فأرسل بابويه يقول له: إن ملك الملوك قد كتب إلى الملك بأذان يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك، وقد بعثني إليك لتنتقل معي، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن الله سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله⁽²⁾.

وقد تحقق ما أنبأ به رسول الله بكل دقة، فقد استولى على عرشه ابنه (قباز) الملقب بـ (شرويه) وقتل كسرى ذليلاً مهاناً بإيعاز منه سنة 628م، وقد تمزق ملكه بعد وفاته، وأصبح لعبة في أيدي أبناء الأسرة الحاكمة، فلم يعيش (شرويه) إلا ستة أشهر، وتوالى على عرشه مدة أربع سنوات عشرة ملوك، واضطرب حبل الدولة إلى أن اجتمع الناس على (يزدجرد) وهو آخر ملوك بني ساسان، وهو الذي واجه الزحف الإسلامي الذي أدى إلى انقراض الدولة الساسانية التي دامت وازدهرت أكثر من أربعة قرون انقراضاً كلياً، وكان ذلك في سنة 637م، وهكذا تحققت هذه النبوءة في ظرف ثماني سنين⁽³⁾.

3- الوصف العام لرسائل الرسول:

ويلاحظ الباحث أن الوصف العام لكتب الرسول إلى الملوك والأمراء يكاد يكون واحداً، ويمكننا أن نستخرج منها الأمور التالية:

أ- نلاحظ أن جميع كتب الرسول صلى الله عليه وسلم التي أرسلها إلى الملوك والرؤساء يفتتحها صلى الله عليه وسلم بالبسملة، والبسملة آية من كتاب الله تبارك وتعالى، وفي تصدير الكتاب بها أمور مهمة، كاستحباب بدء الكتب ببسم الله الرحمن الرحيم اقتداء برسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، فقد واظب عليها في كتبه صلى الله عليه وسلم، كما فيها جواز كتابة آية من القرآن الكريم في كتاب، وإن كان هذا الكتاب موجهاً إلى الكافرين، وفيها جواز قراءة الكافر لآية

(1) انظر: تاريخ الطبري (90/3).

(2) انظر: تاريخ الطبري (90/3، 91).

(3) انظر: السيرة النبوية للنذوي، ص300.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

أو أكثر من القرآن الكريم؛ لأن كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمنت البسملة وغيرها، وفيها جواز قراءة الجنب لآية أو أكثر من القرآن الكريم؛ لأن هذا الكافر الذي أرسلت إليه الرسالة تضمنت البسملة وغيرها لا يحتز من الجنابة والنجاسة، فيقرأ الرسالة التي اشتملت على آيات من القرآن الكريم وهو جنب.

ب- ونستنبط من رسائل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والأمراء الآتي:

* مشروعية إرسال السفراء المسلمين إلى زعماء الكفر؛ لأن كل كتاب كان يكتبه الرسول صلى الله عليه وسلم يكلف رجلاً من المسلمين يحمله إلى المرسل إليه.

* مشروعية الكتابة إلى الكفار في أمر الدين والدنيا.

* ينبغي أن يكتب في الكتاب اسم المرسل والمرسل إليه وموضوع الكتاب وهو واحد في جميع الكتب ويتلخص في دعوتهم إلى الإسلام.

* عدم بدء الكافر بتحية الإسلام، وهي السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يطرح السلام في كتبه على ملك من ملوك الكفر بل كان يصدر كتبه بقوله: السلام على من اتبع الهدى، أي آمن بالإسلام، ويؤخذ من هذا عدم جواز مخاطبة الكافر بتحية الإسلام.

* اتخاذ الخاتم: فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يختم رسائله بعد كتابته بخاتمه، وقد كتب عليه ثلاث كلمات: الله

رسول

محمد (1)

فمن أنس رضي الله عنه قال: لما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يكتب إلى الروم قيل له: إنهم لا يقرؤون كتاباً إلا أن يكون مختوماً، فاتخذ خاتماً من فضة، فكأنني أنظر إلى بياضه في يده،

(1) انظر: غزوة الحديبية لأبي فارس، ص239، 240.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

4- تقدير الرجال:

لما أسلم باذان بن ساسان وكان أميراً على اليمن لم يعزله رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل أبقاه أميراً عليها بعد إسلامه، حين رأى فيه الإداري الناجح والحاكم المناسب، مما يدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم يقدر الكفاءات في الرجال ويضع الرجل المناسب في المكان المناسب، ومن الجدير بالذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد ولى ولده شهراً أميراً على اليمن بعد موته (2).

5- جواز أخذ الجزية من المجوس:

وهذا الحكم استخرج من كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الذي أرسله إلى المنذر بن ساوي يحدد فيه الموقف من اليهود والمجوس، إذ ورد فيه: (ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية) (3).

وقد ذهب ابن القيم مع طائفة من العلماء إلى جواز أخذ الجزية من كل إنسان يبذلها سواء أكان كتابياً أم غير كتابي كعبدة الأوثان من العرب وغيرهم، فقد جاء في زاد المعاد (وقد قالت طائفة في الأمم كلها إذا بذلوا الجزية، قبلت منهم، أهل الكتابين بالقرآن، والمجوس بالسنة، ومن عداهم ملحق بهم؛ لأن المجوس أهل شرك لا كتاب لهم، فأخذها منهم دليل على أخذها من جميع المشركين، وإنما لم يأخذها صلى الله عليه وسلم من عبدة الأوثان من العرب؛ لأنهم أسلموا قبل نزول آية الجزية، فإنها نزلت بعد تبوك (4).

6- جواز أخذ هدية الكافر:

(1) البخاري، باب دعوة اليهود والنصارى، فتح الباري (108/6).

(2) غزوة الحديبية لأبي فارس، ص242.

(3) نفس المصدر، ص242.

(3) انظر: زاد المعاد (91/5).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

فقد أرسل المقوقس عظيم القبط حاكم مصر -مع سفير رسول الله حاطب بن أبي بلتعة- وهو كافر هدية تشتمل على جاريتين وكسوة للرسول صلى الله عليه وسلم وبغلة يركبها، فقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وإحدى هاتين الجاريتين مارية القبطية⁽¹⁾.

7- من نتائج إرسال الكتب إلى الملوك والأمراء:

أظهر الرسول صلى الله عليه وسلم في سياسته الخارجية دراية سياسية فاقت التصور، وأصبحت مثالا لمن جاء بعده من الخلفاء، كما أظهر صلى الله عليه وسلم قوة وشجاعة فائقتين، فلو كان غير رسول الله صلى الله عليه وسلم لخشي عاقبة ذلك الأمر، لا سيما أن بعض هذه الكتب قد أرسلت إلى ملوك أقوياء على تخوم بلاده كهرقل وكسرى والمقوقس، ولكن حرص رسول الله وعزيمته على إبلاغ دعوة الله، وإيمانه المطلق بتأييد الله سبحانه وتعالى، كل ذلك دفعه لأن يقدم على ما أقدم عليه وقد حققت هذه السياسة النتائج الآتية:

أ- وطد الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه السياسة أسلوباً جديداً في التعامل الدولي لم تكن تعرفه البشرية من قبل.

ب- أصبحت الدولة الإسلامية لها مكائنها وقوتها وفرضت وجودها على الخريطة الدولية لذلك الزمان.

ج- كشف للرسول صلى الله عليه وسلم نوايا الملوك والأمراء وسياستهم نحوه وحكمهم على دعوته.

د- كانت مكاتبة الملوك خارج جزيرة العرب تعبيراً عملياً على عالمية الدعوة الإسلامية، تلك العالمية التي أوضحتها آيات نزلت في العهد المكي مثل قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) [الأنبياء: 107].

وهكذا، فإن رسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى أمراء العرب والملوك المجاورين لبلاده

(1) انظر: غزوة الحديبية لأبي فارس، ص243.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

تعتبر نقطة تحول في سياسة دولة الرسول الخارجية، فعظم شأنها، وأصبحت لها مكانة دينية وسياسية بين الدول، وذلك قبل فتح مكة، كما أن هذه السياسة مهدت لتوحيد الرسول **صلى الله عليه وسلم** لسائر أنحاء بلاد العرب في عام الوفود⁽¹⁾.

* * *

(1) انظر: التاريخ السياسي والعسكري لدولة المدينة، ص 351.
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

عمرة القضاء

وفي ذي القعدة في السنة السابعة من الهجرة خرج الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مكة قاصداً العمرة، كما اتفق مع قريش في صلح الحديبية، وقد بلغ عدد من شهد عمرة القضاء ألفين سوى النساء والصبيان، ولم يتخلف من أهل الحديبية إلا من استشهد في خيبر أو مات قبل عمرة القضاء⁽¹⁾.

وقد اتجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام من المدينة باتجاه مكة المكرمة في موكب مهيب يشق طريقه عبر القرى والبادي، وكان كلما مر الموكب النبوي بمنازل قوم من الذين يسكنون على جانبي الطريق بين مكة والمدينة خرجوا وشاهدوا منظراً لم يألفوه من قبل، حيث المسلمون بزي واحد من الإحرام، وهم يرفعون أصواتهم بالتلبية، ويسوقون هديهم في علاماته وقلانده، في مظهر بهي لم تشهد المنطقة له مثيلاً⁽²⁾.

أولاً: الحيلة والحذر من غدر قريش:

اصطحب النبي صلى الله عليه وسلم معه السلاح الكامل، ولم يقتصر على السيوف تحسباً لكل طارئ قد يقع، خاصة أن المشركين في الغالب لا يحافظون على عهد قطعه، ولا عقد عقده⁽³⁾.

وما إن وصل خبر مسير النبي صلى الله عليه وسلم ومعه هذا العدد الضخم، وهذه الأسلحة المتنوعة، وفي مقدمة القافلة مانتا فارس بقيادة محمد بن مسلمة حتى أرسلت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكرز بن حفص في نفر من قريش، ليستوضحوا حقيقة الأمر، فقابلوه في بطن يأجج⁽⁴⁾ بمر الظهران فقالوا له: يا محمد والله ما عرفناك صغيراً ولا كبيراً بالغدر، تدخل

(1) انظر: السيرة النبوية الصحيحة، ص464.

(2) انظر: منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية، ص310.

(3) صلح الحديبية لأبي فارس، ص267.

(4) موضع قرب مكة على ثمانية أميال منها.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

بالسلاح الحرم على قومك، وقد شرطت ألا تدخل إلا على العهد، وأنه لن يدخل الحرم غير السيوف في أعمادها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا ندخلها إلا كذلك» ثم رجع مركز مسرعاً بأصحابه إلى مكة فقال: إن محمداً لا يدخل بسلاح وهو على الشرط الذي شرط لكم⁽¹⁾.

ووضع رسول الله صلى الله عليه وسلم السلاح خارج الحرم قريباً منه تحسباً لكل طارئ، وأبقى عنده مائتي فارس بقيادة محمد بن مسلمة يحرسونه، وينتظرون أمر الرسول ليتحركوا في أي جهة وينفذوا أي أمر، ويقاتلوا متى دعت الضرورة لذلك⁽²⁾.

إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمن غدر مشركي قريش وخيانتهم، فقد تسول لهم أنفسهم أن ينصبوا كميناً أو أكثر للمسلمين ويشنوا عليهم هجوماً مباغتاً؛ ولذلك احتاط وأخذ الحذر ووفى بعهده ووعد لقریش، وعلم الأمة لكي تحذر من أعدائها⁽³⁾، وفي بقاء كوكبة من الصحابة في حراسة الأسلحة والعتاد لكي يراقبوا الموقف بدقة وتحفز معنى من معاني العبادة في هذا الدين⁽⁴⁾.

ثانياً: دخول مكة والطواف والسعي:

ومن بطن يأجج تابع رسول الله صلى الله عليه وسلم سيره نحو مكة على راحلته القصواء، فدخلها من الثنية التي تطلعه على الحجون، والمسلمون حوله متوشحون سيوفهم محدقون به كل جانب، يسترونه من المشركين مخافة أن يؤذوه بشيء، وأصواتهم تعج بالتلبية لله العلي الكبير⁽⁵⁾.

هذه التلبية الجماعية التي تعج أصوات المسلمين بها، والتي لم تنقطع منذ أن أحرموا واستمرت حتى دخلوا مكة، فقد كان للتلبية مغزى ومعنى، فهي تعلن التوحيد وترفع شعاره،

(1) انظر: مغازي الواقدي (734/3)، طبقات ابن سعد (121/2).

(2) انظر: صلح الحديبية لأبي فارس، ص268. (2) المصدر نفسه، ص275.

(4) المصدر السابق، ص277. (4) انظر: التاريخ السياسي والعسكري، ص353.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وتعني إبطال الشرك وإسقاط رايته، وتعلن الحمد والثناء على الله الذي مكنهم من أداء هذا النسك⁽¹⁾. فهذه بعض معاني تلبية المسلم بقوله: لبيك اللهم لبيك، لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك.

وكان عبد الله بن رواحة أخذًا بزمام راحلته وهو يرتجز بشعره:

خلوا بني الكفار عن سبيله خلوا فكل الخير في رسوله
يا رب إني مؤمن بقليله أعرف حق الله في قبوله
ضربًا يزيل الهم عن مقليله ويذهل الخليل عن خليله⁽²⁾

وكان مظهرًا دعويًا مؤثرًا عندما بدأ الموكب النبوي الكريم يقترب من بيوت مكة المكرمة، وأبنيتها شافًا طريقه باتجاه الكعبة المشرفة، وهم في مظهرهم المهيب، وأصواتهم تشق عنان السماء بالتلبية، فقد ذكرت معظم كتب السير والمغازي أن قسماً من أهالي مكة خرج إلى رءوس الجبال لينظر إلى المسلمين من الأماكن العالية، والقسم الأكبر وقف عند دار الندوة المجاورة للكعبة الشريفة آنذاك، ليشاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام أثناء دخولهم مكة المكرمة، وبيت الله الحرام⁽³⁾.

وكان المشركون قد أطلقوا شائعة ضد المسلمين مفادها أنهم وهنتهم⁽⁴⁾ حمى يثرب، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يرملوا في الأشواط الثلاثة، وأن يمشوا ما بين الركنين⁽⁵⁾، لكي يرى المشركون قوتهم، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت الحرام واضطبع⁽⁶⁾ بردائه فأخرج عضده اليمنى وشرع في الطواف، وأصحابه يتابعونه ويقتدون به. ولما رأى

(1) انظر: صلح الحديبية، ص 277.

(6) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 481.

(3) انظر: منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية، ص 314.

(4) أضعفتهم.

(5) البخاري، كتاب المغازي، (6/5)، رقم 4256.

(6) الاضطباع: هو أن يدخل بعض رداءه تحت عضده اليمنى ويجعل طرفه على منكبه.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

المشركون ذلك قالوا: هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم، هؤلاء أجلد من كذا وكذا⁽¹⁾.

وقد قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الطريقة التي فعلها عند دخوله المسجد الحرام وهي الاضطباع والهولة، ورفع الأصوات بالتلبية، أن يرهب قريشاً، وأن يظهر لها قوة المسلمين وعزيمتهم وتمسكهم بدينهم، ومناعة جبهتهم، وقد أثر هذا الأسلوب في نفوس المشركين⁽²⁾، وبهذا الأسلوب النبوي الكريم أغاظ الرسول صلى الله عليه وسلم المشركين وكايدهم، فقد كان صلى الله عليه وسلم يتقرب إلى الله بمكايدتهم وإغاظتهم، ففي غزوة أحد أذن صلى الله عليه وسلم لأبي دجاجة أن يمشي متبخرراً أمام المشركين لإظهار عزة المؤمن؛ ولأن ذلك يغضب المشركين، وزيادة في إغاظتهم كان يلبس العصابة الحمراء دون أن ينكر الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك. وفي غزوة الحديبية ساق رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهدي جمل أبي جهل الذي غنمه في بدر، ليراه المشركون فيزدادوا غيظاً حين يذكرون مصارع قتلاهم وذل أسراهم، وها هو ذا صلى الله عليه وسلم يأمر المسلمين في عمرة القضاء بإظهار التجلد والهولة لإغاظتهم ومكايدتهم ورد كيدهم في نحورهم⁽³⁾، وقد ذكر ابن القيم: (بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكيد المشركين بكل ما يستطيع)⁽⁴⁾.

فهذه حرب نفسية شنها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشركين وقد أتت أكلها، ولقد أقام الرسول في مكة ثلاثة أيام، ومعه المسلمون يرفعون راية التوحيد، ويطوفون بالبيت العتيق، ويرفعون الأذان ويقيمون الصلاة ويصلي بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس في جماعة، وكان بلال بن رباح بصوته الندي يرفع الأذان من على ظهر الكعبة، فكان وقعه على المشركين كالصاعقة⁽⁵⁾.

(1) صحيح السيرة النبوية، ص 481.

(2) انظر: منهج الإعلام، ص 315.

(3) انظر: صلح الحديبية لأبي فارس، ص 282.

(4) انظر: زاد المعاد (371/3).

(5) انظر: صلح الحديبية لأبي فارس، ص 270.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

ولم ينس **صلى الله عليه وسلم** مجموعة الحراسة التي كانت تحرس الأسلحة والعتاد بأن يرسل من يقوم بمهمتهم ممن طاف وسعى مكانهم، ويأتي هؤلاء ليؤدوا النسك، فقد كان **صلى الله عليه وسلم** يتعامل مع نفوس يدرك حقيقة شوقها لبیت الله الحرام، وما جاءت للمرة الثانية وقطعت هذه المسافة الشاسعة إلا لتتال هذا الشرف، وتبل هذا الظماً، فتطوف مع الطائفين وتسعى مع الساعين، فعمل **صلى الله عليه وسلم** على مراعاة النفوس، وساعدها ولبي مطالبها من أجل إصلاحها والرقى بها، إنه من منهج النبوة في التربية⁽¹⁾.

ثالثاً: زواجه من أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث:

كانت ميمونة، أخت أم الفضل، زوجة العباس بن عبد المطلب فتاة في السادسة والعشرين، قد جعلت أمر زواجها بعد وفاة زوجها أبو رهم بن عبد العزى إلى أختها أم الفضل، فجعلته أم الفضل إلى زوجها العباس، فزوجها العباس من ابن أخيه النبي **صلى الله عليه وسلم** وأصدقها عنه أربعمئة درهم⁽²⁾، وهي خالة عبد الله بن عباس، وخالد بن الوليد، ولما انقضت الثلاثة أيام، التي نص عليها عهد الحديبية، أراد النبي **صلى الله عليه وسلم** أن يتخذ من زواجه من ميمونة وسيلة لزيادة التفاهم بينه وبين قريش، فجاءه سهيل بن عمرو، وحويطب بن عبد العزى، موفدين من نفر من قريش فقالوا: إنه قد انقضى أجلك، فاخرج عنا، فقال النبي **صلى الله عليه وسلم** كما ذكر ابن إسحاق: «وما عليكم لو تركتموني فأعرست بين أظهركم وصنعنا لكم طعاماً فحضرتموه؟».

قالوا: لا حاجة لنا في طعامك فاخرج عنا⁽³⁾.

فخرج، وخلف أبا رافع مولاه على ميمونة، حتى أتاه بها في بسرف (موضع قرب التنعيم) فبنى بها هناك⁽⁴⁾، وهي آخر من تزوج الرسول **صلى الله عليه وسلم** من نسائه، وآخر من مات من نسائه بعده، وأنها ماتت ودفنت بسرف، فمكان عرسها هو مكان دفنها، فرضي الله عنها

(1) صلح الحديبية لأبي فارس، ص 277.

(2) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص 326.

(3) انظر: السيرة النبوية لابن هشام، (19/4).

(4) نفس المصدر (19/4).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وفي زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم بميمونة مسألة فقهية اختلف الفقهاء فيها وهي هل تزوج صلى الله عليه وسلم بميمونة وهو محرم (عقد نكاحها عليها فقط) أو عقد عليها بعد التحلل؟⁽²⁾، وقد أجاد الفقهاء في تفصيلها.

رابعاً: التحاق بنت حمزة بن عبد المطلب بركب المسلمين:

لقد تغيرت النفوس والعقول بتأثير الإسلام تغيراً عظيماً، فعادت البنت -التي كان يتعير بها أشراف العرب، وجرت عادة وأدها في بعض القبائل فراراً من العار، وزهداً في البنات- حبيبة يتنافس في تربيتها المسلمون، وكانوا سواسية، لا يرجع بعضهم على بعض إلا بفضل أو حق⁽³⁾، فلما أراد النبي صلى الله عليه وسلم الخروج من مكة، تبعته ابنة حمزة تنادي: يا عم، يا عم، فتناولها علي فأخذ بيدها، وقال لفاطمة -رضي الله عنها-: دونك ابنة عمك، فاختصم فيها علي وزيد وجعفر.

قال علي: أنا أخذتها وهي بنت عمي، وقال جعفر: هي ابنة عمي وخالتها تحتي، وقال زيد: ابنة أخي، فقضى بها النبي صلى الله عليه وسلم لخالتها، وقال: «الخالة بمنزلة الأم»، وقال لعلي: «أنت مني وأنا منك» وقال لجعفر: «أشبهت خلقي وخلقي» وقال لزيد: «أنت أخونا ومولانا» وقال علي لزيد: ألا تتزوج بنت حمزة، قال: إنها ابنة أخي من الرضاعة⁽⁴⁾.

وفي هذه القصة دروس وعبر وأحكام وفوائد منها:

1- الخالة بمنزلة الأم.

2- الخالة تقدم على غيرها في الحضانة إذا لم يوجد الأبوان.

(1) انظر: هذا الحبيب محمد يا محب، للجزائري، ص375.

(2) انظر: فقه السيرة النبوية للبوطي، ص258.

(3) انظر: السيرة النبوية للندوي، ص321.

(4) البخاري، كتاب المغازي (100/5) رقم 4215.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

3- تزكية رسول الله صلى الله عليه وسلم لجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ووصفه له

بقوله: **أشبهت خلقي وخلقي.**

4- منقبة علي: تأمل قوله صلى الله عليه وسلم: أنت مني وأنا منك، والمعنى أنت مني وأنا منك في النسب والصهر والسابقة والمحبة.

5- منقبة زيد بن حارثة: يقول له الرسول: أنت أخونا ومولانا؛ لأنه كان أخاً لحمزة بن عبد المطلب، فقد آخى الرسول صلى الله عليه وسلم بينهما، وهو باجتهاده يريد أن يكون عليه ما على الأخ الشقيق من واجبات، والواجب هنا يكون ولياً على بنت حمزة رضي الله عنه.

6- الخالة تقدم على العمة في الحضانة: لقد حكم النبي صلى الله عليه وسلم إلى زوجة جعفر بالحضانة وعمتها صفية بنت عبد المطلب حية موجودة.

7- زواج المرأة لا يسقط حقها في الحضانة: فقد حكم الرسول صلى الله عليه وسلم بالحضانة لخالة بنت حمزة وهي متزوجة من جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه.

8- لا بد من موافقة الزوج على حضانة زوجته لابنة أختها؛ لأن الزوجة محتسبة لمصلحته ومنفعته، والحضانة قد تفوت هذه المصلحة جزئياً، فلا بد من استئذانه، ونلاحظ هنا أن جعفر بن أبي طالب قد طالب بحضانة بنت عمه حمزة لخالتها وهي زوجة له، فدل على رضاه بذلك.

9- إن الطفل إذا رضع مع عمه يصبح أخاً له في الرضاعة، وتصبح بناته كلها بنات أخيه في الرضاعة، فيحرم عليه نكاحهن⁽¹⁾.

خامساً: أثر عمرة القضاء على الجزيرة وإسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة:

(1) انظر: زاد المعاد فيه تفصيل كثير (374/3، 375)، صلح الحديبية لأبي فارس، ص286، 287.
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

لقد كان تأثير هذه العمرة على قريش وعلى عرب الجزيرة تأثيراً بالغاً، فقد حملت في مضمونها مهمة دعوية عظيمة، ولقد تأثر أهل مكة من هذه العمرة السلمية.

يقول اللواء محمود شيت خطاب: (أثرت عمرة القضاء في هذه الفترة على معنويات قريش تأثيراً كبيراً، فقد وقف الكثير من قريش عند دار الندوة بمكة، كما عسكر آخرون فوق الهضاب المحيطة بها ليشهدوا دخول الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد اضطبع بردائه وأخرج عضده اليمنى ثم قال: «رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة»، ثم استلم الركن وأخذ يهرول وأصحابه معه، فلم يكذ يترك الرسول صلى الله عليه وسلم مكة، حتى وقف خالد ابن الوليد يقول في جمع من قريش: لقد استبان لكل ذي عقل أن محمداً ليس بساحر ولا شاعر، وأن كلامه من كلام رب العالمين، فحق كل ذي لب أن يتبعه، وسمع أبو سفيان بما كان من قول خالد بن الوليد، فبعث في طلبه، وسأله عن صحة ما سمع، فأكد له خالد صحته، فاندفع أبو سفيان إلى خالد في غضبه، فحجز عنه عكرمة وكان حاضراً، وقال: مهلاً يا أبا سفيان، فوالله خفت للذي خفت أن أقول مثل ما قال خالد وأكون على دينه، أنتم تقتلون خالدًا على رأي رأي آه، وهذه قريش كلها تبايعت عليه، والله لقد خفت ألا يحول الحول حتى يتبعه أهل مكة كلهم. وأسلم من بعد خالد بن الوليد عمرو بن العاص، وحارس الكعبة نفسها عثمان بن طلحة، بل وظهر الإسلام في كل بيت من قريش سرّاً وعلانية؛ وبهذه النتيجة الطيبة يمكننا القول بأن عمرة القضاء هذه قد فتحت أبواب قلوب أهل مكة قبل أن يفتح المسلمون أبواب مكة نفسها⁽¹⁾.

ويقول الأستاذ عباس العقاد: (... وحسبك أن عمرة القضاء هذه قد جمعت في آثارها من أسباب الإقناع بالدعوة المحمدية ما أقنع خالد بن الوليد وعمرو بن العاص، وهما في رجاحة العقل والخلق مثلاًن متكافئان يحتذى بهما)⁽²⁾.

(1) انظر: الرسول القائد، ص209، 210.

(3) انظر: عبقرية محمد، ص69.

1- إسلام عمرو بن العاص رضي الله عنه:

ونترك عمرو بن العاص يحدثنا عن إسلامه، حيث قال: لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعت رجالاً من قريش، كانوا يرون رأيي ويسمعون مني، فقلت لهم: تعلمون والله أنني أرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكراً، وإنني قد رأيت أمراً، فما ترون فيه؟ قالوا: وماذا رأيت؟ قال: رأيت أن نلحق بالنجاشي، فنكون عنده، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي، فإننا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا، فلن يأتينا منهم إلا خير، قالوا: إن هذا الرأي، قلت: فاجمعوا لنا ما نهديه له، وكان أحب ما يهدى إليه من أرضنا الأدم⁽¹⁾، فجمعنا له أدمًا كثيرًا ثم خرجنا حتى قدمنا عليه، فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه، قال: فدخل عليه، ثم خرج من عنده، قال: فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أمية الضمري، لو دخلت على النجاشي، وسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه، فإذا فعلت ذلك رأيت قريش أنني أجزأت عنها⁽²⁾، حيث قتلت رسول محمد، قال: فدخلت عليه، فسجدت له كما كنت أصنع، فقال: مرحباً صديقي، أهديت إلي من بلادك شيئاً؟ قال: قلت: نعم، أيها الملك، قد أهديت إليك أدمًا كثيرًا، قال: ثم قربته إليه فأعجبه واشتراه، ثم قلت له: أيها الملك إنني قد رأيت رجلاً خرج من عندك، وهو رسول رجل عدو لنا، فأعطني لأقتله، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا، قال: فغضب، ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره، فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرقاً منه، ثم قلت له: أيها الملك، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه، قال: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لقتله قال: قلت: أيها الملك أأذكك هو؟ قال: ويحك يا عمرو أطعني واتبعه، فإنه والله لعلى الحق، وليظهرن على من خالفه، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده، قال: قلت: أفتبايعني له على الإسلام؟ قال: نعم، فبسط يده

(1) الأدم: الجلد.

(2) أجزأت عنها: كفيته.

(3) استقام المنسم: تبين الطريق ووضح.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

فبايعته على الإسلام، ثم خرجت إلى أصحابي، وقد حال رأيي عما كان عليه، وكتمت على أصحابي إسلامي ثم خرجت عامداً إلى رسول الله لأسلم، فلقيت خالد بن الوليد، وذلك قبيل الفتح، وهو مقبل من مكة، فقلت: أين يا أبا سليمان؟ قال: والله لقد استقام المنسم⁽¹⁾، وإن الرجل لنبي، أذهب والله فأسلم، فحتى متى؟ قال: قلت: والله ما جئت إلا لأسلم، قال: فقدمنا المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم خالد بن الوليد، فأسلم، وبايع، ثم دنوت، فقلت: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إنني أبايعك على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي، ولا أذكر ما تأخر، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا عمرو، بايع فإن الإسلام يجب ما كان قبله، وإن الهجرة تجب ما كان قبلها» قال: فبايعته ثم انصرفت⁽²⁾. وفي رواية قال: فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك، فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي، قال: «ما لك يا عمرو؟» قال: قلت: أردت أن أشتري، قال: «تشتري بماذا؟» قلت: أن يغفر لي، قال: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله؟»⁽³⁾.

2- إسلام خالد بن الوليد رضي الله عنه:

وهذا خالد بن الوليد يحدثنا عن قصة إسلامه فيقول: (.. لما أراد الله بي من الخير ما أراد قذف في قلبي حب الإسلام وحضرتي رشدي، وقلت: قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد، فليس موطن أشهده إلا أنصرف وأنا أرى في نفسي أنني موضع في غير شيء وأن محمداً سيظهر، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحديبية خرجت في خيل المشركين فلقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه بعسفان، فقامت بإزائه وتعرضت له، فصلى بأصحابه الظهر أمناً منا، فهممنا أن نغير عليه، ثم لم يعزم لنا -وكانت فيه خيرة- فاطلع على ما في أنفسنا من الهموم فصلى بأصحابه صلاة العصر صلاة الخوف، فوقع ذلك مني موقعاً وقلت: الرجل

(2) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص494.

(3) مسلم، كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله، رقم 121.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

ممنوع، وافترقنا وعدل عن سنن خيلنا وأخذ ذات اليمين، فلما صالح قريشًا بالحديبية ودافعتهم قريش بالروح قلت في نفسي: أي شيء بقي؟ أين المذهب إلى النجاشي؟ فقد اتبع محمدًا، وأصحابه آمنون عنده، فأخرج إلى هرقل؟ فأخرج من ديني إلى نصرانية أو يهودية، فأقيم مع عجم تابعًا، أو أقيم في داري فيمن بقي؟ فأنا على ذلك إذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرة القضية، فتغيبت فلم أشهد دخوله، وكان أخي الوليد بن الوليد قد دخل مع النبي صلى الله عليه وسلم في عمرة القضية، فطلبني فلم يجدني فكتب إلي كتابًا فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فإني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام، وعَقْلِكَ عَقْلَكَ، ومثل الإسلام جهله أحد؟ وقد سألتني رسول الله صلى الله عليه وسلم عنك فقال: أين خالد؟ فقلت: يأتي الله به؟ فقال: ما مثله جهل الإسلام، ولو كان جعل نكايته وجده مع المسلمين على المشركين لكان خيرًا له، ولقدمناه على غيره، فاستدرك يا أخي ما فاتك، فقد فاتتك مواطن صالحة.

قال: فلما جاءني كتابه نشطت للخروج، وزادني رغبة في الإسلام وسرني مقالة رسول الله، قال خالد: وأرى في النوم كاني في بلاد ضيقة جدية، فخرجت إلى بلد أخضر واسع، فقلت: إن هذه لرويا.. فلما قدمت المدينة قلت: لأذكرنها لأبي بكر، قال: فذكرتها فقال: هو مخرجك الذي هداك الله للإسلام، والضيق الذي كنت فيه من الشرك، فلما أجمعت للخروج إلى رسول الله قلت: من أصحاب إلى رسول الله؟ فلقيت صفوان بن أمية فقلت: يا أبا وهب، أما ترى ما نحن فيه؟ إنما نحن أكلة رأس⁽¹⁾، وقد ظهر محمد على العرب والعجم، فلو قدمنا على محمد فاتبعناه فإن شرف محمد على العرب، فأبى أشد الإباء، وقال: لو لم يبق غيري من قريش ما اتبعته أبدًا، فافترقنا، وقلت: هذا رجل موتور يطلب وترًا، قد قتل أبوه وأخوه ببدر، فلقيت عكرمة بن أبي جهل فقلت له مثل الذي قلت لصفوان، فقال لي مثل ما قال صفوان، فلقيت عثمان بن طلحة، قلت: فاطو ما ذكرت من قتل من آبائه فكرهت أذكّره، ثم قلت: وما عليّ وإني راحل من ساعتني، فذكرت له ما

(1) أي هم قليل يشبعهم رأس واحد، وهو جمع أكل. (2) الذنوب: الدلو العظيمة.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

صار الأمر إليه فقلت: إنما نحن بمنزلة ثعلب في جحر، لو صب عليه ذنوب⁽¹⁾ من ماء لخرج، قال: وقلت له نحو ما قلت لصاحبيه، فأسرع في الإجابة، وقال: لقد غدوت اليوم وأنا أريد أن أغدو، وهذه راحلتي بضح مناخة، قال: فاتعدت أنا وهو ببيأجج، إن سبقتي أقام وإن سبقتك أقمت عليه، قال: فأدلجنا سحرًا فلم يطلع الفجر حتى التقينا ببيأجج، فغدونا حتى انتهينا إلى الهدة، فوجد عمرو بن العاص بها، فقال: مرحبا بالقوم، فقلنا: وبك، قال: مسيركم؟ قلنا: ما أخرجك؟ قال: فما الذي أخرجكم؟ قلنا: الدخول في الإسلام واتباع محمد صلى الله عليه وسلم قال: وذلك الذي أقدمني.

قال: فاصطحبنا جميعًا حتى قدمنا المدينة فأنخنا بظاهر الحرة ركابنا، فأخبر بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر بنا، فلبست من صالح ثيابي، ثم عمدت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلقيني أخي فقال: أسرع فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبر بك فسر بقدمك وهو ينتظركم، فأسرعت المشي فطلعت عليه، فما زال يتبسم إلي حتى وقفت عليه، فسلمت عليه بالنبوة فرد علي السلام بوجه طلق، فقلت: إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله فقال: «الحمد لله الذي هداك، قد كنت أرى لك عقلاً رجوت ألا يسلمك إلا إلى خير» قلت: يا رسول الله قد رأيت ما كنت أشهد من تلك المواطن عليك معانداً عن الحق، فادع الله أن يغفرها لي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الإسلام يجب ما كان قبله» قلت: يا رسول الله، على ذلك؟ فقال: «اللهم اغفر لخالد كل ما أوضع فيه من صد عن سبيلك» قال خالد: وتقدم عمرو، وعثمان فبايعا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان قدومنا في صفر سنة ثمان، فوالله ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من يوم أسلمت يعدل بي أحد من أصحابه فيما حربه⁽²⁾.

وفي إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد رضي الله عنهما دروس ولطائف وعبر منها:

أ- غلبة النجاشي تدل على صدق إيمانه وحبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وحبه للمسلمين،

(2) انظر: البداية والنهاية (239/4، 240)، التاريخ الإسلامي، (95/7).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وصدق النجاشي كان له أثر في إيمان عمرو بن العاص، ودخوله في الإسلام، وبذلك نال النجاشي أجراً عظيماً حيث جذب إلى الإسلام رجلاً من عظماء قريش⁽¹⁾.

ب- كان إسلام عمرو بن العاص نصراً كبيراً للإسلام، والمسلمين فلقد سخر عقله الكبير ودهاءه العظيم لصالح دعوة الإسلام، وخسر الكفار بإسلامه خسارة كبيرة؛ لأنهم كانوا يعدونه لعظائم الأمور التي تحتاج إلى دهاء ومقدرة على التأثير وخاصة فيما يتعلق بعدائهم مع المسلمين⁽²⁾.

ج- أدرك خالد بن الوليد أن العاقبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمل قوله: لقد شهدت هذه المواطن كلها على محمد فليس موطن أشهده إلا أنصرف وأنا أرى في نفسي أنني موضع في غير شيء، وأن محمداً سيظهر⁽³⁾، وفي هذا عبرة لكل الذين يحاربون الإسلام⁽⁴⁾.

د- الاهتمام بالبشر طريق من طرق التأثير عليهم، وكسبهم إلى الصف المؤمن ولذلك قال رسول الله للوليد بن الوليد: ما مثل خالد يجهل الإسلام، ولو كان جعل نكايته وجده مع المسلمين على المشركين لكان خيراً له ولقدمناه على غيره⁽⁵⁾، فكانت لهذه الكلمات البليغة أعظم الأثر في تحول قلب خالد وتوجهه نحو الإسلام، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عليمًا في مخاطبة النفوس والتأثير عليها، فلقد أدرك مواهب خالد في القيادة والزعامة فوعده بتمكينه من ذلك وتقديمه على غيره في هذا المضمار، ومدح صلى الله عليه وسلم سداد رأيه ورجاحة عقله، ونضج فكره، فانتزع صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمات كل الجوانب التي تجعل خالدًا يظل على الشرك الذي لم يكن مقتنعًا به إلا بمقدار ما حصل له فيه من قيادة وتصدر، فلما كان ما هياه له المشركون سيحصل له إذا دخل في

(1) انظر: التاريخ الإسلامي (90/7).

(2) نفس المصدر (91/7).

(3) انظر: صلح الحديبية لأبي فارس، ص 263.

(4) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (95/7).

(5) نفس المصدر، (95/7).

الإسلام، واطمأن بأنه لو أسلم لن يكون في آخر القائمة، ولن يكون مهملًا، شجعه ذلك على التغلب على وساوس إبليس، ورجح ما اطمأنت إليه نفسه من الميل إلى الإسلام فعزم على الدخول فيه. لقد كان إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد قوة للإسلام وضعفًا للشرك، وكتب الله على أيديهما صفحات مشرقة من تاريخ المسلمين الجهادي أصبحت باقية في ذاكرة الأمة وتاريخها المجيد على مر الدهور وكر العصور، توالي الأزمان⁽¹⁾.

* * *

(1) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (96/7).
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

المبحث الرابع

سرية مؤتة (8هـ)

أولاً: أسبابها وتاريخها:

أشعل عرب الشام فتيل الصراع بين المسلمين والبيزنطيين، فقد دأبت قبيلة كلب من قضاة التي كانت تنزل على دومة الجندل على مضايقة المسلمين، وحاولت أن تفرض عليهم نوعاً من الحصار الاقتصادي عن طريق إيداعها للتجار الذين كانوا يحملون السلع الضرورية من الشام إلى المدينة، ولذلك غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم قبيلة كلب بدومة الجندل سنة (5هـ) لكنه وجدهم قد تفرقوا، كما أن رجالاً من جذام ولخم قطعوا الطريق على دحية بن خليفة الكلبي عند مروره بحسمى بعد إنجازه لمهمة أناطها به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستلبوا كل ما معه، فكانت سرية زيد بن حارثة إلى حسمى في سنة 6هـ، ويضاف إلى ذلك أيضاً ما قامت به قبيلتنا مذحج وقضاة من اعتداء على زيد بن حارثة وصحبه في العام المذكور (6هـ)، وذلك عندما ذهبوا إلى وادي القرى في بعثة بغرض الدعوة إلى الله، وبعد صلح الحديبية أخذ هذا المسلك العدواني يأخذ منحني أكثر خطورة⁽¹⁾، بعد مقتل الحارث بن عمير الأزدي رسول رسول الله إلى حاكم (بصرى) التابع لحاكم الروم، فقد قام شرحبيل بن عمرو الغساني بضرب عنق رسول رسول الله، ولم تجر العادة بقتل الرسل والسفراء، كما أن الحارث بن أبي شمر الغساني حاكم دمشق أساء استقبال مبعوث رسول الله وهدد بإعلان الحرب على المدينة، ثم حدث بعد ذلك بما يزيد قليلاً عن العام أن بعث رسول الله سرية بقيادة عمرو بن كعب الغفاري ليدعو إلى الإسلام في مكان يقال له (ذات أطلاح) فلم يستجب أهل المنطقة إلى الإسلام وأحاطوا بالدعاة من كل مكان وقتلهم حتى قتلهم جميعاً إلا أميرهم، كان جريحاً فتحامل على جرحه حتى وصل إلى المدينة فأخبر

(1) انظر: المسلمون والروم في عصر النبوة، عبد الرحمن أحمد سالم، ص 87.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

رسول الله صلى الله عليه وسلم⁽¹⁾، وقد قام نصارى الشام بزعماء الإمبراطورية الرومانية بالاعتداءات على من يعتنق الإسلام أو يفكر بذلك، فقد قتلوا والي مَعَانَ حين أسلم، وقتل والي الشام من أسلم من عرب الشام⁽²⁾.

كانت هذه الأحداث المؤلمة وبخاصة مقتل سفير رسول الله الحارث بن عمير الأزدي، محرقة لنفوس المسلمين، وباعثاً ليعضوا حدةً لهذه التصرفات النصرانية العدوانية، ويثأروا لإخوانهم في العقيدة الذين سُفكت دماؤهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ونبينا محمد رسول الله⁽³⁾. كما أن تأديب عرب الشام التابعين للدولة الرومانية والذين دأبوا على استفزاز المسلمين وتحديهم وارتكاب الجرائم ضد دعائهم أصبح هدفاً مهماً، لأن تحقيق هذا الهدف معناه فرض هيبة الدولة الإسلامية في تلك المناطق بحيث لا تتكرر مثل هذه الجرائم في المستقبل، وبحيث يأمن الدعاة المسلمون على أنفسهم ويأمن التجار المترددون بين الشام والمدينة من كل أذى يحول دون وصول السلع الضرورية إلى المدينة⁽⁴⁾.

وفي سنة 8هـ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين بالتجهز للقتال، فاستجابوا للأمر النبوي وحشدوا حشوداً لم يحشدوها من قبل، إذ بلغ عدد المقاتلين في هذه السرية ثلاثة آلاف مقاتل، واختار النبي صلى الله عليه وسلم للقيادة ثلاثة أمراء على التوالي: زيد بن حارثة، ثم جعفر بن أبي طالب، ثم عبد الله بن رواحة⁽⁵⁾، فقد روى البخاري في صحيحه بإسناده إلى عبد الله ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة مؤتة زيد بن حارثة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **إن قُتل زيد فجعفر، وإن قُتل جعفر فعبد الله بن رواحة**⁽⁶⁾.

(1) انظر: تاريخ الطبري (103/3).

(2) انظر: خاتم النبيين (1139/2) نقلاً عن الصراع مع الصليبيين لأبي فارس، ص20.

(3) انظر: الصراع مع الصليبيين لأبي فارس، ص20.

(4) انظر: المسلمون والروم في عصر النبوة، ص89. (3) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص20.

(6) البخاري، كتاب المغازي (102/5) رقم 4261. (5) انظر: السيرة الحلبية (787/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيش الإسلامي أن يأتوا المكان الذي قتل فيه الحارث بن عمير الأزدي رضي الله عنه وأن يدعوا من كان هناك إلى الإسلام فإن أجابوا فبها ونعمت، وإن أبوا استعينوا بالله عليهم وقاتلوهم⁽¹⁾.

وقد زود الرسول صلى الله عليه وسلم الجيش في هذه السرية وغيرها من السرايا بوصايا تتضمن آداب القتال في الإسلام⁽²⁾، فقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بقوله: «أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيراً، اغزوا باسم الله، في سبيل الله من كفر بالله، لا تغدروا ولا تقتلوا وليداً، ولا امرأة ولا كبيراً فانياً، ولا منعزلاً بصومعة، ولا تقربوا نخلاً، ولا تقطعوا شجراً، ولا تهدموا بناء، وإذا لقيتم عدوكم من المشركين فادعوهم إلى إحدى ثلاث: فإما الإسلام، وإما الجزية، وإما الحرب...»⁽³⁾.

ثانياً: وداع الجيش الإسلامي:

لما تجهز الجيش الإسلامي وأتم استعداداه، توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يودعون الجيش، ويرفعون أكف الضراعة لله عز وجل أن ينصر إخوانهم المجاهدين، لقد سلموا عليهم وودعوهم بهذا الدعاء: دفع الله عنكم وردكم صالحين غانمين⁽⁴⁾.

ولما ودع الناس عبد الله بن رواحة وسلموا عليه بكى وانهمرت الدموع من عينيه ساخنة غزيرة، فتعجب الناس من ذلك، وقالوا: ما يبكيك يا ابن رواحة؟ فقال: والله ما بي حب الدنيا وصباغة، ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار (**وَأَنَّ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا**) [مريم: 71]، فلست أدري كيف بي بالصدر بعهد الورود، فقال لهم المسلمون: صحبكم الله ودفع عنكم، وردكم إلينا صالحين، فقال عبد الله بن رواحة:

(2) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص 21. (7) انظر: المغازي (757/2، 758).

(4، 2) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (21/4).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

لكني أسأل الرحمن مغفرة
أو طعنة بيدي حران مجهزة
حتى يقولوا إذا مروا على جدتي
وضربة ذات فراغ تقذف الزبدا
بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
أرشده الله من غاز وقد رشدا(1)

وودع رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة، فقال ابن رواحة يخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم:

يثبت الله ما آتاك من حسن
إني تفرست فيك الخير نافلة
أنت الرسول فمن يحرم نوافله
تثبيت موسى ونصرًا كالذي نصرنا
فراصة خالفتهم في الذي نظروا
والوجه منه فقد أزرى به القدر(2)

ثالثًا: الجيش يصل إلى معان واستشهاد الأمراء الثلاثة:

لما وصل الجيش الإسلامي إلى معان من أرض الشام -وهي الآن محافظة من محافظات الأردن- بلغه أن النصارى الصليبيين من عرب وعجم قد حشدوا حشودًا ضخمة لقتالهم، إذ حشدت القبائل العربية مائة ألف صليبي من لخم وجذام وبهراء وبلق، وعينت لهم قائدًا هو مالك بن رافلة، وحشد هرقل مائة ألف نصراني صليبي من الروم فبلغ الجيش مائتي ألف مقاتل، مزودين بالسلاح الكافي يرفلون في الديباج لينبهر المسلمون بهم وبقوتهم(3)، ولقد قام المسلمون في معان يومين يتشاورون في التصدي لهذا الحشد الضخم فقال بعضهم: نرسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة نخبره بحشود العدو، فإن شاء أمدنا بالمدد، وإن شاء أمرنا بالقتال(4)، وقال بعضهم لزيد بن حارثة قائد الجيش: وقد وطئت البلاد وأخفت أهلها، فانصرف فإنه لا يعدل العافية شيء(5)، ولكن عبد الله بن رواحة حسم الموقف بقوله: (يا قوم، والله إن الذي تكرهون

(2) انظر: مغازي رسول الله لعروة بن الزبير، ص 204، 205.
(3) انظر: شرح المواهب اللدنية (271/2).
(5) انظر: زاد المعاد (382/3).

(5) انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (396/1).
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

للذي خرجتم تطلبون؛ الشهادة! وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين: إما ظهور، وإما شهادة، فألهبت كلماته مشاعر المجاهدين، واندفع زيد بن حارثة بالناس إلى منطقة مؤتة جنوب الكرك يسير حيث أثر الاصطدام بالروم هناك، فكانت ملحمة سجل فيها القادة الثلاثة بطولة عظيمة انتهت باستشهادهم⁽¹⁾، فقد استبسل زيد بن حارثة وتوغل في صفوف الأعداء وهو يحمل راية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شاط في رماح القوم⁽²⁾.

ثم أخذ الراية جعفر وانبرى يتصدى لجموع المشركين الصليبيين، فكثفوا حملاتهم عليه، وأحاطوا به إحاطة السوار بالمعصم، فلم تلن له قناة، ولم تهن له عزيمة، بل استمر في القتال، وزيادة في الإقدام ونزل عن فرسه وعقرها، وأخذ ينشد:

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وبارداً شرابها
والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها
عليّ إذا لاقيتها ضرابها⁽³⁾

لقد أخذ رضي الله عنه اللواء بيده اليمنى فقطعت، فأخذه بشماله فقطعت، فاحتضنه بعضديه وانحنى عليه حتى استشهد وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، ولقد أثخن رضي الله عنه بالجراح إذ بلغ عدد جراحه تسعين بين طعنة برمح أو ضربة بسيف أو رمية بسهم، وليس من بينها جرح في ظهره بل كلها في صدره⁽⁴⁾.

روى الإمام البخاري -رحمه الله- في صحيحه بإسناده إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما- قال: كنت في تلك الغزوة فالتمسنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتلى،

(1) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (468/2).

(2) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (25/4).

(3) المصدر نفسه (26/4).

(4) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص 58. (5) البخاري، كتاب المغازي (102/5) رقم 4261. هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ مع الدعاء بحسن الاستفادة

ووجدنا ما في جسده بضعا وتسعين من طعنة أو رمية⁽¹⁾.

ولقد عوض الله -تبارك وتعالى- جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وأكرمه على شجاعته وتضحيته بأن جعل له جناحين يطير بهما في الجنة حيث يشاء، فقد روى البخاري في صحيحه بإسناده إلى عامر قال: كان ابن عمر إذا حيا ابن جعفر قال: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين⁽²⁾.

وبعد استشهاد جعفر بن أبي طالب استلم الراية عبد الله بن رواحة الأنصاري رضي الله عنه وامتطى جواده، وهو يقول:

أقسمت يا نفس لتنزلنه لتنزلن أو لتكرهنه
 إن أجلب⁽³⁾ الناس وشدوا الرنة⁽⁴⁾ ما لي أراك تكرهين الجنة
 قد طال ما قد كنت مطمئنة هل أنت إلا نطفة في شنة
 يا نفس إلا تقتلي تموتي هذا حمام الموت قد صليت
 وما تمنيت فقد أعطيت إن تفعلي فعلهما هُديت⁽⁵⁾

ويذكر أن ابن عم لعبد الله بن رواحة قد قدم له قطعة من لحم وقال له: شد بهذا صلبك، فإنك لقيت في أيامك هذه ما لقيت، فأخذها من يده ثم انتهس منه نهسة، ثم سمع جلبة وزخاما في جبهة القتال، فقال يخاطب نفسه: وأنت في الدنيا؟ ثم ألقى قطعة اللحم من يده وتقدم يقاتل العدو حتى استشهد رضي الله عنه، وكان ذلك في آخر النهار⁽⁶⁾.

رابعاً: المسلمون يختارون خالد بن الوليد قائداً:

ولما استشهد عبد الله بن رواحة رضي الله عنه، وسقطت الراية من يده فالتقطها ثابت بن أقرم بن ثعلبة بن عدي بن العجلان البلوي الأنصاري، وقال: يا معشر المسلمين اصطلحوا على

(2) البخاري، كتاب المغازي، (103/5) رقم 4264.

(3) إن أجلب الناس: صاحوا واجتمعوا.

(2) الرنة: صوت ترجيع شبه البكاء.

(5) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (26/4، 27). (4) انظر: الصرع مع الصليبيين، ص 61.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
 مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

رجل منكم، قالوا: أنت، قال: ما أنا بفاعل، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد⁽¹⁾. وجاء في إمتاع الأسماع أن ثابت بن أقرم نظر إلى خالد بن الوليد فقال: خذ اللواء يا أبا سليمان، فقال: لا أخذه، أنت أحق به، أنت رجل لك سن، فقد شهدت بدرًا، فقال ثابت: خذه أيها الرجل فوالله ما أخذته إلا لك، فأخذه خالد بن الوليد رضي الله عنه⁽²⁾. وأصبحت الخطة الأساسية المنوطة بخالد في تلك الساعة العصيبة من القتال، أن ينقذ المسلمين من الهلاك الجماعي، فبعد أن قدر الموقف واحتمالاته المختلفة قدرًا دقيقًا، ودرس ظروف المعركة درسًا وافيًا وتوقع نتائجها، اقتنع بأن الانسحاب بأقل خسارة ممكنة هو الحل الأفضل، ففوة العدو تبلغ (66) ضعفًا لقوة المسلمين، فلم يبق أمام هؤلاء إلا الانسحاب المنظم وعلى هذا الأساس وضع خالد الخطة التالية:

أ- الحيلولة بين جيش الروم وجيش المسلمين، ليضمن لهذا الأخير سلامة الانسحاب.

ب- لبلوغ هذا الهدف، لا بد من تضليل العدو بإيهامه أن مددًا ورد إلى جيش المسلمين فيخفف من ضغطه وهجماته، ويتمكن المسلمون من الانسحاب، وصمد خالد حتى المساء عملاً بهذه الخطة، وغير في ظلام الليل مراكز المقاتلين في جيشه، فاستبدل الميمنة بالميسرة، ومقدمة القلب بالمؤخرة، وفي أثناء عملية الاستبدال اصطنع ضجة صاخبة وجلبة قوية، ثم حمل على العدو، عند الفجر، بهجمات سريعة متتالية وقوية ليدخل في روعه إن إمدادات كثيرة وصلت إلى المسلمين⁽³⁾.

ونجحت الخطة؛ إذ بدا للعدو صباحًا أن الوجوه والرايات التي تواجهه جديدة لم يرها من قبل، وأن المسلمين يقومون بهجمات عنيفة، فأيقن أنهم تلقوا إمدادات، وأن جيشًا جديدًا نزل إلى الميدان، وكان البلاء الحسن الذي أبلاه المسلمون قد فت في عضد الروم وحلفائهم، فأدركوا أن إحراز نصر حاسم ونهائي على المسلمين أمر مستحيل، فتخاذلوا وتقاعسوا عن متابعة الهجوم،

(1) انظر: السيرة النبوية لابن هشام، (27/4). (6) انظر: إمتاع الأسماع (348/1، 349).

(3) البداية والنهاية (247/4)، الواقدي (764/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وضعف نشاطهم واندفاعهم، فخف الضغط عن جيش المسلمين، وانتهاز خالد الفرصة فباشر الانسحاب، وكانت عملية التراجع التي قام بها خالد في أثناء معركة (موتة) من أكثر العمليات في التاريخ العسكري مهارة ونجاحًا، بل إنها تتفق وتتلائم مع التكتيك الحديث للانسحاب، فقد عمد خالد إلى سحب الجناحين بحماية القلب، ولما أصبح الجناحان بمنأى عن العدو، وفي مأمن منه، عمد إلى سحب القلب بحماية الجناحين، إلى أن تمكن وضمن سلامة الانسحاب كليًا⁽¹⁾، ويقول المؤرخون: إن خسارة المسلمين لم تتعد الاثني عشر قتيلًا في هذه المعركة، وأن خالدًا قال: (لقد انقطع في يدي يوم موتة تسعة أسياف، فما بقي إلا صفيحة يمانية)⁽²⁾.

ويمكن القول إن خالدًا بخطته تلك، قد أنقذ الله المسلمين به من هزيمة ماحقة وقتل محقق، وأن انسحابه كان قمة النصر بالنسبة إلى ظروف المعركة، حيث يكون الانسحاب في ظروف مماثلة أصعب حركات القتال، بل أجداها وأنفعها⁽³⁾.

خامسًا: معجزة للرسول صلى الله عليه وسلم وموقف أهل المدينة من الجيش:

ظهرت معجزة للرسول صلى الله عليه وسلم في أمر هذه السرية، فقد نعى المسلمين في المدينة زيدًا وجعفرًا وابن أبي رواحة قبل أن يصل إليه خبرهم، وحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقع للسرية وذرفت عيناه الدموع، ثم أخبرهم بتسلم خالد الراية، وبشرهم بالفتح على يديه وأسماء سيف الله⁽⁴⁾، وبعد ذلك قدم من أخبرهم بأخبار السرية، ولم يزد عما أخبرهم به النبي صلى الله عليه وسلم⁽⁵⁾.

ولما دنا الجيش من حول المدينة، تلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون، ولقيهم الصبيان ينشدون، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقبل مع القوم على دابة فقال: خذوا الصبيان

(1) انظر: معارك خالد بن الوليد، د. ياسين سويد، ص173.

(2) البخاري، كتاب المغازي (103/5) رقم 4266. (4) انظر: معارك خالد بن الوليد، ص175.

(4) انظر: نضرة النعيم (360/1). (6) انظر: البداية والنهاية (255/4).

واحملوهم، وأعطوني ابن جعفر، فأتي بعبد الله، فأخذه فحمله على يديه، وجعل الناس يحثون على الجيش التراب ويقولون: يا فرار، أفررت في سبيل الله، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليسوا بالفرار، ولكنهم الكرار إن شاء الله تعالى⁽¹⁾.

وإن الإنسان ليعجب من هذه التربية النبوية التي صنعت من الأطفال الصغار، رجالاً وأبطالاً، يرون العودة من المعركة دون شهادة في سبيل الله، فراراً من سبيل الله، لا يكافأون عليه إلا بحتو التراب في وجوههم، فأين شبابنا المتسكعون في الشوارع، من هذه النماذج الرفيعة من الرجولة الفذة المبكرة؟ ولن تستطيع الأمة أن ترتفع إلى هذه الأهداف النبيلة والقمم الشوامخ إلا بالتربية الإسلامية الجادة القائمة على المنهاج النبوي الكريم⁽²⁾.

سادساً: دروس وعبر وفوائد:

ففي هذه الغزوة دروس وعبر كثيرة منها:

1- أهمية هذه المعركة: تعتبر هذه المعركة من أهم المعارك التي وقعت بين المسلمين وبين النصارى الصليبيين من عرب وعجم؛ لأنها أول صدام مسلح ذي بال بين الفريقين، وأثرت تلك المعركة على مستقبل الدولة الرومانية، فقد كانت مقدمة لفتح بلاد الشام وتحريرها من الرومان. ونستطيع أن نقول إن تلك الغزوة هي خطوة عملية قام بها النبي صلى الله عليه وسلم للقضاء على دولة الروم المتجبرة في بلاد الشام، فقد هز هيبتها من قلوب العرب، وأعطت فكرة عن الروح المعنوية العالية عند المسلمين، كما أظهرت ضعف الروح المعنوية في القتال عند الجندي الصليبي النصراني⁽³⁾، وأعطت فرصة للمسلمين للتعرف على حقيقة قوات الروم، ومعرفة أساليبهم في القتال.

2- حب الشهادة باعث للتضحية: إن الصبر والثبات والتضحية التي تجلت في كل واحد من

(1) انظر: السيرة النبوية للنذوي، ص328، تاريخ الذهبي، ص491.

(2) انظر: دروس وعبر من الجهاد النبوي، ص358.

(3) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص64.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

الأمراء الثلاثة وسائر الجند كان مبعثها الحرص على ثواب المجاهدين، والرغبة في نيل الشهادة لكي يكرمهم الله برفقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ويدخلوا جنات الله الواسعة التي فيها ما لا عين رأت ولا إذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

3- تميز هذه المعركة عن سائر المعارك: فهي الوحيدة التي جاء خبرها من السماء، إذ نعى النبي صلى الله عليه وسلم استشهاد الأبطال الثلاثة قبل أن يصل الخبر من أرض المعركة، بل وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن أحداثها، وتمتاز أيضا عن غيرها بأنها الواقعة الوحيدة التي اختار النبي صلى الله عليه وسلم لها ثلاثة أمراء على الترتيب: زيد بن حارثة، جعفر بن أبي طالب، عبد الله بن رواحة⁽¹⁾.

4- إكرام النبي صلى الله عليه وسلم لآل جعفر: لما أصيب جعفر دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أسماء بنت عميس فقال: «انتيني ببني جعفر» فأتت بهم فشمهم وقبلهم وذرفت عيناه، فقالت أسماء: أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء؟ قال: «نعم أصيبوا هذا اليوم»، فجعلت تصيح وتولول، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تغفلوا عن آل جعفر أن تصنعوا لهم طعاماً، فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم»⁽²⁾.

وتلاحظ في هذا الخبر عدة أمور منها:

أ- جواز بكاء المرأة على زوجها المتوفى: أخذ هذا من فعل أسماء بنت عميس رضي الله عنها حينما نعى النبي صلى الله عليه وسلم زوجها ومن معه، فبكت وصاحت، فلم ينكر عليها النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينهها عن ذلك، ولو كان ممنوعاً لنهاها عن ذلك، والبكاء الذي نهى عنه الإسلام هو ما كان سائداً عند أهل الجاهلية من النواح والطم وشق الجيوب، والتبرم بقضاء الله وقدره، وما إلى ذلك مما يكون سبباً في معصية الخالق سبحانه.

(2) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (28/4).

(1) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص66.

ب- استحباب صنع الطعام لأهل الميت: وقد ندب الرسول صلى الله عليه وسلم الناس أن

يصنعوا طعاماً لآل جعفر، وهذا فيه مواساة لأهل المتوفى وتخفيف مصابهم، وفي الوقت نفسه تكافل بينهم وهذه السنة خالفها بعض الشعوب الإسلامية، وأصبح أهل الميت يصنعون الطعام للقادمين، وهذا أمر قبيح ينبغي أن يبتعد عنه المسلمون⁽¹⁾.

هذا وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البكاء بعد ثلاث، فقد دخل على أسماء وقال لها: «لا تبكوا على أخي بعد اليوم، ادعوا لي بني أخي» فجاء بهم كأنهم أفرخ، فدعا بالحقاق فخلق لهم رؤوسهم ثم قال: «أما محمد فشبيهه عمن أبي طالب، وأما عبد الله فشبيهه خلقي وخلقلي»، ثم أخذ بيمين عبد الله وقال: «اللهم اخلف جعفرًا في أهله وبارك لعبد الله في صفقة يمينه» قالها ثلاثاً⁽²⁾. ولما ذكرت له أنهم يتمهم وضعفهم قال لها: «العيلة تخافين عليهم، وأنا وليهم في الدنيا والآخرة»⁽³⁾. وهذا منهج نبوي كريم خطه رسول الله صلى الله عليه وسلم لرعاية وتكريم أبناء الشهداء لكي تسير الأمة على نهجه الميمون⁽⁴⁾.

ج- زواج أبي بكر الصديق من أسماء بنت عيسى: وبعد أن انقضت عدة أسماء بنت عيسى خطبها أبو بكر الصديق رضي الله عنه فتزوجها، وولدت له محمد بن أبي بكر، وبعدما توفي الصديق تزوجها بعده علي بن أبي طالب، وولدت له أولاداً رضي الله عنه وعنهما وعنهم أجمعين⁽⁵⁾. وقد ذكر ابن كثير أن أسماء بنت عيسى رثت زوجها جعفر بن أبي طالب بقصيدة تقول فيها:

فأليت لا تنفك نفسي حزينة عليك ولا ينفك جلدي أغبرا

(1) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص 68.

(2) انظر: البداية والنهاية (252/4).

(3) انظر: السيرة النبوية لأبي شعبة (430/2).

(4) المصدر نفسه (352/4).

(5) انظر: البداية والنهاية (353/4).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

فله عينا من رأى مثله فتى أكر وأحمر في الهياج وأصبرا⁽¹⁾

5- من فقه القيادة: إنه درس عظيم يقدمه لنا الصحابي الجليل ثابت بن أقرم العجلاني، عندما أخذ اللواء بعد استشهاد عبد الله بن رواحة آخر الأمراء، وذلك أداء منه للواجب؛ لأن وقوع الراية معناه هزيمة الجيش، ثم نادى المسلمين أن يختاروا لهم قائداً، وفي زحمة الأحداث قالوا: أنت، قال: ما أنا بفاعل.. فاصطاح الناس على خالد. وفي رواية أن ثابتاً مشى باللواء إلى خالد، فقال خالد: لا آخذه منك، أنت أحق به فقال: والله ما أخذته إلا لك.

إن مضمون كلتا الروايتين واحد، أن ثابتاً جمع المسلمين أولاً وأعطى القوس باريها، فأعطى الراية أبا سليمان خالد بن الوليد⁽²⁾، ولم يقبل قول المسلمين: أنت أميرنا، ذلك أنه يرى فيهم من هو أكفأ منه لهذا العمل، وحينما يتولى العمل من ليس له بأهل، فإن الفساد متوقع، والعمل حينما يكون لله تعالى، لا يكون فيه أثر لحب الشهرة، أو حظ النفس.

إن ثابتاً لم يكن عاجزاً عن قيادة المسلمين، وهو ممن حضر بدرًا، ولكنه رأى من الظلم أن يتولى عملاً وفي المسلمين من هو أجدر به منه، حتى ولو لم يمض على إسلامه أكثر من ثلاثة أشهر؛ لأن الغاية هي السعي لتنفيذ أوامر الله على الوجه الأحسن والطريقة الأمثل⁽³⁾.

إن كثيراً ممن يتزعمون قيادة الدعوة الإسلامية اليوم يضعون العراقيل أمام الطاقات الجديدة، والقدرات الفذة خوفاً على مكانتهم القيادية، وامتنيازاتهم الشخصية، وأطماعهم الدنيوية، فعلى أولئك القادة أن يتعظوا من هذا الدرس البليغ لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

6- درس نبوي في احترام القيادة: قال عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه: خرجت مع زيد بن حارثة في غزوة مؤتة ورافقتي مددي من اليمن⁽⁴⁾... ومضينا فلقينا جموع الروم، فيهم

(2) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (124/7).

(3) انظر: من معين السيرة للشامي، ص376.

(4) مددي أي جاء مدداً، وفي رواية: رجل من حمير

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

رجل على فرس له أشقر عليه سرج مذهب وله سلاح مذهب، فجعل الرومي يضرب بالمسلمين، فقع له المددي خلف صخرة فمر به الرومي فعرقب فرسه بسيفه، وفر الرومي، فعلاه بسيفه فقتله وحاز فرسه وسلاحه، فلما فتح الله للمسلمين، بعث إليه خالد بن الوليد فأخذ منه بعض السلب، قال عوف: فأتيت خالدًا، وقلت له: أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالسلب للقاتل؟ قال: بلى، ولكني استكثرتة قلت: لتردنها إليه أو لأعرفنكها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأبى أن يرد عليه. قال عوف: فاجتمعنا عند رسول الله فقصصت عليه قصة المددي، وما فعل خالد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا خالد ما حملك على ما صنعت؟» قال: استكثرتة فقال: «رد عليه الذي أخذت منه». قال عوف: فقلت: دونكها يا خالد، ألم أوف لك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وما ذلك؟» فأخبرته قال: فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: «يا خالد لا ترد عليه، هل أنتم تاركون لي أمرائي، لكم صفوة أمرهم وعليهم كدره»⁽¹⁾.

هذا موقف عظيم من النبي صلى الله عليه وسلم في حماية القادة والأمراء من أن يتعرضوا للإهانة بسبب الأخطاء التي قد تقع منهم، فهم بشر معرضون للخطأ، فينبغي السعي في إصلاح خطئهم من غير تنقص ولا إهانة، فخالد حين يمنع ذلك المجاهد سلبه لم يقصد الإساءة إليه، وإنما اجتهد فغلب جانب المصلحة العامة، حيث استكثر ذلك السلب على فرد واحد، ورأى أنه إذا دخل في الغنيمة العامة نفع عددًا أكبر من المجاهدين، وعوف بن مالك أدى مهمته في الإنكار على خالد، ثم رفع الأمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما لم يقبل خالد قوله، وكان المفترض أن تكون مهمته قد انتهت بذلك؛ لأنه والحال هذه قد دخل في أمر من أوامر الإصلاح، وقد تم الإصلاح على يديه، ولكنه تجاوز هذه المهمة حيث حول القضية من قضية إصلاحية إلى قضية شخصية، فأظهر شيئًا من التشفي من خالد، ولم يقره النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك، بل أنكر عليه إنكارًا شديدًا وبيّن حق الولاية على جنودهم، وكون النبي صلى الله عليه وسلم أمر خالدًا

(1) مسلم، كتاب الجهاد، ص1373، رقم 1753.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

بعدم رد السلب على صاحبه لا يعني أن حق ذلك المجاهد قد ضاع؛ لأنه لا يمكن أن يأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم إنساناً بجريرة غيره، فلا بد أن ذلك المجاهد قد حصل منه الرضا، إما بتعويض عن ذلك السلب أو بتنازل منه أو غير ذلك فيما لا يذكر تفصيله في الخبر⁽¹⁾.

إن الأمة التي لا تقدر رجالها ولا تحترمهم لا يمكن أن يقوم فيها نظام، إن التربية النبوية استطاعت بناء هذه الأمة بناء سليماً، وما أخرى المسلمين اليوم أن يكون كل إنسان في مكانه، وأن يحترم ويقدر بمقدار ما يقدم لهذا الدين، ويبقى الجميع بعد ذلك في الإطار العام الذي وصف الله به المؤمنين: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) [المائدة: 54].

وفي قوله صلى الله عليه وسلم: «هل أنتم تاركون لي أمراي» وسام آخر يضاف إلى خالد رضي الله عنه حيث عد من أمراء الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا من المنهاج النبوي الكريم في تقدير الرجال⁽²⁾.

7- مقاييس الإيمان وأثرها في المعارك:

توقف الجيش الإسلامي في معان يناقش كثرة جيش العدو، وكانت المقاييس المادية لا تشجعهم على خوض المعركة، ومع ذلك تابعوا طريقهم ودخلوا بمقاييس إيمانية، فهم خرجوا يطلبون الشهادة فلماذا إذن يفرون مما خرجوا لطلبه.

قال زيد بن أرقم: كنت يتيمًا لعبد الله بن رواحة في حجره، فخرج بي في سفره ذلك مردفي على حقيبة رحله، فوالله إنه ليسير ليلة إذ سمعته ينشد أبياتاً منها:

وجاء المسلمون وغادروني بأرض الشام مشتهى الثواء

(1) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي، (130/7).

(2) انظر: معين السيرة، ص378.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

فلما سمعتها منه بكيت، قال: فحفظني بالدرة، وقال: وما عليك يا لكع أن يرزقني الله الشهادة وترجع بين شعبي الرحل⁽¹⁾.

إن التأمل بعمق في غزوة مؤتة يساعدنا في معالجة الهزيمة النفسية والروحية التي تمر بها الأمة، وإقامة الحجة على القائلين بأن سبب هزيمتنا التفوق التكنولوجي لدى الأعداء. لقد سجل ابن كثير رأيه في هذه المعركة وقال: (... هذا عظيم جدا أن يقاتل جيشان متعاديان في الدين، أحدهما وهو الفئة التي تقاتل في سبيل الله عدتها ثلاثة آلاف، وأخرى كافرة وعدتها مائتا ألف مقاتل، من الروم مائة ألف، ومن نصارى العرب مائة ألف، يتبارزون ويتصاولون ثم مع هذا كله لا يقتل من المسلمين إلا اثنا عشر رجلا، وقد قتل من المشركين خلق كثير، هذا خالد وحده يقول: لقد اندقت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، فما بقى في يدي إلا صفيحة يمانية، فماذا ترى قد قتل بهذه الأسياف كلها؟ دع غيره من الأبطال والشجعان من حملة القرآن، وقد تحكموا في عبدة الصليبان عليهم لعائن الرحمن في ذلك الزمان وفي كل أوان...⁽²⁾).

8- من شعر كعب بن مالك في بكاء قتلى مؤتة: حيث قال:

في ليلة وردت عليّ همومها	طوراً أحن ⁽³⁾ وتارة أتململ ⁽⁴⁾
واعتادني حزن فبت كأني	ببنات نعش والسماك موكل ⁽⁵⁾
وكأنما بين الجوانح والحشى	مما تأوبني شهاب مدخل ⁽⁶⁾
وجدنا على النفر الذين تتابعوا	يوماً بمؤتة أسندوا لم ينقلوا
صلى الإله عليهم من فتية	وسقى عظامهم الغمام المسبل ⁽⁷⁾

(1) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (24/4، 25).

(2) انظر: البداية والنهاية (259/4).

(3) أحن: من الحنين، وفي رواية أحن: صوت يخرج من الأنف عند البكاء.

(4) أتململ: أتقلب متبرماً بمضجعي.

(5) يريد أنه بات يرعى النجوم طول ليله من طول السهاد.

(6) المدخل: النافذ إلى الداخل.

(7) المسبل: الممطر.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

صبروا بمؤتة لئلا نفوسهم حذر الردى ومخافة أن ينكلوا⁽¹⁾
 فمضوا أمام المسلمين كأنهم فُنُق⁽²⁾ عليهن الحديد المرفل⁽³⁾
 إذ يهتدون بجعفر ولوائه قدام أولهم فنعم الأول
 حتى تفرجت الصفوف وجعفر حيث التقى وعث الصفوف مجدل
 فتغير القمر المنير لفقده والشمس قد كسفت وكادت تأفل⁽⁴⁾

هذه بعض الأبيات التي بكى بها كعب بن مالك شهداء مؤتة، ولم يتغيب حسان بن ثابت رضي الله عنه عن نظم القصائد في بكاء قتلى مؤتة، وبكاء جعفر بن أبي طالب، وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة، فقد كانت المؤسسة الإعلامية تقوم بدورها بتفوق وجدارة وتتعبد المولى عز وجل بما أخصها به من ملكات ومواهب شعرية فذة.

* * *

(1) صبروا نفوسهم: حبسوها على ما يريدون، ينكلوا: يرجعوا هائبيين.

(2) فُنُق: الفحول من الإبل.

(3) المرفل: الذي تنجر أطرافه على الأرض، يريد أن دروعهم سابعة.

(4) تأفل: تغيب، السيرة النبوية لابن هشام (33/4، 34).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

المبحث الخامس

سرية ذات السلاسل

لم تمض سوى أيام على عودة الجيش من مؤتة إلى المدينة حتى جهز النبي صلى الله عليه وسلم جيشاً بقيادة عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل، وذلك لتأديب قضاة التي غرها ما حدث في مؤتة التي اشتركت فيها إلى جانب الروم، فتجمعت تريد الدنو من المدينة، فتقدم عمرو بن العاص في ديارها ومعه ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار، ولما وصل إلى مكان تجمع الأعداء بلغه أن لهم جموعاً كثيرة، فأرسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب المدد فجاءه مدد بقيادة أبي عبيدة ابن الجراح⁽¹⁾، وقاتل المسلمون الكفار وتوغل عمرو في ديار قضاة التي هربت وتفرقت وانهزمت، ونجح عمرو في إرجاع هيبة الإسلام لأطراف الشام، وإرجاع أحلاف المسلمين لصدقاتهم الأولى، ودخول قبائل أخرى في حلف المسلمين، وإسلام الكثيرين من بني عبس، وبني مرة وبني ذبيان، وكذلك فزارة وسيدھا عيينة بن حصن في حلف مع المسلمين، وتبعها بنو سليم، وعلى رأسهم العباس بن مرداس، وبنو أشجع، وأصبح المسلمون هم الأقوى في شمال بلاد العرب، وإن لم يكن في بلاد العرب جميعها⁽²⁾.

وفي هذه السرية دروس وعبر وحكم منها:

1- إخلاص عمرو بن العاص رضي الله عنه:

قال عمرو بن العاص: بعث إليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: خذ عليك ثيابك، وسلاحك ثم انتني فأتيت، وهو يتوضأ، فصعد في النظر، ثم طأطأ، فقال: إني أريد أن أبعثك على جيش⁽³⁾ فيسلمك الله ويغنمك، وأرغب لك في المال رغبة صالحة، قال: قلت: يا رسول الله ما أسلمت من أجل المال، ولكني أسلمت رغبة في الإسلام، وأن أكون مع رسول الله صلى الله عليه

(1) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (471/2). (2) انظر: السيرة النبوية لأبي شعبة (433/2).

(3) جيش سرية ذات السلاسل.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا عمرو نعم المال الصالح للمرء الصالح»⁽¹⁾.

فهذا الموقف يدل على قوة إيمان وصدق وإخلاص عمرو بن العاص للإسلام وحرصه على ملازمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد بين له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن المال الحلال نعمة إذا وقع بيد الرجل الصالح؛ لأنه يبتغي به وجه الله ويصرفه في وجوه الخير ويعف به نفسه وأسرته⁽²⁾.

2- الاتحاد قوة والتنازع ضعف:

عندما وصل المدد الذي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيادة أبي عبيدة بن الجراح لجيش عمرو في ذات السلاسل، أراد أبو عبيدة أن يؤم الناس ويتقدم عمرو، فقال له عمرو: إنما قدمت علي مدداً لي، وليس لك أن تؤمني، وأنا الأمير، وإنما أرسلك النبي صلى الله عليه وسلم إلي مدداً، فقال المهاجرون كلا، بل أنت أمير أصحابك وهو أمير أصحابه، فقال عمرو: لا، بل أنتم مدد لنا، فلما رأى أبو عبيدة الاختلاف، وكان حسن الخلق، لين الطبع، قال: لتظمنن يا عمرو، وتظمنن أن آخر ما عهد إلي رسول الله أن قال: إذا قدمت على صاحبك فتطوعا ولا تختلفا، وأنتك والله إن عصيتني لأطيعنك، فأطاع أبو عبيدة، فكان عمرو يصلي بالناس⁽³⁾.

لقد أدرك أبو عبيدة رضي الله عنه أن أي اختلاف بين المسلمين في سرية ذات السلاسل يؤدي إلى الفشل، ومن ثم تغلب العدو عليهم، ولهذا سارع إلى قطع النزاع، وانضم جندياً تحت إمرة عمرو بن العاص امتثالاً لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم «لا تختلفا»⁽⁴⁾.

3- حرص عمرو بن العاص على سلامة قواته:

ظهرت عبقرية عمرو العسكرية في ذات السلاسل في حرصه على وحدة الصف، وفي حرصه

(1) رواه ابن حبان كما في الموارد 2277، صحيح السيرة، ص 508، صححه الألباني رحمه الله في صحيح الأدب المفرد.

(2) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (133/7).

(3) انظر: مغازي رسول الله لعروة، ص 207، وأسانيد ضعيفة.

(4) انظر: غزوة الحديبية لأبي فارس، ص 209.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

على سلامة قوته ويتجلى ذلك في عدة صور منها:

أ- أنه كان يسير ليلاً ويختفي نهاراً: كان عمرو يدرك بثاقب بصره، وبعد نظره أن العدو يمكن أن يسعى إلى معرفة أخباره قبل اللقاء بينهما، فيستعد للقاء جيش المسلمين؛ ولهذا رأى عمرو رضي الله عنه أن السير ليلاً والاختفاء نهاراً هو أفضل أسلوب للمحافظة على قواته وحقق بذلك أمرين مهمين:

* إخفاء تحركاته عن عدوه وبذلك يضمن سلامة قواته.

* حماية الجند من شدة الحر وحتى يبقى لهم نشاطهم فيصلون إلى مكان المواجهة، وهم أقوياء على مجابهة أعدائهم.

ب- عدم السماح للجند بإيقاد النار: عندما طلب الجنود من عمرو أن يسمح لهم بإيقاد النار لحاجتهم الماسة إلى التدفئة منعهم من ذلك معتمداً في ذلك على خبرته الحربية وعمق فكره العسكري وخوفاً من وقوع مفسدة أعظم من تلك المصلحة وهي أن يمتد الضوء فيكشف المسلمين، وهم قلة لأعدائهم فيهمجوا عليهم، ويتجلى هذا الفقه في حزمه الشديد مع أصحابه عندما كلمه أبو بكر في ذلك فقال: لا يوقد أحد منهم ناراً إلا قذفته فيها، فلما رجعوا إلى المدينة ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: كرهت أن آذن لهم أن يوقدوا ناراً فيرى عدوهم قتلهم⁽¹⁾، فأقره النبي صلى الله عليه وسلم على فعله.

ج- منع الجند من مطاردة أعدائهم: عندما هزم المسلمون أعداءهم طمعوا فيهم، فأرادوا مطاردتهم وتتبع فلولهم، ولكن قائد السرية منع جنده من ذلك لئلا يترتب على هذه المطاردة مفسدة أعظم منها، وهي أن يقع المسلمون في كمين. ويتجلى هذا الفقه في قول عمرو بن العاص رضي الله عنه للرسول صلى الله عليه وسلم: وكرهت أن يتبعوهم فيكون لهم مدد⁽²⁾، فأقره النبي

(1) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص509.

(2) نفس المصدر، 509.

صلى الله عليه وسلم على هذا التصرف الحكيم الذي حقق للجيش الأمن والحماية⁽¹⁾.

4- من فقه عمرو بن العاص رضي الله عنه:

قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فتيمنت، ثم صليت بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟ فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال وقلت: إني سمعت الله يقول: (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا) [النساء: 29]. فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئاً⁽²⁾، ولقد استنبط بعض الأحكام من هذه القصة:

أ- التيمم يقوم مقام الغسل بالنسبة للجنب مع وجود الماء إذا خشي أن يؤدي استخدام الماء إلى الضرر، فلقد تيمم عمرو بن العاص لما أصبح جنباً مع وجود الماء عنده وصلى وأقره الرسول صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه.

ب- يجوز الاجتهاد في عهده صلى الله عليه وسلم: فقد اجتهد عمرو بن العاص فتيمة وصلى وقد احتلم في تلك الليلة الباردة اعتماداً على قوله تعالى (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا) [النساء: 29] فلم ينكر عليه الرسول صلى الله عليه وسلم اجتهاده بل أقره على أمرين: الأول: جواز الاجتهاد، والثاني تصحيح اجتهاده.

ج- من الأسباب المبيحة للتيمم تعذر استخدام الماء وإن وجد كالبرد الشديد.

د- تجوز إمامة المتيمم بالمتوضى: فقد صلى عمرو بن العاص وهو متيمم إماماً بخمسائة صحابي قد توضأوا، وأقره الرسول على ذلك ولم ينكر عليه.

هـ- اجتهاد عمرو بن العاص يدل على فقهه ووفور عقله، ودقة استنباطه الحكم من دليله⁽³⁾. ولئن وقف الفقهاء عند هذه الحادثة يفرعون عليها الأحكام فإن الذي يستوقفنا⁽¹⁾ في

(1) انظر: القيادة العسكرية في عهد الرسول، ص540.

(2) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص509، قال إبراهيم العلي: الحديث إسناده صحيح.

(3) انظر: غزوة الحديبية لأبي فارس، ص210.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

السيرة منها تلك السرعة في أخذ عمرو للقرآن وصلته به حتى بات قادرًا على فقه الأمور من خلال الآيات وهو لم يمض على إسلامه أربعة أشهر، إنه الحرص على الفقه في دين الله، وقد يكون عمرو -وهذا احتمال وارد- على صلة بالقرآن قبل إسلامه يتتبع ما يستطيع الوصول إليه، وحينئذ نكون أمام مثال آخر من عظمة هذا القرآن الذي لوى أعناق الكافرين وجعلهم وهم في أشد حالات العداوة لهذا الدين يحاولون استماع هذا القرآن، كما رأينا ذلك في العهد المكي، ويؤيد هذا ما رأيناه من معرفته بالقرآن حينما طلب من النجاشي أن يسأل مهاجري الحبشة عن رأيهم في عيسى عليه السلام⁽²⁾.

5- من نتائج سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشمال:

اتجهت حملات المسلمين العسكرية بعد صلح الحديبية نحو الشمال، وأصبح غرب الجزيرة وجنوبها الغربي حيث تقبع مكة آمنة في ظلال الصلح⁽³⁾، وحققت سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدافها ومقاصدها في شمال الجزيرة، فوصلت إلى حدود الروم، فأمنت حدود الدولة الإسلامية، وبسطت هيبتها وأفشلت محاولات الإغارة على المدينة، وبذلك حققت سياسية النبي صلى الله عليه وسلم في حركة السرايا هدفين عظيمين هما:

1- تأمين حماية الدين الإسلامي في الداخل.

2- حمايته في الخارج⁽⁴⁾.

وما من شك أن المتتبع لأحداث السيرة النبوية الشريفة والمطلع على تفاصيلها ودقائقها بإمعان يجد بحق أن صلح الحديبية هو من أهم المكاسب السياسية، والعسكرية، والإعلامية، بل هو حصيلة كسب لأعظم معركة دارت بين الإسلام والوثنية في العهد النبوي، من حيث النتائج الإيجابية التي رسخت دعائم الإسلام، من جهة، وصدعت بفعلها قواعد الشرك والوثنية من جهة

(1) القائل هو صالح أحمد الشامي صاحب معين السيرة، ص381.

(2) انظر: معين السيرة، ص381. (4) انظر: المجتمع المدني للعمري، ص170.

(4) الإعلام في صدر الإسلام، د. عبد اللطيف حمزة، ص173.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

أخرى، وما حدث في خيبر من فتوح، وفي مؤتة من نصر، وفي ذات السلاسل من توسيع
هيئة الدولة الإسلامية إلا نتائج تابعة لصلح الحديبية⁽¹⁾ وبسبب القدرة الفائقة في تعامل النبي
صلى الله عليه وسلم مع سنن الله في المجتمعات والشعوب، وبناء الدول.

* * *

(1) انظر: منهج الإعلام الإسلامي، ص 337.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

المبحث الأول

أسبابها، والاستعداد للخروج والشروع فيه

أولاً: أسبابها:

1- ارتكبت قريش خطأ فادحاً عندما أعانت حلفاءها بني بكر على خزاعة حليفة المسلمين بالخيول والسلاح والرجال، وهاجم بنو بكر وحلفاؤهم قبيلة خزاعة عند ماء يقال له الوثير، وقتلوا أكثر من عشرين من رجالها⁽¹⁾، ولما لجأت خزاعة إلى الحرم الآمن - ولم تكن متجهزة للقتال- لتمنع بني بكر منه، قالت لقائدهم: يا نوفل، إنا قد دخلنا حرم إلهك! فقال نوفل: لا إله اليوم، يا بني بكر أصيبوا ثأركم⁽²⁾، عندئذ خرج عمرو بن سالم الخزاعي، في أربعين من خزاعة، حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة، وأخبروه بما كان من بني بكر، وبمن أصيب منهم، وبمناصرة قريش بني بكر عليهم، ووقف عمرو بن سالم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد بين ظهراي الناس فقال:

يا رب إني ناشدُ محمدًا حلف أبينا وأبيه الأتلا
قد كنتم ولداً، وكنا والدًا ثمت أسلمنا فلم ننزع يدًا⁽³⁾
فانصر -هداك الله- نصرًا أعتدا وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا إن سيم خسفا وجهه ترابا

(1) انظر: الواقدي (781/2 - 784).

(2) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (39/4).

(3) يريد أن أم عبد مناف وأم قصير خزايعتان.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

في فيلق كالبجر يجري مزبداً إن قريشاً أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا وجعلوا لي في (كداء) رُصداً
وزعموا أن لست أدعو أحدا وهم أذل وأقل عددا
هم بيتونا بالوتير هجدا وقتلونا رگعا وسُجداً

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «نُصرت يا عمرو بن سالم! (1) لا نصرني الله إن لم أنصر بني كعب» ولما عرض السحاب من السماء قال: إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب (2).

وجاء في رواية: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن سمع وتأكد من الخبر أرسل إلى قريش فقال لهم: «أما بعد، فإنكم إن تبرؤوا من حلف بني بكر، أئدوا خزاعة (3)، وإلا أؤذنكم بحرب» فقال قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف صهر معاوية: إن بني بكر قوم مشائيم، فلا ندى ما قتلوا لنا سبداً، ولا لبد (4)، ولا نبرأ من حلفهم فلم يبق على ديننا أحد غيرهم، ولكن نؤذنه بحرب (5).

وفي هذا دليل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفاجئ قريشاً بالحرب وإنما خيرهم بين هذه الخصال الثلاث فاختراروا الحرب (6).

2- أبو سفيان يحاول تلافي حماقة قريش:

بعثت قريش أبا سفيان إلى المدينة لتمكين الصلح وإطالة أمده، وعندما وصل إلى المدينة ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض حاجته، أعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجبه، فاستعان بكبار الصحابة أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي حتى يتوسطوا بينه

(1) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (44/4).

(2) المصدر نفسه (44/4)، البداية والنهاية (278/4).

(3) أي تدفعوا دية قتلاهم.

(4) السيد: الشعر واللبد: الصوف، يعني إن فعلنا ذلك لم يبق لنا شيء.

(5) انظر: المطالب العالية (243/4) رقم 4361، قال ابن حجر: مرسل صحيح الإسناد.

(6) انظر: التاريخ الإسلامي (164/7).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وبين رسول الله، فأبوا جميعاً، فعاد أبو سفيان إلى مكة من غير أن يحظى بأي اتفاق أو عهد⁽¹⁾، ومما يذكر عند نزوله في المدينة أنه دخل على ابنته أم حبيبة أم المؤمنين، وأراد أن يجلس على فراش رسول الله طوته عنه، فقال: يا بنية، ما أدري، أرغبت بي عن هذا الفراش، أم رغبت به عني؟! قالت: بل هذا فراش رسول الله، وأنت مشرك نجس، قال: والله لقد أصابك بعدي شر⁽²⁾.

وهذا الموقف لا يستغرب من أم حبيبة، فهي ممن هاجر الهجرتين وقد قطعت صلاتها بالجاهلية منذ أمد بعيد، إنها لم تر أباه منذ ست عشرة سنة، فلما رآته لم تر فيه الوالد الذي ينبغي أن يقدر ويحترم، وإنما رأت فيه رأس الكفر الذي وقف في وجه الإسلام وحارب رسوله تلك السنوات الطويلة⁽³⁾، وهذا ما كان يتصف به الصحابة رضي الله عنهم من تطبيق أحكام الإسلام في الولاء والبراء وإعزاز الإسلام والمسلمين. وفي مخاطبة أم حبيبة لأبيها بهذا الأسلوب -مع كونه أباه- ومع مكانته العالية في قومه وعند العرب- دليل على قوة إيمانها ورسوخ يقينها، لقد كان في سلوك أم حبيبة مظهر من اجتهاد الصحابة البالغ في إظهار أمر له أهميته البالغة في المحافظة على شخصية المسلم ودفع مغنوياته إلى النماء والحيوية⁽⁴⁾.

وأمام نقض قريش للعهد والمواثيق مع المسلمين فقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على فتح مكة وتأديب كفارها، وقد ساعده على ذلك العزم -بعد توفيق الله- عدة أسباب منها:

أ- قوة جبهة المسلمين الداخلية في المدينة وتماسكها: فقد تخلصت الدولة الإسلامية من غدر اليهود، وتم القضاء على يهود بني قينقاع، وبني النضير، وبني قريظة، ويهود خيبر.

ب- ضعف جبهة الأعداء في الداخل: وفي مقدمة هؤلاء المنافقون الذين فقدوا الركن الركين لهم -وهو يهود المدينة- فهم أساتذتهم الذين يوجهونهم ويشيرون عليهم.

(1) انظر: التاريخ السياسي والعسكري، د. علي معطي، ص365.

(2) انظر: البداية والنهاية (479/4).

(3) انظر: معين السيرة، ص395.

(4) انظر: التاريخ الإسلامي (170/7، 171).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

ج- اهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم بتطوير القوة العسكرية، وإرسال السرايا في فترة الصلح؛ وبذلك أصبحت متفوقة على قوة مشركي قريش حيث العدد والعدة والروح المعنوية.

د- كانت الغزوة بعد أن ضعفت قريش اقتصادياً وبعد أن قويت الدولة الإسلامية اقتصادياً، فقد فتح المسلمون خيبر وغنموا منها أموالاً كثيرة.

هـ- انتشر الإسلام في القبائل المجاورة للمدينة، وهذا يطمئن القيادة حين تتخذ قرارها العسكري بنقل قواتها ومهاجمة أعدائها.

و- قيام السبب الجوهري والقانوني لغزو مكة، وهو نقض قريش للعهد والعقد⁽¹⁾. ونلاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يضع قانون الفرصة وتعامل معه بحكمة بالغة، فكان فتح خيبر، وذلك بعد صلح الحديبية، والآن تتاح فرصة أخرى بعد أن نقضت قريش عهدها، وتغيرت موازين القوى في المنطقة، فكان لا بد من الاستفادة من المعطيات الجديدة، فأعد صلى الله عليه وسلم جيشاً لم تشهد له الحجاز مثيلاً من قبل، فقد وصلت عدته إلى عشرة آلاف رجل⁽²⁾.

ثانياً: الاستعداد للخروج:

إن حركة النبي صلى الله عليه وسلم في بناء الدولة وتربية المجتمع وإرسال السرايا، وخروجه في الغزوات، تعلمنا كيفية التعامل مع سنة الأخذ بالأسباب، سواء كانت تلك الأسباب مادية أو معنوية، ففي غزوة الفتح نلاحظ هذه السنة واضحة في هديه صلى الله عليه وسلم؛ فعندما قرر صلى الله عليه وسلم السير لفتح مكة، حرص على كتمان هذا الأمر؛ حتى لا يصل الخبر إلى قريش فتعد العدة لمجابهته، وتصده قبل أن يبدأ في تنفيذ هدفه، وشرع في الأخذ بالأسباب الآتية لتحقيق مبدأ المباغته:

(1) انظر: السيرة لأبي فارس، ص401.

(2) انظر: الكامل في التاريخ (244/2)، التاريخ السياسي والعسكري ص366.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

1- أنه كتم أمره حتى عن أقرب الناس إليه:

فقد أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بمبدأ السرية المطلقة والكتمان الشديد حتى عن أقرب الناس إليه وهو أبو بكر رضي الله عنه أقرب أصحابه إلى نفسه، وزوجته عائشة رضي الله عنها أحب نسائه إليه، فلم يعرف أحد شيئاً عن أهدافه الحقيقية، ولا باتجاه حركته، ولا بالعدو الذي ينوي قتاله؛ بدليل أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه عندما سأل ابنته عائشة رضي الله عنها عن مقصد الرسول صلى الله عليه وسلم قالت له: ما سمى لنا شيئاً. وكانت أحياناً تصمت، وكلا الأمرين يدل على أنها لم تعلم شيئاً عن مقصده صلى الله عليه وسلم⁽¹⁾.

ويستنبط من هذا المنهج النبوي الحكيم أنه ينبغي للقادة العسكريين أن يخفوا خططهم عن زوجاتهم؛ لأنهن ربما يذعن شيئاً من هذه الأسرار -عن حسن نية- فتنتقلها الألسن حتى تصير سبباً في حدوث كارثة عظيمة⁽²⁾.

2- أنه بعث سرية بقيادة أبي قتادة إلى بطن إضم:

بعث النبي صلى الله عليه وسلم قبل مسيرة مكة سرية مكونة من ثمانية رجال؛ وذلك لإسداد الستار على نياته الحقيقية، وفي ذلك يقول ابن سعد: (لما هم رسول الله صلى الله عليه وسلم بغزو أهل مكة بعث أبا قتادة بن ربعي في ثمانية نفر سرية إلى بطن إضم⁽³⁾ ليظن ظان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توجه إلى تلك الناحية؛ ولأن تذهب بذلك الأخبار، فمضوا ولم يلقوا جمعاً، فانصرفوا حتى انتهوا إلى ذي خُشب⁽⁴⁾ فبلغهم أن رسول الله قد توجه إلى مكة، فأخذوا على (بيبين) حتى لقوا النبي صلى الله عليه وسلم بالسُّقيا⁽⁵⁾)⁽⁶⁾.

وهذا منهج نبوي حكيم في توجيه القادة من بعده إلى وجوب أخذ الحذر وسلوك ما يمكن من

(1) انظر: البداية والنهاية (282/4)، الرسول القائد، شيت خطاب، ص333، 334.

(2) انظر: القيادة العسكرية في عهد الرسول، ص395، 396.

(3) بطن إضم: وادي المدينة الذي يجتمع فيه الوديان الثلاثة، بطحان، وقناة، والعقيق.

(4) ذو خُشب: هو موضع على مرحلة من المدينة إلى الشام يبعد عن المدينة 35 ميلاً.

(5) السُّقيا: موضع يقع في وادي القرى، معجم البلدان (288/3).

(6) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (132/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

أساليب التضليل على الأعداء والإيهام التي من شأنها صرف أنظار الناس عن معرفة مقاصد الجيوش الإسلامية التي تخرج من أجل الجهاد في سبيل الله حتى تحقق أهدافها وتسلم من كيد أعدائها⁽¹⁾.

3- أنه بعث العيون لمنع وصول المعلومات إلى الأعداء:

بث صلى الله عليه وسلم رجال استخبارات الدولة الإسلامية داخل المدينة وخارجها حتى لا تنتقل أخباره إلى قريش، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأنقاب⁽²⁾، فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف على الأنقاب قِيَمًا بهم فيقول: لا تدعوا أحدا يمر بكم تنكرونه إلا ردتموه.. إلا من سلك إلى مكة فإنه يتحفظ به ويسأل عنه أو ناحية مكة⁽³⁾.

إن جمع المعلومات سلاح ذو حدين، وقد استفاد الرسول صلى الله عليه وسلم من حدّه النافع لصالح المسلمين، وأبطل مفعول الحد الآخر باتباعه السريّة واتخاذها أساساً لتحركاته واستعداداته؛ ليحرم عدوه من الحصول على المعلومات التي تفيد في الاستعداد لمجابهة هذا الجيش بالقوة المناسبة⁽⁴⁾.

4- دعاؤه صلى الله عليه وسلم بأخذ العيون والأخبار عن قريش:

وبعد أن أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأسباب البشرية التي في استطاعته توجه إلى الله عز وجل بالدعاء والتضرع قائلاً: «اللهم خذ على أسماعهم وأبصارهم فلا يرونا إلا بغتة ولا يسمعون بنا إلا فجأة»⁽⁵⁾.

وهذا شأن النبي صلى الله عليه وسلم في أموره؛ يأخذ بجميع الأسباب البشرية، ولا ينسى التضرع والدعاء لرب البرية ليستمد منه التوفيق والسداد.

(1) انظر: القيادة العسكرية، ص498.

(2) الأنقاب: جمع نقب، وهو كالعريف على القوم.

(3) التحفظ: هو الاحتراز والتيقظ، مغازي الواقدي (796/2).

(4) انظر: القيادة العسكرية، ص365.

(5) انظر: البداية والنهاية (282/4).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

5- إحباط محاولة تجسس حاطب لصالح قريش:

عندما أكمل النبي صلى الله عليه وسلم استعداداته للسير إلى فتح مكة، كتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى أهل مكة يخبرهم فيه نبأ تحرك النبي صلى الله عليه وسلم إليهم، وأرسله مع امرأة مسافرة إلى مكة، ولكن الله -سبحانه وتعالى- أطلع نبيه صلى الله عليه وسلم عن طريق الوحي على هذه الرسالة، ففضى صلى الله عليه وسلم على هذه المحاولة وهي في مهدها، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم علياً والزبير والمقداد فأمسكوا بالمرأة في روضة خاخ على بعد اثني عشر ميلاً من المدينة، وهددوها أن يفتشوها إن لم تخرج الكتاب فسلمته لهم، ثم استدعي حاطب رضي الله عنه للتحقيق، فقال: يا رسول الله، لا تعجل علي، إني كنت امرأة ملصقة في قريش -يقول: كنت حليفاً- ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون بها أهلهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون قرابتي، ولم أفعله ارتداداً عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما إنه قد صدقكم».

فقال عمر: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال صلى الله عليه وسلم: إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدراً فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم⁽¹⁾، فأنزل الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْفُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ) [الممتحنة: 1].

ويقول الأستاذ سيد قطب: على الرغم من كل ما ذاق المهاجرون من العنت والأذى من قريش فقط ظلت بعض النفوس تود لو وقعت بينهم وبين أهل مكة المحاسنة والمودة، وأن لو انتهت هذه

(1) البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الفتح، (105/5) رقم 4274.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

الخصومة القاسية التي تكلفهم قتال أهليهم وذوي قرابتهم، وتقطع ما بينهم وبينهم من صلات، وكأن الله يريد استقصاء هذه النفوس واستخلاصها من كل هذه الوشائج، وتجريدها لدينه وعقيدته ومنهجه... فكان يأخذهم يوماً بعد يوم بعلاجه الناجع البالغ، بالأحداث والتعقيب على الأحداث ليكون العلاج على مسرح الأحداث، وليكون الطرق والحديد ساخن⁽¹⁾.

ثالثاً: الشروع في الخروج وأحداث في الطريق:

1- خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قاصداً مكة في العاشر من رمضان من العام الثامن للهجرة⁽²⁾ واستخلف على المدينة أبا رهم، كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفاري⁽³⁾ وكان عدد الجيش عشرة آلاف فيهم المهاجرون والأنصار الذين لم يتخلف منهم أحد، فصار هو ومن معه إلى مكة يصوم ويصومون، فلما وصل الجيش الكديد (الماء الذي بين قديد وعسفان) أفطر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفطر الناس معه⁽⁴⁾ وفي الجحفة لقيه العباس بن عبد المطلب عمه وقد خرج مهاجراً بعياله، فسر صلى الله عليه وسلم⁽⁵⁾. وفي خروج العباس بأهله وأولاده من مكة -وكان بها بمثابة المراسل العسكري أو مدير الاستخبارات هناك- إشارة إلى أن مهمته فيها قد انتهت، وخاصة إذا لاحظنا أن بقاءه في مكة كان بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم⁽⁶⁾.

2- إسلام أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أمية:

خرج أبو سفيان بن الحارث وعبد الله بن أمية بن المغيرة من مكة، فلقيا رسول الله بثنية العقاب فيما بين مكة والمدينة، فالتمسا الدخول عليه، فكلمته أم سلمة فقالت: يا رسول الله ابن عمك، وابن عمك وصهرك، فقال: لا حاجة لي فيهما؛ أما ابن عمي فهتك عرضي، وأما ابن عمتي وصهرتي فهو الذي قال لي بمكة ما قال، فلما خرج الخبر إليهما بذلك -ومع أبي سفيان بن

(1) في ظلال القرآن (358/6).

(2) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 560، 561.

(3) المصدر نفسه، ص 561.

(4) البخاري، كتاب المغازي (106/5) رقم 4276.

(5) انظر: البداية والنهاية (286/4)، السيرة النبوية لأبي فارس، ص 406.

(6) انظر: تأملات في السيرة النبوية، محمد السيد الوكيل، ص 254.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

الحارث ابن له- فقال: والله ليأذنن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لآخذن بيد ابني هذا، ثم لنذهب في الأرض حتى نموت عطشاً أو جوعاً، فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم رقى لهما، فدخل عليهما، فأنشده أبو سفيان قوله في إسلامه واعتذاره عما كان مضى فيه فقال:

لعمرك إني يوم أحمل راية لتغلب خيل اللات خيل محمد
لكالمدلج الحيران أظلم ليله فهذا أوان الحق أهدي وأهتدي
فقل لتثقيف لا أريد قتالكم وقل لتثقيف تلك عندي فأوعدي
هداني هاد غير نفسي ودلني إلى الله من طردت كل مطرد
أفر سريعاً جاهداً عن محمد وأدعى وإن لم أنتسب لمحمد
هم عسبة من لم يقل بهوهم وإن كان ذا رأي يلم ويفند
أريد لأرضيهم ولست بلاقط مع القوم ما لم أهد في كل مقعد
فما كنت في الجيش الذي نال عامراً وما كان عن غير لساني ولا يدي
قبائل جاءت من بلاد بعيدة توابع جاءت من سهام وسردد
وإن الذي أخرجتم وشتتم سيسعى لكم امرؤ غير مقدد⁽¹⁾

قال: فلما أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم (إلى الله من طردت كل مطرد)، ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدره، فقال: «أنت طردتني كل مطرد»⁽²⁾.

كان أبو سفيان بن الحارث يهجو بشعره رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً، وأما عبد الله بن أمية فقد قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: (فوالله لا أومن بك حتى تتخذ إلى السماء سلماً ثم ترقى فيه وأنا أنظر إليك حتى تأتيها، ثم تأتي بصك معه أربعة من الملائكة يشهدون لك كما تقول، ثم وايم الله لو فعلت ذلك ما ظننت أني أصدقك)⁽³⁾.

(1) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 517.

(2) أخرجه الحاكم في المستدرک (3/43-45) ومجمع الزوائد (6/164-167).

(3) انظر: ابن هشام (1/295-300).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

ومع فداحة جرمهما فإن النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنهما وقبل عذرهما، وهذا مثال عالٍ في الرحمة والعفو والتسامح، ولقد كفر أبو سفيان بن الحارث عن أشعاره السابقة بهذه القصيدة البليغة التي قالها في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وبيان اهتدائه به، ولقد حسن إسلامه، وكان له موقف مشرف في الجهاد مع رسول الله في معركة حنين⁽¹⁾.

3- النزول بمر الظهران وإسلام أبي سفيان بن حرب سيد قريش:

وتابع رسول الله صلى الله عليه وسلم سيره حتى أتى مر الظهران⁽²⁾ فنزل فيه عشاء، فأمر الجيش فأوقدوا النيران، فأوقدت عشرة آلاف نار، وجعل رسول الله على الحرس عمر بن الخطاب⁽³⁾.

قال العباس: فقلت: واصباح قريش! والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه، إنه لهلك قريش إلى آخر الدهر، وركب بغلة رسول الله وخرج يلتمس من يوصل الخبر إلى مكة ليخرجوا إلى رسول الله فيستأمنوه قبل أن يدخلها عنوة، وكان أبو سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء قد خرجوا يلتمسون الأخبار، فلما رأوا النيران قال أبو سفيان: ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكرياً، فقال بديل: هذه والله خزاعة حمشتها الحرب⁽⁴⁾، فقال أبو سفيان: خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها.. وسمع العباس أصواتهم فعرفهم فقال: يا أبا حنظلة، فقال: أبو الفضل؟ قلت: نعم، قال: ما لك، فذاك أبي وأمي؟! قال العباس: قلت: ويحك يا أبا سفيان، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس واصباح قريش والله! قال: فما الحيلة فذاك أبي وأمي؟! قال: قلت: والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك، فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله فأستأمنه لك، قال: فركب خلفي ورجع صاحبه، فجئت به، كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا: من هذا؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه

(1) انظر: التاريخ الإسلامي (182/7).

(2) مر الظهران: واد من أودية الحجاز شمال مكة بـ 22 كم.

(3) انظر: معين السيرة، ص 387، الطبقات لابن سعد (135/2).

(4) حمشتها الحرب: أحرقتها.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وسلم وأنا عليها قالوا: عم رسول الله على بغلته، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال: من هذا؟ وقام إلي فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال: أبو سفيان عدو الله، الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد، ثم خرج يشد نحو رسول الله **صلى الله عليه وسلم**، ودخل عليه عمر فقال: يا رسول الله هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد، فدعني فلأضرب عنقه، قال: قلت: يا رسول الله، إني قد أجرته. فلما أكثر عمر في شأنه قلت: مهلا يا عمر، فوالله أن لو كان من بني عدي ما قلت هذا، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف، فقال: مهلا يا عباس، فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم، وما بي إلا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله **صلى الله عليه وسلم** من إسلام الخطاب لو أسلم، فقال **صلى الله عليه وسلم**: «أذهب به يا عباس إلى رحلك فإذا أصبحت فأتني به»، فلما أصبح غدوت به، فلما رآه رسول الله **صلى الله عليه وسلم** قال: «ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟» قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عني بعد، قال: «ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله؟» قال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! أما هذه والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئاً، فقال له العباس: ويحك أسلم قبل أن نضرب عنقك، قال: فشهد شهادة الحق فأسلم. قال العباس: قلت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً، قال: «نعم، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابيه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن» فلما ذهب لينصرف قال رسول الله: «يا عباس، احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل، حتى تمر به جنود الله فيراها» قال: فخرجت حتى حبسته حيث أمرني رسول الله **صلى الله عليه وسلم** ومرت القبائل على راياتها، كلما مرت قبيلة قال: يا عباس من هذه؟ فأقول: سليم، فيقول: ما لي وسليم، ثم تمر به القبيلة فيقول: يا عباس من هؤلاء؟ فأقول: مزينة، فيقول: ما لي ولمزينة.. حتى مر به رسول الله **صلى الله عليه وسلم** في كتيبته الخضراء، فيها المهاجرون والأنصار، لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد، قال: سبحان الله يا عباس، من هؤلاء؟ قال: قلت: هذا رسول الله **صلى الله عليه وسلم**

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

في المهاجرين والأنصار، قال: ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة، ثم قال: والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيماً. قال: قلت: يا أبا سفيان: إنها النبوة، قال: فنعن إذن، قال: قلت: النجاء إلى قومك⁽¹⁾.

إن في هذه القصة دروساً وعبراً وحكماً في كيفية معاملة رسول الله صلى الله عليه وسلم للنفوس البشرية ومن أهم هذه الدروس:

1- عندما أصبح أبو سفيان رهينة بيد المسلمين، وأصبح رهن إشارة النبي صلى الله عليه وسلم، وهم به عمر، وأجاره العباس، ثم جاء في صبيحة اليوم الثاني ليمثل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت المفاجأة الصاعقة له بدل التوبيخ والتهديد والإذلال أن يدعى إلى الإسلام، فتأثر بهذا الموقف واهتز كيانه؛ فلم يملك إلا أن يقول: بأبي أنت وأمي يا محمد، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! إنه يفدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبيه وأمه، ويثني عليه الخير كله: ما أحلمك وأكرمك وأوصلك!⁽²⁾ وعندما قال العباس للنبي صلى الله عليه وسلم: إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً قال النبي صلى الله عليه وسلم: «نعم، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن» ففي تخصيص بيت أبي سفيان شيئاً يشبع ما تتطلع إليه نفس أبي سفيان، وفي هذا تثبيت له على الإسلام وتقوية لإيمانه⁽³⁾ وكان هذا الأسلوب النبوي الكريم عاملاً على امتصاص الحقد من قلب أبي سفيان، وبرهن له بأن المكانة التي كانت له عند قريش، لن تنتقص شيئاً في الإسلام، إن هو أخلص له وبذل في سبيله⁽⁴⁾ وهذا منهج نبوي كريم على العلماء والدعاة إلى الله أن يستوعبوه ويعملوا به في تعاملهم مع الناس.

(1) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص518-520.

(2) انظر: فقه السيرة النبوية للغضبان، ص564.

(3) انظر: المستفاد من قصص القرآن (403/2).

(4) انظر: قراءة سياسية للسيرة النبوية، محمد رواس، ص245.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

2- وفي قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمة العباس عن أبي سفيان: «احبسه

بمضيق الوادي، حتى تمر به جنود الله فيراها»⁽¹⁾ ففعل العباس، وكان صلى الله عليه وسلم يريد أن يشن حرباً نفسية للتأثير على معنويات قريش حتى يتسنى له القضاء على روح المقاومة عند زعيم مكة، وحتى يرى أبو سفيان بعيني رأسه مدى قوة ما وصل إليه الجيش الإسلامي من تسليح وتنظيم وحسن طاعة وانضباط؛ وبذلك تتحطم أي فكرة في نفوس المكيين يمكن أن تحملهم على مقاومة هذا الجيش المبارك إذا دخل مكة لتحريرها من براثن الشرك والوثنية⁽²⁾، وبالفعل تم ما رسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأدرك أبو سفيان قوة المسلمين، وأنه لا قبل لقريش بهم، حتى إذا مرت به كتيبة المهاجرين والأنصار قال أبو سفيان: سبحان الله! يا عباس، من هؤلاء؟ قال: قلت: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار، قال: ما لأحد بهؤلاء قبّل ولا طاقة والله يا أبا الفضل، لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً، قال: قلت: يا أبا سفيان، إنها النبوة، قال: نعم إذأ....⁽³⁾.

«إنها النبوة»؛ تلك هي الكلمة التي أدارتها الحكمة الإلهية على لسان العباس، حتى تصبح الرد الباقي إلى يوم القيامة على كل من يتوهم أو يوهم أن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم إنما كانت ابتغاء ملك أو زعامة، أو إحياء قومية أو عصبية، وهي كلمة جاءت عنواناً لحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أولها إلى آخرها، فقد كانت ساعات عمره ومراحلها كلها دليلاً ناطقاً على أنه بعث لتبليغ رسالة الله إلى الناس، لا لإشادة ملك لنفسه في الأرض⁽⁴⁾.

لقد تعمد النبي صلى الله عليه وسلم شن الحرب النفسية على أعدائه أثناء سيره لفتح مكة، حيث أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإيقاد النيران فأوقدوا عشرة آلاف نار في ليلة واحدة

(1) انظر: سيرة ابن هشام (52/4).

(2) انظر: القيادة العسكرية في عهد الرسول، ص 447.

(3) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (52/4).

(4) انظر: فقه السيرة النبوية للبوطي، ص 275.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

حتى ملأت الأفق، فكان لمعسكرهم منظر مهيب كادت تنخلع قلوب القرشيين من شدة هوله⁽¹⁾، وقد قصد النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك تحطيم نفسيات أعدائه والقضاء على معنوياتهم حتى لا يفكروا في أية مقاومة، وإجبارهم على الاستسلام لكي يتم له تحقيق هدفه دون إراقة دماء، وبتطبيق هذا الأسلوب تم له صلى الله عليه وسلم ما أراد، ولقد كان اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بمعنويات المقاتل ونفسيته سبقاً عسكرياً؛ بدليل أن المدارس العسكرية التي جاءت فيما بعد جعلت هذا الأمر موضع العناية والاهتمام من الناحية العسكرية⁽²⁾.

* * *

(1) انظر: الطبقات لابن سعد (135/2).

(2) انظر: العبقريّة العسكرية وغزوات الرسول، اللواء محمد فرج، ص565.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

المبحث الثاني

خطة النبي صلى الله عليه وسلم لدخول مكة وفتحها

أولاً: توزيع المهام بين قادة الصحابة:

عندما وصل النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذي طوى⁽¹⁾ وزع المهام، فجعل خالد بن الوليد على المجنبية اليمنى، وجعل الزبير على المجنبية اليسرى، وجعل أبا عبيدة على البياذقة⁽²⁾ وبطن الوادي، فقال: «يا أبا هريرة ادع لي الأنصار» فدعاهم فجاءوا يهرولون، فقال: «يا معشر الأنصار، هل ترون أوباش قريش؟» قالوا: نعم، قال: «انظروا إذا لقيتموهم غداً أن تحصدوهم حصداً» وأخفى بيده ووضع يمينه على شماله وقال: «موعدكم الصفا»⁽³⁾.

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام على المهاجرين وخيلهم، وأمره أن يدخل من كداء من أعلى مكة وأمره أن يغرز رايته بالحجون، ولا يبرح حتى يأتيه، وبعث خالد بن الوليد في قبائل قضاة وسليم وغيرهم وأمره أن يدخل من أسفل مكة، وأن يغرز رايته عند أدنى البيوت، وبعث سعد بن عباد في كتيبة الأنصار في مقدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمرهم أن يكفوا أيديهم ولا يقاتلوا إلا من قاتلهم⁽⁴⁾. وبهذا كانت المسئوليات واضحة، وكل قد عرف ما أسند إليه من مهام والطريق الذي ينبغي أن يسير فيه⁽⁵⁾.

ودخلت قوات المسلمين مكة من جهاتها الأربع في آن واحد، ولم تلق تلك القوات مقاومة، وكان في دخول جيش المسلمين من الجهات الأربع ضربة قاضية لفلول المشركين، حيث عجزت عن التجمع، وضاعت منها فرصة المقاومة، وهذا من التدابير الحربية الحكيمة التي لجأ إليها

(1) انظر: معين السيرة، ص389.

(2) البياذقة: الرحالة.

(3) مسلم، باب فتح مكة.

(4) انظر: معين السيرة، ص390.

رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما أصبح في مركز القوة في العدد والعتاد، ونجحت خطة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فلم يستطع المشركون المقاومة، ولا الصمود أمام الجيش الزاحف إلى أم القرى، فاحتل كل فيلق منطقته التي وجه إليها، في سلم واستسلام، إلا ما كان من المنطقة التي توجه إليها خالد⁽¹⁾، فقد تجمع متطرفو قريش ومنهم صفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو وغيرهم مع بعض حلفائهم في مكان اسمه (الخدمة) وتصدوا للقوات المتقدمة بالسهم، وصمموا على القتال، فأصدر خالد بن الوليد أوامره بالانقضاض عليهم، وما هي إلا لحظات حتى قضى على تلك القوة الضعيفة وشتت شمل أفرادها، وبذلك أكمل الجيش السيطرة على مكة المكرمة⁽²⁾. وقد حدثتنا كتب السيرة والتاريخ عن قصة حماس بن خالد من قبيلة بني بكر، فقد أعد سلاحاً لمقاتلة المسلمين، وكانت امرأته إذا رآته يصلحه ويتعهده تسأله: لماذا تعدُّ ما أرى؟ فيقول: لمحمد وأصحابه، وقالت امرأته له يوماً: والله ما أرى أنه يقوم لمحمد وصحبه شيء، فقال: إني والله لأرجو أن أخدمك بعضهم.. ثم قال:

إن يقبلوا اليوم فما لي علة هذا سلاح كامل وألة⁽³⁾
وذو غرارين سريع السلة

فلما جاء يوم الفتح ناوش حماس هذا شيئاً من قتال مع رجال عكرمة، ثم أحس بالمشركين يتطايرون من حوله أمام جيش خالد، فخرج منهزماً حتى بلغ بيته فقال لامرأته: أغلقي عليّ الباب...

فقال المرأة لفارسها المعلم: فأين ما كنت تقول؟

فقال يعتذر لها:

إنك لو شهدت يوم الخدمة إذ فر صفوان وفر عكرمة

(1) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص 397.

(2) انظر: قيادة الرسول صلى الله عليه وسلم السياسية والعسكرية، ص 122، 123.

(3) المؤتمة: الأسطوانة، وأبو يزيد: سهيل بن عمرو.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وأبو يزيد قائم كالمؤتمة⁽¹⁾ واستقبلتهم بالسيوف المسلمة
 يقطعن كل ساعد وجمجمة ضرباً فلا تسمع إلا غممة
 لهم نهيت⁽²⁾ خلفنا وهممة لم تنطقي باللوم أدنى كلمة⁽³⁾

لقد أعلن في مكة قبيل دخول جيش المسلمين أسلوب منع التجول؛ لكي يتمكنوا من دخول مكة بأقل قدر من الاشتباكات والاستفزازات، وإراقة الدماء، وكان الشعار المرفوع: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن»، وجعل **صلى الله عليه وسلم** لدار أبي سفيان مكانة خاصة كي يكون أبو سفيان ساعده في إقناع المكيين بالسلم والهدوء، ويستخدمه كمفتاح أمان يفتح أمامه الطريق إلى مكة دون إراقة دماء، ويشيع في نفسه عاطفة الفخر التي يحبها أبو سفيان حتى يتمكن الإيمان من قلبه⁽⁴⁾.

لقد دخل أبو سفيان إلى مكة مسرعاً ونادى بأعلى صوته:

يا معشر قريش، هذا محمد جاءكم فيما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، فقامت إليه هند بنت عتبة فأخذت بشاربه فقالت: اقتلوا الحميث الدسم الأحمس -تشبّهه بالزرق لسمنه-، قبح من طليعة قوم. قال: ويلكم! لا تغرنكم هذه من أنفسكم؛ فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، قالوا: قاتلك الله! وما تغني عنا دارك؟! قال: ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن. وتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد⁽⁵⁾.

وحرص النبي **صلى الله عليه وسلم** أن يدخل الكداء التي بأعلى مكة⁽⁶⁾ تحقيقاً لقول صاحبه الشاعر المبدع حسان بن ثابت، حين هجا قريشا وأخبرهم بأن خيل الله تعالى ستدخل من كداء، وتعد هذه القصيدة من أروع ما قال حسان، حيث قال:

(2) النهيت: صوت الصدر.

(3) انظر: البداية والنهاية (295/4).

(4) انظر: دراسة في السيرة، د. عماد الدين خليل، ص 245.

(5) انظر: البداية والنهاية (290/4). (2) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 524.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

عدمنّا خيلنا إنّ لم تروها
 يئازعن الأعنة مصغيّات
 تظلّ جياندا متمطرات
 فإما تعرضوا عنا اعتمرنا
 وإلا فاصبروا لجلاد يوم
 وجبريل رسول الله فينا
 وقال الله قد أرسلت عبدا
 شهدت به فقوموا صدقوه
 وقال الله قد سيرت جنّدا
 لنا في كل يوم من معد
 فنحكم بالقوافي من هجانا
 ألا أبلغ أبا سفيان عني
 بأن سيوفنا تركتك عبدا
 هجوت محمداً فأجبتُ عنه
 أتَهجوه ولست له بكفاء؟!
 هجوت مباركا برّا حنيفا
 أمن يهجو رسول الله منكم
 فإنّ أبي ووالده وعرضي
 لساني صارم لا عيب فيه
 تشير النقع⁽¹⁾ موعدها كداء
 على أكتافها الأسل الظماء
 يطمهن بالخُمّر النساء
 وكان الفتح وانكشف الغطاء
 يعز⁽²⁾ الله فيه من يشاء
 وروح القدس ليس له كفاء
 يقول الحق إنّ نفع البلاء
 فقلتم لا نقوم ولا نشاء
 هم الانتصار عرصتها اللقاء
 سباب أو قتال أو هجاء
 ونضرب حين تختلط الدماء
 مغلّلة⁽³⁾ فقد برح الخفاء
 وعبد الدار سادتها الإماء
 وعند الله في ذاك الجزاء
 فشركما لخيركما الفداء
 أمين الله شيمته الوفاء
 ويحمده وينصره سواء
 لعرض محمد منكم وقاء
 وبحري لا تكدره الدلاء⁽⁴⁾

(1) النقع: موضع قرب مكة، أو الغبار.

(3) مغلّلة: رسالة محمولة من بلد إلى بلد.

(2) انظر: البداية والنهاية (309/4).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

ومما يؤيد حرص النبي صلى الله عليه وسلم على دخوله من كداء ما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح رأى النساء يلطمن وجوه الخيل بالخمير⁽¹⁾؛ فتبسم إلى أبي بكر فقال: «يا أبا بكر، كيف قال حسان؟» فأنشده قوله:

تظل جياندا متمطرات تلطمهن بالخمر النساء⁽²⁾

ثانياً: دخول خاشع متواضع، لا دخول فاتح متعال:

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وعليه عمامة سوداء بغير إحرام⁽³⁾، وهو واضع رأسه تواضعاً لله، حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح، حتى إن ذقنه ليكاد يمس واسطة الرحل، ودخل وهو يقرأ سورة الفتح⁽⁴⁾ مستشعراً بنعمة الفتح وغفران الذنوب، وإفاضة النصر العزيز⁽⁵⁾، وعندما دخل مكة فاتحاً -وهي قلب جزيرة العرب ومركزها الروحي والسياسي- رفع كل شعار من شعائر العدل والمساواة، والتواضع والخضوع، فأردف أسامة بن زيد⁽⁶⁾ -وهو ابن مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم- ولم يردف أحداً من أبناء بني هاشم وأبناء أشراف قريش وهم كثير، وكان ذلك صبح يوم الجمعة لعشرين ليلة خلت من رمضان، سنة ثمان من الهجرة⁽⁷⁾.

يقول محمد الغزالي في وصف دخول النبي صلى الله عليه وسلم مكة:

على حين كان الجيش الزاحف يتقدم ورسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقته تتوج هامته عمامة دسماء، ورأسه خفيض من شدة التخشع لله، لقد انحنى على رحله وبدا عليه التواضع الجَمَّ.. إن الموكب الفخم المهيّب الذي ينساب به حثيثاً إلى جوف الحرم، والفيلق الدارع الذي يحف به ينتظر إشارة منه فلا يبقى بمكة شيء آمن، إن هذا الفتح المبين ليذكره بماض طويل

(1) الخمر جمع خمار، مأخوذ من الخمر وهو الستر وهو ما تستر به النساء وجوههن.

(2) انظر: مغازي الواقدي (831/2). (4) مسلم رقم 1358.

(4) البخاري، كتاب المغازي (108/5) رقم 4281.

(5) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص 396.

(6) البخاري، كتاب المغازي رقم 4289.

(7) انظر: السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، ص 337.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

الفصول: كيف خرج مطاردًا؟ وكيف يعود اليوم منصورًا مؤيدًا؟ وأي كرامة عظمى حقه الله بها هذا الصباح الميمون؟ وكلما استشعر هذه النعماء ازداد الله على راحلته خشوعًا وانحناء...⁽¹⁾. هذا وقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم على تأمين الجبهة الداخلية في مكة عند دخوله يوم الفتح؛ ولذلك عندما بلغته مقولة سعد بن عبادَةَ لأبي سفيان: اليوم يوم الملحمة، اليوم نستحل الكعبة، قال صلى الله عليه وسلم: «هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة، ويوم تكسى فيه الكعبة»⁽²⁾، وأخذ الراية من سعد بن عبادَةَ وسلمها لابنه قيس بن سعد؛ وبهذا التصرف الحكيم حال دون أي احتمال لمعركة جانبية هم في غنى عنها، وفي نفس الوقت لم يثره، ولا أثار الأنصاري، فهو لم يأخذ الراية من أنصاري ويسلمها لمهاجر، بل أخذها من أنصاري وسلمها لابنه، ومن طبيعة البشر ألا يرضى الإنسان بأن يكون أحد أفضل منه إلا ابنه⁽³⁾.

ولما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة واطمأن الناس خرج حتى جاء البيت فطاف به، وفي يده قوس، وحول البيت وعليه ثلاثمائة وستون صنماً، فجعل يطعنهما بالقوس، ويقول: (جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) [الإسراء:81] (جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ) [سبأ:49] والأصنام تتساقط على وجوهها⁽⁴⁾ وإنه لمظهر رائع لنصر الله وعظيم تأييده لرسوله، إذ كان يطعن تلك الآلهة الزائفة المنثورة حول الكعبة بعصا معه، فما يكاد يطعن الواحد منها بعصاه حتى ينكفي على وجهه أو ينقلب على ظهره جذاذًا⁽⁵⁾، ورأى في الكعبة الصور والتماثيل فأمر بالصور وبالتماثيل فكسرت⁽⁶⁾ وأبى أن يدخل جوف الكعبة حتى أخرجت الصور، وكان فيها صورة يزعمون أنها صورة إبراهيم وإسماعيل وفي يديهما من الأزام فقال النبي صلى

(1) انظر: فقه السيرة للغزالي، ص379، 380.

(2) البخاري، كتاب المغازي، باب أين ركز النبي الراية يوم الفتح (108/5) رقم 4280.

(3) انظر: قيادة الرسول صلى الله عليه وسلم السياسية والعسكرية، ص196.

(4) انظر: السيرة النبوية للندوي، ص339. (5) انظر: فقه السيرة للبوطي، ص282.

(6) انظر: السيرة النبوية للندوي، ص339. (7) البخاري، كتاب المغازي، (110/5) رقم 4288.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

الله عليه وسلم: «قاتلهم الله؛ لقد علموا ما استقسما بها قط...»⁽¹⁾.

ثم دخل البيت وكبر في نواحيه ثم صلى، فقد روى ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة هو وأسماء وبلال وعثمان بن طلحة، فأغلقها عليه ثم مكث فيها، قال ابن عمر: فسألت بلالا حين خرج: ما صنع رسول الله؟ قال: جعل عمودين عن يساره وعموداً عن يمينه وثلاثة أعمدة وراءه - وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة - ثم صلى⁽²⁾.

وكان مفتاح الكعبة مع عثمان بن طلحة، قبل أن يسلم، فأراد علي رضي الله عنه أن يكون المفتاح له مع السقاية، لكن النبي صلى الله عليه وسلم دفعه إلى عثمان بعد أن خرج من الكعبة ورده إليه قائلاً: اليوم يوم بر ووفاء⁽³⁾، وكان صلى الله عليه وسلم قد طلب من عثمان بن طلحة المفتاح قبل أن يهاجر إلى المدينة، فأغلق له القول ونال منه، فحلم عنه، وقال: «يا عثمان، لعنك ترى هذا المفتاح يوماً بيدي، أضعه حيث شئت» فقال: لقد هلك قريش يومئذ وذلت، فقال: «بل عمرت وعزت يومئذ»، ووقعت كلمته من عثمان بن طلحة موقعاً، وظن أن الأمر سيعير إلى ما قال⁽⁴⁾، ولقد أعطى له رسول الله صلى الله عليه وسلم مفاتيح الكعبة قائلاً له: «هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم بر ووفاء⁽⁵⁾، خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم»⁽⁶⁾ وهكذا لم يشأ النبي صلى الله عليه وسلم أن يستبد بمفتاح الكعبة، بل لم يشأ أن يضعه في أحد من بني هاشم، وقد تناول لأخذه رجال منهم، لما في ذلك من الإثارة، ولما به من مظاهر السيطرة وبسط النفوذ، وليست هذه من مهام النبوة بإطلاق... هذا مفهوم الفتح الأعظم في شرعة رسول الله صلى الله عليه وسلم: البر والوفاء حتى للذين غدروا ومكروا، وتناولوا⁽⁷⁾.

هذا، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بلالاً أن يصعد فوق ظهر الكعبة فيؤذن للصلاة،

(2) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (61/4، 62).

(3) المصدر نفسه (61/4). (3) انظر: المغازي، (838/2).

(5) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (62/4).

(6) انظر: المغازي (838/2).

(7) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص 401.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

فصعد بلال وأذن للصلاة، وأنصت أهل مكة للنداء الجديد على آذانهم كأنهم في حلم، إن هذه الكلمات تقصف في الجو فتقذف بالرعب في أفئدة الشياطين؛ فلا يملكون أمام دويها إلا أن يولوا هاربين، أو يعودوا مؤمنين.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر(1).

ذلك الصوت الذي كان يهمس يوماً ما تحت أسواط العذاب: أحد، أحد، أحد.. ها هو اليوم يجلجل فوق كعبة الله تعالى قائلا: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، والكل خاشع منصت خاضع(2).

ثالثاً: إعلان العفو العام:

1- نال أهل مكة عفواً عاماً رغم أنواع الأذى التي ألحقوها بالرسول صلى الله عليه وسلم ودعوته، ورغم قدرة الجيش الإسلامي على إبادةهم، وقد جاء إعلان العفو عنهم وهم مجتمعون قرب الكعبة ينتظرون حكم الرسول صلى الله عليه وسلم فيهم، فقال: «ما تظنون أني فاعل بكم؟» فقالوا: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم، فقال: (لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَعْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ) [يوسف:92](3).

وقد ترتب على هذا العفو العام حفظ الأنفس من القتل أو السبي، وإبقاء الأموال المنقولة والأراضي بيد أصحابها، وعدم فرض الخراج عليها، فلم تعامل مكة كما عوملت المناطق الأخرى المفتوحة عنوة؛ لقدسيته وحرمتها، فإنها دار النسك، ومتعبد الخلق، وحرّم الرب تعالى، لذلك ذهب جمهور الأئمة من السلف والخلف إلى أنه لا يجوز بيع أراضي مكة ولا إجارة بيوتها؛ فهي مناخ لمن سبق، يسكن أهلها فيما يحتاجون إلى سكناه من دورها، وما فضل عن حاجتهم فهو لإقامة الحجاج والمعتمرين والعباد القاصدين، وذهب آخرون إلى جواز بيع أراضي مكة وإجارة بيوتها،

(1) انظر: فقه السيرة للغزالي، ص383.

(8) انظر: فقه السيرة للبطي، ص269.

(3) انظر: المجتمع المدني للعمري، ص179.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

وأدلتهم قوية في حين أن أدلة المانعين مرسلّة وموقوفة⁽¹⁾.

2- إهدار النبي صلى الله عليه وسلم لبعض الدماء:

إلى جانب ذلك الصفح الجميل كان هناك الحزم الأصيل، الذي لا بد أن تتصف به القيادة الحكيمة الرشيدة، ولذلك استثنى قرار العفو الشامل بضعة عشر رجلاً أمر بقتلهم، وإن وجدوا متعلقين بأستار الكعبة؛ لأنهم عظمت جرائمهم في حق الله ورسوله، وحق الإسلام، ولما كان يخشاه منهم من إثارة الفتنة بين الناس بعد الفتح⁽²⁾.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: وقد جمعت أسماءهم من متفرقات الأخبار، وهم: عبد العزى بن خطل، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، وعكرمة بن أبي جهل، والحويرث بن نقيد -مصغراً- ومقيس بن حبابة، وهبار بن الأسود، وقينتان كانتا لابن خطل: فرتني وقريبة، وسارة مولاة بني عبد المطلب، وذكر أبو معشر فيمن أهدر دمه الحارث بن ظلال الخزاعي، وذكر الحاكم أن فيمن أهدر دمه كعب بن زهير، ووحشي بن حرب، وهند بنت عتبة⁽³⁾.

ومن هؤلاء من قتل، ومنهم من جاء مسلماً تائباً فعفا عنه الرسول، وحسن إسلامه⁽⁴⁾.

3- خطبة النبي صلى الله عليه وسلم غداة الفتح وإسلام أهل مكة:

وفي غداة الفتح بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن خزاعة حلفاءه عدت على رجل من هذيل فقتلوه - وهو مشرك- برجل قتل في الجاهلية، فغضب وقام بين الناس خطيباً فقال: «يا أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض، فهي حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دمًا، ولا يعضد -يقطع- فيها شجرة، لم تحل لأحد كان قبلي، ولا تحل لأحد يكون بعدي، ولم تحل لي إلا هذه الساعة غضباً على أهلها، ثم قد رجعت

(1) المصدر نفسه، ص180.

(2) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبه (451/2) تأملات في السيرة، ص262.

(3) فتح الباري (9/7).

(4) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبه (451/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

كحرمتها بالأمس، فليبلغ الشاهد منكم الغائب، فمن قال لكم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قاتل فيها فقولوا: إن الله قد أحلها لرسوله ولم يحلها لكم.

يا معشر خزاعة، ارفعوا أيديكم عن القتل، فلقد كثر أن يقع، لقد قتلتم قتيلاً لأديبته، فمن قتل بعد مقامي هذا فأهله بخير النظرين، إن شاءوا قدم قاتله، وإن شاءوا فعقله»⁽¹⁾.

كان من أثر عفو النبي صلى الله عليه وسلم الشامل عن أهل مكة، والعفو عن بعض من أهدر دماءهم، أن دخل أهل مكة -رجالاً ونساء وأحراراً وموالي- في دين الله طواعية واختياراً، وبدخول مكة تحت راية الإسلام دخل الناس في دين الله أفواجا، وتمت النعمة، ووجب الشكر⁽²⁾ وبإيع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس جميعاً الرجال والنساء، والكبار والصغار، وبدء بمبايعة الرجال، فقد جلس لهم على الصفا، فأخذ عليهم البيعة على الإسلام والسمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا، وجاء مجاشع بن مسعود بأخيه مجالد بعد يوم الفتح فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: جئت بك بأخي لتبایعه على الهجرة، فقال عليه الصلاة والسلام: «ذهب أهل الهجرة بما فيها» فقال: على أي شيء تبایعه؟ قال: «أبایعه على الإسلام والإيمان والجهاد»⁽³⁾.

وقد روى البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم الفتح: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية»⁽⁴⁾ وإذا استنفرتهم فانفروا» والمراد أن الهجرة التي كانت واجبة من مكة قد انتهت بفتح مكة، فقد عز الإسلام، وثبت أركانه ودعائمه، ودخل الناس فيه أفواجا، أما الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام، أو من بلد لا يقدر أن يقيم فيه دينه ويظهر شعائره، إلى بلد يتمكن فيه من ذلك، فهي باقية إلى يوم القيامة، ولكن هذه دون تلك، فقد تكون واجبة، وقد تكون غير واجبة، كما أن الجهاد والإنفاق في سبيل الله مشروع وباق إلى يوم القيامة، ولكنه ليس كالإنفاق

(1) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبه (451/2)، وعقله: ديته.

(2) المصدر نفسه (456/2).

(3) البخاري، كتاب المغازي رقم 4305 (114/5).

(4) البخاري، كتاب الجهاد والسير، رقم 2783.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

ولا الجهاد قبل فتح مكة، قال عز شأنه⁽¹⁾: (وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) [الحديد: 10].

ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيعة الرجال بايع النساء، وفيهن هند بنت عتبة متنتقة متكررة، على ألا يشركن بالله شيئا، ولا يسرقن، ولا يزني، ولا يقتلن أولادهن، ولا يأتين ببهتان يفتريه بين أيديهن وأرجلهن، ولا يعصين في معروف، ولما قال النبي: «ولا يسرقن» قالت هند: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني ويكفي بنيّ فهل عليّ من حرج إذا أخذت من ماله بغير علمه؟ فقال لها صلى الله عليه وسلم: «خذي من ماله ما يكفيك وبنيك بالمعروف»، ولما قال: «ولا يزني» قالت هند: وهل تزني الحرة؟ ولما عرفها رسول الله قال لها: «وإنك لهند بنت عتبة؟» قالت: نعم، فاعف عما سلف عفا الله عنك.

وقد بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير مصافحة، فقد كان لا يصافح النساء، ولا يمس يد امرأة إلا امرأة أحلها الله له أو ذات محرم منه، وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (لا والله، ما مست يد رسول الله يد امرأة قط) وفي رواية: ما كان يبايعهن إلا كلاما ويقول: «إنما قلوي لامرأة واحدة كقلوي لمائة امرأة»⁽²⁾.

رابعاً: بعث خالد بن الوليد إلى بني جذيمة:

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى بني جذيمة داعياً إلى الإسلام، وكان ذلك في شهر شوال من السنة الثامنة للهجرة⁽³⁾ قبل حنين، ومعه جنود من بني سليم ومدلج والأنصار والمهاجرين، كان تعدادهم حوالي ثلاثمائة وخمسين رجلاً، فلما رأى بنو جذيمة الجيش بقيادة خالد أخذوا السلاح، فقال لهم خالد: ضعوا السلاح فإن الناس قد أسلموا، فقام رجل منهم

(1) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبه (257/2).

(2) انظر: البداية والنهاية (319/4). (2) انظر: السرايا والبعوث النبوية، ص248.

يسمى جحدرا فقال: ويلكم يا بني جذيمة! إنه خالد، والله ما بعد وضع السلاح إلا الإِسار، وما بعد الإِسار إلا ضرب الأعناق، والله لا أضع سلاحي أبداً. فلم يزالوا به حتى وضع سلاحه، فلما وُضع السلاح أمر بهم خالد فكتفوا، فدعاهم إلى الإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، فجعلوا يقولون صباناً صباناً، وخالد يأخذ فيهم أسرا وقتلاً، فأنكر عليه بعض أصحابه ذلك، ثم دفع الأسرى إلى من كان معه، حتى إذا أصبح يوماً أمر خالد أن يقتل كل واحد أسيره، فامتثل البعض، وامتنع عبد الله بن عمر وامتنع معه آخرون من قتل أسراهم، فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبروه، فغضب ورفع يديه إلى السماء قائلاً: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد»⁽¹⁾.

ودار كلام بين خالد وعبد الرحمن بن عوف حول هذا الموضوع حتى كان بينهما شر، فقد خشي ابن عوف أن يكون ما صدر عن خالد ثأراً لعمه الفاكه بن المغيرة الذي قتلته جذيمة في الجاهلية، ولعل هذا الذي وقع بينهما هو ما أشار إليه الحديث المروي عند مسلم⁽²⁾ وغيره: كان بين ابن الوليد وعبد الرحمن بن عوف شيء فشبّه خالد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تسبوا أحداً من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»⁽³⁾، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً فودى لهم قتلهم وزادهم فيها تطيباً لنفوسهم وبراءة من دمائهم⁽⁴⁾، وبهذا التصرف النبوي الحكيم واسبى النبي صلى الله عليه وسلم بني جذيمة، وأزال ما في نفوسهم من أسى وحزن⁽⁵⁾ وكان قتل خالد لبني جذيمة تأولاً منه واجتهاداً خاطئاً، وذلك بدليل أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعاقبه على فعله⁽⁶⁾.

خامساً: هدم بيوت الأوثان:

بعد أن ظهر البيت الحرام من الأوثان التي كانت فيه، كان لا بد من هدم البيوت التي أقيمت

(1) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبه (464/2). (4) مسلم (1967/4 - 1968) رقم 2541.

(3) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 579.

(4) في إسناده ضعف. المصدر السابق، ص 579.

(5) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبه (465/2).

(6) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 579.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

للأوثان، فكانت معالم للجاهلية ردحاً طويلاً من الزمن⁽¹⁾. فكانت سرايا رسول الله تترى لتطهير الجزيرة منها:

1- سرية خالد بن الوليد إلى العزى:

توجهت سرية قوتها ثلاثون فارساً بقيادة خالد بن الوليد إلى الطاغوت الأعظم منزلة ومكانة عند قريش وسائر العرب (العزى) لإزالته من الوجود نهائياً، وعندما وصلت السرية إلى العزى بمنطقة نخلة قام إليها خالد فقطع السمرات وهدم البيت الذي كان عليه⁽²⁾ وهو يردد: كفرانك لا سبحانك إني رأيت الله قد أهانك⁽³⁾، ثم رجع خالد وأصحابه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم تقريره بإنجاز المهمة، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم استدرك على قائد السرية وقال له: «هل رأيت شيئاً؟» قال: لا⁽⁴⁾ فقال: «ارجع فإنك لم تصنع شيئاً»⁽⁵⁾ فرجع خالد وهو مغيب حنق على عدم إنهاء مهمته على الوجه المطلوب، فلما وصل إليها ونظرت السدنة إليه عرفوا أنه جاء هذه المرة ليكمل ما فاتته في المرة السابقة، فهربوا إلى الجبل وهم يصيحون: يا عزى خبلية، يا عزى عورية، فأتاه خالد فإذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تحثو التراث على رأسها، فتقدم إليها خالد رضي الله عنه بشجاعته المعروفة وضربها بالسيف حتى قتلها، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فقال: «تلك هي العزى»⁽⁶⁾.

2- سرية سعد بن زيد الأشهلي إلى مناة:

مناة اسم صنم وكانت على ساحل البحر الأحمر مما يلي قديداً⁽⁷⁾ في منطقة تعرف بالمشلل⁽⁸⁾،

(1) انظر: معين السيرة، ص394.

(6) انظر: السرايا والبعوث النبوية، ص282.

(3) المصدر نفسه، ص282.

(8) انظر: المغازي (874/2).

(5) انظر: السرايا والبعوث النبوية، ص282.

(10) المصدر نفسه، ص283.

(1) ما بين مكة والمدينة.

(3) انظر: السرايا والبعوث النبوية، ص286.

(8) المشلل من قديد وبالمشلل كانت مناة.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وكانت للأوس والخزرج وغسان ومن دان بدينهم يعبدونها ويعظمونها في الجاهلية ويهلون منها للحج، وقد بلغ من تعظيمهم إياها أنهم كانوا لا يطوفون بين الصفا والمروة تخرجاً وتعظيماً لها حيث كان ذلك سنة في آبائهم من أحرم لمناة لم يطف بين الصفا والمروة⁽¹⁾. ولم تزل هذه عادتهم حتى أسلموا، فلما قدموا مع النبي صلى الله عليه وسلم للحج ذكروا ذلك له فأنزل الله تعالى هذه الآية⁽²⁾ قال تعالى: (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ) [البقرة: 158].

وقد كان أول من نصبها لهم مؤسس الشرك في الجزيرة العربية ومبتدع الأوثان محرف الحنفية دين إبراهيم عليه السلام، عمرو بن لحي الخزاعي⁽³⁾، فلما فتح الله على المسلمين مكة بعث رسول الله إلى مناة رجلاً من أهلها سابقاً الذين كانوا يعظمونها في الجاهلية وهو سعد بن زيد الأشهلي رضي الله عنه على رأس سرية قوتها عشرون فارساً، وكان واجب السرية هو إزالة مناة من الوجود نهائياً⁽⁴⁾.

انطلق سعد بن زيد ومن معه في مسير اقترابي سريع لإنجاز المهمة المحددة حتى وصل إليها، فقابلته سادنها متسائلاً: ما تريد؟ قال: هدم مناة، قال: أنت وذاك، فأقبل سعد يمشي إليها، وتخرج إليه امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس تدعو بالويل وتضرب صدرها⁽⁵⁾. فصاح بها السادن صيحة الواثق: مناة دونك بعض عصاتك⁽⁶⁾ ولكن صيحتة ذهبت أدراج الرياح، فلم يأبه سعد رضي الله عنه بكل ذلك وضربها ضربة قاتلة قضت عليها، ثم أقبل مع أصحابه على الصنم فهدموه، ولم يجدوا في خزانة شيناً، وانصرف راجعاً إلى رسول الله صلى الله عليه

(2) شرح النووي على مسلم، (22/9).

(5) انظر: السرايا والبعوث النبوية، ص287.

(4) المصدر نفسه، ص287.

(7) انظر: الطبقات (146/2).

(6) المصدر نفسه (146/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

3- سرية عمرو بن العاص إلى سواع:

قال تعالى مخبرا عن قوم نوح: (وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) [نوح: 23].

وسواع المذكور ضمن هذه الأصنام: هو اسم صنم كان لقوم نوح عليه السلام، ثم صار بعد ذلك لقبيلة هذيل المضرية⁽²⁾ وظل هذا الوثن منصوباً تعبده هذيل وتعظمه حتى إنهم كانوا يحجون إليه⁽³⁾ حتى فتحت مكة ودخلت هذيل فيمن دخل في دين الله أفواجا، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية بقيادة عمرو بن العاص رضي الله عنه لتحطيم سواع، ويحدثنا قائد السرية عن مهمته، فيقول: فانتهيت إليه وعنده السادن، فقال: ما تريد؟ قلت: أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهدمه، قال: لا تقدر على ذلك، قلت: لم؟ قال: تمنع، قلت: حتى الآن أنت في الباطل، ويحك! هل يسمع أو يبصر؟! قال: فدنوت منه فكسرتة وأمرت أصحابي فهدموا بيت خزائنه فلم يجدوا شيئا، ثم قلت للسادن: كيف رأيت؟ قال: أسلمتُ لله⁽⁴⁾.

ونستفيد من حركة السرايا التي أرسلها رسول الله صلى الله عليه وسلم للقضاء على الأصنام والأوثان أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوماً واحداً، فإنها شعائر الكفر والشرك، وهي أعظم المنكرات، فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة البتة. وهذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت أوثاناً وطواغيت تعبد من دون الله، والأحجار التي تقصد للتعظيم والتبرك والنذر والتقبيل، لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض

(1) انظر: السرايا والبعوث النبوية، ص288، قال مؤلف الكتاب الدكتور بريك العمري: الخبر ضعيف من الناحية الحديثية، ويمكن الاستئناس به تاريخياً، حيث ذكر أهل المغازي أن رسول الله أرسل بعض السرايا لتحطيم الأصنام في الجزيرة العربية، ولا يمكن استثناء مائة من ذلك لكونها أحد أكبر الطواغيت في الجزيرة، ولقد اعتمدت في دراسة السرايا والبعوث على هذه الرسالة العلمية التي أشرف عليها الدكتور أكرم العمري.

(2) انظر: السرايا والبعوث النبوية، ص292. (2) انظر: سبل الرشاد للشامي (303/6).

(4) انظر: مغازي الواقدي (870/2). (4) انظر: السرايا والبعوث النبوية، ص302.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ مع الدعاء بحسن الاستفادة

مع القدرة على إزالتها، وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى أو أعظم شركا
عندها وبها⁽¹⁾.

* * *

المبحث الثالث

دروس وعبر وفوائد

أولاً: مواقف دعوية وقدرة رفيعة في التعامل مع النفوس:

1- إسلام سهيل بن عمرو:

قال سهيل بن عمرو: لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وظهر، انقحمت⁽¹⁾ بيتي وأغلقت عليّ بابي، وأرسلت إلى ابني عبد الله بن سهيل أن اطلب لي جواراً من محمد، وإني لا آمن من أن أقتل، وجعلت أتذكر أثري عند محمد وأصحابه فليس أحد أسوأ أثراً مني، وإني لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية بما لم يلحقه أحد، وكنت الذي كاتبته، مع حضوري بدرًا وأحدًا، وكلما تحركت قريش كنت فيها، فذهب عبد الله بن سهيل إلى رسول الله فقال: يا رسول الله، تؤمنه؟ فقال: «نعم»، هو آمن بأمان الله، فليظهر، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله: «من لقي سهيل بن عمرو فلا يشد النظر إليه، فليخرج، فلعمري إن سهيلاً له عقل وشرف، وما مثل سهيل يجهل الإسلام، ولقد رأى ما كان يوضع فيه أنه لم يكن له بنافع» فخرج عبد الله إلى أبيه، فقال سهيل: كان والله برًّا، صغيرًا وكبيرًا. فكان سهيل يقبل ويدبر، وخرج إلى حنين مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو على شركه حتى أسلم بالجعرانة⁽²⁾.

لقد كان لهذه الكلمات التربوية الأثر الكبير على سهيل بن عمرو، حيث أثنى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبر طوال عمره، ثم دخل في الإسلام بعد ذلك، وقد حسن إسلامه وكان أكثرًا من الأعمال الصالحة⁽³⁾ يقول الزبير بن بكار: كان سهيل بعد كثير الصلاة والصوم والصدقة، خرج بجماعته إلى الشام مجاهدًا، ويقال: إنه صام وتهجد حتى شحبت لونه وتغير،

(1) أي رميت بنفسي.

(2) انظر: مغازي الواقدي (846/2، 847)، المستدرک للحاكم (381/3).

(3) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (216/7، 217).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وكان كثير البكاء إذا سمع القرآن، وكان أميراً على كردوس⁽¹⁾ يوم اليرموك⁽²⁾.

2- إسلام صفوان بن أمية:

قال عبد الله بن الزبير رضي الله عنه... وأما صفوان بن أمية فهرب حتى أتى الشعيبة⁽³⁾ وجعل يقول لغلامه يسار وليس معه غيره: ويحك، انظر من ترى، قال: هذا عمير بن وهب، قال صفوان: ما أصنع بعمير؟ والله ما جاء إلا يريد قتلي، قد ظاهر محمداً علياً. فلحقه فقال: يا عمير، ما كفك ما صنعت بي؟ حملتني دينك وعيالك، ثم جئت تريد قتلي، قال: أبا وهب جعلت فداك، جنتك من عند أبر الناس وأوصل الناس. وقد كان عمير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، سيد قومي خرج هارباً ليقذف نفسه في البحر، وخاف ألا تؤمنه فداك أبي وأمي، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قد أمنت»، فخرج في أثره فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمنتك، فقال صفوان: لا والله، لا أرجع معك حتى تأتيني بعلامة أعرفها، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، جئت صفوان هارباً يريد أن يقتل نفسه فأخبرته بما أمنتك فقال: لا أرجع حتى تأتي بعلامة أعرفها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خذ عمامتي».

قال: فرجع عمير إليه بها، وهو البرد الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ معجراً⁽⁴⁾ به، بُرد حبرة⁽⁵⁾ فخرج عمير في طلبه الثانية، حتى جاء بالبرد فقال: أبا وهب جئتك من عند خير الناس، وأوصل الناس، وأبر الناس، وأحلم الناس، مجده مجدك، وعزه عزك، وملكه ملكك، ابن أمك وأبيك، اذكر الله في نفسك، قال له: أخاف أن أقتل، قال: قد دعاك إلى أن تدخل في الإسلام، فإن رضيت وإلا سيرك شهرين، فهو أوفى الناس وأبرهم، وقد بعث إليك ببرده الذي دخل

(1) كردوس: فرقة كبيرة.

(2) انظر: سير أعلام النبلاء (195/2).

(3) الشعيبة: مرفأ السفن من ساحل بحر الحجاز، وهو كان مرفأ مكة ومرسى سفنها قبل جدة. معجم البلدان (276/5).

(4) الاعتجار بالعمامة: هو أن يلفها على رأسه ويرد طرفها على وجهه ولا يعمل منها شيئاً تحت ذقنه. (النهاية 69/3).

(5) الحبرة: ضرب من ثياب اليمن.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

فيه معجراً، تعرفه؟ قال: نعم، فأخرجه، فقال: نعم، هو هو، فرجع صفوان حتى انتهى إلى رسول الله، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالمسلمين العصر بالمسجد، فوقفا، فقال صفوان: كم تصلون في اليوم والليلة؟ قال: خمس صلوات، قال: يصلي بهم محمد؟ قال: نعم، فلما سلم صاح صفوان: يا محمد، إن عمير بن وهب جاءني ببردك، وزعم أنك دعوتني إلى القدوم عليك، فإن رضيت أمراً وإلا سيرتني شهرين، قال: «انزل أبا وهب» قال: لا والله حتى تبين لي، قال: «بل تُسير أربعة أشهر» فنزل صفوان.

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل هوازن وخرج معه صفوان وهو كافر، وأرسل إليه يستعيره سلاحه، فأعاره سلاحه مائة درع بأداتها، فقال: طوعاً أو كرهاً؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عارية مؤداة» فأعاره، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم فحملها إلى حنين، فشهد حنيناً، والطائف ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجعرانة، فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في الغنائم ينظر إليها ومعه صفوان بن أمية جعل صفوان ينظر إلى شعب مليء نعماً وشاء ورعاء فأدام إليه النظر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يرمقه، فقال: «أبا وهب، يعجبك هذا الشعب؟» قال: نعم، قال: «هو لك وما فيه»، فقال صفوان عند ذلك: ما طابت نفس أحد بمثل هذا إلا نفس نبي، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله. وأسلم مكانه⁽¹⁾.

ونلاحظ في هذا الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم حاول أن يتألف صفوان بن أمية إلى الإسلام حتى أسلم، وذلك بإعطائه الأمان ثم بتخييره في الأمر أربعة أشهر، ثم بإعطائه من مال العطايا الكبيرة التي لا تصدر من إنسان عادي، فأعطاه أولاً مائة من الإبل مع عدد من زعماء مكة، ثم أعطاه ما في أحد الشعاب من الإبل والغنم فقال: ما طابت نفس أحد بهذا إلا نفس نبي. ثم أسلم مكانه⁽²⁾، وقد وصف لنا صفوان بن أمية عطاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (والله لقد

(1) انظر: مغازي الواقدي (853/2-855).

(2) انظر: التاريخ الإسلامي (220/7).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطاني، وإنه لأبغض الناس إليّ، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليّ⁽¹⁾.

3- إسلام عكرمة بن أبي جهل:

قال عبد الله بن الزبير رضي الله عنه: قالت أم حكيم امرأة عكرمة بن أبي جهل: يا رسول الله، قد هرب عكرمة منك إلى اليمن، وخاف أن تقتله فأمنه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هو آمن»، فخرجت أم حكيم في طلبه ومعها غلام لها رومي، فراودها عن نفسها، فجعلت تمنيه حتى قدمت على حيٍّ من عك⁽²⁾ فاستغاثتهم عليه فأوثقوه رباطاً، وأدركت عكرمة، وقد انتهى إلى ساحل من سواحل تهامة فركب البحر، فجعل ثوتيّ السفينة يقول له: أخلص، فقال: أي شيء أقول؟ قال: قل لا إله إلا الله، قال عكرمة: ما هربت إلا من هذا، فجاءت أم حكيم على هذا الكلام، فجعلت تلح عليه وتقول: يا ابن عم، جنتك من عند أوصل الناس، وأبرّ الناس، وخير الناس، لا تهلك نفسك. فوقف لها حتى أدركته فقالت: إني قد استأمنت لك محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: أنت فعلت؟ قالت: نعم، أنا كلمته فأمنك. فرجع معها وقال: ما لقيت من غلامك الرومي؟ فخبّرتة خبره فقتله عكرمة، وهو يومئذ لم يسلم، فلما دنا من مكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «يأتاكم عكرمة بن أبي جهل مؤمناً مهاجراً، فلا تسبوا أباه، فإن سب الميت يؤذي الحي ولا يبلغ الميت».

قال: وجعل عكرمة يطلب امرأته يجامعها، فتأبى عليه، وتقول: إنك كافر وأنا مسلمة، فيقول: إن امرأاً منعك مني لأمر كبير، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم عكرمة وثب إليه -وما على النبي صلى الله عليه وسلم رداء- فرحا بعكرمة، ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقف بين يديه، وزوجته متنقبة، فقال: يا محمد إن هذه أخبرتني أنك أمنتني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صدقت، فأنت آمن» فقال عكرمة: فإلام تدعو يا محمد؟ قال: «أدعوك إلى أن تشهد

(1) مسلم، كتاب الفضائل، رقم 2313، ص 1806.

(2) عك: مخلاف من مخاليف مكة التهامية، معجم ما استعجم، ص 223.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وأن تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتفعل وتفعل» حتى عد خصال الإسلام، فقال عكرمة: والله ما دعوت إلا إلى الحق وأمر حسن جميل، قد كنت والله فينا قبل أن تدعو إلى ما دعوت إليه وأنت أصدقنا حديثاً وأبرنا براً، ثم قال عكرمة: فإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فسرّ بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: يا رسول الله علمني خير شيء أقوله، قال: «تقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله» قال عكرمة: ثم ماذا؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تقول: أشهد الله وأشهد من حضر أي مسلم مهاجر ومجاهد» فقال عكرمة ذلك.

فقال رسول الله: «لا تسألني اليوم شيئا أعطيه أحداً إلا أعطيتكه» فقال عكرمة: فإني أسألك أن تستغفر لي كل عداوة عاديتكها، أو مسير وضعت فيه، أو مقام لقيتك فيه، أو كلام قلته في وجهك أو وأنت غائب عنه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم اغفر له كل عداوة عادانيها، وكل مسير سار فيه إلى موضع يريد بذلك المسير إطفاء نورك، فاغفر له ما نال مني من عرض، في وجهي أو وأنا غائب عنه» فقال عكرمة: رضيت يا رسول الله، لا أدع نفقة كنت أنفقتها في صدّ عن سبيل الإسلام إلا أنفقت ضعفها في سبيل الله، ولا قتالاً كنت أقاتل في صدّ عن سبيل الله إلا أبليت ضعفه في سبيل الله، ثم اجتهد في القتال حتى قُتل شهيداً⁽¹⁾.

وبعد أن أسلم ردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأته له بذلك النكاح الأول⁽²⁾.

كان سلوك النبي صلى الله عليه وسلم في تعامله مع عكرمة لطيفاً حانياً يكفي وحده لاجتذابه إلى الإسلام، فقد أعجل نفسه عن لبس ردائه، وابتسم له ورحب به، وفي رواية قال له: «مرحباً بالراكب المهاجر»⁽³⁾ فتأثر عكرمة من ذلك الموقف فاهتزت مشاعره وتحركت أحاسيسه، فأسلم، كما كان لموقف أم حكيم بنت الحارث بن هشام أثر في إسلام زوجها، فقد أخذت له الأمان من

(1) يعني يوم اليرموك.

(2) انظر: مغازي الواقدي (851/2-853).

(3) انظر: مجمع الزوائد (385/9) مرسل ورجاله رجال الصحيح في إحدى سنده، وأما الإسناد الآخر من رواية الطبراني فرجالة رجال الصحيح إلا مصعب بن سعد لم يسمع من عكرمة.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

رسول الله صلى الله عليه وسلم، وغامرت بنفسها تبحث عنه لعل الله يهديه إلى الإسلام كما هداها إليه، وعندما أرادها زوجها امتنعت عنه وعللت ذلك بأنه كافر وهي مسلمة، فعظم الإسلام في عينه وأدرك أنه أمام دين عظيم، وهكذا خطت أم حكيم في فكر عكرمة بداية التفكير في الإسلام ثم توج بإسلامه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان صادقاً في إسلامه، فلم يطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم دنيا، وإنما سألته أن يغفر الله تعالى له كل ما وقع فيه من ذنوب ماضية، ثم أقسم أمام النبي صلى الله عليه وسلم بأن يحمل نفسه على الإنفاق في سبيل الله تعالى بضعف ما كان ينفق في الجاهلية، وأن يبلي في الجهاد في سبيل الله بضعف ما كان يبذله في الجاهلية، ولقد بر بوعده فكان من أشجع المجاهدين والقادة في سبيل الله تعالى في حروب الردة ثم في فتوح الشام حتى وقع شهيداً في معركة اليرموك بعد أن بذل نفسه وماله في سبيل الله⁽¹⁾.

4- مثل من تواضع النبي صلى الله عليه وسلم: إسلام والد أبي بكر:

قالت أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما: لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ودخل المسجد، أتى أبو بكر بأبيه يقوده، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتية فيه؟» قال أبو بكر: يا رسول الله، هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي إليه أنت، قالت: فأجلسه بين يديه، ثم مسح صدره، ثم قال له: «أسلم» فأسلم، قالت: فدخل به أبو بكر وكأن رأسه ثغامة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «غيروا هذا من شعره»⁽²⁾ ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هنا أبا بكر بإسلام أبيه⁽³⁾.

وفي هذا الخبر منهج نبوي كريم سنة النبي صلى الله عليه وسلم في توقير كبار السن واحترامهم، ويؤكد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم

(1) انظر: التاريخ الإسلامي (223/7 - 225).

(2) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (54/4، 55).

(3) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 577.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

صغيرنا»⁽¹⁾ وفي قوله صلى الله عليه وسلم: «إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشبهة المسلم»⁽²⁾ كما أنه صلى الله عليه وسلم سن إكرام أقارب ذوي البلاء والبذل والعطاء والسبق في الإسلام؛ تقديرًا لهم على ما بذلوه من الخدمة للإسلام والمسلمين ونصر دعوة الله تعالى⁽³⁾.

5- مثل من عفو النبي صلى الله عليه وسلم وحلمه: إسلام فضالة بن عمير:

أراد فضالة بن عمير بن الملوح الليثي قتل النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت عام الفتح، فلما دنا منه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفضالة؟» قال: نعم، فضالة يا رسول الله، قال: «ماذا كنت تحدث به نفسك؟» قال: لا شيء، كنت أذكر الله، قال: فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: «استغفر الله»، ثم وضع يده على صدره، فسكن قلبه، فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب إليّ منه، قال فضالة: فرجعت إلى أهلي، فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها، فقالت: هلم إلى الحديث، فقلت: لا، وانبعث فضالة يقول:

قالت هلم إلى الحديث فقلت لا يأبى عليك الله والإسلام
لو ما رأيت محمدًا وقبيله بالفتح يوم تكسر الأصنام
لرأيت دين الله أضحى بينا والشرك يغشى وجهه الإظلام⁽⁴⁾

ثانيًا: أتكلمني في حد من حدود الله؟

قال عروة بن الزبير: إن امرأة سرق في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الفتح، ففزع قومها إلى أسامة بن زيد يستشفعونه، قال عروة: فلما كلمه أسامة فيها تلون وجه رسول الله، فلما كان العشي قام رسول الله خطيبًا فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد

(1) انظر: سنن الترمذي، كتاب البر، باب 15 رقم 1986.

(2) انظر: سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب 20، رقم 4843.

(6) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (195/7).

(2) البخاري، كتاب المغازي، رقم 4304.

(4) التاريخ الإسلامي للحميدي (213/7).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

فإنما أهلك الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد. والذي نفس محمد بيده، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك المرأة فقطعت يدها.

فحسنت توبتها بعد ذلك وتزوجت، قالت عائشة: فكانت تأتيني بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم⁽¹⁾.

وهكذا يستمر البناء التربوي للأمة، ونرى العدل في إقامة شرع الله على القريب والبعيد على حد سواء، ووجدت قریش نفسها أمام تشريع رباني لا يفرق بين الناس، فهم كلهم أمام رب العالمين سواء، وأصبحت معايير الشرف هي الالتزام بأوامر الله تعالى، وفي هذا الموقف الذي أثار غضب رسول الله الشديد واهتمامه الكبير، عبرة للمسلمين حتى لا يتهاونوا في تنفيذ أحكام الله تعالى، أو يشفعوا لدى الحاكم، من أجل تعطيل الحدود الإسلامية⁽²⁾.

ثالثاً: أجرنا من أجرت يا أم هانئ:

قالت أم هانئ بنت أبي طالب: لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة فر إليّ رجلان من أحمائي، من بني مخزوم، وكانت عند هُبيرة بن أبي وهب المخزومي، قالت: فدخل علي بن أبي طالب أخي، فقال: والله لأقتلنهما، فأغلقت عليهما باب بيتي، ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بأعلى مكة، فوجدته يغتسل من جفنة إن فيها لأثر العجين، وفاطمة ابنته تستره بثوبه، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به، ثم صلى ثماني ركعات من الضحى، ثم انصرف إليّ فقال: «مرحباً وأهلاً يا أم هانئ، ما جاء بك؟» فأخبرته خبر الرجلين وخبر علي، فقال: «قد أجرنا من أجرت وأماناً من أمنت، فلا يقتلنهما»⁽³⁾.

رابعاً: إنه لا ينبغي لنبي أن يكون له خائنة أعين:

(2) انظر: معين السيرة، ص402، التاريخ الإسلامي، (7/233).

(3) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (4/59، 60)، صحيح السيرة، ص527.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

كان عبد الله بن سعد بن أبي السرح قد أسلم وكتب الوحي ثم ارتد، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة -وقد أهدر دمه- فر إلى عثمان -وكان أخاه من الرضاعة- فلما جاء به ليستأمن له صمت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلاً ثم قال: «نعم»، فلما انصرف مع عثمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله: «أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين رأي قد صمت فيقتله؟» فقالوا: يا رسول الله، هلا أومأت إلينا؟ فقال: «إن النبي لا يقتل بإشارة»⁽¹⁾، وفي رواية: «إنه لا ينبغي لنبي أن يكون له خائنة أعين»⁽²⁾.

قال ابن هشام: وقد حسن إسلامه بعد ذلك وولاه عمر بعض أعماله ثم ولاه عثمان⁽³⁾.

وقال ابن كثير: ومات وهو ساجد في صلاة الصبح أو بعد انقضاء صلاتها في بيته⁽⁴⁾.

خامساً: المحيا محياكم والممات مماتكم:

قال أبو هريرة: ... أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا، فعلاه حيث ينظر إلى البيت، فرفع يديه، فجعل يذكر الله بما شاء أن يذكره، ويدعوه، قال: والأنصار تحته، قال: يقول بعضهم لبعض: أما الرجل فأدركته رغبة في قريته، ورأفة بعشيرته. قال أبو هريرة: وجاء الوحي، وكان إذا جاء لم يخف علينا فليس أحد من الناس يرفع طرفه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقضي، قال: فلما قضى الوحي رفع رأسه ثم قال: يا معشر الأنصار قلتم أما الرجل فأدركته رغبة في قريته، ورأفة بعشيرته؟ قالوا: قلنا ذلك يا رسول الله، قال: فما اسمي إذن؟ كلا، إني عبد الله ورسوله هاجرت إلى الله وإليكم، فالمحيا محياكم، والممات مماتكم، قال: فأقبلوا إليه يبيكون، ويقولون: والله ما قلنا الذي قلنا إلا الظن بالله ورسوله، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فإن الله ورسوله ليصدقانكم ويعذرانكم»⁽⁵⁾.

(1) انظر: البداية والنهاية، (296/4).

(2) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص528.

(3) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (58/4).

(4) انظر: البداية والنهاية (296/4).

(5) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص529، 530. (6) انظر: البداية والنهاية (307/4).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

سادساً: إسلام عبد الله بن الزبير شاعر قریش:

لما فتحت مكة فر عبد الله بن الزبير السهمي إلى نجران فلحقته قوافي حسان، فقد كان خصماً عنيداً للإسلام، فراح يعيره بالجبن والفرار فقال له:

لا تعد من رجلاً أهلك بغضه نجران من عيش أحد لنيم⁽¹⁾

أي فليبق الله لنا محمداً صلى الله عليه وسلم هذا الرجل العظيم الذي أهلكك بغضه ديار نجران، وليدم الله عليك ابن الزبير عيشاً ذليلاً مهيناً أشأم.

ثم راح حسان يستنزل غضب الله ومقته على ابن الزبير، وعلى نجله ويسأله الله تعالى أن يخلده في سوء العذاب وأليمه⁽²⁾:

غضب الإله على الزبير وابنه وعذاب سوء في الحياة مقيم

فتطأيرت تلك الأبيات ووصلت إلى ابن الزبير، فقام وقعد وقلب أموره، ثم أراد الله به الخير فعزم على الدخول في الإسلام، ثم توجه إلى مكة وقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأعلن إسلامه، وطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستغفر له كل عداوة له وللإسلام، فقال له رسول الله: «إن الإسلام يجب ما قبله»⁽³⁾ ثم أدناه رسول الله منه وآنسه، ثم خلع عليه حلة⁽⁴⁾ وقد أجمع الرواة أن ابن الزبير رضي الله عنه قال بعد إسلامه شعراً كثيراً حسناً يعتذر فيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم⁽⁵⁾. قال ابن عبد البر رحمه الله: وله -ابن الزبير- في مدح النبي صلى الله عليه وسلم أشعار كثيرة، ينسخ بها ما قد مضى من شعره في كفره⁽⁶⁾.

(2) الصحابي الشاعر عبد الله بن الزبير، محمد كاتبي، ص 92.

(3) المغازي (848/2).

(4) الزركلي: الأعلام (84/4)، الإصابة لابن حجر (308/2) نقلا عن المرجع الذي بعده.

(5) انظر: الصحابي الشاعر عبد الله بن الزبير، ص 97.

(6) انظر: الاستيعاب لابن عبد البر، (310/2). (6) انظر: الإصابة (308/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وكذا نص ابن حجر في الإصابة: ثم أسلم ومدح النبي صلى الله عليه وسلم فأمر له بحلة⁽¹⁾، وقال القرطبي: (وكان شاعراً مجيداً، وله في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، أشعار كثيرة، ينسخ بها ما قد مضى في كفره⁽²⁾...) وقال ابن كثير: كان من أكبر أعداء الإسلام ومن الشعراء الذين استعملوا قواهم في هجاء المسلمين، ثم من الله عليه بالتوبة والإنابة والرجوع إلى الإسلام والقيام بنصره والذب عنه⁽³⁾.

سابعاً: من الأحكام الشرعية التي تؤخذ من الغزوة، ومكان نزول الرسول صلى الله عليه وسلم بمكة:

1- اتضحت كثير من الأحكام الشرعية خلال فتح مكة منها:

أ- جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية؛ حيث صام الرسول في مسيرة الجيش من المدينة حتى بلغ كديداً فأفطر⁽⁴⁾.

ب- صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الضحى ثماني ركعات خفيفة⁽⁵⁾ واستدل قوم بهذا على أنها سنة مؤكدة⁽⁶⁾.

ج- قصر الصلاة الرباعية للمسافر، فقد أقام النبي بمكة تسعة عشر يوماً يقصر الصلاة⁽⁷⁾.

د- تحريم نكاح المتعة إلى الأبد بعد إباحته لمدة ثلاث أيام⁽⁸⁾. ويرى الإمام النووي⁽⁹⁾ أنه وقع تحريمه وإباحته مرتين؛ إذ كان حلالاً قبل غزوة خيبر، فحرم يومها، ثم أبيع يوم الفتح،

(2) انظر: تفسير القرطبي، (407/6). (8) البداية والنهاية (308/4).

(4) انظر: السيرة النبوية، في ضوء المصادر الأصلية، ص574.

(5) المصدر نفسه، 574.

(6) السيرة النبوية، في ضوء المصادر الأصلية، ص574. (2) انظر: المجتمع المدني، ص185.

(8) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص575.

(9) النووي على شرح مسلم (181/9)، اعتمدت على فقه الأحكام على ما استخرجه الدكتور العمري في المجتمع المدني، والدكتور مهدي رزق الله في السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

ثم حرم للمرة الثانية إلى الأبد. ويرى ابن القيم⁽¹⁾ أن المتعة لم تحرم يوم خيبر، وإنما كان تحريمها فقط يوم الفتح، وله في هذا مناقشة طويلة عند كلامه عن الأحكام الفقهية المستنبطة من أحداث غزوة خيبر وغزوة الفتح، والمتفق عليه أنها حرمت إلى الأبد بعد الفتح⁽²⁾.

هـ- قرر الرسول صلى الله عليه وسلم أن الولد للفراش وللعاهر الحجر كما جاء ذلك في حديث ابن وليدة بن زمعة، فقد تنازع فيه سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن زمعة، فقضى فيه رسول الله لعبد الله بن زمعة لأنه ولد على فراش أبيه⁽³⁾.

و- عدم جواز الوصية بأكثر من ثلث المال، كما في قصة سعد بن أبي وقاص حين مرضه بمكة واستشارة الرسول صلى الله عليه وسلم في أن يوصي بأكثر من الثلث⁽⁴⁾.
هذه بعض الأحكام الفقهية المستنبطة من أحداث الغزوة والفتح العظيم.

2- مكان نزول الرسول صلى الله عليه وسلم بمكة:

نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجون في المكان الذي تعافدت فيه قريش على مقاطعة بني هاشم والمسلمين، وقال عندما سألته أسامة بن زيد إن كان سينزل في بيته: «وهل ترك لنا عقيل من رباح أو دور؟» مبينا أنه لا يرث المسلم الكافر⁽⁵⁾. وكان عقيل قد ورث أبا طالب هو وطالب أخوه وباع الدور كلها، وأما علي وجعفر فلم يرثاه؛ لأنهما مسلمان وأبو طالب مات كافراً⁽⁶⁾.

ثامناً: من نتائج فتح مكة:

-
- (1) انظر: زاد المعاد (3/343: 345، 459-464).
(2) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص575.
(3) البخاري، كتاب المغازي رقم 4303.
(4) المجتمع المدني للعمري، ص186، سنن الترمذي (3/291).
(5، 10) انظر: السيرة النبوية الصحيحة للعمري (2/482).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

كان لفتح مكة نتائج كثيرة منها:

- 1- دخلت مكة تحت نفوذ المسلمين، وزالت دولة الكفر منها، وحانت الفرصة للقضاء على جيوب الشرك في حنين والطائف، ومن ثم إلى العالم أجمع.
- 2- أصبح المسلمون قوى عظمى في جزيرة العرب. وبعد فتح مكة، تحققت أمنية الرسول صلى الله عليه وسلم بدخول قريش في الإسلام، وبرزت قوة كبرى في الجزيرة العربية لا يستطيع أي تجمع قبلي الوقوف في وجهها، وهي مؤهلة لتوحيد العرب تحت راية الإسلام ثم الانطلاق إلى الأفق المجاورة، لإزالة حكومات الظلم والطغيان، وتأمين الحرية لخلق الله لكي يدخلوا في دين الله، ويعبدوه وحده من دون سواه⁽¹⁾.
- 3- كان لهذا الفتح آثار عظيمة دينية وسياسية واجتماعية، وقد بدأت هذه الآثار بصورة يلمسها كل من يمعن النظر في هذا الفتح المبارك، فأما الآثار الاجتماعية فتمثلت في رفقه صلى الله عليه وسلم بالناس وحرصه على الأخذ بأيديهم ليعيد إليهم ثقتهم بأنفسهم، وبالوضع الجديد الذي سيطر على بلدهم، وتعيين من يعلمهم، ويفقههم في دينهم، فقد أبقى معاذ بن جبل رضي الله عنه في مكة بعد انصرافه عنها ليصلي بالناس، ويفقههم في دينهم، وأما الآثار السياسية فقد عين عتاب بن أسيد أميراً على مكة، يحكم في الناس بكتاب الله، فيأخذ لضعيفهم، وينتصر للمظلوم من الظالم⁽²⁾، وأما الآثار الدينية فإن فتح مكة وخضوعها لسلطان الإسلام، قد أقتع العرب جميعاً بأن الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله لعباده فدخلوا فيه أفواجا⁽³⁾.
- 4- تحقق وعد الله بالتمكين للمؤمنين الصادقين بعد ما ضحوا بالغالي والنفيس، وحققوا شروط التمكين وأخذوا بأسبابه، وقطعوا مراحلهم وتعاملوا مع سننه كسنة الابتلاء،

(1) انظر: قيادة الرسول صلى الله عليه وسلم السياسية والعسكرية، أحمد عرموش، ص129.

(2) انظر: تأملات في سيرة الرسول، ص266.

(3) المصدر نفسه، ص267.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

والتدافع، والتدرج، وتغير النفوس، والأخذ بالأسباب، ولا ننسى تلك الصورة الرائعة وهي وقوف بلال فوق الكعبة مؤذناً للصلاة بعد أن عذب في بطحاء مكة وهو يردد: «أحد أحد» في أغلاله وحديدته، ها هو اليوم قد صعد فوق الكعبة، ويرفع صوته الجميل بالأذان وهو في نشوة الإيمان.

* * *

غزوة حنين والطائف (8هـ)

المبحث الأول

أسبابها وأحداث المعركة

لما فتح الله مكة على رسوله والمؤمنين، وخضعت له قريش، خافت هوازن وثقيف وقالوا: قد فرغ محمد لقتالنا، فلنغزه قبل أن يغزونا، وأجمعوا أمرهم على هذا، وولوا عليهم مالك بن عوف النصري، فاجتمع إليه هوازن، وثقيف وبنو هلال، ولم يحضرها من هوازن كعب وكراب، وكان معهم دريد بن الصمة، وكان معروفاً بشدة البأس في الحرب وأصالة الرأي، إلا أنه كان كبيراً فلم يكن له إلا الرأي والمشورة.

وكان رأي مالك بن عوف أن يخرجوا وراءهم النساء والذاري والأموال حتى لا يفروا، فلما علم بذلك دريد سأل: لم ذلك؟ فقال: أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم، فقال دريد: راعي ضأن والله، وهل يرد المنهزم شيء؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك. ولكنه لم يستمع لمشورته⁽¹⁾.

أولاً: أهم أحداث غزوة حنين:

تحرك المسلمون باتجاه حنين في اليوم الخامس من شوال ووصلوا حنين في مساء العاشر من شوال⁽²⁾ وقد استخلف الرسول صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد على مكة عند خروجه، وكان عدد جيش المسلمين اثني عشر ألفاً من المسلمين، أما عدد هوازن وثقيف فكانوا ضعف عدد المسلمين أو أكثر، ولما رأى بعض الطلقاء جيش المسلمين قالوا: لن نغلب اليوم من قلة،

(1) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبه (467/2)، السيرة النبوية لابن هشام (88/4).

(2) انظر: طبقات ابن سعد (150/2). (3) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (497/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

أ- التعبئة التي اتخذها مالك بن عوف زعيم هوازن وثقيف:

اتخذ مالك بن عوف زعيم قبائل هوازن وثقيف تعبئة مرت بمراحل:

1- رفع الروح المعنوية لدى جنوده: وقف مالك خطيباً في جيشه وحثهم على الثبات والاستبسال، ومما قال في هذا الجمع الحاشد: إن محمداً لم يقاتل قط قبل هذه المرة، وإنما كان يلقي قوماً أغماراً⁽²⁾ لا علم لهم بالحرب فيُنصر عليهم⁽³⁾.

2- حشر ذراري المقاتلين وأموالهم خلف الجيش: أمر قائد هوازن بحشد نساء المقاتلين وأطفالهم وأموالهم خلفهم، وقد قصد من وراء هذا التصرف، دفع المقاتلين إلى الاستبسال والثبات أمام أعدائهم؛ لأن المقاتل -من وجهة نظره- إذا شعر أن أعز ما يملك وراءه في المعركة صعب عليه أن يلوذ بالفرار مخلفاً ما وراءه في ميدان المعركة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: افتتحنا مكة، ثم غزونا حنيئاً، فجاء المشركون بحنين بأحسن صفوف رأيت، قال: فصفت الخيل ثم صفت المقاتلة، ثم صفت النساء من وراء ذلك ثم صفت الغنم ثم صفت النعم⁽⁴⁾.

3- تجريد السيوف وكسر أجفانها: جرت عادة العرب في حروبهم أن يكسروا أجفان سيوفهم قبل بدء القتال، وهذا التصرف يؤذن بإصرار المقاتل على الثبات أمام الخصم حتى النصر أو الموت، وقد أمر مالك جنده بذلك تحقيقاً لهذا، بدليل قولهم: إذا أنتم رأيتم القوم فاكسروا جفون سيوفكم وشدوا شدة رجل واحد عليهم⁽⁵⁾.

4- وضع الكمان لمباغطة جيش المسلمين والانقضاض عليهم: كانت عند مالك بن عوف النصري معلومات وافية عن الأرض التي ستدور عليها المعركة، ولهذا رأى أن يستغل هذه

(2) أغمار: جمع غُمر، بضم الغين وإسكان الميم، وهو الذي لا يجرب الأمور.

(3) انظر: مغازي الواقدي (893/3).

(4) مسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلف قلوبهم (736/2) رقم 1059.

(5) انظر: مجمع الزائد (179/6، 180)، المستدرک للحاكم (48/3، 49) صحيح الإسناد

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

الظروف الطبيعية لصالح جيشه، فعمل -بمشورة الفارس المحنك دريد بن الصمة- في نصب الكمان لجيوش المسلمين، وقد كادت هذه الخطة تقضي على قوات المسلمين لولا لطف الله سبحانه وتعالى وعنايته.

5- الأخذ بزمام المبادرة في الهجوم على المسلمين: كان ضمن الخطة التي رسمها القائد الهوازني، الأخذ بزمام المبادرة ومهاجمة المسلمين؛ لأن النصر في الغالب يكون للمهاجم، أما المدافع فغالبا ما يكون في مركز الضعف، ولهذا آتت هذه الخطة ثمارها بعض الوقت، ثم انقلبت موازين القوى بفضل الله تعالى ثم بثبات رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث كسب المسلمون الجولة وانتصروا على أعدائهم⁽¹⁾.

6- شن الحرب النفسية ضد المسلمين: كان من ضمن بنود الخطة الحربية التي رسمها القائد مالك بن عوف الهوازني، استعمال سلاح معنوي له تأثير كبير في النفوس، فقد شن الحرب النفسية ضد المسلمين من أجل إلقاء الخوف في نفوسهم، وذلك بأن عمد إلى عشرات الآلاف من الجمال التي صاحبها معه في الميدان فجعلها وراء جيشه ثم أركب عليها النساء، فكان لذلك المشهد منظر مهيب يحسب من يراه أن هذا الجيش مائة ألف مقاتل، وهو ليس كذلك⁽²⁾.

ب- خطوات الرسول صلى الله عليه وسلم لصد هذه الحشود:

لما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم عزم هوازن على حربه بعد أن تم له فتح مكة -شرفها الله- قام بالآتي:

1- أرسل عبد الله بن أبي حذرر الأسلمي حتى يوافيه بخبر هوازن:

فذهب رضي الله عنه ومكث بينهم يوماً أو يومين ثم عاد وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما رأى⁽³⁾.

(1) انظر: القيادة العسكرية على عهد رسول الله، ص252.

(2) انظر: غزوة حنين للشيخ محمد أحمد باشميل، ص128-131.

(3) انظر: تاريخ الطبري (73/3).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

ولقد ذهب عبد الله إلى حيث أمره الرسول صلى الله عليه وسلم وعاد على وجه السرعة بخبر هؤلاء الأعداء، إلا أنه قصر رضي الله عنه في أداء هذا الواجب حيث لم يختلط بهوازن اختلاطاً كاملاً بحيث يسمع ويرى ما يدبر ضد المسلمين هناك، وكان من أهم ما يجب أن يُعنى به معرفة مواقع المشركين التي احتلوها، وقد فوجئ المسلمون باختفاء تلك الكمان التي نصبها الأعداء في منحنيات الوادي حتى استطاعوا أن يمحطروا المسلمين بوابل من سهامهم فانهزموا في الجولة الأولى، فكان الجهل بهذه الكمان أحد الأسباب الرئيسية وراء هزيمة المسلمين في أول المعركة، وما حدث نتيجة لهذا الخطأ لا يقدح في العصمة الثابتة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لأن هذا الأمر ليس وحياً من الله سبحانه وتعالى، وإنما هو من باب الاجتهاد في الأمور العسكرية، وقد بذل النبي صلى الله عليه وسلم جهده في سبيل الحصول على أدق المعلومات وأوفاهما لكي يضع على ضوئها الخطة العسكرية المناسبة لمجابهة العدو⁽¹⁾.

2- عدة الجيش واستعارة الدروع والرمح:

أعد رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشاً قوامه عشرة آلاف -وهم من خرجوا معه من المدينة- وألفان من مسلمة الفتح؛ فكان عدد من خرج في تلك الغزوة اثني عشر ألفاً، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما كان يوم حنين أقبلت هوازن وغطفان بذرايرهم وتعمهم ومع النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ عشرة آلاف ومعه الطلقاء⁽²⁾ وهم ألفان⁽³⁾، وسعى صلى الله عليه وسلم لتأمين عدة الجيش فطلب من ابن عمه نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ثلاثة آلاف رمح إعاره، وطلب من صفوان بن أمية دروعاً، وتكفل صلى الله عليه وسلم بالضمان، وكان نوفل وصفوان لا يزالان على شركهما، عن صفوان بن يعلى بن أمية عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا أتتك رسلي فأعطهم -أو قال فادفع إليهم- ثلاثين درعاً وثلاثين بغيراً، أو أقل من

(1) انظر: القيادة العسكرية على عهد رسول الله، ص 369.

(2) الطلقاء: هم الذين أطلقهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة وخلي سبيلهم.

(3) مسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلف قلوبهم (735/2) رقم 1059.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

ذلك» فقال له: العارية مؤداة يا رسول الله، قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «نعم»⁽¹⁾

وفي رواية: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعار منه يوم حنين دروعا فقال: أغصبا يا محمد؟ قال: «لا، بل عارية مضمونة» قال: فضاع بعضها فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضعها له، فقال: أنا اليوم يا رسول الله في الإسلام أرغب، قال أبو داود: وكان أعاره قبل أن يسلم ثم أسلم⁽²⁾.

3- ثباته صلى الله عليه وسلم وأثره في كسب المعركة:

سبقت هوازن المسلمين إلى وادي حنين، واختاروا مواقعهم، وبثوا كتائبهم في شعابه ومنعطفاته وأشجاره، وكانت خطتهم تتمثل في مباغته المسلمين بالسهم أثناء تقدمهم في وادي حنين المنحدر.

لقد باغت المشركون المسلمين وأمطرهم الأعداء من جميع الجهات، فاضطربت صفوفهم، وماج بعضهم في بعض، ونتيجة لهول هذا الموقف انهزم معظم الجيش ولاذوا بالفرار، كل يطلب النجاة لنفسه، وبقي الرسول صلى الله عليه وسلم ونفر قليل في الميدان يتصدون لهجمات المشركين، ونترك العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم يصف لنا ذلك المشهد المهيّب حيث يقول: شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نفارقه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة له بيضاء، فلما التقى المسلمون والكفار ولّى المسلمون مدبرين، فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته قبل الكفار، قال العباس: وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكفها إرادة ألا تسرع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أي عباس، ناد أصحاب السمرة»⁽³⁾ فقال العباس -وكان رجلا صيّا-: فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب السمرة؟ قال: فوالله لكأن

(1) أبو داود، كتاب البيوع، باب تضمين العارية، (826/3) رقم 8566.

(2) أبو داود، كتاب البيوع والإجازات، باب تضمين العارية (823/3) رقم 8562.

(3) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين (1398/3) رقم 1775.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

عطفهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها، فقالوا: يا لبيك يا لبيك! قال: فاقتلوا الكفار، والدعوة في الأنصار، يقولون: يا معشر الأنصار، يا معشر الأنصار، قال: ثم قصرت الدعوة على بني الحارث من الخزرج، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته، كالمطاول عليها إلى قتالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذا حين حمي الوطيس»⁽¹⁾.

لقد أيد الله نبيه صلى الله عليه وسلم يوم حنين بأمر منها:

* نزول الملائكة من السماء.

* سلاح الرعب⁽²⁾.

تأثير قبضتي الحصى والتراب في أعين الأعداء:

من الأسلحة المادية التي أيد الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين تأثير قبضتي الحصى والتراب اللتين رمى بهما وجوه المشركين، حيث دخل في أعينهم كلهم من ذلك الحصى والتراب فصار كل واحد يجد لها في عينيه أثراً، فكان من أسباب هزيمتهم⁽³⁾، قال العباس رضي الله عنه: ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حصيات فرمى بهن وجوه الكفار، ثم قال: «انهزموا ورب محمد» قال: فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى قال: فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته فما زلت أرى حدهم قليلاً وأمرهم مدبراً⁽⁴⁾.

ثانياً: مطاردة فلول الفارين إلى أوطاس والطائف:

أ- قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: لما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من حنين بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس، فلقى دُرَيْد بن الصمة، فقتل دُرَيْد، وهزم الله أصحابه، قال أبو موسى: وبعثني مع أبي عامر، فرمى أبو عامر في ركبتة، رماه جُشْمِي بسهم فأتبته في ركبتة، فأنتهيت إليه

(1) المصدر نفسه (1399/3) رقم 1772.

(2) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 599.

(3) انظر: القيادة العسكرية في عهد رسول الله، ص 259.

(4) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين (1399/3) رقم 1775.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

فقلت: يا عم، من رماك؟ فأشار إليّ فقال: ذاك قاتلي الذي رماني، فقصدت له، فلحقته، فلما رأيته ولي فأتبعته وجعلت أقول له: ألا تستحي؟ ألا تثبت؟ فكف، فاختلفنا ضربتين بالسيف فقتلته، ثم قلت لأبي عامر: قتل الله صاحبك، قال: فانزع هذا السهم، فنزعت منه الماء.

قال: يا ابن أخي أقرئ النبي صلى الله عليه وسلم السلام وقل له: استغفر لي، واستخلفني أبو عامر على الناس فمكث يسيراً ثم مات، فرجعت فدخلت على النبي صلى الله عليه وسلم في بيته على سرير مُرمل⁽¹⁾ وعليه فراش قد أثر رمال السرير بظهره وجنبه، فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر، وقوله: قل له استغفر لي، فدعا بماء فتوضأ، ثم رفع يديه فقال: «اللهم اغفر لعبيد أبي عامر» ورأيت بياض إبطيه، ثم قال: «اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك من الناس» فقلت: ولي فاستغفر، فقال: «اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً». قال أبو بردة⁽²⁾: إحداهما لأبي عامر، والأخرى لأبي موسى⁽³⁾.

ب- محاصرة الفارين إلى الطائف: حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الطائف، واستخدم أساليب متنوعة في القتال والحصار، ومارس الشورى، واختار المكان المناسب عند الحصار، واستخدم الحرب النفسية والدعاية في صفوف الأعداء.. ومن هذه الأساليب:

1- استخدامه صلى الله عليه وسلم أسلوباً جديداً في القتال: استعمل النبي صلى الله عليه وسلم في حصاره للطائف أسلحة جديدة لم يسبق له أن استعملها من قبل، وهذه الأسلحة هي:

*** المنجنيق:** فقد ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم استعمل هذا السلاح عند حصاره لحصن ثقيف بالطائف، فعن مكحول رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم نصب المنجنيق على أهل الطائف⁽⁴⁾.

(1) أي معمول بالرمال وهي حبال الحصر.

(2) أبو بردة هو ابن أبي موسى الأشعري راوي الحديث عن أبيه.

(3) البخاري، المغازي، (120/5) رقم 4323.

(4) أبو داود، كتاب الجهاد، باب فضل الجهاد، ح(35) مراسيل أبي داود، ص183.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

والمنجنيق من أسلحة الحصار الثقيلة ذات التأثير الفعال على من وجهت إليه، فبحجارتها تهدم الحصون والأبراج، وبقتالته تحرق الدور والمعسكرات، وهذا النوع يحتاج إلى عدد من الجنود في إدارته واستخدامه عند القتال⁽¹⁾.

*** الدبابة:** ومن أسلحة الحصار الثقيلة التي استعملها الرسول صلى الله عليه وسلم لأول مرة في حصار الطائف: الدبابة؛ والدبابة على شكل بيت صغير تعمل من الخشب وتتخذ للوقاية من سهام الأعداء، عندما يراد نقض جدار الحصن، بحيث إذا دخلها الجنود كان سقفها حرزاً لهم من الرمي⁽²⁾.

*** الحسك الشائك:** من الأسلحة الجديدة التي استعملها الرسول صلى الله عليه وسلم في حصاره لأهل الطائف: الحسك الشائك؛ وهو من وسائل الدفاع الثابتة، ويعمل من خشبتين تسمران على هيئة الصليب، حتى تتألف منهما أربع شعب مدببة، وإذا رمى في الأرض بقيت شعبة منه بارزة تتعثر بها أقدام الخيل والمشاة، فتتعطل حركة السير السريعة المطلوبة في ميدان القتال⁽³⁾.

وقد ذكر أصحاب المغازي والسير أن الرسول صلى الله عليه وسلم استعمل هذا السلاح في حصاره لأهل الطائف، حيث أمر جنده بنشر الحسك الشائك حول حصن ثقيف⁽⁴⁾، وفي هذا إشارة إلى قادة الأمة خصوصاً، والمسلمين عموماً، ألا يعطلوا عقولهم وتفكيرهم من أجل الاستفادة من النافع والجديد الذي يحقق للأمة مصلحة الدارين، ويدفع عنها شرور أعدائها.

2- اختيار رسول الله صلى الله عليه وسلم مكاناً مناسباً عند القتال: نزل الجيش في مكان مكشوف قريب من الحصن، وما كاد الجند يضعون رحالهم حتى أمطرهم الأعداء بوابل من السهام؛ فأصيب من جراء ذلك ناس كثيرون، وحينئذ عرض الحباب بن المنذر على الرسول صلى الله عليه وسلم فكرة التحول من هذا الموقع إلى مكان آمن من سهام أهل الطائف، فقبل الله عليه وسلم هذه المشورة وكلف الحباب -لكونه من ذوي الخبرات الحربية الواسعة في هذا

(1) انظر: المدرسة العسكرية الإسلامية، اللواء محمد فرج، ص 407.

(2) انظر: القيادة في عهد الرسول، ص 405.

(3) انظر: الفن الحربي في صدر الإسلام، اللواء عبد الرؤوف عون، ص 195.

(4) انظر: الطبقات الكبرى (214/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

المجال- بالبحث عن موقع ملائم لنزول الجند، فذهب رضي الله عنه ثم حدد المكان المناسب، وعاد فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم جيشه بالتحول إلى المكان الجديد، وهذا شاهد عيان يحدثنا عما رأى؛ قال عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه: لقد أطلع علينا من نبلهم ساعة نزلنا شيء الله به عليم كأنه رجل جراد، وترسنا لهم حتى أصيب ناس من المسلمين بجراحة، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الحباب فقال: «انظر مكائنا مرتفعاً مستأخراً عن القوم» فخرج الحباب حتى انتهى إلى موضع مسجد الطائف⁽¹⁾ خارج من القرية، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يتحولوا⁽²⁾.

3- استخدام الحرب النفسية والدعاية: لما اشتدت مقاومة أهل الطائف وقتلوا مجموعة من المسلمين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتحريق بساتين العنب والنخل في ضواحي الطائف للضغط على ثقيف، ثم أوقف هذا العمل بعد أثره في معنوياتهم وإضعافه روح المقاومة، وبعد أن ناشدته ثقيف بالله والرحم أن يترك هذا العمل، ووجه النبي صلى الله عليه وسلم نداء لعبيد الطائف أن من ينزل من الحصن ويخرج إلى المسلمين فهو حر، فخرج ثلاثة وعشرون من العبيد منهم أبو بكر الثقيفي فأسلموا، فأعتقهم ولم يعدهم إلى ثقيف بعد إسلامهم⁽³⁾.

4- الحكمة من رفع الحصار: كانت حكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رفع الحصار واضحة؛ فالمنطقة المحيطة بها لم تعد تابعة لها، بل صارت ضمن سيادة الدولة الإسلامية، ولم تعد تستمد قوتها إلا من امتناع حصونها، فحصارها ورفعها سواء أمام القائد المحنك، وقد استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم من حوله في عملية الحصار⁽⁴⁾ فقال نوفل بن معاوية الديلي: ثعلب في جحر إن أقمت عليه أخذته، وإن تركته لم يضررك، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

(1) مسجد الطائف: هو المسجد المعروف الآن بمسجد ابن عباس.

(2) انظر: مغازي الواقدي (416/1). (3) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (510/2).

(4) انظر: دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، للشجاع، ص206.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

ابن الخطاب فأذن في الناس بالرحيل، فضج الناس من ذلك وقالوا: نرحل، ولم يفتح علينا الطائف؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فاغدوا على القتال» فغدوا، فأصبت المسلمين جراحات، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنا قافلون غدا إن شاء الله»، فسروا بذلك وأذعنوا، وجعلوا يرحلون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك⁽¹⁾، فلما ارتحلوا واستقلوا، قال: «قولوا: آييون، تائبون، عابدون، لربنا حامدون»⁽²⁾، وقيل: يا رسول الله، ادع الله على ثقيف، فقال: «اللهم اهد ثقيفًا وانت بهم»⁽³⁾.

* * *

(1) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين (1403/3) رقم 1778.
(2) انظر: زاد المعاد (497/3).
(7) المصدر نفسه، صحيح السيرة النبوية، ص 566.

المبحث الثاني

فقه الرسول صلى الله عليه وسلم في التعامل مع النفوس

ويظهر هذا الفقه في عدة مواقف من هذه الغزوة منها:

أ- لا رجعة للوثنية:

خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين بعض حديثي العهد بالجاهلية، وكانت لبعض القبائل شجرة عظيمة خضراء يقال لها ذات أنواط يأتونها كل سنة، فيعلقون أسلحتهم عليها، ويذبحون عندها، ويعكفون عليها يوماً، وبينما هم يسيرون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ وقع بصرهم على الشجرة، فتحلبت أفواههم على أعياد الجاهلية التي هجروها، ومشاهدها التي طال عهدهم بها، فقالوا: يا رسول الله، اجعل لنا (ذات أنواط) كما لهم (ذات أنواط)، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الله أكبر! قلتهم -والذي نفس محمد بيده- كما قال قوم موسى لموسى: (اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) لتركبن سنن من كان قبلكم»⁽¹⁾.

وهذا يعبر عن عدم وضوح تصورهم للتوحيد الخالص رغم إسلامهم، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم أوضح لهم ما في طلبهم من معاني الشرك، وحذرهم من ذلك، ولم يعاقبهم أو يعنفهم؛ لعلمه بحدائث عهدهم بالإسلام⁽²⁾، وقد سمح لهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالمشاركة في الجهاد؛ لأنه لا يشترط فيمن يخرج للجهاد أن يكون قد صحح اعتقاده تماماً من غبش الجاهلية، وإنما الجهاد عمل صالح يثاب عليه فاعله، وإن قصر في بعض أمور الدين الأخرى، بل الجهاد مدرسة تربوية تعليمية يتعلم فيه المجاهدون كثيراً من العقائد والأحكام والأخلاق؛ وذلك لما يتضمنه من السفر وكثرة اللقاءات التي يحصل فيها تجاذب الأحاديث وتلاقح

(1) انظر: السيرة النبوية للندوي ص349، سنن الترمذي، الفتن (475/4) رقم 2180.

(2) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (497/2). (3) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (62/8).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

ب- الإعجاب بالكثرة يحجب نصر الله:

الإعجاب بالكثرة حجب عن المسلمين النصر في بداية المعركة، وقد عبر القرآن الكريم عن ذلك بقوله: (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ) [التوبة: 25].

وقد نبه إلى هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما أوضح أنه لا حول ولا قوة إلا بالله فيقول: «اللهم بك أحول وبك أصول، وبك أقاتل»⁽²⁾.

وهكذا أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم يراقب المسلمين ويقوم ما يظهر من انحرافات في التصور والسلوك، حتى في أخطر ظروف المواجهة مع خصومه العتاة⁽³⁾.

وعلى الرغم من الهزيمة التي لحقت بالمسلمين في بداية غزوة حنين وفرار معظم المسلمين في ميدان المعركة؛ لأنهم فوجئوا بما لم يتوقعوه، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعنف أحدا ممن فرّ عنه، حتى حينما طالبه بعض المسلمين بأن يقتل الطلقاء لأنهم فروا، لم يوافق على هذا⁽⁴⁾.

ج- الغنائم وسيلة لتأليف القلوب:

رأى صلى الله عليه وسلم أن يتألف الطلقاء والأعراب بالغنائم تأليفاً لقلوبهم لحدائثة عهدهم بالإسلام، فأعطى لزعماء قريش وغطفان وتميم عطاء عظيماً، إذ كانت عطية الواحد منهم مائة من الإبل، ومن هؤلاء: أبو سفيان بن حرب، وسهيل بن عمرو، وحكيم بن حزام، وصفوان بن أمية، وعيينة بن حصن الفزاري، والأقرع بن حابس، ومعاوية ويزيد ابنا أبي سفيان، وقيس ابن

(2) سنن الدارمي (135/2)، المسند للإمام أحمد (333/4).

(3) انظر: المجتمع المدني في عهد النبوة للعمري، ص 199.

(4) المصدر نفسه، ص 204، 205.

(3) انظر: معين السيرة، ص 421.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

عدي⁽¹⁾. وكان الهدف من هذا العطاء المجزي هو تحويل قلوبهم من حب الدنيا إلى حب الإسلام، أو كما قال أنس بن مالك: إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها⁽²⁾. وعبر عن هذا صفوان بن أمية بقوله: لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إليّ فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليّ⁽³⁾.

وقد تأثر حدثاء الأنصار من هذا العطاء بحكم طبيعتهم البشرية، وترددت بينهم مقالة، فراعى صلى الله عليه وسلم هذا الاعتراض وعمل على إزالة التوتر، وبين لهم الحكمة في تقسيم الغنائم، وخاطب الأنصار خطاباً إيمانياً عقلياً عاطفياً وجدانياً، ما يملك القارئ المسلم على مر الدهور وكر العصور وتوالي الزمان إلا البكاء عندما يمر بهذا الحدث العظيم، فعندما دخل سعد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفداء الذي أصبت، قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظيمة في قبائل العرب، ولم يكن في هذا الحي من الأنصار منها شيء. قال: «فأين أنت من ذلك يا سعد؟» قال: يا رسول الله، ما أنا إلا من قومي، قال: «فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة؟» قال: فجاء رجال من المهاجرين، فتركهم، فدخلوا، وجاء آخرون فردّهم، فلما اجتمعوا أتى سعد، فقال: قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار، فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: «يا معشر الأنصار، ما قالة بلغتني عنكم، وجدة وجدتموها في أنفسكم، ألم آتكم ضلّالاً فهداكم الله بي، وعالة فأغناكم الله بي، وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟» قالوا: الله ورسوله أمنّ وأفضل، ثم قال: «ألا تجيبوني يا معشر الأنصار؟» قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله، لله ولرسوله المن والفضل. قال: «أما والله لو شئتم لقلتم فلصدّقتم ولصدّقتم: أتيتنا مكذباً فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فأويناك، وعائلاً فأسيناك. أوجدتم عليّ يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة

(2) مسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله شيئاً قط (1806/4) رقم 2312.

(3) المصدر نفسه (1806/4) رقم 2313.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

من الدنيا تألفتُ بها قومًا ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم، ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاء⁽¹⁾ والبعير، وترجعون برسول الله إلى رحالكُم؟ فوالذي نفس محمد بيده لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به، ولولا الهجرة، لكنت امرءًا من الأنصار، ولو سلك الناس شعبًا وواديًا، وسلكَتُ الأنصار شعبًا وواديًا لسلكْتُ شعب الأنصار وواديها، الأنصار شعار والناس دثار⁽²⁾، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار»، قال: فبكى القوم حتى أخصلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله صلى الله عليه وسلم قسمًا وحظًا، ثم انصرف رسول الله وتفرقوا⁽³⁾، وفي رواية: «إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض»⁽⁴⁾.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أن هذه المقالة لم تصدر من الأنصار كلهم، وإنما قالها حديثو السن منهم؛ بدليل ما ورد في الصحيحين، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن ناسًا من الأنصار قالوا يوم حنين: أفاء الله على رسوله من أموال هوازن ما أفاء، فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي رجالاً من قريش المائة من الإبل، فقالوا: يغفر الله لرسول الله! يعطي قريشًا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم، قال أنس بن مالك: فحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم، فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة من أدم، فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ما حديث بلغني عنكم؟» فقال له فقهاء الأنصار: أما ذوو رأينا يا رسول الله فلم يقولوا شيئًا، وأما أناس منا حديثة أسنانهم قالوا: يغفر الله لرسول الله! يعطي قريشًا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فإني أعطي رجالاً حديثي عهد بكفر أتألفهم»⁽⁵⁾.

ويرى الإمام ابن القيم -استدلالاً بهذه الحادثة-: أنه قد يتعين على الإمام أن يتألف أعداءه لاستجلابهم إليه، ودفع شرهم عن المسلمين فيقول: الإمام نائب عن المسلمين يتصرف لمصالحهم

(1) بالشاء: أي الشياه وهي الأغنام.

(2) دثار: هو الثوب الذي يكون فوق الشعار.

(3) انظر: زاد المعاد (474/3).

(4) مسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم (738/2) رقم 1061.

(5) مسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم (734/2) رقم 1509.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وقيام الدين، فإن تعين ذلك -أي التأليف- للدفع عن الإسلام والذب عن حوزته واستجلاب رعوس أعدائه إليه ليأمن المسلمون شرهم، ساغ له ذلك، بل تعين عليه، فإنه وإن كان في الحرمان مفسدة، فالمفسدة المتوقعة من فوات تأليف هذا العدو أعظم، ومبنى الشريعة على دفع أعلى المفسدتين باحتمال أدناهما، وتحصيل أكمل المصلحتين بتفويت أدناهما، بل بناء مصالح الدنيا والدين على هذين الأصلين⁽¹⁾.

والتأليف لهذه الطائفة إنما هو من قبيل الإغراء والتشجيع في أول الأمر حتى يخالط الإيمان بشاشة القلب، ويتذوق حلاوته.

ويوضح الشيخ محمد الغزالي حقيقة هذا الأمر في مثال محسوس فيقول:.... إن في الدنيا أقواماً كثيرين يقادون إلى الحق من بطونهم لا من عقولهم، فكما تهدي الدواب إلى طريقها بحزمة برسيم تظل تمد إليه فمها، حتى تدخل حظيرتها آمنة، فكذلك هذه الأصناف من البشر تحتاج إلى فنون الإغراء حتى تستأنس بالإيمان وتهش له⁽²⁾.

إن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب للأنصار صورة مؤثرة: قوم يبشرون بالإيمان يقابلهم قوم يبشرون بالجمال، وقوم يصحبهم رسول الله يقابلهم قوم يصحبهم الشاة والبعير، لقد أيقظتهم تلك الصور، وأدركوا أنهم وقعوا في خطأ ما كان لأمثالهم أن يقع فيه، فانطلقت حناجرهم بالبكاء ومآقيهم بالدموع، وألسنتهم بالرضا، وبذلك طابت نفوسهم واطمأنت قلوبهم بفضل سياسة النبي صلى الله عليه وسلم الحكيمة في مخاطبة الأنصار⁽³⁾.

د- الصبر على جفاء الأعراب:

لقد ظهر من رسول الله صلى الله عليه وسلم الكثير من الصبر على جفاء الأعراب، وطمعهم في الأموال، وحرصهم على المكاسب، فكان مثالا للمربي الذي يدرك أحوالهم، وما جبلتهم عليه

(1) انظر: زاد المعاد (486/3).

(2) انظر: فقه السيرة، ص 427.

(3،4) انظر: المجتمع المدني في عهد النبوة، ص 219.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

بينتهم وطبيعة حياتهم من القساوة والفظاظة والروح الفردية، فكان يبين لهم ويطمئنهم على مصالحهم ويعاملهم على قدر عقولهم، فكان بهم رحيماً ولهم مربياً ومصلحاً، فلم يسلك معهم مسلك ملوك عصره مع رعاياهم الذين كانوا ينحنون أمامهم أو يسجدون، وكانوا دونهم محجوبين، وإذا خاطبهم التزموا بعبارات التعظيم والإجلال، كما يفعل العبد مع ربه، أما الرسول عليه الصلاة والسلام فكان كأحدكم؛ يخاطبونه ويعاتبونه، ولا يحتجب عنهم قط، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يراعون التأدب بحضرته ويخاطبونه بصوت خفيض، ويكنون له في أنفسهم المحبة العظيمة، وأما جفاة الأعراب فقد عنفهم القرآن على سوء أدبهم وجفائهم، وارتفاع أصواتهم وجرأتهم في طبيعة مخاطبتهم للرسول **صلى الله عليه وسلم**⁽¹⁾، وهذه مواقف تدل على حسن معاملة رسول الله **صلى الله عليه وسلم** للأعراب:

1- الأعرابي الذي رفض البشري:

قال أبو موسى الأشعري: كنت عند النبي **صلى الله عليه وسلم** وهو نازل بالجعرانة بين مكة والمدينة ومعه بلال، فأتى النبي **صلى الله عليه وسلم** أعرابي فقال: ألا تنجز لي ما وعدتني؟ فقال له: «أبشر» فقال: قد أكثرت عليّ من أبشر، فأقبل على أبي موسى وبلال كهينة الغضبان، فقال: «رد البشري، فاقبلا أنتما» قالوا: قبلنا. ثم دعا بقدر فيه ماء فغسل يديه ووجهه فيه، ومج فيه ثم قال: «اشربا منه، وأفرغا على وجوهكما ونحوركما وأبشرا» فأخذا القدر ففعلا، فنادت أم سلمة من وراء الستر أن أفضلا لأمكما، فأفضلا لها منه طائفة⁽²⁾.

2- مقولة الأعرابي: ما أريد بهذه القسمة وجه الله:

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ... فلما كان يوم حنين أثر رسول الله **صلى الله عليه وسلم** ناسا في القسمة، فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عيينة مثل ذلك، وأعطى أناسا من أشراف العرب، وأثرهم يومئذ في القسمة، فقال رجل: والله إن هذه القسمة ما عدل فيها

(2) البخاري، كتاب المغازي رقم 4328.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وما أريد فيها وجه الله، قال: فقلت: والله لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فأتيته فأخبرته بما قال، قال: فتغير وجهه حتى كان كالصرف، ثم قال: «فمن يعدل إن لم يعدل الله ورسوله؟!» قال: ثم قال: «يرحم الله موسى؛ قد أؤذي بأكثر من هذا فصبر» قال: قلت: لا جرم لا أرفع إليه بعدها حديثاً⁽¹⁾.

تعامله مع هوازن لما أسلمت:

جاء وفد هوازن لرسول الله بالجعرانة وقد أسلموا، فقالوا: يا رسول الله، إنا أصل وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك، فامن علينا من الله عليك. وقام خطيبهم زهير بن صرد فقال: يا رسول الله، إنما في الحظائر من السبايا خالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك، ولو أنا ملحنا لابن أبي شمر أو النعمان بن المنذر⁽²⁾ ثم أصابنا منها مثل الذي أصابنا منك رجونا عائدتهما وعطفهما، وأنت رسول الله خير المكفولين، ثم أنشأ يقول:

امن علينا رسول الله في كرم فإنك المرء نرجوه وننتظر⁽³⁾

إلى أن قال:

امن على نسوة قد كنت ترضعها إذ فوك يملؤه من محضها درر

امن على نسوة قد كنت ترضعها وإذ يزينك ما تأتي وما تذر

فكان هذا سبب إعتاقهم عن بكرة أبيهم، فعادت فواضله عليه السلام عليهم قديماً وحديثاً وخصوصاً وعموماً⁽⁴⁾.

فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوفد قال لهم: «نساؤكم وأبناؤكم أحب إليكم أم أموالكم؟» فقالوا: يا رسول الله خيرتنا بين أحسابنا وأموالنا؟ بل أبناؤنا ونساؤنا أحب إلينا، فقال

(1) مسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم، حديث 1062.

(2) انظر: البداية والنهاية (352/4). (4) المصدر نفسه (352/4).

(4) انظر: البداية والنهاية (363/4، 364).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

رسول الله: «أما ما كان لي ولبنى عبد المطلب فهو لكم، وإذا أنا صليت بالناس فقوموا فقولوا: إنا نستشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أبنائنا ونسائنا، فإني سأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم» فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس الظهر قاموا فقالوا ما أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «أما ما كان لي ولبنى عبد المطلب فهو لكم» فقال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالت الأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا، وقال عيينة: أما أنا وبنو فزارة فلا، وقال العباس ابن مرداس السلمي: أما أنا وبنو سليم فلا، فقالت بنو سليم: بل ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم، قال عباس بن مرداس لبني سليم: وهنتموني؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أمسك منكم بحقه فله بكل إنسان ستة فرائض من أول فيء نصيبه، فردوا إلى الناس نساءهم وأبناءهم»⁽¹⁾، وفي رواية... فخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في المؤمنين فقال: «إن إخوانكم هؤلاء جاءونا تائبين، وإنني أردت أن أرد إليهم سببهم، فمن أحب منكم أن يطيب ذلك فليفعل، ومن أحب أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل» فقال الناس: قد طيبنا ذلك يا رسول الله، فقال لهم: «إنا لا ندري من أذن منكم في ذلك ممن لم يأذن، فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم» فرجع الناس فكلهم عرفاؤهم ثم رجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه أنهم طيبوا وأذنوا⁽²⁾ وقد سر الرسول صلى الله عليه وسلم بإسلام هوازن وسألهم عن زعيمهم مالك بن عوف النصري، فأخبروه أنه في الطائف مع ثقيف، فوعدهم برد أهله وأمواله عليه، وإكرامه بمائة من الإبل إن قدم عليه مسلماً، فجاء مالك مسلماً فأكرمه وأمره على قومه وبعض القبائل المجاورة. لقد تأثر مالك بن عوف وجادت قريحته لمدح النبي صلى الله عليه وسلم فقال:

(1) المصدر نفسه (352/4، 353).

(2) البخاري، كتاب المغازي، رقم 4319.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله في الناس كلهم بمثل محمد
أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتدى ومتى تشاء يخبر عما في غد
وإذا الكتبية عردت⁽¹⁾ أنيابها بالسهمري وضرب كل مهند
فكأنه ليث على أشباله وسط الهبأة⁽²⁾ خادر⁽³⁾ في

لقد كانت سياسته صلى الله عليه وسلم مع خصومه مرنة إلى أبعد الحدود؛ وبهذه السياسة
الحكيمة استطاع صلى الله عليه وسلم أن يكسب هوازن وحلفاءها إلى صف الإسلام، واتخذ من
هذه القبيلة القوية رأس حربته يضرب بها قوى الوثنية في المنطقة ويقودها زعيمهم مالك بن
عوف الذي قاتل ثقيفاً في الطائف حتى ضيق عليهم، وقد فكر زعماء ثقيف في الخلاص من
المأزق بعد أن أحاط الإسلام بالطائف من كل مكان فلا تستطيع تحركاً ولا تجارة، فمال بعض
زعماء ثقيف إلى الإسلام مثل عروة بن مسعود الثقفي الذي سارع إلى اللحاق برسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو في طريقه إلى المدينة بعد أن قسم غنائم حنين واعتمر من الجعرانة، فالتقى
به قبل أن يصل إلى المدينة، وأعلن إسلامه وعاد إلى الطائف، وكان من زعماء ثقيف محبوباً
عندهم، فدعاهم إلى الإسلام وأذن في أعلى منزله فرماه بعضهم بسهام فأصابوه، فطلب من قومه
أن يدفنوه مع شهداء المسلمين في حصار الطائف⁽⁵⁾.

إن الإنسان ليعجب من فقه النبي صلى الله عليه وسلم في معاملة النفوس، ومن سعيه الحثيث
لتمكين دين الله تعالى، لقد استطاع صلى الله عليه وسلم أن يزيل معالم الوثنية، وبيوتات العبادة
الكفرية من مكة وما حولها، ورتب صلى الله عليه وسلم الأمور التنظيمية للأراضي التي أضيفت
للدولة الإسلامية، فعين عتاب بن أسيد أميراً على مكة، وجعل معاذ بن جبل مرشداً وموجهاً

(1) عردت: اشتدت وضربت، القاموس المحيط (313/1).

(2) الهبأة: غبار الحرب، مختار الصحاح، ص689.

(3) الخادر: المقيم في عرينه، والخدر ستر يمد للجارية من ناحية البيت.

(4) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (144/4).

(5) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (192/4).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

ومعلمًا ومربيًا⁽¹⁾، وعين على هوازن مالك بن عوف قائدًا ومجاهدًا، ثم اعتمر ورجع إلى المدينة صلى الله عليه وسلم.

* * *

(1) المصدر نفسه (153/4).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

أولاً: تفسير الآيات التي نزلت في غزوة حنين:

قال تعالى: (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ □ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ □ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [التوبة: 25-27].

إن غزوة حنين سجلت في القرآن الكريم لكي تبقى درساً للأمة في كل زمان ومكان، ولقد عرضت في القرآن الكريم على منهجية ربانية كان من أهم معالمها الآتي⁽¹⁾:

أ- بين القرآن الكريم أن المسلمين أصابهم الإعجاب بكثرة عددهم، قال تعالى: (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ) ثم بين القرآن أن هذه الكثرة لا تفيد (فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا).

ب- بين القرآن الكريم أن المسلمين انهزموا وهربوا ما عدا النبي صلى الله عليه وسلم ونفر يسير من أصحابه، قال تعالى: (وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ).

ج- بين القرآن الكريم أن الله نصر رسوله صلى الله عليه وسلم في هذه المعركة وأكرمه بانزال السكينة عليه وعلى المؤمنين فقال تعالى: (ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ).

د- بين القرآن الكريم أن الله أمد نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بالملائكة في حنين قال تعالى: (وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ).

وأكد سبحانه- على أنه يقبل التوبة من عباده ويوفق من شاء إليها، قال تعالى: (ثُمَّ يَتُوبُ

(1) انظر: حديث القرآن (602/2، 603).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ).

ثانياً: أسباب الهزيمة وعوامل النصر في حنين:

أ- أسباب الهزيمة:

وقعت الهزيمة في الجولة الأولى لعدة أسباب منها:

- 1- أن شيئاً من العجب تسرب إلى قلوب المسلمين، لما رأوا عددهم، فقد قال رجل منهم: لن نغلب اليوم من قلة، فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فكانت الهزيمة.
- 2- خروج شبان ليس لديهم سلاح أو سلاح كافٍ، وإنما عندهم حماس وتسرع.
- 3- أن عدد المشركين كان كثيراً بلغ أكثر من ضعف عدد المسلمين.
- 4- أن مالك بن عوف سبق بجيشه إلى حنين فتهاً هنالك ووضع الكمائن والرماة في مضائق الوادي وعلى جوانبه، وفاجأوا المسلمين، برميهم بالنبال وبالهجوم المباغت.
- 5- كان العدو مهياً ومنظماً ومستعداً للقتال حال مواجهته لجيش المسلمين، فقد جاء المشركون بأحسن صفوف رُئيت: صف الخيل ثم المقاتلة ثم النساء من وراء ذلك ثم الغنم ثم النعم.
- 6- وجود ضعاف الإيمان الذين أسلموا حديثاً في مكة، ففروا فانقلبت أولاهم على أخراهم، فكان ذلك سبباً لوقوع الخلل وهزيمة غيرهم⁽¹⁾.

ب- عوامل النصر:

كانت عوامل النصر في حنين عدة أسباب منها:

- 1- ثبات الرسول في القتال وعدم تراجع، مما جعل الجنود يثبتون ويستجيبون لنداء القائد الثابت.

(1) انظر: المستفاد من قصص القرآن (409/2). (2) مسلم بشرح النووي (116/12، 117). هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ مع الدعاء بحسن الاستفادة

- 2- شجاعة القائد، فالرسول القائد لم يثبت في مكانه فحسب، بل تقدم نحو عدوه راكباً بغلته، فطفق يركض ببغلته قبل الكفار والعباس أخذ بلجام البغلة يكفها ألا تسرع.**
- 3- ثبات قلة من المسلمين معه وحوله حتى جاء الذين تولوا وأكملوا المسيرة؛ مسيرة الثبات والبر والقتال حتى النصر.**
- 4- سرعة استجابة الفارين والتحاقهم بالقتال.**
- 5- وقوع الجيش المعادي في خطأ عسكري قاتل، وهو عدم الاستمرار في مطاردة الجيش الإسلامي بعد فراره، مما أعطى فرصة ثمينة للجيش الإسلامي ليلتقط أنفاسه ويعود إلى ساحة القتال ويستأنف القتال من جديد بقيادة القائد الثابت الشجاع رسول الله صلى الله عليه وسلم.**
- 6- رمية الحصى، فقد أخذ النبي صلى الله عليه وسلم حصيات فرمى بهن وجوه الكفار، ثم قال: «انهزموا ورب محمد»⁽¹⁾.**
- 7- الاستعانة والاستغاثة بالله عز وجل، فقد كان الرسول يلح على الله في الدعاء بالنصر على الأعداء.**
- 8- إنزال الملائكة في الغزوة ومشاركتهم فيها، وقد سجل الله هذه المشاركة في كتابه الكريم في سورة التوبة⁽²⁾: (وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ).**
- ثالثاً: الأحكام المستنبطة من غزوة حنين والطائف:**
- 1- نزول الآية الكريمة (وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) [النساء: 24] في يوم أوطاس لبيان حكم المسيبات المتزوجات، وقد فرق السبي بينهن وبين أزواجهن، فأوضحت الآية جواز وطنهن إذا انقضت عدتهن، لأن الفرقة تقع بينهن وبين أزواجهن الكفار بالسبي**

(2) انظر: السيرة النبوية لأبي فارس، ص423. (2) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (520/2). هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ مع الدعاء بحسن الاستفادة

وتنقضي العدة بالوضع للحامل وبالحيض لغير الحامل⁽¹⁾.

2- منع المخنثين خلقة من الدخول على النساء الأجنيات: وكان ذلك مباحاً إذ لا حاجة

للمخنث بالنساء، وكان سبب المنع ما رواه البخاري عن زينب بنت أبي سلمة عن أمها أم سلمة، دخل عليّ النبي صلى الله عليه وسلم وعندي مخنث فسمعتة يقول لعبد الله بن أمية: يا عبد الله، أرأيت إن فتح الله عليك الطائف غداً، فعليك بابنة غيلان؛ فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يدخلن هؤلاء عليكم»⁽²⁾.

وفي هذا المنع حرص النبي صلى الله عليه وسلم على سلامة أخلاق المجتمع الإسلامي.

3- النهي عن قصد قتل النساء والأطفال والشيوخ والأجراء ممن لا يشتركون في القتال ضد

المسلمين: وقد ذكر ابن كثير أن رسول الله مر يوم حنين بامرأة قتلها خالد بن الوليد والناس متقصفون⁽³⁾ عليها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما كانت هذه لتقاتل» وقال لأحدهم: «الحق خالدًا فقل له لا يقتلن ذرية ولا عسيقًا»⁽⁴⁾، وفي رواية: «فقل له إن رسول الله ينهاك أن تقتل وليدًا أو امرأة أو عسيقًا»⁽⁵⁾.

4- تشريع العمرة من الجعرانة: أحرم النبي صلى الله عليه وسلم بعمره من الجعرانة، وكان

داخلا إلى مكة وهذه هي السنّة لمن دخلها من طريق الطائف وما يليه، وأما ما يفعله كثير مما لا علم عندهم من الخروج من مكة إلى الجعرانة ليحرم منها بعمره ثم يرجع إليها فهذا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا استحبه أحد من أهل العلم، وإنما يفعله عوام الناس زعموا أنه اقتداء بالنبي وغلطوا، فإنه إنما أحرم منها داخلا إلى مكة ولم يخرج منها إلى الجعرانة ليحرم منها⁽⁶⁾.

(2) البخاري، كتاب المغازي، (120/5) رقم 4324. (4) متقصفون: مجتمعون.

(4) انظر: البداية والنهاية (336/4). (6) المصدر نفسه (335/4).

(6) انظر: زاد المعاد (504/3).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

5- إرشاده للأعرابي بأن يصنع في العمرة ما يصنع في الحج:

قال يعلى بن منبه: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بالجعرانة وعليه جبة، وعليها خلوقة⁽¹⁾ -أو قال: أثر صفرة- فقال: كيف تأمرني أصنع في عمرتي؟ قال: وأنزل على النبي صلى الله عليه وسلم الوحي، فستر بثوب، وكان يعلى يقول: وددت أني أرى النبي صلى الله عليه وسلم وقد أنزل الوحي عليه، قال: فرفع عمر طرف الثوب عنه فنظرت إليه، فإذا له غطيظ (قال) فلما سري عنه قال: «أين السائل عن العمرة؟ اغسل عنك الصفرة -أو قال: أثر الخلوقة- واخلع عنك جبتك، واصنع في عمرتك ما أنت صانع في حجتك»⁽²⁾.

6- من قتل قتيلاً فله سلبه: قال أبو قتادة: لما كان يوم حنين نظرت إلى رجل من المسلمين يقاتل رجلاً من المشركين، وآخر من المشركين يختله من ورائه ليقتله، فأسرعت إلى الذي يختله فرفع ليضربني وأضرب يده فقطعتها، ثم أخذني فضمني ضمّاً شديداً حتى تخوفت، ثم ترك فتحل ودفعته ثم قتلته، وانهزم المسلمون وانهزمت معهم، فإذا بعمر بن الخطاب في الناس، فقلت له: ما شأن الناس؟ قال: أمر الله، ثم تراجع الناس إلى رسول الله، فقال رسول الله: «من أقام بينة على قتيل قتله، فله سلبه»، فقممت لألتمس بينة قتيلي فلم أر أحداً يشهد لي فجلست، ثم بدا لي فذكرت أمره لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل من جلسائه: سلاح هذا القتيل الذي يذكر عندي، فأرضه منه، فقال أبو بكر: كلا لا يعطيه⁽³⁾ أصيبغ من قريش ويدع⁽⁴⁾ أسداً من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله، قال: فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأداه إليّ فاشتريت منه خرافاً⁽⁵⁾، فكان أول مال تأثّلته في الإسلام⁽⁶⁾.

ونلاحظ في هذا الخبر أن أبا قتادة الأنصاري رضي الله عنه حرص على سلامة أخيه المسلم،

(1) خلوقة: طيب.

(2) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 578.

(3) لا يعطيه: أي لا يعطي رسول الله ﷺ، وقوله أصيبغ: نوع من الطيور شبه له لعجزه وضعفه.

(4) يدع: يترك.

(5) خرافاً: أي يستانا أقام الثمر مقام الأصل.

(6) البخاري، كتاب المغازي (119/5) رقم 4322.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وقتل ذلك الكافر بعد جهد عظيم، كما أن موقف الصديق رضي الله عنه فيه دلالة على حرصه على إحقاق الحق، والدفاع عنه، ودليل على رسوخ إيمانه وعمق يقينه وتقديره لرابطة الأخوة الإسلامية وأنها بمنزلة رفيعة بالنسبة له⁽¹⁾.

7- النهي عن الغلول: أخذ النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين وبرة من سنام بعير من الغنائم، فجعلها بين إصبعيه ثم قال: «أيها الناس إنه لا يحل لي مما أفاء الله عليكم قدر هذه، إلا الخمس، والخمس مردود عليكم، فادوا الخياط والمخييط، وإياكم والغلول، فإن الغلول عار، ونار، وشنار على أهله في الدنيا والآخرة»⁽²⁾.

ولما سمع الناس هذا الزجر بما فيه من وعيد من رسول الله صلى الله عليه وسلم أشفقوا على أنفسهم وخافوا خوفاً شديداً فجاء أنصاري بكبة خيط من خيوط شعر، فقال: يا رسول الله، أخذت هذه الوبرة لأخيط بها برذعة بعير لي دبر، فقال له صلى الله عليه وسلم: «أما حقي منها، وما كان لبني عبد المطلب فهو لك»، فقال الأنصاري: أما إذا بلغ الأمر فيها ذلك فلا حاجة لي بها، فرمى بها من يده⁽³⁾.

وأما عقيل بن أبي طالب فقد دخل على امرأته فاطمة بنت شيبه يوم حنين، وسيفه ملطخ دمًا، فقال لها: دونك هذه الإبرة تخطين بها ثيابك، فدفعها إليها، فسمع المنادي يقول: من أخذ شيئاً فليرده، حتى الخياط والمخييط، فرجع عقيل فأخذ الإبرة من امرأته، فألقاها في الغنائم⁽⁴⁾.

وهذا التشديد في النهي عن الغلول، وتبشيعه بهذه الصورة الشائنة المرعبة، ولو كان في شيء تافه لا يلتفت إليه، يمثل معلما من أهم معالم المنهج النبوي في تربية الأفراد على ما ينبغي أن يكون عليه الفرد المسلم في حياته العملية، إيمانا وأمانة، وفي التزام الأفراد بهذا التوجيه

(1) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي، (26/8).

(2، 2) انظر: البداية والنهاية (353/4).

(4) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (145/4).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

يتطهر المجتمع المسلم من رذيلة الخيانة، لأن التساهل في صغیرها يقود إلى کبیرها، والخيانة من أرذل الأخلاق الإنسانية التي لا تليق بالمجتمع المسلم⁽¹⁾.

8- وفاء نذر كان في الجاهلية:

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: لما قفلنا من حنين سأل عمر النبي صلى الله عليه وسلم عن نذر كان نذره في الجاهلية اعتكافاً فأمره النبي صلى الله عليه وسلم بوفائه⁽²⁾.

رابعاً: مواقف لبعض الصحابة والصحابيات:

1- أنس بن أبي مرثد الغنوي وحراسة المسلمين:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل اندلاع معركة حنين: «من يحرسنا الليلة؟» فقال أنس بن أبي مرثد: أنا يا رسول الله، قال صلى الله عليه وسلم: «فاركب» فركب ابن أبي مرثد فرسا له، وجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له صلى الله عليه وسلم: «استقبل هذا الشعب حتى تكون في أعلاه وتُغرَّن من قبلك الليلة».

قال سهيل بن الحنظلية: فلما أصبحنا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مصلاه، فرجع ركعتين، ثم قال: «هل أحسستم فارسكم؟» قالوا: ما أحسسناه، فتوب بالصلاة، فجعل صلى الله عليه وسلم يصلي، وهو يلتفت إلى الشعب، حتى إذا قضى صلاته، قال: «أبشروا فقد جاءكم فارسكم»، فجعل ينظر إلى خلال الشجر في الشعب، فإذا هو قد جاء حتى وقف عليه فقال: إني انطلقت حتى إذا كنت في أعلى الشعب حيث أمرني صلى الله عليه وسلم، فلما أصبحت طلعت الشعبين كليهما فنظرت فلم أر أحداً، فقال صلى الله عليه وسلم: «هل نزلت الليلة؟» فقال: لا، إلا مصليا أو قاضي حاجة، فقال له صلى الله عليه وسلم: «قد أوجبت، فلا عليك أن تعمل بعدها»⁽³⁾ وفي هذا الخبر يظهر لنا المنهج النبوي الكريم في الاهتمام بالأفراد، فقد ظهر اهتمام النبي صلى

(1) انظر: محمد رسول الله، صادق عرجون (387/4؛ 388).

(2) البخاري، كتاب المغازي (118/5)، رقم 4320.

(3) أبو داود في الجهاد رقم 2501، صحيح السيرة النبوية، ص 550.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

الله عليه وسلم بطليعة القوم حتى جعل يلتفت في صلاته، وما كان ذلك ليحدث إلا لأمر مهم، ثم إنه صلى الله عليه وسلم قال: «أبشروا فقد جاء فارسكم»، إنها الكلمة التي يستعملها صلى الله عليه وسلم في إخبارهم بما يسرهم من الأمور العظيمة، تلك هي أهمية الفرد في المجتمع الإسلامي، إنه ليس كمًا مهملاً، ولا رقماً في سجل ولا بزالاً في آلة، يستغنى عنه عند الضرورة ليؤتى بغيره، إنها بعض التفسير للمنهج الإلهي⁽¹⁾ في قوله: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا [الإسراء: 70].

كما أن في هذه القصة معلماً من معالم المنهج النبوي الكريم في وجوب اليقظة وتعرف أحوال العدو، ومراقبة حركاته، ومعرفة ما عنده من القوة عدداً وعدة، وما رسمه من خطط حربية، وهي سياسة مهمة بالنسبة للقادة الذين يسعون لإعلاء كلمة الله في الأرض⁽²⁾.

وأما قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «قد أوجبت فلا عليك أن تعمل بعدها» فهذا محمول على النوافل التي يكفر الله بها السيئات، ويرفع بها الدرجات، والمقصود أنه عمل عملاً صالحاً كبيراً يكفي لتكفير ما قد يقع منه من سيئات في المستقبل، ويرفع الله به درجاته في الجنة، وليس المقصود أن هذا العمل يكفيه عن أداء الواجبات⁽³⁾.

2- شجاعة أم سليم يوم حنين:

قال أنس رضي الله عنه: إن أم سليم اتخذت يوم حنين خنجرًا⁽⁴⁾ فكان معها، فرآها أبو طلحة، فقال: يا رسول الله هذه أم سليم معها خنجر، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما هذا الخنجر» قالت: اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت به بطنه، فجعل رسول الله صلى الله

(1) انظر: معين السيرة، ص429.

(2) انظر: محمد رسول الله، صادق عرجون (366/4).

(3) انظر: التاريخ الإسلامي (14/8). (5) خنجرًا: سكين كبير ذو حدين.

عليه وسلم يضحك، قالت: يا رسول الله، اقتل من بعدنا⁽¹⁾ من الطلقاء⁽²⁾ انهزموا بك⁽³⁾، فقال رسول الله: «يا أم سليم، إن الله قد كفى وأحسن»⁽⁴⁾.

3- الشيماء بنت الحارث أخت النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة:

كان المسلمون قد ساقوا فيمن ساقوه إلى رسول الله الشيماء بنت الحارث، وبنت حليلة السعدية، أخت رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة، وعنفوا عليها في السوق، وهم لا يدرون، فقالت للمسلمين: تعلمون والله أنني لأخت صاحبكم من الرضاعة، فلم يصدقوها حتى أتوا بها رسول الله، ولما انتهت الشيماء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: يا رسول الله إني أختك من الرضاعة، قال: «ما علامة ذلك؟» قالت: عضة عضتها في ظهري، وأنا متوركتك⁽⁵⁾، وعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة، وبسط لها رداءه وأجلسها عليه، وخيّر لها، وقال: «إن أحببت فعندي محبة مكرمة، وإن أحببت أن أمتك وترجعي إلى قومك فعلت» فقالت: بل تمتعني وتردني إلى قومي⁽⁶⁾. وتمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت، وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أعبد وجارية ونعماء وشاء⁽⁷⁾.

خامساً: إسلام كعب بن زهير -الشاعر- والهيمنة الإعلامية على الجزيرة:

لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف، جاءه كعب بن زهير -الشاعر ابن الشاعر- وكان قد هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضاقت به الأرض، وضافت عليه نفسه، وحته أخوه (بجير) على أن يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم تائباً مسلماً، وحذره من سوء العاقبة إن لم يفعل ذلك، فقال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم والتي اشتهرت بـ (قصيدة بانث

(1) من بعدنا: من سوانا.

(2) الطلقاء: هم الذين أسلموا يوم الفتح وكانوا سبب الانهزام في المرة الأولى.

(3) انهزموا بك: انهزموا عنك.

(4) مسلم، رقم 1809، صحيح السيرة النبوية، 563.

(5) متوركتك: يعني حاملتك على وركي.

(6) انظر: البداية والنهاية (363/4) السيرة النبوية الصحيحة (506/2).

(7) انظر: السيرة النبوية للندي، ص358. (8) متبول: مغرم، مكبول: مقيد.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

سعاد)، فقدم المدينة، وغدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى الصبح، ثم جلس إليه، ووضع يده في يده، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إن كعب بن زهير جاء يستأمنك تائباً مسلماً، فهل أنت قابل منه؟ فوثب عليه رجل من الأنصار، فقال: يا رسول الله، دعني وعدو الله، أضرب عنقه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دعه عنك فقد جاء تائباً نازعاً»، وأنشد كعب قصيدته اللامية التي قال فيها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول⁽¹⁾ متيم إثرها لم يفد مكبول

وما سعاد غداة الطرف إذ رحلوا إلا أغنَّ قرير العين مكحول⁽²⁾

ومنها:

إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

في عصابة من قريش قال قائلهم ببطن مكة لما أسلموا: زولوا

شمُ العرانيين أبطال لبوسهم من نسج داود في الهيجا

ويقال إنه لما أنشد رسول الله قصيدته أعطاه بردته، وهي التي صارت إلى الخلفاء⁽⁴⁾. قال ابن كثير: هذا من الأمور المشهورة جداً، ولكن لم أر ذلك في شيء من هذه الكتب المشهورة بإسناد أرتضيه، فאלله أعلم⁽⁵⁾.

ويقال: إن الرسول صلى الله عليه وسلم قال له بعد ذلك: «لولا ذكرت الأنصار بخير فإن الأنصار لذلك أهل!»⁽⁶⁾، فقال:

من سره كرم الحياة فلا يزل في مقنب من صالحى الأنصار⁽⁷⁾

(2) أغن: صفة للغزال الذي في صوته غنة.

(3) انظر: البداية والنهاية (369/4 - 371).

(2) انظر: السيرة النبوية لأبي شعبة (487/2).

(5) انظر: البداية والنهاية (374).

(4) المصدر نفسه (373/4).

(7) المقنب: الجماعة من الخيل، يريد به القوم على ظهور جيادهم.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

ورثوا المكارم كابرًا عن كابر
المكرهين السمهيّ بأذرع
والناظرين بأعين محمّرة
والبائعين نفوسهم لنبيهم
والقائدين⁽³⁾ الناس عن أديانهم
يتطهرون يرونه نسكًا لهم
إلى أن قال:

لو يعلم الأقوام علمي كله فيهم لصدقني الذين أماري⁽⁴⁾
قوم إذا خوت النجوم فإنهم للطارقين⁽⁵⁾ النازلين مقاري⁽⁶⁾

وبإسلام كعب بن زهير نستطيع القول إن الشعراء المعارضين للدعوة الإسلامية قد انتهى دورهم، فقد أسلم ضرار بن الخطاب وعبد الله بن الزبير، وأبو سفيان بن الحارث بن هشام، والعباس بن مرداس، وتحولوا إلى الصف الإسلامي، واستظلوا بلوائه عن قناعة وإيمان، ولم يكتف بعضهم بأن تكون كلمته في الدفاع عن الإسلام، بل كان سيفه إلى جانب كلمته، وهذا من بركات فتح مكة⁽⁷⁾.

سادسًا: من نتائج غزوة حنين والطائف:

- 1- انتصار المسلمين على قبيلتي هوازن وثقيف في هذه الغزوة.
- 2- كانت غزوة حنين والطائف آخر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم لمشركي العرب.

(1) السمهري: الرمح، سواف الهندي: حواشي السيف.
(2) المشرفي: السيف، والقنا، الرماح جمع قناة، والخطار: المهتر.
(3) القائدين: المانعين الناس.
(4) أماري: أجادل.
(5) خوت النجوم: أي سقطت، الطارقين: الذين يأتون بالليل.
(6) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (167/4، 168).
(7) انظر: معين السيرة، ص 431-433.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

- 3-** رجوع كثير من أهل مكة والأعراب بغنائم إلى مواطنهم تأليفا لهم لدخول الإسلام، وحصول الأنصار على وسام عظيم وهو شهادة رسول الله لهم بالإيمان، والدعاء لهم ولأبنائهم وأحفادهم، ورجوعهم برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة.
- 4-** انضمام كوكبة مباركة من قيادة أهل مكة وهوازن إلى الإسلام وأصبحوا حرباً ضروساً على الأوثان والأصنام والمعابد الجاهلية في الجزيرة العربية، كما كان لقبيلة هوازن، دور كبير في مجاهدات أهل الطائف والتضييق عليهم حتى أسلموا.
- 5-** توسعت الدولة الإسلامية وامتد نفوذها وأصبح لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمراء بمكة وعلى قبيلة هوازن، وصارت تلك الأماكن جزءاً من الدولة الإسلامية التي عاصمتها المدينة النبوية، وأصبح بالإمكان أن يرسل رسول الله بعوثاً دعوية بدون خوف أو وجل من أحد، وصارت المدينة بعد الفتح تستقبل وفود المستجيبين، وأخذت حركة السرايا تستهدف الأوثان والأصنام لتهديمها، فقد أصبح استئصال وجودها من الجزيرة سهلاً، ونظم رسول الله فريضة الزكاة فكلف من يقوم على جمعها من القبائل التابعة للدولة⁽¹⁾.

* * *

(1) انظر: الأساس في السنة وفقهها في السيرة النبوية (961/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

المبحث الرابع

أهم الأحداث ما بين حنين وتبوك

أولاً: ترتيب استيفاء الصدقات:

شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد عودته إلى المدينة -في أواخر ذي القعدة- في تنظيم الإدارة والجباية، وكان صلى الله عليه وسلم قد استخلف عتاب بن أسيد على مكة حين انتهى من أداء العمرة، وخلف معه معاذ بن جبل يفقه الناس ويعلمهم القرآن، وكان هدي النبي صلى الله عليه وسلم عندما تدخل القبائل في الإسلام أن يحرص على تعليمها وتربيتها ويعين من يشرف على ذلك؛ لأن النفوس تحتاج إلى العناية والاهتمام وغرس العقائد الصحيحة والتصورات السليمة فيها، وفي مطلع المحرم من العام التاسع وجه الرسول صلى الله عليه وسلم عماله إلى المناطق المختلفة، فبعث بريدة بن الحصيبي إلى أسلم وغفار، وعباد بن بشر الأشهلي إلى سليم ومزينة، ورافع بن مكيث إلى جهينة، وعمرو بن العاص إلى فزارة، والضحاك بن شعبان الكلابي إلى بني كلاب، وبسر بن سفيان الكعبي إلى بني كعب، وابن اللثبية الأزدي إلى بني ذبيان، ورجلا من بني سعد بن هذيم إلى بني هذيم⁽¹⁾، والمهاجر بن أبي أمية إلى صنعاء، وزباد بن لبيد إلى حضرموت، والزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم إلى بني سعد⁽²⁾، والعلاء بن الحضرمي إلى البحرين، وعلي بن أبي طالب إلى نجران ليجمع صدقاتهم، ويقدم عليه بجزيتهم⁽³⁾.

وكان صلى الله عليه وسلم يستوفي الحساب على العمال، يحاسبهم على المستخرج والمصروف، كما فعل مع عامله ابن اللثبية بن الأزدي حيث حاسبه عندما قال الرجل⁽⁴⁾: هذا لكم، وهذا أهدي لي، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال:

(1، 2، 3) انظر: نضرة النعيم (384/1).

(4) انظر: الدولة العربية الإسلامية، منصور الحاربي، ص43.
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

«ما بال عامل أبغته فيقول: هذا لكم، وهذا أهدي لي، أفلا قعد في بيت أبيه أو بيت أمه حتى ينظر أيهدى إليه أم لا؟ والذي نفس محمد بيده، لا ينال أحد منكم منها شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه، إن كان بغيراً له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر» ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتي إبطيه ثم قال: «اللهم هل بلغت» مرتين⁽¹⁾ وكان يقول أيضاً: «أيا عامل استعملناه وفرضنا له رزقاً فما أصاب بعد رزقه فهو غلول»⁽²⁾.

ثانياً: أهم السرايا في هذه المرحلة:

أ- سرية الطفيل بن عمرو إلى ذي الكفين:

كان النبي صلى الله عليه وسلم قد بعث الطفيل بن عمرو من مقره في حنين وقبل أن يسير إلى الطائف، أمره بأن يهدم (ذي الكفين) صنم عمرو بن حُمّة الدوسي، ثم يستمد قومه ويوافيه مع المدد إلى الطائف، وقد نفذ الطفيل بن عمرو أوامر النبي صلى الله عليه وسلم، فهدم ذي الكفين وحرقه، وقاد أربعمائة من قومه ومعهم دبابة ومنجنيق مدداً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فوصلوا إليه بعد مقدمه الطائف بأربعة أيام⁽³⁾.

ب- سرية عبد الله بن حذافة السهمي، ويقال إنها سرية الأنصار:

قال علي بن أبي طالب: بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية فاستعمل عليها رجلاً من الأنصار وأمرهم أن يطيعوه فغضب، فقال: أليس أمركم النبي صلى الله عليه وسلم أن تطيعوني؟ قالوا: بلى، قال: فاجمعوا لي حطباً، فجمعوا فقال: أوقدوا ناراً، فأوقدوها فقال: ادخلوها، فهموا وجعل بعضهم يمسك بعضاً ويقولون: فررنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم من النار، فما زالوا حتى خمدت النار فسكن غضبه، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال:

(1) مسلم، باب محاسبة الإمام عماله رقم 1832، صحيح السيرة، ص 579.

(2) انظر: التراتيب الإدارية للكتاني، (1/265).

(3) انظر: نضرة النعيم، (1/385).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

«لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة، الطاعة في المعروف»⁽¹⁾.

ج- سرية علي بن أبي طالب لهدم صنم الفلّس في بلاد طي:

وفي ربيع الآخر خرجت سرية علي بن أبي طالب إلى الفلّس، صنم لطيف ليهدمه، وكان تعدادها خمسين ومائة رجل من الأنصار، على مائة بغير وخمسين فرسا، ومعه راية سوداء، ولواء أبيض، فشنوا الغارة على محلة آل حاتم -حاتم الطائي الذي ضرب المثل بجوده- مع الفجر فهدموا الفلّس وخرّبوه، وملأوا أيديهم من السبي والنعم والشاء، وفي السبي أخت عدي بن حاتم، وهرب عدي إلى الشام⁽²⁾.

د- سرية جرير بن عبد الله البجلي إلى ذي الخلصة:

قال جرير بن عبد الله: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا تريحي من ذي الخلصة؟» فقلت: بلى، فانطلقت في خمسين ومائة فارس من أحمس، وكانوا أصحاب خيل، وكنت لا أثبت على الخيل، فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فضرب يده على صدري حتى رأيت أثر يده في صدري فقال: «اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً» قال: فما وقعت عن فرسي بعد، قال: وكان ذو الخلصة بيتاً باليمن لخشع وبجيلة، فيه نصب يقال له: الكعبة، قال: فأتاها فحرقها بالنار وكسرها، قال: ولما قدم جرير اليمن كان بها رجل يستقسم بالأزلام، ف قيل له إن رسول الله صلى الله عليه وسلم هاهنا، فإن قدر عليك ضرب عنقك، قال: فبينما هو يضرب بها إذ وقف عليه جرير فقال: لتكسرنها ولتشهدوا أن لا إله إلا الله أو لأضربن عنقك. قال: فكسرها وشهد، ثم بعث جرير رجلاً من أحمس يكنى أبا أرطاة إلى النبي صلى الله عليه وسلم يبشره بذلك، فلما أتى النبي صلى الله عليه وسلم قال: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق ما جنت حتى تركتها كأنها جمل أجرب، قال: فبرك النبي صلى الله عليه وسلم على خيل أحمس ورجالها خمس مرات⁽³⁾.

(1) البخاري، كتاب المغازي (126/5) رقم 4340.

(2) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي، المغازي، ص 624.

(3) البخاري، المغازي، (132/5) رقم 4357.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

ثالثاً: إسلام عدي بن حاتم:

عندما وقعت أخت عدي بن حاتم في أسر المسلمين عاملها رسول الله معاملته كريمة، وبقيت معززة مكرمة، ثم كساها النبي صلى الله عليه وسلم وأعطاهما ما تتبلغ به في سفرها، وعندما وصلت إلى أخيها في الشام شجعتة على الذهاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتأثر بنصيحتها وقدم على المدينة⁽¹⁾، وترك أبا عبيدة بن حذيفة يحدثنا عن قصة إسلام عدي:

قال أبو عبيدة بن حذيفة: كنت أحدث عن عدي بن حاتم فقلت: هذا عدي في ناحية الكوفة، فلو أتيتك فكنت أنا الذي أسمع منه، فأتيتك فقلت: إني كنت أحدث عنك حديثاً، فأردت أن أكون أنا الذي أسمعك منك، قال: لما بعث الله عز وجل النبي صلى الله عليه وسلم فررت منه حتى كنت في أقصى أرض المسلمين مما يلي الروم. قال: فكرهت مكاني الذي أنا فيه حتى كنت أشد كراهية له مني من حيث جنت، قال: قلت: لآتين هذا الرجل، فوالله إن كان صادقاً فلاسمع مني، وإن كان كاذباً ما هو بضائري. قال: فأتيتك واستشرفني الناس وقالوا: عدي ابن حاتم، عدي بن حاتم، قال: أظنه قال ثلاث مرار، قال: فقال لي: يا عدي بن حاتم، أسلم تسلم، قال: قلت: إني من أهل دين، قال: يا عدي بن حاتم، أسلم تسلم، قال: قلت: إني من أهل دين، قالها ثلاثاً، قال: «أنا أعلم بدينك منك»، قال: قلت: أنت أعلم بديني مني؟ قال: «نعم» قال: «أليس ترأس قومك؟» قال: قلت: بلى، قال: فذكر محمد الركوسية⁽²⁾ قال كلمة التمسها يقيمها فتركها قال: فإنه لا يحل في دينك المربع⁽³⁾.

قال: فلما قالها، تواضعت لها. قال: «وإني قد أرى أن مما يمنعك خصاصة تراها ممن حولي، وأن الناس علينا إلباً واحداً، هل تعرف مكان الحيرة؟» قال: قلت: قد سمعت بها ولم آتها، قال: «لتوشكن الظعينة أن تخرج منها بغير جوار حتى تطوف بالكعبة، ولتوشكن كنوز كسرى بن

(1) انظر: التاريخ الإسلامي، (81/8).

(2) قوم لهم دين بين النصارى والصابئة، النهاية (259/2).

(3) المربع: هو ربع الغنيمة يأخذه سيد القوم قبل القسمة.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

هرمز تفتح قال: قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: «كسرى بن هرمز -ثلاث مرات- وليوشكن أن يبتغي من يقبل ماله منه صدقة فلا يجد»، قال: فلقد رأيت اثنتين، قد رأيت الظعينة تخرج من الحيرة بغير جوار حتى تطوف بالكعبة، وكنت في الخيل التي أغارت على المدائن، وإيم الله لتكونن الثالثة؛ إنه لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثني⁽¹⁾، وفي رواية جاء فيه.. فخرجت حتى أقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فدخلت عليه، وهو في مسجده، فسلمت عليه، فقال: «من الرجل؟» فقلت: عدي بن حاتم، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانطلق بي إلى بيته، فوالله إنه لعامد بي إليه، إذ لقيت امرأة ضعيفة كبيرة، فاستوقفتها، فوقف لها طويلا تكلمه في حاجتها، قال: قلت في نفسي: والله ما هذا بملك، قال: ثم مضى بي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا دخل بي بيته تناول وسادة من آدم⁽²⁾ محشوة ليفا ففذفها إليّ، فقال: «اجلس على هذه»، قال: قلت: بل أنت فاجلس عليها، فقال: «بل أنت» فجلست عليها، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأرض، قال: قلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملك⁽³⁾.

وفي هذه القصة دروس وعبر كثيرة منها:

1- كان عدي وهو مقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل في تصويره أنه أحد رجلين: إما نبي، وإما ملك، فلما رأى وقوف رسول الله مع المرأة الضعيفة الكبيرة مدة طويلة شعر بخلق التواضع وانسلخ من ذهنه عامل الملك، واستقر في تصويره عامل النبوة.

2- كان النبي صلى الله عليه وسلم موفقا حينما انتقد عديا في مخالفته للدين الذي يعتنقه، حيث حصل لعدي اليقين بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يعلم من دينه ما لا يعلمه الناس من حوله.

(1) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص580.

(2) آدم: هو بفتح الحاء: الجلد.

(3) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (236/4).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

3- لما ظهر للنبي صلى الله عليه وسلم أن عديا قد أيقن بنبوته تحدث عن العوائق التي

تحول بين بعض الناس واتباع الحق، حتى مع معرفتهم بأنه حق، ومنها ضعف المسلمين وعدم اتساع دولتهم، وما هم فيه من الفقر، فأبان له النبي صلى الله عليه وسلم بأن الأمن سيضمحل البلاد حتى تخرج المرأة من العراق إلى مكة من غير أن تحتاج إلى حماية أحد، وأن دولة الفرس ستقع تحت سلطان المسلمين، وأن المال سيفيض حتى لا يقبله أحد، فلما زالت عن عدي هذه المعوقات أسلم.

4- كان النبي صلى الله عليه وسلم موفقا في دعوته حيث كان خبيرا بأدواء النفوس ودوائها، ومواطن الضعف فيها، وأزمة قيادها، فكان يلئم كل إنسان بما يلئم علمه وفكره وما ينسجم مع مشاعره وأحاسيسه؛ ولذلك أثر في زعماء القبائل ودخل الناس في دين الله أفواجا(1).

5- وجد عدي سمات النبوة الصادقة في مظهر معيشتة صلى الله عليه وسلم وحياته، ووجد هذه السمات أيضا في لون حديثه وكلامه، ووجد مصداق ذلك فيما بعد، في وقائع الزمن والتاريخ، فكان ذلك سبباً في إسلامه، وزيادة يقينه وانخلاعه عن زخارف الحياة الدنيا ومظاهر الأبهة والترف التي كان قد أسبغها عليه قومه(2).

رابعاً: أحداث متفرقة في سنة ثمان:

قال ابن كثير نقلا عن الواقدي: ... وفي هذه السنة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى جيفر وعمرو ابني الجلندي من الأزدي، وأخذت الجزية من مجوس بلدها ومن حولها من الأعراب، وفيها تزوج رسول الله فاطمة بنت الضحاك بن سفيان الكلابي في ذي القعدة، فاستعازت منه عليه السلام ففارقها، وفي ذي الحجة منها ولد إبراهيم بن رسول الله من مارية

(1) انظر: التاريخ الإسلامي (58/8، 86).

(2) انظر: فقه السيرة للبوطي، ص 321.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

القبطية فاشتدت غيرة أمهات المؤمنين منها حين رزقت ولدا ذكرا⁽¹⁾.

وفي عام 8هـ توفيت السيدة زينب بنت رسول الله وزوج أبي العاص بن الربيع، ولدت قبل المبعث بعشر سنين، وكانت أكبر بناته **صلى الله عليه وسلم** تليها رقية، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة رضي الله عنهن، كان رسول الله محبا لها، أسلمت قديما ثم هاجرت قبل إسلام زوجها بست سنين، وكانت قد أجهضت في هجرتها ثم نزفت وصار المرض يعاودها حتى توفيت، ولما ماتت قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: «اغسلنها وتراً: ثلاثاً، أو خمساً، واجعلن في الآخر كافوراً»⁽²⁾.

* * *

(1) انظر: البداية والنهاية (374/4).
(2) انظر: السيرة النبوية لأبي شعبة (490/2)، الكافور: نبت طيب الرائحة وهو -فضلاً عن كونه يطيب الميت- يجفف جسمه ويجعله صلباً متماسكاً، ويمنع إسراع الفساد إليه.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

الفصل السابع عشر

غزوة تبوك (9هـ)، وهي غزوة العسرة

المبحث الأول

تاريخ الغزوة، وأسمائها وأسبابها

أولاً: تاريخها وأسمائها:

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذه الغزوة في رجب من العام التاسع الهجري⁽¹⁾ بعد العودة من حصار الطائف بنحو ستة أشهر⁽²⁾.

واشتهرت هذه الغزوة باسم غزوة تبوك، نسبة إلى مكان هو عين تبوك، التي انتهى إليها الجيش الإسلامي، وأصل هذه التسمية جاء في صحيح مسلم، فقد روي بسنده إلى معاذ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ستأتون غداً إن شاء الله عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار، فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتي»⁽³⁾.

وللغزوة اسم آخر، وهو: غزوة العسرة، وقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم حينما تحدث عن هذه الغزوة في سورة التوبة، قال تعالى: (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) [التوبة: 117]. وقد روى البخاري بسنده إلى أبي موسى الأشعري، قال: أرسلني أصحابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله الحملان لهم إذ هم معه في جيش العسرة، وهي غزوة تبوك...، وعنون البخاري لهذه الغزوة بقوله: (باب غزوة تبوك وهي غزوة

(1) انظر: تفسير الطبري (540/14-542)، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص614.

(2) انظر: فتح الباري (237/16).

(3) صحيح مسلم (1784/4) رقم 706.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

لقد سميت بهذا الاسم لشدة ما لاقى المسلمون فيها من الضنك، فقد كان الجو شديد الحرارة، والمسافة بعيدة، والسفر شاقاً لقلّة المؤونة وقلّة الدواب التي تحمل المجاهدين إلى أرض المعركة، وقلّة الماء في هذا السفر الطويل والحر الشديد، وكذلك قلّة المال الذي يجهز به الجيش وينفق عليه⁽²⁾، ففي تفسير عبد الرزاق عن معمر بن عجيل قال: خرجوا في قلّة من الظهر، وفي حر شديد حتى كانوا ينحرون البعير فيشربون ما في كرشه من الماء، فكان ذلك عسرة من الماء⁽³⁾، وهذا الفاروق عمر بن الخطاب يحدثنا عن مدى ما بلغ العطش من المسلمين فيقول: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش شديد حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع، حتى إن كان أحداً يذهب يلتمس الخلاء فلا يرجع حتى يظن أن رقبته تنقطع، وحتى إن الرجل لينحر بغيره فيعصر فرشه فيشربه وبضعه على بطنه⁽⁴⁾.

وللغزوة اسم ثالث هو: الفاضحة، ذكره الزرقاني -رحمه الله- في كتابه «شرح المواهب اللدنية»⁽⁵⁾ وسميت بهذا الاسم لأن هذه الغزوة كشفت عن حقيقة المنافقين، وهتكت أستارهم، وفضحت أساليبهم العدائية الماكرة، وأحقادهم الدفينة، ونفوسهم الخبيثة، وجرائمهم البشعة بحق رسول الله والمسلمين⁽⁶⁾.

وأما موقع تبوك فيقع شمال الحجاز، يبعد عن المدينة 778 ميلاً حسب الطريق المعبدة في الوقت الحاضر، وكانت من ديار قضاة الخاضعة لسلطان الروم آنذاك⁽⁷⁾.

ثانياً: أسبابها:

(1) البخاري (150/5) رقم 4415.

(2) انظر: الصراع مع الصليبيين لأبي فارس، ص 83.

(3) فتح الباري (174/9).

(2) انظر: مجمع الزوائد (194/6).

(5) انظر: شرح المواهب اللدنية (62/3).

(4) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص 84.

(7) انظر: المجتمع الإسلامي للعمري، ص 229.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

ذكر المؤرخون أسباب هذه الغزوة فقالوا: وصلت الأنباء للنبي صلى الله عليه وسلم من الأنباط الذين يأتون بالزيت من الشام إلى المدينة أن الروم جمعت جموعاً وأجلبت معهم لخم وجذام وغيرهم من مستنصرة العرب، وجاءت في مقدمتهم إلى البلقاء⁽¹⁾ فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يغزوهم قبل أن يغزوهم⁽²⁾.

ويرى ابن كثير أن سبب الغزوة هو استجابة طبيعية لفريضة الجهاد؛ ولذلك عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتال الروم؛ لأنهم أقرب الناس إليه، وأولى الناس بالدعوة إلى الحق لقربهم إلى الإسلام وأهله، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِّمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) [التوبة: 123].

والذي قاله ابن كثير هو الأقرب للصواب، إضافة إلى أن الأمر الذي استقر عليه حكم الجهاد هو قتال المشركين كافة بمن فيهم أهل الكتاب، الذين وقفوا في طريق الدعوة وظهر تحرشهم بالمسلمين كما روى أهل السير⁽³⁾.

ولا يمنع ما ذكره المؤرخون بأن سبب الخروج هو عزم الروم على غزو المسلمين في عقر دارهم أن يكون هذا حافزاً للخروج إليهم، لأن أصل الخروج كان وارداً.

لقد كان المسلمون على حذر من مجيء غسان إليهم من الشام، ويظهر ذلك جلياً مما وقع لعمر بن الخطاب، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم آلى من نسائه شهراً فهجروهن، ففي صحيح البخاري: وكنا تحدثنا أن آل غسان تنعل النعال لغزونا فنزل صاحبي يوم نوبته، فرجع عشاء فضرب بابي ضرباً شديداً، وقال: أئنم هو؟ ففزعت، فخرجت إليه، وقال: حدث عظيم، فقلت: ما هو؟ أ جاءت غسان؟ قال: لا، بل أعظم منه وأطول، طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه...⁽⁴⁾.

ثالثاً: الإنفاق في هذه الغزوة وحرص المؤمنين على الجهاد:

(1) البلقاء: هي كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى عاصمتها عمان.

(2) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (165/2).

(3) انظر: البداية والنهاية (3/5).

(4) البخاري، كتاب النكاح، باب موعظة الرجل ابنته (180/6) رقم 5191.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

حث رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابة على الإنفاق في هذه الغزوة لبعدها، وكثرة المشركين فيها، ووعد المنفقين بالأجر العظيم من الله، فأنفق كل حسب مقدرته، وكان عثمان رضي الله عنه صاحب القُدْح المُعَلَّى في الإنفاق في هذه الغزوة⁽¹⁾، فهذا عبد الرحمن بن حباب يحدثنا عن نفقة عثمان حيث قال: شهدت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحث على جيش العسرة، فقام عثمان بن عفان فقال: يا رسول الله، عليّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، ثم حض على الجيش فقام عثمان بن عفان، فقال: يا رسول الله، عليّ مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، ثم حض على الجيش فقام عثمان بن عفان فقال: يا رسول الله، عليّ ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، فأنا رأيت رسول الله ينزل عن المنبر وهو يقول: **ما على عثمان ما عمل بعد هذه، ما على عثمان ما عمل بعد هذه**⁽²⁾ وعن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنهما قال: جاء عثمان بن عفان إلى النبي صلى الله عليه وسلم بألف دينار في ثوبه حين جهز النبي صلى الله عليه وسلم جيش العسرة، قال: فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقبلها بيده ويقول: **«ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم -يردها مراراً-»**⁽³⁾.

وأما عمر فقد تصدق بنصف ماله وظن أنه سيسبق أبا بكر بذلك، وهذا الفاروق يحدثنا بنفسه عن ذلك حيث قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً أن نتصدق، فوافق ذلك مالا عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً، فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«ما أبقيت لأهلك؟»** قلت: مثله، قال: وأتى أبو بكر رضي الله عنه بكل ما عنده، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«ما أبقيت لأهلك؟»** قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسابقك إلى شيء أبداً⁽⁴⁾.

وروى أن عبد الرحمن بن عوف أنفق ألفي درهم وهي نصف أمواله لتجهيز

(1) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 615.

(2) سنن الترمذي، مناقب (625/5، 626) رقم 3700.

(3) مسند أحمد (63/5).

(4) سنن أبي داود، الزكاة (312/2، 313) رقم 1678.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وكانت لبعض الصحابة نفقات عظيمة، كالعباس بن عبد المطلب، وطلحة بن عبيد الله، ومحمد بن مسلمة، وعاصم بن عدي رضي الله عنهم⁽²⁾.

وهكذا يفهم المسلمون أن المال وسيلة، واستطاع أغنياء الصحابة أن يبرهنوا أن مالهم في خدمة هذا الدين، يدفعونه عن طوعية ورغبة، وإن تاريخ الأغنياء المسلمين تاريخ مشرف؛ لأن تاريخ المال في يد الرجال لا تاريخ الرجال تحت سيطرة المال، وكما كان الجهاد بالنفس، فكذلك هو بالمال، وإن الذين ربوا على أن يقدموا أنفسهم، تهون عليهم أموالهم في سبيل الله تعالى⁽³⁾.

إن في مسارعة الموسرين من الصحابة إلى البذل والإنفاق دليلاً على ما يفعله الإيمان في نفوس المؤمنين من مسارعة إلى فعل الخير، ومقاومة لأهواء النفس وغرائزها، مما تحتاج إليه كل أمة لضمان النصر على أعدائها، وخير ما يفعله المصلحون وزعماء النهضات هو غرس الدين في نفوس الناس غرساً كريماً⁽⁴⁾.

وقدم فقراء المسلمين جهدهم من النفقة على استحياء؛ ولذلك تعرضوا لسخرية وغمز ولمز المنافقين، فقد جاء أبو عقيل بنصف صاع تمر، وجاء آخر بأكثر منه، فلمزوها قائلين: إن الله لغني عن صدقة هذا، وما فعل هذا الآخر إلا رياء، فنزلت الآية: (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ) [التوبة: 79].

وقالوا: ما أعطي ابن عوف هذا إلا رياء، فكانوا يتهمون الأغنياء بالرياء ويسخرون من صدقة الفقراء⁽⁶⁾.

(1) انظر: السيرة في ضوء المصادر الأصلية، ص 616.

(2) انظر: مغازي الواقدي، (3/391). (2) انظر: معين السيرة، ص 449.

(4) انظر: السيرة النبوية دروس وعبر، للسباعي، ص 161.

(5) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 616.

(6) المصدر نفسه، ص 617.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

لقد حزن الفقراء من المؤمنين؛ لأنهم لا يملكون نفقة الخروج إلى الجهاد، فهذا عُببة بن زيد أحد البكائين صلى من الليل وبكى، وقال: اللهم إنك قد أمرت بالجهاد، ورغبت فيه، ولم تجعل عندي ما أتقوى به مع رسولك، وإني أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابني بها في جسد أو عرض، فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم أنه قد غفر له⁽¹⁾.

وفي هذه القصة وما جرى فيها آيات من الإخلاص وحب الجهاد لنصرة دين الله وبث دعوته في الآفاق، وفيها من لطف الله بضعفاء المؤمنين الذين يعيشون في حياتهم عيشة عملية⁽²⁾.

وهذا واثلة بن الأسقع نتركه يحدثنا عن قصته: ... عندما نادى رسول الله في غزوة تبوك، خرجت إلى أهلي فأقبلت وقد خرج أول صحابة رسول الله فطفقت في المدينة أنادي: ألا من يحمل رجلاً له سهمه؟ فإذا شيخ من الأنصار، فقال: لنا سهمه على أن نحمله⁽³⁾ عقبة، وطعامه معنا؟ فقلت: نعم، قال فسر على بركة الله، فخرجت مع خير صاحب حتى أفاء الله علينا⁽⁴⁾، فأصابني قلانس⁽⁵⁾، فسقتهن حتى أتيته فخرج، ففقد على حقيبة من حقائب إبله، ثم قال: سقهن مدبرات، ثم قال: سقهن مقبلات، فقال: ما أرى قلانصك إلا كراماً، إنما هي غنيمتك التي شرطت لك، قال: خذ قلانصك يا ابن أخي فغير سهمك أردنا⁽⁶⁾.

وهكذا تنازل واثلة في بداية الأمر عن غنيمته ليكسب الغنيمة الأخروية، أجراً وثواباً يجده عند الله يوم لقائه، وتنازل الأنصاري عن قسم كبير من راحته ليتعاقب وواثلة على راحته ويقدم له الطعام مقابل سهم آخر هو الأجر والثواب.

إنها مفاهيم تنبع من المجتمع الذي تربي على كتاب الله وسنة رسوله، لها نفس الخاصية في

(1) وردت من طرق ضعيفة ولها شاهد صحيح وهي بالجملة تصلح للشاهد التاريخي، انظر: المجتمع المدني للعمرى، ص235.

(2) انظر: محمد رسول الله، صادق عرجون، (443/4).

(3) عقبة: أي بالتعاقب.

(4) كان واثلة بن الأسقع أحد أفراد سرية خالد بن الوليد في دومة الجندل.

(5) قلانس: إبل.

(6) انظر: جامع الأصول رقم 6188، معين السيرة، ص453.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

الإضاءة وتحمل نفس البريق، متمم بعضها لبعضها الآخر⁽¹⁾.

وجاء الأشعريون يتقدمهم أبو موسى الأشعري يطلبون من النبي صلى الله عليه وسلم أن يحملهم على إبل ليتمكنوا من الخروج للجهاد، فلم يجد ما يحملهم عليه حتى مضى بعض الوقت فحصل لهم على ثلاثة من الإبل⁽²⁾.

وبلغ الأمر بالضعفاء والعجزة ممن أقعدهم المرض أو النفقة عن الخروج إلى حد البكاء شوقاً للجهاد وتحرّجاً من القعود حتى نزل فيهم قرآن: (لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ □ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ) [التوبة: 91-92].

إنها صورة مؤثرة للرغبة الصحيحة في الجهاد على عهد رسول الله، وما كان يحسه صادقو الإيمان من ألم إذا ما حالت ظروفهم المادية بينهم وبين القيام بواجباتهم، وكان هؤلاء المعوزون وغيرهم ممن عذر الله لمرض أو كبر سن أو غيرهما يسировون بقلوبهم مع المجاهدين⁽³⁾ وهم الذين عناهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال: «إن بالمدينة أقواماً ما سرتهم مسيرة ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم» قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟ قال: «وهم بالمدينة حبسهم العذر»⁽⁴⁾.

رابعاً: موقف المنافقين من غزوة تبوك:

عندما أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم النفير ودعا إلى الإنفاق في تجهيز هذه الغزوة، أخذ المنافقون في تثبيط همم الناس قائلين لهم: لا تنفروا في الحر، فأنزل الله تعالى فيهم: (فَرَحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا

(1) انظر: معين السيرة، ص453.

(2) انظر: المجتمع المدني، ص236.

(3) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص618.

(4) البخاري، كتاب المغازي، رقم 4423.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ □ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ([التوبة: 81-82].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في جهازه لتبوك، للجد بن قيس: «يا جد، هل لك العام في جلاد بني الأصفر؟» فقال: يا رسول الله أوتأذن لي ولا تفتني؟ فوالله لقد عرف قومي أنه ما من رجل أشد عجباً بالنساء مني وإنني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر ألا أصبر، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: «قد أذنت لك» ففيه نزلت الآية: (وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ ائْذَنْ لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ) [التوبة: 49]. وذهب بعضهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم مبددين أعداء كاذبة ليأذن لهم بالتخلف، فأذن لهم، فعاتبه الله بقوله: (عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ) [التوبة: 43].

وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ناساً منهم يجتمعون في بيت سويلم اليهودي يشبّطون الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأرسل إليهم من أحرق عليهم بيت سويلم⁽¹⁾. وهذا يدل على مراقبة المسلمين الدقيقة ومعرفتهم بأحوال المنافقين واليهود، فقد كانت عيون المسلمين يقظة تراقب تحركات اليهود والمنافقين، واجتماعاتهم وأوكارهم، بل كانوا يطلعون فيها على أدق أسرارهم واجتماعاتهم وما يدور فيها من حيل المؤامرات، وابتكار أساليب التثبيط، واختلاق الأسباب الكاذبة لإقناع الناس بعدم الخروج للقتال، وقد كان علاج رسول الله لدعاة الفتنة وأوكارها حازماً حاسماً، إذ أمر بحرق البيت على من فيه من المنافقين، وأرسل من أصحابه من ينفذه، ونفذ بحزم، وهذا منهج نبوي كريم يتعلم منه كل مسئول في كل زمان ومكان كيف يقف من دعاة الفتنة ومراكز الشائعات المضللة التي تلحق الضرر بالأفراد والمجتمعات والدول؛ لأن التردد في مثل هذه الأمور يعرض الأمن والأمان إلى الخطر وينذر بزوالها⁽²⁾.

(1) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 618.

(2) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص 121.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

لقد تحدث القرآن الكريم عن موقف المنافقين قبل الغزوة وأثناءها وبعدها، ومما جاء من حديث القرآن الكريم عن موقف المنافقين قبل غزوة تبوك ما يتضمن استئذانهم، وتخلفهم عن الخروج، وكان ممن تخلف عبد الله بن أبي ابن سلول، وقد تحدث القرآن عنهم فقال تعالى: (**لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**) [التوبة: 42]. فقد بين -سبحانه وتعالى- موقف المنافقين وأنهم تخلفوا بسبب بعد المسافة وشدتها، وأنه لو كان الذي دعوتهم إليه يا محمد عرضاً من أعراض الدنيا ونعيمها وكان السفر سهلاً لاتبعوك في الخروج، ولكنهم تخلفوا ولم يخرجوا، فالآية تشرح وتوضح ملابسات موقفهم قبل الخروج إلى الغزوة، وأسباب هذا الموقف، ثم حكى -سبحانه- ما سيقوله هؤلاء المنافقون بعد عودة المؤمنين من هذه الغزوة: (**وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**). كان نزول هذه الآية قبل رجوعه صلى الله عليه وسلم من تبوك. والمعنى: وسيحلف هؤلاء المنافقون بالله -كذباً وزوراً- قائلين: لو استطعنا -أيها المؤمنون- أن نخرج معكم للجهاد في تبوك لخرجنا، فإننا لم نتخلف عن الخروج معكم إلا مضطرين فقد كانت لنا أعدارنا القاهرة التي حملتنا على التخلف⁽¹⁾.

وقوله -سبحانه-: (**يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**). قال ابن عاشور: أي يحلفون مهلكين أنفسهم -أي موقعينها في الهلك، والهلك: الفناء والموت- ويطلق على الأضرار الجسمية وهو المناسب هنا أي يتسببون في ضرر أنفسهم بالأيمان الكاذبة وهو ضرر الدنيا وعذاب الآخرة، وفي هذه الآية دلالة على أن تعدد اليمين الفاجرة يفضي إلى الهلاك⁽²⁾.

ثم عاتب الله تعالى نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم بقوله: (**عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ**).

(1) انظر: حديث القرآن الكريم (647/2).

(2) انظر: تفسير التحرير والتنوير (209/10).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

قال مجاهد⁽¹⁾: نزلت هذه الآية في أناس قالوا: استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن أذن لكم فاقعدوا، وإن لم يأذن لكم فاقعدوا، وهؤلاء هم فريق من المنافقين، منهم عبد الله بن أبي ابن سلول، والجد بن قيس، ورفاعة بن التابوت، وكانوا تسعا وثلاثين واعتذروا بأعذار كاذبة⁽²⁾.

والآية الكريمة عتاب لطيف من اللطيف الخبير - سبحانه - لحبيبه صلى الله عليه وسلم على ترك الأولى، وهو التوقف عن الإذن إلى انجلاء الأمر وانكشاف الحال⁽³⁾ ثم قال تعالى: (لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ □ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ) [التوبة: 44-45].

هذه الآيات أول ما نزل في التفرقة بين المنافقين والمؤمنين في القتال⁽⁴⁾، فبين - سبحانه - أنه ليس من شأن المؤمنين بالله واليوم الآخر الاستئذان وترك الجهاد في سبيل الله، وإنما هذا من صفات المنافقين الذين يستأذنون من غير عذر، وصفهم - سبحانه - بقوله: (وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ) أي: شكت في صحة ما جنتهم به، وقوله (فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ) أي: يتحIRON يقدمون رجلا ويؤخرون أخرى وليست لهم قدم ثابتة في شيء⁽⁵⁾.

لقد كانت غزوة تبوك منذ بداية الإعداد لها مناسبة للتمييز بين المؤمنين والمنافقين، وضحت فيها الحواجز بين الطرفين، ولم يعد هناك أي مجال للتستر على المنافقين أو مجاملتهم، بل أصبحت مجابتهم أمراً ملحاً بعد أن عملوا كل ما في وسعهم لمجابهة الرسول والدعوة، وتثبيط المسلمين عن الاستجابة للنفير الذي أعلنه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم والذي نزل به القرآن الكريم، بل

(1) انظر: تفسير ابن كثير (360/2). (2) انظر: التحرير والتنوير (210/10).

(3) انظر: حديث القرآن الكريم (647/2).

(4) انظر: تفسير المراعي (127/4). (5) انظر: تفسير ابن كثير (361/2).

وأصبح الكشف عن نفاق المنافقين، وإيقافهم عند حدهم واجباً شرعياً⁽¹⁾.

خامساً: إعلان النفير وتعبئة الجيش:

أعلن النفير العام للخروج لغزوة تبوك، حتى بلغ عدد من خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى تبوك ثلاثين ألفاً، وقد عاتب القرآن الكريم الذين تباطأوا بقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتِلُكُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ) [التوبة: 38].

وقد طالبهم القرآن الكريم بأن ينفروا شباباً وشيوخاً وأغنياء وفقراء بقوله تعالى: (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [التوبة: 41].

لقد استطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحشد ثلاثين ألف مقاتل⁽²⁾ من المهاجرين والأنصار وأهل مكة والقبائل العربية الأخرى، ولقد أعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم -على غير عادته في غزواته- هدفه ووجهته في القتال، إذ أعلن صراحة أنه يريد قتال بني الأصفر (الروم)، علماً بأن هديه في معظم غزواته أن يوري فيها⁽³⁾، ولا يصرح بهدفه ووجهته وقصده، حفاظاً على سرية الحركة ومباغطة العدو⁽⁴⁾.

وقد استدلل بعض العلماء بهذا الفعل على جواز التصريح لجهة الغزو إذا لم تقتض المصلحة ستره، وقد صرح صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة -على غير العادة- بالجهة التي يريد غزوها وجلى هذا الأمر للمسلمين لأسباب، منها:

1- بعد المسافة، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدرك أن السير إلى بلاد الروم يعد

(1) انظر: نضرة النعيم (389/1).
(1، 2، 3) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص 97.

أمراً صعباً؛ لأن التحرك سيتم في منطقة صحراوية ممتدة قليلة الماء والنبات، ولا بد - حينئذ - من إكمال المؤنة ووسائل النقل للمجاهدين قبل بدء الحركة؛ حتى لا يؤدي نقص هذه الأمور إلى الإخفاق في تحقيق الهدف المنشود.

2- كثرة عدد الروم، بالإضافة إلى أن مواجهتهم تتطلب إعداداً خاصاً، فهم عدو يختلف في طبيعته عن الأعداء الذين واجههم النبي **صلى الله عليه وسلم** من قبل، فأسلحتهم كثيرة، ودرايتهم بالحرب كبيرة، وقدرتهم القتالية فائقة⁽¹⁾.

3- شدة الزمان، وذلك لكي يقف كل امرئ على ظروفه، ويعد النفقة اللازمة له في هذا السفر الطويل لمن يعول وراءه⁽²⁾.

4- أنه لم يعد مجال للكتمان في هذا الوقت، حيث لم يبق في جزيرة العرب قوة معادية لها خطرهما تستدعي هذا الحشد الضخم سوى الرومان ونصارى العرب الموالين لهم في منطقة تبوك ودومة الجندل والعقبة⁽³⁾.

لقد شرع رسول الله **صلى الله عليه وسلم** لنا الأخذ بمبدأ المرونة عند رسم الخطط الحربية، ومراعاة المصلحة العامة في حالتي الكتمان والتصريح، ويعرف ذلك من مقتضيات الأحوال⁽⁴⁾.

ولما علم المسلمون بجهة الغزوة سارعوا إلى الخروج إليها، وحث الرسول **صلى الله عليه وسلم** على النفقة قائلا: «من جهز جيش العسرة فله الجنة»⁽⁵⁾.

واستخلف رسول الله **صلى الله عليه وسلم** على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري، وخلف علي بن أبي طالب على أهله، فأرجف به المنافقون وقالوا: ما خلفه إلا استثقلاً وتخففاً منه، فأخذ

(5) انظر: البداية والنهاية (4/5).

(1) انظر: الرسول القائد، ص398.

(3) انظر: غزوة تبوك، محمد أحمد باشميل ص57.

(4) انظر: القيادة في عهد الرسول p، ص510.

(5) البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب عثمان (243/4).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

علي رضي الله عنه سلاحه، ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجرف⁽¹⁾ فقال: يا نبي الله، زعم المنافقون أنك إنما خلفتني لأنك استثقلتني وتخففت مني، فقال: «كذبوا، ولكني خلفتك لما تركت ورائي، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك، أفلا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه لا نبي بعدي»⁽²⁾ فرجع علي إلى المدينة⁽³⁾.

وكان استخلاف علي رضي الله عنه في أهله باعتباره قرابته ومصاهرته، فكان استخلافه في أمر خاص، وهو القيام بشأن أهله، وكان استخلاف محمد بن مسلمة الأنصاري في الغزوة نفسها استخلاقاً عاماً، فتعلق بعض الناس بأن استخلاف علي يشير إلى خلافته من بعده، ولا صحة لهذا القول؛ لأن خلافته كانت في أهله خاصة⁽⁴⁾.

وعندما تجمع المسلمون عند ثنية الوداع بقيادة رسول الله، اختار الأمراء والقادة وعقد الألوية والرايات لهم، فأعطى اللواء الأعظم إلى أبي بكر الصديق، ورايته العظمى إلى الزبير بن العوام رضي الله عنه ودفع راية الأوس إلى أسيد بن حضير، وراية الخزرج إلى أبي دجانة، وأمر كل بطن من الأنصار أن يتخذ لواء⁽⁵⁾، واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على حراسة تبوك من يوم قدم إلى أن رحل منها عباد بن بشر، فكان رضي الله عنه يطوف في أصحابه على العسكر⁽⁶⁾، وكان دليل رسول الله في هذه الغزوة علقمة بن الفغواء الخزاعي، فقد كان من أصحاب الخبرة والكفاءة في معرفة طريق تبوك⁽⁷⁾.

وقد انفرد الواقدي بالمعلومات عن طريق الجيش وتوزيع الرايات، وهو متروك، ولكنه غزير

(1) انظر: زاد المعاد (529/3).

(2) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص589، البخاري، كتاب المغازي، رقم 4416.

(3) انظر: زاد المعاد، (530/3).

(4) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص466، 467.

(5) انظر: المغازي (996/3)، الطبقات الكبرى لابن سعد، (166/2).

(6) انظر: سبل الهدى والرشاد (652/5)، الصراع مع الصليبيين، ص99.

(7) انظر: إمتاع الأسماع (451/1)، شرح المواهب اللدنية (72/3).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

المعلومات في السيرة، وأخذ مثل هذه المعلومات منه لا يضر⁽¹⁾.

ويلاحظ الباحث التطور السريع لعدد المقاتلين بشكل عام، ولسلاح الفرسان بشكل خاص. إن الذي يدرس تاريخ الدعوة الإسلامية، ونشوء الدولة الإسلامية ومؤسساتها العامة -وفي مقدمة هذه المؤسسات الجيش الإسلامي القوة الضاربة للدولة- يلاحظ أن هناك تطوراً سريعاً جداً في مجال القوة العسكرية، إذ بلغ عدد المقاتلين في غزوة بدر الكبرى ثلاثمائة وثلاثة عشر مقاتلاً، وفي غزوة أحد بلغ سبعمائة مقاتل تقريباً، وفي غزوة الأحزاب ثلاثة آلاف مقاتل، وفي غزوة فتح مكة عشرة آلاف مقاتل، وفي غزوة حنين بلغ العدد اثني عشر ألف مقاتل، وأخيراً بلغ عدد المقاتلين في تبوك ثلاثين ألف مقاتل أو يزيد.

وإن الدارس يلاحظ هذا التطور السريع اللافت للنظر في مجال سلاح الفرسان، ففي غزوة بدر كان عدد الفرسان فارسين في بعض الروايات، وفي غزوة أحد لم يتجاوز عدد الفرسان ما كان في بدر، ويقفز العدد بعد ست سنوات فقط إلى عشرة آلاف فارس، وهذا يعود إلى انتشار الإسلام في الجزيرة العربية، وبخاصة في البادية، ذلك لأن أهلها يهتمون باقتناء الخيول وتربيتها أكثر من أبناء المدن⁽²⁾.

* * *

(1) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (532/2).

(2) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص 100.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

المبحث الثاني

أحداث في الطريق والوصول إلى تبوك

وبعد تعبئة الجيش وتوزيع المهام والألوية والرايات، توجه الجيش الإسلامي بقيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك، ولم ينتظر أحدًا قد تأخر، وقد تأخر نفر من المسلمين يظن فيهم خير، وكلما ذكر لرسول الله اسم رجل تأخر قال صلى الله عليه وسلم: «دعوه، إن يك فيه خير فسيلحه الله تعالى بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه»⁽¹⁾.

أولاً: قصة أبي ذر الغفاري:

قال ابن إسحاق: ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم سائراً، فجعل يتخلف عنه الرجل، فيقولون: يا رسول الله، تخلف فلان، فيقول: «دعوه، فإن يك فيه خير فسيلحه الله تعالى بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه»، حتى قيل: يا رسول الله، قد تخلف أبو ذر، وأبطأ به بعيره. فقال: «دعوه، فإن يك فيه خير فسيلحه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه» وتلوم⁽²⁾ أبو ذر على بعيره، فلما أبطأ عليه، أخذ متاعه فحملة على ظهره، ثم خرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشياً، ونزل رسول الله في بعض منازلهم، فنظر ناظر من المسلمين فقال: يا رسول الله، إن هذا الرجل يمشي على الطريق وحده، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كن أبا ذر»⁽³⁾ فلما تأمله القوم قالوا: يا رسول الله، هو -والله- أبو ذر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رحم الله أبا ذر، يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده»⁽⁴⁾، ومضى الزمان، وجاء عصر عثمان، ثم حدثت بعض الأمور وسير أبو ذر إلى الربذة، فلما حضره الموت أوصى امرأته وغلأمه: إذا مت فاغسلاني وكفناني ثم احملاني فضعاني على قارعة الطريق، فأول ركب

(1) انظر: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، للكلاعي (276/2).

(2) تلوم على بعيره: تمهل.

(3) كن أبا ذر: لفظه الأمر ومعناه الدعاء؛ أي أرجو الله أن تكون أبا ذر.

(4) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (178/4).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

يمرون بكم فقولوا: هذا أبو ذر. فلما مات فعلوا به كذلك فطلع ركب فما علموا به حتى كادت ركاتهم تطأ سريره، فإذا ابن مسعود في رهط من أهل الكوفة، فقال: ما هذا؟ ف قيل: جنازة أبي ذر، فاستهل ابن مسعود يبكي، فقال: صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يرحم الله أبا ذر، يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده»، فنزل فوليه بنفسه حتى دفنه(1).

وفي هذه القصة دروس وعبر منها:

1- ما تعرض له أبو ذر الغفاري رضي الله عنه من الصعوبات والمخاطر التي نجاه الله منها وقواه بالصبر عليها، لقد بذل أبو ذر جهداً كبيراً في المشي على قدميه وهو يحمل متاعه على ظهره حتى لحق بالنبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين؛ لكي ينال شرف الجهاد في سبيل الله(2).

2- وفي قوله صلى الله عليه وسلم: «رحم الله أبا ذر، يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده»، دلالة واضحة -وضوح الشمس في رابعة النهار- على صدق نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ إذ الإخبار بأمر لا تقع ثم تقع بعد الإخبار يدل على معجزة وتكريم من الله لهذا الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذه الوسيلة من إثبات النبوة كثيرة في السيرة النبوية الشريفة(3).

3- كما أن في القصة دلالة على علم ابن مسعود رضي الله عنه وقوة ذاكرته وسرعة استحضاره لما حفظ، حيث تذكر بعد سنوات عديدة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عما سينول إليه أمر أبي ذر في آخر حياته رضي الله عنه(4).

ثانياً: قصة أبي خيثمة:

(1) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (178/4).

(2) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص129، التاريخ الإسلامي للحميدي (114/8).

(3) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص129.

(4) انظر: التاريخ الإسلامي (114/8).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

قال ابن إسحاق:.... ثم إن أبا خيثمة رجع بعد أن سار رسول الله صلى الله عليه وسلم أياماً إلى أهله في يوم حارّ، فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائطه⁽¹⁾ قد رشت كل واحدة منهما عريشها، وبردت له فيه ماء، وهيات له فيه طعاماً، فلما دخل قام على باب العريش، فنظر إلى امرأته، وما صنعتا له، فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح⁽²⁾ والريح والحر، وأبو خيثمة في ظل بارد، وطعام مهياً، وامرأة حسناء في ماله مقيم؟! ما هذا بالنصف، ثم قال: والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم، فهينا لي زاداً، ففعلتا ثم قدم ناضحه⁽³⁾ فارتحلته، ثم خرج في طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركه حين نزل تبوك، وقد كان أدرك أبا خيثمة عمير بن وهب الجمحي في الطريق، يطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فترافقا، حتى إذا دنوا من تبوك، قال أبو خيثمة لعمير بن وهب: إن لي ذنباً، فلا عليك أن تخلف عني حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففعل حتى إذا دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بتبوك، قال الناس: هذا راكب على الطريق مقبل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كن أبا خيثمة»، فقالوا: يا رسول الله، هو —والله— أبو خيثمة، فلما أناخ أقبل فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أولى لك⁽⁴⁾ يا أبا خيثمة»، ثم أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً، ودعا له بخير⁽⁵⁾.

قال ابن هشام: وقال أبو خيثمة في ذلك شعراً، واسمه مالك بن قيس:

لما رأيت الناس في الدين نافقوا أتيت التي كانت أعفَّ وأكرما
وبايعت باليمنى يدي لمحمد فلم أكتسب إثما ولم أغش محرما

(1) حائطه: أي بستانه.

(6) الضح: أي في الشمس.

(3) ناضحه: أي جملة.

(2) انظر: البداية والنهاية (8/5).

(4) أجدر بك.

تركت خضيباً⁽¹⁾ في العريش صفايا⁽³⁾ كراماً يسرها قد تحمما⁽⁴⁾
وكننت إذا شك المنافق أسمحت⁽⁵⁾ إلى الدين نفسي شطره حيث

وفي هذه القصة دروس وعبر منها:

1- المسلم صاحب ضمير حي:

فقد رأى أبو خيثمة رضي الله عنه ما أعدت له زوجته من الماء البارد والطعام مع الظل المبرد والإقامة، فتذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هو فيه من التعرض للشمس والريح والحر، فأبصر وتذكر وتيقظ ضميره وحاسب نفسه، ثم عزم على الخروج، وخرج وحده يقطع الفيافي والقفار حتى التقى بعمير بن وهب الجمحي، ولعله كان قادماً من مكة، فهذه الصورة تبين لنا مثلاً من سلوك المتقين الذين تمر عليهم لحظات ضعف يعودون بعدها أقوى إيماناً مما كانوا عليه إذا تذكروا وراجعوا أنفسهم، وفي بيان ذلك يقول الله تبارك وتعالى: (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ) [الأعراف: 201].

وقد تذكر سريعاً وخرج لعله يدرك ما فاتته، وظل يشعر بالذنب حتى وصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم في تبوك وحصل على رضاه وسروره⁽⁷⁾.

2- معرفة الرسول بأصحابه وبمعادنهم:

إن قول الرسول صلى الله عليه وسلم حينما قال له أصحابه: هذا راكب على الطريق مقبل: «كن أبا خيثمة»، فلما اقترب وعرفوه قالوا: يا رسول الله، هو —والله— أبو خيثمة، يدل على

(1) خضيباً: مخضوبة وهي المرأة.

(4) صرمة: جماعة النخل.

(3) صفايا: كثيرة الثمر.

(6) تحمما: أخذ في الإرباط فاسود.

(6) أسمحت: انقادت

(8) انظر: البداية والنهاية (8/5).

(7) انظر: التاريخ الإسلامي، (8/111، 112).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه وأنه أعرفهم بمعادن رجاله، يعرف المستجيب من غيره، ويعرف التائب المنيب إلى ربه إذ زلت قدمه بسرعة رجوعه، ومعرفة خصال الرجال ومعادنهم تدل على معرفة واسعة، وخبرة مستوعبة فاحصة نتيجة التعامل والاحتكاك في ميادين الحياة المختلفة، فقد كان يخالط الجميع، يسمع منهم ويسمعهم ويسيرون معه، ويجاهدون تحت رايته⁽¹⁾.

3- حزم أبي خيثمة وصبره ونفاذ عزمته:

تأمل هذا القرار الذي اتخذهُ أبو خيثمة رضي الله عنه أن يلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وحده، في هذه الرحلة المضنية، في هذه الصحراء القليلة الماء ذات الحر اللافح، لقد اتخذ هذا القرار الحازم ونفذه بدقة، فدل على قوة عزمته وعنفوان إرادته وعلى جلدته وصبره⁽²⁾.

4- عتاب القائد للجندي له أثره:

وصل أبو خيثمة معترفا بذنبه، يطرح السلاح على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاتبه، صلى الله عليه وسلم معاتبة تحمل في طياتها اللوم والتأنيب والتهديد، إذ قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أولى لك يا أبا خيثمة» فهي كلمة فيها معنى التهديد، ومعناها: دنوت من الهلكة.

إنه مما لا شك فيه أن هذا الكلام كان له وقع في نفس الجندي، إذ أوقفه على حقيقة ما ارتكب من الذنب.

وهذا منهج نبوي كريم في تعليم القادة عدم السكوت على أخطاء الجنود؛ لأن ذلك يضرهم ويلحق الضرر بغيرهم، بل عليهم أن يسعوا إلى تصويب الخطأ ومحاسبة مرتكبه وتقويمه، وبذلك

(1) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص133.

(2) المصدر نفسه، ص133، 134.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

يكونون معلمين ومرشدين ومربين⁽¹⁾.

ثالثاً: الوصول إلى تبوك:

عندما وصل النبي صلى الله عليه وسلم لم يجد أثراً للحشود الرومانية ولا القبائل العربية، وبالرغم من أن الجيش مكث عشرين ليلة في تبوك لم تفكر القيادة الرومانية مطلقاً في الدخول مع المسلمين في قتال، حتى القبائل العربية المنتصرة أثرت السكون، أما حكام المدن في أطراف الشام فقد آثروا الصلح ودفع الجزية، فقد أرسل ملك أيلة للنبي صلى الله عليه وسلم هدية -وهي بغلة بيضاء وبرد- فصالحه على الجزية.

وأرسل خالد بن الوليد رضي الله عنه على رأس سرية من الفرسان بلغ عددها أربعمائة وعشرين فارساً إلى دومة الجندل، واستطاع خالد بن الوليد أن يأسر أكيدر بن عبد الملك الكندي ملكها -وهو في الصيد خارجها⁽²⁾، فصالحه النبي صلى الله عليه وسلم على الجزية⁽³⁾، وقد تعجب المسلمون من قباء كان أكيدر يلبسه، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «أتعجبون من هذا؟ فوالذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا»⁽⁴⁾ وقد ورد أن غنائم خالد من أكيدر كانت ثمانمائة من السبي وألف بغير وأربعمائة درع وأربعمائة رمح⁽⁵⁾، وقد وصلت إلى تبوك هدية ملك أيلة للنبي صلى الله عليه وسلم وهي بغلة بيضاء وبرد، فصالحه على الجزية⁽⁶⁾، وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم معاهدات لكل من أهل جرباء وأذرح⁽⁷⁾، ولأهل مقنا⁽⁸⁾ يؤدي بموجبها هؤلاء الناس من نصارى العرب الجزية كل عام، وتخضع لسلطان المسلمين، لقد انفرد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإمارات الواقعة في شمال الجزيرة وعقد

(1) المصدر نفسه، ص134.

(2) انظر: الإصابة (412/1-415) من طريق ابن إسحاق بإسناد حسن.

(3) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (180/4). (3) المصدر نفسه (180/4) بإسناد حسن.

(5) انظر: البداية والنهاية (17/5) وفي إسناده ابن لهيعة عن أبي الأسود، وابن لهيعة ضعيف فضلاً عن إرسال عروة.

(6) انظر: المجتمع المدني للعمري، ص241.

(7) المغازي (1032/3).

(8) انظر: الوثائق السياسية في عهد النبوة والخلافة الراشدة، ص119-124.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

معها معاهدات، وبذلك أمن حدود الدولة الإسلامية الشمالية⁽¹⁾، وبهذه المعاهدات قص صلى الله عليه وسلم أجنحة الروم، فقد كانت هذه القبائل تابعة للروم ودخلوا في النصرانية، فأقدام من أقدم منها على مصالحة رسول الله والتزامها بالجزية يعد قصاً لهذه الأجنحة، وبتراً لحبال تبعيتهم للروم، وتحريراً لهم من هذه التبعية التي كانت تذلهم وتخضعهم لسلطان الروم، لينالوا من تساقط فتاتهم شينا يعيشون به، وخوفاً من ظلمهم لقوتهم الباطشة، وقد وفوا بعهد الصلح والتزموا أداء الجزية، فأعطوها عن يد وهم صاغرون⁽²⁾، وهذه سياسة نبوية حكيمة اختطها رسول الله في بناء الدولة ودعوة الناس لدين الله، فقد استطاع أن يفصل بين المسلمين والروم بإمارات تدين للرسول بالطاعة وتخضع لحكم المسلمين، وأصبحت في زمن الخلفاء الراشدين نقاط ارتكاز سهلت مهمة الفتح الإسلامي في عهدهم، فمنها انطلقت قوات المسلمين إلى الشمال، وعليها ارتكزت لتحقيق هدفها العظيم⁽³⁾.

رابعاً: وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم للجيش عند مروره بحجر ثمود:

قال أبو كبشة الأنصاري: رضي الله عنه لما كان في غزوة تبوك تسارع الناس إلى أهل الحجر يدخلون عليهم، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادى في الناس: «الصلاة جامعة» قال: فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ممسك بغيره، وهو يقول: «ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم؟» فناداه رجل منهم: نعجب منهم يا رسول الله، قال: «أفلا أنذركم بأعجب من ذلك؟ رجل من أنفسكم ينبئكم بما كان قبلكم وما هو كائن بعدكم، فاستقيموا وسددوا، فإن الله عز وجل لا يعبأ بعذابكم شيئاً، وسيأتي قوم لا يدفعون عن أنفسهم شيئاً»⁽⁴⁾. وقال ابن عمر رضي الله عنهما: إن الناس نزلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أرض ثمود، الحجر، واستقوا من بنرها، واعتجنوا به، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهريقوا ما استقوا

(1) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص 217.

(2) محمد صادق عرجون (479/4).

(2) البخاري، كتاب الأنبياء، رقم 3379.

(4) انظر: الفتح الرباني (195/21).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ مع الدعاء بحسن الاستفادة

من بئرها، وأن يغلفوا الإبل العجين، وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردّها الناقة⁽¹⁾ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم، إلا أن تكونوا باكين حذرا أن يصيبكم مثل ما أصابهم» ثم زجر⁽²⁾ فأسرع حتى خلفها⁽³⁾، وهذا منهج نبوي كريم في توجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابته إلى الاعتبار بديار ثمود، وأن يتذكروا بها غضب الله على الذين كذبوا رسوله، وألا يغفلوا عن مواطن العظة برسومها الدارسة، وأطلالها القديمة، ونهاهم عن الانتفاع بشيء مما في ربوعها، حتى الماء لكيلا تفوت بذلك العبرة، وتخف الموعظة، بل أمرهم بالبكاء، وبالتباكى، تحقيقا للتأثر بعذاب الله، ولو أنهم مروا بها كما نمر نحن بآثار السابقين، لتعرضوا لسخط الله، فإن الغابرين شهدوا المعجزات ودلائل النبوة، وعانوا العجائب، لكن قست قلوبهم فاستهانوا بها، وحق عليهم العذاب، وحق بهم ما كانوا به يستهزنون من نقمة الله وغضبه.

إن الله عز وجل ما قص علينا من أنباء الأمم الخالية، إلا لكي نأخذ منها العظة والاعتبار، فإذا شهدنا بأعيننا ديارهم التي نزل فيها سخط المولى عز وجل وعذابه الأليم، وجب أن تكون الموعظة أشد، والاعتبار أعمق، والخوف من سخط المولى - سبحانه - أبلغ، ولهذا تسجى النبي صلوات الله وسلامه عليه بثوبه لما مر بالديار الملعونة المسخوطة واستحث خطا راحلته⁽⁴⁾ وقال لأصحابه: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين، حذرا أن يصيبكم ما أصابهم»⁽⁵⁾.

خامساً: وفاة الصحابي عبد الله ذي الجادين⁽⁶⁾ رضي الله عنه:

(2) زجر: أي زجر ناقته. ومعناه ساقها سوقا شديدا حتى خلفها أي جاوز المساكن.

(3) البخاري، كتاب الأنبياء، رقم 3381.

(4) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص 480.

(5) البخاري، كتاب الأنبياء رقم 3381. (7) البجاد: الكساء الغليظ الجافي.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: قمت من جوف الليل، وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، قال: فرأيت شعلة من نار في ناحية العسكر، قال: فاتبعناها، أنظر إليها، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر، وإذا عبد الله ذو البجادين المزني قد مات، وإذا هم قد حفروا له، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في حضرته، وأبو بكر وعمر يدليانه إليه، وهو يقول: «أدنيا إلي أخاكما» فدلياه إليه، فلما هياه بشقه، قال: «اللهم إني أمسيت راضياً عنه، فارض عنه» قال (الراوي عن ابن مسعود): قال عبد الله بن مسعود: يا ليتني كنت صاحب الحفرة⁽¹⁾.

قال ابن هشام: وإنما سمي ذا البجادين؛ لأنه كان ينازع إلى الإسلام فيمنعه قومه من ذلك يضيقون عليه، حتى تركوه في بجاد ليس عليه غيره، فهرب منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما كان قريباً منه، شق بجاده باثنين، فاتزر بواحد واشتمل بالآخر، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل له: ذو البجادين، لذلك⁽²⁾.

وفي هذه القصة دروس وحكم وفوائد منها:

1- تكريم النبي صلى الله عليه وسلم لجنوده أحياء وأمواتاً:

فهذا الفعل مع ذي البجادين يدل على حرص النبي صلى الله عليه وسلم على تكريم أصحابه حتى في حالة الوفاة؛ لأنهم قدموا أنفسهم للجهاد في سبيل الله تاركين وراءهم أعز ما يملكون، فكانت تلك الرعاية مظهرًا من مظاهر تكريمهم في الدنيا، حيث لم يترك جثثهم تتناوشها الذناب وغيرها من دواب الأرض؛ لكي يكون هذا التكريم من الأسباب التي تدفع غيرهم إلى الاستبسال والإقدام في ميادين الجهاد، ومن الجدير بالذكر أن هذا المبدأ لم يجد من يدعو إلى تطبيقه إلا في العصر الحديث، وبهذا يمكن أن يقال: إن رعاية القائد المسلم لشئون جنده تعد سبقاً عسكرياً لم

(1) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص598.

(2) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (182/4).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

تعرفه النظم والدساتير الوضعية إلا بعد قرون طويلة، من بزوغ الإسلام⁽¹⁾.

فهذه صورة من البر والتكريم فريدة يتيمة، لن تجد في تاريخ الملوك والحكام من يبر ويتواضع إلى هذا المستوى، إلى حيث يوسد الحاكم فردا من رعيته بيده في مثواه الأخير، ثم يلتمس له المرضاة من رب العالمين، أما هو فقد أعلن أنه أمسى راضيا عنه⁽²⁾.

2- جواز الدفن في الليل، والغبطة مشروعة في الخير:

فقد دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا البجادين ليلا، والسنة أن يعجل في دفن الميت، كما أن الغبطة وهي أن تتمنى حصول الخير لك كما حصل لغيرك من إخوانك، وهذا عكس الحسد، إذ الحسد تمنى زوال النعمة عن غيرك، والحسد كله شر كما ترى، أما الغبطة فلا تكون إلا في الخير⁽³⁾، تأمل قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حينما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في حق ذي البجادين: «اللهم إني أمسيت عنه راضياً فأرض عنه» فقال ابن مسعود: يا ليتني كنت صاحب اللحد⁽⁴⁾ إنها كلمة كل مؤمن آمن بالله واليوم الآخر، ووقف موقفه ذاك، فقد عرفوا أين تكون ميادين التنافس⁽⁵⁾.

سادساً: بعض المعجزات التي حدثت في الغزوة:

ظهرت في غزوة تبوك معجزات منها:

1- الله تعالى يرسل السحاب لدعاء نبيه بالسقيا:

لما جاز النبي صلى الله عليه وسلم حجر ثمود، أصبح الناس ولا ماء لهم، فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه، واستسقى لمن معه من المسلمين، فأرسل الله -سبحانه وتعالى- سحابة فأمرت حتى ارتوى الناس، واحتملوا

(1) انظر: المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية ص299.

(2) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص472.

(3) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص163، 164. (2) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص598.

(5) انظر: معين السيرة، ص452.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

حاجتهم من الماء، فتحدث ابن إسحاق عن قال لمحمود بن لبيد: هل كان الناس يعرفون النفاق فيهم؟ قال: نعم والله، إن كان الرجل ليعرفه من أخيه، ومن أبيه، ومن عمه، وفي عشيرته، ثم يلبس بعضهم بعضاً على ذلك، ثم قال محمود: لقد أخبرني رجال من قومي، عن رجل من المنافقين معروف نفاقه، كان يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث سار، فلما كان من أمر الناس بالحجر ما كان، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دعا، فأرسل الله السحابة، فأمطرت حتى ارتوى الناس، قالوا: أقبلنا عليه ونقول: ويحك! هل بعد هذا الشيء؟ قال: سحابة مارة⁽¹⁾.

2- خبر ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم:

لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سائراً في طريقه إلى تبوك، ضلت ناقته، فخرج أصحابه في طلبها وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أصحابه، يقال له: عمارة بن حزم، وكان عقبياً بدرياً، وهو عم بني عمرو بن حزم، وكان في رحله زيد بن اللصيت القينقاعي، وكان منافقاً.

قال زيد بن اللصيت وهو في رحل عمارة، وعمارة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم: أليس محمد يزعم أنه نبي؟ ويخبركم عن خبر السماء، وهو لا يدري أين ناقته؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمارة عنده: «إن رجلاً قال: هذا محمد يزعم أنه يخبركم أنه نبي، ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء وهو لا يدري أين ناقته؟ وإنني والله ما أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلني الله عليها، وهي في هذا الوادي، في شعب كذا وكذا، قد حبستها شجرة بزمامها» فانطلقوا حتى تأتوني بها، فذهبوا فجاءوا بها، فرجع عمارة بن حزم إلى رحله، فقال: والله لعجب من شيء حدثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم أنفاً عن مقالة قائل أخبره الله عنه بكذا وكذا، للذي قال زيد بن اللصيت، فقال رجل ممن كان في رحل عمارة، ولم يحضر رسول الله

(1) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (176/4)، صور وعبر من الجهاد النبوي، ص473.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

صلى الله عليه وسلم: زيد والله قال هذه المقالة قبل أن تأتي، فأقبل عمارة على زيد، يجأ في عنقه (يطعنه فيه) يقول: إليّ عباد الله، إن في رحلي لداهية، وما أشعر، اخرج أي عدو الله⁽¹⁾ من رحلي فلا تصحبني، قال ابن إسحاق: فزعم بعض الناس أن زيداً تاب بعد ذلك، وقال بعض الناس: لم يزل متهما بشر حتى هلك⁽²⁾.

3- الإخبار بهبوب ريح شديدة والتحذير منها:

أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه في تبوك بأن ريحاً شديدة ستهب، وأمرهم بأن يحتاطوا لأنفسهم ودوابهم فلا يخرجوا حتى لا تؤذيهم، وليربطوا دوابهم حتى لا تؤذى، وتحقق ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهبت الريح الشديدة وحملت من قام فيها إلى مكان بعيد⁽³⁾ فقد روى مسلم في صحيحه بإسناده إلى أبي حميد قال: وانطلقنا حتى قدمنا تبوك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ستهب عليكم الليلة ريح شديدة، فقام رجل فحملته الريح حتى ألقته بجبل طيئ⁽⁴⁾.

قال النووي في شرحه على صحيح مسلم معقبا على هذا الحديث: هذا الحديث فيه هذه المعجزة الظاهرة من إخباره صلى الله عليه وسلم بالمغيب وخوف الضرر من القيام وقت الريح⁽⁵⁾.

4- تكثير ماء عين تبوك والإخبار بما ستكون عليه من خصب:

قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنكم ستأتون غدا إن شاء الله عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار، فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها

(1) انظر: إلام النبوة للماوردي، ص100، السيرة النبوية لابن هشام (177/4).

(2) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (177/4). (3) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص141.

(4) صحيح مسلم بشرح النووي (42/15)، مختصر مسلم رقم 1543.

(5) شرح النووي على صحيح مسلم (42/15).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

شيئا حتى آتي» فجنناها وقد سبقنا إليها رجلان، والعين مثل الشراك⁽¹⁾، تبض⁽²⁾ بشيء من ماء، فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هل مسستما من مائها شيئا؟» قالا: نعم، فسبهما النبي صلى الله عليه وسلم وقال لهما ما شاء الله أن يقول، ثم عرفوا بأيديهم من العين قليلا قليلا حتى اجتمع في شيء، وغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يديه ووجهه، ثم أعاده فيها فجرت العين بماء منهمر حتى استقى الناس⁽³⁾.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل: «يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا قد ملئ جنائنا»⁽⁴⁾، لقد كانت منطقة تبوك والوادي الذي كانت فيه العين منطقة جرداء لقلة الماء، ولكن الله - عز وجل - أجرى على يد رسوله صلى الله عليه وسلم بركة تكثير هذا الماء حتى أصبح يسيل بغزارة، ولم يكن هذا آتيا لسد حاجة الجيش، بل أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه سيستمر وستكون هناك جنات وبساتين مملوءة بالأشجار المثمرة، ولقد تحقق ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم بعد فترة قليلة من الزمن، وما زالت تبوك حتى اليوم تمتاز بجناتها وبساتينها ونخيلها وتمورها، تنطق بصدق نبوة الرسول وتشهد بأن الرسول لا يتكلم إلا صدقا، ولا يخبر إلا حقا، ولا ينبئ بشيء إلا ويتحقق⁽⁵⁾.

5- تكثير الطعام:

قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: لما كانت غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة، فقالوا: يا رسول الله، لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا⁽⁶⁾ فأكلنا وأدمننا، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه

(1) الشراك: هو سبر النعل ومعناه ماء قليل جدا.

(2) تبض: بفتح التاء وكسر الموحدة وتشديد الضاد ومعناه تسيل.

(3) صحيح مسلم بشرح النووي (41/15)، مختصر مسلم رقم 1530.

(4) صحيح مسلم بشرح النووي، الفتح الرباني (196/21). (2) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص 142.

(6) نواضحنا: جمع ناضح وهي الإبل التي يسقى عليها.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وسلم: «افعلوا»، فجاء عمر فقال: يا رسول الله، إنهم إن فعلوا قل الظَّهْر⁽¹⁾ ولكن ادعهم
بفضل أزوادهم، ثم ادع لهم بالبركة، لعل الله يجعل في ذلك، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بنطع⁽²⁾ فبسطه، ثم دعاهم بفضل أزوادهم فجعل الرجل يجيء بكف الذرة، والآخر بكف التمر،
والآخر بالكسرة حتى اجتمع على النطع في ذلك شيء يسير، ثم دعا عليه بالبركة، ثم قال لهم:
«خذوا في أوعيتكم» فأخذوا من أوعيتهم حتى ما تركوا من المعسكر وعاء إلا ملأوه، وأكلوا حتى
شبعوا، وفضلت منه فضلة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني
رسول الله، لا يلقى الله بهما عبدٌ غير شاكٍّ فتحجب عنه الجنة»⁽³⁾.

هذه بعض المعجزات والكرامات التي أظهرها الله على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك تدل على صدق نبوته ورسالته، وتدل على رفعة منزلته وتكريمه عند ربه⁽⁴⁾.

سابعاً: حديث القرآن الكريم عن مواقف المنافقين أثناء الغزوة:

أ- قال عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما:-

قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يوماً: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء، لا أرغب بطونا، ولا أكذب ألسنة، ولا أجبن عند اللقاء، فقال رجل في المجلس: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن. قال عبد الله: فأنا رأيتاه متعلقا بحقب⁽⁵⁾ ناقة رسول الله والحجارة تنكبه⁽⁶⁾، وهو يقول: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزنون؟».

وفي رواية قتادة قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوته إلى تبوك وبين يديه

(1) الظهر: ما يحمل عليه من الإبل.

(5) النطع: بساط من الجلد.

(3) الفتح الرباني (196/21 - 198).

(4) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص 141.

(5) الحقب: حبل يشد به الرجل في بطن البعير.

(6) الحجارة تنكبه: تصيبه وتؤذيه.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

أناس من المنافقين فقالوا: يرجو هذا الرجل أن تفتح له قصور الشام وحصونها؟ هيهات هيهات.. فأطلع الله نبيه على ذلك فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم: «احبسوا هؤلاء الركب»، فاتاهم فقال: قلتم كذا وقتلتم كذا، قالوا: فأنزل الله فيهم ما تسمعون⁽¹⁾، فأنزل الله تعالى: (يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزُّوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ □ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ) [التوبة: 64-65].

والاستفهام في قوله: (قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ) استفهام إنكاري.

والمعنى: قل يا محمد لهؤلاء موبخاً ومنكراً: ألم تجدوا ما تستهزون به في مزاحكم ولعكم - كما ترعمون- سوى فرائض الله وأحكامه وآياته ورسوله الذي جاء لهدايتكم وإخراجكم من الظلمات إلى النور؟!

ثم بين -سبحانه- أن استهزاءهم هذا أدى بهم إلى الكفر فقال: (لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ) [التوبة: 66].

ومعنى الآية: أي لا تذكروا هذا العذر لدفع هذا الجرم، لأن الإقدام على الكفر لأجل اللعب لا ينبغي أن يكون، فاعتذاركم إقرار بذنبكم، فهو كما يقال: عذر أقبح من ذنب⁽²⁾.

وقوله: (إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ) أي: إن نعف عن بعضكم لتوبتهم وإنابتهم إلى ربهم -كمخشن بن حمير- نعذب بعضاً آخر لإجرامهم وإصرارهم عليه⁽³⁾.

ب- إيذاء الرسول والمؤمنين ومحاولة اغتيال رسول الله:

(1) انظر: الدر المنثور للسيوطي، (230/4). (2) انظر: تفسير المراغي (153/4).

(3) المصدر نفسه (153/4).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وقد نزل في هؤلاء المنافقين قول الله تعالى: (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ مَوَّاهُونَ وَمَا يَنَالُوا وَمَا تَقْمُوا إِلَّا أَنْ أُغْنَاهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) [التوبة: 74].

وقد ذكر ابن كثير أن الضحاك قال: إن نفرا من المنافقين هموا بالفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو في غزوة تبوك في بعض الليالي في حال السير، وكانوا بضعة عشر رجلا نزلت فيهم هذه الآية⁽¹⁾، وفي رواية الواحدي عن الضحاك: خرج المنافقون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك، فكانوا إذا خلا بعضهم إلى بعض سبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وطعنوا في الدين، فنقل ما قالوا حذيفة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول الله: «يا أهل النفاق، ما هذا الذي بلغني عنكم؟» فحلفوا ما قالوا شيئا من ذلك، فأنزل الله هذه الآية إكذاباً لهم⁽²⁾.

والمعنى الإجمالي للآية: (يحلفون بالله أنهم ما قالوا تلك الكلمة التي نسبت إليهم، والله يكذبهم ويثبت أنهم قد قالوا كلمة الكفر التي رويت عنهم. ولم يذكر القرآن هذه الكلمة لأنه لا ينبغي ذكرها...) (3).

* * *

(1) تفسير ابن كثير (372/2).

(2) انظر: أسباب النزول للواحدي، ص 251.

(3) انظر: حديث القرآن الكريم (665/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

المبحث الثالث

العودة من تبوك إلى المدينة وحديث القرآن
في المخلفين عن الغزوة وعن مسجد الضرار

عاد النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد أن مكث في تبوك عشرين ليلة⁽¹⁾، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بهدم مسجد الضرار الذي بناه المنافقون وهو راجع إلى المدينة، ولما اقترب من المدينة خرج الصبيان إلى ثنية الوداع يتلقونه، ودخل المدينة، فصلى في مسجده ركعتين ثم جلس للناس، وجاء المخلفون لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقدمون له الاعتذار، وكانوا أربعة أصناف: فمنهم من له أضرار شرعية وعذرهم الله - سبحانه وتعالى -، ومنهم من ليس له أضرار شرعية وتاب الله عليهم، ومنهم من منافقي الأعراب الذين يسكنون حول المدينة، ومنهم من منافقي المدينة.

أولاً: المخلفون الذين لهم أضرار شرعية وعذرهم الله سبحانه وتعالى:

قال تعالى: (لَيْسَ عَلَى الضَّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ □ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ) [التوبة: 91، 92].

بينت هذه الآيات الكريمة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك وكان لهم عذر شرعي بأنه ليس عليهم حرج وليس عليهم إثم في هذا التخلف؛ ذلك لأن لهم عذراً شرعياً منعهم من الخروج، وفي المراد بالضعفاء: أنهم الزمنى والمشايخ الكبار، وقيل: الصغار، وقيل: المجانين، سموا ضعافاً لضعف عقولهم، ذكر القولين الماوردي. والصحيح أنهم الذين يضعفون لزمانة أو عمى، أو سن،

(1) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 603.

(2) انظر: زاد المسير (485/4).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

أو ضعف في الجسم، والمرضى: الذين بهم أعلال مانعة من الخروج للقتال⁽¹⁾.

وقوله: (وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ).

أي: ليس على الذين لا يجدون نفقة تبلغهم إلى الغزو حرج أو إثم (إِذَا نَصَحُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ) أي إذا عرفوا الحق، وأحبوا أوليائه وأبغضوا أعداءه⁽²⁾.

وقوله: (مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ) قال الطبري: يقول تعالى: ليس على من أحسن فنصح لله ورسوله في تخلفه عن رسول الله عن الجهاد معه، لعذر يعذر به، طريق يتطرق عليه فيعاقب من قبله (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ).

يقول تعالى: والله ساتر على ذنوب المحسنين، يتغمد بها بعفوه لهم عنها، رحيم بهم أن يعاقبهم عليها⁽³⁾.

وقال القرطبي: الآية أصل في سقوط التكاليف عن العاجز، من جهة القوة أو العجز من جهة المال⁽⁴⁾.

وقوله: (وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ) معطوف على ما قبله من عطف الخاص على العام، اعتناء بشأنهم وجعلهم كأنهم -لتميزهم- جنس آخر، مع أنهم مندرجون مع الذين وصفهم الله قبل ذلك (أَلَا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ).

أي: لا حرج ولا إثم على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون، إذا ما تخلفوا عن الجهاد، وكذلك لا حرج ولا إثم أيضا على فقراء المؤمنين [الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ] على الرواحل التي يركبونها لكي يخرجوا معك إلى هذا السفر الطويل، (قُلْتَ) لهم يا

(2) انظر: تفسير القرطبي (226/8).

(2) انظر: تفسير القرطبي (226/8).

(3) انظر: تفسير الطبري (211/10).

محمد⁽¹⁾: (لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ)، وقوله: (تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ) أي انصرفوا وأعينهم تسيل بالدموع من شدة الحزن لأنهم لا يجدون المال الذي ينفقونه في مطالب الجهاد، ولا الرواحل التي يركبونها في حال سفرهم إلى تبوك⁽²⁾.

ثانياً: المخلفون الذين ليس لهم أعذار شرعية وتاب الله عليهم:

جاءت ثلاث آيات تتحدث عن هؤلاء المخلفين وهي:

1- قوله تعالى: (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [التوبة: 102].

ومعنى الآية الكريمة: أن هؤلاء الجماعة تخلفوا عن الغزو لغير عذر مسوغ للتخلف ثم ندموا على ذلك، ولم يعتذروا بالأعذار الكاذبة كما اعتذر المنافقون، بل تابوا واعترفوا بالذنب ورجوا أن يتوب الله عليهم، والمراد بالعمل الصالح: ما تقدم من إسلامهم وقيامهم بشرائع الإسلام وخروجهم إلى الجهاد في سائر المواطن، والمراد بالعمل السيئ: هو تخلفهم عن هذه الغزوة، وقد أتبعوا هذا العمل السيئ عملاً صالحاً وهو الاعتراف به والتوبة عنه.

وأصل الاعتراف بالإقرار بالشيء. ومجرد الإقرار لا يكون توبة إلا إذا اقترن به الندم على الماضي والعزم على تركه في الحال والاستقبال، وقد وقع منهم ما يفيد هذا، ومعنى الخلط أنهم خلطوا كل واحد منهما بالآخر، كقولك: خلطت الماء باللبن واللبن بالماء.

وفي قوله: (عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) دليل على أنه قد وقع منهم -مع الاعتراف- ما يفيد التوبة، أو مقدمة التوبة -وهي الاعتراف- قامت مقام التوبة، وحرف الترجي وهو (عسى) هو في كلام الله -سبحانه- يفيد تحقيق الوقوع لأن الإطماع من الله سبحانه إيجاب؛ لكونه أكرم الأكرمين (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) أي: يغفر الذنوب ويفضل على عباده⁽³⁾.

(4) المصدر نفسه (673/2).

(1) انظر: حديث القرآن الكريم (672/2).

(3) انظر: تفسير الشوكاني (399/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

2- قوله تعالى: (وَأَخْرُوجُوا مُرْجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

(

[التوبة: 106].

والمراد بهؤلاء المرجون -كما في الصحيحين- هلال بن أمية، وكعب بن مالك، ومرارة ابن الربيع، وكانوا قد تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمر ما -مع الهمّ بالحقّ به عليه الصلاة والسلام- فلم يتيسر لهم، ولم يكن تخلفهم عن نفاق -وحاشاهم- فقد كانوا من المخلصين، فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم وكان ما كان من المتخلفين قالوا: لا عذر لنا إلا الخطيئة، ولم يعتذروا له صلى الله عليه وسلم ولم يفعلوا كما فعل أهل السواري⁽¹⁾، وأمر رسول الله باجتناّبهم، وشدد الأمر عليهم كما سنعلمه إن شاء الله تعالى، وقد وقف أمرهم خمسين ليلة لا يدرون ما الله -تعالى- فاعل بهم⁽²⁾.

3- قال تعالى: (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) [التوبة: 118].

والمراد بهؤلاء الثلاثة هم هلال بن أمية، وكعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وفيهم نزلت هذه الآية⁽³⁾، وسوف نتحدث عن هذه القصة -بإذن الله- بنوع من التفصيل لما فيها من الدروس والعبر والحكم.

ثالثاً: المخلفون من منافقي الأعراب الذين يسكنون حول المدينة:

هؤلاء المخلفون من منافقي الأعراب نزل فيهم قوله تعالى: (وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ

(1) أي الذين ربطوا أنفسهم في سواري المسجد كأبي لبابة وأصحابه.

(2) انظر: تفسير الألوسي (17/11).

(3) انظر: حديث القرآن الكريم (677/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [التوبة:

.90]

رابعاً: المخلفون من منافقي المدينة:

قال تعالى: (فَرَحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ □ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ □ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ) [التوبة: 81: 83].

هذا وقد لاحظت اختلاف سياسة الرسول صلى الله عليه وسلم في معاملته للمنافقين عندما اعتذروا له، عن المسلمين الصادقين، حيث إنه صلى الله عليه وسلم عامل المنافقين باللين والصفح، واختار للمسلمين الصادقين الشدة والعقوبة! ولا شك أن الشدة والقسوة في هذا المقام مع المسلمين مظهر للإكرام والتشريف، وهو ما لا يستحقه المنافقون، وكيف يستحق المنافقون أن تنزل آيات في توبتهم -على أي حال؟! إنهم كفرة، ولن ينشلهم شيء مما يتظاهرون به في الدنيا، من الدرك الأسفل في النار يوم القيامة، وقد أمر الشارع جل جلاله أن ندعهم لما تظاهروا به ونجري الأحكام الدنيوية حسب ظواهرهم، فقيم التحقيق عن بواطن أَعذارهم وحقيقة أقوالهم، وقيم معاقبتهم في الدنيا على ما قد يصدر عنهم من كذب ونحن إنما نعطيهم الظاهر فقط من المعاملة والأحكام؛ كما يبدون لنا هم أيضاً الظاهر فقط من أحوالهم وعقائدهم، قال ابن القيم: وهكذا يفعل الرب -سبحانه- بعباده في عقوبات جرائمهم، فيؤدب عبده المؤمن الذي يحبه وهو كريم عنده، بأدنى زلة وهفوة، فلا يزال مستيقظاً حذراً، وأما من سقط من عين الله وهان عليه فإنه يخلي بينه وبين معاصيه، وكلما أحدث ذنباً أحدث له نعمة⁽¹⁾.

(1) انظر: زاد المعاد (578/3).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

خامساً: مسجد الضرار:

في أثناء عودة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة راجعا من تبوك نزلت عليه الآيات الآتية:

(وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ □ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ) [التوبة: 107-108].

وسبب نزول هذه الآيات الكريمات: أنه كان بالمدينة -قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها- رجل من الخزرج يقال له أبو عامر الراهب، وكان قد تنصر في الجاهلية وقرأ علم أهل الكتاب، وكان فيه عبادة في الجاهلية، وله شرف في الخزرج كبير، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجراً إلى المدينة واجتمع المسلمون عليه، وصارت للإسلام كلمة عالية، وأظهرهم الله يوم بدر، شرق اللعين أبو عامر بريقه، وبارز بالعداوة وظاهر بها، وخرج فاراً إلى كفار مكة من مشركي قريش يمالنهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاجتمعوا بمن وافقهم في أحياء العرب فكان من أمر المسلمين ما كان، وامتنحهم الله عز وجل، وكانت العاقبة للمتقين، وكان هذا الفاسق قد حفر حفائر فيما بين الصفين فوقع في إحداهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصيب ذلك اليوم فجرح وكسرت ربايعيته اليمنى والسفلى، وشج رأسه صلوات الله وسلامه عليه، وتقدم أبو عامر في أول المبارزة إلى قومه من الأنصار فخطبهم، واستمالهم إلى نصره وموافقته، فلما عرفوا كلامه قالوا: لا أنعم الله بك عينا يا فاسق يا عدو الله، ونالوا منه وسبوه، فرجع وهو يقول: والله لقد أصاب قومي بعدي شر، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعاه إلى الله قبل فراره وقرأ عليه القرآن، فأبى أن يسلم وتمرد، فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يموت بعيداً طريداً فنالت هذه الدعوة، وذلك أنه لما فرغ الناس من أحد ورأى

أمر الرسول صلى الله عليه وسلم في ارتفاع وظهور ذهب إلى هرقل ملك الروم يستنصره على النبي صلى الله عليه وسلم، فوعده ومناه، وأقام عنده وكتب إلى جماعة من قومه الأنصار من أهل النفاق والريب يعدهم ويمنيهم بجيش يقاتل به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويغلبه ويرده عما هو فيه، وأمرهم أن يتخذوا له معقلاً يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده لأداء كتبه، ويكون مرصداً له إذا قدم عليهم بعد ذلك، فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء، فبنوه وأحكموه وفرغوا منه قبل خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك، وجاءوا فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي إليهم فيصل في مسجدهم ليحتجوا بصلاته فيه على تقريره وإثباته، وذكروا أنهم بنوه للضعفاء منهم وأهل العلة في الليلة الشاتية، فعصمه الله من الصلاة فيه فقال: «إنا على سفر، ولكن إذا رجعنا إن شاء الله» فلما قفل عليه السلام راجعاً إلى المدينة من تبوك ولم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعض يوم نزل عليه جبريل بخبر مسجد الضرار وما اعتمده بانوه من الكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين في مسجدهم، مسجد قباء الذي أسس من أول يوم على التقوى، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك المسجد من هدمه قبل مقدمه المدينة⁽¹⁾. هذا ما ذكره ابن كثير في سبب النزول.

أما معنى الآيات الكريمات: أخبر الله سبحانه أن الباعث لهم على بناء المسجد أربعة أمور:

- 1- الضرار لغيرهم، وهو المضارة.
- 2- الكفر بالله والمباهاة لأهل الإسلام، لأنهم أرادوا ببنائه تقوية أهل النفاق.
- 3- التفريق بين المؤمنين، لأنهم أرادوا ألا يحضروا مسجد قباء فتقتل جماعة المسلمين، وفي ذلك من اختلاف الكلمة وبطلان الألفة ما لا يخفى.
- 4- الإرصاء لمن حارب الله ورسوله، أي الإعداد لأجل من حارب الله ورسوله⁽²⁾.

(1) انظر: تفسير ابن كثير (338/2).

(2) المصدر نفسه (403/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

وقد خيَّب الله -تعالى- مسعاهم، وأبطل كيدهم بأن أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بهدمه وإزالته.

وقوله: (وَلَيَحْلِفَنَّ إِنَّ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى) ذم لهم على أيمانهم الفاجرة، وأقوالهم الكاذبة؛ لذلك قال تعالى: (وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ).

ثم نهى الله تعالى رسوله والمؤمنين عن الصلاة في هذا المسجد نهياً مؤكداً، فقال سبحانه: (لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٍ أُسَسَّ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ).

قال ابن عاشور: وقوله سبحانه: (لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا) المراد بالقيام الصلاة؛ لأن أولها قيام، ووجه النهي عن الصلاة فيه أن صلاة النبي صلى الله عليه وسلم فيه تكسبه يمناً وبركة فلا يرى المسلمون لمسجد قباء مزية عليه؛ ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمار بن ياسر، ومالك بن الدخشم مع بعض أصحابه وقال لهم: «انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وحرقوه»، ففعلوا⁽¹⁾ وقوله: (لَمَسْجِدٍ أُسَسَّ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ) احتراس مما يستلزمه النهي عن الصلاة فيه من إضاعة عبادة في الوقت الذي رغبوه للصلاة فيه، فأمره الله بأن يصلي في ذلك الوقت الذي دعوه فيه للصلاة في مسجد الضرار أن يصلي في مسجده أو في مسجد قباء، لنلا يكون لامتناعه من الصلاة من حظوظ الشيطان أن يكون صرفه عن صلاة في وقت دعي للصلاة فيه، وهذا أدب نفساني عظيم⁽²⁾.

وفيه أيضاً دفع مكيدة المنافقين أن يطعنوا في الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه دعي إلى الصلاة في مسجدهم فامتنع فقوله: (أَحَقُّ) وإن كان اسم تفضيل فهو مسلوب المفاضلة؛ لأن النهي عن صلاته في مسجد الضرار أزال كونه حقيقاً بصلاته فيه أصلاً.

(1) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (184/4). (2) انظر: حديث القرآن الكريم (661/2).

ولعل نكتة الإتيان باسم التفضيل أنه تهكم على المنافقين لمجازاتهم، ظاهرا في دعوتهم النبي صلى الله عليه وسلم للصلاة فيه بأنه وإن كان حقيقاً بصلاته بمسجد أسس على التقوى أحق منه، فيعرف من وصفه بأنه (أَسَّسَ عَلَى التَّقْوَى) أن هذا أسس على ضدها⁽¹⁾.

وقد رأى ابن عاشور أن المراد بالمسجد الذي أسس على التقوى أنه مسجد هذه صفته لا مسجدا واحدا معينا، فيكون هذا الوصف كليا انحصر في فردين: المسجد النبوي، ومسجد قباء⁽²⁾.

قوله تعالى: (فِيهِ رَجَلٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا) روى ابن ماجه أنه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا معشر الأنصار، إن الله قد أتى عليكم في الطهور فما طهوركم؟» قالوا: نتوضأ للصلاة ونغتسل من الجنابة ونستنجي بالماء، قال: فهو ذاك فعليكموه⁽³⁾. وفي قصة مسجد الضرار دروس وعبر وفوائد منها:

1- الكفر ملة واحدة:

وقد تبين هذا في موقف أبي عامر الراهب من الإسلام ومن المسلمين؛ إذ غضب غضبا شديدا، وتآلم لهزيمة المشركين في بدر، فأعلن عداؤه للرسول، وتوجه إلى عاصمة الشرك مكة بحث أهلها على قتال المسلمين، وخرج مقاتلا معهم في أحد، وحاول تفتيت الصف الإسلامي⁽⁴⁾ وصدق الله تعالى عندما قال: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) [الأنفال: 73].

2- محاولة التدليس على المسلمين:

حاول المنافقون أن يضيفوا الشرعية على هذا البناء وأنه مسجد بنوه لأسباب مقنعة في

(1) انظر: التحرير والتنوير (31/11). (4) المصدر نفسه (32/11).

(3) سنن ابن ماجه، كتاب الطهارة، باب الاستنجاء بالماء (127/1).

(4) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص 179.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

الظاهر، ولكن لا حقيقة لها في نفوس أصحابها، فقد جاءوا يطلبون من الرسول صلى الله عليه وسلم الصلاة في هذا البناء ليكون مسجداً قد باركه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة فيه، فإذا حدث هذا فقد استقر قرارهم في تحقيق أهدافهم، وهذا أسلوب مكر خبيث قد ينطلي على كثير من الناس⁽¹⁾.

3- فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين:

إن الباحث ليلاحظ مدى العناية الإلهية بالنبي صلى الله عليه وسلم؛ فقد أطلع الله - عز وجل - على أسرار هؤلاء المنافقين وما أرادوه من تأسيس هذا المسجد، فلولا إعلام الله لرسوله لما أدرك رسول الله حقيقة نواياهم، ولصلى في البناء فأضفى عليه الشرعية وأقبل الناس يصلون فيه لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فيه، وبذلك يحدث الاختلاط بين المنافقين وضعاف المسلمين فينفردون بهم وقد يؤثرون عليهم بالشائعات⁽²⁾.

4- العلاج النبوي الحاسم:

إن ما قام به الرسول صلى الله عليه وسلم من الأمر بهدم مسجد الضرار هو التصرف الأمثل، وهذا منهج نبوي كريم سنه لقادة الأمة في القضاء على أي عمل يراد منه الإضرار بالمسلمين وتفريق كلمتهم، فالداء العضال لا يعالج بتسكينه والتخفيف منه، وإنما يعالج بحسمه وإزالة آثاره، حتى لا يتجدد ظهوره بصورة أخرى، وإن الثمار العملية، التي لمسها المسلمون على إثر تطبيق الأمر النبوي الحازم لتدلنا على أن هذه المنهجية التي نهجها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع هذا المكر الخبيث، هي الطريقة المثلى لقمع حركة النفاق في المجتمع المسلم، فقد أصبح أمرهم بعد ذلك يتلاشى شيئاً فشيئاً حتى لم يبق منهم بعد لحاق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى إلا عدد قليل، ولم يعرف عنهم بعد تدمير مسجد الضرار أن قاموا بأعمال تخدم الهدف

(1، 4) المصدر نفسه، ص181.

نفسه لعلمهم بنتائج العمل بعد انكشافهم⁽¹⁾.

5- ما يلحق بحكم مسجد الضرار:

ذكر المفسرون ما يلحق بمسجد الضرار في الحكم، فهذه بعض أقوالهم:

أ- قال الزمخشري: ... وقيل كل مسجد بني مباهاة أو رياء وسمعة أو لغرض سوى ابتغاء وجه الله، أو بمال غير طيب، فهو لاحق بمسجد الضرار⁽²⁾.

علق الدكتور عبد الكريم زيدان على قول الزمخشري فقال: ولكن هل يلحق بمسجد الضرار فيهدم، كما هدم مسجد الضرار الذي بناه المنافقون في المدينة وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بهدمه؟ لا أرى ذلك، وإنما يمكن أن يقال إن المسجد الذي بني لهذه الأغراض يلحق بمسجد الضرار من جهة عدم ابتنائه على التقوى، والإخلاص الكامل لله تعالى⁽³⁾.

ب- قال القرطبي في تفسيره: قال علماؤنا: وكل مسجد بني على ضرار أو رياء وسمعة فهو في حكم مسجد الضرار لا تجوز الصلاة فيه⁽⁴⁾.

ج- وقال سيد قطب في تفسيره: هذا المسجد مسجد الضرار الذي اتخذ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مكيدة للإسلام والمسلمين، هذا المسجد ما يزال يتخذ في صور شتى؛ يتخذ في صورة نشاط ظاهره الإسلام وباطنه لسحق الإسلام أو تشويهه... ويتخذ في صورة أوضاع ترفع لافتة الدين عليها لتتترس وراءها، وهي ترمي هذا الدين، ويتخذ في صورة تشكيلات وتنظيمات وكتب وبحوث تتحدث عن الإسلام، لتخدر القلقين الذين يرون الإسلام يُذبح ويمحق، فتخدرهم هذه التشكيلات وتلك الكتب بما توحيه لهم من أن الإسلام بخير، وأنه لا داعي للخوف أو

(1) انظر: التاريخ الإسلامي (130/8). (2) انظر: تفسير الزمخشري (310/2).

(3) انظر: المستفاد من قصص القرآن (504/2). (4) انظر: تفسير القرطبي (254/8).

6- قاعدة لمعرفة ما يلحق بالمسجد الضرار:

قال الدكتور عبد الكريم زيدان: كل ما يتخذ مما هو في ظاهره مشروع، ويريد متخذوه تحقيق غرض غير مشروع، فهو ملحق بالمسجد الضرار، لأنه يحمل روحه وعناصره⁽²⁾، وإذا أردنا الإيجاز قلنا في هذه القاعدة: كل ما كان ظاهره مشروعاً ويريد متخذوه الإضرار بالمؤمنين فهو ملحق بالمسجد الضرار⁽³⁾.

وبناء على هذه القاعدة يخرج من نطاق مسجد الضرار وما يلحق به، ما ذكره الإمام ابن القيم من مشاهد الشرك، ومن أماكن المعاصي والفسوق كالحانات وبيوت الخمر والمنكرات ونحو ذلك؛ لأن هذه المنكرات ظاهرها غير مشروع فلا تلحق به وإن استحقت الإزالة كمسجد الضرار باعتبارها منكرات ظاهراً وباطناً⁽⁴⁾.

7- مساجد الضرار في بلاد المسلمين:

لا يزال أعداء الإسلام من المنافقين والملحدين، والمبشرين (المنصرين) والمستعمرين، يقيمون أماكن باسم العبادة وما هي لها، وإنما المراد بها الطعن في الإسلام وتشكيك المسلمين في معتقداتهم وآدابهم، وكذلك يقيمون مدارس باسم الدرس والتعليم ليتوصلوا بها إلى بث سمومهم بين أبناء المسلمين، وصرفهم عن دينهم، وكذلك يقيمون المنتديات باسم الثقافة والغرض منها خلخلة العقيدة السليمة في القلوب، والقيم الخلقية في النفوس، ومستشفيات باسم المحافظة على الصحة والخدمة الإنسانية والغرض منها التأثير على المرضى والضعفاء وصرفهم عن دينهم، وقد اتخذوا من البيئات الجاهلة والفقيرة -لاسيما في بلاد إفريقيا- ذريعة للتوصل إلى أغراضهم

(1) في ظلال القرآن (1710/3، 1711).

(2) انظر: المستفاد من قصص القرآن (506/2). (2، 3) المصدر نفسه (507/2).

(4) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبه (508/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

الدنية التي لا يقرها عقل ولا شرع ولا قانون⁽¹⁾.

إن مسجد الضرار ليس حادثة في المجتمع الإسلامي الأول وانقضت، بل هي فكرة باقية، يخطط لها باختيار الأهداف العميقة، وتختار الوسائل الدقيقة لتنفيذها، وخططها تصب في التآمر على الإسلام وأهله بالتشويه وقلب الحقائق، والتشكيك، وزرع بذور الفتن لإبعاد الناس عن دينهم وإشغالهم بما يضرهم ويدمر مصيرهم الأخروي⁽²⁾.

* * *

(2) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص182.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

المبحث الرابع

قصة الثلاثة الذين خلفوا

وردت قصة الثلاثة الذين خلفوا على لسان كعب بن مالك رضي الله عنه في كتب السيرة والحديث والتفسير بروايات متقاربة في ألفاظها، ولقيت عناية فائقة في الشرح والتدريس، وكان صحيح البخاري من أكثر الكتب دقة وتفصيلاً لهذه القصة⁽¹⁾.

ونترك كعب بن مالك رضي الله عنه يحدثنا بنفسه حيث قال: لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك، غير أنني كنت تخلفت في غزوة بدر، ولم يعاتب أحدًا تخلف عنها، إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة⁽²⁾ حين تواقفنا على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها، كان من خبري أنني لم أكن -قط- أقوى ولا أيسر حين تخلفت عنه في تلك الغزاة، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان -قط- حتى جمعتهما في تلك الغزوة، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة إلا ورى بغيرها، حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد، واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً، وعدواً كثيراً، فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم، فأخبرهم بوجهه الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ، يريدون الديوان، قال كعب: فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن سيخفى له، ما لم ينزل فيه وحي الله.

وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حيث طابت الثمار والظلال، وتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه، فطفقت أعدو لي أتجهز معهم، فأرجع ولم أقض شيئاً،

(1) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص 187.

(2) ليلة العقبة: الليلة التي بايع رسول الله ﷺ الأنصار على الإسلام.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

فأقول في نفسي: أنا قادر عليه، فلم يزل يتمادي بي حتى اشتد بالناس الجد، فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئاً، فقلت: أتجهز بعده بيوم أو يومين، ثم ألحقهم، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز، فرجعت ولم أقض شيئاً، ثم غدوت، ثم رجعت ولم أقض شيئاً، فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو⁽¹⁾ وهممت أن أرتحل فأدركهم، وليتني فعلت، فلم يقدر لي ذلك، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فطفت فيهم أحزنني أني لا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه النفاق أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء، ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك، فقال وهو جالس في القوم بتبوك: «ما فعل كعب؟» فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله حبسه برداه، ونظره في عطفه⁽²⁾ فقال له معاذ بن جبل: بنس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبينما هو على ذلك رأى رجلاً مبيضاً⁽³⁾ يزول به السراب⁽⁴⁾ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كن أبا خيثمة» فإذا هو أبو خيثمة الأنصاري، وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لمزه⁽⁵⁾ المنافقون، قال كعب بن مالك: فلما بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلاً⁽⁶⁾ من تبوك حضرني بئي⁽⁷⁾، فطفقت أتذكر الكذب وأقول: بم أخرج من سخطه غداً؟ واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، فلما قيل لي: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظل قادماً⁽⁸⁾ زاح⁽⁹⁾ عني الباطل، حتى عرفت أني لن أنجو منه بشيء أبداً، فأجمعت صدقه⁽¹⁰⁾ وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادماً، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه، ويحلفون له،

(1) تفارط الغزو: تقدم الغزاة وسبقوا وفاتوا.

(2) والنظر في عطفه: أي جانبيه، وهو إشارة إلى إعجابه بنفسه ولباسه.

(3) مبيضاً: لايس البياض.

(4) يزول به السراب: يتحرك وينهض، والسراب ما يظهر للإنسان.

(5) لمزه المنافقون: عابوه واحتقروه.

(6) توجه قافلاً: راجعاً.

(7) حضرني بئي: حزني.

(7) أظل قادماً: أقبل ودنا قدومه كأنه أبقى على ظله.

(9) أجمعت صدقه: عزمت على صدقه.

(9) زاح: أزال.

وكانوا بضعة وثمانين رجلا، فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم، وبايعهم، واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله، حتى جنت، فلما سلمت، تبسم تبسم المغضب، ثم قال: **«تعال»**، فجنت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: **«ما خلفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟»** قال: قلت: بلى، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا، لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلاً⁽¹⁾ ولكني -والله- لقد علمت لنن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني، ليوشكن⁽²⁾ الله أن يسخطك علي، ولنن حدثتك حديث صدق تجد عليّ فيه⁽³⁾ إني لأرجو فيه عقي الله⁽⁴⁾، لا -والله- ما كان لي عذر، والله ما كنت -قط- أقوى، ولا أيسر مني حين تخلفت عنك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك»**، فقامت وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني، فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا، ولقد عجزت ألا تكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر به إليه المخلفون، فقد كان كافيك ذنبك، استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك، قال: فوالله ما زالوا يؤنبونني⁽⁵⁾ حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكدب نفسي.

قال: ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي من أحد؟ قالوا: نعم، لقيه معك رجلان، قالوا مثل ما قلت، فقليل لهما مثل ما قيل لك، قال: قلت: من هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع العمري، وهلال بن أمية الواقفي، قال: فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدراً، فيهما أسوة. فمضيت حين ذكروهما لي. ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا -أيها الثلاثة- من بين من تخلف عنه. فاجتنبنا الناس، وتغيروا لنا حتى تنكرت لي في نفسي الأرض، فما هي بالأرض التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحبائي فاستكانا⁽⁶⁾ وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت

(1) أعطيت جدلاً: فصاحة وقوة في الكلام وبراعة.

(2) ليوشكن: ليسر عن.

(3) تجد عليّ فيه: تغضب.

(4) إني لأرجو عقي الله: يعقبنني خيراً ويثيبني عليه.

(5) يؤنبونني: يلومونني أشد اللوم.

(6) استكانا: خضعا.

(2) أشب القوم وأجلدهم: أي أصغروهم سناً وأقواهم.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

أشَبَّ القوم وأجلدهم⁽¹⁾ فكننت أخرج، فأشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد، وأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه، وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام أم لا؟ ثم أصلي قريباً منه، وأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي نظر إليّ، وإذا التفت نحوه أعرض عني، حتى طال ذلك عليّ من جفوة الناس، مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة، -وهو ابن عمي، وأحب الناس إلي- فسلمت عليه، فوالله ما رد عليّ السلام، فقلت له: يا أبا قتادة، أنشدك بالله⁽²⁾ هل تعلم أنني أحب الله ورسوله؟ قال: فسكت، فعدت فناشدته فسكت، فعدت فناشدته فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عينا، وتوليت حتى تسورت الجدار، فبينما أنا أمشي في سوق المدينة، إذا نبطي من نبط أهل الشام⁽³⁾ ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له إلي، حتى جاءني فدفع إليّ كتاباً من ملك غسان، وكنت كاتباً، فقرأته فإذا فيه: أما بعد فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضیعة⁽⁴⁾ فالحق بنا نو فقلت حين قرأتها: وهذا أيضاً من البلاء فتيممت⁽⁵⁾ بها التنور، فسجرتها⁽⁶⁾ به حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين واستلبث الوحي⁽⁷⁾ إذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: لا، بل اعتزلها فلا تقربنها، قال: فأرسل إلى صاحبي بمثل هذا.

قال: فقلت لامرأتي: الحق بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر، قال: فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله، فقالت له: يا رسول الله، إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم، فهل تكره أن أخدمه؟ قال: لا، ولكن لا يقربنك، فقالت: إنه -والله- ما به حركة إلى شيء،

(2) أنشدك بالله: أسألك بالله.

(4) نبط أهل الشام: فلاحو العجم.

(4) مضیعة: يعني أنك لست بأرض يضيع فيها حقك.

(6) تيممت: قصدت.

(6) فسجرتها: أحرقتها.

(8) استلبث الوحي: أبطأ

والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا. فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأتك؟ فقد أذن لامرأة هلال ابن أمية أن تخدمه، قال فقلت: لا أستأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريني ماذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استأذنته فيها، وأنا رجل شاب، قال فلبثت بذلك عشر ليالٍ، فكمل لنا خمسون ليلة على ظهر بيت من بيوتنا، فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله عز وجل منا، قد ضاقت على نفسي وضائق عليّ الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على سلع⁽¹⁾ يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك، أبشر. قال: فخررت ساجداً، وعرفت أن قد جاء فرج، قال: فأذن⁽²⁾ رسول الله صلى الله عليه وسلم توبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، فذهب قبل صاحبي مبشرون وركض رجل إليّ فرساً، وسعى ساع من أسلم قبلي، وأوفى الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرنى نزعته له ثوبيّ فكسوته إياهما ببشارته، والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما، وانطلقت أتأمم⁽³⁾ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتلقاني الناس فوجاً فوجاً⁽⁴⁾ يهنئونني بالتوبة ويقولون: لتهنأك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد، حوله الناس فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني، والله ما قام رجل من المهاجرين غيره، قال: فكان كعب لا ينساها لطلحة، قال كعب: فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبصر وجهه من السرور: «أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك» قال: قلت: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ فقال: «لا، بل من عند الله» وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سرّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر قال: وكنا نعرف ذلك قال: فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله، إن من توبتي أن أنخلع⁽⁵⁾ من مالي صدقة إلى الله وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال

(1) أوفى على سلع: صعدته وارتفع عليه، وطلع: جبل بالمدينة معروف.

(2) فأذن الناس: أي أعلمهم.

(3) أتأمم: أي قصد

(4) فوجاً فوجاً: الفوج الجماعة.

(5) أنخلع من مالي: أتصدق به.

رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك» قال: فقلت: فإني أمسك سهمي الذي بخبير قال: وقلت: يا رسول الله، إن الله إنما أنجاني بالصدق، وإن من توبتي ألا أحدث إلا صدقاً ما بقيت، فوالله ما علمت أن أحداً من المسلمين أبلاه⁽¹⁾ الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومي هذا، أحسن مما أبلاني الله به، والله ما تعمدت كذبة منذ قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومي هذا، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي، قال: فأنزل الله عز وجل: (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ □ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) [التوبة: 117-118] حتى بلغ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) [التوبة: 119].

قال كعب: والله ما أنعم الله علي من نعمة -قط- بعد إذ هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أكون كذبتة فأهلك كما هلك الذين كذبوا، فإن الله قال للذين كذبوا الله حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد، قال الله: (سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِنَعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ وَمَاوَاهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ □ يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) [التوبة: 95-96].

قال كعب: وكنا تخلفنا -أيها الثلاثة- عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له، فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا حتى قضى الله فيه، فبذلك قال الله عز وجل: (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) [التوبة: 118] وليس الذي ذكر الله مما خلفنا عن الغزو، وإنما هو تخليفه

(1) أبلاه الله: أنعم عليه.

إيانا، وإرجاؤه أمرنا⁽¹⁾، عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه⁽²⁾. وفي هذه القصة دروس وعبر وفوائد كثيرة نذكر منها:

1- الأسلوب الجميل والبيان الرائع والأدب الرفيع:

لقد تمت صياغة هذا الحديث بأسلوب جميل، وبيان رائع، وأدب رفيع، وإنه ليعتبر -مع أمثاله كحديث صلح الحديبية وحديث الإفك- نماذج عالية للأدب العربي الرفيع، وليت القائمين على وضع المناهج الدراسية يختارون هذه الأحاديث وأمثالها لتنمية مدارك الطلاب، وتكوين الملكة الأدبية والثروة اللغوية العالية، انظر مثلاً إلى قول كعب في هذا الحديث: فلما قيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظل قادماً زاح عني الباطل، وعرفت أنني لن أخرج منه أبداً بشيء فيه كذب؛ فأجمعت صدقه⁽³⁾.

2- الصدق سفينة النجاة:

لقد أدرك كعب، وهلال، ومرارة -رضي الله عنهم- خطورة الكذب فعزموا على سلوك طريق الصراحة والصدق وإن عرضهم ذلك للتعب والمضايقات، ولكن كان أملهم بالله -تعالى- كبيراً في أن يقبل توبتهم ثم يعودون إلى الصف الإسلامي أقوى مما كانوا عليه⁽⁴⁾، وما أجمل ختم رب العالمين توبته على كعب ومن معه بقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) [التوبة: 119].

3- الهجر التربوي وأثره في المجتمع:

إن الهجر التربوي له منافع العظيمة في تربية المجتمع المسلم على الاستقامة ومنع أفرادهم من التورط في المخالفات التي تكون إما بترك شيء من الواجبات أو فعل شيء من المحرمات؛

(1) إرجاؤه أمرنا: تأخيره أمرنا.

(2) البخاري، كتاب المغازي رقم 4418، صحيح السيرة النبوية، ص 614.

(3) انظر: التاريخ الإسلامي (137/8).

(4) انظر: التاريخ الإسلامي (138/8).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

لأن من توقع أنه إذا وقع في شيء من ذلك سيكون مهجوراً من جميع أفراد المجتمع، فإنه لن يفكر في الإقدام على ذلك.

ولا يغيب عن البال أن تطبيق هذا الحكم يجب أن يتم في الظروف المشابهة لحياة المسلمين في العهد النبوي المدني، حيث توجد الدولة المهيمنة والمجتمع القوي، مع أمن الوقوع في الفتنة لمن طبق عليه هذا الحكم.

وهذا الهجر التربوي يختلف عن الهجر الذي يكون بين المسلمين على أمور الدنيا، فهذا دنيوي وذاك ديني، فالهجر الديني مطلب شرعي يثاب عليه فاعله، أما الهجر الدنيوي فإنه مكروه إلا إذا زاد عن ثلاثة أيام فإنه يكون محرماً⁽¹⁾ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»⁽²⁾ ولقوله صلى الله عليه وسلم: «من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه»⁽³⁾.

4- تنفيذ أوامر القيادة في المجتمع المسلم:

استجاب المجتمع المسلم كله لتنفيذ أمر المقاطعة والهجر الذي صدر من القائد الأعلى صلى الله عليه وسلم وامتنعوا جميعاً عن الحديث مع هؤلاء الثلاثة، ووصف كعب لنا ذلك فقال:.... فاجتبتنا الناس وتغيروا لنا، حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف، فأما صاحبائي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق، ولا يكلمني أحد⁽⁴⁾... وقد أطلق كعب السلام على ابن عمه أبي قتادة فلم يرد عليه السلام، وناشده بالله مراراً: هل تعلمني أحب الله ورسوله؟ فسكت، مع أنه من أحب الناس إليه، لقد كان أبو قتادة في هذا الموقف موزع الفكر بين إجابة رجل حبيب إليه عزيز عليه، وبين تنفيذ أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتطبيق الهجر التربوي،

(1) المصدر نفسه (139/8).

(3) مسلم، كتاب البر، رقم 2560، ص1984.

(3) مسند أحمد (220/4).

(5) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص195.

ولكن ليس هناك تردد بين الأمرين، فالذي أوحى به إيمان أبي قتادة هو تنفيذ أمر النبي صلى الله عليه وسلم فظهر ذلك على سلوكه⁽¹⁾.

وقد بلغ الالتزام بالأمر النبوي في الهجر التربوي ذروته حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الثلاثة الذين خلفوا باعتزال زوجاتهم حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا، فالتزم الجميع بذلك، واستأذنت زوجة هلال بن أمية - وكان شيخا طاعنا في السن لا يجد من يخدمه - فطلبت من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يأذن لها أن تخدمه فأذن لها النبي صلى الله عليه وسلم بذلك شريطة ألا يقربها؛ فالتزمت رضي الله عنها⁽²⁾.

5- الولاء التام لله ورسوله:

كان العدو الصليبي يراقب ويرصد ويستغل الفرصة السانحة لكي يمزق الجبهة الداخلية ويشعل نار الفتنة بين المسلمين ليوهن البنيان ويقوض الأركان، ولذلك استغل ملك غسان فرصة هجران المسلمين لكعب بن مالك رضي الله عنه وعقوبة رسول الله صلى الله عليه وسلم له، بأن يرسل سفيره لكعب برسالة خاصة منه إليه يغريه فيها، تأمل قوله: قد بلغني أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضیعة، فالحق بنا نواسك⁽³⁾. فكان تعليق كعب على هذه الرسالة: وهذا من البلاء أيضا، قد بلغ مني ما وقعت فيه أن طمع في رجال من أهل الشرك، ثم أحرق الرسالة⁽⁴⁾ وهذا الموقف يدل على شدة ولاء كعب لله ورسوله وقوة إيمانه وعظمة نفسه، فقد أدرك أنها محنة جديدة أقسى من الأولى، فلا يرضيه أن يجيب ملك غسان بالسلب، أو يرمي بالكتاب ويمزقه، ولكنه رمى به في التنور ليصير رمادا، ويصير كل ما به دخانا يتبدد في الهواء، وخرج الرجل من محنته وهو أقوى ما يكون إيمانا، وأصفى ما يكون روحا، وأكرم ما يكون

(1) انظر: التاريخ الإسلامي (140/8).

(2) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص 196.

(3) البخاري، كتاب المغازي، رقم 4418.

(4) المغازي (1051/3، 1052).

أخلاقاً، فيالعظمة هذه النفوس المؤمنة الكبيرة⁽¹⁾! لقد مر كعب من فوق هذا الاختبار والابتلاء عزيزاً قوياً بإسلامه، لم يتأثر به ولا انزلق فيه⁽²⁾.

6- توبة الله على العبد قيمة دينية يتطلع إليها الصادقون:

عندما نزلت الآيات الكريمة التي بينت توبة الله على هؤلاء الثلاثة كان ذلك اليوم من الأيام العظيمة عند المسلمين، ظهرت فيه الفرحة على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استنار كأنه قطعة قمر، وظهرت الفرحة على وجوه الصحابة -رضي الله عنهم- حتى صاروا يتلقون كعباً وصاحبيه أفواجاً يهنئونهم بما تفضل الله به عليهم من التوبة، وجاء كعب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ووجهه يبرق من السرور فقال له: أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك، وهذا يعني مقام التوبة وأنها أعظم من الدخول في الإسلام.

إن التوبة تعني عودة العبد إلى الدخول تحت رضوان الله تعالى الذي هو أعلى هدف ينشده المسلم، وبالتالي فإنه يحظى بحفظه -جل وعلا- في الدنيا وتكريمه في الآخرة، لقد كانت توبة كعب عظيمة عبر عنها بنزع ثوبيه -الذين لا يملك يومئذ غيرهما- وإهدائهما لمن بشره⁽³⁾ وعدم نسيان كعب لطلحة بن عبيد الله مصافحته وتهنئته له⁽⁴⁾ وكذلك كانت فرحة صاحبيه عظيمة غير أن كعباً لم يذكر في هذا الخبر إلا ما جرى له⁽⁵⁾ وقد جاء في رواية الواقدي: وكان الذي بشر هلال بن أمية بتوبته سعيد بن زيد قال: وخرجت إلى بني واقف فبشرته فسجد، قال سعيد: فما ظننته يرفع رأسه حتى تخرج نفسه⁽⁶⁾.

7- تشرع أنواع من العبادات شكراً لله عند النعمة:

كانت فرحة كعب بن مالك بتوبة الله -سبحانه وتعالى- عليه لا تحدها حدود، ولا يتصورها

(1) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبه (517/2). (6) انظر: فقه السيرة للبوطي، ص307.

(3) انظر: التاريخ الإسلامي (141/8).

(4) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبه (581/2). (3) انظر: التاريخ الإسلامي (142/8).

(6) المغازي للواقدي (1054/3). (5) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي، ص493.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ مع الدعاء بحسن الاستفادة

مثل، وقد تفنن هو رضي الله عنه في التعبير عنها بجملة من العبادات منها:

أ- سجود الشكر: حينما سمع كعب البشارة بتوبة الله عليه خر ساجداً من فوره شكراً لله -تبارك وتعالى- فقد كان من عادة الصحابة -رضي الله عنهم- أن يسجدوا شكراً لله -تعالى- كلما تجددت لهم نعمة أو انصرفت عنهم نعمة، وقد تعلموا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم⁽¹⁾

ب- مكافأة الذي يحمل البشري: فقد نزع كعب ثوبيه اللذين كان يلبسهما، فكساهما الذي سمع صوته بالبشري، وما كان يملك وقتئذ غيرهما، ثم استعار ثوبين فلبسهما، ولا شك أن هذا ضرب من الهبة المشروعة، فإن كان المبشر غنياً كان له هدية، وإن كان فقيراً كان له صدقة، وكلاهما إخراج المال شكراً لله -تعالى- على إنزاله الفرج⁽²⁾.

ج- التصدق بالمال: فقد جعل كعب من توبته أن ينخلع من ماله صدقة لله تعالى، لكنه -عليه الصلاة والسلام- لم يتقبل منه التصدق بجميع ماله، وقال له: «أمسك عليك بعض مالك، فهو خير لك»، وكأنه يستشير به بذلك، فكانت المشورة بأمساك بعض ماله⁽³⁾ وقد ثار الخلاف الفقهي فيمن نذر التصدق بجميع ماله، والصدقة مستحبة، والنذر واجب الوفاء، ولم يذهب كعب إلى النذر، وإنما استشار في الصدقة بكل المال، فأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه بأمساك بعض ماله.

*

*

*

(2) نفس المصدر، ص493، الصراع مع الصليبيين، ص202.

(3) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي، ص493.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

أولاً: معالم من المنهج القرآني في الحديث عن غزوة تبوك:

إن الآيات التي أنزلها الله في كتابه المتعلقة بغزوة العسرة هي أطول ما نزل في قتال المسلمين وخصومهم، وقد بدأت باستنهاض الهمم لرد هجوم المسيحية، وإشعارهم بأن الله لا يقبل ذرة تفريط في حماية دينه ونصرة نبيه، وإن التراجع أمام الصعوبات الحائلة دون قتال الروم، يعد مزلة إلى الردة والنفاق⁽¹⁾ قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اتَّقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ □ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [التوبة: 38، 39].

وعند التأمل في سورة التوبة يلاحظ القارئ أن لها معالم في عرضها لغزوة تبوك منها:

1- عاتب القرآن الكريم من تخلف عتَابًا شديداً، وتميزت غزوة تبوك عن سائر الغزوات بأن الله حث على الخروج فيها -وعاتب من تخلف عنها- والآيات الكريمة جاءت بذلك، كقوله تعالى: (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [التوبة: 41].

وقد ختمت الغزوات النبوية بهذه الغزوة، وقد كان تطبيقاً عملياً لوضع النص القرآني في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ) [التوبة: 123] موضع التنفيذ⁽²⁾.

2- ميز القرآن الكريم هذه الغزوة عن غيرها، فسمّاها الله تعالى ساعة العسرة، قال تعالى: (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ) [التوبة: 117]

(1) انظر: فقه السيرة للغزالي، ص 404.

(2) انظر: حديث القرآن الكريم (702/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

فقد كانت غزوة عسرة بمعنى الكلمة.

3- من معالم منهج القرآن في عرضه لهذه الغزوة العظيمة أن الله رد على المنافقين لمزهم فقراء الصحابة عندما جاء أحدهم بنصف صاع وتصدق به، فقالوا: إن الله لغني عن صدقة هذا، وما فعل هذا إلا رياء، فنزلت الآية: (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [التوبة: 79].

4- بين القرآن الكريم أن المؤمنين الذين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم - وعددهم يزيد عن الثلاثين ألفا- قد كتب الله لهم الأجر العظيم⁽¹⁾ قال تعالى: (وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيَيْنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَرْنًا إِلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ) [التوبة: 92].

ثانياً: ممارسة الشورى في هذه الغزوة:

مارس رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة الشورى وقبل مشورة الصديق والفاروق في بعض النوازل التي حدثت في الغزوة ومن هذه النوازل:

أ- قبول مشورة أبي بكر الصديق في الدعاء حين تعرض الجيش لعطش شديد:

قال عمر بن الخطاب: خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلاً وأصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع، حتى إن الرجل لينحر بغيره فيعتصر فرثه فيشربه، ثم يجعل ما بقى على كعبه، فقال أبو بكر الصديق: يا رسول الله، إن الله قد عودك في الدعاء خيراً، فادع الله، قال: «أحب ذلك؟» قال: نعم، فرفع يديه فلم يردهما حتى حالت السماء فأظلت ثم سكبت فملاؤا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر فلم نجد ما جاوزت العسكر⁽²⁾.

ب- قبول مشورة عمر بن الخطاب في ترك نحر الإبل حين أصابت الجيش مجاعة:

(1) انظر: حديث القرآن الكريم (703/2).

(2) أخرجه ابن حبان، كتاب الجهاد، باب غزوة تبوك، رقم 1707.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

أصاب جيش العسرة مجاعة أثناء سيرهم إلى تبوك، فاستأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم في نحر إبلهم حتى يسدوا جوعتهم، فلما أذن لهم النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك جاءه عمر رضي الله عنه فأبدى مشورته في هذه المسألة، وهي أن الجند إن فعلوا ذلك نفدت رواحلهم وهم أحوج ما يكونون إليها في هذا الطريق الطويل، ثم ذكر رضي الله عنه حلا لهذه المعضلة وهو: جمع أزواد القوم ثم الدعاء لهم بالبركة فيها، فعلم صلى الله عليه وسلم بهذه المشورة حتى صدر القوم عن بقية من هذا الطعام بعد أن ملأوا أوعيتهم منه وأكلوا حتى شبعوا.

ج- قبول مشورة عمر رضي الله عنه في ترك اجتياز حدود الشام والعودة إلى المدينة:

عندما وصل النبي صلى الله عليه وسلم إلى منطقة تبوك وجد أن الروم فروا خوفاً من جيش المسلمين، فاستشار أصحابه في اجتياز حدود الشام، فأشار عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأن يرجع بالجيش إلى المدينة وعلل رأيه بقوله: إن للروم جموعاً كثيرة وليس بها أحد من أهل الإسلام، ولقد كانت مشورة مباركة؛ فإن القتال داخل بلاد الرومان يعد أمراً صعباً، إذ إنه يتطلب تكتيكاً خاصاً لأن الحرب في الصحراء تختلف في طبيعتها عن الحرب في المدن، بالإضافة إلى أن عدد الرومان في الشام يقرب من مائتين وخمسين ألفاً، ولا شك في أن تجمع هذا العدد الكبير في تحصنه داخل المدن يعرض جيش المسلمين للخطر⁽¹⁾.

إن ممارسة الشورى في حياة الأمة في كل شئونها السياسية والعسكرية والاجتماعية... إلخ منهج تربوي كريم سار عليه الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم في حياته.

ثالثاً: التدريب العملي العنيف:

كان في خروج الرسول صلى الله عليه وسلم بأصحابه إلى تبوك فوائد كثيرة، منها: تدريبهم تدريباً عنيفاً، فقطع بهم صلى الله عليه وسلم مسافة طويلة في ظروف جوية صعبة حيث كانت حرارة الصيف اللاهب، بالإضافة إلى الظروف المعيشية التي كانوا يعانون منها، فقد

(1) انظر: غزوة تبوك، باشميل، ص 176، 177.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

كانت هناك قلة في الماء حتى كادوا يهلكون من شدة العطش، وأيضاً كانت هناك قلة في الزاد والظهر ولا شك في أن هذه الأمور تعد تدريباً عنيفاً لا يتحمله إلا الأقوياء من الرجال.

وفي هذا الدرس يقول الأستاذ محمود شيت خطاب: تعمل الجيوش الحديثة على تدريب جنودها تدريباً عنيفاً، كاجتياز مواقع وعراقيل صعبة جداً، وقطع مسافات طويلة في ظروف جوية مختلفة، وحرمان من الطعام والماء بعض الوقت، وذلك لإعداد هؤلاء الجنود لتحمل أصعب المواقف المحتمل مصادفتها في الحرب، لقد تحمل جيش العسرة مشقات لا تقل صعوبة عن مشقات هذا التدريب العنيف - إن لم تكن أصعب منها بكثير - لقد تركوا المدينة في موسم نضج ثمارها، وقطعوا مسافات طويلة شاقة في صحراء الجزيرة العربية صيفاً، وتحملوا الجوع والعطش مدة طويلة.

إن غزوة تبوك تدريب عنيف للمسلمين، كان غرض الرسول صلى الله عليه وسلم منه إعدادهم لتحمل رسالة حماية حرية نشر الإسلام خارج شبه الجزيرة العربية... فقد كانت هذه الغزوة آخر غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم، فلابد من الاطمئنان إلى كفاءة جنوده قبل أن يلحق بالرفيق الأعلى⁽¹⁾ وقد ساعد هذا التدريب العملي الصحابة في عصر الخلفاء فقاموا بفتح بلاد الشام وبلاد الفرس بقوة إيمانهم، وثقتهم بخالقهم، وساعدتهم على ذلك لياقتهم البدنية العالية، ومعرفتهم العملية لاستخدام السيوف والرماح وأنواع الأسلحة في زمانهم.

رابعاً: أهم نتائج الغزوة:

أ- يمكن للباحث أن يلاحظ أهم نتائج هذه الغزوة وهي:

1- إسقاط هيبة الروم من نفوس العرب جميعاً - مسلمهم وكافرهم على السواء - لأن قوة الروم كانت في حس العرب لا تقاوم، ولا تغلب، ومن ثم فقد فزعوا من ذكر الروم وغزوهم، ولعل الهزيمة التي لحقت بالمسلمين في غزوة (موتة) كانت مؤكدة على ما ترسخ في ذهن العربي في

(1) انظر: الرسول القائد، ص 281، 282.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

جاهليته من أن الروم قوة لا تقهر، فكان لا بد من هذا النفير العام لإزاحة هذه الهزيمة النفسية من نفوس العرب.

2- إظهار قوة الدولة الإسلامية كقوة وحيدة في المنطقة قادرة على تحدي القوى العظمى عالمياً -حينذاك- ليس بدافع عصبي أو عرقي، أو تحقيق أطماع زعامات معاصرة، وإنما بدافع تحريري؛ حيث تدعو الإنسانية إلى تحرير نفسها من عبودية العباد إلى عبودية رب العباد، ولقد حققت هذه الغزوة الغرض المرجو منها بالرغم من عدم الاشتباك الحربي مع الروم الذين أثروا الفرار شمالاً فحققوا انتصاراً للمسلمين دون قتال، حيث أخلوا مواقعهم للدولة الإسلامية، وترتب على ذلك خضوع النصرانية التي كانت تمت بصلة الولاء لدولة الروم مثل إمارة دومة الجندل، وإمارة إيلة (مدينة العقبة حالياً على خليج العقبة)، وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبينهم كتاباً يحدد ما لهم وما عليهم⁽¹⁾ وأصبحت القبائل العربية الشامية الأخرى التي لم تخضع للسيطرة الإسلامية في تبوك تتعرض بشدة للتأثير الإسلامي، وبدأ الكثير من هذه القبائل يراجع موقفه ويقارن بين جدوى الاستمرار في الولاء للدولة البيزنطية أو تحويل هذا الولاء إلى الدولة الإسلامية الناشئة، ويعد ما حدث في تبوك نقطة البداية العملية للفتح الإسلامي لبلاد الشام⁽²⁾ وإن كانت هناك محاولات قبلها ولكنها لم تكن في قوة التأثير كغزوة تبوك، فقد كانت هذه الغزوة بمثابة المؤشر لبداية عمليات متواصلة لفتح البلدان، والتي واصلها خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعده، ومما يؤكد هذا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قبل موته جهز جيشاً بقيادة أسامة بن زيد بن حارثة ليكون رأس حربة موجهة صوب الروم، وطليلة لجيش الفتح، ضم هذا الجيش جُلَّ صحابة رسول الله، ولكنه لم يقم بمهمته إلا بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، ومع هذا فقد حقق الهدف المطلوب منه كما سيأتي⁽³⁾ بإذن الله عند الحديث في سيرة الصديق رضي الله عنه.

(1) انظر: دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، للشجاع، ص209.

(2) انظر: المسلمون والروم في عصر النبوة، عبد الرحمن أحمد، ص102.

(3) انظر: دراسات في عهد النبوة، للشجاع، ص209.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

لقد وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسس الأولى والخطوات المثلى لفتح بلاد الشام والفتوحات الإسلامية.

3- توحيد الجزيرة العربية تحت حكم الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث تأثر موقف القبائل العربية من الرسول صلى الله عليه وسلم والدعوة الإسلامية بمؤثرات متداخلة كفتح مكة، وخيبر، وغزوة تبوك، فبادر كل قوم بإسلامهم بعد أن امتد سلطان المسلمين إلى خطوط التماس مع الروم ثم مصالحة نجران في الأطراف الجنوبية على أن يدفعوا الجزية، فلم يعد أمام القبائل العربية إلا المبادرة الشاملة إلى اعتناق الإسلام والالتحاق بركب النبوة بالسمع والطاعة؛ ونظرا لكثرة وفود القبائل العربية التي قدمت إلى المدينة من أنحاء الجزيرة العربية بعد عودة النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك لتعلن إسلامها هي ومن وراءها، فقد سمي العام التاسع للهجرة في المصادر الإسلامية بعام الوفود⁽¹⁾.

وبهذه الغزوة المباركة ينتهي الحديث عن غزوات النبي صلى الله عليه وسلم التي قادها بنفسه، فقد كانت حياته المباركة غنية بالدروس والعبر التي تتربى عليها أمتة في أجيالها المقبلة⁽²⁾، وملينة بالدروس والعبر في تربية الأمة وإقامة الدولة التي تحكم بشرع الله.

* * *

(1) انظر: نضرة النعيم (395/1، 396).

(2) انظر: محمد رسول الله، صادق عرجون، (460/4).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

المبحث السادس

أهم الأحداث ما بين غزوة تبوك وحجة الوداع

أولاً: وفد ثقيف وإسلامهم:

لما انصرف الرسول صلى الله عليه وسلم عن الطائف اتبع أثره عروة بن مسعود الثقفي حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة فأسلم، ورجع إلى قومه فدعاهم إلى الإسلام، فرموه بالنبل، فأصابه سهم فقتله، ثم إنهم رأوا أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب الذين أسلموا، فأجمعوا على أن يرسلوا رجالاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقدم عليه ستة منهم في رمضان بعد رجوعه من تبوك سنة تسع (1).

وكان الوفد يتكون من ستة من كبار بني مالك والأحلاف، ثلاثة لكل منهما وعلى رأسهم جميعاً عبد ياليل بن عمرو (2)، وتكوين هذا الوفد على هذا النحو يدل على فكر سياسي عميق؛ ذلك لأن ثقيف تأمل في أن يتدخل المهاجرون من بني أمية للتوسط في إقرار الصلح مع الرسول بسبب علاقة بني أمية التاريخية بالأحلاف (3).

كان الصحابة يعرفون اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بإسلام ثقيف؛ ولذلك ما إن ظهر وفد ثقيف قرب المدينة، حتى تنافس كل من أبي بكر والمغيرة على أن يكون هو البشير بقدوم الوفد للرسول، وتنازل المغيرة لأبي بكر (4).

واستقبل الرسول الوفد راضياً وبنى لهم خياماً لكي يسمعون القرآن ويروا الناس إذا صلوا، وكانت ضيافتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانوا يفدون عليه كل يوم، ويخلفون عثمان بن أبي العاص على رحالهم، فكان عثمان كلما رجعوا وقالوا بالهجرة، عمد إلى رسول الله

(1) انظر: رسالة الأنبياء، عمر أحمد عمر، ص199.

(2) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (193/4).

(3) انظر: رجال الإدارة في الدولة الإسلامية، د. حسين محمد، ص76.

(4) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (193/4).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

صلى الله عليه وسلم فسأله عن الدين واستقرأه القرآن، حتى فقهه في الدين وعلم، وكان إذا وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم نائما عمد إلى أبي بكر، وكان يكتُم ذلك من أصحابه، فأعجب ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعجب منه وأحبه⁽¹⁾.

فمكث الوفد أياما يختلفون إلى النبي صلى الله عليه وسلم والنبي يدعوهم إلى الإسلام، فقال له عبد ياليل: هل أنت مقاضينا حتى نرجع إلى أهلنا وقومنا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعم إن أنتم أقررتم بالإسلام قاضيتكم، وإلا فلا قضية ولا صلح بيني وبينكم».

قال عبد ياليل: أرأيت الزنى؟ فإنا قوم عزاب بغرب⁽²⁾ لا بد لنا منه، ولا يصبر أحدنا على العزبة، قال: «هو مما حرم الله على المسلمين، يقول الله تعالى (وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا) [الإسراء: 32]».

قال: أرأيت الربا؟ قال: «الربا حرام» قال: فإن أموالنا كلها ربا، قال: «لكم رءوس أموالكم، يقول تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) [البقرة: 278]».

قال أفأرأيت الخمر؟ فإنها عصير أعنابنا، لا بد لنا منها.

قال: «فإن الله قد حرمها» ثم تلا رسول الله هذه الآية: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [المائدة: 90].

فارتفع القوم وخلا بعضهم ببعض، فقال عبد ياليل: ويحكم! نرجع إلى قومنا بتحريم هذه الخصال الثلاث! والله والله لا تصبر ثقيف عن الخمر أبدا، ولا عن الزنا أبدا.

قال سفيان بن عبد الله: أيها الرجل، إن يرد الله بها خيرا تصبر عنها، قد كان هؤلاء الذين معه على مثل هذا، فصبروا وتركوا ما كانوا عليه، مع أنا نخاف هذا الرجل، قد أوطأ الأرض غلبة

(1) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي، المغازي، ص 670.

(2) أي: نذهب إلى بلاد بعيدة.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

ونحن في حصن في ناحية من الأرض، والإسلام حولنا فاش، والله لو قام على حصننا شهرا لمتنا جوعا، وما أرى إلا الإسلام وأنا أخاف يوما مثل يوم مكة.

وكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كتبوا الكتاب، كان خالد هو الذي كتبه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل إليهم الطعام فلا يأكلون منه شيئا حتى يأكل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسلموا.

قالوا: أرأيت الربة، ما ترى فيها؟ قال: «هدمها».

قالوا: هيهات لو تعلم الربة أنا أوضعنا هدمها⁽¹⁾ قتلت أهلنا، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ويحك يا عبد ياليل، إن الربة حجر لا يدري من عبده ممن لا يعبد، قال عبد ياليل: إنا لم نأتك يا عمر، فأسلموا وكمل الصلح، وكتب ذلك الكتاب خالد بن سعيد، فلما كمل الصلح كلموا النبي صلى الله عليه وسلم يدع الربة ثلاث سنين لا يهدمها، فأبى، قالوا: سنتين، فأبى، قالوا: سنة، فأبى، قالوا: شهرا واحدا، فأبى أن يوقت لهم وقتا وإنما يريدون بترك الربة لما يخافون من سفهائهم والنساء والصبيان، وكرهوا أن يروعا قومهم بهدمها، فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يعفيهم من هدمها⁽²⁾ فوافق رسول الله صلى الله عليه وسلم على طلبهم ذلك، وسألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يعفيهم من الصلاة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا خير في دين لا صلاة فيه»⁽³⁾.

لقد طلب وفد ثقيف أن يعفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعض الفرائض وأن يحل لهم بعض المحرمات إلا أنهم فشلوا في طلباتهم وخضعوا للأمر الواقع⁽⁴⁾.

وقد أكرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وفادتهم وأحسن ضيافتهم في قدومهم وإقامتهم

(2) انظر: المغازي للواقدي (968/3).

(3) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (50/8)، المغازي للواقدي (968/3).

(4) انظر: المجتمع المدني في عهد النبوة، ص 221-223.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وعند سفرهم، وأمر **صلى الله عليه وسلم** عثمان بن أبي العاص على الطائف، فقد كان أحرصهم على تعلم القرآن والتفقه في الدين، وكان أصغرهم سنًا⁽¹⁾، ولقد تأثر الوفد من معاملة النبي **صلى الله عليه وسلم** ومن اختلاطهم بالمسلمين حتى إنهم صاموا ما بقي عليهم من شهر ومكثوا في المدينة خمسة عشر يوما ثم رجعوا إلى الطائف⁽²⁾ وبعد رجوعهم جهز رسول الله **صلى الله عليه وسلم** سرية بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه ومشاركة المغيرة بن شعبه⁽³⁾ رضي الله عنه وأبي سفيان بن حرب رضي الله عنه⁽⁴⁾ وبعثهم في أثر الوفد⁽⁵⁾.

وبينما نجحت مساعي الوفد في إقناع ثقيف بالدخول في الإسلام وأخبروهم بمصير اللات، وإذا بالسرية قد وصلت إلى الطائف ودخل المغيرة بن شعبه في بضعة عشر رجلا يهدمون الربة⁽⁶⁾ وكان ذلك تحت حراسة مشددة من قومه بني معتب الذين قاموا دونه خشية أن يرمى أو يصاب كما أصيب عروة بن مسعود⁽⁷⁾، وخرجت ثقيف عن بكرة أبيها رجالها ونساؤها وصبيانها حتى الأبنكار من خدورهن، وكانوا -لقرب عهدهم بالشرك- لا ترى عامة ثقيف أنها مهدومة ويظنون أنها ممتعة⁽⁸⁾.

وكان المغيرة رجلاً فيه دعابة وظرف فقال لأصحابه: والله لأضحكنكم من ثقيف، فضرب بالفأس ثم سقط يركض، فارتج أهل الطائف بصيحة واحدة وقالوا: أبعد الله المغيرة فقد قتلتها الربة، وفرحوا حين رأوه ساقطاً⁽⁹⁾ وقالوا مخاطبين أفراد السرية: من شاء منكم فليقترب وليجتهد على هدمها، فوالله لا تستطيع أبداً، فوثب المغيرة بن شعبه، وقال: قبحكم الله يا معشر

(1) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (519/2). (5) المصدر نفسه (519/2، 520).

(3، 7) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (195/4).

(5) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (304، 303/5). (9) المغازي (671/3).

(7) انظر: دلائل النبوة (304/5).

(8، 12) انظر: السرايا والبعوث، ص300.

ثقيف! إنما هي لكاع⁽¹⁾ حجارة ومدر، فاقبلوا عافية الله واعبدوه⁽²⁾.

أكمل المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ومن معه هدم الطاغية حتى سووها بالأرض، وكان سادنها واقفا على أحر من الجمر ينتظر نقمة الربة وغضبها على هؤلاء العصاة⁽³⁾، فما إن وصلوا إلى أساسها حتى صاح قائلاً: سترون إذا انتهى أساسها يغضب الأساس غضباً يخسف بهم⁽⁴⁾، فلما سمع المغيرة رضي الله عنه بذلك السخف قال لقائد السرية: دعني أحفر أساسها، فحفره حتى أخرجوا ترابها وانتزعوا حليتها، وأخذوا ثيابها، فبهتت ثقيف⁽⁵⁾ وأدركت الواقع الذي كانت تحجبه غشاوة على أعينهم⁽⁶⁾.

وأقبل الوفد حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بحليتها وكسوتها، فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه، وحمدوا الله على نصره نبيه وإعزازه دينه⁽⁷⁾.

وتم القضاء على ثاني أكبر طواغيت الشرك في الجزيرة العربية، وحل محلها بيت من بيوت الله عز وجل يوحد فيه الرب الذي لا إله إلا هو، وذلك بتوجيه كريم من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عثمان بن أبي العاص⁽⁸⁾ رضي الله عنه عامله على الطائف حيث أمره (بأن يجعل مسجد الطائف حيث كان طاغيتهم)⁽⁹⁾.

ثانياً: وفاة زعيم المنافقين (عبد الله بن أبي ابن سلول):

مرض عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين، في ليالٍ بقين من شوال، ومات في ذي

(1) لكاع عند العرب: العبد، ثم استعمل في الحمق والذم.

(2) انظر: دلائل النبوة (303/5).

(3) انظر: السرايا والبعوث، ص 300.

(4) انظر: المغازي (972/3).

(5) انظر: دلائل النبوة (303/5).

(6) انظر: السرايا والبعوث، ص 301.

(7) انظر: تاريخ ابن شيبه (507/2) نقلاً عن السرايا والبعوث، ص 301.

(8) انظر: السرايا والبعوث، ص 301.

(9) انظر: دلائل النبوة (303-299/5)، المغازي (972-970/3).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

قال أسامة بن زيد: دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن أبي في مرضه نعوذه، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «قد كنت أنكهك عن حب يهود»، فقال عبد الله: فقد أبغضهم سعد بن زرارة فمات (2).

ولما توفي عبد الله بن أبي جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه، فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه، فقام عمر، فأخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، تصلي عليه وقد نهك ربك أن تصلي عليه؟! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما خيرني الله فقال: (اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) [التوبة: 80]. وسأزيده على سبعين» قال: إنه منافق، قال: فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله عز وجل آية: (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ) [التوبة: 84] (3).

وإنما صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم إجراء له على حكم الظاهر وهو الإسلام، ولما فيه من إكرام ولده عبد الله -وكان من خيار الصحابة وفضلائهم- وهو الذي عرض على النبي أن يقتل أباه لما قال مقالته يوم غزوة بني المصطلق كما بيئنا، ولما فيه من مصلحة شرعية، وهي تأليف قلوب قومه وتابعيه، فقد كان يدين له بالولاء فنة كبيرة من المنافقين، فعسى أن يتأثروا ويرجعوا عن نفاقهم ويعتبروا ويخلصوا لله ولرسوله، ولو لم يجب ابنه وترك الصلاة عليه قبل ورود النهي الصريح لكان سبة وعارا على ابنه وقومه، فالرسول الكريم اتبع أحسن

(1) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي، المغازي، ص 659.

(2) أبو داود، كتاب الجنائز، باب في العيادة رقم 3094.

(3) البخاري، كتاب تفسير القرآن رقم 4670.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

الأميرين في السياسة إلى أن نهى فانتهى⁽¹⁾.

وأما إعطاؤه صلى الله عليه وسلم القميص فلأن الغنى به بخل بالكرم، وقد كان من خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لا يرد طالب حاجة قط، على أنه كان مكافأة له على إعطائه العباس عم الرسول قميصه لما جيء به أسيراً يوم بدر، وكان من خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وآل بيته رد الجميل بخير منه⁽²⁾.

وبموت عبد الله بن سلول تراجعت حركة النفاق في المدينة، حتى إننا لم نجد لهم حضوراً بارزاً في العام العاشر للهجرة، ولم يبق إلا العدد غير المعروف إلا لصاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة بن اليمان⁽³⁾، وكان عمر -فيما بعد- لا يصلي على جنازة من جهل حاله حتى يصلي عليه حذيفة بن اليمان؛ لأنه كان يعلم أعيان المنافقين، وقد أخبره رسول الله بهم⁽⁴⁾.

كان العام التاسع حاسماً لحركة النفاق في المجتمع الإسلامي، فقد وصل النظام الإسلامي إلى قوته؛ ومن ثم لا بد من تحديد إطار التعامل مع كل القوى بوضوح⁽⁵⁾، ولهذا عبر الإمام ابن القيم عن خطة الإسلام أمام المنافقين، فإنه أمر أن يقبل منهم علانيتهم، ويكل سرايرهم إلى الله، وأن يجاهدكم بالعلم والحجة، وأمر أن يعرض عنهم، ويغلظ عليهم، وأن يبلغ بالقول البليغ إلى نفوسهم، ونهى أن يصلى عليهم وأن يقوم على قبورهم، وأخبر أنه إن استغفر لهم فلن يغفر الله لهم⁽⁶⁾.

وجاءت هذه الخطة وفق النصوص القرآنية التي احتوتها سورة التوبة (براءة)، (الفاضة) حيث يستغرق الحديث عن المنافقين أكثر من نصف السورة فيفصح نواياهم وأعمالهم ووصف أحوالهم النفسية والقلبية، وموقفهم في غزوة تبوك وقبلها وفي أثنائها وما تلاها، وكشف حقيقة

(1) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبه (533/2، 534).

(2) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 621، 622، السيرة لأبي شهبه (28534).

(3) انظر: دراسات في عهد النبوة، للشجاع، ص 221.

(4) انظر: معين السيرة النبوية، ص 464.

(6) انظر: دراسات في عهد النبوة، ص 219.

(6) زاد المعاد (91/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

حيلهم ومعاذيرهم في التخلف عن الجهاد، وبث الضعف والفتنة والفرقة في الصفوف، وإيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقول والعمل⁽¹⁾.

ومن أهم الأحكام التي برزت في هذه المرحلة ضد المنافقين:

1- عدم الصلاة على من مات منهم، ودمغهم بالكفر:

(وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ □ وَلَا تُعْجِبُكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ) [التوبة: 84، 85].

2- تهديم مسجدهم الذي بنوه للإضرار بالمسلمين، وهو مسجد الضرار وقد تحدثت عنه فيما مضى بنوع من التفصيل.

3- إصدار الأمر بمجاهدة المنافقين كمجاهدة الكافرين:

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَاوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبَنَسَ الْمَصِيرُ) [التحريم: 9]، وسواء أكان الجهاد بالقتال أم في المعاملة والمواجهة والكشف والفضح فإن طريقة التعامل مع المنافقين بعد سورة براءة، غير المعاملة قبلها.

4- الكشف عن صفاتهم وأعمالهم بوضوح: كما جاء في سورة التوبة أيضا؛ فهم الذين قالوا تشبيطا للمسلمين: (فَرَحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ) [التوبة: 81] وهم الذين يلمزون المطوعين في الصدقات ويؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم في القول والفعل⁽²⁾... إلخ. هذه معالم المنهج النبوي في التعامل مع حركة النفاق في المجتمع الإسلامي في العام التاسع الهجري.

(1) انظر: المنافقون، محمد جميل غازي، ص92، 93.

(2) انظر: دراسات في عهد النبوة، الشجاع، ص220.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

ثالثاً: تخيير النبي صلى الله عليه وسلم لزوجاته (دروس في بيوتات الرسول صلى الله

عليه وسلم):

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأَسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا □ وَإِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْأَخْرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا) [الأحزاب: 28-29].

وقد دلت الأحاديث الصحيحة على أن نزول هاتين الآيتين كان بعد اعتزال النبي صلى الله عليه وسلم لنسائه بعد أن أقسم ألا يدخل عليهن شهراً، فاعتزلهن في مشربة له، وهي القصة المعروفة بقصة إيلانه⁽¹⁾ من نسائه، وكان تاريخ نزول هذه الآيات في العام التاسع للهجرة⁽²⁾.

وأما سبب نزولها فهو طلب زوجاته صلى الله عليه وسلم التوسعة عليهن في النفقة، فقد أخرج مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجد الناس جلوساً ببابه لم يؤذن لأحد منهم، قال: فأذن لأبي بكر فدخل، ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له، فوجد النبي صلى الله عليه وسلم جالسا حوله نساؤه واجماً⁽³⁾ ساكتاً، قال: فقال: لأقولن شيئا أضحك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، لو رأيت بنت خارجة⁽⁴⁾ سألتني النفقة فقلت إليها فوجأت عنقها⁽⁵⁾، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: «هن حولي كما ترى يسألنني النفقة»، فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها، وقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها، كلاهما يقول: أتسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده؟! فقلن: والله لا نسأل رسول الله شيئا أبداً ليس عنده، ثم اعتزلهن شهراً أو تسعاً وعشرين، ثم نزلت عليه هذه الآية⁽⁶⁾.

(1) الإيلاء: الحلف، قضايا نساء النبي والمؤمنات، ص51.

(2) المصدر نفسه، ص68.

(3) واجماً: هو الذي اشتد حزنه حتى أمسك عن الكلام.

(4) بنت زيد امرأة عمر جميلة بنت ثابت نسبها عمر إلى أحد أجدادها.

(5) فوجأت عنقها: بمعنى طعنت عنقها.

(6) مسلم في الطلاق (1104/2).

(7) انظر: معين السيرة، ص465.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

كانت الحياة المعيشية في بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم تجري على وتيرة واحدة بالرغم من إمكانية التوسع في بعض الأحيان، ونساء الرسول صلى الله عليه وسلم هن من البشر، يرغبن بما يرغب به الناس، ويشتهين ما يشتهيه الناس⁽¹⁾، فقد كان مساكنهن متواضعة بسيطة غاية البساطة، فقد وصفها الدكتور أبو شهبه فقال: إن الرسول صلى الله عليه وسلم بنى حُجراً حول مسجده الشريف لتكون مساكن له ولأهله، ولم تكن الحجر كبيوت الملوك والأكاسرة والقيصرة، بل كانت بيوت من ترفع عن الدنيا وزخرفها، وابتغى الدار الآخرة، فقد كانت - كمسجده- مبنية من اللبن والطين وبعض الحجارة، وسقوفها من جذوع النخل والجريد قريبة الفناء، قصيرة البناء، ينالها الغلام الفارع بيده، قال الحسن البصري -وكان غلاماً مع أمه خيرة مولاة أم سلمة-: قد كنت أنال أطول سقف في حُجْر النبي صلى الله عليه وسلم بيدي. وكان لكل حجرة بابان، خارجي وداخلي من المسجد ليسهل دخول النبي صلى الله عليه وسلم إليه⁽²⁾.

وأما الإضاءة، فلم يكن هناك مصباح يستضاء به، يدل على ذلك ما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أنام بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلاي في قبلته، فإذا سجد غمزني فقبضت رجلي، فإذا قام بسطتهما، قالت: والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح⁽³⁾.

أما الفراش الذي يأوي إليه النبي -عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم- فهو عبارة عن رمال حصير، ليس بينه وبينه فراش، قد أثر الرمال بجنبه، ووسادته من أدم حشوها ليف⁽⁴⁾، فقد كانت معيشته صلى الله عليه وسلم تدل على الشدة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ما أعلم النبي صلى الله عليه وسلم رأى رغيفاً مرققاً⁽⁵⁾ حتى لحق بالله، ولا رأى شاة سميطاً⁽⁶⁾ بعينه

(2) انظر: السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، (35/2، 36).

(3) البخاري، كتاب الصلاة رقم 513. (3) البخاري، كتاب المظالم والغصب، رقم 2468.

(5) مرققاً: رقيقاً ضد الغليظ. (5) سميط: الذي أزيل شعره بالماء المسخن وشوي.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

قط⁽¹⁾، وعن عائشة قالت: إن كنا ننظر إلى الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقدت في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار، فقال لها عروة بن الزبير: ما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء⁽²⁾. هذا، وقد فتح الله على المسلمين بعد خيبر وفتح مكة، وغزوة تبوك، وقد قرأت زوجات النبي صلى الله عليه وسلم آيات في كتاب الله تبيح التمتع بنعم الله دون إسراف، فرغب أن ينالهن حظ من ذلك، كما في قوله تعالى: (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) [الأعراف: 31].

وحض على أكل الطيبات من الرزق، قال سبحانه: (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ تَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) [الأعراف: 32].

ودعا إلى التوسط في الإنفاق والاعتدال فيه فقال تعالى: (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا) [الإسراء: 29]. إلا أن هناك جانباً آخر يتعلق به صلى الله عليه وسلم ونمط من المعيشة اختاره بتوجيه من ربه عز وجل، فلم يلتفت لشيء من هذا كما أدبه ربه - سبحانه وتعالى - بقوله: (لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ) [الحجر: 88]، وقوله سبحانه: (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى) [طه: 131]. ولذلك جاءت آيات التخيير فوقف زوجاته صلى الله عليه وسلم من قضية التخيير موقفاً حاسماً لا تردد فيه، فإنهن اخترن الله ورسوله والدار الآخرة، فقد كن يطلبن منه صلى الله عليه وسلم التوسعة في النفقة، وكن يدافعن عن ذلك ما استطعن، فلما وصل الأمر إلى وضعهن أمام خيارين: الحياة الدنيا وزينتها، أو الله ورسوله والدار الآخرة، لم يترددن لحظة واحدة في سلوك الخيار الثاني، بل قلن

(1) البخاري في الرقائق، رقم 6457.

(7) البخاري في الرقائق رقم 6459.

جميعهن بصوت واحد: نريد الله ورسوله والدار الآخرة⁽¹⁾.

فمن عائشة رضي الله عنها قالت: لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخيير أزواجه بدأ بي فقال: «إني أذكر لك أمراً فلا عليك أن تعجلي حتى تستأمرني أبويك»، قالت: وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه، قالت: ثم قال: «إن الله -جل ثناؤه- قال: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأَسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا □ وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا) » [الأحزاب: 28-29]، قالت: فقلت: ففي أي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، قالت: ثم فعل أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما فعلت⁽²⁾.

وهكذا تتجلى في موقفهن -رضي الله عنهن- صورة ناصعة لقوة الإيمان، واختبار حقيقي للإخلاص والصدق مع الله تعالى، فإن الله تعالى في الآية الأولى من آيتي التخيير يقول: [إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ] كالوعد بحصولهن على مبتغاهن في الحياة الدنيا وزينتها إن اخترن ذلك، ولكنهن رفضن هذا، واخترن الله ورسوله والدار الآخرة، وفي قوله تعالى في الآية الثانية: (وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا) إشارة إلى أن ما ينلن من الأجر سببه كونهن محسنات، ومن ذلك اختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة، إذ لا يكفي لحصولهن على هذا الأجر كونهن زوجات للرسول صلى الله عليه وسلم⁽³⁾.

وتنكير الأجر، ثم وصفه بأنه عظيم، فيه ترغيب لهن بالكف عن التطلع إلى الحياة الدنيا وزينتها، فهذا الأجر لا يقدر قدره إلا الله، وهو شامل لخيري الدنيا والآخرة⁽⁴⁾.

ولقد اعتبر الخلفاء الراشدون قصة التخيير تلك معلماً من معالم الإسلام، ومنهجاً نبوياً كريماً

(1) انظر: قضايا نساء النبي p والمؤمنات في سورة الأحزاب، ص77.

(2) البخاري، كتاب التفسير رقم 4786.

(3) انظر: قضايا نساء النبي والمؤمنات في سورة الأحزاب، ص79.

(4) انظر: تفسير السعدي (148/4).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

ينبغي أن يسلكه بيت القيادة في الأمة، وإن النظرة الفاحصة في التاريخ لتبين أن هذا الجانب يعد معياراً دقيقاً به يعرف القرب من الاستقامة أو البعد عنها، وقد فهم قادة الأمة المؤمنون حينما وجدوا على امتداد تاريخ الإسلام، أهمية هذا الجانب فرعوه حق رعايته، وإن الأمثلة العملية من تاريخ الخلافة الراشدة هي من الوفرة والكثرة بمكان بحيث لا تتعب الباحث في التفتيش عنها⁽¹⁾.

إن قيادة الأمة تكليف ومغرم وليس مغنماً، ولا بد للذين يتولونها أن يحسبوا أهمية التعالي على حطام الدنيا، والشوق إلى الله والدار الآخرة⁽²⁾.

رابعاً: حج أبي بكر رضي الله عنه بالناس:

كانت تربية المجتمع وبناء الدولة في عصر النبي صلى الله عليه وسلم مستمرة على كل الأصعدة والمجالات العقائدية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية والتعبدية، وكانت فريضة الحج لم تمارس في السنوات الماضية، فحجة عام 8 هـ بعد الفتح كُلف بها عتاب بن أسيد، ولم تكن قد تميزت حجة المسلمين عن حجة المشركين⁽³⁾، فلما حل موسم الحج أراد صلى الله عليه وسلم الحج، ولكنه قال: «إنه يحضر البيت عراة مشركون يطوفون بالبيت، فلا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك» فأرسل صلى الله عليه وسلم الصديق أميراً على الحج سنة تسع، فخرج أبو بكر ومعه عدد كبير من الصحابة⁽⁴⁾، وساقوا معهم الهدى⁽⁵⁾ فلما خرج الصديق بركب الحبيب نزلت سورة براءة، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم علياً رضي الله عنه وأمره أن يلحق بأبي بكر الصديق، فخرج على ناقه رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء، حتى أدرك الصديق أبا بكر بذي الحليفة، فلما رآه الصديق قال له: أمير أم مأمور؟ فقال: بل مأمور، ثم سارا، فأقام أبو بكر للناس الحج على منازلهم التي كانوا عليها في الجاهلية، وكان الحج في هذا العام في ذي الحجة

(4) انظر: البداية والنهاية (136/7).

(2) انظر: معين السيرة، ص 475.

(3) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبه (536/2)، دراسات في عهد النبوة، ص 222.

(4) انظر: نضرة النعيم (398/1)، الطبقات الكبرى (168/2).

(5) انظر: فتح الباري (82/8). (6) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 625.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

كما دلت على ذلك الروايات الصحيحة لا في شهر ذي القعدة كما قيل، وقد خطب الصديق قبل التروية ويوم عرفة ويوم النحر، ويوم النفر الأول، فكان يعرف الناس مناسكهم في وقوفهم وإفاضتهم ونحرهم، ونفرهم، ورميهم للجمرات... إلخ، وعلي يخلفه في كل موقف من هذه المواقف، فيقرأ على الناس صدر سورة براءة ثم ينادي في الناس بهذه الأمور الأربعة: لا يدخل الجنة إلا مؤمن، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فعهد إلى مدته، ولا يحج بعد العام مشرك⁽¹⁾. وقد أمر الصديق أبا هريرة في رهط آخر من الصحابة لمساعدة علي بن أبي طالب في إنجاز مهمته⁽²⁾.

إن نزول صدر سورة براءة يمثل مفاصلة نهائية مع الوثنية وأتباعها، حيث منعت حجهم وأعلنت الحرب عليهم⁽³⁾.

قال تعالى: (بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ. فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ □ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) [التوبة: 1-3].

وقد أمهل المعاهدون لأجل معلوم منهم إلى انتهاء مدتهم، فقال تعالى: (إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهَرُوا عَلَيْكُمْ أَوْ فَاتَمَّوا إِلَيْهِمْ عَهْدُهُمْ إِلَىٰ مَدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) [التوبة: 4].

كما أمهل من لا عهد له من المشركين إلى انسلاخ الأشهر الحرم، حيث يصبحون بعدها في حالة حرب مع المسلمين، قال تعالى: (فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ

(7) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبه (537/2).

(3) انظر: نضرة النعيم (399/1).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (التوبة: 5).

وقد كلف النبي صلى الله عليه وسلم علياً بإعلان نقض العهود على مسامح المشركين في موسم الحج، مراعاة لما تعارف عليه العرب فيما بينهم في عقد العهود ونقضها، ألا يتولى ذلك إلا سيد القبيلة أو رجل من رهطه، وهذا العرف ليس فيه منافاة للإسلام؛ فلذلك تدارك النبي صلى الله عليه وسلم الأمر وأرسل علياً بذلك، فهذا هو السبب في تكليف علي بتبليغ صدر صورة براءة، لا ما زعمته الرافضة من أن ذلك للإشارة إلى أن علياً أحق بالخلافة من أبي بكر، وقد علق على ذلك الدكتور محمد أبو شهبه فقال: ولا أدري كيف غفلوا عن قول الصديق له: أمير أم مأمور؟⁽¹⁾ وكيف يكون المأمور أحق بالخلافة من الأمير؟⁽²⁾.

وقد كانت هذه الحجة بمثابة التوطئة للحجة الكبرى وهي حجة الوداع⁽³⁾. لقد أعلن في حجة أبي بكر أن عهد الأصنام قد انقضى، وأن مرحلة جديدة قد بدأت، وما على الناس إلا أن يستجيبوا لشرع الله تعالى، فبعد هذا الإعلان الذي انتشر بين قبائل العرب في الجزيرة، أيقنت تلك القبائل أن الأمر جد، وأن عهد الوثنية قد انقضى فعلاً، فأخذت ترسل وفودها معلنة إسلامها ودخولها في التوحيد⁽⁴⁾.

خامساً: عام الوفود (9هـ):

لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة، وفرغ من تبوك، وأسلمت ثقيف وبايعت، وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمد أربعة أشهر لقبائل العرب المشركين لكي يقرروا مصيرهم بأنفسهم قبل أن تتخذ الدولة الإسلامية منهم موقفاً معيناً، ضربت إليه وفود العرب آباط الإبل من كل وجه معلنة إيمانها وولاءها⁽⁵⁾، وقد اختلف العلماء في تاريخ مقدم الوفود على رسول

(1) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 624.

(2) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبه، (540/2).

(3) المصدر نفسه (540/2).

(4) انظر: قراءة سياسية للسيرة النبوية، ص 283.

(5) انظر: قراءة سياسية للسيرة النبوية، ص 284.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

الله صلى الله عليه وسلم وفي عددها، حيث أشارت المصادر الحديثة والتاريخية إلى قدوم بعض الوفود إلى المدينة في تاريخ مبكر عن السنة التاسعة؛ ولعل مما أدى إلى الاختلاف في تحديد عدد الوفود بين ما يزيد على ستين وفداً عند البعض، وليرتفع فيبلغ أكثر من مائة وفد عند آخرين، ولعل البعض قد اقتصر على ذكر المشهور منهم⁽¹⁾ فقد أورد محمد بن إسحاق أنه: لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة المكرمة، وفرغ من تبوك وأسلمت ثقيف وبايعت، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه⁽²⁾.

وقد استقصى ابن سعد في جمع المعلومات عن الوفود، كما فصل كثيراً وقدم ترجمات وافية عن رجال الوفود، ومن كانت له صحبة منهم، وما ورد عن طريقهم من آثار، ولا تخلو أسانيد ابن سعد -أحياناً- من المطاعن، كما أن فيها أسانيد من الثقات أيضاً⁽³⁾ ولا شك في أن الأخبار التي أوردها المؤرخون ليست ثابتة بالنقل الصحيح المعتمد وفق أساليب المحدثين، رغم أن عدداً كبيراً من المرويات عن تلك الوفود ثابتة وصحيحة⁽⁴⁾ فقد أورد البخاري معلومات عن وفد قبيلة تميم وقدمه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ووفود أخرى مثل: عبد القيس، وبني حنيفة، ووفد نجران، ووفد الأشعريين، وأهل اليمن، ووفد دوس⁽⁵⁾ وتعززت أخبار هذه الوفود بمعلومات إضافية وردت في مصادر تاريخية إلى جانب ما ورد عنها في كتب السير والمغازي⁽⁶⁾ وقد أورد مسلم أخباراً عن أغلب الوفود المذكورة آنفاً⁽⁷⁾ كما أوردت بقية الكتب الستة معلومات أوسع شملت عدداً كبيراً من الوفود⁽⁸⁾.

إن قصص الوفود وأخبارها وكيفية تعامل رسول الله صلى الله عليه وسلم معها من الأهمية

(1) انظر: نضرة النعيم (396/1).

(3) انظر: البداية والنهاية (46/5، 47). (4) انظر: نضرة النعيم (397/1).

(5) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (542/2).

(6) البخاري، كتاب المغازي، رقم 4365، 4372، 4392.

(7) انظر: البداية والنهاية (98-40/5) مثلاً.

(8) انظر: نضرة النعيم (398/1).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

بالمكان الكبير⁽¹⁾ وتبقى مسألة الحاجة الماسة إلى نقد تاريخي لمتون الأخبار المفصلة التي وصلتنا عن الوفود⁽²⁾. لقد تركت لنا تلك الأخبار والقصص منهجاً نبوياً كريماً في تعامله **صلى الله عليه وسلم** مع الوفود يمكننا الاستفادة من هديه **صلى الله عليه وسلم** في تعامله مع النفسية البشرية وتربيته ودقته وتنظيمه، ففيها ثروة هائلة من الفقه الذي يدخل في دوائر التعليم والتربية والتثقيف وبعد النظر وجمع القلوب على الغاية، وربط أفراد بأعينهم بالمركز بحيث تبقى في كل الظروف والأحوال مرتكزات قوية إلى الإسلام، إلى غير ذلك من مظاهر العظمة للعاملين في كل الحقول نفسياً واجتماعياً واقتصادياً وإدارياً وسياسياً وعسكرياً تعطي لكل عامل في جانب من هذه الجوانب دروساً تكفيه وتغنيه⁽³⁾ هذا وقد تميز العام التاسع بتوافد العرب إلى المدينة، وقد استعدت الدولة الإسلامية لاستقبالهم وتهئية المناخ التربوي لهم، وقد تمثل هذا الاستقبال، بتهيئة مكان إقامة لهم وكانت هناك دار للضيافة⁽⁴⁾ ينزل فيها الوافدون، وهناك مسجد رسول الله **صلى الله عليه وسلم** الذي كان ساحة للاستقبال، ثم كان هناك تطوع أو تكليف رسول الله **صلى الله عليه وسلم** لأحد الصحابة باستضافة بعض القادمين⁽⁵⁾ واهتم **صلى الله عليه وسلم** بتلك الوفود وحرص على تعليمها وتربيتها، وقد كانت تلك الوفود حريصة على فهم الإسلام وتعلم شرائعه وأحكامه، وآدابه، ونظمه في الحياة، وتطبيق ما علموه تطبيقاً عملياً، جعلهم نماذج حياة لفضائله، وقد كان لكثير منهم تساؤلات عن أشياء كانت شائعة بينهم ابتغاء معرفة حلالها وحرامها، وكان النبي **صلى الله عليه وسلم** حريصاً أشد الحرص على تفقيهم في الدين، وبيان ما سألوه عنه، وكان **صلى الله عليه وسلم** يدني منهم من يعلم منه زيادة حرص على القرآن العظيم وحفظ آياته تفقهاً فيه ويقول لأصحابه: فقهوا إخوانكم⁽⁶⁾ وكان **صلى الله عليه وسلم** يسأل عن يعرف من شرفائهم،

(9) المصدر نفسه (398/1).

(2) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (544/2).

(3) انظر: الأساس في السنة (1014/2).

(4) انظر: المدينة النبوية في فجر الإسلام والعصر الراشدي، محمد شراب (400/2).

(5) انظر: دراسات في عهد النبوة للشجاع، ص 221.

(6) انظر: محمد رسول الله، صادق عرجون، (520/4).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

فإذا رغبوا في الرحيل إلى بلادهم أوصاهم بلزوم الحق، وحثهم على الاعتصام بالصبر، ثم يجزيهم بالجوائز الحسان، ويسوي بينهم، فإذا رجعوا إلى أقوامهم رجعوا هداة دعاء مشرقة قلوبهم بنور الإيمان، يعلمونهم مما علموا، ويحدثونهم بما سمعوا، ويذكرون لهم مكارم النبي وبره وبشره واستنارة وجهه سرورا بمقدمهم عليه، ويذكرون لهم ما شاهدوه من حال أصحابه في تأخيرهم وتحابيبهم، ومواساة بعضهم بعضاً ليثيروا في أنفسهم الشوق إلى لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقاء أصحابه، ويحببوا إليهم التآسي بهم في سلوكهم ومكارم أخلاقهم⁽¹⁾ واختارت بعض الوفود البقاء على نصرانياتها كوفود نصارى نجران ووافقت على دفع الجزية، ونحاول أن نتحدث عن بعض الوفود لما في ذلك من الفقه والدروس والعبر، كوفد عبد القيس، وبني سعد بن بكر ووفد نصارى نجران:

أ- وفد عبد القيس:

وقد تحدث ابن عباس رضي الله عنهما عن قدومهم فقال:

إن وفد عبد القيس أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من الوفد؟» أو «من القوم؟» قالوا: ربعة قال: «مرحبا بالقوم»⁽²⁾ -أو بالوفد- غير خزايا ولا ندامى⁽³⁾. قال: فقالوا: يا رسول الله، إنا نأتيك من شقة بعيدة⁽⁴⁾ وإن بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، وإنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في شهر حرام، فمرنا بأمر فصل⁽⁵⁾ نخبر به من وراءنا، ندخل به الجنة، قال: فأمرهم بأربع، ونهاهم عن أربع، قال: أمرهم بالإيمان بالله وحده، قال: «هل تدرون ما الإيمان بالله؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تؤدوا خمساً من المغنم» ونهاهم

(1) المصدر نفسه، (521/4).

(2) مرحبا بالقوم: صادفت رحبا وسعة.

(3) غير خزايا ولا ندامى: معناه لم يكن منكم تأخر عن الإسلام ولا عناد.

(4) شقة بعيدة: السفر البعيد، وقيل المسافة البعيدة.

(5) الأمر الفصل: البين الواضح الذي ينفصل به المراد.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

عن الدباء⁽¹⁾ والحنتم⁽²⁾ والمزفت⁽³⁾ وربما قال النقيير⁽⁴⁾ أو المقير، وقال: «أحفظوهن وأخبروا بهن من وراءكم»⁽⁵⁾ وفي رواية: أن الأشج بن عبد القيس تخلف في الركاب حتى أناخها، وجمع متاع القوم، ثم جاء يمشي حتى أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلها، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «إن فيك خلتين يحبهما الله ورسوله» فقال: جبل جبلت عليه أم تخلقا مني؟ قال: «بل جبل» قال: الحمد لله الذي جبلني على ما يحب الله ورسوله⁽⁶⁾.

وقد انشغل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمقدمهم وأخر صلاة السنة البعدية بعد الظهر وصلاتها بعد العصر⁽⁷⁾.

ب- وفد ضمامة بن ثعلبة عن قومه بني سعد بن بكر:

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: بينما نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد، ثم علقه، ثم قال لهم: أيكم محمد؟ والنبي صلى الله عليه وسلم متكئ بين ظهرائهم، فقلنا: هذا الرجل الأبيض المتكئ، فقال له الرجل: ابن عبد المطلب. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: قد أجبتك. فقال الرجل للنبي صلى الله عليه وسلم: إني أسألك فمشدد عليك في المسألة فلا تجد⁽⁸⁾ عليّ في نفسك، فقال: «سل عما بدا لك» فقال: أسألك بربك ورب من قبلك، الله أرسلك إلى الناس كلهم؟ فقال: «اللهم نعم». قال: أنشدك بالله، الله أمرك أن تصلي الصلوات الخمس في اليوم واللييلة؟ قال: «اللهم نعم». قال: أنشدك بالله، الله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة؟ قال: «اللهم نعم» قال: أنشدك بالله، الله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها في فقرائنا؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهم نعم». فقال

(1) الدباء: القرع اليابس، أي الوعاء فيه.

(2) الحنتم: أصح الأقوال فيها: الجرار الخضر وهي جرار كان يحمل فيها الخمر.

(3) المزفت: الأوعية التي فيها الزفت.

(4) النقيير: جذع ينقر وسطه ثم ينبذ فيها الرطب والبسر.

(5) البخاري، كتاب الإيمان رقم 53.

(6) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 631.

(7) المصدر نفسه، ص 635.

(8) تجد: تحقد وتحمل البغضاء

الرجل: أمنت بما جئت به، وأنا رسول من وراني من قومي، وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر⁽¹⁾.

وفي رواية ابن عباس... حتى إذا فرغ قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسأؤدي هذه الفرائض وأجتنب ما نهيتني عنه ثم لا أزيد ولا أنقص.

قال: ثم انصرف راجعا إلى بعيده، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ولى: «إن يصدق ذو العقيصتين⁽²⁾ يدخل الجنة» قال: فأتى إلى بعيده، فأطلق عقاله ثم خرج حتى قدم على قومه فاجتمعوا إليه، فكان أول ما تكلم به أن قال: بنست اللات والعزى، قالوا: صه يا ضمام اتق البرص والجذام، اتق الجنون، قال: ويلكم! إنهما -والله- لا يضران ولا ينفعان، إن الله عز وجل قد بعث رسولا، وأنزل عليه كتابا استنفذكم به مما كنتم فيه، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، إني قد جئكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه، قال: فوالله ما أمسى من ذلك اليوم وفي حضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً، قال: يقول ابن عباس رضي الله عنهما: فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة⁽³⁾.

وتدل قصة إسلامه على مدى انتشار تعاليم الإسلام في وسط القبائل العربية، حتى جاء ضمام لا ليسأل عنها، ولكن جاء ليستوثق منها، معددا لها الواحدة تلو الأخرى، مما يدل على استيعابه لها قبل مجيئه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم⁽⁴⁾.

ج- وفد نصارى نجران:

(1) البخاري، كتاب العلم، رقم 63.

(3) لأنه فرق شعره فرقتين.

(3) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص630، مسند أحمد (264/1).

(4) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص650

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نجران⁽¹⁾ كتابا قال فيه: أما بعد، فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم آذنتكم بحرب، والسلام⁽²⁾.

فلما أتى الأسقف الكتاب، جمع الناس وقرأه عليهم، وسألهم عن الرأي فيه، فقرروا أن يرسلوا إليه وفدًا يتكون من أربعة عشر من أشرفهم، وقيل ستين راكبًا، منهم ثلاثة نفر يؤول إليهم أمرهم: العاقب، وهو أميرهم وصاحب مشورتهم والذي يصدر عن رأيه، والسيد وهو صاحب رحلتهم، وأبو الحارث أسقفهم وحبرهم وصاحب مدارسهم. فقدموا على النبي صلى الله عليه وسلم فدخلوا المسجد عليهم ثياب الحبرة، وأردية مكفوفة بالحريز، وفي أيديهم خواتيم الذهب، فقاموا يصلون في المسجد نحو المشرق، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دعوهم».

ثم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأعرض عنهم، ولم يكلمهم، فقال لهم عثمان: من أجل زيكم هذا، فاتصرفوا يومهم هذا، ثم غدوا عليه بزي الرهبان فسلموا عليه، فرد عليهم ودعاهم إلى الإسلام، فأبوا وقالوا: كنا مسلمين قبلكم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يمنعكم من الإسلام ثلاث: عبادتكم الصليب، وأكلكم لحم الخنزير، وزعمكم أن الله ولدًا»⁽³⁾ وكثر الجدل والحجاج بينه وبينهم، والنبي يتلو عليهم القرآن ويقرع باطلهم بالحجة، وكان مما قالوه لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ما لك تشتم صاحبنا وتقول إنه عبد الله، فقال: «أجل إنه عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول»، فغضبوا وقالوا: هل رأيت إنسانا قط من غير أب؟ فإن كنت صادقًا فأرنا مثله؟ فأنزل الله في الرد عليهم قوله سبحانه: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ □ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) [آل

(1) نجران بلد كبير على سبع مراحل من مكة إلى جهة اليمن. .

(2) انظر: البداية والنهاية (48/5).

(3) انظر: السيرة النبوية لأبي شعبة (547/2)

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

فكانت حجة دامغة شبه فيها الغريب بما هو أغرب منه⁽¹⁾، فلما لم تُجد معهم المجادلة بالحكمة والموعظة الحسنة دعاهم إلى المباهلة⁽²⁾ امتثالاً لقوله تعالى: (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) [آل عمران: 61].

وخرج النبي صلى الله عليه وسلم ومعه علي، والحسن والحسين، وفاطمة وقال: «وإذا أنا دعوت فأمنوا»⁽³⁾ فانتتمروا فيما بينهم فخافوا الهلاك لعلمهم أنه نبي حقاً، وأنه ما باهل قوم نبياً إلا هلكوا، فأبوا أن يلاعنوه وقالوا: احكم علينا بما أحببت، فصالحهم على ألفي حلة، ألف في رجب، وألف في صفر⁽⁴⁾ ولما عزموا على الرجوع إلى بلادهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: ابعث معنا رجلاً أميناً ليقبض منهم مال الصلح، فقال لهم: «لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين» فاستشرف له أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «قم يا أبا عبيدة بن الجراح»، فلما قام قال: «هذا أمين هذه الأمة»⁽⁵⁾.

سادساً: بعوث رسول الله لتعليم مبادئ الإسلام وترتيب أمور الإدارة والمال:

كانت الوفود تسعى إلى المدينة لتعلن إسلامها وتنضوي تحت سيادة الدولة الإسلامية ويتعلموا ما شاء الله أن يتعلموه في المدينة قبل رجوعهم إلى موطنهم، وكان صلى الله عليه وسلم يرسل معهم من يعلمهم دينهم، وشرع صلى الله عليه وسلم يبعث دعائه في شتى الجهات، واهتم بجنوب الجزيرة حيث قبائل اليمن لتعليمهم مبادئ الإسلام وأحكامه، فقد انتشر أمر الإسلام في الجزيرة ومختلف أطرافها، وأصبحت الحاجة داعية إلى معلمين ودعاة ومرشدين يشرحون

(1) انظر: زاد المعاد (633/3)، السيرة النبوية لأبي شعبة (547/2).
(2، 5) انظر: السيرة النبوية لأبي شعبة (547/2).

(4) انظر: السيرة النبوية لأبي شعبة (547/2). (2) البخاري، كتاب فضائل الصحابة، رقم 3745.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

للناس حقائق الإسلام⁽¹⁾ لكي تتطهر قلوبهم وتشفى صدورهم من أمراض الجاهلية وأدرانها الخبيثة، وامتنعت قبيلة بني الحارث بن كعب عن الدخول في الإسلام، فأرسل إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خالداً في سرية دعوية جهادية.

أ- بعث خالد إلى بني الحارث بن كعب (10هـ):

كان بنو الحارث بن كعب يسكنون بنجران، ولم يقبل منهم أحد الإسلام، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم خالد بن الوليد في شهر ربيع الآخر أو جمادى سنة عشر، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثاً، فإن استجابوا قبل منهم، وإن لم يفعلوا قاتلهم، فخرج خالد حتى قدم عليهم، فبعث الركبان في كل وجه يدعون إلى الإسلام، فأسلم الناس ودخلوا فيما دعوا إليه، فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم كما أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم كتب خالد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمه بإسلامهم وأنه مقيم فيهم حتى يكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاءه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره بأن يقبل إلى المدينة ومعه وفد منهم ففعل، فلما قدموا أمر عليهم قيس بن الحصين، وبعث إليهم بعد ذلك عمرو بن حزام ليفقههم في الدين ويعلمهم السنة، ومعالم الإسلام⁽²⁾ وفي رواية: أنه صلى الله عليه وسلم أرسل علياً بدلاً من خالد، وعندما وصل إلى قبائل همدان قرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت همدان جميعاً، فكتب علي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامهم، فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب خرَّ ساجداً، ثم رفع رأسه فقال: السلام على همدان، السلام على همدان. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصاً على الجبهة الجنوبية للدولة وأن تدخل قبائل اليمن في الإسلام، وظهر هذا الاهتمام في النتائج الباهرة التي حققتها الدعوة في كثرة عدد الوفود التي كانت تنساب من كل أطراف اليمن متجهة إلى المدينة؛ مما يدل على أن نشاط المبعوثين إلى اليمن كان متصلاً وبعيد المدى، وكانت سرايا رسول الله

(1) انظر: فقه السيرة للبوطي، ص322.

(2) انظر: السيرة لابن هشام (250/4).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

صلى الله عليه وسلم تساند هذا النشاط الدعوي السلمي حيث بعث خالد بن الوليد ثم علي بن أبي طالب -رضي الله عنهما- في هذا السياق⁽¹⁾.

إن الوثائق التي عقدها النبي **صلى الله عليه وسلم** مع قبائل اليمن وحضرموت قد بلغت عددا كبيرا ضمنها محمد حميد الله -رحمه الله- في كتابه (مجموعة الوثائق السياسية)⁽²⁾.

إن التركيز على مفاصل القوى، ومراكز التأثير في المجتمعات وبناء الدول، منهج نبوي كريم حرص النبي **صلى الله عليه وسلم** على ممارسته في حياته.

ب- بعث معاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري -رضي الله عنهما- إلى اليمن:

1- بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل الأنصاري أعلم الصحابة في علم الحلال والحرام إلى اليمن قاضيا ومفقاها، وأميرًا، ومصدقًا⁽³⁾، وجعله على أحد مخلافيها⁽⁴⁾ وهو الأعلى، ولما خرج معاذ قاصدا اليمن خرج معه رسول الله صلى الله عليه وسلم يودعه ويوصيه، ومعاذ راكب، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي تحت راحلته، فأوصاه بوصايا كثيرة ورسم له منها دعا دعويا عظيما حيث قال له: «إنك ستأتي قوما أهل كتاب، فإذا جنتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فإن هم طاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم طاعوا بذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم طاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»⁽⁵⁾.

وفي هذا الحديث إرشاد من النبي **صلى الله عليه وسلم** للدعاة إلى الله بالتدرج والبدء بالأهم فالهمم، فالدعوة تكون بترسيخ الإيمان بالله تعالى ورسوله إيمانا يثبت في القلوب

(1) انظر: الفقه السياسي للوثائق النبوية، ص 231.

(4) انظر: الوثائق السياسية، حميد الله، (111 ص 230).

(3) المصدق: أخذ الزكاة.

(4) المخلاف: الإقليم والكورة والريستانق.

(5) البخاري، كتاب المغازي، رقم 4347.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

ويهيمن على الأفكار والسلوك، ثم تكون الدعوة بعد ذلك إلى تطبيق أركان الإسلام العملية التي ترسخ هذا الإيمان وتنميته، ثم يأتي بعد ذلك الأمر بالواجبات والنهي عن المحرمات، فيقبل الناس تكاليف الإسلام التي قد تكون مخالفة لهوى النفس؛ لأن قلوبهم قد عمرت بالإيمان واليقين قبل ذلك⁽¹⁾.

وهذا منهج نبوي كريم رسمه صلى الله عليه وسلم لمعاذ ولمن يريد أن يسير على هدى الصحابة الكرام، وما أحوج الذين نذروا أنفسهم للدعوة إلى الله إلى الوقوف أمام هذا الهدى النبوي يترسمون خطاه، ويستوعبونه فهماً ووعياً، وتطبيقاً، وحينئذ تكون خطاهم في الطريق الصحيح⁽²⁾. ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من وصاياه لمعاذ قال له: «يا معاذ، إنك عسى لا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلك أن تمر بمسجدي هذا وقبري»⁽³⁾، فبكى معاذ خشعاً لفراق الرسول صلى الله عليه وسلم، وكذلك وقع الأمر كما أشار الرسول، فقد أقام معاذ باليمن ولم يقدم إلا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم⁽⁴⁾.

2- وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا موسى الأشعري إلى مخلاف اليمن الآخر وهو الأسفل، قاضياً ومفتقهاً وأميراً ومصدقاً، وأوصاه ومعاذ فقال: «يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطوعا ولا تختلفا»⁽⁵⁾.

وهذا منهج نبوي كريم أرشد إليه رسول الله معاذاً وأبا موسى بأن يأخذا بالتيسير على الناس ونهاهما عن التعسير عليهم، وأمرهما بالتبشير ونهاهما عن التنفير⁽⁶⁾.

ج- ترتيب أمور الإدارة والمال:

إن النظام جزء من هذا الدين، وداخل في كل أموره، لأن النظام يجمع الأشتات، وتحقق به

(1) انظر: التاريخ الإسلامي (187/8).

(2) انظر: معين السيرة، ص 486.

(3) انظر: صحيح السيرة، ص 654.

(4) انظر: السيرة النبوية لأبي شعبة (559/2).

(5) البخاري، كتاب المغازي، رقم 4342.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

الأهداف والغايات، فالنظام سمة يتميز بها الإسلام منذ اللحظة الأولى، حيث يدخل في جميع جوانب الإسلام التصورية والشعائرية والتعبدية وفي الشرائع الحياتية كلها، فكان **صلى الله عليه وسلم** يضع من يدير المدينة في حالة غيبته عنها، وكلما فتح منطقة وضع عليها أميراً، وكانت الوفود تأتي إلى رسول الله **صلى الله عليه وسلم** فيعين عليها أميراً من قبله، ثم يترك لهم من يعلمهم دينهم، ويرسل إليهم من يجمع صدقاتهم⁽¹⁾، وكان يختار عماله من الصالحين وأولي العلم والدين، ومن المنظور إليهم من العرب وذوي الشخصيات المؤثرة في قبائلهم، فقد كان عامله على مكة عتاب بن أسيد، وعلى الطائف عثمان بن العاص، وبعث معاذاً وأبا موسى إلى اليمن، وأقر الرسول في بعض الحالات أمراء وملوك القبائل التي أسلمت أو قبلت الجزية، ومنهم باذان ابن سامان ولد بهرام الذي أقره الرسول **صلى الله عليه وسلم** على اليمن بعد إسلامه، ولما بلغه موته قسم عمله على جماعة من الصحابة، فولى على صنعاء شمر بن باذان، وعلى مأرب أبا موسى الأشعري، وعلى الجند يعلى بن أمية، وعلى همذان عامر ابن شمر الهمذاني، وعلى ما بين نجران وزمعة وزبيد خالد بن سعيد بن العاص، وعلى نجران عمرو بن حزام، وعلى بلاد حضرموت زياد بن لبيد البياضي، وعلى السكاسك والسكون عكاشة بن ثور⁽²⁾.

وكان **صلى الله عليه وسلم** يستوفي الحساب على العمال؛ يحاسبهم على المستخرج والمصروف، وحدد **صلى الله عليه وسلم** لبعض عماله رواتب، منهم عتاب بن أسيد والي مكة درهماً كل يوم⁽³⁾، ولما استعمل -عليه الصلاة والسلام- قيس بن مالك على قومه همذان خصص له قطعة من الأرض يأخذ خراجها، وكانت رواتب عماله تتغير بتغير أحوال المعيشة فهي ليست ثابتة⁽⁴⁾. قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: «من ولي لنا ولاية ولم يكن له بيت فليخذ بيتاً، أو

(6) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (186/8).

(7) انظر: دراسات في عهد النبوة للشجاع، ص 221.

(2) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر (59/2).

(3) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (153/4).

(4) انظر: الدولة العربية الإسلامية، منصور الحاربي، ص 44.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

لم تكن له زوجة فليتخذ زوجة، أو لم تكن له دابة فليتخذ دابة»⁽¹⁾، وهذه هي الحاجات الرئيسية لولي الأمر في ذلك الوقت منعا لأخذ الرشوة، وهذه قاعدة قانونية جاء بها الإسلام قبل أن تثبتها القوانين الوضعية الحديثة في بنودها، وهي أن الهدية للحاكم رشوة صريحة⁽²⁾.

* * *

(1) انظر: الدولة العربية الإسلامية، ص44، التراتيب الإدارية للكتاني (227/1).

(2) انظر: الدولة العربية الإسلامية، ص 44.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

حجة الوداع (10هـ)

الحج أحد الأركان الخمسة، وقد فرض في العام العاشر، وهذا ما ذهب إليه ابن القيم⁽¹⁾ واستدل بأدلة قوية وهو اللائق بهديه صلى الله عليه وسلم في عدم تأخير ما هو فرض؛ لأن الله تعالى يقول: (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) [آل عمران: 97] وقد نزلت عام الوفود أواخر سنة تسع⁽²⁾.

لم يحج النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة غير حجته التي كانت في العام العاشر، وعرفت هذه الحجة بحجة البلاغ، وحجة الإسلام، وحجة الوداع؛ لأنه صلى الله عليه وسلم ودع الناس فيها ولم يحج بعدها، وحجة البلاغ لأنه صلى الله عليه وسلم بلغ الناس شرع الله في الحج قولاً وعملاً، ولم يكن بقي من دعائم الإسلام وقواعده شيء إلا وقد بينه، فلما بين لهم شريعة الحج ووضحه أنزل الله عليه بعرفة: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) [المائدة: 3]⁽³⁾ ولما نزلت هذه الآية بكى بعض الصحابة ومنهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكانهم فهموا منها الإشارة إلى قرب أجل الرسول صلى الله عليه وسلم، ولما قيل لسيدنا عمر: ما يبكيك؟ قال: إنه ليس بعد الكمال إلا النقصان⁽⁴⁾، وكان عدد الذين مع رسول الله أكثر من مائة ألف⁽⁵⁾.

أولاً: كيف حج النبي صلى الله عليه وسلم؟:

عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحج وأعلم الناس أنه حاج، فتجهزوا -وذلك في

(1) انظر: زاد المعاد (595/3).

(2) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص680، زاد المعاد (595/3).

(3) البخاري، كتاب المغازي، رقم 4407.

(4) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبه (575/2).

(5) انظر: السيرة النبوية للندوي، ص386.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

شهر ذي القعدة سنة عشر- للخروج معه، وسمع بذلك من حول المدينة، فقدموا يريدون الحج مع الرسول، صلى الله عليه وسلم ووافاه في الطريق خلائق لا يحصون، فكانوا من بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله، مد البصر، وخرج من المدينة نهاراً بعد الظهر لخمس بقين من ذي القعدة يوم السبت، بعد أن صلى الظهر بها أربعاً⁽¹⁾.

وخطبهم قبل ذلك خطبة علمهم فيها الإحرام وواجباته وسننه، ثم سار وهو يلبي ويقول: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك»⁽²⁾. والناس معه يزيدون وينقصون، وهو يقرهم، ولا ينكر عليهم، ولزم تلبيته ثم مضى حتى نزل بـ (العرج) ثم سار حتى أتى (الأبواء) فوادي (عسفان) في (سرف) ثم نهض إلى أن نزل بـ (ذي طوى) فبات بها ليلة الأحد، لأربع خلون من ذي الحجة، وصلى بها الصبح، ثم اغتسل من يومه، ونهض إلى مكة فدخلها نهاراً من أعلاها، ثم سار، حتى دخل المسجد، وذلك ضحى⁽³⁾، فاستلم الركن⁽⁴⁾ فرمل ثلاثاً⁽⁵⁾ ومشى أربعاً ثم نفذ إلى مقام إبراهيم⁽⁶⁾ عليه السلام. فقرأ (وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) [البقرة: 125] فجعل المقام بينه وبين البيت، وكان يقرأ في الركعتين: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) و (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ)، ثم رجع إلى الركن فاستلمه، ثم خرج من الباب إلى الصفا، فلما دنا من الصفا قرأ: (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ) [البقرة: 158] وبدأ بما بدأ الله به؛ فبدأ بالصفا، فرقى عليه، حتى إذا رأى البيت فاستقبل القبلة فوحد الله وكبره، وقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا

(1) انظر: صحيح السيرة النبوية، 664، السيرة النبوية للنذوي، 386.

(2) البخاري، كتاب الحج، باب التلبية رقم 1549.

(3) انظر: السيرة النبوية للنذوي، ص 387.

(4) مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي م رقم 1227.

(5) الرمل: إسراع المشي مع تقارب الخطأ.

(6) نفذ إلى مقام إبراهيم: أي بلغه ماضياً في زحام.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده» ثم دعا بين ذلك قال مثل هذه ثلاث مرات، ثم نزل إلى المروة، حتى إذا انصبت⁽¹⁾ قدماه في بطن الوادي سعى، حتى إذا صعدتا⁽²⁾ مشى حتى أتى المروة، ففعل على المروة كما فعل على الصفا، حتى إذا كان آخر طوافه على المروة فقال: «لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي، وجعلتها عمرة، فمن كان منكم ليس معه هدي فليحل، وليجعلها عمرة»⁽³⁾.

فقال سراقه بن مالك بن جعشم: يا رسول الله، ألعاننا هذا أم للأبد؟ فشبك رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابعه واحدة في الأخرى، وقال: «دخلت العمرة في الحج» مرتين «لا، بل لأبد أبد»⁽⁴⁾ وأقام بمكة أربعة أيام: يوم الأحد، والإثنين، والثلاثاء، والأربعاء، فلما كان يوم الخميس ضُحى توجه بمن معه من المسلمين إلى منى ونزل بها وصلى بها الظهر والعصر، والمغرب والعشاء والفجر، ومكث قليلا حتى طلعت الشمس، وأمر بقبة من شعر تضرب له بنمرة⁽⁵⁾ فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام⁽⁶⁾ كما كانت قريش تصنع في الجاهلية، فأجاز⁽⁷⁾ رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى عرفة، فوجد القبة قد ضربت له بنمرة، فنزل بها، حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء، فرحلت له، فأتى بطن الوادي⁽⁸⁾ فخطب الناس وقال: «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دماننا دم ابن ربيعة بن الحارث، كان مسترضعا في بني سعد فقتلته هذيل، وربما الجاهلية موضوعة، وأول ربا أضع ربانا، ربا العباس بن عبد المطلب، فإنه موضوعة كله. فاتقوا الله في

(1) انصبت قدماه: انحدرت.

(7) صعدتا: ارتفعت قدماه عن بطن الوادي.

(3) مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي رقم 1218.

(4) مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي، رقم 1218، صحيح السيرة النبوية، ص 659.

(5) نمرة: موضع بجنب عرفات وليست من عرفات.

(6) المشعر الحرام: جبل بمزدلفة كانت قريش تقف عليه، ولا تقف مع العرب في عرفات ولكن رسول الله ﷺ وقف في عرفات.

(7) فأجاز: جاوز المزدلفة ولم يقف بها، وإنما توجه إلى عرفات.

(8) بطن الوادي: وادي عرنة، وليست عرنة من أرض عرفات عند العلماء إلا ما قاله هي من عرفات.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه⁽¹⁾ فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح⁽²⁾، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله، وأنتم تسألون عني، فما أنتم قائلون؟» قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها⁽³⁾ إلى الناس: «اللهم اشهد، اللهم اشهد» ثلاث مرات⁽⁴⁾ ثم أذن ثم أقام فصلى الظهر، ثم أقام فصلى العصر، ولم يصل بينهما شيئاً، ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى الموقف فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات⁽⁵⁾ وجعل جبل المشاة بين يديه⁽⁶⁾ واستقبل القبلة فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس، وذهبت الصفرة قليلاً حتى غاب القرص⁽⁷⁾، وذكر أبو الحسن الندوي: لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاته والتضرع والابتهاال إلى غروب الشمس، وكان في دعائه رافعا يديه إلى صدره، كاستطعام المسكين، يقول فيه: «اللهم إنك تسمع كلامي، وترى مكاني، وتعلم سري وعلانيتي، لا يخفى عليك شيء من أمري، أنا البائس الفقير، المستغيث المستجير، والوجل المشفق المقر المعترف بذنوبي، أسألك مسألة المسكين، وأبتهل إليك ابتهاال المذنب الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضريع، من خضعت لك رقبته، وفاضت لك عيناه، وذلل جسده، ورغم أنفه لك، اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقياً، وكن بي رءوفاً رحيماً، يا خير المسؤولين ويا خير المعطين»⁽⁸⁾.

وهناك أنزلت عليه: (الْيَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) [المائدة: 3] فلما غربت الشمس أفاض من عرفة، وأردف أسامة بن زيد خلفه، وأفاض

(1) أي لا يجوز للمرأة أن تدخل أحداً إلى بيت زوجها من قريب أو بعيد أو امرأة إلا من يرضى عنه زوجها.

(2) الضرب المبرح: الشديد الشاق.

(3) ينكتها: يقابلها ويردها إلى الناس مشيراً إليهم.

(4) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 661، مسلم كتاب الحج، رقم 1218.

(5) الصخرات: صخرات في أسفل جبل الرحمة، وهو الجبل الذي بوسط أرض عرفت.

(6) جبل المشاة: مجتمعهم، وقيل جبل المشاة: معناه طريقهم حيث تسلك الرحالة.

(7) حتى غاب قرص الشمس، حتى غابت الشمس وذهبت الصفرة.

(8) انظر: السيرة النبوية للندوي، ص 389. (2) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 662.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

بالسكينة، ثم ضم إليه زمام ناقلته، حتى إن رأسها ليصيب طرف رحله، وهو يقول: «أيها الناس عليكم السكينة»⁽¹⁾ وكان يلبي في مسيره ذلك، لا يقطع التلبية حتى أتى المزدلفة وأمر المؤذن بالأذان فأذن، ثم أقام فصلى المغرب قبل حط الرحال وتبريك الجمال، فلما حطوا رحالهم، أمر فأقيمت الصلاة ثم صلى العشاء، ثم نام، حتى أصبح، فلما طلع الفجر صلاها في أول الوقت، ثم ركب حتى أتى المشعر الحرام، فاستقبل القبلة وأخذ في الدعاء والتضرع، والتكبير والتهليل والذكر، حتى أسفر جدا، وذلك قبل طلوع الشمس، ثم سار من مزدلفة، مردفا للفضل بن عباس، وهو يلبي في مسيره، وأمر ابن عباس أن يلتقط له حصى الجمار سبع حصيات، فلما أتى بطن محسر، حرك ناقلته، وأسرع السير⁽²⁾ فإن هنالك أصاب أصحاب الفيل العذاب، حتى أتى منى، فأتى جمرة العقبة، فرماها راكبا بعد طلوع الشمس، وقطع التلبية⁽³⁾ ثم رجع إلى منى فخطب الناس خطبة بليغة، أعلمهم فيها بحرمة يوم النحر وتحريمه، وفضله عند الله، وحرمة مكة على جميع البلاد، وأمر بالسمع والطاعة لمن قادهم بكتاب الله، وأمر الناس بأخذ مناسكهم عنه، وأمر الناس ألا يرجعوا بعده كفارا، يضرب بعضهم رقاب بعض، وأمر بالتبليغ عنه⁽⁴⁾ وقد جاء في هذه الخطبة: «أتدرون أي يوم هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه فقال: «أليس ذي الحجة؟» قلنا: بلى، قال: «أي بلد هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليست بالبلدة الحرام؟» قلنا: بلى، قال: «فإن دماءكم وأموالكم -وفي رواية أعراضكم- عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا، في بلدكم هذا إلى يوم تلقون ربكم، ألا هل بلغت؟» قالوا: نعم، قال: «اللهم اشهد، فليبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلغ أوعى من سامع، فلا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضهم رقاب بعض»⁽⁵⁾.

ثم انصرف إلى المنحر بمنى، فنحر ثلاثا وستين بدنة بيده، وكان عدد هذا الذي نحره عدد

(2) المصدر نفسه، ص662، السيرة النبوية، للندوي ص389.

(3) انظر: صحيح السيرة النبوية للندوي، ص389

(4) انظر: صحيح السيرة النبوية للندوي، ص389

(5) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (550/2)، السيرة النبوية لأبي شهبه (578/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

سني عمره، ثم أمسك وأمر علياً أن ينحر ما بقي من المائة، فلما أكمل صلى الله عليه وسلم نحره استدعى الحلاق، فحلق رأسه، وقسم شعره بين من يليه، ثم أفاض إلى مكة راكباً، وطاف طواف الإفاضة⁽¹⁾ فصلى بمكة الظهر، فأتى بني عبد المطلب يسقون على زمزم، فقال: «انزعوا بني عبد المطلب، فولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم»، فناولوه دلوفاً فشرب منه⁽²⁾ ثم رجع إلى منى من يومه ذلك فبات بها، فلما أصبح انتظر زوال الشمس، فلما زالت مشى من رحله إلى الجمار، فبدأ بالجمرة الأولى ثم الوسطى ثم الجمرة الثالثة، وهي جمرة العقبة، وخطب الناس بمنى خطبتين: خطبة يوم النحر، وخطبة ثانية في ثاني يوم النحر⁽³⁾ وهو يوم النفر الأول، وهي تأكيد لبعض ما جاء في خطبتي عرفة، ويوم النحر بمنى، والواقع أن تكرار الخطب في حجة الوداع كان أمراً لا بد منه لحاجة المسلمين، فهي الحجة الوحيدة التي حجها الرسول صلى الله عليه وسلم وقد عز فيها الإسلام والمسلمون، وأصبحت كلمتهم هي النافذة في الجزيرة كلها، كما كانت الوداع الأخير، فما أشد حاجة المسلمين في هذا المشهد العظيم إلى التذكير والنصح والتوصية وإلى تكرار القول والتأكيد عليه حتى يعوه ويحفظوه ولا ينسوه، وإلى تقريرهم بإبلاغ الرسالة وأداء الأمانة⁽⁴⁾.

هذا، وقد تأخر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أكمل رمي أيام التشريق الثلاثة، ثم نهض إلى مكة فطاف للوداع ليلاً سحراً، وأمر الناس بالرحيل وتوجه إلى المدينة⁽⁵⁾ وفي طريق العودة من حجة الوداع خطب الرسول صلى الله عليه وسلم الناس في غدير خم قريباً من الجحفة في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، وقد جاء في هذه الخطبة: «أما بعد، ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله؛ فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي

(1) انظر: السيرة النبوية للندوي، ص390.

(2) مسلم، كتاب الحج، رقم 1218، صحيح السيرة النبوية، ص663.

(3) انظر: السيرة النبوية للندوي، ص390.

(4) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبه (579/2)، المستفاد من قصص القرآن (515/2).

(5) انظر: السيرة النبوية للندوي، ص390.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»⁽¹⁾ وفي

رواية... أخذ

بيد علي رضي الله عنه وقال: «من كنت وليه، فهذا وليه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه»⁽²⁾

وفي رواية: «من كنت مولاه فعلي مولاه»⁽³⁾ وكان علي قد أقبل من اليمن وشهد حجة الوداع⁽⁴⁾ وقد اشتكى بعض الجند علياً وأنه اشتد في معاملتهم، وكان قد استرجع منهم حلاً وزعها عليهم نائبه، فأوضح لهم النبي صلى الله عليه وسلم في غدير خم مكانة علي، ونبه على فضله لينتهوا عن الشكوى،⁽⁵⁾ فقد كان الحق مع علي في إرجاع ما أعطاهم نائبه في غيبته لأنها أموال صدقات وخمس⁽⁶⁾.

ولما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا الحليفة بات بها، فلما رأى المدينة كبر ثلاث مرات، وقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، آيئون تائبون، عابدون، ساجدون، لربنا حامدون، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»، ثم دخلها نهراً⁽⁷⁾.

ثانياً: الدروس والعبر والفوائد:

1- مرحلة النضج التي وصلت إليها الأمة:

وصلت الأمة الإسلامية في السنة العاشرة مرحلة من النضج متقدمة، وكان ذلك يقتضي لمسات أخيرة، فوسع صلى الله عليه وسلم في العامين التاسع والعاشر من الهجرة دائرة التلقي

(1) مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل علي بن أبي طالب، رقم 2048.

(2) النسائي في خصائص علي، ص 21، صحيح السيرة النبوية، ص 688.

(3) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (550/2).

(4) انظر: البداية والنهاية (209/5).

(5) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (551/2).

(6) انظر: السيرة النبوية لأبي شعبة (581/2).

(7) انظر: السيرة النبوية للندوي، ص 391، نقلاً عن زاد المعاد (249/1).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

المباشر من خلال استقباله الوفود، ومن خلال رحلة الحج، فأوجد قاعدة عريضة تحمل دعوته وقد تلقت عنه مباشرة، وكان لذلك أكبر الأثر في أن تبقى رحي الإسلام دائرة وإلى الأبد⁽¹⁾ ففي حجة الوداع كانت اللمسات الأخيرة في تربية الأفراد والمجتمع على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

2- تربية الأفراد على قطع الصلة بالجاهلية والابتعاد عن الذنوب:

أ- فقد أشار صلى الله عليه وسلم إلى أهمية قطع المسلم علاقته بالجاهلية، أوثانها، وثاراتها، ورباها، وغير ذلك، ولم يكن حديثه صلى الله عليه وسلم مجرد توصية بل كان قراراً أعلن عنه للملأ كله لأولئك الذين كانوا من حوله والأمم التي ستأتي من بعده، وهذه هي صيغة القرار: «ألا إن كل شيء من أمر الجاهلية، تحت قدمي موضوع، دماء الجاهلية موضوعة... وربا الجاهلية موضوع»⁽²⁾ لأن الحياة الجديدة التي يحياها المسلم بعد إسلامه حياة لا صلة لها برجس الماضي وأدرانته⁽³⁾.

ب- وقد حذر صلى الله عليه وسلم من الذنوب والخطايا والآثام، ما ظهر منها وما بطن؛ لأن الذنوب والخطايا تفعل بالفرد ما لا يفعله العدو بعده، فهي سبب مصائبه في الدنيا (وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) [الشورى: 30] فترديه في نار جهنم في الآخرة، وتفعل في المجتمعات ما لا يفعله السيف، وأعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لا يقصد بالخطايا العودة إلى عبادة الأصنام؛ لأن العقول التي تفتحت على التوحيد، ترفض أن تعود إلى الشرك الظاهر، ولكن الشيطان لا ييأس من أن يجد طريقه إليها من ثغرات الخطايا والذنوب، حتى تردي صاحبها في المهالوي⁽⁴⁾.

3- تربية المجتمع على مبادئ أساسية:

(1) انظر: الأساس في السنة (1054/2).

(2) انظر: فقه السيرة للبوطي، ص331.

(7) قراءة سياسية للسيرة النبوية، محمد قلنجي، ص303.

(2) مسلم، كتاب الحج رقم 1218.

(4) المصدر نفسه.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

أ- الأخوة في الله هي العروة الوثقى التي تربط بين جميع المسلمين (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) [الحجرات: 10] فقد قال صلى الله عليه وسلم: «أيها الناس، اسمعوا قولي واعقلوه، تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين إخوة، فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظلمن أنفسكم» وقال: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا حتى تلقوا ربكم فيسألكم عن أعمالكم، ألا فلا ترجعوا بعدي ضللاً يضرب بعضكم رقاب بعض»⁽¹⁾.

ب- الوقوف بجانب الضعيف حتى لا يكون هذا الضعف ثغرة في البناء الاجتماعي، فأوصى صلى الله عليه وسلم في خطبته بالمرأة والرقيق على أنهما نموذجان عن الضعفاء⁽²⁾، فقد شدد صلى الله عليه وسلم في وصيته على الإحسان إلى الضعفاء⁽³⁾ وأوصى خيراً بالنساء، وأكد في كلمة مختصرة جامعة القضاء على الظلم البائد للمرأة في الجاهلية، وتثبيت ضمانات حقوقها وكرامتها الإنسانية التي تضمنتها أحكام الشريعة الإسلامية⁽⁴⁾.

ج- التعاون مع الدولة الإسلامية على تطبيق أحكام الإسلام، والالتزام بشرع الله، ولو كان الحاكم عبداً حبشياً، فإن في ذلك الصلاح والفلاح، والنجاة في الدنيا والآخرة⁽⁵⁾ فقد بين صلى الله عليه وسلم العلاقة بين الحاكم والمحكوم بأنها تعتمد على السمع والطاعة ما دام الرئيس يحكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فإذا مال عنهما فلا سمع ولا طاعة، فالحاكم أمين من قبل المسلمين على تنفيذ حكم الله تعالى⁽⁶⁾.

د- المساواة بين البشر: فقد قال صلى الله عليه وسلم: «لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض، إلا بالتقوى، الناس من آدم،

(2) انظر: قراءة سياسية للسيرة النبوية، ص304. (4) انظر: دولة الرسول من التكوين إلى التمكن، ص575.

(4) انظر: فقه السيرة للبوطي، ص332.

(5) انظر: دولة الرسول من التكوين إلى التمكن، ص576.

(6) انظر: فقه السيرة للبوطي، ص333.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وآدم من تراب»⁽¹⁾ حيث حدد أن أساس التفاضل لا عبارة فيه لجنس، ولا لون، ولا وطن، ولا قومية، وإنما أساس التفاضل قيمة خلقية راقية ترفع مكانة الإنسان إلى مقامات رفيعة جدا⁽²⁾.

هـ تحديد مصدر التلقي: وقد حدد **صلى الله عليه وسلم** مصدر التلقي والطريقة المثلى لحل مشاكل المسلمين التي قد تعترض طريقهم في الرجوع إلى مصدرين لا ثالث لهما، ضمن لهم بعد الاعتصام بهما الأمان من كل شقاء وضلال، وهما: كتاب الله وسنة رسوله **صلى الله عليه وسلم**، وإنك لتجده يتقدم بهذا التعهد والضمان إلى جميع الأجيال المتعاقبة من بعده، ليبين للناس أن صلاحية التمسك بهذين الدليلين ليست وقفًا على عصر دون آخر، وأنه لا ينبغي أن يكون لأي تطور حضاري أو عرف زمني أي سلطان أو تغلب عليهما⁽³⁾.

لقد وصف **صلى الله عليه وسلم** الداء والدواء، ووضع العلاج لكل المشكلات بالالتزام التام بما جاء من أحكام من في كتاب الله وسنة رسوله **صلى الله عليه وسلم**: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا: كتاب الله وسنتي» هذا هو العلاج الدائم، وقد كرر **صلى الله عليه وسلم** ندائه للبشرية عامة، عبر الأزمنة والأمكنة، بوجوب الاهتداء بالكتاب والسنة في حل جميع المشكلات التي تواجه البشرية، فإن الاعتصام بهما يجنب الناس الضلال ويهديهم إلى التي هي أقوم في الحاضر والمستقبل، لقد اجتازت تعاليم رسول الله **صلى الله عليه وسلم** وهديه حدود الجزيرة، واخترقت حواجز الزمن، وأسوار القرون، وظل يتردد صداها حتى يوم الناس هذا، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فلم يكن يخاطب سامعيه فيقول لهم: أيها المؤمنون، أو أيها المسلمون، أو أيها الحجاج.. بل كان يقول لهم: يا أيها الناس، وقد كرر ندائه إلى الناس كافة مرات متعددة دون أن يخصصه بجنس أو بزمان أو مكان أو لون، فقد بعثه الله للناس كافة وأرسله رحمة للعالمين⁽⁴⁾.

(1) مسند أحمد (411/3) إسناده صحيح.

(2) انظر: الموسوعة في سماحة الإسلام، عرجون (876/2).

(3) انظر: فقه السيرة للبوطي، ص333.

(4) انظر: الجانب السياسي في حياة الرسول، ص131، أحمد محمد باثميل.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

4- الأساليب التعليمية من خطب حجة الوداع:

أ- التعليم بمباشرة ما يراد تعليمه:

عَلَّمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابته الكرام مناسك الحج بصورة عملية، بأن قام بها وبأشهرها فعلاً، ولم يكتف بأن يعلمها لهم قولاً، ولذلك قال لهم: «خذوا عني مناسككم»⁽¹⁾ وعلى هذا فيستحسن من الدعاة وهم يعلمون الناس معاني الإسلام، أن يعلموهم هذه المعاني، والمطلوبات الشرعية، أو بعضها -في الأقل- بصورة عملية، كالوضوء، والصلاة، وتعليم قراءة القرآن بصورة سليمة⁽²⁾.

ب- تكرار الخطب:

لاحظنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كرر خطبه، فقد خطب في عرفة، وفي منى مرتين، كما كرر معاني بعض هذه الخطب، فعلى الدعاة أن يقتدوا برسول الله صلى الله عليه وسلم، فيكرروا خطبهم ويكرروا بعض معانيها التي يرون حاجة لتكرارها، حتى يستوعبها السامعون ويحفظوها؛ لأن القصد من خطب الخطيب إفادة السامعين بما يقول، فإذا كانت الفائدة لا تحصل -أو لا تتم- إلا بتكرار الخطب من حيث عددها، أو بتكرارها من حيث تكرار معانيها، فليكررها الداعية، ولا يكون حرصه على أن يأتي بجديد في خطبه ما دام يرى الحاجة في ترسيخ معاني معينة في أذهان السامعين، إن الداعية همه أن يفيد السامعين، وليس همه أن يظهر براعته في الخطب، وفي تنوع معانيها، دون نظر ولا اعتبار إلى ما يحتاجه السامعون، ودون اعتبار لفهمهم هذه المعاني واستيعابهم لها⁽³⁾.

ج- فليبلغ الشاهد الغائب:

وفي هذا توجيه نبوي كريم لكي تعم الفائدة أكبر عدد ممكن من الناس؛ فهذا من باب التعاون

(1) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (549/2) مسلم (942/2) رقم 1297.

(2) انظر: المستفاد من قصص القرآن (518/2).

(3) انظر: المستفاد من قصص القرآن (517/2، 518).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

على الخير، ولأن الغائب قد يكون أوعى للعلم وأكثر فهماً له من الحاضر الذي سمع، وعلى الدعاة والعلماء عندما يلقون درساً أو محاضرة لإخوانهم أو لعامة الناس فمن المستحسن أن يقولوا للحاضرين: فليبلغ الحاضر منكم الغائب بما سمعه⁽¹⁾.

د- جلب انتباه الحاضر لما يقوله الخطيب:

ويستفاد من سؤال النبي صلى الله عليه وسلم الحاضرين عن اسم اليوم الذي هم فيه، وكذا عن الشهر والبلد وهم يعرفونها؛ مما يجلب انتباههم إلى ما قد عسى أن يريده بطرح هذه الأسئلة فيصغون إليها إصغاء تاماً، قال القرطبي: سؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن الثلاثة -أي عن اليوم والشهر والبلد- وسكوته بعد كل سؤال منها كان لاستحضار فهمهم، وليقبلوا عليه بكليتهم، وليستشعروا عظمة ما يخبرهم عنه.. فعلى العلماء والدعاة أن يقدموا بين يدي ما يقولونه ما يدعو إلى جلب انتباه السامعين ويشدهم إلى كلامهم⁽²⁾.

5- بعض الأحكام الفقهية المستنبطة من حجة الوداع:

جاءت حجة الوداع حافلة بالأحكام الشرعية خاصة ما يتعلق بالحج وبالوصايا والأحكام التي وردت في خطبة عرفات؛ لذلك اهتم العلماء بحجة الوداع اهتماماً كبيراً واستنبطوا منها الكثير من أحكام المناسك وغيرها مما تحفل به كتب الفقه وكتب شروح الحديث، وخصص بعضهم مؤلفات مستقلة في حجة الوداع⁽³⁾.

ونشير إلى بعض هذه الأحكام باختصار شديد فمن هذه الأحكام:

أ- إفتار الحاج يوم عرفة: قالت ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم: إن الناس شكوا في صيام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عرفة، فأرسلت إليه

(1) البخاري، كتاب العلم، باب قول النبي رب مبلغ، رقم 105.

(2) انظر: المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة (518/2).

(3) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (549/2)، ما ألفه الألباني «حجة النبي» وغيره.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

ميمونة بحلاب⁽¹⁾ اللبن، وهو واقف في الموقف، فشرب منه، والناس ينظرون إليه⁽²⁾.

ب- كيف يفعل بمن توفي محرماً؟ قال ابن عباس رضي الله عنهما: بينما رجل واقف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفة إذ وقع عن راحلته، فوقصته -أو قال فأوقصته-⁽³⁾ فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: «اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه في ثوبين، ولا تحنطوه⁽⁴⁾ ولا تخمروا رأسه⁽⁵⁾ فإن الله يبعثه يوم القيامة ملبياً»⁽⁶⁾.

ج- هل يجوز الحج عن الغير؟ قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان الفضل رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاءت امرأة من خثعم، فجعل الفضل ينظر إليها وتنتظر إليه، وجعل النبي صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر، فقالت: يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يثبت على الراحلة، أفأحج عنه؟ قال: «نعم» وذلك في حجة الوداع⁽⁷⁾.

د- منهج التيسير: لا حرج، لا حرج: قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته، فطفق ناس يسألونه فيقول القائل: يا رسول الله، إني لم أكن أشعر أن الرمي قبل النحر فنحرت قبل الرمي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فارم ولا حرج» قال: وطفق آخر يقول: إني لم أشعر أن النحر قبل الحلق، فحلقت قبل أن أنحر، فيقول: «انحر ولا حرج»، قال: فما سمعته يُسأل يومئذ عن أمر، مما ينسى المرء ويجهل من تقديم بعض الأمور قبل بعض وأشباهها، إلا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «افعل ولا حرج»⁽⁸⁾.

(1) الإناء الذي يخلب فيه.

(2) البخاري، كتاب الصوم، باب صوم يوم عرفة، حديث رقم 1989.

(3) فوقصته: قتلته في الحال.

(4) لا تحنطوه: لا تضعوا عليه من الطيب شيئاً.

(5) لا تخمروا رأسه: لا تغطوا رأسه.

(6) البخاري، كتاب الجنائز، باب الكفن في ثوبين، رقم 1265، ملبياً: يحشر يوم القيامة على الهيئة التي مات عليها.

(7) البخاري في الحج، باب وجوب الحج وفضله، رقم 1513.

(8) البخاري في العلم باب الفتيا على الدابة رقم 83.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

هذه بعض الأحكام المختصرة، ومن أراد المزيد فليراجع ما كتبه الألباني عن حجة الوداع، فقد لخص الحجة في اثنتين وسبعين مسألة⁽¹⁾، وكتاب (الوصية النبوية للأمة الإسلامية) للدكتور فاروق حمادة، فقد جمع من المصادر الأدبية والحديثية وكتب أهل السير ثمانية وثلاثين بنداً، ثم قام بتحليلها وتخرجها وتوثيق نصوصها بميزان الجرح والتعديل الذي اعتمدته أئمة المسلمين منذ الصدر الأول، لأن الأمر دين وشرع -كما قال- وقد أجاد وأفاد⁽²⁾.

6- فوائد في تسمية أيام الحج:

كان يقال لليوم السابع من ذي الحجة يوم الزينة؛ لأنه يزين فيه البدن التي تهدي بالجلال وغيرها، واليوم الثامن يقال له: يوم التروية؛ لأنهم كانوا يروون فيه إبلهم من الماء ويحملون منه ما يحتاجون إليه حال الوقوف وما بعده، لأن هذه الأماكن لم يكن فيها يومئذ آبار ولا عيون، أما الآن ففيها الماء الكثير والحمد لله، واليوم التاسع: يوم عرفة للوقوف فيه بها، واليوم العاشر: يوم النحر ويوم الأضحي ويوم الحج الأكبر، واليوم الحادي عشر: يوم القر لأنهم يقرون فيه، ويقال له: يوم الرعوس لأنهم يأكلون فيه رعوس الأضاحي، وهو أول أيام التشريق، وثاني أيام التشريق، يقال له: يوم النفر الأول لجواز الخروج فيه إلى مكة لمن يريد التعجيل، وثالث أيام التشريق يقال له يوم النفر الثاني⁽³⁾ قال عز شأنه: [البقرة: 203].

* * *

(1) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 683.

(2) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 681.

(3) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبه، (579/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

المبحث الثامن

مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ووفاته

إن الأرواح الشفافة الصافية القوية لتدرك بعض ما يكون مخبوءاً وراء حجب الغيب بقدرة الله تعالى، والقلوب الطاهرة المطمئنة لتحدث صاحبها بما عسى أن يحدث له فيما يستقبل من الزمان، والعقول الذكية المستنيرة بنور الإيمان لتدرك ما وراء الألفاظ والأحداث من إشارات وتلميحات، ولنبينا محمد صلى الله عليه وسلم من هذه الصفات الحظ الأوفر، وهو منها بالمحل الأرفع الذي لا يسامى ولا يطاول⁽¹⁾.

ولقد جاءت بعض الآيات القرآنية مؤكدة على حقيقة بشرية النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه كغيره من البشر سوف يذوق الموت ويعاني سكراته كما ذاقه من قبل إخوانه من الأنبياء، ولقد فهم صلى الله عليه وسلم من بعض الآيات اقتراب أجله، وقد أشار صلى الله عليه وسلم في طائفة من الأحاديث الصحيحة إلى اقتراب وفاته، منها ما هو صريح الدلالة على الوفاة، ومنها ما ليس كذلك،
حيث
يشعر ذلك منها إلا الأحاد من كبار الصحابة الأجلاء كأبي بكر والعباس ومعاذ رضي الله عنهم⁽²⁾.

أولاً: الآيات والأحاديث التي أشارت إلى وفاته صلى الله عليه وسلم:

1- الآيات:

أ- قال تعالى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) [آل عمران: 144].

قال القرطبي: فأعلم الله تعالى في هذه الآية أن الرسل ليست بباقية في قومها أبداً، وأنه يجب

(1) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبه، (587/2).

(2) انظر: مرض النبي ووفاته، خالد أبو صالح، ص33.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

التمسك بما أتت به الرسل، وإن فقد الرسل بموت أو قتل⁽¹⁾.

ب- قال تعالى: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) [الزمر: 30].

قال ابن كثير: هذه الآية من الآيات التي استشهد بها الصديق رضي الله عنه عند موت الرسول صلى الله عليه وسلم حتى تحقق الناس موته⁽²⁾.

ج- قال تعالى: (وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مَتَّ فُهُمُ الْخَالِدُونَ) [الأنبياء: 34] ثم أعقب ذلك ببيان أن الموت حتم لازم وقدر سابق، فقال عز وجل: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُمُ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) [الأنبياء: 35] فهذه الآيات صريحة ونصت على وفاته صلى الله عليه وسلم، وهناك بعض الآيات أشارت إلى ذلك وإن لم تصرح، منها:

د- قال تعالى: (وَلَآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى □ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) [الضحى: 4-5].

هـ- قال تعالى: (كُلُّ مَنَ عَلَيْهَا فَانٍ □ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) [الرحمن: 26-27].

و- قال تعالى: (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [القصاص: 88].

فهذه الآيات تبين أن جميع أهل الأرض ستمضي فيهم سنة الله في موت خلقه لن يتخلف منهم أحداً أبداً.

ز- قال تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) [المائدة: 3].

وقد بكى عمر بن الخطاب حين نزلت الآية، فقيل: ما يبكيك؟ فقال: إنه ليس بعد الكمال إلا

(1) انظر: تفسير القرطبي، (222/4).

(2) انظر: تفسير ابن كثير (53/4)

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

النقصان. وكأنه استشعر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم⁽¹⁾.

قال تعالى: (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا) [النصر: 1: 3].

فقد سأل عمر رضي الله عنه ابن عباس عن هذه الآية: (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ).

فقال: أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه إياه، فقال: ما أعلم منها إلا ما تعلم⁽²⁾، وفي رواية الطبراني قال ابن عباس: نعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه حين نزلت فأخذ بأشد ما كان قط اجتهدا في أمر الآخرة⁽³⁾.

2- أما الأحاديث التي أشارت إلى ذلك فهي:

أ- قالت -عائشة رضي الله عنها-: اجتمع نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده، لم يغادر منهن امرأة، فجاءت فاطمة تمشي لا تخطى مشيتها مشية أبيها، فقال: «مرحبا يا بنيتي» فأقعدها يمينه أو شماله، ثم سارها فبكت، ثم سارها فضحكت، فقلت لها: خصك رسول الله بالسرار وأنت تبكين؟ فلما أن قامت قلت لها أخبريني ما سارك؟ فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما توفي قلت لها: أسألك لما لي عليك من الحق لما أخبرتني، قالت: أما الآن فنعم، قالت: سارني في الأول قال لي: «إن جبريل كان يعارضني في القرآن كل سنة مرة، وقد عارضني في هذا العام مرتين، ولا أرى ذلك إلا اقتراب أجلي، فاتقي الله واصبري، فنعم السلف أنا لك»، فبكيت، ثم سارني فقال: «أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة؟» فضحكت⁽⁴⁾.

وفي هذا الحديث دليل قاطع وإشارة واضحة إلى اقتراب أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم،

(1) انظر: البداية والنهاية (189/5).

(2) البخاري، كتاب المغازي رقم 4430.

(3) مجمع الزوائد (26/9) رواه الطبراني في الكبير والأوسط وأحد أسانيده رجاله ثقات.

(4) البخاري، كتاب الاستئذان رقم 6285، 6286.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وأن ساعة الفراق قد باتت قريبة، إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد اختص ابنته فاطمة -

رضي الله عنها- بعلم ذلك، ولم يعلم به المسلمون إلا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم⁽¹⁾.

ب- قال جابر رضي الله عنه: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يرمي على راحلته يوم النحر

ويقول: «لتأخذوا عني مناسككم؛ فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه»⁽²⁾.

قال النووي: فيه إشارة إلى توديعهم وإعلامهم بقرب وفاته صلى الله عليه وسلم، وحثهم

على الاعتناء بالأخذ عنه وانتهاز الفرصة من ملازمته وتعلم أمور الدين، وبهذا سميت حجة الوداع⁽³⁾.

وقال ابن رجب: وما زال صلى الله عليه وسلم يعرض باقتراب أجله في آخر عمره، فإنه لما

خطب في حجة الوداع قال للناس: «خذوا عني مناسككم، فلعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا» فطفق يودع الناس فقالوا: هذه حجة الوداع⁽⁴⁾.

ج- قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس وقال:

«إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ذلك العبد ما عند الله» قال: فبكى أبو بكر،

فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خيّر، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخيّر، وكان أبو بكر أعلمنا⁽⁵⁾.

قال الحافظ ابن حجر: وكان أبا بكر رضي الله عنه فهم الرمز الذي أشار به النبي صلى الله

عليه وسلم من قرينة ذكره ذلك في مرض موته، فاستشعر منه أنه أراد نفسه؛ فلذلك بكى⁽⁶⁾.

د- قال العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه: رأيت في المنام كأن الأرض تنزع إلى

(1) انظر: مرض النبي p ووفاته، ص35.

(2) مسلم، كتاب الحج، رقم 1297.

(4) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (45/9).

(5) انظر: لطائف المعارف، ص105.

(6) البخاري، كتاب فضائل الصحابة، رقم 3654.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

السماء⁽¹⁾ بأشطان⁽²⁾ شداد، فقصص ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «ذاك وفاة ابن أخيك»⁽³⁾، وفي هذا الحديث إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بقرب وفاته، وفيه صدق رؤيا المؤمن، واستشعار بعض الصحابة وفاته عليه الصلاة والسلام⁽⁴⁾.

هـ وعن معاذ أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بعثه إلى اليمن خرج راكباً والنبي صلى الله عليه وسلم يمشي تحت راحلته فقال: «يا معاذ، عسى ألا تلقاني بعد عامي هذا، فتمر بقبري ومسجدي» فبكى معاذ لفراقه صلى الله عليه وسلم، فقال: «لا تبك يا معاذ؛ فإن البكاء من الشيطان»⁽⁵⁾ وفي الحديث إخبار النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل باقتراب أجله، وأنه يمكن ألا يلقاه بعد عامه هذا، وفيه شدة محبة الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم وبكاؤهم إذا ذكروا فراقه⁽⁶⁾.

ثانياً: مرض الرسول صلى الله عليه وسلم:

1- بدء الشكوى:

رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع في ذي الحجة، فأقام بالمدينة بقيته والمحرم وصفرًا، من العام العاشر، فبدأ بتجهيز جيش أسامة، وأمر عليهم أسامة بن زيد بن حارثة، وأمره أن يتوجه نحو البلقان وفلسطين، فتجهز الناس وفيهم المهاجرون والأنصار، وكان منهم أبو بكر وعمر، وكان أسامة بن زيد ابن ثمانى عشرة سنة، وتكلم البعض في تأميره وهو مولى وصغير السن على كبار المهاجرين والأنصار، فلم يقبل الرسول صلى الله عليه وسلم طعنهم في إمارة أسامة⁽⁷⁾، فقال صلى الله عليه وسلم: «إن يطعنوا في إمارته فقد طعنوا في إمارة أبيه،

(1) تنزع إلى السماء: أي تجذب، وأصل النزاع: الجذب والقلع.

(2) بأشطان شداد: الأشطان جمع شطن وهو الحيل.

(3) الزيار (397/1)، كشف الأستار رقم 844، مجمع الزوائد (24/9) رجاله ثقات.

(4) انظر: مرض النبي ووفاته، ص37.

(5) مجمع الزوائد (22/9) صححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم 2497.

(6) انظر: مرض النبي ووفاته، ص38.

(7) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (552/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

وايم الله إن كان لخليفاً للإمارة، وإن كان من أحب الناس إليّ وإن ابنه هذا لمن أحب الناس إليّ بعده»⁽¹⁾ وبينما الناس يستعدون للجهاد في جيش أسامة ابتدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم شكواه الذي قبضه الله فيه، وقد حدثت حوادث ما بين مرضه ووفاته منها:

أ- النبي في البقيع وزيارته قتلى أحد وصلاته عليهم:

عن أبي مويهبة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل فقال: «يا أبا مويهبة، إني قد أمرت أن أستغفر لأهل البقيع، فانطلق معي»، فانطلقت معه، فلما وقف بين أظهرهم قال: «السلام عليكم يا أهل المقابر، ليهنأ لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، يتبع آخرها أولها، الآخرة شر من الأولى»⁽²⁾ ثم أقبل عليّ فقال: «يا أبا مويهبة، إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة» قال: فقلت: بأبي أنت وأمي، خذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة، قال: «لا والله يا أبا مويهبة، لقد اخترت لقاء ربي والجنة»، ثم استغفر لأهل البقيع، ثم انصرف، فبدأ برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه الذي قبضه الله فيه⁽³⁾.

ومن حديث عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى على قتلى أحد بعد ثمانين سنين كالمودع للأحياء والأموات، ثم طلع المنبر فقال: «إني بين أيديكم فرط، وأنا عليكم شهيد، وإن موعدكم الحوض، وإني لأنظر إليه وأنا في مقامي هذا، وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا، ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها» فقال عقبة: فكانت آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم⁽⁴⁾.

ب- استئذانه صلى الله عليه وسلم أن يمرض في بيت عائشة وشدة المرض الذي نزل به:

(1) البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي (213/4).

(2) أي الفتن الآخرة.

(3) الحاكم في المستدرك (55/3، 56)، صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبي.

(4) البخاري، كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهيد، رقم 1344.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

قالت عائشة رضي الله عنها: لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد وجعه، استأذن أزواجه في أن يمرّض في بيتي، فأذن له، فخرج وهو بين رجلين، تخط رجلاه في الأرض، بين عباس ورجل آخر⁽¹⁾، ولما دخل بيتي اشتد وجعه، قال: «أهريقوا عليّ من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن⁽²⁾، لعلّي أعهد إلى الناس» فأجلسناه في مخضب⁽³⁾ لحفصة، ثم طفقنا نصب عليه من تلك القرب، حتى طفق يشير إلينا بيده أن قد فعلتن، ثم خرج إلى الناس فصلّى بهم وخطبهم⁽⁴⁾ وقالت عائشة رضي الله عنها: ما رأيت رجلاً أشد عليه الوجع من رسول الله صلى الله عليه وسلم⁽⁵⁾، وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوعك فمسسته بيدي، فقلت: يا رسول الله، إنك لتوعك وعكا شديداً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أجل: إني أوعك كما يوعك رجلان منكم» قال: فقلت: ذلك أن لك أجريين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أجل» ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله به سيناته، كما تحط الشجرة ورقها»⁽⁶⁾.

ثالثاً: من وصايا رسول الله في أيامه الأخيرة:

1- وصيته صلى الله عليه وسلم بالأنصار:

مر العباس رضي الله عنه بقوم من الأنصار يبيكون حين اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه، فقال لهم: (ما يبكيكم؟) قالوا: ذكرنا مجلسنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدخل العباس عليه صلى الله عليه وسلم فأخبره فعصّب بعصابة دسماء⁽⁷⁾ أو قال: بحاشية برد، وخرج وصعد المنبر -ولم يصعد بعد ذلك اليوم- فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أوصيكم بالأنصار

(1) قال ابن عباس: الرجل الآخر هو علي بن أبي طالب.

(2) جمع الوكاء، وهو ما يشد به رأس القرية.

(3) مخضب: بكسر الميم وهي الإجانة التي تغسل فيها الثياب.

(4) البخاري، كتاب الوضوء، رقم 198.

(5) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 695.

(6) البخاري، كتاب المرض، باب شدة المرض، رقم 5647.

(7) بعصابة دسماء: أي سوداء.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

فإنهم كرشى⁽¹⁾ وعيبتي⁽²⁾، وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم⁽³⁾، وفي الحديث شدة محبة الأنصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وبكاؤهم لمرضه وحرمانهم من مجلسه⁽⁴⁾.

2- إخراج المشركين من جزيرة العرب وإجازة الوفد:

لقد ازدادت شدة المرض على رسول الله، بحيث كان يغمى عليه في اليوم الواحد مرات عديدة، ومع ذلك كله أحب صلى الله عليه وسلم أن يفارق الدنيا وهو مطمئن على أمته أن تضل من بعده، فأراد أن يكتب لهم كتاباً مفصلاً ليجمعوا عليه ولا يتنازعوا، فلما اختلفوا عنده صلى الله عليه وسلم عدل عن كتابة ذلك الكتاب وأوصاهم بأمر ثلاثة، ذكر الراوي منها اثنين:

* «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب».

* «وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم به»⁽⁵⁾.

3- النهي عن اتخاذ قبره مسجداً:

كان من آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: «قاتل الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، لا يبقين دينان بأرض العرب»⁽⁶⁾.

4- إحسان الظن بالله:

قال جابر رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل موته بثلاث: «أحسنوا الظن بالله عز وجل»⁽⁷⁾.

5- الوصية بالصلاة وما ملكت أيمانكم:

(1) كرشى وعيبتي: أراد أنهم بطانته وموضع سره وأمانته، والذين يعتمد عليهم في أموره، واستعار الكرش والعيبية لذلك.

(2) العيبية: ما يحرز فيه الرجل نفيس ما عنده.

(3) البخاري، كتاب مناقب الأنصار، رقم 3799.

(4) انظر: مرض النبي ووفاته، ص 65.

(5) البخاري، كتاب الجهاد والسير رقم 3035.

(6) انظر: صحيح السيرة النبوية ص 712، البخاري، كتاب الصلاة رقم 435.

(7) مسلم، كتاب الوصية، رقم 1637.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

قال أنس رضي الله عنه: كانت وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حضره الموت: «الصلاة وما ملكت أيمانكم» حتى جعل يغرغر بها في صدره، ولا يفيض بها لسانه⁽¹⁾.

6- لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا:

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم الستر، ورسول الله صلى الله عليه وسلم معصوب في مرضه الذي مات فيه، فقال: «اللهم بلغت» ثلاث مرات، «أنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا، يراها العبد الصالح أو ترى له، ألا وإني قد نهيت عن القراءة في الركوع والسجود، فإذا ركعتم فعظموا الله، وإذا سجدتم فاجتهدوا في الدعاء، فإنه قمن⁽²⁾ أن يستجاب لكم⁽³⁾».

رابعاً: أبو بكر يصلي بالمسلمين:

ولما اشتد المرض بالنبي صلى الله عليه وسلم وحضرت الصلاة فأذن بلال، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مروا أبا بكر فليصل» فقليل: إن أبا بكر رجل أسيف⁽⁴⁾ إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس، وأعاد فأعادوا له، فأعاد الثالثة فقال: «إنكن صواحب يوسف⁽⁵⁾، مروا أبا بكر فليصل بالناس» فخرج أبو بكر فوجد النبي صلى الله عليه وسلم في نفسه خفة، فخرج يهادى بين رجلين، كأنني أنظر إلى رجله تخطان من الوجع، فأراد أبو بكر أن يتأخر فأوماً إليه النبي صلى الله عليه وسلم -أن مكانك- ثم أتى به حتى جلس إلى جنبه، قيل للأعمش: فكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي وأبو بكر يصلي بصلاته، والناس يصلون بصلاة أبي بكر؟ فقال برأسه: نعم⁽⁶⁾.

خامساً: الساعات الأخيرة من حياة المصطفى:

(1) سنن ابن ماجه، كتاب الوصايا (900/2، 901) رقم 2697.

(2) قمن: أي جدير وحقيق.

(3) مسلم (348/1) كتاب الصلاة رقم 207.

(4) أسيف: من الأسف وهو شدة الحزن والمراد أنه رقيق القلب.

(5) والمراد أنهم مثل صواحب يوسف في إظهار خلاف ما في الباطن.

(6) البخاري، كتاب الأذان رقم 712.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

1- كان أبو بكر يصلي بالمسلمين حتى إذا كان يوم الإثنين، وهم صفوف في صلاة الفجر، كشف النبي صلى الله عليه وسلم ستر الحجرة، ينظر إلى المسلمين، وهم وقوف أمام ربهم، ورأى كيف أثمر غرس دعوته وجهاده، وكيف نشأت أمة تحافظ على الصلاة، وتواظب عليها بحضرة نبيها وغيبته، وقد قرت عينه بهذا المنظر البهيج، وبهذا النجاح الذي لم يقدر لنبي أو داع قبله، واطمأن أن صلة هذه الأمة بهذا الدين وعبادة الله تعالى صلة دائمة، لا تقطعها وفاة نبيها، فملئ من السرور ما الله به عليم، واستنار وجهه وهو منير⁽¹⁾ يقول الصحابة رضي الله عنهم: كشف النبي صلى الله عليه وسلم ستر حجرة عائشة ينظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف، ثم تبسم يضحك، فهمنا أن نفتتن من الفرح، وظننا أن النبي صلى الله عليه وسلم خارج إلى الصلاة، فأشار إلينا أن أتموا صلاتكم، ودخل الحجرة، وأرخى الستر⁽²⁾ وانصرف بعض الصحابة إلى أعمالهم، ودخل أبو بكر على ابنته عائشة وقال: ما أرى رسول الله إلا قد أققع عنه الوجع، وهذا يوم بنت خارجة، إحدى زوجتيه، وكانت تسكن بالسنع⁽³⁾ فركب على فرسه وذهب إلى منزله⁽⁴⁾.

2- في الرفيق الأعلى:

واشتدت سكرات الموت بالنبي صلى الله عليه وسلم، ودخل عليه أسامة بن زيد وقد صمت فلا يقدر على الكلام، فجعل يرفع يديه إلى السماء ثم يضعها على أسامة، فعرف أنه يدعو له، وأخذت السيدة عائشة رسول الله وأوسدته إلى صدرها بين سحرها ونحرها⁽⁵⁾، فدخل عبد الرحمن بن أبي بكر وببده سواك، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليه، فقالت عائشة: آخذه

(1) انظر: السيرة النبوية للندوي، ص401.

(2) البخاري، كتاب المغازي، رقم 4448.

(3) السنع: موضع خارج المدينة كان للصدوق مال فيه وبيت.

(4) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبه (593/2).

(5) السحر: الرنة. النحر: الثغرة التي في أسفل العنق.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

لك؟ فأشار برأسه: نعم، فأخذته من أخيها ثم مضغته ولينته وناولته إياه فاستاك به كأحسن ما يكون الاستياك، وكل ذلك وهو لا ينفك عن قوله: «في الرفيق الأعلى»⁽¹⁾ وكان صلى الله عليه وسلم يدخل يده في ركوة ماء أو علبه فيها ماء، فيمسح بها وجهه ويقول: «لا إله إلا الله، إن للموت سكرات» ثم نصب يده فجعل يقول: «في الرفيق الأعلى».. حتى قبض ومالت يده⁽²⁾، وفي لفظ أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «اللهم أعني على سكرات الموت»⁽³⁾.

وفي رواية: أن عائشة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وأصغت إليه قبل أن يموت وهو مسند ظهره يقول: «اللهم اغفر لي وارحمني، وألحطني بالرفيق الأعلى»⁽⁴⁾.

وقد ورد أن فاطمة رضي الله عنها قالت: وأكرب أباه! فقال لها: «ليس على أبيك كرب بعد اليوم»، فلما مات قالت: يا أبتاه.. أجاب ربا دعاه، يا أبتاه.. جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه.. إلى جبريل ننعاه، فلما دفن صلى الله عليه وسلم قالت فاطمة لأنس: كيف طابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب؟!⁽⁵⁾.

3- كيف فارق رسول الله الدنيا؟

فارق رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا وهو يحكم جزيرة العرب، ويرهبه ملوك الدنيا، ويفديه أصحابه بنفوسهم وأولادهم وأموالهم، وما ترك عند موته ديناراً ولا درهماً، ولا عبداً ولا أمة، ولا شيئاً إلا بغلته البيضاء، وسلاحه وأرضاً جعلها صدقة⁽⁶⁾.

وتوفي صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير⁽⁷⁾.

وكان ذلك يوم الإثنين 12 من ربيع الأول سنة 11 للهجرة بعد الزوال⁽¹⁾ وله صلى الله عليه

(1) البخاري، كتاب المغازي رقم 4437.

(8) الترمذي، كتاب الجنائز رقم 978.

(7) البخاري، كتاب المغازي، رقم 4449.

(2) البخاري، كتاب المغازي، رقم 4462.

(1) البخاري، كتاب المغازي، رقم 4440.

(4) انظر: السيرة النبوية للنذوي، ص 403.

(3) البخاري، كتاب المغازي، رقم 4461.

وسلم ثلاث وستون سنة⁽²⁾، وكان أشد الأيام سواداً ووحشة ومصائباً على المسلمين، ومحنة كبرى للبشرية، كما كان يوم ولادته أسعد يوم طلعت فيه الشمس⁽³⁾.

يقول أنس رضي الله عنه: كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضواء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء⁽⁴⁾ وبكت أم أيمن فقيل لها: ما يبكيك على النبي؟ قالت: إني قد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيموت، ولكن إنما أبكي على الوحي الذي رفع عنا⁽⁵⁾.

4- هول الفاجعة وموقف أبي بكر منها:

قال ابن رجب: ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم اضطرب المسلمون، فمنهم من دهش فحولط، ومنهم من أقعد فلم يطق القيام، ومنهم من اعتقل لسانه فلم يطق الكلام، ومنهم من أنكر موته بالكلية⁽⁶⁾.

قال القرطبي مبينا عظم هذه المصيبة وما ترتب عليها من أمور:

من أعظم المصائب المصيبة في الدين.. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصابه بي، فإنها أعظم المصائب»⁽⁷⁾ وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن المصيبة به أعظم من كل مصيبة يصاب بها المسلم بعده إلى يوم القيامة، انقطع الوحي، وماتت النبوة، وكان أول ظهور الشر بارتداد العرب، وغير ذلك، وكان أول انقطاع الخير وأول نقصانه⁽⁸⁾.

(5) انظر: البداية والنهاية (223/4). (6) مسلم، كتاب الفضائل (1825/4).

(3) انظر: السيرة النبوية للندوي، ص404. (8) الترمذي (549/5) رقم 3618.

(5) مسلم (1907/4). (10) انظر: لطائف المعارف، ص114.

(7) انظر: السلسلة الصحيحة للألباني، رقم 1106.

(8) انظر: تفسير القرطبي (176/2).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

لقد أذهل نأ الوفاة عمر رضي الله عنه فصار يتوعد وينذر من يزعم أن النبي مات، ويقول: ما مات، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم، والله ليرجعن رسول الله كما رجع موسى، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أنه مات⁽¹⁾.

ولما سمع أبو بكر الخبر أقبل على فرس من مسكنه بالسنح، حتى نزل، فدخل المسجد، فلم يكلم الناس، حتى دخل على عائشة فتيمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مغشي بثوب حبرة، فكشف عن وجهه، ثم أكب عليه فقبله وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي! والله لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي عليك فقد متها⁽²⁾، وخرج أبو بكر وعمر يتكلم، فقال: اجلس يا عمر، وهو ماض في كلامه، وفي ثورة غضبه، فقام أبو بكر في الناس خطيباً بعد أن حمد الله وأثنى عليه فقال:

أما بعد: فإن من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ثم تلا هذه الآية: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) [آل عمران: 144].

قال عمر: فوالله ما إن سمعت أبا بكر تلاها فهويت إلى الأرض ما تحملني قدماي، وعلمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات⁽³⁾.

قال القرطبي: هذه الآية أدل دليل على شجاعة الصديق وجراسته، فإن الشجاعة والجراة حدهما ثبوت القلب عند حلول المصائب، ولا مصيبة أعظم من موت النبي صلى الله عليه وسلم، فظهرت شجاعته وعلمه، قال الناس: لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم

(1) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (594/2).

(2) البخاري، كتاب المغازي، رقم 4452.

(3) البخاري، كتاب المغازي، رقم 4454.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

ومنهم عمر، وخرس عثمان، واستخفى علي، واضطرب الأمر، فكشفه الصديق بهذه الآية حين قدومه من مسكنه بالسنع(1).

فرحم الله الصديق الأكبر، كم من مصيبة درأها عن الأمة! وكم من فتنة كان المخرج على يديه! وكم من مشكلة ومعضلة كشفها بشهب الأدلة من القرآن والسنة، التي خفيت على مثل عمر رضي الله عنه! فاعرفوا للصديق حقه، واقدروا له قدره، وأحبوا حبيب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحبه إيمان وبغضه نفاق(2).

5- بيعة أبي بكر بالخلافة:

وبايع المسلمون أبا بكر بالخلافة، في سقيفة بني ساعدة، حتى لا يجد الشيطان سبيلاً إلى تفريق كلمتهم، وتمزيق شملهم، ولا تلعب الأهواء بقلوبهم، وليفارق رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الدنيا وكلمة المسلمين واحدة، وشملهم منتظم، وعليهم أمير يتولى أمورهم، ومنها تجهيز رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنه(3) والحديث عن بيعة أبي بكر سنتكلم عنه بالتفصيل عند الدخول في عصر الخلفاء الراشدين، إن شاء الله تعالى.

6- غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفنه والصلاة عليه:

قالت عائشة رضي الله عنها: لما أرادوا غسل النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: ما ندرى أنجرده من ثيابه كما نجرد موتانا، أو نغسله وعليه ثيابه، فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم حتى ما منهم رجل إلا وذقنه في صدره، فكلهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو، أن اغسلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه، فغسلوه وعليه قميصه، يصبون الماء فوق القميص، ويدلكون بالقميص دون أيديهم، قالت عائشة: لو استقبلت من أمري ما

(1) انظر: تفسير القرطبي (222/4).

(2) انظر: مرض النبي ووفاته، ص24.

(3) انظر: السيرة النبوية للنذوي، ص406.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

استدبرت ما غسله إلا نساؤه⁽¹⁾.

وكفن صلى الله عليه وسلم في ثلاثة أثواب سحولية، من ثياب سحول -بلدة باليمن- ليس فيها قميص ولا عمامة⁽²⁾ وقد صلى عليه المسلمون. قال ابن عباس: لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم أدخل الرجال فصلوا عليه بغير إمام أرسالا، حتى فرغوا، ثم أدخل النساء فصلين عليه، ثم أدخل الصبيان فصلوا عليه، ثم أدخل العبيد فصلوا عليه أرسالا، لم يؤمهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد⁽³⁾.

قال ابن كثير: وهذا الصنيع -وهو صلاتهم عليه فرادى لم يؤمهم أحد- أمر مجمع عليه لا خلاف فيه⁽⁴⁾.

7- موقع دفنه وصفة قبره ومن باشر دفنه؟ ومتى دفن؟

اختلف المسلمون في موقع دفنه فقال بعضهم: يدفن عند المنبر، وقال آخرون: بالبقيع، وقال قائل: في مصلاه⁽⁵⁾، فجاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه فحسم مادة هذا الخلاف أيضا بما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت عائشة وابن عباس: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وغسلوا في دفنه، فقال أبو بكر: ما نسيت ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما قبض الله نبيا إلا في الموضع الذي يجب أن يدفن فيه»، ادفنوه في موضع فراشه⁽⁶⁾. وهذا الحديث وإن كان مختلفا في صحته إلا أن دفن النبي صلى الله عليه وسلم في موضعه الذي توفي فيه أمر مجمع عليه⁽⁷⁾.

وقال ابن كثير: قد علم بالتواتر أنه عليه الصلاة والسلام دفن في حجرة عائشة التي كانت

(1) المستدرك للحاكم (59/3، 60) وقال: صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وصححه ابن حبان.
(2) انظر: مختصر سيرة الرسول، ص37، تهذيب الأسماء للنووي، ص23، مسلم (650/2) كتاب الجنائز رقم 45

(3) انظر: دلائل النبوة، (250/7) وسنن ابن ماجه رقم 1628، والحديث فيه ضعف.

(4) انظر: البداية والنهاية (232/5).

(5) الموطأ رقم 545، ابن سعد (293/2).

(6) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص727.

(7) انظر: مرض النبي ووفاته، ص160.

(5) انظر: البداية والنهاية (238/5).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

تختص بها، شرقي مسجده في الزاوية الغربية القبلية من الحجرة، ثم دفن فيها أبو بكر، ثم عمر، رضي الله عنهما⁽¹⁾.

وقد لحد⁽²⁾ قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد أجمع العلماء على أن اللحد والشق⁽³⁾ جائزان، لكن إذا كانت الأرض صلبة لا ينهار ترابها فاللحد أفضل، وإن كانت رخوة تنهار فالشق أفضل⁽⁴⁾.

وقد قال الألباني -رحمه الله-: ويجوز في القبر اللحد والشق لجريان العمل عليهما في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن الأول أفضل⁽⁵⁾ لأن الله تعالى لا يختار لنبيه إلا الأفضل⁽⁶⁾، وأما صفة قبره فقد كان مسنماً⁽⁷⁾ أي مرتفعاً، وذهب جمهور العلماء إلى أن المستحب في بناء القبور هو التسنيم وأنه أفضل من التسطيح⁽⁸⁾، وفي المسألة خلاف طويل ليس هذا محله، وقد قرب ابن القيم رحمه الله بين المذهبين فقال: وكانت قبور أصحابه لا مشرفة، ولا لائطة، وهكذا كان قبره الكريم، وقبرا صاحبيه، فقبره صلى الله عليه وسلم مسنم مبطوح ببطحاء العرصة الحمراء، لا مبني ولا مطين، وهكذا قبرا صاحبيه⁽⁹⁾ وقد كان قبره صلى الله عليه وسلم مرتفعاً قليلاً عن سطح الأرض⁽¹⁰⁾.

وأما الذين باشرُوا دفنه صلى الله عليه وسلم فقال ابن إسحاق: وكان الذين نزلوا في قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب، والفضل بن عباس، وقثم بن عباس، وشقران

(6) اللحد: الشق الذي يعمل في جانب القبر لموضع الميت.

(3) والشق: أي يحفر في وسط الأرض.

(9) انظر: أحكام الجنائز، ص144.

(6) انظر: مرض النبي ووفاته، ص160 وقد استفتت من هذا الكتاب فائدة كبرى في مبحث مرض وفاة الرسول

(7) البخاري، كتاب الجنائز رقم 1390. (12) انظر: مرض النبي ووفاته، ص164.

(1) انظر: زاد المعاد (524/1).

(3) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (321/4).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم⁽¹⁾، وزاد النووي⁽²⁾ والمقدسي⁽³⁾: العباس، قال النووي: ويقال كان أسامة بن زيد وأوس بن خولي⁽⁴⁾ معهم. ودفن في اللحد، وبنى عليه صلى الله عليه وسلم في لحدّه اللبن، يقال إنها تسع لبنات، ثم أهالوا التراب⁽⁵⁾.

وأما وقت دفنه فقد ذهب كثير من العلماء إلى أنه دفن ليلة الأربعاء، قال ابن كثير: والمشهور عن الجمهور ما أسلفناه من أنه عليه السلام توفي يوم الإثنين ودفن ليلة الأربعاء⁽⁶⁾.

لقد كان لوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أثر على الصحابة الكرام، فقد قال أنس رضي الله عنه: وما نفضنا عن النبي صلى الله عليه وسلم الأيدي -إنا لفي دفنه- حتى أنكرنا قلوبنا⁽⁷⁾.

سادساً: بعض ما قيل من المراثي في وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم:

1- ما قاله حسان رضي الله عنه في موت رسول الله:

لقد نافح حسان بن ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته، ودافع عن الإسلام والمسلمين بقصائده الرائعة التي هزت عرب الجزيرة وفعلت فيهم الأفاعيل، ولقد تأثر بموت حبيبنا صلى الله عليه وسلم فرثاه بقصائد مبكية حزينة، حفظها لنا التاريخ، ولم تهملها الليالي، ولم تفصلها عنا حواجز الزمن، ولا أسوار القرون، فمما قاله يبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ما بال عينك لا تنام كأنها كحلت مآقيها⁽⁸⁾ بكحل الأرمد⁽⁹⁾

(2) انظر: تهذيب الأسماء، ص23.

(3) انظر: مختصر السيرة، ص35.

(4) انظر: مرض النبي ووفاته، ص173.

(5) انظر: تهذيب الأسماء للنووي، ص23.

(6) انظر: البداية والنهاية (237/5) صحيح السيرة النبوية، ص728.

(7) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص729.

(8) المآقي: جمع مآق ومؤق وهي مجاري الدمع من العين

(9) الأرمد: الذي يشتكي وجع العين

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

جزعا على المهدي أصبح ثاوياً
وجهي يقيك التراب لهفي ليتني
بأبي وأمي من شهدت وفاته
فظللت بعد وفاته متبلدا
أأقيم بعدك بالمدينة بينهم؟!
أو حلّ أمر الله فينا عاجلاً
فتقوم ساعتنا فنلقى طيباً
يا بكر آمنة المبارك بكرها
نوراً أضاء على البرية كلها
يا رب فاجمعنا معا ونبيننا
في جنة الفردوس فاكتبها لنا
والله أسمع ما بقيت بهالك
يا ويح أنصار النبي ورهطه!
ضاقّت بالانصار البلاد فأصبحوا
ولقد ولدناه⁽¹⁰⁾ وفينا قبره
والله أكرمنا به وهدى به

يا خير من وطئ الحصى لا تبعد
غيبت قبلك في بقيع الغرقد⁽¹⁾
في يوم الاثنين النبي المهتدى
متلدا⁽²⁾ يا ليتني لم أولد
يا ليتني صبحت⁽³⁾ سم الأسود⁽⁴⁾
في روحة من يومنا أو في غد
محضا ضرائب⁽⁵⁾ كريم المحتد⁽⁶⁾
ولדתه محصنة بسعد الأسعد
من يهد للنور المبارك يهتدي
في جنة تنثني عيون الحسد⁽⁷⁾
يا ذا الجلال وذا العلا والسودد
إلا بكيت على النبي محمد
بعد المغيب في سواء الملحد⁽⁸⁾
سوداً وجوههم كلون الإثم⁽⁹⁾
وفضول نعمته بنا لم تجد
أنصاره في كل ساعة مشهد

(1) بقيع الغرقد: المكان الذي يدفن فيه أهل المدينة موتاهم.

(2) متلدا: متحير.

(3) صبحت: سقيت صباحاً.

(4) الأسود: ضرب من الحيات.

(5) الضرائب: الطبايع.

(6) المحتد: الأصل.

(7) تنثني عيون الحسد: تصرفها وتدفعها.

(8) سواء الملحد: وسطهم.

(9) الإثم: كل أسود.

(10) أي بني النجار أخوال النبي p من قبل أبائه.

(11) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (328/4).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

صلى الإله ومن يحف بعرشه والطيبون على المبارك أحمد⁽¹⁾
وقال أيضا:

تالله ما حملت أنثى ولا وضعت
ولا يرى الله خلقا من بريته
من الذي كان فينا يستضاء به
إلى أن قال:

يا أفضل الناس إنني كنت في نهر
أصبحت منه كمثل المفرد
2- ومما قاله أبو بكر الصديق يبكي النبي صلى الله عليه وسلم:

لما رأيت نبينا متجندلاً
فارتاع قلبي عند ذاك لموته
أعتيق ويحك!! إن خلك قد ثوى
يا ليتني من قبل مهلك صاحبي
ضأقت عليّ بعرضهن الدور
والعظم مني - ما حييت - كسير
والصبر عندك - ما بقيت - يسير
غيبت في لحد عليه صخور
فلتحدثن بدائع من بعده
تعيأ لهن جوانح وصدور⁽³⁾

3- وقال أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم يبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أرقت فبات ليلي لا يزول
وأسعدني البكاء وذاك فيما
لقد عظمت مصيبتنا وجلت
وليل أخي المصيبة فيه طول
أصيب المسلمون به قليل
عشية قيل: قد قبض الرسول

(2) الصادي: العاطش، السيرة النبوية لابن هشام (329/4).
(3) انظر: المستطرف للأبشي، ص366، ديوان أبي بكر الصديق، طبع حديثاً حققه وشرحه راجي الأسمر، ص32، 33.

وأضحت أرضنا مما عراها تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحي والتنزيل فينا يروح به ويغدو جبرائيل
وذاك أحق ما سالت عليه نفوس الناس أو كادت تسيل
نبي كان يجلو الشك عنا بما يوحى إليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ملاما علينا والرسول لنا دليل
أفاطم، إن جرعت فذاك عذر وإن لم تجزعي فهو السبيل
فقبر أبيك سيد كل قبر وفيه سيد الناس الرسول⁽¹⁾

4- وقالت صفية بنت عبد المطلب تبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا وكنت بنا برًا ولم تك جافيا
وكنت رحيماً هادياً ومعلماً ليبيك عليك اليوم من كان باكيا
لعمرك ما أبكي النبي لفقده ولكن لما أخشى من الهرج⁽²⁾ آتيا
كأن على قلبي لذكر محمد وما خفت من بعد النبي المكاويا
أفاطم، صلى الله رب محمد على جدث أمسى بيثرب ثاويا
فدى لرسول الله أمي وخالتي وعمي وآبائي ونفسي وماليا
صدقت وبلغت الرسالة صادقا ومت صليب العود أبلج صافيا
فلو أن رب الناس أبقى نبينا سعدنا، ولكن أمره كان صافيا
عليك من الله السلام تحية وأدخلت جنات من عدن راضيا⁽³⁾

(1) انظر: الاكتفاء للكلاعي (456/2).

(2) الهرج والفتن.

(3) انظر: تفسير القرطبي (220:219/4).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة
info@libya-web.net - libya-web.net

الخاتمة

وبعد، فهذا ما يسره الله لي من جمع وترتيب وتحليل تضمنتها فصول هذا الكتاب، فيما يتعلق «بالسيرة النبوية .. عرض وقائع وتحليل أحداث» فما كان فيه من صواب فهو محض فضل الله عليّ فله الحمد والمنة، وما كان فيه من خطأ فاستغفر الله تعالى وأتوب إليه، والله ورسوله بريء منه، وحسبي أني كنت حريصاً أن لا أقع في الخطأ وعسى أن لا أحرم من الأجر.

وأدعو الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب إخواني المسلمين، وأن يذكرني من يقرؤه في دعائه، فإن دعوة الأخ لأخيه في ظهر الغيب مستجابة إن شاء الله تعالى، وأختتم هذا الكتاب بقول الله تعالى: (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) [الحشر: 10].

ويقول الشاعر:

إلهي أنت للإحسان أهل	ومنك الجود والفضل الجزيل
إلهي بات قلبي في هموم	وحالي لا يسرُّ به خليل
إلهي تب وجد وارحم عبداً	من الأوزار مدمعه يسيل
إلهي ثوب جسمي دنسُهُ	ذنوب حملها أبداً ثقیل
إلهي جد بعفوك لي فإني	على الأبواب منكسر ذليل
إلهي خاني جلدي وصبري	وجاء الشيب واقترب الرحيل
إلهي داوني بدواء عفو	به يُشفى فؤادي والغليل
إلهي ذاب قلبي من ذنوبي	ومن فعل القبيح أنا القَتيل

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

إلهي قلت ادعوني أجبكم فهالك العبد يدعو يا وكيل
 إلهي هذه الأوقات تمضي بأعمار لنا وبها تزول
 ويقول الشاعر:

اطلب العلم ولا تكسل فما أبعد الخير على أهل الكسل
 احتفل للفقهاء في الدين ولا تشتغل عنه بمال وحول
 واهجر النوم وحصله فمن يعرف المطلوب يحقر ما بذل
 لا تقل قد ذهبت أربابه كل من سار على الدرب وصل

سبحانك الله وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

* * *

المصادر والمراجع

(أ)

- 1- آثار الحرب في الفقه الإسلامي، د. وهبة الزحيلي، دراسة مقارنة، دار الفكر، 1981م.
- 2- آثار تطبيق الشريعة، د. محمد عبد الله الزاحم، دار المنار، الطبعة الأولى، 1412هـ - 1991م.
- 3- آفات على الطريق، محمد سيد نوح، دار الوفاء، المنصورة، مصر، 1990م.
- 4- أسد الغابة في معرفة الصحابة، علي بن أبي الكرم ابن الأثير.
- 5- الأم، محمد إدريس الشافعي، طبعة الفكر، بيروت، لبنان، سنة 1410هـ - 1990م.
- 6- الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن السيوطي، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان.
- 7- الإدارة الإسلامية في عصر عمر بن الخطاب، د. فاروق مجدلاوي، دار مجدلاوي، عمان.
- 8- الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق علي محمد البجاوي، دار النهضة مصر.
- 9- الاعتصام للإمام الشاطبي، دار الفكر، الناشر مكتبة الرياض الحديثة بالرياض.
- 10- الإعلام في صدر الإسلام، د. عبد اللطيف حمزة، دار الفكر.
- 11- إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع، للشيخ أحمد المقرئ، صححه وشرحه محمود محمد شاكر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة بالقاهرة 1941م.
- 12- الأحاديث الواردة في فضائل المدينة، صالح الرفاعي، دار الخضير، المدينة، 1418هـ.
- 13- أحكام الجنائز وبدعها للألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.
- 14- أحكام السوق في الإسلام، أحمد الدريويش، دار عالم الكتب، 1409هـ - 1989م.
- 15- أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي تحقيق: محمد عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية بيروت، ط1/1408هـ.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

- 16-** الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن الميداني، دار القلم، دمشق.
- 17-** الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية، محمود محمد الجوهري.
- 18-** إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني -إشراف زهير الشاويش.
- 19-** الأساس في السنة وفقهها، السيرة النبوية، سعيد حوى، دار السلام بمصر، 1989م.
- 20-** الأساس في السنة، سعيد حوى، دار السلام، مصر.
- 21-** أساليب التشويق والتعزيز في القرآن الكريم، د. الحسين جرنو محمود جلو، مؤسسة الرسالة، دار العلوم الإنسانية، الطبعة الأولى 1414هـ - 1994م.
- 22-** أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1402هـ - 1982م.
- 23-** أسباب هلاك الأمم السالفة، سعيد محمد بابا سيلا، سلسلة الحكمة البريطانية، 2000م.
- 24-** الاستخبارات العسكرية في الإسلام، عبد الله علي السلامة مناصرة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1412هـ - 1991م.
- 25-** الإسلام في خندق، مصطفى محمود، دار أخبار اليوم القاهرة، مصر، 1994م.
- 26-** أصول الفكر السياسي في القرآن المكي، التجاني عبد القادر حامد، الطبعة الأولى، عمان، الأردن، دار البشير 1416هـ - 1995م.
- 27-** أضواء على الهجرة، توفيق محمد سبع، مطبعة الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية 1973م.
- 28-** أعلام النبوة للماوردي، الكليات الأزهرية.
- 29-** إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان، لابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية بيروت.
- 30-** الاكتفاء بما تضمنه من مغازي الرسول والثلاثة الخلفاء، تأليف أبي الربيع سليمان ابن موسى

الكلاعي الأندلسي، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1417هـ - 1997م.

- 31- الأموال، أبو عبيد القاسم بن سلام، مؤسسة ناصر الثقافية، بيروت.
 - 32- الانحرافات العقيدة والعلمية، علي بن نجيب الزهراني، دار طيبة، 1418هـ.
 - 33- أنساب الأشراف للبلاذري، تحقيق محمد حميد الله، دار المعارف - مصر.
 - 34- الأنساب، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد السمعاني، تحقيق عبد الرحمن المعلمي اليماني، نشر مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند 1382هـ-1962م.
 - 35- أهمية الجهاد في نشر الدعوة، د. علي العلياني، دار طيبة، الطبعة الأولى، 1405هـ.
 - 36- الإيمان والحياة، يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة العاشرة، 1984م.
- (ب)
- 37- البحر الرائق في الزهد والرقائق، أحمد فريد، دار البخاري، القصيم بالسعودية.
 - 38- بدائع السالك في طبائع الملك، أبو عبد الله بن الأزرق، تحقيق وتعليق علي سامي النشار، منشورات وزارة الإعلام، الجمهورية العراقية.
 - 39- البداية والنهاية، أبو الفداء ابن كثير الدمشقي. دار الريان للتراث.
 - 40- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، محمود شكري الألوسي، تحقيق محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية.
 - 41- بناء المجتمع الإسلامي في عصر النبوة، محمد توفيق رمضان، دار ابن كثير، دمشق.
 - 42- بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل، شرح جمال الدين محمد الأشخر اليماني، دار صادر - بيروت.

(ت)

43- تأملات في سورة الكهف للشيخ أبي الحسن الندوي، دار القلم.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

44- تأملات في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، د. محمد السيد الوكيل، دار المجتمع،

1408هـ.

45- تاريخ الإسلام للذهبي (المغازي)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي.

46- التاريخ الإسلامي مواقف وعبر، د. عبد العزيز الحميدي، دار الدعوة، الإسكندرية.

47- التاريخ السياسي والحضاري، د. السيد عبد العزيز سالم.

48- التاريخ السياسي والعسكري لدولة المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، استراتيجية

الرسول السياسية والعسكرية، د. علي معطي، مؤسسة المعارف بيروت.

49- تاريخ الطبري، لأبي جعفر بن جرير، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت.

50- تاريخ اليهود في بلاد العرب، ولفنسون، طبعة القاهرة 1927م.

51- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، مطبعة الآداب، النجف، 1967م.

52- تاريخ دولة الإسلام الأولى، فايد حماد عاشور، سليمان أبو عذب، دار قطري بن الفجاءة،

الدوحة، الطبعة الأولى، 1409هـ - 1989م.

53- تاريخ صدر الإسلام، عبد الرحمن عبد الولي شجاع، دار الفكر المعاصر، صنعاء.

54- التحالف السياسي في الإسلام، منير محمد الغضبان، دار السلام، الطبعة الثانية 1988م.

55- التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار الكتب الشرقية تونس.

56- تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي لمحمد بن عبد الرحمن المباركفوري، مطبعة الاعتماد، نشر

محمد عبد المحسن الكتبي، تصحيح عبد الرحمن محمد عثمان.

57- تحفة الأشراف، أبو الحجاج يوسف المزي، الدار القيمة 1384هـ.

58- التربية القيادية، منير الغضبان، دار الوفاء المنصورة، الطبعة الأولى، 1418هـ - 1998م.

59- تفسير ابن أبي حاتم (تفسير القرآن العظيم)، ابن أبي حاتم - تحقيق أسعد الطيب - مكتبة نزار

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

مصطفى الباز - السعودية - ط2/ 1419هـ - 1999م.

60- تفسير أبي السعود، المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لقاضي القضاة أبي السعود محمد العمادي الحنفي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، مطبعة السعادة، القاهرة.

61- تفسير ابن كثير، ابن كثير القرشي، دار الفكر ودار القلم، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية.

62- تفسير الآلوسي، المسمى روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للآلوسي (محمود الآلوسي البغدادي) إدارة الطباعة المصطفائية بالهند.

63- تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل، الإمام الفراء البغوي الشافعي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

64- تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تأليف الإمام ناصر الدين أبو الخير عبد الله الشيرازي البيضاوي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع 1402هـ - 1982م.

65- تفسير الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة.

66- تفسير الزمخشري المسمى بالكشاف، دار المعرفة 1967م.

67- تفسير السعدي المسمى تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن ناصر السعدي، المؤسسة السعدية بالرياض، 1977م.

68- تفسير القرطبي، لأبي عبد الله القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1965م.

69- تفسير المراغي، لأحمد مصطفى المراغي، طبع دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1394هـ.

70- تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

71- التفسير المنير، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى

1411هـ - 1991م.

72- تفسير النسفي المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل، تأليف الإمام عبد الله أحمد بن محمد

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

النسفي، المتوفى سنة 710هـ، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت.

73- تفسير ابن عطية المسمى المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق ابن عطية الأندلسي، من مطبوعات رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر، الطبعة الأولى، 1412هـ - 1991م.

74- تفسير سورة فصلت، د. محمد صالح علي مصطفى، دار النفائس، الطبعة الأولى، 1409هـ - 1989م.

75- تلقيح فهم أهل الأثر، لابن الجوزي، مكتبة الآداب، القاهرة، دون ذكر الطبعة.

76- التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم، محمد السيد حمد يوسف، دار السلام، مصر، الطبعة الأولى 1418هـ - 1997م.

77- تنظيمات الرسول الإدارية في المدينة، صالح أحمد العلي، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد السابع عشر، بغداد 1969م.

78- تنوير الحوائك شرح موطأ مالك، جلال الدين السيوطي، دار إحياء الكتب.

79- تهذيب مدارج السالكين لابن القيم، هذبه عبد المنعم صالح العلي العزي مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1409هـ - 1989م.

(ج)

80- جامع الأصول، لابن الأثير المتوفى سنة 606هـ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، طبع مكتبة الحلواني سوريا، عام 1392هـ.

81- جامع العلوم والحكم، للإمام ابن رجب الحنبلي، دار الفكر، بيروت.

82- الجامع لأخلاق الراوي، وآداب السامع للخطيب البغدادي، مكتبة المعارف بالرياض، 1403هـ - 1983م.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

83- الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، محمد خير هيكل، دار البيارق، عمان، بيروت الطبعة

الأولى 1414هـ - 1993م.

84- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية، مطابع المجد.

85- جوامع السيرة لابن حزم، المتوفى 456هـ، تحقيق الدكتور إحسان عباس والدكتور ناصر الدين

الأسد، طبع دار إحياء السنة باكستان 1368هـ.

86- جيل النصر المنشود، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، الطبعة السادسة،

1405هـ - 1985م.

(ح)

87- حاشية ابن عابدين، مطابع مصطفى البابي وأولاده.

88- حدائق الأنوار ومطالع الأسرار، لابن الدَّبَّع الشَّيباني، تحقيق عبد الله إبراهيم الأنصاري.

89- حديث القرآن عن غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم، د. محمد بكر آل عابد، دار الغرب

الإسلامي، الطبعة الأولى.

90- الحرب النفسية ضد الإسلام في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة، د. عبد الوهاب

كحيل، عالم الكتب بيروت، الطبعة الأولى، 1406هـ - 1986م.

91- الحركة السنوسية في ليبيا، علي محمد الصلابي، دار البيارق، عمان طبعة أولى 1999م.

92- حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته، د. محمد بن خليفة التميمي، دار أضواء السلف،

الطبعة الأولى، 1418هـ - 1997م.

93- الحكم والتحاكم في خطاب الوحي، عبد العزيز مصطفى كامل، دار طيبة، الطبعة الأولى،

1415هـ - 1995م.

94- الحكومة الإسلامية، أبو الأعلى المودودي، ترجمة أحمد إدريس، المختار الإسلامي للطباعة

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1397هـ - 1977م.

95- حلية الأولياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، مطبعة السعادة، مصر، 1351هـ.

96- حوار الرسول مع اليهود، د. محسن الناظر، الطبعة الثانية، 1412هـ - 1992م، دار الوفاء.

(خ)

97- خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، للشيخ محمد أبي زهرة، دار الفكر بيروت الطبعة الأولى 1972م.

98- الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، الطبعة الرابعة 1409هـ - 1989م.

99- الخصائص الكبرى، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية بيروت.

(د)

100- دائرة المعارف الكاثوليكية، مقال التثليث.

101- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، الإمام السيوطي، الناشر محمد أمين دمج، بيروت، لبنان.

102- دراسات في السيرة النبوية، د. عماد الدين خليل، دار النفائس، بيروت الطبعة الحادية عشرة 1409هـ - 1989م.

103- دراسات في عهد النبوة، د. عبد الرحمن الشجاع، دار الفكر المعاصر، صنعاء، اليمن، الطبعة الأولى، 1419هـ - 1999م.

104- دراسات قرآنية، محمد قطب، دار الشروق، الطبعة الخامسة 1408هـ - 1988م.

105- دراسة تحليلية لشخصية الرسول، د. محمد قلججي، دار النفائس الطبعة الأولى، سنة 1408هـ - 1988م.

106- الدرر في اختصار المغازي والسير، يوسف بن عبد البر، وزارة الأوقاف بمصر، لجنة إحياء

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

التراث، القاهرة 1412هـ - 1994م.

- 107-** دروس في الكتمان، محمود شيت خطاب، مكتبة النهضة، بغداد، الطبعة العاشرة، 1988م.
- 108-** دستور للأمة من القرآن والسنة، د. عبد الناصر العطار، مؤسسة علوم القرآن، الشارقة، الإمارات، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، 1414هـ - 1993م.
- 109-** الدعوة الإسلامية، عبد الغفار عزيز.
- 110-** دعوة الله بين التكوين والتمكين، د. علي جريشة، مكتبة وهبة، مصر، الطبعة الأولى، 1406هـ - 1986م.
- 111-** دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، للحافظ أبي بكر أحمد البيهقي، تحقيق عبد المعطي قلنجي، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى، 1405هـ.
- 112-** دور المرأة في خدمة الحديث، آمال قرداش، كتاب الأمة، الطبعة الأولى، 1420هـ.
- 113-** دولة الرسول صلى الله عليه وسلم من التكوين إلى التمكين، كامل سلامة الدقس، دار عمار، عمان، الطبعة الأولى، 1415هـ - 1994م.
- 114-** الدولة العربية الإسلامية، منصور الحرابي، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية بليبيا الطبعة الثانية 1983م.
- 115-** ديوان أبي بكر الصديق، حققه وشرحه راجي الأسمر، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى، 1997م.
- 116-** ديوان شوقي، الأعمال الشعرية الكاملة، دار العودة، بيروت، طبعة 1986م.
- 117-** ديوان عنتره، فاروق الطباع، دار القلم بيروت، لبنان.
- (ر)
- 118-** الرؤى والأحلام في النصوص الشرعية، أسامة عبد القادر.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

- 119-** الرؤيا ضوابطها وتفسيرها، هشام الحمصي، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، 1417هـ - 1996م.
- 120-** رجال الإدارة في الدولة الإسلامية، د. حسين محمد سليمان، دار الإصلاح، الدمام بالسعودية.
- 121-** الرحيق المختوم، لصفي الدين عبد الرحمن المباركفوري، الطبعة الأولى، 1417هـ - 1996م، مؤسسة الرسالة، لبنان.
- 122-** رسالة الأنبياء، عمر أحمد عمر، دار الحكمة دمشق، الطبعة الأولى، 1418هـ - 1997م.
- 123-** الرسول القائد، محمود شيت خطاب، دار مكتبة الحياة ومكتبة النهضة بغداد الطبعة الثانية، 1960م.
- 124-** الرسول المبلغ، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، 1418هـ - 1997م.
- 125-** الرسول المعلم وأساليبه في التعليم للشيخ عبد الفتاح أبي غدة، دار مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الأولى 1417هـ - 1996م.
- 126-** الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، لأبي القاسم السهيلي، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب الحديثة، طبعة 1387هـ.
- (ز)
- 127-** زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج الجوزي، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1384هـ - 1965م.
- 128-** زاد المعاد في هدي خير العباد، أبو عبد الله ابن القيم حقه: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر، الطبعة الأولى، 1399هـ، دار الرسالة.
- 129-** زاد اليقين لأبي شنب، لاشين أبو شنب، دار البشير، طنطا، مصر، الطبعة الأولى، 1413هـ - 1993م.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

130- الزهد، أحمد بن حنبل، دار الريان للتراث، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية، 1412هـ

1992م.

131- زيد بن ثابت، كاتب الوحي، وجامع القرآن، صفوان داوودي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى،

1411هـ - 1990م.

(س)

132- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحي، تحقيق: مصطفى عبد

الواحد، لجنة إحياء التراث الإسلامي، 1394هـ - 1974م.

133- السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة، د. بريك محمد بريك، دار ابن الجوزي، الطبعة

الأولى، 1417هـ - 1996م.

134- السفارات النبوية، د. محمد العقيلي، دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الأولى، 1406هـ -

1986م.

135- سفراء الرسول، محمود شيت خطاب، مؤسسة الريان، دار الأندلس الخضراء، الطبعة الأولى،

1417هـ - 1996م.

136- سنن الدارقطني: على بن عمر الدارقطني وبذيله التعليق المغني لأبي الطيب محمد شمس الحق

العظيم آبادي - عالم الكتب - لبنان - دون تاريخ.

137- سنن أبي داود: الإمام أبو داود السجستاني، تحقيق وتعليق عزت الدعاس، 1391هـ، سوريا.

138- سنن ابن ماجه: الحافظ أبو عبد الله بن زيد القزويني، دار الفكر.

139- سنن الترمذي: الإمام أبو عيسى الترمذي، دار الفكر، 1398هـ.

140- سنن النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، مطبعة مصطفى الحلبي القاهرة،

1964م.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

- 141-** سير أعلام النبلاء: شمس الدين الذهبي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1403هـ.
- 142-** السير والمغازي لابن إسحاق، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، طبعة أولى 1978م.
- 143-** السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، علي بن برهان الدين الحلبي، دار المعرفة.
- 144-** سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم صور مقتبسة من القرآن الكريم، تأليف الأستاذ محمد عزة دروزة، عني بها الأستاذ عبد الله إبراهيم الأنصاري، المؤتمر العالمي للسيرة النبوية الدوحة 1400هـ.
- 145-** السيرة النبوية، أبو الحسن الندوي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة ط7/1408.
- 146-** السيرة النبوية، دراسة تحليلية، محمد أبو فارس، دار الفرقان، عمان الطبعة الأولى 1418هـ - 1997م.
- 147-** السيرة النبوية، للذهبي، تحقيق حسام الدين القدسي، مكتبة هلال بيروت.
- 148-** السيرة النبوية الصحيحة، د. أكرم العمري، الطبعة الأولى 1412هـ / 1992م، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة.
- 149-** السيرة النبوية تربية أمة وبناء دولة، صالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1412هـ - 1992م.
- 150-** السيرة النبوية دروس وعبر، د. مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة التاسعة، 1406هـ - 1986م.
- 151-** السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، محمد أبو شهبه، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة، 1417هـ - 1996م.
- 152-** السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، د. مهدي رزق الله أحمد، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض الطبعة الأولى، 1412هـ - 1992م.

153- السيرة النبوية لأبي حاتم البستي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت الطبعة الأولى 1407هـ

- 1987م.

154- السيرة النبوية، لأبي محمد بن عبد الملك بن هشام، دار الفكر، بدون تاريخ.

155- السيرة النبوية، لابن كثير، للإمام أبي الفداء إسماعيل، تحقيق مصطفى عبد الواحد، الطبعة

الثانية، 1398هـ، دار الفكر بيروت، لبنان.

156- السيرة النبوية، لمحمد الصوياني، مؤسسة الريان، الطبعة الأولى، 1420هـ - 1999م.

(ش)

157- شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

158- شرح ديوان حسان بن ثابت، ضبطه وصححه عبد الرحمن البرقوقي - دار الأندلس بيروت،

بدون تاريخ

159- شرح السنة، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد،

دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1965م، القاهرة.

160- شرح الشفا: نور الدين ملا علي قاري- تحقيق حسنين مخلوف، مطبعة المدني - القاهرة-

مصر - 1398هـ

161- شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، تحقيق وتعليق وتخريج أحاديث وتقديم د/ عبد

الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرناؤوط، ط4، 1412هـ - 1992م، مؤسسة الرسالة،

بيروت.

162- شرح المعلقات للحسين الزوزني، تحقيق يوسف علي بدوي، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة

الأولى، 1410هـ - 1989م.

163- شرح المواهب اللدنية للقسطلاني، لمحمد بن عبد الباقي الزرقاني، دار المعرفة، بيروت.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

164- شرح النووي على صحيح مسلم للإمام النووي المتوفى 676هـ - طبع المطبعة المصرية

ومكتبتها - القاهرة عام 1347هـ.

165- الشفاء في التعريف بحقوق المصطفى، الإمام القاضي عياض، استانبول، عثمانية.

(ص)

166- صبح الأعشي في صناعة الإنشاء، أحمد بن علي القلقشندي، تحقيق محمد حسين شمس الدين،

دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1407هـ - 1987م.

167- الصحابي الشاعر عبد الله بن الزبير، تأليف محمد علي كابتی، دار القلم، دمشق، الطبعة

الأولى، 1419هـ - 1999م.

168- صحيح البخاري، محمد إسماعيل البخاري، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1411هـ - 1991م.

169- صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان،

الطبعة الثالثة 1408هـ - 1988م.

170- صحيح السيرة النبوية للطرهوني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الأولى 1414هـ.

171- صحيح السيرة النبوية، إبراهيم العلي، دار النفائس، الطبعة الثالثة، 1408هـ - 1998م.

172- صحيح سنن ابن ماجه: ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربية لدول الخليج الرياض،

الطبعة الثالثة، 1408هـ - 1988م.

173- صحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة المصرية بالأزهر، الطبعة الأولى، 1347هـ - 1929م.

174- صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان الطبعة

الثانية، 1972م.

175- الصراع مع الصليبيين، محمد عبد القادر أبو فارس، دار البشير، طنطا، طبعة عام 1419هـ

1999م.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

- 176-** الصراع مع اليهود، محمد أبو فارس، دار الفرقان، الطبعة الأولى، 1411هـ - 1990م.
- 177-** صفة الصفوة لابن الجوزي، تحقيق: محمود خوري، ومحمد قلججي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية 1399هـ.
- 178-** صفة الغرباء، سلمان العودة، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية، 1412هـ - 1991م.
- 179-** صفوة التفاسير للصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، الطبعة الأولى، عام 1401هـ.
- 180-** صلاح الدين الأيوبي، عبد الله علوان.
- 181-** صلح الحديبية، محمد أحمد باشميل، دار الفكر، الطبعة الثالثة، 1973م - 1393هـ.
- 182-** صور من حياة الرسول، أمين دويدار، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ.
- 183-** صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، تأليف: د. محمد فوزي فيض الله، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، 1419هـ - 1996م.

(ض)

- 184-** ضوابط المصلحة، محمد رمضان سعيد البوطي، مؤسسة الرسالة ط4، سنة 1402هـ.

(ط)

- 185-** الطاعة والمعصية وأثرهما في المجتمع، محمد بن العثيمين، غزوة أحد.
- 186-** طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين، أبو عبد الله محمد بن سلام بن عبد الله الجمحي بدون معلومات نشر.
- 187-** طبقات ابن سعد الكبرى، محمد بن سعد الزهري، دار صادر، ودار بيروت للطباعة والنشر، 1376هـ - 1957م.
- 188-** طريق النبوة والرسالة، د. حسين مؤنس، دار الرشاد، الطبعة الثانية، 1418هـ - 1997م.
- 189-** الطريق إلى المدائن، عادل كمال، دار النفائس، بيروت، لبنان الطبعة الخامسة، 1407هـ.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

1987م.

- 190-** الطريق إلى المدينة، محمد العبد، دار الجوهرة، عمان، الطبعة الثانية، 1999م.
- 191-** الطريق إلى جماعة المسلمين، حسين بن محسن بن علي جابر، دار الوفاء بالمنصورة في مصر الطبعة الخامسة، 1413هـ-1992م.
- (ظ)
- 192-** ظاهرة الإرجاء، سفر الحوالي، مكتبة الطيب، الطبعة الأولى، 1417هـ، القاهرة، مصر.
- (ع)
- 193-** العبادة في الإسلام، يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية عشرة، 1405هـ-1985م.
- 194-** عبد الله بن مسعود، عبد الستار الشيخ، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية 1410هـ-1990م.
- 195-** العبقرية العسكرية في غزوات الرسول، محمد فرج، دار الفكر العربي، القاهرة الطبعة الثالثة، سنة 1977م.
- 196-** عقيدة أهل السنة في الصحابة، د. ناصر حسن الشيخ، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، 1413هـ-1993م.
- 197-** علاج القرآن الكريم للجريمة، د. عبد الله الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1413هـ.
- 198-** العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية، د. سعيد عبد الله حارب المهيري، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1416هـ-1995م.
- 199-** علاقة الآباء بالأبناء في الشريعة الإسلامية، د. سعاد الصالح، الناشر: تهامة جدة، الطبعة الأولى، 1401هـ.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

- 200- عمدة التفسير (مختصر ابن كثير) الشيخ أحمد شاكر، مكتبة التراث الإسلامي، 1991م**
- 201- عمدة القاري، شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني.**
- 202- العهد والميثاق في القرآن الكريم، د. ناصر العمري، دار العاصمة، الطبعة الأولى، 1413هـ.**
- 203- عون المعبود، شرح سنن أبي داود، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر بيروت.**
- 204- عيون الأثر في فنون المغازي والشمانل والسير، ابن سيد الناس، دار المعرفة، بيروت.**
- (غ)**
- 205- الغرباء الأولون، سلمان العودة، الطبعة الثالثة، دار ابن الجوزي، الدمام السعودية عام 1412هـ - 1991م.**
- 206- غزوة أحد، أحمد عز الدين.**
- 207- غزوة أحد دراسة دعوية، محمد عيطة بن سعيد بن مزجج، دار إشبيلية، الطبعة الأولى، 1420هـ - 1999م.**
- 208- غزوة أحد لأبي فارس، محمد عبد القادر أبو فارس، ط1، 1402هـ - 1982م، دار الفرقان، عمان - الأردن.**
- 209- غزوة الأحزاب، محمد عبد القادر أبو فارس، دار الفرقان، عمان، الطبعة الأولى، 1403هـ - 1983م.**
- 210- غزوة الأحزاب، محمد أحمد باشميل، دار الفكر، الطبعة الخامسة، 1397هـ - 1977م.**
- 211- غزوة بدر الكبرى الحاسمة، محمود خطاب.**
- 212- غزوة بدر الكبرى، محمد أبو فارس، دار الفرقان، الطبعة الأولى، 1402هـ - 1982م.**
- 213- غزوة بدر الكبرى، محمد أحمد باشميل، طبعة دار الفكر، الطبعة السادسة، سنة 1394هـ.**
- 214- غزوة تبوك، محمد أحمد باشميل، دار الفكر، بيروت.**

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

- 215-** فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- 216-** الفتح الرباني، للساعاتي، أحمد عبد الرحمن الساعاتي، في ترتيب مسند الإمام أحمد، أحمد عبد الرحمن الساعاتي، مطبعة الفتح الرباني بالقاهرة، الطبعة الأولى.
- 217-** فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر.
- 218-** الفصل في المثل والنحل، لابن حزم، مكتبة السلام العالمية.
- 219-** فصول في السيرة النبوية، عبد المنعم السيد.
- 220-** فقه الإسلام، شرح بلوغ المرام، لفضيلة الشيخ عبد القادر شيبه الحمد، مطابع الرشيد، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، عام 1403هـ.
- 221-** فقه الابتلاء محمد أبو صعليك، دار البيارق، عمان - بيروت، الطبعة الأولى، 1420هـ - 1999م.
- 222-** فقه التمكن في القرآن الكريم، علي محمد الصلابي، دار البيارق، عمان، الطبعة الأولى، 1999م.
- 223-** فقه الدعوة إلى الله، عبد الحليم محمود، دار الوفاء، الطبعة الأولى، 1410هـ - 1990م.
- 224-** فقه الدعوة الفردية، د. سيد محمد نوح، دار اقرأ، صنعاء.
- 225-** فقه الزكاة للقرضاوي، مكتبة وهبة، الطبعة الحادية والعشرون، 1414هـ - 1994م.
- 226-** الفقه السياسي للوثائق النبوية، خالد الفهداوي، دار عمار، الطبعة الأولى 1419هـ - 1998م.
- 227-** فقه السيرة النبوية، منير الغضبان، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث مكة المكرمة.
- 228-** فقه السيرة، محمد سعيد رمضان البوطي، الطبعة الحادية عشرة، دار الفكر، دمشق - سوريا،

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

1991م.

- 229-** فقه السيرة للغزالي، دار القلم، دمشق، سوريا الطبعة الرابعة، 1409هـ - 1989م.
- 230-** فلسفة التربية الإسلامية، ماجد عرسان الكيلاني، مكتبة هادي، مكة المكرمة، طبعة عام 1409هـ.
- 231-** الفوائد لابن القيم، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار الريان للتراث، القاهرة مصر، الطبعة الأولى 1407هـ - 1987م.
- 232-** في السيرة النبوية قراءة لجوانب الحذر والحماية، الدكتور إبراهيم علي محمد أحمد، وزارة الأوقاف بدولة قطر الطبعة الأولى، رجب 1417هـ.
- 233-** في ظلال السيرة النبوية، الهجرة النبوية، الدكتور محمد عبد القادر أبو فارس، دار الفرقان، عمان، الأردن، الطبعة الثانية، 1408هـ - 1988م.
- 234-** في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، الطبعة التاسعة، 1400هـ - 1980م.
- (ق)
- 235-** القاموس المحيط، مجد الدين محمد الفيروزآبادي، مطبعة مصطفى البابي وأولاده، بمصر، الطبعة الثانية 1371هـ - 1952م.
- 236-** قراءة سياسية للسيرة النبوية، محمد قلعجي، دار النفائس بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1416هـ - 1996م.
- 237-** قصيدة بانث سعاد لكعب بن زهير وأثرها في التراث العربي، تأليف د. السيد إبراهيم محمد، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1406هـ - 1986م.
- 238-** قضايا في المنهج، سلمان العودة، دار مكتبة القدس، الطبعة الثالثة، 1420هـ - 1999م.
- 239-** قضايا نساء النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنات، حفصة بنت عثمان الخلفي، دار المسلم،

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

الطبعة الأولى، 1418هـ - 1997م.

240- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي (660هـ) المكتبة الحسينية المصرية، بجوار الأزهر، الطبعة الأولى، 1353هـ - 1934م.

241- القول المبين في سيرة سيد المرسلين، د. محمد الطيب النجار، دار اللواء، الرياض، 1401هـ - 1981م.

242- قيادة الرسول السياسية والعسكرية، أحمد راتب عرموش، دار النفائس، الطبعة الأولى 1419هـ - 1989م.

243- القيادة العسكرية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، دار القلم، الطبعة الأولى، 1410هـ - 1990م.

(ك)

244- الكامل في التاريخ، لابن الأثير، دار صادر، بيروت.

(ل)

245- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت.

246- لقاء المؤمنين، عدنان النحوي، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض - السعودية، الطبعة الثالثة، 1405هـ - 1985م.

(م)

247- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، لأبي الحسن الندوي، دار المعارف الطبعة السابعة، 1408هـ - 1988م.

248- المال في القرآن الكريم، سليمان الحصين، دار المعراج الدولية، الطبعة الأولى، 1415هـ - 1995م.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

- 249-** مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، دار المسلم، الرياض، الطبعة الثانية، 1416هـ-1996م.
- 250-** مباحثات في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، سوريا.
- 251-** مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الثامنة، 1401هـ-1981م.
- 252-** مبادئ علم الإدارة، محمد نور الدين عبد الرزاق، مكتبة الخدمات الحديثة، جدة السعودية، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.
- 253-** مبادئ نظام الحكم في الإسلام، عبد الحميد متولي، دار المعارف، الطبعة الأولى.
- 254-** المبسوط، شمس الدين السرخسي، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأولى.
- 255-** المجتمع المدني في عهد النبوة، د. أكرم العمري، الطبعة الأولى 1404هـ-1984م.
- 256-** مجلة المجتمع الكويتية، عدد رقم 248، 17 صفر 1399هـ.
- 257-** مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة الثالثة، سنة 1402هـ-1982م.
- 258-** مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن محمد قاسم العاصمي النجدي، المكتب التعليمي السعودي بالمغرب.
- 259-** مجموعة الوثائق السياسية، لمحمد حميد الله، دار النفائس، الطبعة الخامسة، 1405هـ-1985م.
- 260-** محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، دار الفكر، بيروت.
- 261-** المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية، أبي محمد بن عبد الحق بن غالب الأندلسي، تحقيق المجلس العلمي بفاس، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب طبعة

- 262-** محمد رسول الله، محمد الصادق عرجون، دار القلم، الطبعة الثانية، 1415هـ - 1995م.
- 263-** محمد رسول الله، محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1975م.
- 264-** محنة المسلمين في العهد المكي، د. سليمان السويكت، مكتبة التوبة، الرياض، الطبعة الأولى، 1412هـ - 1992م.
- 265-** المختار من كنوز السنة، محمد عبد الله دراز، دار الأنصار القاهرة، الطبعة الثانية 1978م.
- 266-** مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية المعطلة، لابن قيم الجوزية، اختصره محمد الموصلي، مكتبة الرياض الحديثة.
- 267-** مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، لمحمد بن عبد الوهاب، جامعة الإمام محمد بن سعود.
- 268-** مختصر صحيح مسلم للحافظ زكي المنذري، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، دمشق الطبعة الثالثة، سنة 1397هـ - 1977م.
- 269-** المدخل إلى العقيدة والإستراتيجية العسكرية، محمد جمال الدين علي محفوظ، مطابع الهيئة المصرية للكتاب بالقاهرة.
- 270-** مدخل لفهم السيرة، د. يحيى اليحيى، أخذها المؤلف من صاحب الكتاب قبل أن يطبعها.
- 271-** المدرسة النبوية العسكرية لأبي فارس، دار الفرقان، عمان.
- 272-** المدينة المنورة فجر الإسلام والعصر الراشدي، محمد حسين شراب، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى 1415هـ - 1994م.
- 273-** المرأة في العهد النبوي، د. عصمة الدين كركر، دار الغرب الإسلامي، بيروت الطبعة الأولى 1993م.

- 274-** مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته وأثره على الأمة، خالد أبو صالح، دار الوطن، الطبعة الأولى، 1414هـ.
- 275-** مرويّات غزوة أحد، حسين أحمد الباكري، رسالة ماجستير نوقشت في الجامعة الإسلامية، إشراف، د. أكرم العمري، عام 1399هـ.
- 276-** مرويّات غزوة الحديبية، د. حافظ الحكمي، دار ابن القيم، الطبعة الأولى، 1411هـ - 1991م.
- 277-** مرويّات غزوة بدر، أحمد باوزير، مكتبة طيبة، الطبعة الأولى 1400هـ - 1980م.
- 278-** مرويّات غزوة بني المصطلق، إبراهيم القريري، طبع المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، عام 1402هـ.
- 279-** مساجد القاهرة ومدارسها، أحمد فكري، طبعة الإسكندرية، 1961م.
- 280-** المستدرك على الصحيحين، للإمام أبي عبد الله النيسابوري بذيله التلخيص للذهبي، دار النشر مكتب المطبوعات الإسلامية، طبعة سنة 1390هـ - 1970م.
- 281-** المستشفيات الإسلامية، د. عبد الله عبد الرزاق، مسعود العيد، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن الطبعة الأولى، 1408هـ - 1987م.
- 282-** المستطرف في كل فن مستطرف، شهاب الدين الأبشيهي، مكتبة الحياة، بيروت.
- 283-** الاستفادة من قصص القرآن للدعوة والدعاة، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1418هـ - 1997م.
- 284-** المسلمون والروم في عصر النبوة، عبد الرحمن أحمد سالم، دار الفكر العربي، طبعة 1418هـ - 1997م.
- 285-** مسند أبي يعلى الموصلي، الحافظ أحمد بن علي التميمي - دار المأمون للتراث- دمشق، بيروت، ط1.

- 286-** المسند، أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي، بيروت.
- 287-** المشروع الإسلامي لنهضة الأمة قراءة في فكر حسن البنا، لمجموعة من الباحثين.
- 288-** مشكاة المصابيح، الخطيب التبريزي المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الأولى، 1381هـ-1961م.
- 289-** مصعب بن عمير، الداعية المجاهد، محمد حسن بريغش، دار القلم، دمشق، الطبعة الرابعة، 1407هـ-1987م.
- 290-** مصنف عبد الرزاق، لأبي بكر عبد الزراق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الأولى.
- 291-** المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية: أحمد حجر العسقلاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.
- 292-** معارك خالد بن الوليد، د. ياسين سويد، المؤسسة العربية للدراسة والنشر الطبعة الرابعة، 1989م.
- 293-** معالم قرآنية في الصراع مع اليهود، د. مصطفى مسلم محمد، دار المسلم، الرياض، الطبعة الأولى، 1415هـ-1994م.
- 294-** المعاهدات في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي، د. محمد الديك، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1418هـ-1997م.
- 295-** معجم البلدان، الياقوت الحموي، دار صادر، ودار بيروت، 1404هـ-1984م.
- 296-** معجم الطبراني، سليمان بن أحمد الطبراني، دار العربية، بغداد، 1398هـ.
- 297-** المعجم الكبير لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، م: 260هـ-ت 360هـ، دار مكتبة العلوم والحكم، طبعة 2، 1406هـ-1985م.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

- 298-** معركة الوجود بين القرآن والتلمود، عبد الستار فتح الله سعيد، مكتبة المنار.
- 299-** المعوقون للدعوة الإسلامية في عهد النبوة وموقف الإسلام منها، د. سميرة محمد جمجوم، دار المجتمع جدة، الطبعة الأولى، 1407هـ - 1987م.
- 300-** المغازي النبوية، تحقيق سهيل زكار، للزهري، دار الفكر، دمشق، 1401 - 1981م.
- 301-** مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم، عروة بن الزبير، تحقيق: د. محمد الأعظمي، نشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، الطبعة الأولى، 1401هـ - 1981م.
- 302-** المغازي للواقدي، محمد عمر بن واقد المتوفي 207هـ، تحقيق د. مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، 1404هـ - 1984م.
- 303-** مفاهيم ينبغي أن تصحح، محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثامنة، 1413هـ - 1993م.
- 304-** المفصل في أحكام النساء، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1413هـ - 1993م.
- 305-** مقاصد الشريعة الإسلامية، د. محمد سعد اليوبي، دار الهجرة، الرياض، الطبعة الأولى، 1418هـ - 1998م.
- 306-** المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، يوسف حامد العالم، الدار العلمية للكتاب الإسلامي، ط2، سنة 1415هـ - 1993م، الرياض.
- 307-** مقدمة ابن الصلاح وشرحها، للحافظ العراقي، طبع دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.
- 308-** مقدمة ابن خلدون، للعلامة عبد الرحمن بن خلدون، ط، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة بدون تاريخ.
- 309-** مقومات الداعية الناجح، د. علي بادحدح، دار الأندلس الخضراء، جدة، الطبعة الأولى، 1417هـ - 1996م.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

310- مقومات السفراء في الإسلام، حسن فتح الباب، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة

1970م.

311- مقومات النصر، د. أحمد أبو الشباب، المكتبة العصرية، لبنان 1420 هـ - 1999م.

312- مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول للأستاذ أحمد الشريف.

313- ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية، عدنان النحوي، الطبعة الثانية.

314- من معين السيرة، صالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، 1413 هـ - 1992م.

315- من هدي سورة الأنفال، محمد أمين المصري، طبع مكتبة دار الأرقم، الكويت.

316- المنافقون، محمد جميل غازي، مكتبة المدني ومطبعاتها، جدة، السعودية 1972م.

317- منامات الرسول صلى الله عليه وسلم، عبد القادر الشيخ إبراهيم، دار القلم العربي، بحلب، الطبعة الأولى، 1419 هـ - 1999م.

318- مناهج وآداب الصحابة في التعلم والتعليم، د. عبد الرحمن البر، دار اليقين المنصورة، الطبعة الأولى، 1420 هـ - 1999م.

319- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لأبي الفرج بن الجوزي، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.

320- منهاج السنة النبوية، لابن تيمية مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1416 هـ - 1986م.

321- منهاج القرآني في التشريع، عبد الستار فتح الله سعيد، مطابع دار الطباعة الإسلامية، الطبعة الأولى، 1413 هـ، 1992م.

322- منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية، سليم حجازي، دار المنارة، الطبعة الأولى، 1406 هـ - 1986م.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

- 323-** منهج الإسلام في تركية النفس، د. أنس أحمد كرزون، دار نور المكتبات، دار ابن حزم، الطبعة الثانية، 1418هـ - 1997م.
- 324-** المنهج التربوي للسيرة النبوية- التربية الجهادية، منير الغضبان، مكتبة المنار، الطبعة الأولى، 1411هـ - 1991م.
- 325-** منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، دار الشروق، الطبعة الخامسة، 1403هـ - 1983م.
- 326-** المنهج الحركي للسيرة النبوية، منير الغضبان، مكتبة المنار، الأردن الطبعة الثالثة 1411هـ - 1990م.
- 327-** منهج الرسول في غرس الروح الجهادية في نفوس الصحابة، السيد محمد نوح، نشرته جامعة الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، 1411هـ - 1990م.
- 328-** الموازنة بين ذوق السماع وذوق الصلاة والقرآن، للإمام ابن القيم الجوزية، تحقيق: مجدي فتحي السيد.
- 329-** الموافقات في أصول الشريعة، لأبي إسحاق إبراهيم موسى اللخمي الشهير بالشاطبي، دار الفكر، 1341هـ.
- 330-** الموسوعة في سماحة الإسلام، محمد الصادق عرجون، الدار السعودية للنشر والتوزيع جدة ط الثانية 1404هـ - 1984م

(ن)

- 331-** نشأة الدولة الإسلامية، د. عون الشريف قاسم، دار الكتب اللبناني، بيروت، ط2، 1400هـ - 1980م.
- 332-** نصب الراية في أحاديث الهداية، بحاشية بغية الألمعي في تخريج الزيلعي، عبد الله ابن يوسف

بن محمد الزيلعي، المكتب الإسلامي، دمشق، 1393هـ.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

- 333-** نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، إعداد مجموعة من المختصين بإشراف صالح بن حميد، دار الوسيلة، الطبعة الأولى 1418هـ.
- 334-** نظام الحكم، في الشريعة والتاريخ الإسلامي، ظافر القاسمي، دار النفائس، الطبعة السادسة، 1411هـ - 1990م.
- 335-** نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، محمد عبد الحي الكتاني، دار الأرقم، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية.
- 336-** النظام السياسي في الإسلام، محمد عبد القادر أبو فارس، دار الفرقان، الطبعة الثانية 1407هـ - 1986م.
- 337-** نظرات في رسالة التعاليم، محمد عبد الله الخطيب، محمد عبد الحليم حامد، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر 1995.
- 338-** نظرات في السيرة للإمام حسن البناء، سجلها وأعدّها للنشر أحمد عيسى عاشور، مكتبة الاعتصام، القاهرة، الطبعة الأولى، 1399هـ - 1979م.
- 339-** نفوس ودروس في إطار التصوير القرآني، توفيق محمد سبع، مجمع البحوث الإسلامية القاهرة، مصر الطبعة الأولى، بدون تاريخ.
- 340-** النكت والعيون (تفسير الماوردي)، لأبي الحسن علي بن حبيب الماوردي، تحقيق خضر محمد خضر - نشر وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية والتراث الإسلامي، بالكويت.
- 341-** النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي ط/ المكتبة الإسلامية 1385هـ.
- 342-** نور اليقين، محمد الخضري، دار القلم، دمشق، سوريا.
- 343-** نيل الأوطار، شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار، محمد بن علي الشوكاني، دار الحديث، القاهرة.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

344- الهجرة الأولى في الإسلام، د. سليمان العودة، دار طيبة للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، 1419هـ.

345- هجرة الرسول وصحابته في القرآن والسنة، أحمد عبد الغني النجولي الجمل، دار الوفاء، الطبعة الأولى، 1409هـ - 1989م.

346- الهجرة النبوية المباركة، د. عبد الرحمن البر، دار الكلمة، المنصورة، مصر، الطبعة الأولى، 1418هـ - 1997م.

347- الهجرة في القرآن الكريم، أحزمي سامعون جزولي، مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى، 1417هـ - 1996م.

348- هذا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم يا محب، لأبي بكر الجزائري، مكتبة لينة.

349- هذا الدين، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، مصر، الطبعة الرابعة، 1412هـ - 1992م.

350- واقعنا المعاصر، لمحمد قطب، مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر، جدة الطبعة الثانية، 1408هـ - 1987م.

351- الوحي والرسالة، د. يحيى اليحيى، أخذت من المؤلف صورة قبل الطبع.

352- الوسطية في القرآن الكريم، علي محمد الصلابي، دار النفائس، دار البيارق، الطبعة الأولى، 1419هـ - 1999م.

353- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، أبو الحسن بن عبد الله السمهوري، دار المصطفى، طبعة القاهرة، 1326هـ.

354- الوفود في العهد المكي وأثره الإعلامي، لعلي رضوان أحمد الأسطل، دار المنار، الأردن عمان

الطبعة الأولى 1404هـ - 1984م.

355- وقفات تربوية مع السيرة النبوية، أحمد فريد، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثالثة، 1417هـ - 1997م.

356- وقفات تربوية من السيرة النبوية، عبد الحميد البلالي، المنار، الكويت، الطبعة الثالثة، 1411هـ - 1991م.

357- الولاء والبراء في الإسلام، محمد سعيد القحطان، دار طيبة الرياض، الطبعة السادسة، 1413هـ.

358- ولاية الشرطة في الإسلام، نمر محمد الحميداني، دار عالم الكتب، الطبعة الثانية، 1414هـ - 1994م.

(ي)

359- يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر الجنة والنار، لصديق حسن.

360- اليهود في السنة المطهرة، د. عبد الله الشقاري، دار طيبة، الرياض، طبعة أولى، 1417هـ - 1996م.

361- اليوم الآخر في الجنة والنار، د. عمر الأشقر، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الثانية، 1408هـ - 1988م.

* * *

الموضوع	الصفحة
---------	--------

الفصل الثامن

غزوة بدر الكبرى

المبحث الأول: مرحلة ما قبل المعركة.....	
أولاً: بعض الحوادث في أثناء المسير إلى بدر	
ثانياً: العزم على ملاقات المسلمين ببدر	
ثالثاً: مشاورة النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه	
رابعاً: المسير إلى لقاء العدو وجمع المعلومات عنه	
خامساً: مشورة الحباب بن المنذر في بدر	
سادساً: الوصف القرآني لخروج المشركين	
سابعاً: موقف المشركين لما قدموا إلى بدر	
المبحث الثاني: النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون في ساحة المعركة ...	
أولاً: بناء عريش القيادة	
ثانياً: من نعم الله على المسلمين قبل القتال	
ثالثاً: خطة الرسول صلى الله عليه وسلم في المعركة	
المبحث الثالث: نشوب القتال وهزيمة المشركين	
أولاً: إمداد الله للمسلمين بالملائكة	

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

ثانيًا: انتصار المسلمين على المشركين وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل القليب

-
- المبحث الرابع : مشاهد وأحداث من المعركة.....
- أولاً: مصارع الطغاة
- ثانيًا: من مشاهد العظمة
- المبحث الخامس: الخلاف في الأنفال والأسرى
- أولاً: الخلاف في الأنفال
- ثانيًا: الأسرى
- المبحث السادس: نتائج غزوة بدر ومحاولة اغتيال النبي صلى الله عليه وسلم
- أولاً: نتائج غزوة بدر
- ثانيًا: محاولة اغتيال النبي صلى الله عليه وسلم وإسلام عمير بن وهب
- المبحث السابع: بعض الدروس والعبر والفوائد من غزوة بدر
- أولاً: حقيقة النصر من الله تعالى
- ثانيًا: يوم الفرقان
- ثالثًا: الولاء والبراء من فقه الإيمان
- رابعًا: المعجزات التي ظهرت في بدر وما حولها
- خامسًا: حكم الاستعانة بالمشرك
- سادسًا: حذيفة بن اليمان وأسيد بن الحضير رضي الله عنهما
- سابعًا: الحرب الإعلامية في بدر
- المبحث الثامن: أهم الأحداث التي وقعت بين غزوتي بدر وأحد

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

أولاً: الغزوات التي قادها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بدر وقبل أحد

..... ثانياً: غزوة بني قينقاع

..... ثالثاً: تصفية المحرضين على الدولة الإسلامية، مقتل كعب بن الأشرف

..... رابعاً: بعض المناسبات الاجتماعية

الفصل التاسع

غزوة أحد

..... المبحث الأول: أحداث ما قبل المعركة

..... أولاً: أسباب الغزوة

..... ثانياً: خروج قريش من مكة إلى المدينة

..... ثالثاً: الاستخبارات النبوية تتابع حركة العدو

..... رابعاً: مشاورته صلى الله عليه وسلم لأصحابه

..... خامساً: خروج جيش المسلمين إلى أحد

..... سادساً: خطة الرسول صلى الله عليه وسلم لمواجهة كفار مكة

..... المبحث الثاني: في قلب المعركة

..... أولاً: بدء القتال واشتداده وبوادر الانتصار للمسلمين

..... ثانياً: مخالفة الرماة لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم

..... ثالثاً: خطة الرسول في إعادة شتات الجيش

..... رابعاً: من شهداء أحد

..... خامساً: من دلائل النبوة

..... المبحث الثالث: أحداث ما بعد المعركة

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

- أولاً: حوار أبي سفيان مع الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه
- ثانياً: تفقد الرسول صلى الله عليه وسلم الشهداء
- ثالثاً: دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم يوم أحد
- رابعاً: معرفة وجهة العدو
- خامساً: غزوة حمراء الأسد
- سادساً: مشاركة نساء المسلمين في معركة أحد
- سابعاً: دروس في الصبر تقدمها صحابيات للأمة
- المبحث الرابع: بعض الدروس والعبر والفوائد
- أولاً: تذكير المؤمنين بالسنن ودعوتهم للعلو الإيماني
- ثانياً: تسلية المؤمنين وبيان حكمة الله فيما وقع يوم أحد
- ثالثاً: كيفية معالجة الأخطاء
- رابعاً: ضرب المثل بالمجاهدين السابقين
- خامساً: مخالفة ولي الأمر تسبب الفشل لجنوده
- سادساً: خطورة إثارة الدنيا على الآخرة
- سابعاً: التعلق والارتباط بالدين
- ثامناً: معاملة النبي صلى الله عليه وسلم للرماة الذين أخطأوا والمنافقين الذين انخدلوا
- تاسعاً: أحد جبل نحبه ويحبنا
- عاشرًا: الملائكة في أحد
- الحادي عشر: قوانين النصر والهزيمة من سورة الأنفال وآل عمران
- الثاني عشر: فضل الشهداء وما أعده الله لهم من نعيم مقيم

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

..... الثالث عشر: الهجوم الإعلامي على المشركين

الفصل العاشر

أهم الأحداث ما بين أحد والخندق

- المبحث الأول: محاولات المشركين لزعة الدولة الإسلامية.....
- أولاً: طمع بني أسد في الدولة الإسلامية.....
- ثانياً: خالد بن سفيان الهذلي وتصدي عبد الله بن أنيس له.....
- ثالثاً: غدر قبيلتي عضل والقارة، وفاجعة الرجيع.....
- رابعاً: طمع عامر بن الطفيل في المسلمين وفاجعة بنر معونة (4هـ).....
- المبحث الثاني: زواج النبي صلى الله عليه وسلم بأُم المساكين، وأُم سلمة وأحداث متفرقة
- أولاً: زينب بنت خزيمة أم المساكين رضي الله عنها.....
- ثانياً: زواج النبي صلى الله عليه وسلم بأُم سلمة رضي الله عنها.....
- ثالثاً: مولد الحسن بن علي رضي الله عنه.....
- رابعاً: زيد بن ثابت رضي الله عنه يتعلم لغة اليهود سنة 4هـ.....
- المبحث الثالث: إجلاء يهود بني النضير.....
- أولاً: تاريخ الغزوة وأسبابها.....
- ثانياً: إنذار بني النضير بالجلء وحصارهم.....
- ثالثاً: الدروس والعبر في هذه الغزوة.....
- المبحث الرابع: غزوة ذات الرقاع.....
- أولاً: تاريخها وأسبابها ولماذا سميت بذات الرقاع؟.....
- ثانياً: صلاة الخوف، وحراسة الثغور.....

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

ثالثًا: شجاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومعاملته لجابر بن عبد الله.

المبحث الخامس: غزوة بدر الموعد ودومة الجندل.....

أولًا: غزوة بدر الموعد

ثانيًا: دومة الجندل

المبحث السادس: غزوة بني المصطلق

أولًا: من هم بنو المصطلق ومتى وقعت الغزوة وأسبابها؟

ثانيًا: زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من جويرة بنت الحارث رضي الله عنها

ثالثًا: محاولة المنافقين في هذه الغزوة الفتنة بين المهاجرين والأنصار

رابعًا: توجيه القرآن الكريم للمجتمع الإسلامي في أعقاب غزوة بني المصطلق

خامسًا: محاولة المنافقين الطعن في عرض النبي صلى الله عليه وسلم بالافتراء على عائشة

رضي

الله عنها بما يعرف بحديث الإفك.

سادسًا: أهم الآداب والأحكام التي تؤخذ من آيات الإفك.

سابعًا: فوائد وأحكام ودروس من حادثة الإفك وغزوة بني المصطلق.

الفصل الحادي عشر

غزوة الأحزاب

المبحث الأول: تاريخ الغزوة، وأسبابها، وأحداثها

أولًا: تاريخ الغزوة وأسبابها

ثانيًا: متابعة المسلمين للأحزاب

ثالثًا: اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بالجبهة الداخلية.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

-المبحث الثاني: اشتداد المحنة بالمسلمين
- أولاً: نقض يهود بني قريظة العهد ومحاولة ضرب المسلمين من الخلف
- ثانياً: تشديد الحصار على المسلمين وانسحاب المنافقين ونشرهم الأراجيف
- ثالثاً: محاولة النبي صلى الله عليه وسلم تخفيف حدة الحصار بعقد صلح مع غطفان وبث الإشاعات في صفوف الأعداء
- المبحث الثالث: مجيء نصر الله والوصف القرآني لغزوة الأحزاب
- أولاً: شدة تضرع الرسول صلى الله عليه وسلم ونزول النصر
- ثانياً: تحري انصراف الأحزاب
- ثالثاً: الوصف القرآني لغزوة الأحزاب ونتائجها
- رابعاً: التخلص من بني قريظة
- المبحث الرابع: فوائد ودروس وعبر
- أولاً: المعجزات الحسية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
- ثانياً: بين التصور والواقع
- ثالثاً: سلمان منا أهل البيت
- رابعاً: الصلاة الوسطى
- خامساً: الحلال والحرام
- سادساً: شجاعة صفية عمة الرسول صلى الله عليه وسلم
- سابعاً: عدم صحة ما يروى عن جبن حسان رضي الله عنه
- ثامناً: أول مستشفى إسلامي حربي
- تاسعاً: المسلم يقع في الإثم ولكنه يسارع في التوبة

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

- عاشراً: من فضائل سعد بن معاذ رضي الله عنه
- حادي عشر: مقتل حيي بن أخطب، وكعب بن أسد
- ثاني عشر: شفاعة ثابت بن قيس في الزبير بن باطا اليهودي وسلمى بنت قيس في رفاعة بن شموال
- ثالث عشر: من أدب الخلاف
- رابع عشر: توزيع غنائم بني قريظة وإسلام ريحانة بنت عمرو
- خامس عشر: الإعلام الإسلامي في غزوة الأحزاب

الفصل الثاني عشر

ما بين غزوة الأحزاب والحديبية وأحداث مهمة

- المبحث الأول: زواج النبي صلى الله عليه وسلم بزینب بنت جحش رضي الله عنها
- أولاً: اسمها ونسبها
- ثانياً: زواجها من زيد بن حارثة رضي الله عنها
- ثالثاً: طلاق زيد لزينب رضي الله عنها
- رابعاً: الحكمة من زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من زينب
- خامساً: قصة زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من زينب وما فيها من دروس وعبر
- المبحث الثاني: الآن نغزوهم ولا يغزونا
- أولاً: سرية محمد بن مسلمة إلى بني القرطاء
- ثانياً: سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى سيف البحر
- ثالثاً: سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل
- رابعاً: تأديب الغادرين: غزوة بني لحيان، وغزوة الغابة وغيرهما

- خامساً: سرية كرز بن جابر الفهري إلى العرنين
- المبحث الثالث: تصفية المحرضين على الدولة
- أولاً: سرية عبد الله بن عتيك لقتل سلام بن أبي الحقيق
- ثانياً: سرية عبد الله بن رواحة إلى اليسر بن رزام اليهودي

الفصل الثالث عشر

الفتح المبين (صلح الحديبية)

- المبحث الأول: تاريخه وأسبابه ومخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة
- أولاً: تاريخه وأسبابه
- ثانياً: وصول النبي صلى الله عليه وسلم بعسفان
- ثالثاً: الرسول يغير الطريق وينزل الحديبية
- رابعاً: ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل.....
- خامساً: السفارة بين الرسول وقريش
- سادساً: الوفود النبوية إلى قريش ووقوع بعض الأسرى في يد المسلمين ...
- سابعاً:بيعة الرضوان
- المبحث الثاني: صلح الحديبية وما ترتب عليه من أحداث
- أولاً: مفاوضة سهيل بن عمرو لرسول الله صلى الله عليه وسلم
- ثانياً: موقف أبي جندل والوفاء بالعهد
- ثالثاً: احترام المعارضة النزيهة
- رابعاً: التحلل من العمرة ومشورة أم سلمة رضي الله عنها
- خامساً: العودة إلى المدينة ونزول سورة الفتح

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

سادساً: أبو بصير في المدينة وقيادته لحرب العصابات	
سابعاً: امتناع النبي صلى الله عليه وسلم عن رد المهاجرات	
المبحث الثالث: دروس وعبر وفوائد	
أولاً: أحكام تتعلق بالعقيدة	
ثانياً: أحكام فقهية وأصولية	
ثالثاً: أنموذج من التربية النبوية	
الفصل الرابع عشر	

أهم الأحداث ما بين الحديبية وفتح مكة

المبحث الأول: غزوة خيبر	
أولاً: تاريخها وأسبابها	
ثانياً: مسيرة الجيش الإسلامي إلى خيبر	
ثالثاً: وصف تساقط حصون خيبر	
رابعاً: الأعرابي الشهيد، والراعي الأسود، وبطل إلى النار	
خامساً: قدوم جعفر بن أبي طالب ومن معه من الحبشة	
سادساً: تقسم الغنائم	
سابعاً: زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من صفية بنت حيي بن أخطب	
ثامناً: محاولة أثيمة لليهود، الشاة المسمومة	
تاسعاً: الحجاج بن علاط السلمي وإرجاع أمواله من مكة	
عاشراً: بعض الأحكام الفقهية المتعلقة بالغزوة	
المبحث الثاني: دعوة الملوك والأمراء	

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

- أولاً: كان صلح الحديبية إيذاناً ببداية المد الإسلامي
- ثانياً: دروس وعبر وفوائد
- المبحث الثالث: عمرة القضاء
- أولاً: الحيلة والحذر من غدر قريش
- ثانياً: دخول مكة والطواف والسعي
- ثالثاً: زواجه من أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث
- رابعاً: التحاق بنت حمزة بن عبد المطلب بركب المسلمين
- خامساً: أثر عمرة القضاء على الجزيرة وإسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة
- المبحث الرابع: سرية مؤتة 8هـ
- أولاً: أسبابها وتاريخها
- ثانياً: وداع الجيش الإسلامي
- ثالثاً: الجيش يصل إلى معان واستشهاد الأمراء الثلاثة
- رابعاً: المسلمون يختارون خالد بن الوليد قائداً
- خامساً: معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم وموقف أهل المدينة من الجيش
- سادساً: دروس وعبر وفوائد
- المبحث الخامس: سرية ذات السلاسل
- الفصل الخامس عشر
- غزوة فتح مكة (8 هـ)
- المبحث الأول: أسبابها والاستعداد للخروج والشروع فيه

- أولاً: أسبابها
- ثانياً: الاستعداد للخروج
- ثالثاً: الشروع في الخروج وأحداث في الطريق
- المبحث الثاني: خطة النبي صلى الله عليه وسلم لدخول مكة وفتحها
- أولاً: توزيع المهام بين قادة الصحابة
- ثانياً: دخول خاشع متواضع، لا دخول فاتح متعال
- ثالثاً: إعلان العفو العام
- رابعاً: بعث خالد بن الوليد إلى بني خزيمة
- خامساً: هدم بيوت الأوثان
- المبحث الثالث: دروس وعبر وفوائد
- أولاً: مواقف دعوية وقدرة رفيعة في التعامل مع النفوس
- ثانياً: أتكلمني في حد من حدود الله؟
- ثالثاً: أجرنا من أجرت يا أم هانئ
- رابعاً: إنه لا ينبغي لنبي أن يكون له خائنة أعين
- خامساً: المحيا محياكم والممات مماتكم
- سادساً: إسلام عبد الله بن الزبيرى شاعر قريش
- سابعاً: من الأحكام الشرعية التي تؤخذ من الغزوة ومكان نزول الرسول صلى الله عليه وسلم بمكة
- ثامناً: من نتائج فتح مكة

الفصل السادس عشر

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

-المبحث الأول: أسبابها وأحداث المعركة
-أولاً: أهم أحداث غزوة حنين
-ثانياً: مطاردة فلول الفارين إلى أوطاس والطائف
-المبحث الثاني: فقه الرسول صلى الله عليه وسلم في التعامل مع النفوس ...
-المبحث الثالث: دروس وعبر وفوائد
-أولاً: تفسير الآيات التي نزلت في غزوة حنين
-ثانياً: أسباب الهزيمة وعوامل النصر في حنين
-ثالثاً: الأحكام المستنبطة من غزوة حنين والطائف
-رابعاً: مواقف لبعض الصحابة والصحابيات
-خامساً: إسلام كعب بن زهير – الشاعر – والهيمنة الإعلامية على الجزيرة
-سادساً: من نتائج غزوة حنين والطائف
-المبحث الرابع: أهم الأحداث ما بين حنين وتبوك
-أولاً: ترتيب استيفاء الصدقات
-ثانياً: أهم السرايا في هذه المرحلة
-ثالثاً: إسلام عدي بن حاتم
-رابعاً: أحداث متفرقة في سنة ثمان

الفصل السابع عشر

غزوة تبوك 9هـ وهي غزوة العسرة

-المبحث الأول: تاريخ الغزوة، وأسمائها وأسبابها

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

- أولاً: تاريخها وأسمائها
- ثانياً: أسبابها
- ثالثاً: الإنفاق في هذه الغزوة وحرص المؤمنين على الجهاد
- رابعاً: موقف المنافقين من غزوة تبوك
- خامساً: إعلان النفير وتعبئة الجيش
- المبحث الثاني: أحداث في الطريق والوصول إلى تبوك
- أولاً: قصة أبي ذر الغفاري
- ثانياً: قصة أبي خيثمة
- ثالثاً: الوصول إلى تبوك
- رابعاً: وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجيش عند مروره بحجر ثمود
- خامساً: وفاة الصحابي عبد الله ذو البجادين رضي الله عنه
- سادساً: بعض المعجزات التي حدثت في الغزوة
- سابعاً: حديث القرآن الكريم عن مواقف المنافقين أثناء الغزوة
- المبحث الثالث: العودة من تبوك إلى المدينة وحديث القرآن الكريم
- في المخلفين عن الغزوة وعن مسجد الضرار
- أولاً: المخلفون الذين لهم أعذار شرعية وعذرهم الله سبحانه وتعالى
- ثانياً: المخلفون الذين ليس لهم أعذار شرعية وتاب الله عليهم
- ثالثاً: المخلفون من منافقي الأعراب الذين يسكنون حول المدينة
- رابعاً: المخلفون من منافقي المدينة
- خامساً: مسجد الضرار

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net

-المبحث الرابع: قصة الثلاثة الذين خلفوا
-المبحث الخامس: دروس وعبر وفوائد
-أولاً: معالم من المنهج القرآني في الحديث عن غزوة تبوك
-ثانياً: ممارسة الشورى في هذه الغزوة
-ثالثاً: التدريب العملي العنيف
-رابعاً: أهم نتائج الغزوة
-المبحث السادس: أهم الأحداث ما بين غزوة تبوك وحجة الوداع
-أولاً: وفد ثقيف وإسلامهم
-ثانياً: وفاة زعيم المنافقين عبد الله ابن سلول
-ثالثاً: تخير النبي صلى الله عليه وسلم لزوجاته
-رابعاً: حج أبي بكر رضي الله عنه بالناس
-خامساً: عام الوفود 9هـ
-سادساً: بعوث رسول الله صلى الله عليه وسلم لتعليم مبادئ الإسلام وترتيب أمور الإدارة والمال
-المبحث السابع: حجة الوداع 10هـ
-أولاً: كيف حج النبي صلى الله عليه وسلم؟
-ثانياً: الدروس والعبر والفوائد
-المبحث الثامن: مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ووفاته
-أولاً: الآيات والأحاديث التي أشارت إلى وفاته صلى الله عليه وسلم
-ثانياً: مرض الرسول صلى الله عليه وسلم
-ثالثاً: من وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أيامه الأخيرة

..... رابعاً: أبو بكر يصلي بالمسلمين

..... خامساً: الساعات الأخيرة من حياة المصطفى

..... سادساً: بعض ما قيل من المراثي في وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم

..... الخاتمة

..... المصادر والمراجع

..... فهرس الموضوعات

* * *

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ
مع الدعاء بحسن الاستفادة

info@libya-web.net - libya-web.net